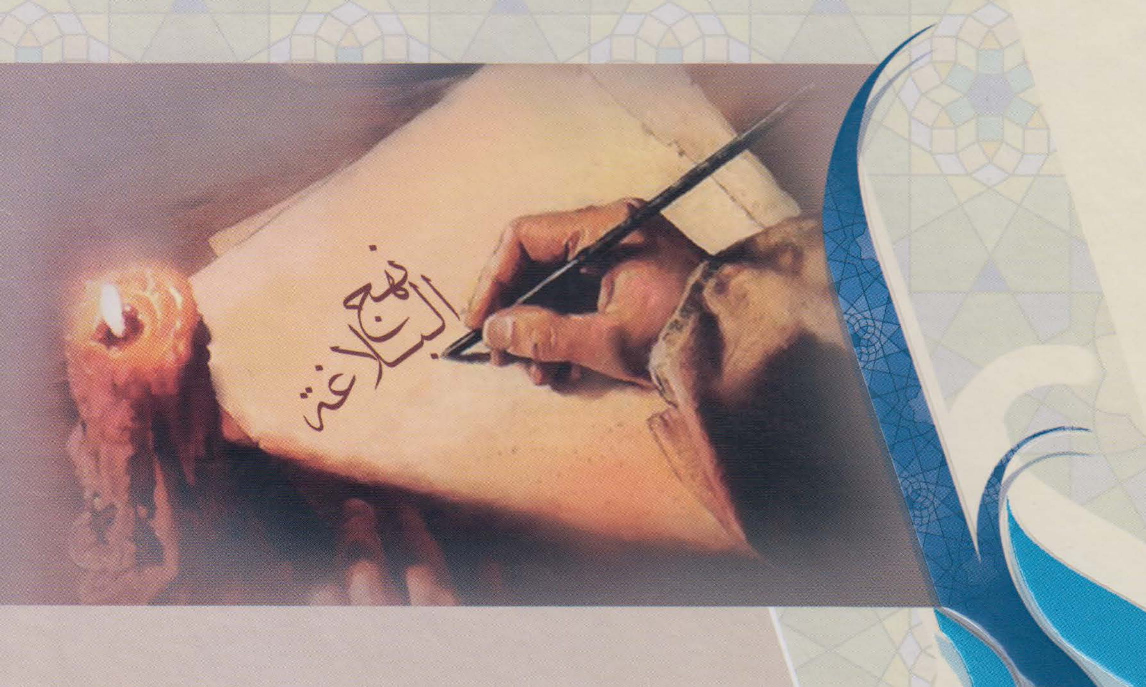
فكر

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

كما يَبدُو في نهج البلاغة



من إعداد

الدكتور جليل منصور العُريّض

دار المحجة البيضاء


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

فكر
الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام
كما يَبدُو في نهج البَلاغة

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

ISBN: 987-614-426-380-8

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail : almahajja@terra.net.lb

E-mail & FB: info@daralmahaja.com

www.daralmahaja.com



مكتبة طاهرة

مركز تصوير - جميع أنواع ادوات القرطاسية - ومستلزمات المكاتب وورق التصوير بأنواعه

مملكة البحرين - سوق واقف

هاتف: ١٧٤١٤٧٥٦ - ٣٩٦٤٣٠٧٦ - ١٧٤١٣٦٠٥

فاكس: ١٧٤١٤٧٥٦ - ١٧٤١٣٧٥٧

E-MAIL: tahera book-shop@hotmail.com

فكر
الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام
كما يبدُو في نهج البلاغة

مِنْ إعْدَادِ:
الدكتور: جَلِيل مَنْصور العُريّض

دار المحجة البيضاء
مكتبة طاهرة


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (ت ٤٠ هـ) من أبرز أعلام التاريخ الإسلامي، كلّفه الرسول صلى الله عليه وآله بالكثير من جلائل المهمات المتعلقة بروح الدعوة، فأثبت جدارته وصدق إيمانه، وسعة اطلاعه، كما عوّل الخلفاء الثلاثة الأول على الأخذ بمشورته في الكثير من القضايا السياسية، واعتمدوا على فتاواه الفقهية، بالإضافة إلى توليه الخلافة لفترة دامت خمس سنوات (٣٥ ـ ٤٠ هـ / ٦٥٦ ـ ٦٦١م) كان خلالها سيفاً مسلّطاً على الفتنة الكبرى التي أودت بحياة الخليفة الثالث، ومن ثم قسمت المسلمين إلى فرق متناحرة، فكانت حياته ضحية لذلك التناحر، وهو إلى جانب كل ذلك منبع النحلة الشيعية، والبطولات الأسطورية، والمثال المحتذى في الفصاحة والبلاغة.

ولقد تناولت كثير من الدراسات شخصه بالبحث والدراسة، إلا أنها لم تتمكن من الإلمام بكل جوانبه، ولاسيما الجوانب الفكرية التي تضمنها كتاب (نهج البلاغة) الجامع لما أُثر عنه من خطب ورسائل وعهود وحكم، وذلك ما حدا بي إلى اختيار (فكر علي عليه السلام كما يبدو من خلال نهج

البلاغة) موضوعاً لدراستي.

فمن المعلوم أن هدف الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) من جمعه لنهج البلاغة تبيان فصاحة الإمام عليعليه السلام ومقدرته البلاغية، فقد وصفه في مقدمته بأنه (مشرع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة ومولدها). وبسبب ما حواه النهج من نصوص صرّح الإمام فيها بأحقيته في خلافة المسلمين دون غيره من الصحابة، وما تضمنته نصوص أخرى من وصف لأمور مستقبلية ومن تجسيد رائع وبراعة أسلوبية في وصف بعض الحشرات والطيور والحيوانات، فقد شكّ بعض الدارسين في نسبته إلى الإمام عليعليه السلام، واتهموا الشريف الرضي بتلفيقه، كما قال بعضهم أن الكتاب من وضع أخيه الشريف المرتضى، وزعم آخرون أنه من صنع بعض علماء الشيعة فتصدى دارسون آخرون لدفع التهم عن (النهج) بإرجاع ما ورد فيه من نصوص إلى أصولها بتصحيح نسبتها إلى عليعليه السلام من ناحيتي المتن والإسناد، بإثبات سلسلة الرواة، والمصادر التي استخرجت تلك النصوص منها، وتوضيح ما طرأ على رواياتها من تصحيف وتحريف بسبب تقادم العهد بين قائلها وناسخها، وتعدد رواتها ممّا لا يقدح في نسبة جلها ـ إن لم يكن كلها ـ إلى علي بن أبي طالبعليه السلام.

فبالإضافة إلى ما يمكن الإطلاع عليه من لمحات توثيقية من جامع (النهج) لنصوص قليلة فيه، فقد بذل ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦ هـ) جهداً كبيراً في توثيق الكثير منها كما بذل ميثم البحراني (ت ٦٧٩ هـ) جهداً لا بأس به في ذلك الصدد، كما تصدى الكثير من الدارسين المحدثين لعملية التوثيق تلك، منهم عبد الحسين الأميني في كتابه (الغدير) وامتياز عليخان

العرشي في كتابه (استناد نهج البلاغة) والهادي كاشف الغطاء في القسم الثاني من كتابه (مستدرك نهج البلاغة)، وعبدالله نعمة في كتابه (مصادر نهج البلاغة) وعبدالزهراء الحسيني في كتابه (مصادر نهج البلاغة وأسانيده ـ ٤ جـ).

أمّا الدراسات التي قامت على (نهج البلاغة) وأنشئت حوله، فقد اقتصرت على شروحه، وتوضيح أساليبه اللغوية، ودراسة لبعض جوانبه البلاغية، دون الوقوف على إيحاءاتها وتأثيراتها، ودون الالتفات لما تحويه نصوصه من قضايا سياسية واقتصادية واجتماعية وأخلاقية وتربوية، ودون ربط الأشكال التعبيرية بالمواقف والقرارات والأحكام التي أثرت عن الإمام علي عليه السلام.

فمن الشروح القديمة لنهج البلاغة: (منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة) لسعيد بن هبة الله الراوندي (ت ٥٧٣ هـ) وهو لا يعدو كونه شرحاً لمفرداته اللغوية مع ذكر بعض الحوادث التاريخية الجزئية المتعلقة ببعض النصوص.

ومنها: شرح ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦ هـ) وهو من أطول الشروح القديمة، وقد غلبت عليه الصبغة التاريخية لاستئثار تفصيل الحوادث وشرح المعاني بمعظمه، مع الخوض في بعض القضايا اللغوية والبلاغية الجزئية، ومقارنة أسلوب الإمام علي عليه السلام بأسلوب قدامى الشعراء والناثرين، بغرض تبيان سيطرته على اللغة، وحسّه في اختيار الأساليب الملائمة لمقتضى الحال، هذا بالإضافة إلى وقوف الشارح ـ وكان معتزلياً ـ عند النصوص التي توافق آراء المعتزلة، مسهباً في شرحها وتقليب معانيها

ومقارنتها بما جاء عند الشيعة من تأويلات لها.

أمّا (شرح نهج البلاغة) لميثم البحراني (ت ٦٧٩ هـ)، فيغلب عليه الطابع الصوفي الوعظي، ممّا يجعله بعيداً في معظمه عن دراسة فكر الإمام علي عليه السلام.

هذا وقد تصدى الكثير من الدارسين المحدثين للبحث في (نهج البلاغة) بتحقيقه وشرحه وفهرسته، وتبيان ما حوته نصوصه من معان، إلا أنهم لم يبحثوا في جوانبه الفكرية الثرة، إما لاختيارهم منهجاً سريعاً مبسطاً، وإما لاقتصارهم على النظرة التاريخية دون التعمق في ملابساتها، وإما بسبب المطالعة السريعة في نصوصه أثناء البحث فيها، وإما بسبب تغلب العاطفة المذهبية على المنهج العلمي.

فشرح الشيخ محمد عبده لنهج البلاغة، هو تفسير مختصر لمفرداته اللغوية دون دراسة النصوص أو حتى التعليق عليها إلا فيما ندر.

أمّا (منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ـ ٢١ جـ) لميرزا حبيب الله الخوئي، فهو استعراض لما سبق من شروح، حاول فيه المؤلف إبداء وجهة نظره في معظم ما ورد في تلك الشروح من آراء، خاصة ما ورد منها عند ابن أبي الحديد، هذا بالإضافة إلى اهتمامه بالإعراب والوقوف على الكثير من المسائل الفقهية وإبداء الرأي فيها من وجهة نظر الشيعة الإمامية وترجمة النصوص للغة الفارسية، ولم يتعرض الشارح بصورة مباشرة إلى فكر الإمام عليه السلام، إلا في لمحات خاطفة، لاعتماده أساساً على الشرح والتفسير، والاستناد في استنتاجه إلى ما جاء عند الشرّاح السابقين.

ومن شروح النهج الحديثة أيضا: (في ظلال نهج البلاغة) لمحمد

جواد مغنية، وهو عبارة عن تفسير لمفرداته، وإعراب لبعض جمله، وشرح معانيها، والربط ـ في بعض الأحيان ـ بين إيحاءات النصوص، وبين واقع الأمة الإسلامية المتفكك اليوم، مركّزاً على قيمة نصوص النهج من حيث حفز الهمم، وبثّ اليقظة في النفوس، لذا لم يتناول الشارح قضايا الفكر، إلاّ بشكل هامشي، لأنه أراد لشرحه الانتشار بين جميع طبقات القراء في الأمة الإسلامية ليحقق هدفه في إيقاظها، بإثارة الحمية وبث الحماس، كما أشار في مقدمته.

ومن أحدث الدراسات التوثيقية وأضبطها: (نهج البلاغة) بضبط وفهرسة أستاذنا الشيخ صبحي الصالح رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لتميز الدراسة بمقدمة ضافية عن تاريخ النهج، وقيمته العلمية والأدبية، وما انتاب نسخه المخطوطة من تصحيف وتحريف، مع تعريف بالنسخ الموثقة التي اعتمدها الدارسون المحدثون ـ ممن سبقه ـ في شروحهم، إلى غير ذلك من ملاحظات ذات صلة وثيقة بالتحقيق. والدراسة في مجملها ذات فائدة لبحثنا في النهج وكيفية استخراج نصوصه، إلا أنها لا تمدنا بشيء على الإطلاق ممّا نحن بصدد دراسته من أفكار وآراء في النهج. أما الفهرسة الدقيقة التي تضمنتها الدراسة، فهي عمل مفيد لما فيها من تسهيل على الباحث للوصول إلى بغيته في النهج بيسر.

ومن الكتب التي تعرضت لدراسة بعض جوانب النهج: (دراسات في نهج البلاغة) لمحمد مهدي شمس الدين، وهي على العموم دراسة جادة، بحث المؤلف من خلالها بعض القضايا الاجتماعية وأخرى اقتصادية وسياسية، ولكن اهتمامه بالشرح والتفسير والوعظ دون التحليل حال دون

تعمقه في دراسة النصوص التي اختارها لدراسته، هذا بالإضافة إلى الإختصار الشديد التي تميّزت به أحكامه، واللهجة الحماسية الخطابية التي طغت على أسلوبه، لكون الدراسة جاءت من وجهة نظر شيعية.

أمّا دراسة علي آل إبراهيم: (في رحاب نهج البلاغة) فلا تتعدى كونها شرحاً لبعض نصوص النهج، عززه المؤلف بآيات من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والشعر والتاريخ، لكنه لم يتعرض فيما اختاره من نصوص لما حوته النصوص من أفكار، إضافة إلى طغيان العاطفة الشيعية على الكثير من جوانب الدراسة، لأن صاحبها هو أيضاً من الشيعة الإمامية.

علاوة على ذلك، فإنني ـ بحسب إمكاناتي المتاحة في مجال البحث ـ لم أجد في سجلات الجامعات العربية التي تسنى لي الإطلاع عليها، رسالة علمية أو بحثاً جامعياً في (نهج البلاغة) أو في فكر الإمام علي عليه السلام، ممّا حفزني على المضي فيما أنا بصدده من البحث فيما تضمنه نهج البلاغة من فكر، واضعاً في الإعتبار ما ينتاب المكتبة العربية من نقص في الدراسات النثرية التطبيقية، إذ لا تتعدى معظم الدراسات التي قامت حول النص النثري القديم مجال الوصفية، والوقوف عند القضايا الجزئية، أو الهامشية المبنية على أحكام مسبقة في أغلب الأحيان بالنظر في فحوى النصوص على ظاهر معانيها، دون إجالة النظر فيها، مع تبني أحكام ذات طابع استشراقي في غالب الأحيان، تحتاج إلى تثبت وتمحيص وقد وقفت عند الكثير من تلك الأفكار في مواضعها محاولاً مناقشتها.

وبالنسبة للتاريخ، فقد كان تعويل الدراسة عليه، لا كمجرد وقائع

مسرودة في إطارها الزمني الذي حدثت فيه، بل كعنصر إضاءة لكشف واقع بالإمكان تلمسه وإدراك أبعاده من خلال ومضات سريعة في ركام سرد الحوادث المفتعل الذي تصور وجهات نظر معينة، غايتها إسباغ الشرعية على أحداث أو تثبيت لدعائم نظام معيّن، لذلك خفت ضمن ذلك السرد صوت الشعوب، وغابت في خضم عبارات التمجيد آلام المستضعفين، في حين أن نهج البلاغة في الكثير من نصوصه، وقف على كشف جوانب من هذه الحقيقة التي تهمّ معظم ميادين السياسة والإجتماع والأخلاق والتربية، لكون نصوصه صادرة عن شاهد عيان ثقة، عايش أحداث تاريخ صدر الإسلام معايشة مباشرة منذ بزوغ الدعوة حتى الوقت الذي تمخض بالنقلات الحضارية الخطيرة التي كان مؤداها في نهاية المطاف تحوّل الخلافة الإسلامية إلى ملك وراثي.

وتتركب رسالتنا من خمسة أبواب:

اختص الباب الأول بدراسة ما دار حول نصوص نهج البلاغة من جدل في مدى صحة نسبتها لعليعليه السلام، على أساس أن الدراسة في هذا الباب هي المرتكز الأساسي الذي يمكننا الإنطلاق منها نحو الأبواب الأربعة الأخرى، ومن خلال النظر في النصوص مصدر الدراسة، ومحاكمتها في ضوء الآراء المثبتة والآراء النافية التي دارت حولها، تمكنت الدراسة من إثبات نسبة جلّها ـ إن لم تكن كلّها ـ لعليعليه السلام، وكانت خاتمة الباب دراسة مقتضبة في قيمة نهج البلاغة الأدبية والتاريخية والفكرية متبوعة بجدولة تضمنت مطالع نصوصه بحسب ورودها فيما أمكننا العثور عليه من نسخ متداولة مشهورة، مع محاولة توثيق النصوص من المصادر المعتبرة،

السابقة للشريف الرضي، والمعاصرة له، والمتأخرة عنه، مع محاولة تلافي ما وقع فيه الموثقون السابقون من عيوب توثيقية.

وعرض الباب الثاني لدراسة الفكر السياسي في نهج البلاغة، وذلك في ثلاثة فصول:

انفرد الفصل الأول بدراسة مفهوم الإمامة في فكر علي عليه السلام، مع عرض لفكرة الحكومة وأهميتها، ونشأتها والفرق بين مفهومها ومفهوم الدولة، ومن ثمّ علاقة الدين بالدولة من وجهة نظر الإسلام في ضوء ما ورد من نصوص في النهج.

أما الفصل الثاني فقد انصبت الدراسة فيه على مواقف علي عليه السلام الفكرية تجاه عصره وعلاقته بالخلفاء الثلاثة قبله، وموقفه من المناوئين لحكومته أثناء خلافته، وذلك بهدي النصوص المتعلقة بذات الموضوع في نواحيه المتشعبة.

واتخذ تصوّر علي عليه السلام لمؤسسات الدولة مكانة في الفصل الثالث، وعرض البحث في هذا الفصل إلى مفهوم الدولة وعلاقتها بالحكومة، وما يتولد عن اندماج المفهومين من قضايا سياسية تتعلق بالولاة والوزراء والجيش والقضاء وبيت المال والعمال، وإدارة الدواوين والرقابة مع تعليق ختامي حول فكر علي عليه السلام السياسي بين المثال والواقع.

أمّا الباب الثالث من الدراسة، فقد خصصناه لفكر علي عليه السلام الإجتماعي وتناولناه بالدراسة في ثلاثة فصول أيضا:

أوقفنا الفصل الأول منه على دراسة حالة المجتمع الإسلامي عامة

والمجتمع الكوفي على وجه الخصوص، وذلك في ضوء ما ورد من نصوص في النهج.

وعرضنا في الفصل الثاني لدراسة القيم الخلقية كما أوردها النهج، مع التركيز على دعائم خلقية ثلاث هي:

العدل، والحق، والتقوى

كمنابع أخلاقية أصيلة لجميع القيم الخلقية التي انبثت في جميع نصوص النهج تقريباً.

وقد أخذت التربية مكانة هامة في النهج، ممّا دعا إلى إفراد الفصل الثالث لها وفيه حاولنا تحليل ما عرض له علي عليه السلام من أفكار تربوية فردية وأسرية واجتماعية، مع محاولة الكشف عمّا حوته من مضامين خلقية وأخرى تعليمية يحتاجها المجتمع لخلق نشء كفء من حيث الأخلاق ومن حيث الشعور بالمسؤولية، وقد ختمنا هذا الباب بوقفة تأملية سريعة حاولنا من خلالها التعرف على خلاصة الفكر الإجتماعي في النهج ومدى استجابة الطبقات الاجتماعية المختلفة لمثالية هذه الأفكار.

وفي الباب الرابع تناولنا بالدراسة والتحليل الجانب الكلامي وما احتوى عليه نهج البلاغة من تأملات كونية وذلك في ثلاثة فصول.

فسلطنا الضوء في الفصل الأول منه على القضايا الكلامية المتعلقة بالعقيدة في أربعة محاور رئيسة عرضت لها نصوص النهج وهي:

الخالق ـ الملائكة ـ الرسل ـ الإنسان.

وأفردنا الفصل الثاني لدراسة الفكر التأملي، وتداعي الأفكار

والغيبيات كما عرض لها (نهج البلاغة) فأخذت الأوصاف الطبيعية مكانتها، كما استوعبت دراسة تداعي الأفكار في تفسير آيات القرآن الكريم قسماً مهماً بجانب القضايا الغيبية، كما عرضت الدراسة في هذا الفصل إلى فكرة المهدي المنتظر المشهورة كما عالجها النهج.

وفي الفصل الثالث عرضنا إلى نظرة عليعليه السلام إلى الحياة، كما رسمت نصوص (نهج البلاغة) ملامحها، فكان لابدّ من تعمق فيما وصف به النهج من فكر صوفي وتحليل لمعنى الزهد بالتفريق بينه وبين التصوف مع إجلاء لمفهوم الزهد كما ورد في النصوص والتحليل المنطقي لذمّ الدنيا باستقراء ما أورده النهج في هذا الشأن.

أما الباب الخامس فقد خصصناه لدراسة الأساليب التعبيرية في نهج البلاغة، على اعتبار أن تلك الأساليب هي البوتقة الجامعة لتفرعات ذلك الفكر في شتى ميادينه، وقد بحثناها في ثلاثة فصول:

درسنا في الفصل الأول ما أسميناه تجوزاً (الأنواع الأدبية التي وردت في النهج) وما تميّز به كل نوع من هذه الأنواع من خصائص تفرّد بها، إلى جانب سائر الأنواع المتداولة الأخرى المعروفة لدى العرب من أمثال وحكم.

وطرحنا على بساط البحث ـ في الفصل الثاني ـ أبرز الخصائص الأسلوبية التي تميّزت بها نصوص النهج، فكانت وقفتنا عند خصائص الجملة، وكيفية إدماجها في النص، وقيمتها كوحدة أساسية ضمن نسيجه في حالتي الفصل والوصل، إلى غير ذلك من خصائص ومميزات تكمن في طريقة التنقل بين الأساليب الإنشائية والأساليب الخبرية، وخصائص

الجمل الإعتراضية والأخرى الحالية، ومميزات الجمل الشرطية.

أمّا الدراسة في الفصل الثالث فقد أوقفناها على أبرز الخصائص الفنية ممثلة في الصورة وقيمتها التأثيرية، وأبرز الخصائص التركيبية في الجرس والوقع والوزن.

هذا وقد سلكت في دراستي لفكر عليعليه السلام بمختلف شعبه منهجاً تكامليا فكان لتوثيق النصوص والتاريخ والدراسة الفنية جميعاً في الباب الأول، كما استوعب المنهج التاريخي في تحليل النصوص الباب الثاني من الدراسة، وأخذ المنهج الإجتماعي مكانته في الباب الثالث، وتصدرت قضايا الفلسفة والعقيدة مكانتها في الباب الرابع، وعوّلت في الباب الخامس على المنهج الفني بقضاياه الأسلوبية والبلاغية، وحاولت جاهداً أن أناغم بين تلك المناهج المختلفة بتوظيفها في كل متكامل ومتجانس.

هذا وقد كانت رحلتي شاقة وشائكة وعسيرة: شاقة لكونها انبنت على نص تضاربت الآراء حول صحّته، وكان لابدّ من التحقيق في تلك القضية من جميع جوانبها، وقد اقتضى ذلك مني النظر في الكثير من المصادر والمراجع المخطوطة والمطبوعة.

وشائكة لأن من ضمن الموضوعات التي تعرض نهج البلاغة إليها قضية علاقة الدولة بالدين وقضية الإمامة وأحقية عليعليه السلام فيها، وبعض قضايا العقيدة كالغيبيات، وفكرة المهدي المنتظر وكان لابدّ من الوقوف عندها ومناقشتها في ضوء النصوص التي وردت في (نهج البلاغة) وما دار حول تلك الأفكار من جدل لها أو عليها.

وعسيرة لكثرة المصادر والمراجع، وندرة ما فيها من المعلومات،

وقلة الدراسات التطبيقية في مجال النثر التي كانت تساعدنا في تلمس طريقنا فيما لو وجدت، بالإضافة إلى تشعب موضوعات البحث وتعدد مناحيها من حيث المعالجة، ومن ثم جمع تلك التشعبات في كل متجانس.

إلا أنني قد حاولت وبذلت ما في وسعي، فأرجو أن أكون قد وفقت، مع إيماني الراسخ بأن ما بذلته من جهد طوال خمسة أعوام، لم يكن إلا بداية لطريق طويل قد بدأته راجيا أن يتواصل في (نهج البلاغة) ذلك المنبع الثر والأصيل في مجالي البلاغة والفكر، راجيا قبول اعتذاري عن كلما بدر مني من تقصير. والله الموفق.

الباب الأول

نهج البلاغة

- التعريف به
- توثيقه ودفع الشبهات عنه
- منهج الشريف الرضي في تصنيف مواده
- قيمته:
- البلاغية والأدبية
- التاريخية
- الفكرية

التعريف بنهج البلاغة

لم ينل كتاب في العربية من الشهرة والإنتشار ما ناله كتاب (نهج البلاغة) الذي جمع الشريف الرضي بين دفتيه الكثير ممّا أثر عن الإمام علي عليه السلام من خطب ووصايا وعهود ورسائل وحكم ومواعظ. أما سبب تسميته بـ (نهج البلاغة) فلأنه كما يقول جامعه «يفتح للناظر فيه أبوابها ـ أي أبواب البلاغة ـ ويقرّب عليه طلابها»[1]، لأن ما حواه ذلك الكتاب (عليه مسحة من العلم الإلهي وفيه عبقة من الكلام النبوي)[2]. وجاء من بعد الشريف من تناول محتوى الكتاب بالشرح[3]، فقال هبة الله الراوندي عن

(١)،(٢) الشريف الرضي ـ خطبة كتاب نهج البلاغة.

(٣) بشأن شروح (نهج البلاغة) قال محسن الأمين في أعيان الشيعة ٩/ ٢١٨: (لاقى من الشهرة والقبول ما هو أهله، وشُرِحَ بشروح كثيرة تنبو عن الإحصاء)، وقال الهادي كاشف الغطاء في كتابه (مستدرك نهج البلاغة) ص١٩٢ (شرح هذا الكتاب الجليل من فطاحل العلماء وجهابذة الفن ما يناهز الأربعين فاضلا بشروح موجزة ومسهبة وعربية وفارسية)، أما صاحب (مصادر نهج البلاغة) عبد الزهراء الحسيني، فقد وصف مئة وواحداً من الشروح القديمة والحديثة للنهج، مع إيراده ترجمة مقتضبة لكل شارح من أولئك ١/ ٢٠٢ ـ ٢٥٤. وقد استعان في ذلك بموسوعة (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) لمؤلفها: آغا بزرك الطهراني الذي ترجم في ١٠/ ١١١ وما بعدها لمئة وثلاثين شارحاً لنهج البلاغة في العربية والفارسية والاردوية، كما أورد في ٤/ ١٤٤ وما بعدها ما =

محتواه إنه (دون كلام الله ورسوله وفوق كلام البشر)[١]، وفي نفس السياق قال عنه ابن أبي الحديد هو (دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق)[٢].

لقد فتح الشريف الرضي ـ بتأليفه النهج ـ الباب واسعاً لدراسات متعددة الجوانب فلاقى كل طالب علم بغيته وكل صاحب نحلة ما يتناسب وعقيدته. فاهتم بحفظه «حملة العلم والحديث في العصور المتقدمة حتى اليوم، يتبرّكون بذلك الحفظ كحفظ القرآن والحديث الشريف، وعدّ من حفظته في قرب عهد المؤلف القاضي جمال الدين محمد بن الحسين بن محمد القاساني، فإنه كان يكتب نهج البلاغة من حفظه»[٣].

= يقارب من خمسة عشر ترجمة أردوية وفارسية للنهج. وفي معرض الحديث عن النهج يقول حسن الأمين في دائرة المعارض الإسلامية الشيعية ٣/ ٤٣٧ (حظي هذا الكتاب من الأهمية والشأن ما لم يحظ به كتاب غيره على مر العصور وأصبح ما له من الشروح ما بلغ (٧٥) شرحاً في حساب بعض المؤلفين و(١٠١) من الشروح في حساب مؤلف آخر. كما ذكر عبداللطيف الكوهكمري في مقدمة تحقيقه لـ (منهاج البراعة في شرح نهج البلاغ) للراوندي (ت ٥٧٣) ـ ١/ ٣٦ ـ ٤٩ ـ مئة واثني عشر شرحاً للنهج بين عربي وفارسي وأردوي ـ واللغة الأوردوية مشتقة من (أردو) كلمة تركية الأصل معناها: الجيش وأول ما أطلق هذا الاسم على اللغة المعروفة، كان في أيام العاهل المغولي شاه جهان المتملك سنة ١٠٣٧هـ، ولكن اللغة نفسها كانت مستعملة قبل هذا العصر وكان يطلق عليها أكثر من اسم ـ دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ٤/ ٤٧. وهذه اللغة قريبة في كتابتها من الفارسية وتحتوي على الكثير من الكلمات العربية مثلها في ذلك مثل اللغة الفارسية.

(١) الراوندي ـ منهاج البراعة ١/ ٤.

(٢) ابن أبي الحديد ـ شرح النهج ١/ ٢٤.

(٣) عبد الحسين الأمين ـ الغدير ٤/ ١٨٦.

وجانب ثالث من الدراسات يتمثل في نظم بعض الشعراء للكثير من معاني النهج[(١)] إضافة إلى العديد من الدراسات التي اتخذت من بعض جوانبه منهجاً للدراسة، كشرح (الخطبة الشقشقية)[(٢)] أو شرح «عهد الإمام للأشتر النخعي»[(٣)] حين ولاّه مصر، إلى غير ذلك من نصوص استقطبت آراء الباحثين والمفكرين.

لكن نهج البلاغة في رحلته الطويلة التي ربت على الألف عام، لم تكن طريقه خلوًا من العراقيل، فمكانته في نفوس الشيعة، وما حواه من نصوص تصف واقع عصرها إلى غير ذلك من موضوعات تأملية وأخرى فكرية، كل ذلك جعل مدونته موضع شك لدى طائفة من دارسي الأدب

---

(١) أشار إلى ذلك صاحب الذريعة إلى تصانيف الشيعة في موضعين ١٤/ ١٣٧، ٢٤/ ٣١٤.

(٢) الخطبة الشقشقية ـ المشهورة المشروحة بشروح كثيرة مستقلة ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٧/ ٢٠٣ ـ وقد ذكر لها محمد رضا الحكيمي في كتابه (شرح الخطبة الشقشقية) عشرة شروح، كما تحدث عنها وعن شروحها بإسهاب عبد الزهراء الحسيني في (مصادر نهج البلاغة) ١/ ٣٠٩ حتى ٣٢٤.

(٣) ذكر آغا بزرك الطهراني عدة شروح لعهد الأشتر أثناء ذكره لشروح نهج البلاغة المختلفة في كتابه الذريعة ١٤/ ١٤٤، ١٤٦، ١٥٩. كما شرح العهد في كتاب مستقل توفيق الفكيكي أسماه (الراعي والرعية) ومن أحدث الشروح للعهد كتاب (نظرية الحكم والإدارة في عهد الإمام علي عليه السلام للأشتر) لعبد المحسن فضل الله. ولأستاذنا محمد خلف الله أحمد رحمه الله دراسة قيّمة في توثيق العهد وقيمته السياسية وهي بعنوان (وثيقتان من الأدب الإسلامي السياسي في وظيفة الراعي ومسؤولياته ص٢٥ ـ ٤٤) ذكرت ضمن كتاب (في العروبة وآدابها) من منشورات معهد البحوث التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

في القديم والحديث، وكان ذلك الشك مثار جدل قامت عليه كثير من الدراسات والدراسات المضادة، ممّا يحتم علينا معرفة ما حوته تلك الدراسات من آراء وأفكار تمكننا من دراسة ما ورد في النهج من فكر بكل اطمئنان.

توثيق نهج البلاغة

تاريخ الشك في نصوص نهج البلاغة:

أنهى الشريف الرضي (ت ٤٠٦) جمعه لنصوص (نهج البلاغة في شهر رجب سنة أربعمئة للهجرة كما أشار في نهاية الكتاب[١]، وصدر أول شرح له في حياته لمعاصره علي بن ناصر (ت القرن الرابع) بعنوان (أعلام نهج البلاغة)[٢]، ويبدو أن هناك شرحاً آخر لأبي الحسن علي بن القسم البيهقي (ت ٥٦٥)[٣].

يعني كل ذلك انتشار النهج وشروحه على نطاق واسع أثناء حياة جامعه وأن شهرته تلك سببت له القيل والقال من لدن من كانوا يناصبون الشيعة العداء على الرغم من اطلاعهم على مصادره التي استقى الشريف الرضي مادته منها بشهادة الجاحظ إن (هذه خطب رسول الله محفوظة

---

(١) راجع خاتمة نهج البلاغة في أية طبعة من طبعاته.

(٢) محسن الأمين ـ أعيان الشيعة ٨/ ٣٦٣، عبد الزهراء الحسيني ـ مصادر النهج ١/ ٢٠٣.

(٣) راجع ترجمته: الحموي ـ معجم الأدباء ١٣/ ٢١٩ وقد ذكر شرحه الذي أسماه (معارج نهج البلاغة) ص٢٢٥.

ومخلدة مشهورة، وهذه خطب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي عليه السلام[١].

إلا أن الشك في النهج كان يجري في الهمس دون الإجهار به، حتى جاء عصر ابن خلكان (ت ٦٨١)، فأثار القضية جهارا[٢]، وذلك في كتابه (وفيات الأعيان) الذي فرغ من تأليفه سنة اثنتين وسبعين وستمائة[٣]، أما القول الذي جهر به تجاه النهج فهو «قد اختلف الناس في كتاب (نهج البلاغة) المجموع من كلام علي بن أبي طالب عليه السلام، هل هو من جمعه أم من جمع أخيه الرضي؟ وقد قيل: إنه ليس من كلام علي عليه السلام وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه»[٤]. فابن خلكان هو أول من جهر بقضية

---

(١) البيان والتبيين ١/ ٢٠١.

(٢) راجع ترجمته ومصادرها في مقدمة كتاب (وفيات الأعيان) ١/ ٥ بتحقيق إحسان عباس ويرى الكثير ممن ألف في (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) أن الشك في نصوصه قد بدأ في القرن السادس الهجري ـ عليخان العرشي ـ استناد نهج البلاغة ص٣، ومنهم من يلصق تهمة الشك في ابن خلكان ـ عبد الزهراء الحسيني ـ مصادر النهج ١/ ١٠٢، عبدالله نعمه ـ مصادر النهج ص٢٢. ونحن لا نوافقهم على ذلك، لأننا نعتقد أن قضية الشك في نسبة (نهج البلاغة إلى علي بن أبي طالب عليه السلام أبعد بكثير من عصر ابن خلكان، ونرجح ظهورها في الخفاء دون الإعلان عنها منذ بداية صدوره إبان حياة جامعه. ولكن ابن خلكان هو أول من روّج لذلك مجاهرة وفي مقولته ما يؤيد صحة رأينا، وممّا يعضد ما نذهب إليه أيضاً محاولة الراوندي (ت ٥٧٣) في (منهاج البراعة) ذكر أسانيد بعض خطب النهج، كما ناقش ابن أبي الحديد (ت ٦٥٥) تهمة الشك في تلك في موضعين من شرحه ١/ ٢٠٥، ٣/ ١٢٨، ووثق الكثير من نصوص النهج أيضاً. وكلا المؤلفين قد سبقا ابن خلكان (ت ٦٨١) بتأليف شرحيهما وعليه فإن نسبة الشك لم تكن من اختراعه وإنما هو المروّج لها في العلن.

(٣) وفيات الأعيان ٧/ ٢٥٨.

(٤) السابق.

الشك في النهج وذلك بعد مرور ما يقارب من مئتين واثنتين وسبعين سنة من جمعه، أي بعد أن أتلفت الفتن المتلاحقة على بغداد وحواضر العالم الإسلامي جلّ المكتبات، وبعد أن قضى التتار على ما خلفه الفكر الإسلامي من كتب في هجومهم على بغداد، وهذا بطبيعة الحال يحدو بنا إلى التروي، وعدم أخذ الأمور على علاتها قبل الشروع في مناقشة تلك القضية الخطيرة.

بغض النظر عمّا قيل عن سيرة ابن خلكان[(١)]، يجدر بنا أن نقف على عصره وندرس خلفيات ذلك ليتسنى لنا البت فيما ألصقه بنهج البلاغة من اتهام، إذ أننا لا نستبق الحوادث إذا قلنا أننا لا نشك إطلاقا في نسبة نصوص النهج لعلي بن أبي طالب عليه السلام، ولولا ذلك لما أقدمنا على دراستها كمنبع لفكر ذلك الصحابي الجليل.

عاش ابن خلكان في ظل الدولة الأيوبية، ومماليكها البحرية، فهو قاضي القضاة بمصر والشام[(٢)] في عهد الظاهر بيبرس، الذي قال عنه ابن العماد (لولا ظلمه وجبروته في بعض الأحايين لقدر من الملوك العادلين)[(٣)]. علماً بأن نهاية الفاطميين الشيعة كانت على يد الأيوبيين ومماليكهم، فعلى يد صلاح الدين الأيوبي كانت نهاية الخلافة الفاطمية في مصر بعد أن قطع الخطبة في الديار المصرية للعاضد لدين الله (ت٥٦٧)

---

(١) راجع الكتبي ـ فوات الوفيات ١/ ١١٣. وتزيين الأسواق في أخبار العشاق للأنطاكي ٢/ ٣٣٧ فقد عدّاه من عشّاق الغلمان.

(٢) راجع السابق ١/ ١١٠.

(٣) شذرات الذهب ٥/ ٣٥٠.

وأقامها للمتقي العباسي[١]، فكانت بداية التنكيل بالشيعة في مصر (فقد غالى الأيوبيون في القضاء على كل أثر للشيعة في مصر)[٢].

في تلك البيئة المشحونة بالعداء ضد الشيعة عاش ابن خلكان مما جعله يقلب الكثير من الحقائق التاريخية. ففي الوقت الذي تشيد فيه المصادر التاريخية باهتمام الفاطميين بالعلم والأدب يقول هو «لما ملك السلطان صلاح الدين الديار المصرية لم يكن بها شيء من المدارس، فإن الدولة المصرية كان مذهبها الإمامية فلم يكونوا يتولون بهذه الأشياء»[٣] متناسياً الأزهر الشريف ودوره القيادي في نشر العلم بالقاهرة المعزّية، فلقد خصص الفاطميون فيه «لكل مذهب من المذاهب الإسلامية كرسيا لتدريس ذلك المذهب، وقد كان عدد الطلاب يتفق مع انتشار ذلك المذهب في مصر والبلاد العربية»[٤]، مما يعني ترك الفاطميين للسنة حرية تدريس مذاهبهم فشجع ذلك العلماء على اختلاف مذاهبهم على الرحلة إلى مصر واستيطانها والتدريس فيها، فممن قاموا بالتدريس في الأزهر على عهد الفاطميين من فقهاء الشافعية أبوالفضل محمد بن عيسى البغدادي (ت٤٤١)[٥] وأبوالفتح سلطان بن إبراهيم المقدسي (ت٥١٨)[٦]،

---

(١) راجع ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ٩/ ١١١.

(٢) خفاجي ـ الأزهر في ألف عام ١/ ٥٨، الشيعة والحاكمون ص١٩١.

(٣) وفيات الأعيان ٧/ ٢٠٦.

(٤) الأمين ـ دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ١١/ ٣٥٩.

(٥) العماد الحنبلي ـ شذرات الذهب ٣/ ٢٦٧.

(٦) السابق ٤/ ٥٨.

وأبوالحجاج يوسف بن عبدالعزيز (ت٥٢٣)[١]. ومن فقهاء المالكية عبدالوهاب ابن علي (ت٤٢٢)، وقد ذكر العماد الحنبلي كيفية تحوله إلى مصر[٢] والفقيه أبوبكر الطرطوشي (ت٥٢٠)[٣] وغيرهم كثير، فقد «كان في مصر والشام كثير من الفقهاء الشافعية والمالكية والحنفية، وكانوا لا يرون التشيع»[٤].

ويحدثنا ناصر خسرو عن الحركة الثقافية في عهد المستنصر الفاطمي، وذلك أثناء وصفه لجامع عمرو بن العاص فيقول «يقيم بهذا المسجد المدرسون والمقرئون، وهو مكان اجتماع سكان المدينة، ولا يقل من فيه في أي وقت عن خمسة آلاف من طلاب العلم والغرباء والكتاب»[٥]، فلم تقتصر الحركة العلمية في العهد الفاطمي على الجوانب الدينية بل شملت جميع حقول الثقافة. فاهتمام الفاطميين بالطب جعلهم يغدقون عليه بسخاء، وتقلد الأطباء المناصب العالية في الدولة، وممّا ساعد على تقدم دراسته «أنه أصبح يدرس نظرياً وعملياً في المارستانات»[٦]. كما أفسح الفاطميون المجال لعلوم الفلك ومن أبرز مظاهر اهتمامهم بذلك المرصد الذي شيّده الحاكم بأمر الله الفاطمي (ت٤١١) على جبل المقطم[٧].

---

(١) السابق ٤/ ٦٧.

(٢) السابق ٣/ ٢٢٣.

(٣) السابق ٤/ ٦٢.

(٤) أحمد أمين ـ ظهر الإسلام ١/ ١٩٧.

(٥) سفرنامه ١٠٢ ترجمة يحيى الخشاب.

(٦) حسن إبراهيم ـ تاريخ الإسلام السياسي ٣/ ٤٤١.

(٧) جرجي زيدان ـ تاريخ التمدن الإسلامي ٣/ ٢١٢.

ويطول بنا البحث لو استعرضنا إنجازات الفاطميين في حقل الثقافة والعلم. فمكتبات العهد الفاطمي من أهم معالم الحضارة الإسلامية فقد قيل أن في مكتبة العزيز الفاطمي «من أصناف الكتب ما يزيد على مائتي ألف كتاب من المجلدات ويسير من المجردات، منها في الفقه على سائر المذاهب، والنحو واللغة وكتب الحديث والتواريخ وسير الملوك والنجامة، والروحانيات والكيمياء، من كل صنف. . .»[١].

فقول ابن خلكان بعدم اهتمام الفاطميين بالمدارس والثقافة فيه إجحاف بحقهم ويرجع ذلك ـ في اعتقادنا ـ إلى تعصبه الشديد ضد التشيع، وهو في هذا يعكس وجهة نظر أسياده من الأيوبيين والمماليك تجاه الفكر الشيعي بمحاربته بشتى الوسائل لطمس معالمه. من ذلك إتلافهم الكتب التي بذل الفاطميون الأموال الكثيرة لاستجلابها من جميع أرجاء المعمورة. فبعد ضعف الدولة الفاطمية وانتقال السلطة الفعلية للأكراد والمماليك، أصاب خزائن الكتب تلك (من الإحن بتوالي الفتن ما أصاب مكتبة الإسكندرية. . . فألقي بعض كتبها في النار، والبعض الآخر في النيل، وترك بعضها في الصحراء، فسفت عليها الرياح حتى صارت تلالاً عرفت بتلال الكتب، واتخذ العبيد من جلودها نعالاً مما يطول شرحه، وبالإجمال فقد طرح ما بقي منها، عند دخول الأكراد، للبيع في أواسط القرن السادس)[٢]. فموقف صاحب (وفيات الأعيان) من (نهج البلاغة) لا يحتاج إلى تأويل، فما هو إلا جزء من تلك الحملة الشعواء ضد

---

(١) المقريزي ـ الخطط ١/ ٤٠٩.

(٢) جرجي زيدان ـ السابق ٣/ ٢٢٩.

الشيعة وضد كل ما يمت إليهم بصلة في مصر بعد أفول نجم الفاطميين، ولما كانت مقولته تلك قد فتحت باب القول بالشك في نسبة (نهج البلاغة) لعلي بن أبي طالب عليه السلام عند من تناوله بالدرس من بعده، فلابد من الوقوف عندها لمناقشتها.

فمن الملاحظ أن تلك المقولة انبنت على ثلاث نقاط:

الأولى: قد اختلف الناس في كتاب (نهج البلاغة).

الثانية: هل هو جمعه ـ أي الشريف المرتضى ـ أم جمع أخيه الرضي.

الثالثة: وقد قيل أنه ليس من كلام علي، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه[1] هو الذي وضعه.

بالنسبة إلى النقطة الأولى: لم يذكر ابن خلكان أولئك الناس أو حتى بعضاً منهم، إذ كان من المفروض وهو يطرح مثل تلك القضية الخطيرة أن

(١) يقول ابن خلكان في وفيات الأعيان ٣/ ٣١٣ إن جامع (نهج البلاغة) هو الشريف المرتضى وليس الشريف الرضي، وقد أخذ بذلك الزعم كل من اليافعي (ت ٧٦٨) في مرآة الجنات ٣/ ٥٥، وابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩) في شذرات الذهب ٢/ ٢٥٧، وقال الذهبي (ت ٧٤٨) في سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٨٩«قلت هو ـ أي الشريف المرتضى ـ جامع كتاب (نهج البلاغة) المنسوبة ألفاظه إلى الإمام علي عليه السلام ولا أسانيد لذلك، وبعضها باطل، وفيه حق ولكن فيه موضوعات حاشا للإمام النطق بها ولكن أين المنصف؟ وقيل بل جمع أخيه الشريف الرضي»، وقد أخذ بنفس العبارة تقريباً ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢) في (لسان الميزان) ٤/ ٢٣٣. كما أخذ بالرأي ذاته من المحدثين: بروكلمان ـ تاريخ الأدب العربي ٢/ ٦٤، جرجي زيدان ـ تاريخ آداب اللغة العربية ٢/ ٥٩٩.

يسمي ولو واحداً من أولئك الناس الذين اختلفوا في (نهج البلاغة)، خاصة وأنه لم يعودنا في كتابه على ذلك، حيث كان يستخدم أساليب الإسناد المختلفة مثل (حدثني، سمعت، قال لي. . .)، في المواضع التي تحتاج إلى ذلك، فتركه هذا الموضع بالذات في كتابه من دون إسناد يجعله موضع اتهام بالتعصب.

وبالنسبة إلى النقطة الثانية: لا نعتقد أن ابن خلكان ومن دار في فلكه[١] لم يقرأوا مقدمة (نهج البلاغة) ليعرفوا جامعه، وإن لم يتيسر لأحدهم ذلك فلا نعتقد أن أحداً منهم لم يطلع على مؤلف من مؤلفات الرضي المتداولة في ذلك العصر، جاء في مقدمة النهج (اني كنت في عنفوان السن وعضاضة الغصن، ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمة عليهم السلام)[٢]. وكتاب (خصائص الأئمة) الذي ذكرته المقدمة من مؤلفات الرضي التي لا يشك فيها، كما أن امتياز عليخان العرشي يذكر أنه «توجد (من خصائص الأئمة) نسخة ثمينة قديمة في مكتبة رامبور، في ختامها أن كاتبه عبدالجبار بن عبدالحسين بن أبي القاسم الفراحاتي، فرغ من كتابتها سنة ٥٥٣هـ وكتب الكاتب نفسه بخطه: كتاب خصائص الأئمة الإثني عشر عليهم السلام من تصنيف السيد الإمام الرضي ذي الحسبين أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي رضي الله عنه»[٣].

ثم إن كتب الشريف الرضي التي بين أيدينا تؤيد صحة نسبة جمع (نهج

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مقدمة الشريف الرضي لنهج البلاغة.

(٣) استناد نهج البلاغة ص٧.

البلاغة) إليه من ذلك قوله في المجازات النبوية (ويبين ذلك قول أمير المؤمنين علي عليه السلام في كلام له: تخففوا تلحقوا، وقد ذكرنا في كتابنا الموسوم (بنهج البلاغة) الذي أوردنا فيه مختار جميع كلامه صلى الله عليه وعلى الطاهرين من أولاده)[١]. كما أنه قد أشار إلى كتابه (المجازات النبوية) في نهج البلاغة بقوله (وقد تكلمنا على هذه الإستعارة في كتابنا الموسوم بمجازات الآثار النبوية)[٢]، وفي ذلك دلالة واضحة على الرابطة الوشيجة بين الكتابين، لأنهما يعالجان موضوعاً واحداً هو البلاغة وأنهما لمؤلف واحد هو الشريف الرضي. ممّا يؤكد أن جامع النهج هو الشريف الرضي وليس أخاه الشريف المرتضى[٣] فجميع من ترجموا للمرتضى لم

---

(١) المجازات النبوية ص٤١ وقد تكررت الإشارة إلى نهج البلاغة أيضاً في ص١٤٠، ١٧١.

(٢) وردت العبارة أثناء تعليقه على الحكمة رقم ٤٧٥ في نهج البلاغة.

(٣) يلاحظ أننا قد استخدمنا كلمة (جامع) وليس كلمة (مؤلف) لإزالة اللبس الذي اختلقه شوقي ضيف في قوله (يذهب النجاشي المتوفى سنة ٤٥٠ للهجرة في كتابه (الرجال) إلى أن مؤلف الكتاب هو الشريف الرضي، وهذا صحيح بشهادة الرضي نفسه وشهادة شراح كتابه، فقد ذكر في كتابه (مجازات الآثار النبوية) ونجد ابن أبي الحديد المتوفى سنة ٦٥٥ في شرحه للكتاب يعترف بأن خطبته من عمل الشريف الرضي، ويذهب ابن ميثم البحراني إلى أنه من تأليف الشريف الرضي. إذن فالكتاب من عمل الشريف الرضي وصنعه ويظهر أنه لم يؤلفه جميعاً فقد أضاف قبله كثير من أرباب الهوى وفصحاء الشيعة خطباً وأقوالاً إلى علي بن أبي طالب ويدل على ذلك ما جاء في مروج الذهب للمسعودي ٢/ ٤٣١ إذ يقول: (الذي حفظ الناس عن علي عليه السلام من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة تداول الناس ذلك عنه قولاً وعملاً)، وكان الشريف الرضي وجد مادة صاغ منها كتابه، وهي مادة بنيت=

....

= على السجع وفي ذلك نفسه ما يدل على كذب نسبتها إلى علي، وليس من الطبيعي أن يسجع علي في خطابته بينما ينهى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ويتحاشاه أبوبكر وعمر وعثمان في خطابتهم) الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص٦٢. فالشريف الرضي لم يقل إن كتاب (نهج البلاغة) من صنعه وتأليفه كما زعم شوقي ضيف في ابتساره العبارة وقولبتها لتناسب أحكامه البعيدة عن الموضوعية والنزاهة، فالإضافة لما أوردناه في المتن من كتاب المجازات النبوية، يقول الشريف الرضي في الجزء الخامس من كتابه (حقائق التأويل) ص٦٧ (من أراد أن يعلم برهان ما أشرنا إليه من ذلك فلينعم النظر في كتابنا الذي ألفناه وسمناه (نهج البلاغة) وجعلناه يشتمل على مختار جميع الواقع إلينا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في جميع الأغراض). فهو لم ينسب مادة الكتاب إلى نفسه كما تقوّل شوقي ضيف عليه، وإنما نسب إلى نفسه الجمع ليس غير، وفي هذا الصدد نشير إلى أن أخلاق الشريف الرضي ومنزلته الاجتماعية ومكانته العلمية، كل ذلك يحول بينه وبين الكذب والافتراء، وفي سيرته من الشواهد الكثيرة المؤيدة لذلك (راجع ذلك بالتفصيل الباب الأول من (التفجع في شعر الشريف الرضي) أطروحة التعمق في البحث سنة ٨٥، مقدمة إلى كلية الآداب بالجامعة التونسية، من عمل جليل منصور العريض.

كما أنه لا يخفى على الناقد اللبيب الفرق الشاسع بين أسلوب (نهج البلاغة) وأسلوب الشريف الرضي الفني، فبالمقارنة بين الرسائل الفنية المتبادلة بين الشريف الرضي وبين الصابي بما جاء في (نهج البلاغة) من رسائل، يتبين لنا أثر الصنعة التي اتسم بها أسلوب الترسل في القرن الرابع الهجري (راجع رسائل الصابي والشريف الرضي ص٦٣ رسالته في تعزية أبي إسحاق في ابنه سنان، وص٧٣ وما بعدها موضوعها: نسخة عهد كتبه الشريف الرضي للخليفة الطائع) فنظرة سريعة في فحوى الرسالتين الفنيتين وغيرهما من الرسائل التي وردت في الكتاب المذكور ومقارنة أسلوبهما بما ورد في النهج من أساليب يتبين لنا أن الرضي ـ مع احترامنا لبلاغته وشاعريته ـ مهما أوتي من بيان ومهما بذل من جهد في رفع مستوى أسلوبه فلن يتمكن من محاكاة أساليب النهج، ناهيك عن ذلك علماء الشيعة الذين عزا إليهم شوقي ضيف المشاركة في الوضع إذ (لا مفر من =

يذكروا (نهج البلاغة) ضمن مؤلفاته[١] التي ذكروها كاملة.

وتمثل النقطة الثالثة أدق المراحل خطورة على محتويات النهج بأنها موضوعة على علي بن أبي طالب عليه السلام، طبقاً لقول ابن خلكان (وقد قيل: أنه ليس من كلام علي عليه السلام، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه)[٢]، ولا يمكن قبول ذلك القول لسببين:

الأول: عزو القول لمجهول باستخدامه الفعل (قيل) وهو أسلوب من أساليب التضليل لأن شؤون البحث والدراسة لا يعول فيها على أي قائل، إذ من المتوجب عليه أن يذكر لنا القائل لنتمكن من دراسة حاله ومدى الوثوق من أمانته العلمية، خاصة وأن علم رجال السند قد وصل إلى ذروته في حال معرفة الرجال في العصر الذي ألف كتابه فيه.

= الاعتراف بأن (نهج البلاغة) له أصل، وإلا فهو شاهد على أن الشيعة كانوا أقدر الناس على صياغة الكلام البليغ ـ زكي مبارك ـ عبقرية الشريف الرضي ١/ ٢٢٣. أما بشأن المقولة التي اجتزأها شوقي ضيف من كتاب مروج الذهب فهي عليه لا له، فقد ورد عن الجاحظ في البيان والتبيين ٧/ ٢٠١ ما يعضدها، راجع الصفحة السابقة، وأما استنكاره لما ورد في المنهج من سجع ومحسنات لفظية فيمكن مراجعته في ص٣٢ من هذا البحث أيضاً.

(١) إذا ما استثنينا من ذكرنا في الهامش رقم ٣ ص٣١ وبعدها من هذا البحث سنجد أن جميع من ترجموا للشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) لم يذكروا (نهج البلاغة) ضمن مؤلفاته، راجع على سبيل المثال: الطوسي ـ الفهرست ص١٢٠، ياقوت ـ معجم البلدان ٧/ ١٤٦ ـ الخوانساري روضات الجنات ٤/ ٣٠١ ـ الأمين ـ أعيان الشيعة ٨/ ٢١٩، محمد أبوالفضل إبراهيم ـ مقدمة تحقيق أمالي المرتضى ١/ ١٢ وما بعدها، رشيد الصفار ـ مقدمة تحقيق ديوان المرتضى ١/ ١١٧.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٣١٣.

الثاني: التناقض في عبارة (إنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه)، إذ كيف يمكن التوفيق بين جامع الكتاب وواضعه في شخص واحد، فإما أن يكون ذلك الشخص جامعاً وإما أن يكون واضعاً، ولكن التعبير قد خان المؤلف في محاولة الإيهام تلك. وعلى كل فلقد فتحت تلك المقولة باب الشك في نسبة (نهج البلاغة) على مصراعيه فصارت من المسلّمات التي لا تحتاج إلى مناقشة عند من عوّل على (وفيات الأعيان) في ترجمة الشريف المرتضى فأخذ بعضهم بنصها وأضاف إليها البعض الآخر، بحيث يمكننا من تلك الإضافات التعرف على نقاط الإتهام الموجهة لمادة النهج وهي[١]:

١ ـ افتقار معظم نصوص (نهج البلاغة) إلى الإسناد وعدم ذكر المصادر.

٢ ـ التعريض بصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض نصوصه.

٣ ـ الطول المفرط في بعض الخطب والعهود بما لا يتناسب وأدب صدر الإسلام.

٤ ـ الوصف الدقيق المستوفي لجميع أجزاء الموصوف.

٥ ـ وجود تعبيرات فلسفية ظهرت بعد تدوين العلوم في العصر العباسي.

٦ ـ استخدام التقسيم في شرح المسائل ووصفها.

٧ ـ ورود كثير من المغيبات في ثنايا بعض نصوص النهج.

٨ ـ ورود كثير من النصوص في الحث على الزهد والتصوف وذكر المسيح.

---

(١) سنشير إلى مصدر كل نقطة عند طرحها للمناقشة.

٩ ـ وصف الحياة الإجتماعية وصفاً دقيقاً وانتقاد سلوك بعض الولاة وأخلاقهم.

١٠ ـ نسبة بعض نصوص النهج لغير علي عليه السلام في مصادر أخرى.

١١ ـ ورود كلمة وصي ـ وهي مصطلح شيعي مستحدث ـ في أكثر من مواضع النهج.

١٢ ـ ذكر الإمامة على لسان علي عليه السلام وأحقيته فيها في مواضع كثيرة من النهج وهو ما لم يحدث منه على الإطلاق.

١٣ ـ السجع المفرط والأناقة اللفظية في كثير من نصوص نهج البلاغة.

ويمكن مناقشة تلك النقاط فيما يلي:

١ ـ افتقار معظم نصوص نهج البلاغة إلى الإسناد وعدم ذكر المصادر[١]:

قد يكون ذكر الإسناد محاولة لإضفاء الصدق على النصوص والأخبار المنقولة وإعطائها قيمة في نفوس المطلعين عليها، كفعل أبي الفرج الإصفهاني (ت ٣٦٠) في كتابه الأغاني الذي حشاه بالأسانيد (وأكثر تعويله كان في تصنيفه على الكتب المنسوبة الخطوط)[٢]. كما قد يكون ذكر

---

(١) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٨٩ (هو جامع كتاب (نهج البلاغة) المنسوبة ألفاظه إلى الإمام علي عليه السلام، ولا أسانيد لذلك) ويعتبر الباقوري الشريف الرضي حاطب ليل إذ يقول فيه (إن الطعن في نسبة هذه الكلمات إلى الإمام عليه السلام لا يعني النيل من الشريف الرضي بنسبته إلى افتراء الكذب على الإمام عليه السلام، ولكن الشريف أخذ خطب الإمام وكلماته من أفواه معاصريه أو من صحائفهم التي كتبوها ـ علي إمام الأئمة ص٦٠).

(٢) ابن النديم ـ الفهرست ص١٢٨.

الإسناد ضرورياً لو كان مؤلفه يرمي من ورائه خدمة النواحي الدينية ودراسة العقيدة، ولكن الشريف الرضي في جمعه لنصوص (نهج البلاغة) لم ينـزع إلى شيء من ذلك، لأن السبب الوحيد الذي من أجله جمع كلام الإمام عليه السلام هو: الإستحسان الذي أظهره أصحابه لما ورد في الفصل الأخير من (خصائص أمير المؤمنين) ضمن كتابه (خصائص الأئمة)، فقد كان ذلك الفصل يحوي نماذج مقتضبة لِما أُثر عن علي عليه السلام من مواعظ وحكم وأمثال، فسأله أولئك الصحاب أن يؤلف كتاباً «يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ومتشعبات غصونه: من خطب، وكتب ومواعظ وأدب، علماً بأن ذلك يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة، وجواهر العربية، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية»[1]. فبلاغة الإمام وسمو أسلوبه هما الأساس الذي من أجله جمع الرضي تلك النصوص، لذلك فإن ذكر الأسانيد والمصادر في مثل هذه الكتب تعتبر من نافلة القول.

ولو أراد الرضي هدفاً غير البلاغة لجاءت النصوص بين دفتي النهج متكاملة، ولكن ممّا يؤسف له أن المنهج الذي اختطه الشريف لنفسه فرض عليه التقيد باختيار النماذج البلاغية حتى لو أحال النص الذي بين يديه إلى أشلاء متناثرة في ثنايا الكتاب وبين صفحاته لأنه يريد «النكت واللمع ولا يقصد التتالي والنسق»[2].

ومنهج الرضي في اختيار نصوص النهج، هو ذات المنهج الذي اختطه

---

(١) مقدمة الشريف الرضي لكتاب نهج البلاغة.

(٢) السابق.

لنفسه فيما اختاره من أحاديث رسول الله ﷺ في كتابه (مجازات الأحاديث النبوية). إذ لم يعوّل إلا على الأحاديث التي تتضمن مجازاً، أو حتى على الجزء الذي يوفر له الشاهد من ذلك الحديث[١]، ولم يذكر الأسانيد، إلا فيما ندر، ومع ذلك لم يثر كتاب (المجازات النبوية) ما أثاره النهج من أقاويل.

إن انتقاء الشريف الرضي للشاهد البلاغي من كلام علي بن أبي طالب عليه السلام حتّم عليه اجتزاء جمل قصيرة من خطب متعددة وضمها إلى بعضها بعضاً، وقد أشار شرّاح النهج إلى الكثير من ذلك، يقول ابن أبي الحديد في تعليقه على أحد نصوص النهج «هذه فصول أربعة لا يمتزج بعضها ببعض، وكل كلام منها ينحو به أمير المؤمنين عليه السلام نحواً غير ما ينحوه بالآخر وإنما الرضي رحمه الله التقطها من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام طويل منتشر قاله بعد وقعة النهروان»[٢]، ونصّ ابن ميثم البحراني على ذلك في عدة مواضع من شرحه للنهج[٣]. إلا أن ذلك لا يعني أن الشريف قد سكت تماماً عن ذكر الأسانيد والمصادر في مختاراته تلك، إذ إنه في عرضه لبعض النصوص ذكر إسنادها، من ذلك خطبة (الأشباح)[٤] التي ذكر أنها من رواية

---

(١) لاحظ أن معظم ما ورد من أحاديث نبوية في الكتاب من دون إسناد، ثم أنه في كثير من مواضع الكتاب يقتصر على ذكر شاهده من الحديث الشريف، راجع على سبيل المثال لا الحصر الصفحات: ٢٧، ٥٧، ٦٠، ٦٧، ٦٩، ١٠٢، ١٠٣.

(٢) شرح النهج ٢/ ٣٨٤، وجاء بمثله في ٢/ ٢٩٨، ٣/ ١٦٥، ٨/ ٢٧٨، ٢٨٨...

(٣) راجع شرح ميثم ١/ ٢٨٥، ٢٨٩، ٢/ ١١٨، ١٤٥...

(٤) راجع نهج البلاغة أو أحد شروح خطبه رقم ٩٠، أما مسعدة بن صدقة الذي روى الخطبة عن الصادق فلا ندري عن سنة ولادته، وهو من أصحاب الرواية عند الإمامية ـ راجع الذريعة ٧/ ١٩١.

مسعدة بن صدقة، عن جعفر الصادق عليه السلام (ت١٤٨)، كما ذكر في كثير من المواضع مناسبة النص والمكان الذي قيل فيه ممّا يقرّبه من التوثيق[١]، على أن ذكر مصادر بعض النصوص موجود في ثنايا الكتاب ولكن بقلة. هذا وقد تنبه الشرّاح بعد الرضي إلى أهمية التوثيق وذكر المصادر بعد انتشار النهج وازدياد قيمته، وابتداء الشك في نسبة نصوصه.

ما وصلت إليه عملية توثيق نهج البلاغة منذ القرن السادس الهجري حتى العصر الحديث:

١ ـ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ـ للراوندي (ت ٥٧٣)[٢]:

ذكر المؤلف ضمن شرحه أسانيد الخطب الخمس الأول من النهج متصلة بالإمام علي، علماً بأن من ضمن تلك الخطب الخمس ذكر إسناد الخطبة (الشقشقية)[٣] التي تعتبر من النصوص التي أثارت موجات الشك حول مختارات النهج، إلا أن الراوندي لم يستمر في توثيقه واعتقد أن تجزئة النصوص فيما بعد حالت بينه وبين ذلك.

٢ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ت ٦٥٦):

يبدو أن ابن أبي الحديد قد عايش موجة الشك التي أخذت في التفاقم في النصف الثاني من القرن السادس الهجري ممّا جعله يتصدى لذلك في

---

(١) راجع على سبيل المثال خطب ٥، ٦، ٦/ ٢٥٦.

(٢) راجع الخطب الخمس متوالية في الجزء الأول عنده.

(٣) منهاج البراعة ١/ ١٣١.

موضعين[١] من شرحه الكبير. إلا أن أهم ما قام به في هذا الصدد محاولته لتوثيق الكثير من نصوص النهج إما بذكر المصدر وإما بذكر المناسبة وإما بتحديد تاريخ القول. وكان أكثر اعتماده في التوثيق على الكتب التي أرخت لعصر صدر الإسلام وعلى الكتب التي اهتمت بجمع خطب الإمام علي)، ككتاب (الجمل) للِوط بن يحي بن مخنف الأسدي (ت ١٥٧)[٢]، وكتاب (صفين) لإبراهيم بن ديزيل الهمذاني[٣]، وكتاب (خطب علي عليه السلام لهشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٦)[٤]، وكتاب (الجمل)، و(صفين) لمحمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧)[٥]، وكتابي (الجمل) و(خطب علي عليه السلام وكتبه إلى عماله) لعلي بن محمد بن عبدالله المدائني (ت ٢١٥)[٦]، وكتاب (صفين) لإبراهيم بن محمد

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١/ ٢٠٥، ١٠/ ١٢٨ ـ التراث.

(٢) راجع السابق ١/ ٢٥٨، ٣٠٥، ٣٠٩، ٢/ ١٨٧. وقد وردت ترجمة لأبي مخنف عند ابن النديم الفهرست ص١٠٥، ياقوت ـ معجم البلدان ١٧/ ٤١.

(٣) السابق ٢/ ٣١٠، ٥/ ٢٥٤، ولم أعثر على تاريخ وفاته، قال عنه الطهراني في الذريعة ١٥/ ٥٢ «ينقل عنه بن مزاحم في كتاب صفين». ونصر بن مزاحم من طبقة أبي مخنف الذي كانت سنة ولادته قريبة من (١٢٠) كما رجح ذلك عبدالسلام هارون في مقدمة تحقيقه لكتاب (صفين) لنصر بن مزاحم ص٩، وعلى هذا فإن ابراهيم بن ديزيل من نفس الطبقة تقريباً.

(٤) راجع شرح النهج السابق: ١/ ٣٠٨، ٢/ ١٤٣، ١٤٩، وقد وردت ترجمة لهشام الكلبي عند ابن النديم ـ الفهرست ص١٠٨.

(٥) راجع الشرح السابق: ٢/ ١٤٠، ١٤٩، ٤/ ٩٥، وقد وردت ترجمة للواقدي في فهرست السابق ص١١١.

(٦) راجع الشرح السابق: ٦/ ١٣٤، ٧/ ٢٨٤... وقد وردت ترجمة للمدائني في =

الهلالي (ت ٢٨٣)[١]، وكتاب (السقيفة) لأبي بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري[٢]، وكتاب (الأوائل) لأبي هلال العسكري[٣]، وقد أضربنا عن ذكر المصادر التي رجع إليها ابن أبي الحديد والتي مازالت مستخدمة حتى يومنا هذا[٤].

هذا وقد ظهر مجهود ابن أبي الحديد التوثيقي في الباب الخاص برسائل الإمام علي عليه السلام وعهوده، وبالذات في الرسائل المتبادلة بين علي عليه السلام ومعاوية، حيث أعاد إلى رسائل الإمام ما حذفه الرضي منها. ولما كان معظم تلك الرسائل أجوبة وردوداً على رسائل كتبها معاوية

= الفهرست ص١١٣.

(١) بالرغم من ضياع كتاب (الغارات) لابراهيم بن محمد بن سعيد الهلالي إلا أنه يمكننا تجميع جزء كبير منه بثه ابن أبي الحديد في ثنايا شرحه، حيث اعتمد عليه اعتماداً أساسيا في روايته للغارات التي شنها معاوية على أطراف البلاد الاسلامية الخاضعة لعلي وموقف علي من تلك الغارات والخطب التي خطبها في أصحابه يستحثهم على الجهاد، أما ترجمة الهلالي فقد وردت عند صاحب موسوعة الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٥/ ٥٢.

(٢) راجع الشرح السابق: ٢/ ٤٤، ٤/ ٧٠، ٦/ ٥، ٨/ ٢٥٢. ويروي في كتابه السقيفة عن محمد بن زكريا الغلابي (ت ٢٩٦) ويعتقد أنه من رجال النصف الاخير من القرن الثالث الهجري، سكتت المصادر عن سنة وفاته ـ عباس القمي ٢/ ١٤٦ ـ الطهراني ـ الذريعة ١٢/ ٢١٦.

(٣) راجع الشرح السابق: ١/ ١٩٦، ٢٣٨، ٢/ ٢٧١. وردت ترجمة لأبي هلال العسكري عند ياقوت من ضمنها «أما وفاته فلم يبلغني فيها شيء، غير أني وجدت في آخر كتاب (الاوائل) من تصنيفه: فرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة»، معجم الأدباء ٨/ ٢٦٤.

(٤) من ذلك كتاب صفين لابن مزاحم، وكتب الجاحظ (ت ٢٥٥) وكتب ابن قتيبة (ت ٢٧٦) وكتب المبرد (ت ٢٨٥) وتاريخ الطبري (ت ٣١٠) وكتب ابن الاثير (ت ٦٣٠)...

لعلي عليه السلام، فإن ابن أبي الحديد أورد رسائل معاوية تلك، مشيراً إلى مناسباتها التي اقتضتها بتوثيقها من كتب التاريخ والأدب.

وبناء على ما أوردته المصادر التي اعتمدها ابن أبي الحديد في توثيق نصوص النهج يمكننا قبول مقولة المسعودي (ت ٣٤٦) السابق الذكر[١] والتي أشار إليها أيضاً الجاحظ[٢].

٣ ـ شرح نهج البلاغة لميثم البحراني (ت ٦٧٩):

يكاد يكون شرح البحراني للنهج تحقيقا بالمفهوم الحديث، فبالإضافة إلى اهتمامه بالنواحي البلاغية، وتركيزه على الجانب الزهدي في نصوص النهج، وشرحها شرحاً صوفياً، بالإضافة إلى كل ذلك فقد اختط الشارح لنفسه خطاً محايداً أدى به إلى رفض شرح أي نص لم يجزم به ويغلب على ظنه أنه من كلام الإمام علي عليه السلام[٣]، وتلك الخطة العلمية حتمت عليه توخي الصحيح.

أما فيما يتعلق بتنسيقه لمادة النهج في شرحه، فقد كانت بين يديه عدة نسخ من النهج وشروحه، لأنه بعد إيراده للخطبة رقم (٨٤) بيّن اختلاف موضعها في نسخ النهج المتعددة، والسبب الذي دعاه إلى الإعتماد على بعض تلك النسخ دون الأخرى[٤].

---

(١) راجع ص ٣١ وما بعدها.

(٢) أشرنا إلى مقولة الجاحظ في ص ٣١ وما بعدها من هذا البحث.

(٣) راجع شرح النهج ١/ ٢٥١.

(٤) يقول في هذا الصدد «من ها هنا اختلفت نسخ النهج، فكثير منها تكون هذه الخطبة فيها أول المجلد الثاني منه، بعد الخطبة المسماة بالقاصعة، ويكون عقيب كلامه للبرج بن=

بالنسبة لذكر المصادر والأسانيد لم نجده قد اهتم بها كاهتمام سابقه ابن أبي الحديد ولكن ليس معنى ذلك أنه أغفلها إغفالاً تاماً، ولأنه لم يشأ أن يكرر ما أورده ابن أبي الحديد فقد أعاد إلى بعض النصوص ما تعمّد الرضي حذفه مشيراً إلى ذلك كما في قوله «هذا الفصل ملتقط ملفق من خطبة له عليه السلام لما بلغه أن طلحة والزبير قد خلعا بيعته، وهو غير منتظم، وقد أورد السيد منها فصلاً آخر وسنذكرها بتمامها إذا انتهينا إليه إنّ شاء الله»[1]، كما أنه ذكر مناسبة[2] بعض الخطب والرسائل، وفي مواضع أخرى ذكر الأسانيد[3] أو المصادر[4] وذلك بحسب الإمكانات المتاحة في عصره. تلك هي الجهود التي بذلت لتوثيق النهج من خلال الشروح التي وصلت إلينا:

= مسهر الطائي قوله: ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ولا تحويه المشاهد، وكثير من النسخ تكون هذه الخطبة فيها متصلة بكلامه عليه السلام للبرج بن مسهر، وتتأخر تلك الخطبة فتكون بعد قوله: ومن كلامه له عليه السلام وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله ويتصل ذلك إلى تمام الخطبة المسماة بالقاصعة. ثم يليه قوله باب المختار من كتب أمير المؤمنين ورسائله وعليه جماعة الشارحين كالامام قطب الدين أبي الحسن الكيدري، والفاضل عبدالحميد بن أبي الحديد، ووافقتهم هذا الترتيب لغلبة الظن باعتمادهم على النسخ الصحيحة». شرح ميثم للنهج ٣/ ٤١٣، أما الكيدري (ت ٥٧٣) فعنوان شرحه للنهج: حدائق الحقائق في تفسير دقائق أوضح الخلائق، وهو من الشروح المفقودة ـ الذريعة ٦/ ٢٨٥. ولمعرفة الاختلاف في نسخ النهج الذي أشار ميثم اليه راجع جدولة خطب النهج.

(١) شرح ميثم ١/ ٢٨٥، وأيضاً ورد مثلها في ١/ ٢٩٧، ٢/ ١١٥.

(٢) راجع السابق ١/ ٢٧٦، ٢٩٥، ٢/ ٩٩.

(٣) راجع السابق ٢/ ٧٧، ٣/ ١٩٥، ٥/ ١٨٥.

(٤) راجع السابق ٢/ ١٤٦، ٣/ ٩٠، ٤/ ١١٣.

توثيق (نهج البلاغة) في العصر الحديث:

من المعلوم أن جزءاً كبيراً ممّا ورد في النهج من نصوص، قد وردت في كتب الحديث الأربعة[١] التي يعول عليها الشيعة الإمامية في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم، مع ملاحظة اختلاف الروايات التي لا تخل بالمعاني فيما بينها وبين ما ورد في نهج البلاغة من كلام، ممّا يرجّح عدم اعتماد الرضي في جمع مادته على تلك الكتب التي لم يذكرها لا ابن أبي الحديد ولا ميثم من ضمن مصادرها أيضاً: ولما كان تكذيب مادة النهج تعني تكذيب ما ورد فيه من أحاديث شريفة، خاصة أن الشيعة الإثني عشرية يعتبرون رواية الأئمة الإثني عشر من ولد فاطمة هي رواية الرسول ﷺ، لأن علمهم من علمه، لذا فقد تصدت طائفة من فقهائهم وأدبائهم لدحض تهمة الوضع عن النهج، وذلك بالبحث عن أصوله في المصادر المعتمدة التي أوردت تلك المأثورات أو أجزاء منها، إضافة إلى أن هناك من علماء السنة وأدبائهم ممن أوردوا في دراساتهم للنهج من الملاحظات ما يدعّم صحة نسبة مادة النهج لعليّ عليه السلام، ممّا يحتّم علينا الوقوف على ما ورد في تلك الدراسات التوثيقية المختصة. والإطلاع على ما حوته الملاحظات التي عرضت لنفس الموضوع.

---

(١) كتب الحديث الأربعة المعتمدة عند الشيعة الإمامية هي:

أ ـ الكافي ـ أصوله وفوعه ـ لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩ هـ).

ب ـ من لا يحضره الفقيه ـ لأبي جعفر بن علي بن بابويه القمي، الملقب بالصدوق (ت ٣٨١).

ج ـ تهذيب الأحكام ـ لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠).

د ـ الاستبصار في أحاديث الأحكام ـ للطوسي أيضاً.

١ ـ مستدرك نهج البلاغة، للهادي كاشف الغطاء[١]:

يبدو أن مقولة محمد حسين آل كاشف الغطاء «عسى أن يوفق الله لإفراد كتاب يجمع أسانيد (نهج البلاغة) من كتب الفريقين، فإنّي أحس بشدة الحاجة إلى ذلك»[٢]، قد بعثت عملية التوثيق في العصر الحديث، وذلك لمواجهة حملات التشكيك المتزايدة، ممّا حدا بالهادي كاشف الغطاء إلى القيام ـ بما يمكن اعتباره ـ المحاولة الأولى لتوثيق النهج في هذا العصر. مع ملاحظة أن توثيق نصوص النهج لم يكن الموضوع الرئيسي في الكتاب، فالعنوان (مستدرك نهج البلاغة) وهذا يعني أن المؤلف يهدف أولاً وقبل كل شيء إلى استدراك ما فات الرضي من أقوال أثرت عن الإمام علي عليه السلام؛ يقول في مقدمة الكتاب «كنت فيما سلف من غابر الأيام عازماً على جمع ما تيسر لي ممّا لم يروه السيد في نهجه من المختار من كلام أمير المؤمنين»[٣]، وهذا ـ بطبيعة الحال ـ ما جعله يقتفي أثر الشريف الرضي في تنسيق نصوصه، فمستدركه «يدور على أقطاب ثلاثة: (أولها) الخطب والأوامر (وثانيها) الكتب والوصايا (وثالثها) الحكم والآداب»[٤]. لذا لم يستوعب التوثيق سوى أربعاً وسبعين صفحة من صفحات الكتاب المئتين والإثنتين والستين. ومعظم صفحات التوثيق تلك كانت للرد على ما أثير حول النصوص من تشكيك.

---

(١) صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب ـ على ما أعتقد ـ سنة ١٩٣٥م ـ/ ١٣٥٤ هـ بالنجف واعتمدنا في دراستنا على الطبعة الثالثة.

(٢) محمد حسين آل كاشف الغطاء ـ المراجعات الريحانية ٢/ ١١٢ بواسطة عبدالزهراء الحسيني ـ مصادر نهج البلاغة ١/ ٧.

(٣)،(٤) الهادي كاشف الغطاء ـ مستدرك النهج، ص٦، ٨.

أما من حيث ذكر المصادر فلم يتمكن المؤلف من توثيق سوى:

١. ثمانين نصاً من مئتين وأربعة وأربعين نصاً في باب الخطب.

٢. ثمانية وعشرين نصاً من تسعة وسبعين نصاً في باب الرسائل والعهود.

٣. أربع وأربعين حكمة من مجموع أربعمئة وتسع وثمانين.

وبطبيعة الحال فإن ذلك العمل الضئيل بالنسبة لما ورد في النهج لا يعتبر توثيقاً بالمعنى الدقيق لكلمة توثيق لأنه «غير واف بتمام الغرض ولا قاطع من لسان الخصم»[1]. ولقد وعدنا المؤلف بإتمام عمله ولكن المنية حالت بينه وبين ذلك. وأهم ما يؤخذ على توثيقه بالإضافة إلى ضآلته:

١ ـ ذكر مصدر النص وسكوته عن الصفحة والجزء، علماً بأن بعض نصوصه مصدرها تاريخ الطبري أو كامل ابن الأثير.

٢ ـ لم يذكر الطبعات التي استخدمها في توثيقه وتاريخ صدورها، كما أنه لم يذكر في خاتمة الكتاب ثبتاً بمصادره.

٣ ـ لم يرتب مصادر النصوص ترتيباً تاريخياً في نهاية كل نص وثّقه.

٤ ـ لم يشر أثناء التوثيق إلى الإختلاف في رواية النص بين النهج والمصدر الموثق منه وأيهما السابق تاريخياً.

إلا أن أهم ما يحتسب للمؤلف في هذا المجال تعبيده الطريق لمن اقتفى أثره وسار على نهجه.

---

(١) مستدرك النهج السابق، ص٢٥٩.

٢ ـ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ـ لميرزا حبيب اللّه الخوئي:[١]

سنقصر دراستنا في هذا الموضوع على الجانب التوثيقي من الكتاب مرجئين التعرض لمادته إلى حين دراستنا الجوانب الفكرية بحسب المواضيع المناسبة لذلك أثناء الدراسة. فقد حاول المؤلف أن يوثق الكثير من نصوص النهج، خاصة المتعلق منها بالجوانب التاريخية، معتمداً في ذلك على المصادر، إما بالوساطة كسابقه الهادي كاشف الغطاء، وذلك بالتعويل على مصادر ابن أبي الحديد وميثم البحراني، وإما بالرجوع إلى المصادر دون ذكر أرقام الصفحات أو الأجزاء التي رجع إليها في عملية التوثيق.

والشيء المميز لعملية التوثيق في الكتاب، ذكر النص بتمامه بعد ذكر مصادره مع تبيان الإختلاف والإتفاق بين رواية المصدر وبين رواية (نهج البلاغة)، إضافة إلى تنبيهه للنقص في النص بعد اجتزاء الرضي منه شاهده، بإيراده من مصدره كاملاً تحت فصل في الكتاب بعنوان (تكملة).

وأهم ما يؤخذ على عملية التوثيق في الكتاب:

١ ـ اعتماده على مراجع وثقت النصوص من مصادر ليست مفقودة، فكان الأحرى به الرجوع في توثيقه إلى تلك المصادر مباشرة.

---

(١) يعتبر هذا الشرح من أكبر شروح النهج في العصر الحديث اذ بلغ واحداً وعشرين جزءا ولو أن مؤلفه الخوئي أتمه لصار أكبر من ذلك. صدرت طبعته الأولى من إيران ١٣٧٨ ـ ١٩٥٨، وأعيد تصوير الطبعة في بيروت باصدار مؤسسة الوفاء ١٩٨٣ واعتمدنا على طبعته المصورة.

٢ ـ عدم الإلتزام بالترتيب التاريخي للمصادر التي يوثق منها نصوصه.

٣ ـ الإضراب عن ذكر الأجزاء والصفحات أثناء التوثيق، أما إجمالي ما وثقه من نصوص النهج فهو:

١ ـ اثنان وثمانون نصاً من باب الخطب.

٢ ـ ستة وعشرون نصاً من باب الرسائل والعهود.

٣ ـ لم يوثق شيء في باب الحكم والمواعظ بسبب وفاة الشارح قبل إتمام الكتاب[١].

ولكن رغم مآخذنا على الكتاب في مجال التوثيق إلا أننا نجد عذراً لمؤلفه الذي قصد به الشرح لا التوثيق الذي يمكننا اعتباره جهداً مشكوراً على طريق تكامل التوثيق.

٣ ـ استناد نهج البلاغة لامتياز عليخان العرشي[٢]:

مؤلف هذا الكتاب أحد علماء السنة الهنود، فمن بعض الإشارات الخاطفة في الكتاب من استخدام المؤلف عبارة (كرّم الله وجهه) للإمام علي عليه السلام بدلاً من عبارة عليه السلام التي يستخدمها في الغالب الشيعة، فلقد

---

(١) توقف شرح المؤلف عند النص رقم ٢٢٨ من الجدولة ـ راجع ١٥/ ٩ وأتم الشرح من بعده الحسن بن عبدالله الطبري الآملي ـ راجع ٧/ ١٥ من نفس الشرح.

(٢) ألف هذا الكتاب باللغة الإنجليزية ثم صدرت ترجمته بالعربية بقلم عامر الأنصاري سنة ١٣٥٩ ـ ١٩٧٨، عن المطبعة العلمية بقم، إلا أنني أعتقد أن هذا الكتاب كان معروفاً في الأوساط العلمية قبل ذلك بسنوات، لأن صاحب كتاب (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) عبدالزهراء الحسيني قد اعتمده من ضمن مراجع كتابه الذي صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٦٨.

حاول مقدم الكتاب وناشره ـ وهو شيعي ـ استبدال العبارة الثانية بالأولى في الكتاب، إلاّ أن السهو، وتردد اسم الإمام علي عليه السلام في معظم الصفحات حالا دون ذلك[1].

يقع هذا الكتاب في ثمان وسبعين صفحة من الحجم العادي، وينقسم إلى قسمين احتوى القسم الأول على شبهات المشككين في النهج والرد عليها، واختص القسم الثاني بتوثيق النهج وفي هذا المجال تمكن مؤلفه من توثيق:

١ ـ مئة وخمسة نصوص من باب الخطب.

٢ ـ سبعة وثلاثين نصاً من باب العهود والرسائل.

٣ ـ وسبع وسبعين حكمة من باب الحكم والكلمات القصيرة.

والملاحظة التي يجدر الإنتباه إليها هنا: أن التوثيق في باب الحكم مازال ضئيلاً بالنسبة لما اختاره الشريف الرضي لعلي عليه السلام في هذا الباب، ولكن يمكننا اعتبار ذلك خطوة تخصصية مهمة على طريق توثيق النهج وتبديد ما دار حول نصوصه من شبهات، خاصة أنّ المؤلف أولّ من ذكر الجزء والصفحة من بين أولئك الذين سبقوه ممن حاولوا توثيق النهج، كما أنه استخدم بعض المخطوطات[2]، واستعان في مواضع كثيرة بتوثيق ابن

---

(١) راجع على سبيل المثال ص١٣ من الكتاب، كما ورد في المقدمة ما يشير إلى ذلك في قوله «كتاب نهج البلاغة... وهو يحتوي على نخبة من خطب سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام ورسائله وحكمه، وممّا يضاعف أهمية الكتاب، أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان على بلاغته المبتكرة، أحد الخلفاء الراشدين، أو إماما معصوما عند طائفة من المسلمين» ـ استناد نهج البلاغة ص١١٢.

(٢) راجع على سبيل المثال الكتاب ص١١، ١٨، ١٩، ٣٣.....

أبي الحديد، أما أهم ما يؤخذ على توثيقه فعدم الإلتزام بالترتيب التاريخي في ذكر مصادره، خاصة وأن لذلك أهمية كبيرة في عملية التوثيق، فجهده بقي محتاجاً إلى من يتمه، وهذا بالفعل ما قام به صاحب كتاب (مصادر نهج البلاغة وأسانيده).

٤ ـ مصادر نهج البلاغة ـ لعبدالزهراء الحسيني[١]:

صدر الكتاب في أربعة مجلدات، عرّف المؤلف في مقدمته مقصوده من (المصادر) التي سيعتمدها في دراسته التوثيقية فقد ينقل «من مصدر لم يره الشريف الرضي ولم يسمع بذكره ولكن المقصود: أن الكلام من محتويات النهج»[٢]، وهو ما فعله سابقوه وان لم ينصُّوا على ذلك، لأن البحث في مصادر الشريف الرضي يعتبر ضرباً من المستحيل بعد أن أصاب المكتبة العربية جراء فتن بغداد وحملات التتار والصليبيين من كوارث، وما حدث للفكر الشيعي من محاربة على أيدي الأيوبيين والمماليك في كل من مصر والشام والعراق[٣].

هذا وقد قسّم الحسيني دراسته التوثيقية تلك إلى ستة فصول:

١ ـ محور هذا الفصل دراسة في (مصادر نهج البلاغة)، ذكر فيه المؤلف أقسام المصادر التي اعتمدها في تحقيق نسبة ما في (نهج البلاغة) من

---

(١) صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٩٦٨ ببغداد واعتمدنا في دراستنا الطبعة الثانية ١٩٧٥، وللاطلاع على مجهود عبدالزهراء الحسيني التوثيقي كاملا راجع جدولة النهج.

(٢) مصادر نهج البلاغة وأسانيده ١/ ١٩.

(٣) لقد عرضنا لذلك في ص٢٥ وما بعدها من هذا البحث.

نصوص إلى الإمام علي عليه السلام وقسّم تلك المصادر إلى أربعة أقسام[١]:

ـ الأول: مصادر أُلفت قبل سنة (٤٠٠ هـ) وهي سنة جمع نصوص (نهج البلاغة) وقد نقل عنها المؤلف مباشرة.

ـ الثاني: مصادر أُلفت قبل صدور (النهج) ولكن المؤلف نقل عنها بالوساطة لضياعها.

ـ الثالث: كتب صدرت بعد وفاة الرضي ولكنها روت كلام علي عليه السلام المروي في (نهج البلاغة) بإسناد متصل، ولم تمر في طريقها على الرضي ولا على كتابه.

ـ الرابع: كتب صدرت بعد الرضي أيضاً ولكنها روت كلام الإمام علي بصورة تختلف عمّا في (النهج) ولم تشر إليه من قريب أو من بعيد.

٢ ـ خصص هذا الفصل لتعريف (نهج البلاغة) وما قيل فيه من مدح وتقريظ قديماً وحديثا[٢].

٣ ـ عرض في هذا الفصل لما أثير حول (نهج البلاغة) من شكوك وحاول تفنيدها[٣].

٤ ـ أطلق المؤلف على هذا الفصل اسم (مكتبة نهج البلاغة) ذكر ضمنه فضل (النهج) على المكتبة العربية، بما أمدها به من شروح ودراسات منذ تأليفه في القرن الرابع الهجري حتى العصر الحديث، كما ذكر

---

(١) راجع مصادر نهج البلاغة وأسانيده ١/ ٢٩ ـ ٨٨.

(٢) السابق ١/ ٨٩ ـ ٩٩.

(٣) السابق ١/ ١٠٠ ـ ٢٠١.

ضمن ذلك الفصل الكتب التي ألفت حول النهج في اللغات الأخرى[١].

٥ ـ خصص المؤلف صفحات هذا الفصل لدراسة حياة الشريف الرضي، جامع (نهج البلاغة)[٢].

٦ ـ شرع عبدالزهراء في هذا الفصل في توثيق (النهج) معتمداً ترتيب الشريف الرضي، إلاّ أن ما يميز دراسته التوثيقية عن دراسة سابقه العرشي: أنه ذكر نصوص (نهج البلاغة) متكاملة بينما اكتفى سابقه بذكر النص، أو بجزء منه تمكن من توثيقه كما أن أهم ما يميز هذه الدراسة توثيقها لجلّ نصوص (نهج البلاغة):

١ ـ فمن باب الخطب تمكنت من توثيق مئتين وثلاثين نصاً.

٢ ـ ومن باب المختار من الرسائل والوصايا وثق فيها ثلاثة وسبعون نصاً.

٣ ـ ومن باب المختار من الحكم والمواعظ وثّق أربعمئة وخمسة وسبعون حكمة وعبارة قصيرة.

وقد تميّز التوثيق في مصادر نهج البلاغة وأسانيده بالخصائص التالية:

١ . الدقة في تتبع نصوص النهج في المصادر التي أُثرت عن المؤلفين السنة والشيعة إذ لم يعوّل المؤلف في توثيقه على كتب الشيعة فقط خاصة

---

(١) السابق ١/ ٢٠٢ ـ ٢٧٣ وقد اعتمد في هذا الفصل على موسوعة الذريعة إلى تصانيف الشيعة.

(٢) السابق ١/ ٢٧٤ ـ ٢٧٩.

في النصوص التي حامت الشبهات حول نسبتها، كما أنه أعطى أهمية لمصادر السنة أكثر من اهتمامه برواية الشيعة، ووصلت الدقة بالمؤلف إلى توثيق بعض الفقرات أو حتى الجمل التي وردت في نصوص طويلة، وقد استلزم منه ذلك استخدام أكثر من مصدر لتوثيق فقرة قصيرة في بعض الأحيان.

٢. المقارنة بين نصوص النهج وبين مثيلاتها في المصادر الأخرى وتبيان الإختلاف في الروايات، خاصة في حالة تعذر الحصول على مصدر أقدم من النهج للتوثيق منه(١).

٣. التزام الترتيب التاريخي في سرد المصادر، وقلما أخل المؤلف بذلك(٢).

٤. النص على ذكر الأجزاء وأرقام صفحات المصادر التي وثّق منها، واقتضت الأمانة العلمية من المؤلف أن يذكر المصادر التي وثق منها بالوساطة مع النص على المصدر أو المرجع الذي استعان به في ذلك.

٥. ذكر أسانيد النصوص التي أمكن الحصول عليها مع تذييل الصفحات بترجمات قصيرة لرجال السند كلما دعت الضرورة(٣).

---

(١) راجع على سبيل المثال النص رقم ٩٣ الوارد عنده في ٢/ ١٨٢ وما بعدها ولإدراك دقته في المقارنة بين الروايات راجع على سبيل المثال النص رقم ١٠٨ من باب الخطب ٢/ ٢٢٧ وما بعدها.

(٢) التزام الموثق بالترتيب التاريخي يكاد يكون الشائع عنده، راجع نص رقم ٢٥ من باب الخطب ١/ ٣٧٨، العهد رقم ٢٧ من باب الرسائل ٣/ ٢٦ وما بعدها، العبارة رقم ٣٠٢ من باب الحكم ٤/ ٢٣٣.

(٣) راجع على سبيل المثال تعليقاته على رواة النص ١٧ من باب الخطب ١/ ٣٥٧ وما بعدها.

٦. أعاد ما اجتزأه الرضى من فقرات وعبارات قصيرة إلى نصوصها الأصلية كلما واتته الفرصة لذلك، كما اجتهد في جمع شتات بعض الخطب التي نثرها الرضي في أنحاء متفرقة من كتابه، وقد اعتمد في ذلك على ملاحظات ابن أبي الحديد وميثم البحراني والخوئي بالإضافة إلى مجهوداته. كما لم يفته أن يذكر مناسبة النص وتاريخ قوله اذا مكنته مصادره من ذلك[1]. إلاّ أن ذلك العمل الكبير لم يخل من بعض المآخذ منها:

أ ـ إرجاء توثيق النصوص المتقدمة وذكر مصادرها أثناء توثيقه لنصوص متأخرة في النهج[2]، لارتباط كثير من النصوص بعضها ببعض ارتباطاً عضوياً، اذ كان من الأفضل منهجيا أن يذكر المؤلف المصادر أثناء استعراضه للنصوص المتقدمة، ثم يحيل القارئ على تلك المصادر في النصوص المتأخرة، ولكن المؤلف فعل العكس في مواضع كثيرة من كتابه ممّا أدى إلى ارباك الباحث أثناء بحثه عن مصادر بعض النصوص، وقد وقع ذلك بالخصوص أثناء عرضه لبعض النصوص في باب الخطب والإحالة على مصادرها في باب الحكم، إذ

---

(١) لاحظ على سبيل المثال تعليقه على النص رقم ١٨ وعلاقته بالنص رقم ١٧ من باب الخطب ١/ ٣٦٢ وما بعدها.

(٢) مثال على ذلك ما قاله عند توثيقه النص رقم ١٠٥ من باب الخطب«سيأتي الكلام على مصادر هذه الخطبة ـ بحول الله وقوته ـ في الحكمة المرقمة ٢٧٤ (٤/ ٢١٤) وسنعرف هناك أن هذه الخطبة والكلمات القصار ٣١، ٣٢، ٢٧٤، ٢٧٦ (٤/ ٢٧، ٢٩، ٢١٤، ٢١٦) من خطبة واحدة في مقام واحد ـ ٢/ ٢١٧، وراجع أيضاً نص ١٤٩ خطب ٢/ ٣٣٤».

كان الأولى به منهجيا أن يذكر المصادر في الأصل وهي الخطب ثم يحيل عليها في الفرع وهي الحكم التي تعتبر جزءاً من تلك الخطب.

ب ـ تعسف توثيق النصوص[١] التي لم يجد مصدراً لها وذلك بإيراد عبارات حولها ذكرها ابن أبي الحديد أو غيره من الشراح أثناء شرحهم وتعليقهم على تلك النصوص مع أن مثل تلك التعليقات والعبارات لا تمت ـ في اعتقادنا ـ إلى التوثيق بأية صلة.

جـ ـ يحاول المؤلف إيهام قارئه بأنه سيذكر مصادر النصوص التي لم يتمكن من توثيقها في خاتمة كتابه[٢] مع أن تلك الخاتمة لا تتعدى أن تكون مجرد اعتذار وشكر واعتراف بفضل من اقتبس منهم.

د ـ قد لا يذكر المؤلف أجزاء المصادر وصفحاتها أثناء توثيقه لبعض النصوص[٣] وان كان ذلك نادراً بالإضافة إلى الإضطراب في إحالته من نص إلى نص آخر ضمن الكتاب.

هـ ـ عدم ذكره المصادر مباشرة أثناء توثيقه لبعض النصوص[٤]،

---

(١) راجع على سبيل المثال استنتاجه لتوثيق النص رقم ٩٤ من باب الخطب ٢/ ١٨٦.

(٢) «الكلام على هذا الفصل في كلمة الختام» تلك العبارة استخدمها عند تعذر عثوره على مصدر للنص الذي يريد توثيقه كما في ٢/ ٣٦٥، ٣/ ٧٢، ١١٨، ولم يشر إلى شيء من ذلك في كلمة الختام تلك.

(٣) مثال ذلك استطراده الطويل أثناء توثيقه نص رقم ٣ من باب الخطب ١/ ٣٠٩ ـ ٣٢٤ وتعليقه الطويل على النص رقم ٥ باب الخطب وكيفية ذكره المصادر باطناب لا داعي له ١/ ٣٢٩ وأيضاً ١/ ٣٤٤ ـ ٣٤٨ أثناء توثيق النص رقم ١٣ باب الخطب.

(٤) يراجع السابق.

وذلك بسبب السرد الطويل الممل الذي لا علاقة له بالتوثيق ممّا يضيع وقت الباحث في طلب بغيته، خاصة وأن المؤلف لم يلتزم منهجاً محدداً وخطة معينة في إيراده للمصادر[١]، فتارة يسردها مرقمة بعد النص مباشرة، وتارة أخرى يذكرها في ثنايا الفقرات وهو يعلق على النص، أضف إلى ذلك إشاراته السريعة إلى أسماء تلك المصادر باختصارها أو بالإقتصار على ذكر مؤلفيها.

لكن كل ذلك لا يغضى من جهده العظيم في توثيق ذلك الكم الهائل من نصوص (نهج البلاغة) بالرجوع إلى مئات المصادر، ممّا جعل من أتى بعده من الموثقين عالة عليه لأنهم لم يقدموا جديداً في ذلك المجال بل وقصروا عن الوصول لما وصل إليه كعبدالله نعمه.

٥ ـ مصادر نهج البلاغة ـ لعبدالله نعمة[٢]:

يقع هذا الكتاب في ثلاثمة وأربع وثلاثين صفحة من الحجم العادي وينقسم إلى قسمين اختص القسم الأول بالحديث عن نهج البلاغة وما أثير حوله من أقوال، ثم تفنيدها فيما يقرب من مئة وثمان وعشرين صفحة، أما القسم الثاني فقد اختص بالتوثيق وقسمه المؤلف إلى ثلاثة فصول: ذكر في

---

(١) لاحظ طريقته في توثيق النص رقم ٢٢٥ من باب الخطب ٣/ ١٧٠، ولاحظ توثيقه للنص رقم ٦ من باب الرسائل فإنّه سرد مصادره بعد استطراد طويل وكان الأولى به أن يذكر المصادر أولا كما كان يفعل أثناء توثيقه لمعظم النصوص.

(٢) طبع هذا الكتاب على مطابع دار الهدى ببيروت ١٩٧٢ وبالرجوع إلى ثبت المصادر والمراجع في نهايته نرى أن من بين تلك المراجع كتاب (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) لعبدالزهراء الحسيني، ممّا يؤكد أنه قد ألف بعده.

الفصل الأول مصادر ما عقده الشريف الرضي للمختار من خطب الإمام علي عليه السلام وذكر في الفصل الثاني مصادر ما اختاره الرضي من رسائل علي عليه السلام ووصاياه، أما الفصل الثالث فقد جعله لذكر مصادر الحكم والكلمات القصار.

يرى المؤلف أنه بكتابه ذاك قد سدّ «فجوات عديدة، كانت تنفذ من خلالها اتهامات أولئك المتهمين، وشكوك أولئك الشاكين، من أدباء وعلماء، ومؤرخين، وأن يجد فيه هؤلاء، خيوطاً من ضياء تبدد الكثير من تهمهم وشكوكهم. وذلك حين يجدون فيه حوالي (١٨٠) خطبة وموعظة من أصل (٢٤٢)، وحوالي (٦٠) كتاباً ورسالة ووصية من أصل (٧٨) وحوالي (٢٠٠) كلمة من الحكم والأمثال وما اليها من أصل (٤٩٨) كلمة، قد أرجعتها إلى أصولها وربطتها بمصادرها»[(١)].

وعلى هذا فإن المؤلف لم يستطع أن يقدم لنا في مجال توثيق (نهج البلاغة) أكثر ممّا قدّمه سابقه، الذي استطاع أن يوثق (نهج البلاغة)، فيما عدا بضع خطب ورسائل وحكم، بالإضافة إلى ذلك فإن مصادره هي مصادر سابقة باختلاف في الصفحات لاختلاف في الطبعات. ونجد بنظرة سريعة في ثبت المصادر والمراجع عند كلا المؤلفين أن مصادر نعمة ومراجعه لا تتعدى المئة والخمسة، بينما بلغت المصادر والمراجع التي اعتمد سابقه عليها مئتين وخمسة وثمانين مصدراً، لذا فإنّه لمن نافلة القول المقارنة بين توثيق النصوص عند كليهما، بالإضافة إلى عدم التزام الثاني

---

(١) عبدالله نعمة ـ مصادر نهج البلاغة ص٥.

بالترتيب التاريخي في سرده للمصادر أثناء التوثيق، ممّا أرجعنا القهقرى بعد أن كدنا نبلغ بالتوثيق غايته، وحبذا لو بدأ المؤلف من حيث انتهى سابقه باكمال التوثيق، وحسبه في ذلك عناء خدمة للنهج. وبناء على ما سبق يمكن اجمال عملية التوثيق من خلال الكتب المتخصصة الثلاثة الأخيرة في الجدول التالي:

المـــادة	الخطب والأوامر	الكتب والوصايا	الحكم والمواعظ
عدد نصوص كل باب من أبوب (نهج البلاغة)	٢٤٤	٧٩	٤٨٩
عدد النصوص التي وثقها العرشي من كل باب في النهج	١٥٠	٣٧	٧٧
عدد النصوص التي وثقها الحسيني من كل باب في النهج	٢٣٠	٧٣	٤٧٥
عدد النصوص التي وثقها عبدالله نعمة من كل باب في النهج	١٨٠	٦٠	٢٠٠

بالإضافة إلى ما سبق توجد إشارات لكثير من الدارسين المحدثين الذين تناولوا (نهج البلاغة) بالشرح والتحليل، تكاد تكون بمثابة الدليل على صحة نسبة نصوصه لعلي عليه السلام. فالشيخ محمد عبده في تقديمه للكتاب وبعد تبيانه لما حواه من أساليب تتناسب وموضوعاتها من حيث المباني والمعاني يقول «ذلك الكتاب الجليل هو جملة ما اختاره الشريف الرضي رحمه الله من كلام سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام»[1].

كما أنه لم يشر إلى الشك في النهج ضمن تلك المقدمة، وسكوته عن

(١) مقدمة محمد عبده لشرح النهج ١/ ١٠، طبعة الاندلس.

ذلك ثم شرحه لنصوص الكتاب والتعليق عليها بحواش طويلة، يدل على ترجيح اقتناعه بصحة نسبة تلك النصوص لعلي عليه السلام.

أما زكي مبارك فيرى أن الشك في نصوص (نهج البلاغة) ومحاولة نسبتها إلى علماء الشيعة لا يستند إلى دليل علمي، علاوة على ذلك فان تلك النسبة تجعل من أولئك العلماء عباقرة في اللغة، لمقدرتهم الفائقة على صوغ مثل تلك الأساليب البيانية الرفيعة لذلك فإنه يرى أن «الذين نسبوا نهج البلاغة إلى الرضي يحتجون بأنه وضعه لأغراض شيعية، فلم لا نقول من جانبنا بأن تهمة الوضع جاءت لتأييد خصوم الحملات الشيعية»[1].

ويقف الشيخ صبحي الصالح رحمه الله وقفه طويلة مع (نهج البلاغة) تتلخص في تحقيقه وفهرسته، فهرسة تكاد تكون مكتملة، ويقينه بصحة نسبه نصوص النهج لعلي عليه السلام هو الذي دعاه إلى القيام بذلك المجهود الكبير، وفي محاولته لدحض جانب من جوانب الشك في النهج يقول «قد اشتمل كلامه على أوصاف عجيبة لبعض المخلوقات، حملت روعتها ودقة تصويرها بعض النقاد على الإرتياب في عزوها إلى أمير المؤمنين، كما في تصويره البارع للنملة والجرادة ولاسيما للطاؤوس. ولابد من تحقيق هذا الأمر في غير هذه المقدمة العجلى، وهو ما نسأل الله التوفيق لبيانه في كتاب مستقل اكتملت بين أيدينا معالمه، وسنصدره قريباً بعون الله»[2]. ولو كان لديه أدنى شك في نسبة تلك النصوص لبينه، ولما حاول معالجتها في

---

(١) النثر الفني ١/ ٨١.

(٢) مقدمة تحقيق صبحي الصالح لنهج البلاغة ص١٢.

كتاب منفرد ـ لم يصدر حتى الآن ـ بعد أن عرض لها في فهرسته.

ذلك ما تمكنا من تتبعه من دراسات توثيقية للنهج، ونعتقد أن فيها من الدلالات القوية على صحة نسبة كل ما ورد فيه من نصوص لعلي عليه السلام، ولقد حاولنا من جانبنا ـ وبالإستعانة بدراسات من سبقنا ـ عمل جدولة بجميع نصوص النهج تمكن الباحث من الحصول على أي نص في أية طبعة من طبعاته وذلك من خلال ما تيسر لنا من طبعات مشهورة مع محاولة توثيق كل نص من تلك النصوص من مصدر يمكن الباحث من المقارنة بين روايته وبين رواية النهج[1] لذلك النص، ومن خلال ذلك كله يمكننا اعتبار توثيق نصوص نهج البلاغة قضية مفروغاً منها، بحيث تبدو المطاعن الأخرى مصطنعة، الهدف منها النيل من قيمته الفكرية، لذلك لابد من مناقشتها.

٢ ـ التعريض بصحابة رسول الله ﷺ في بعض من نصوصه[2]:

تنحصر مشكلة ما سمي بالتعريض بصحابة رسول الله ﷺ فيما أثارته الخطبة المسماة (بالشقشقية)[3] من قضايا خطيرة تتعلق بالولاية والإمامة،

(١) راجع جدولة النهج في نهاية هذه الدراسة.

(٢) قال بذلك الذهبي (ت ٧٤٨) في ميزان الاعتدال ٣/ ١٢٤ وفي سير اعلام النبلاء ١٧/ ٥٨٩، وابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢) في لسان الميزان ٤/ ٢٢٣، والحوفي في بلاغة الإمام علي عليه السلام ص١٢١، وأحمد حسن الباقوري في علي إمام الأئمة ص٧٠.

(٣) النص رقم (٣) في باب الخطب دارت حوله دراسات كثيرة تحدث عنها بالتفصيل محمد رضا الحكيمي في كتابه (شرح الخطبة الشقشقية) وسميت بالشقشقية لقول الإمام علي لابن عباس في نهايتها (تلك شقشقة هدرت ثم قرت) والشقشقة وشقشق الفحل شقشقة: هدر ـ لسان العرب المحيط ٢/ ٣٤٣.

اذ يمكن اعتبار تلك الخطبة من أهم النصوص المشكوك في نسبتها إلى الإمام علي، ولقد فنّد ذلك الزعم كثير من الدارسين للنهج، فالراوندي وثق تلك الخطبة بسند متصل بعبدالله بن عباس الذي تعزى اليه الرواية(١)، ثم إن ابن أبي الحديد قد أفرد فصلاً كاملاً في شرحه للحديث عن تلك الخطبة والمصادر التي حفظتها قبل الرضي(٢)، ونص ميثم البحراني في شرحه على أنه لم يقبلها ضمن نصوص النهج إلاّ بعد تأكده من نسبتها إلى علي عليه السلام دونما أي شك(٣)، ولو أنصف الدارس لتاريخ علي عليه السلام وعصره لما شك في نسبتها اليه فهي «خير مثال يصور لنا نفس علي عليه السلام الشاكية»(٤). وما ورد في تلك الخطبة من شكوى مرّة هو ما اعتبره المشككون (تعريضا)، ويرجع ذلك إلى أحكام مسبقة، مصدرها عدم تجرد بعض الباحثين من ترسبات الماضي أثناء دراسة الحوادث التاريخية ممّا أدى بهم إلى عدم التفريق بين التعريض والنقد.

فالتعريض لغة خلاف التصريح وهو «التورية بالشيء عن الشيء، وفي المثل وهو حديث مخرّج عن عمران بن حصين، مرفوع: إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب ـ أي سعة»(٥).

ويفهم من ذلك أنه نوع من الكذب المغلف المستساغ وليس أدل على

---

(١) راجع منهاج البراعة ١/ ١٣١ وما بعدها.

(٢) شرح نهج البلاغة ١/ ٢٠٥ وما بعدها.

(٣) شرح نهج البلاغة لميثم ١/ ٢٥١ وما بعدها.

(٤) صبحي الصالح: مقدمة تحقيق نهج البلاغة ص١٠.

(٥) ابن منظور ـ لسان العرب المحيط ٢/ ٧٤٣، الزبيدي ـ تاج العروس ١٨/ ٤١٢.

ذلك من قول عمر بن الخطاب «أما في المعاريض ما يغني المسلم عن الكذب»[١]. ولو حاولنا تطبيق معنى التعريض على ما ورد في (نهج البلاغة) من أقوال في بعض الصحابة، سنجد أن معاني تلك الأقوال من الوضوح والصراحة ما ليس في حاجة إلى تورية أو تزوير، فاتسامها بالوضوح ينأى بها عن التعريض، كما يبعدها عن الشتم، فمما لا يتناسب ومنزلة علي بن أبي طالبعليه السلام قول عبدالزهراء الحسيني «ليتني أدري لماذا يمتنع على عليعليه السلام شتم خصومه وأعدائه الذين شتموه ونكثوا بيعته، وبغوا عليه وتألبوا لقتاله؟ وأي إنكار على (نهج البلاغة) إذا نقل فيه شيء من ذلك؟»[٢]، لأن مقولة الإمام «مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ للنّاس إِمَاماً فَلْيَبدأ بِتعليمِ نَفْسَهُ قَبْلَ تَعْليمِ غَيْرِهِ، وَلْيَكُنْ تأدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأدِيبِهِ بِلِسَانِهِ»[٣]، هي إحدى دعامات شخصيته الفذة في التعامل مع من حوله من الناس، فإذا كان هو لا يلتزم بتلك المقولة فكيف يسوغ له أن يقول لأصحابه الذين سمعهم يسبون أعداءه من أهل الشام «إنّي أكْرهُ لَكُمْ أَنْ تَكونُوا سَبَّابِينَ، وَلكِنَّكُمْ لو وَصَفتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَذَكرتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصوَبَ في القَولِ وَأَبْلَغَ فِي العُذْرِ»[٤]. وما نصح به أتباعه وشيعته من أهل الكوفة، هو ذاته ما قاله في الصحابة وهو ما لا يمكن تسميته بالتعريض أو الشتم، لأن وصف الأعمال على حقيقتها وإظهار أوجه الحسن والقبح فيها هو ما يسمى بالنقد البناء، وهو ما كان عليعليه السلام يعمل به ويدعو أصحابه إلى العمل به أيضاً.

---

(١) ابن منظور، السابق ٢/ ٣٤٤.

(٢) مصادر نهج البلاغة وأسانيده ١/ ١١٨.

(٣) الجدولة ـ حكمة رقم ٧١.

(٤) الجدولة ـ خطبة رقم ٢٠٠.

فالنقد كتعبير عن الفكر الحر ظاهرة ليست جديدة أو مبتدعة في الفكر الإسلامي، إذ أنها ولدت بمولد رسالة الإسلام، فعمر بن الخطاب ينتقد تصرف الرسول ﷺ في تنازله لقريش في صلح الحديبية[١]، ويعارض طلب الرسول الدواة والكتف حين وفاته ﷺ[٢]، ومهما تأولنا ذلك وجعلنا له مخارج، فإنه نقد لتصرفات الرسول ﷺ الذي «ما ينطق عن الهوى»[٣] فقد بلغ ذلك النقد في بعض الأحيان حدّ الصلافة، من ذلك قول الخويصرة لرسول الله ﷺ «يا محمدٌ، قَدْ رأَيتَ مَا صَنَعْتَ فِي هَذا اليومِ، فقال رسول الله ﷺ: أَجلْ، فَكَيْفَ رَأيتَ، فقال: لَمْ أَرَكَ عَدَلْتَ»[٤]. كما كان الصحابة أنفسهم ينتقدون بعضهم البعض، وليس أدل على ذلك من قول الخليفة الثاني في الستة الذين رشحهم لامامة المسلمين[٥]، ولو كان

---

(١) راجع موقف عمر بن الخطاب من صلح الحديبية ـ تاريخ الطبري ٢/ ٦٣٤ وما بعدها.

(٢) راجع ما أورده ابن سعد في ذلك الشأن ـ الطبقات الكبرى ٢/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

(٣) النجم / ٣.

(٤) ابن هشام ـ السيرة ٤/ ١٣٨.

(٥) في حوار دار بين عمر بن الخطاب وعبدالله بن عباس فيمن يستخلفه عمر لامامة الناس من بعده قال ابن عباس«فقلت له: أين أنت عن عبدالرحمن بن عوف؟ فقال: ذاك رجل ممسك وهذا الامر لا يصلح إلاّ لمعط في غير سرف ومانع في غير اقتار. قال فقلت: سعد بن أبي وقاص؟ قال: مؤمن ضعيف، قال فقلت: طلحة بن عبيدالله؟ قال: ذاك رجل يناول الترف والمديح، يعطي ماله حتى يصل إلى مال غيره، وفيه بأو وكبر. قال فقلت: فالزبير بن العوام فهو فارس الاسلام؟ قال: ذاك يوم إنسان ويوم شيطان، وعفة نفس، إن كان ليكادح على المكيلة من بكرة إلى الظهر حتى يفوته الصلاة. قال: عثمان بن عفان؟ قال: إن ولي حمل ابن أبي معيط وبني أمية على رقاب الناس وأعطاهم مال الله... تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٥٨.

يقصد بذلك تجريحهم أو الغض من مكانة أحدهم لما رشحه لذلك المنصب الخطير، ويكفي دلالة على ذلك قوله في عليعليه السلام «لو وليهم تحملهم على منهج الطريق، فأخذ المحجة الواضحة، إلاّ أن فيه خصالاً: الدعابة في المجلس، واستبداد الرأي، والتبكيت للناس مع حداثة السن»[١]. وبسبب نقد كثير من الصحابة لسياسة عثمان فقد حظر عليهم حتى الكلام، وقد رأى القدماء أن ضربه لعبدالله بن مسعود[٢] ولعمار بن ياسر[٣]، ونفيه لأبي ذر[٤] إلاّ بسبب ذلك. فالنقد مشروع في الإسلام، لذلك لا نستبعد أن ينتقد عليعليه السلام الصحابة، وما قاله في خشونة عمر قد سبقه إليه طلحة بن عبيدالله حين علم باستخلاف أبي بكر لعمر وذلك في قوله «استخلفت على الناس عمر، وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه؟ وكيف به إذا خلا بهم وأنت لاق ربك»[٥]، كما أن ما قاله عليعليه السلام في عثمان هو عين ما قاله عمر فيه[٦].

أما الشتم والتعريض فهو أسلوب أولئك الذين يحرصون على الحفاظ على مصالحهم الذاتية ولو أدى بهم ذلك إلى التضحية بقيم الإسلام وتعاليمه، وهو ما يصوره قول عمر بن عبدالعزيز «كان أبي إذا خطب فنال

---

(١)، (٢) اليعقوبي، السابق ٢/ ١٥٨، ١٧٠.

(٣) راجع ـ ابن عبدالبر ـ الاستيعاب ـ بهامش الاصابة ٢/ ٤٧٧.

(٤) راجع اليعقوبي، السابق ٢/ ١٧١.

(٥) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ٢/ ٢٩٢ ويمكن مقارنته بما جاء في الخطبة ٣ من وصف لعمر في النهج.

(٦) راجع الهامش رقم ٥ من هذه الصفحة مع مقارنة قول عمر في عثمان بما جاء في الخطبة رقم ٣ ـ فقرة ٢، نهايتها.

من عليعليه السلام تلجلج فقلت: يا أبت انك تمضي في خطبتك فإذا أتيت إلى ذكر عليعليه السلام عرفت منك تقصيراً، قال: أو فطنت لذلك، قلت: نعم، فقال: يا بني إن الذين حولنا لو يعلمون من عليعليه السلام ما نعلم تفرقوا عنا إلى أولاده»[١].

ثم أن مشروعية نقد الرجال في الإسلام ولّدت ما يسمى بعلم «الجرح والتعديل» فهل في ذلك من غضاضة من عدم الأخذ من أبي هريرة ـ وهو صحابي ـ «إلا ما كان من ذكر جنة أو نار»[٢]، أو أن يقال عن فلان صادق وفلان متروك، وفلان مدلس ما دامت تلك الصفات صحيحة. وعليه فإنا متى نظرنا إلى ما ورد في النهج عن الصحابة بنظرة الناقد النـزيه، فسنجد أن ذلك يتناسب وواقع الفترة التي عاشها عليعليه السلام في جميع مراحل حياته وليس أدل على ذلك من قول عمر لابن عباس «والله يا بن عباس أن علياً ابن عمك لأحق الناس بها ولكن قريشاً لا تحتمله»[٣]. علاوة على ذلك فإن نقد الرجال في النهج وانّ كان شديداً مؤلماً في بعض الأحيان، إلاّ أنّه في أحيان أخرى يتسم باللين والرفق كما جاء في وصف أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله[٤]، وكما ورد في النص الذي قرظ خلافة عمر في رأي ابن أبي الحديد وفي خلافة أبي بكر في رأي ميثم البحراني[٥]. وكما ورد في نص

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٤/ ١٥٤.

(٢) ابن أبي الحديد ـ شرح النهج ٤/ ٦٨.

(٣) اليعقوبي ـ السابق، ٢/ ١٥٩.

(٤) راجع نص رقم ٩٦ من باب الخطب الفقرة الخامسة بوصف أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله.

(٥) راجع نص ٢٢٥ باب الخطب وتفسيره عند كل من ابن أبي الحديد وميثم.

ثالث من مدح للأنصار[١]. وفي كلتا الحالتين الشدة واللين كان ذلك النقد ينطلق من موضوعية وصراحة لا مجاملة فيها ولا تعريض وذلك يجعلنا ننزّل كلام الإمام عليعليه السلام الوارد في النهج المنزلة التي يعنيها الإمام مع عدم تحميل الكلمات أبعاداً أخرى بفعل ترسبات كامنة في النفوس، وإذا ما فعلنا ذلك فسنجد الحقيقة واضحة جليّة من خلال ما أسميناه تعريضاً وهو في الحقيقة نقد.

٣ ـ الطول المفرط في بعض الخطب والعهود بما لا يتناسب وأدب صدر الإسلام:

يجب أن يكون دارس الأدب موضوعيا أثناء دراسته لأية فترة من فترات الأدب. والموضوعية تقتضي منه أن يدرس الملابسات التي تحيط بالنصوص موضوع الدراسة بنظرة محايدة ثم يصدر فيما بعد أحكامه. فظاهرة الطول في الأدب نثراً كان أو شعراً لم تكن من اختراع الإمام علي، فلقد تميّز الشعر الجاهلي ـ مع خطابيته ـ بذلك الطول، إذ بلغت معلقة امرئ القيس تسعين بيتاً[٢]، وبلغت معلقة طرفة ابن العبد مئة وعشرين بيتاً[٣]، وبلغت معلقة لبيد تسعة وثمانين بيتاً[٤]، كما يمكن اعتبار الحوار الذي دار بين عبدالمطلب ـ ممثلاً لوفد قريش ـ وبين سيف بن ذي يزن من النصوص الطويلة[٥]، كما أن خطب وفود العرب بين يدي الرسولصلى الله عليه وآله وما

---

(١) راجع نص رقم ١١٧ من باب الخطب.

(٢)،(٣)،(٤) راجع أبا زيد القرشي ـ جمهرة أشعار العرب ١١٤، ٣٠٤، ٢٣٧.

(٥) راجع ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ٢/ ٢٤، ٣١ وما بعدها. فإذا ما دخل الشك في خطب الجاهلية تلك، فإنّ خطب وفود العرب بين يدي الرسول وكتاب صلح الحديبية يمكن اعتبارها من النصوص الجاهلية.

تخللها من مناقشات حول الدين الجديد، تعتبر من النصوص الطويلة نسبياً[1].

ويعتبر الإطناب من خصائص القرآن الكريم، فإذا ما استثنينا السور الطويلة التي اشتملت على آيات الأحكام نجد بغيتنا في السور الطويلة ذات الموضوع الواحد كسورة يوسف وسورة الكهف.

والطول أيضاً من الظواهر التي تميزت بها بعض خطب الرسول ﷺ من ذلك ما روي «عن أبي زيد الأنصاري، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل وصلى العصر، فصعد المنبر فخطبنا حتى غابت الشمس، فحدثنا ما كان وما هو كائن فأعلمنا وأحفظنا»[2]، ثم أن الكتاب الذي كتبه ﷺ بين المهاجرين والأنصار ووادع فيه اليهود وعاهدهم، وهو أول عهد كتب في الإسلام[3]، يفند مقولة عدم تناسب الطول لخطابة صدر الإسلام وعهوده.

والمتأمل في تلك النصوص التي أشرنا إليها يدرك أن الطول والقصر ـ سواء أكان ذلك في الكتابة أم في الخطابة ـ تفرضه المناسبة والحاجة، فالوضع القائم أثناء ذلك هو العنصر الأساسي الذي يحدد الطول والقصر، لذا فإنّ من يحاول المقارنة في أساليب الخطابة والعهود، بين عهدي أبي بكر وعمر وبين عهد علي عليه السلام دون دراسة الظروف والملابسات التي حدثت في كل عصر فإنّه بذلك يلغي أثر الحوادث في مجرى التاريخ.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) البنا ـ الفتح الرباني ٢١/ ٣٧٢ والحديث مروي في مسند أحمد بن حنبل.

(٣) راجع ابن هشام ـ السيرة ٢/ ١٤٧ ـ ١٥٠.

فعصر عليﷺ يختلف اختلافَ جذرياً عن عصر الخلفاء الراشدين قبله، فإنّه وإن كانت المدة الزمنية بين عهودهم وعهده قصيرة جداً في حساب التاريخ إلاّ أنّ تغيّر العقلية العربية وتفتحها بعض الشيء على طابع الجدل بفعل التفاعل الحضاري، أدى بالعربي ابن الصحراء إلى التساؤل عن الخطأ والصواب في مجرى الحوادث في محاولة لمعرفة أبعادها ومشروعيتها من وجهة نظر الإسلام، وهذا بطبيعة الحال فتح باب الجدل على مصراعيه. فهل كان من الحق قتل عثمان؟ وما مدى مشروعية محاربة طلحة والزبير معهما عائشة لعليّﷺ؟ ولماذا استحل الإمام عليﷺ قتالهم ولم يستحل سبيهم وتقسيم أموالهم كغنيمة حرب؟ وهل كان معاوية على حقّ في تمسّكه بدم عثمان بتنصيب نفسه وليّاً لذلك بالإعتماد على قوله تعالى ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾[1]؟، وما مدى الصواب في استخدام الخوارج شعار «لاَ حُكْمَ إلاّ للَّهِ» ؟[2].

فاعتماد المسلمين على القرآن والسنة دون تأويلهما هو ما كان معمولاً به قبل خلافة عليّﷺ. أمَا وقد بدأ الفكر العربي في التطور، وأخذت روح الجدل تتبوأ مكانتها، فلابد من اتساع نطاق القول لقرع الحجة بالحجة. فاستشهاد عمار بن ياسر ضمن جيش عليّﷺ كاد أنْ يُثير فتنة في جيش معاوية اعتماداً على قول الرسولﷺ لعمار «تَقْتُلُكَ الفِئةُ البَاغِيَةُ»[3]. وقد تدارك معاوية ذلك بقوله «إنّما قتله من أتى

(١) الإسراء / ٣٣.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٥٥.

(٣) ابن هشام ـ السيرة ٢/ ١٤٢.

به»[١]. وحكاية الكوفي، وادعاء الشامي في جَمَله، وحكم معاوية للشامي على حساب حق الكوفي[٢] تَحْمِلُ من دلالات التضليل أكثر ممّا تحكيه من طرافة. أضف إلى ذلك قول عليّ عليه السلام إلى ابن عباس حين أرسله إلى مناظرة الخوارج «لاَ تُخَاصِمْهُمْ بِالقُرآنِ، فَإِنّهُ حَمّالٌ ذو وُجُوهٍ وَلَكِنْ حَاكِمْهُمْ بِالسُّنَةِ»[٣]. فذلك يبيّن بوضوح مدى ما بلغه الجدل في عصر علي عليه السلام. كما أنّ اعتزال بعض الصحابة عليّاً ومعاوية قد طرح كثيراً من التساؤلات التي لابد من إيضاحها. ولا يتأتى معالجة كل تلك المشاكل إلاّ بالأقوال الواضحة المبنية على الحجج المقنعة، لكشف أساليب التضليل، وفضح التأويلات الباطلة وهذا ما جعل عليّاً ـ وهو قطب رحا المعركة ـ يراوح بين الطول والقصر في خطبة حسبما تقتضيه الظروف.

فالمناسبة والظرف المحيط بها ـ وليس العصر ـ هما اللّذان يحددان نوعية الكلام، فقد لا يؤدي الكلام الموجز في بعض المواقف ما تحتاجه المناسبة من إطالة وشرح يمكن اعتباره في عرف الأدباء إيجازاً، لأنّ

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٤١، وراجع تعليق الإمام علي على تلك المقولة، خطبة رقم ١٤٠.

(٢) الحكاية كما يرويها المسعودي في مروج الذهب ٣/ ٤١ ـ أن رجلا من أهل الكوفة دخل على بعير له دمشق في حالة منصرفهم من صفين فتعلق به رجل من دمشق فقال: هده ناقتي أخذت منّي بصفين، فارتفع أمرهما إلى معاوية وأقام الدمشقي خمسين رجلا بيّنة يشهدون أنها ناقته فقضى معاوية على الكوفي، وأمره بتسليم البعير إليه، فقال الكوفي: أصلحك الله إنه جمل وليس بناقة، فقال معاوية: هذا حكم قد مضى، ودس إلى الكوفي بعد تفرقهم فأحضره وسأله عن ثمن بعيره، فدفع إليه ضعفه وبرّه وأحسن إليه، وقال له: أبلغ عليّا أني أقاتله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل.

(٣) نهج البلاغة وشروحه ـ رسالة رقم (٧٧).

الإيجاز لا يعني قصر العبارة بل يعني ملاءمة المقال لمقتضى الحال، فالإيجاز بمعنى الإختصار «ليس بمحمود في كلّ موضع وبمختار في كلّ كتاب، بل لكلّ مقام مقال، ولو كان الإيجاز محموداً في كلّ الأحوال لجرّده الله تعالى في القرآن، ولم يفعل ذلك، ولكنه أطال تارةً للتوكيد وحذف تارةً للإيجاز، وكرر تارةً للافهام»[1].

لذلك فإنّ القول بعدم تناسب بعض الخطب والعهود المأثورة في النهج عن عليّ عليه السلام وعصر صدر الإسلام، لا يتفق وروح الأدب، لأنّ قائله لم يضع في اعتباره ما ابْتُلِيَ به الإمام في عصره من مشاكل ومحن، خاصة أنّ تلك النصوص التي قيل عنها أنّها طويلة لو وضعت في مكانها الصحيح من التاريخ الإسلامي لتمكنا من خلالها من استلهام «نظراته الثاقبة وآرائه البعيدة في مبادئ السياسة، وأساليب حكم الرعية، وإدارة شؤونها، والحرص على دفع الفتن عنها حتى تعيش في بحبوحة العز والرخاء»[2]:

٤ ـ الوصف الدقيق المستوفي لجميع أجزاء الموصوف[3]:

إن وصف عليّ عليه السلام للخفاش وللطاووس هو أساس تلك التهمة، فأحمد الحوفي على ما يبدو قد قَبِلَ ما جاء من وصف للنملة في النهج

---

(١) ابن قتيبة ـ أدب الكاتب ص١٩.

(٢) صبحي الصالح ـ مقدمة تحقيق نهج البلاغة، ص١١.

(٣) من جملة الشكوك التي وجهها أحمد أمين لنصوص النهج قوله«هذا إلى ما فيه من معان دقيقة منسقة على أسلوب لم يعرف إلاّ في العصر العباسي كما نرى في الطاووس» ـ فجر الإسلام ص١٤٩.

سوى طريقة أُكُلِهَا[١]، كما أنّه قد تجاوز عن وصف الجرادة سوى ما جاء في وصف عينيها[٢] واستبعد نسبة وصف الخفاش لعليّ عليه السلام خاصة وصف أجنحته[٣]، كما استبعد أيضاً نسبة وصف الطاووس لعليّ عليه السلام خاصةً ما ورد في وصف السَّفَادِ[٤] كما لم يقبل ما جاء من وصف دقيق «لجسم الطاووس وريشه وساقيه وتحليله لصياحه»[٥] ويمكن تقسيم الوصف المشكوك في نسبته لعليّ عليه السلام من تلك الأوصاف إلى قسمين:

١ ـ ما هو مقبول جزئيا.

٢ ـ ما هو مرفوض كليا.

١ ـ ما هو مقبول جزئياً:

إنّ قبول جزءٍ من كلام ما وحذف جزءٍ آخر منه، دونما دراسة دقيقة لذلك، لا يتسق وطبيعة البحث في النصوص الأدبية. إذ يفترض في الدارس أثناء معالجته للجزء المقبول والجزء المرفوض أن يلاحظ ما أسماه عبدالقاهر الجرجاني بنظرية النظم المتمثلة في دراسة العلاقة بين المفردات والجمل في البنية الأساسية للنص، لأن النظم ليس (سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب بعض)[٦]. فإذا ما تمكن الباحث من تحليل نسيج النص قيد البحث، ودرس علاقات الألفاظ فيه دراسة مقارنية، بعدها يمكنه اصدار حكمه. إذ لا يمكن في مجال تلك الدراسات أنّ نصف فصاحة تلك النصوص «وصفاً مجملاً، ونقول فيها قولاً مُرسلاً، بل لا تكون معرفتها في شيء حتى تفصل القول وتحصل، وتسميتها شيئا

---

(١) إلى (٥) محمد عبدالمنعم خفاجي ـ بلاغة الإمام علي ص١٠٤، ١٠٥، ١٠٦.

(٦) دلائل الإعجاز ـ المقدمة (ص٣٠ ـ ٣١).

شيئا»[١]، وبعد ذلك إذا ما لوحظ ثمة تفاوت أو اختلاف بين الجزئين فلا مجال للموافقة على النص بأكمله بسبب دخول الزيف في نسيجه، وإلاّ فإنّ الأحكام العامة غير المعللة لا يمكن قبولها في مجال البحث.

فقد جاء في وصف النملة بين المقبول والمرفوض في نهج البلاغة:

«أنظروا إلى النَمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا، وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا، لاَ تَكَادُ تُنَالُ بَلِحْظِ البَصَرِ وَلاَ بِمُسْتَدْرَكِ الفِكَرِ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا، وَصُبّتْ عَلَى رِزْقِهَا، تَنْقِلُ الحَبَّةَ إلى جُحْرِهَا وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا. تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا، وَفِي وَرْدِهَا لِصَدْرِهَا، مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا، مَرْزُوقَةٌ بِوِفْقِهَا، لاَ يَغْفَلُهَا المَنَّانُ، وَلا يحرمها الدّيَّانُ، وَلَو فِي الصَّفَا اليَابِسِ وَالحَجَرِ الجَامِسِ، وَلَو فَكّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا، فِي عُلُوِّهَا وَسَفْلِهَا، وَمَا فِي الجَوْفِ مِنْ شَرَا سِيْفِ بَطْنِهَا، وَمَا فِي الرَّأسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا، لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجباً، وَلَقَيْتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً، فَتَعَالى الّذِي أَقَامَها عَلَى قَوَائِمِهَا وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا، لَمْ يُشْرِكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ، وَلَمْ يُعِنْهُ عَلَى خَلْقِهَا قَادِرٌ»[٢].

فبالتمعن فيما اجتزأنا من وصف للنملة، نلاحظ أنه لا يكتمل معناه ولا تتم الغاية منه، إلا إذا وضعناه في سياقه الأصلي، لكونه جزءاً صغيراً من كلٍّ متكاملٍ، إلاّ أنّ الدراسة اقتضت ذلك. فلو رجعنا للنص ثانية وحذفنا من سياقه ما هو مشكوك فيه من كلام وقلنا:

«أنظروا إلى النملة في صغر جثتها، ولطافة هيئتها، لا تكاد تنال بلحظ البصر. . إلى قوله: ولو في الصفا اليابس والحجر الجامس ـ ثم انتقلنا ـ

---

(١) دلائل الإعجاز ـ المقدمة (ص٣٠ ـ ٣١).

(٢) خطب ـ ٢٣٣، فقرة ٣.

بعد حذف ما هو مشكوك فيه إلى قوله: لقضيت من خلقها عجباً. . . بقية النص»، لوجدنا أن البناء الداخلي للنص يختل بحيث يأبى العقل قبوله، بسبب النقلة المفاجئة بين وصف النملة غير المكتمل والتفكر في قدرة الله تعالى، هذا من حيث المعاني في السياق. أمّا من حيث نسق الجمل وجرس الألفاظ فيجدر ملاحظة الأمور التالية:

الجزء المقبـــــول	الجزء المشكوك فيه
أنظروا إلى النملة:	
في صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال	لو فكرت في مجاري أكلها
بلحظ البصر، ولا بمستدرك الفكر.	في علوّها وسفلها
كيف دبت على أرضها	وما في الجوف من شراسيف بطنها
وصبّت على رزقها	وما في الرأس من عينها وأذنها
تنقل الحبة إلى جحرها	
وتعدها إلى مستقرّها	
تجمع في حرها لبردها	
وفي وردها لصدرها	

١ ـ بناء النص في كلا جزئيه على الجمل القصيرة ذات الطابع التأملي العميق الهادئ والإعتماد على حروف الجر وضمير الغائبة، ممّا يعني صدورها من مجرى نفسي واحد.

٢ ـ التناسق التام في العلاقة الترابطية بين الجمل باستخدام الفصل والوصل، ويتضح ذلك من ربط كل جملتين مشتركتين في إبراز معنى جزئي بواو العطف، مثال ذلك: «لا تنال بلحظ البصر، ولا بمستدرك

الفكر»، و«ما في الجوف من شراسيف بطنها، وما في الرأس من عينها وأذنها»، مع ملاحظة أن الفصل في كلا القسمين لا يكون إلاّ في الإنتقال من فكرة جزئية إلى فكرة أخرى تكون في خدمة المعنى العام للنص، إذ لم يستخدم العطف أو بالأحرى الوصل إلاّ بين الجمل التي تتكامل في معانيها، ولم يستخدم الفصل إلاّ في الإنتقال بين الأفكار الجزئية التي تكوّن العناصر العامة لبناء النص متكاملاً، هذا ولم يخالف مؤلف النص ذلك النسق إطلاقاً وفي جميع الفقرات رغم طول النص وتنوع الأفكار فيه.

٣ ـ التجانس التام بين جرس الألفاظ من حيث مخارج حروفها وتكامل معانيها ممّا يجعل المواءمة بين القسمين واحدة لا انفصام فيها.

أما ما ورد في النهج من وصف للجرادة فهو «وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الجَرَادَةِ، إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ، وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ، وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الخَفِيَّ، وَفَتَحَ لَهَا الفَمَ السوي، وَجَعَلَ لَهَا الحِسَّ القَوِيَّ، وَنَابَيْنِ بِهِمَا تَقْرُضُ وَمِنْجَلِيْن بِهِمَا تَقْبَضُ. يَرْهَبُهَا الزُرَّاعُ فِيْ زَرْعِهِمْ، وَلاَ يَسْتَطِيْعُوَن ذَبَّهَا وَلَو أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ، حَتّى تَرِدَ الحَرْثَ فِي نَزَوَاتِهَا، وَتَقْضِي مِنْهُ شَهَوَاتِهَا. وَخَلْقُهَا كُلُّهُ لاَ يَكُوُن إِصْبَعاً مُسْتَدِقَّةً»[(١)].

فالمشكوك فيه كما يرى الحوفي هو العناصر التالية: «إذ خلق لها عينين... حتى قوله: منجلين تقبض بهما». وعلى هذا يصير المقبول من وصف الجرادة «وإن شئت قلت في الجرادة يرهبها الزراع في زرعهم، ولا يستطيعون ذبّها... إلى آخر الفقرة». وهذا بطبيعة الحال لا يتسق ووصفه

---

(١) خطب ـ ٢٣٣، فقرة ٥.

السابق لشكل النملة ولا لوصف بقية الظواهر الطبيعية التي وردت في سياق النص، فالتفصيل والدقة في تلك لا تناسب والإختصار في هذه.

ثم أنّ علاقة عليّعليه السلام بالجرادة ـ سواء أكان بالمدينة أم بالكوفة ـ كانت علاقة مباشرة فلقد كان بالمدينة ـ على عهد الرسولﷺ وعهد الخلفاء الراشدين ـ يمارس مهنة الزراعة[١]، كما كان ولي أمر المسلمين حين أقام بالعراق تلك البيئة الزراعية، فلابدّ أنّه صادف في حياته تلك زحف أسراب الجراد وما يحدثه من كوارث كانت موضع اهتمامه كما كانت موضع اهتمام الرسولﷺ قبله. من ذلك دعوتهﷺ على الجراد بقوله «اللّهُمَّ أقْتُلْ كِبَارَهُ، وأهْلُكْ صِغَارَهُ وَأقْطَعْ دَابِرَهُ، وَخُذْ بِأَفْوَاهِهَا عَنْ مَعَايِشِنَا وَأَرْزَاقِنَا، إنَّكَ سَمِيْعُ الدُّعَاءِ»[٢]. وعلى هذا فَإنّ احتكاكه المباشر بالجرادة في كلتا البيئتين أتاح له التأمل في خلقتها، فتولد عنه ذلك الوصف الذي شك في نسبته إليه.

فإذا ما عدنا بعد هذا إلى ما ورد من وصف للجرادة عند عليعليه السلام لنضعه في مكانه من الخطبة التي اجتزأناه منها، سنلاحظ اندماجه التام مع الأفكار الأخرى التي بنيت عليها من حيث الوصف والغاية، إضافة إلى ذلك فإنّ جمل نص وصف الجرادة وعباراته تكاد تكون جزءاً من بناء متكامل من حيث مقاطع الجمل وترتيب الفواصل فيما بينها، ممّا يجعلها تتناغم في جرس مخارج ألفاظه متزنة في بناء كلماته، فمطلع النص:

---

(١) من ذلك أنه حفر عين أبي نيزر بيده كما جاء في معجم البلدان ٤/ ١٧٦.

(٢) ابن الأثير ـ جامع الأصول ٨/ ٢٧٤.

الحَمدُ لله الذّي لاَ تُدْرِكُهُ الشَوَاهِدُ[(١)]
وَلاَ تَحْوِيَهُ المَشَاهِدُ
وَلاَ تَرَاهُ النَّوَاظِرُ

ـ الجزء الثاني في الصلاة على النبي:
وَأَشْهَدُ أَنّ مُحمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصّفِيُّ
وَأَمِيْنُهُ الْرَضِيُّ

ـ الجزء الثالث في معنى التأمل في قدرة الله وعظمته وقد ورد الوصف ضمنه:
لَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيْمِ القُدْرَةِ
وَجَسِيْمِ النِّعْمَةِ، لَرَجَعُوا إلى الطَّرِيقِ
وَلَكِنَّ القُلُوبَ عَلِيْلَةٌ، وَالبَصَائِرَ مَدْخُولَةٌ
ألاَ يَنْظُرَوْنَ إلى صَغِيْرِ مَا خَلَقْ، كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ...

ـ وصف النملة: أنظروا إلى النملة في صغر جثتها...
ـ وصف الكون: وكذلك السماء والهواء، والرياح والماء...
ـ وصف الجرادة: وإن شئت قلت في الجرادة...

ـ خاتمة النص: فَتَبَارَكَ الله الذّي يسجد له «مَنْ فِي السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكُرْهاً» فجعل النص ومقاطعه تتبع في نسقها نظاما واحداً مبنيا على التتابع الموسيقي المصطلح عليه بلاغياً بالإزدواج، فلكل جملتين

(١) يمكن ملاحظة ذلك من قراءة الخطبة السابقة كاملة بفقراتها الست. والآية من سورة الرعد/ ١٥.

متعاطفتين نسقاً موسيقياً واحداً مع ارتكاز تام على الجمل القصيرة الهادئة، التي لا يزيد طول الواحدة منها في أغلب الأحيان على الثلاث كلمات، وتتابع تلك الجمل داخل النص أتاح لواو العطف لأن تكون الرابط الرئيسي في حركة الوصل. إذ تكوّن من مئة وإحدى وعشرين جملة في ست فقرات استخدمت واو العطف خلالها مئة مرة وواحدة.

أضف إلى ذلك الترابط الوثيق بين الأفكار والمتمثل في التنقل بين أساليب الخطاب من الحديث عن جمع الغائبين إلى الحديث عن المفرد الغائب فالمفرد المخاطب، وتجنّب الوعظ المباشر لثقل وطأته على النفوس، ومحاولة الأخذ بفكر المستمع في رحلة تأملية في واقع الخلق وعظمة الخالق تؤدي في نهايتها إلى الغاية المطلوبة من الخطبة، كل تلك العناصر مجتمعة تدل دلالة قاطعة على التوحد في أسلوب الخطبة وصدورها من مجرى نفسي واحد ممّا يبعد بعض فقراتها عن الشك.

٢ ـ ما هو مرفوض كليا من نصوص في نهج البلاغة ويتمثل في:

أولا: وصف الخفاش[١]:

رغم أنّنا لم نعثر على مصدر للخطبة التي ورد وصف الخفاش ضمنها إلاّ أنّنا نُرَجِّح نسبتها إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لأنّ وصف الخفاش لم يكن بِدعاً في الإسلام، فلقد جاء في تفسير قوله تعالى ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[٢] أنّ الطير المذكور في الآية هو الخفاش، فقد «ذُكِرَ أنّه لمّا أراد أن

---

(١) راجع الخطبة رقم ١٥٥، حسب الجدولة الملحقة.

(٢) آل عمران / ٤٩.

يخلق الطير من الطين سألهم أي الطير أشد خلقا فقيل له الخفاش»[١]، «ويقال: إنما طلبوا خلق الخفاش لأنه أعجب من سائر الخلق، ومن عجائبه أنه لحم ودم، يطير بغير ريش، ويلد كما يلد الحيوان، ولا يبيض كما يبيض سائر الطيور فيكون له الضرع يخرج منه اللبن، ولا يبصر في ضوء النهار، ولا في ظلمة الليل وإنما يرى في ساعتين: بعد غروب الشمس ساعة، وبعد طلوع الفجر ساعة، ويضحك كما يضحك الإنسان ويحيض كما تحيض المرأة»[٢]. فبالمقارنة بما ورد من وصف للخفاش في تفسير الذكر الحكيم وما جاء من وصف له في (نهج البلاغة) لا نجد ثمة اختلاف إلاّ في الصياغة والأسلوب في محاولة لتجسيد الصورة لإبراز ما في ذلك الحيوان العجيب من إبداع للتدليل على قدرته سبحانه خاصة أن ذلك الوصف لم يرد في النهج إلا ضمن سياق خطبة وعظية تأملية.

ثم إنه بدراسة أسلوب النص وتحليل معانيه، سنجد أنه لا يكاد يختلف عمّا ورد في النهج من نصوص وعظية تعمد إلى التأمل وتتسم بالنظرة الواقعية، وتمتاز بكثرة الفواصل بحيث يمكن إدماج النص في بناء الوعظ المتكامل الوارد في النهج دون أن يحدث أي نشاز في المجرى العام لتلك النصوص، لأن البناء الكلي يهدف إلى غاية واحدة تكمن في محاولة تأكيد قدرة الخالق والإيمان به في نفوس بدأت الحياة المادية تجرفها. فلو اجتزأنا وصف الحفاش من سياقه ووضعناه مكان وصف النملة ـ أو حتى بجانبه ـ لوجدنا أن منبع كلا النصين واحد «كالجسيم البسيط الذي ليس

---

(١) تفسير الطبري ٣/ ١٩٠.

(٢) القرطبي ـ الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٩٤.

بعض من أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض في الماهية»[١].

ثانيا: وصف الطاووس[٢]:

لم نتمكن من العثور على مصدر قبل النهج للخطبة التي ورد وصف الطاووس ضمنها، إلا أنّ ما يُرجّح نسبتها إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وورود جزء منها في (ربيع الأبرار)[٣]، كما فسّر غريبها في عدة مواضع من (النهاية في غريب الحديث)[٤]، والذي جعلنا نميل إلى تصحيح نسبتها: نص كلا المؤلفين على نسبتها إلى علي عليه السلام بما لا يدعو إلى الشك، وعدم استخدامها العبارات الترجيحية أثناء إيراد أجزاء من الخطبة على الرغم من استخدامها تلك العبارات عند شكهم في نسبة نص إلى قائله أو جهلهما لذلك القائل[٥]، علاوة على ذلك تعديل كليهما عند علماء الرجال، لأخذهما في كتبهما بالروايات الصحيحة، وتحرّيهما الدقة في النقل[٦].

---

(١) ابن أبي الحديد ـ شرح النهج ـ ١٠/ ٢٨.

(٢) ورد وصف الطاووس ضمن خطبته رقم ١٦٦ حسب الجدول.

(٣) الزمخشري ١/ ٢٩٣.

(٤) راجع ابن الأثير: ١/ ٣٧، ٢/ ١٤٠، ٣/ ٢٣٨، ٣٠٧، ٤٧٠، ٤/ ١٤٤، ٥/ ١٢٣.

(٥) مثال ذلك ما ورد عند ابن الأثير ـ في غريب الحديث«٥/ ٣١ منه حديث علي، وقيل عمر» لأنه لم يتأكد من نسبة الحديث. وكذلك«٥/ ٣٢: منه حديث عمر وقيل علي».
وقال ابن أبي الحديد عن الزمخشري«مذهبه الاعتزال ونصرة أصحابنا معلوم وكذلك في انحرافه عن الشيعة وتسخيفه لمقالاتهم» شرح النهج ٩/ ٢٨٠.

(٦) قال ياقوت عن الزمخشري ـ معجم الأدباء ١٩/ ٢٦«كان اماما في التفسير والنحو اللغة والأدب، واسع العلم كبير الفضل متفننا»، وقال ابن خلكان عن ابن الأثير«اماما في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به وخبيراً بأنساب العرب وأخبارهم» وفيات الأعيان ٣/ ٣٤٨.

ذاك عن توثيق النص من المصادر المعتبرة، أما من حيث الأسلوب، فالنص لا يكاد يختلف في معانيه عما ورد في وصف النملة والجرادة والخفاش، إلاّ بما يتناسب والحيوان الموصوف من مفردات لغوية، فالقاموس اللغوي العام هو هو لا يكاد يتغير إلاّ بما يتناسب وجانب الرؤية، والجرس اللفظي لم يتغير من حيث تدفقه النابض بالإيمان العميق النابع من أعماق نفس عاشت معاني القرآن الكريم لتخرج منه بتلك الأوصاف التي يمكن اعتبارها ظلاً وارفاً لمعاني التنـزيل، جاهد علي عليه السلام بكلّ طاقاته اللغوية والبلاغية لإسباغه على الحياة ليلتجئ إليه اللاهثون من تعب الجري وراء حياة لا محالة من زوالها.

والوصف مهما بلغ من الدقة لم يكن علي عليه السلام أول من ابتكره، فقد سبق الجاهليون إليه والشعراء منهم خاصة، فوصف طرفة بن العبد لناقته ضمن معلقته[١]، قد بلغ من الدقة ما أدى بطه حسين إلى الشك في نسبته إليه بسبب ما حواه ذلك المقطع من الغريب بما لا يتناسب وسهولة المفردات التي تميّزت بها بقية المعلقة[٢]، لكنّ المتأمل في ذلك الوصف ومحاولة دمجه في موقف الشاعر، يخلص إلى أَنّ الوحدة المعنوية لموضوع المعلقة هو ما جرّ الشاعر إلى انتهاج ذلك الوصف الدقيق الوعر وعورة نفسه المتألمة، فالمعلقة بأكملها تُصوِّر الحياة من وجهة النظر

---

(١) مطلع وصف ناقة طرفة (طويل):

وَإنّي لأَمْضِي الهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ   بِعَوْجَاءِ مِرْقَالٍ تَرُوْحُ وَتَغْتَدِيْ

ـ جمهرة القرشي ٣٠٨.

(٢) راجع ما قاله طه حسين عن ناقة طرفة ـ حديث الأربعاء ١/ ٥٨.

القائلة، بأنها لا يمكن أن تكون على وتيرة واحدة. كما يتجلى لنا روعة وصف الطبيعة عند لبيد[١] ضمن معلقته عاكسة خيبة أمله وتألمه لما أحدثه الزمن من تشويه في ربوع كانت عزيزة على نفسه.

على أن الأمثلة من الشعر الجاهلي قد لا تحقق غايتنا المرجوة للتدليل على ما نحن بصدده من دقة وصف أثر عن علي عليه السلام في (نهج البلاغة)، لأن ذلك الشعر ابن بيئته، ولم يصف شيئا من خارج تلك البيئة، أما الطاووس فبعيد كلّ البعد عن بيئة عليّ عليه السلام كما يرى كثير من الشاكين، إلاّ أن الوصف عند الجاهليين يقربنا ممّا نحن بصدد اثباته، لأننا لا نريد المقارنة بين الوصفين الجاهلي ببيئته ووصف الإمام علي عليه السلام للطاووس إلاّ من حيث الدقة التي تحتاج إلى عين ثاقبة في الأشياء ونفس متأملة شفافة يمكنها ملاحظة كل صغيرة وكبيرة في المحيط الموصوف لتوظيفها فيما يتيح استكمال الصورة من جميع جوانبها، علماً بأنَّ عنصر دقة الملاحظة لا يمكنه أن يؤدي المطلوب إلاّ إذا دُعّم بثقافة عميقة متعددة النواحي ويكون للبيئة أثر كبير في بلورة تلك الثقافة وصيغها بسماتها، التي عادة ما تكون بارزة في النتاج الأدبي الذي ينتمي إليها، وهذا ما جعلنا لا نقتنع بالمقارنة بين ما ورد من وصف عند الجاهليين وبين ما ورد من وصف منسوب في النهج لعلي عليه السلام، إلاّ في حدود عنصر الدقة، ممّا يعني اختلاف الوصف في النهج من حيث المضامين والأساليب والأهداف التي تتناسب والإسلام

---

(١) مطلع وصف الأطلال في معلقة لبيد (كامل):

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا ... بِمِنىً تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا

ـ جمهرة القرشي ٢٣٧.

في صورته الناصعة، ومن هنا يمكننا أنْ نقول: بأنّ القرآن الكريم لم يترك صغيرة ولا كبيرة تتعلق بالحياة إلاّ وتناولها بالوصف المفصل أو المجمل اللمّاح، وفي كلتا الحالتين فتح باب التأمل والتفكر مشرعاً للمسلم ليزداد من خلال ذلك التأمل إيماناً وليقوى يقيناً بنظراته إلى الحياة نظرة شاملة بتأملها في الذرة الصغيرة المتمثلة في الخردلة إلى الإنسان في نفسه بنفسه فمن الوصف البالغ الدقة في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ۝١٤﴾(١). فذلك الوصف المتناهي في الدقة يدعو صادق الإيمان إلى التأمل منطلقا من نفسه إلى أن يشمل تأمله المخلوقات الأخرى، خاصة إذا كان المتأمل قد رضع الإسلام وشم ريح الوحي وتربّع في أحضان النبوة. لذا فإنّ وصف الطاووس هو انعكاس لألوان زاهية استلهم عليّ عليه السلام معانيها من أوصاف الجنة التي وردت في القرآن الكريم، ثم أن وصف صياحه تألماً، ليس إلاّ إثباتاً بأن الكمال لله سبحانه. فمهما بلغ المخلوق من الحسن والجمال فإنه بعيد المنال عن الكمال، إذ لو حاولنا تتبع مصدر ذلك الوصف الدقيق في النهج فسنخرج بنتيجة فحواها: إن تلك الأوصاف لن يقدر على تصويرها في أسلوبها الرائع ذاك إلاّ من عايش كتاب الله معايشة عميقة ومباشرة، وهو ما ينطبق على حال علي، الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله بأنه «أَكْرَمَهُمْ سِلْماً، وَأَكْثَرَهُمْ عِلْماً، وَأَعْظَمَهُمْ حِلْماً»(٢) فلقد «أَعْطَى القُرآنَ عَزَائِمَهُ فَفَازَ مِنْهُ بِرِيَاضِ

---

(١) المؤمنون / ١٤.

(٢) المحب الطبري ـ ذخائر العقبى ص٧٨ ـ ٧٩.

مُؤْنِقَةٍ»[١] . ثم أن الوصف من الموضوعات التي اهتم النبيصلى الله عليه وآله بها، فقد جاء في صحيح مسلم باب خاص مأثور عن النبي في «الجنة وصفة نعيمها وأهلها»[٢] ، إضافة إلى ذلك وصفهصلى الله عليه وآله للفتن واشراط الساعة[٣] . لذا فإنه لا يستبعد أن تكون موضوعات الوصف المذكورة في (نهج البلاغة) من كلام علي بن أبي طالبعليه السلام ، خاصة أنها لم تكن مقصودة لذاتها فتوظيفها المحكم في قضايا الإيمان والتوحيد تؤكد تلك النسبة.

٥ ـ في نهج البلاغة تعبيرات فلسفية ظهرت بعد تدوين العلوم في العصر العباسي[٤]:

وردت في نهج البلاغة نصوص عالجت قضايا التوحيد، ونفي الصفات عن الخالق سبحانه وبسبب اختلاف المذاهب الإسلامية في هذا الصدد أنكر بعض الدارسين نسبة تلك النصوص إلى عليعليه السلام بحجة عدم تناسب تلك الأفكار وروح عصر صدر الإسلام، لأنهم يرون أن الجدل حول التوحيد والعدل ونفي الصفات، وغيرها من القضايا التي تتعلق بالخلق والخالق لم تظهر إلاّ في فترات متأخرة، إلاّ أنه إذا ما ثبت توثيق بعض من تلك النصوص بصحة نسبتها إلى علي، فإن ذلك يدحض تلك

---

(١) المحب الطبري ـ ذخائر العقبى ص٧٨ ـ ٧٩.

(٢)،(٣) مسلم بن الحجاج ـ ٤/ ٢١٧٤ حتى ٢٢٠٦ ـ ٢٢٠٧.

(٤) أشار إلى ذلك العقاد في عبقرية الإمام ص٤٣ بقوله«ربما وقع الشك في نسبة بعض الكلمات إلى علي ـ رضي الله عنه ـ لأنها تجمعت بعد عصره بزمن طويل وامتزج بها ما لابد أن يمازجها من علوم القرن الثالث وبعده»، هذا وقد توسع الحوفي في كتابه بلاغة الإمام وركز في شكه على النص الذي قمنا بتوثيقه، راجع الكتاب المذكور ص٢٦ وما بعدها.

المقولة، وهذا ما سنحاول إثباته قبل مناقشة القول من جوانبه الأخرى.

يعتبر النص الأول من باب الخطب في النهج من أطول النصوص وأشملها حيث ابتدأ بخلق السماء والأرض، وخلق آدم، واشتمل على جوانب هامة وكثيرة من علم التوحيد، وتنزيه الخالق عن الصفات، وخلق السماء والأرض، وقصة آدم، ومعصية إبليس، وهبوط آدم إلى الأرض ثم تكليف الرسل، واختتام الرسالة بمحمدﷺ ثم وصف القرآن الذي أنزل على الرسول وما حواه الكتاب الكريم من علوم، وعلاقة ذلك بالسنة النبوية الشريفة، ثم ختم الخطبة بذكر الحج. فالخطبة من النصوص الطويلة نسبياً التي أوردها الشريف الرضي، إلاّ أنه لم يذكر اسنادها ولا المصدر الذي أخذ منه. وهي الخطبة التي حامت حولها الشكوك، بسبب ورود كل المصطلحات التي أنكرها الشاكون في سياقها بالتفصيل، فهي المثال الذي يتخذه أولئك ذريعة لاتهامهم جانب التوحيد والعدل في النهج. ولكن بتتبعنا لها في المصادر الأخرى تأكد لنا أنها ممّا أثر عن علي، خاصة الجزء المشكوك فيه منها.

فمن ذلك ذكر الراوندي لإسنادها المتصل بعلي بن أبي طالب وتعقيبه على ذلك الإسناد بقوله «ولو أردت ذكر ما حذفه الرضي من هذه الخطبة لطال هذا الكتاب»[(١)]، كما ورد الجزء الخاص بنفي الصفات عن الله سبحانه عند أبي علي السكوني (ت ٧١٧)[(٢)]، هذا وإن كانت وفاته بعد

---

(١) منهاج البراعة ١/ ١٠٩.

(٢) راجع عيون المناظرات ص١٨٢ حتى ١٨٤ وقارن ذلك بما ورد في نص رقم ١ من باب الخطب في النهج.

الشريف الرضي (ت ٤٠٦) جامع النهج، إلاّ أن الإختلاف في الرواية عند كلا المؤلفين يؤكد بأن مصدر السكوني غير مصدر الرضي، أضف إلى ذلك أن الزمخشري قد أورد جزءا من الخطبة في باب «السماء والكواكب»[١]، وجزءا آخر في باب (الملائكة)[٢] باختلاف يسير أيضاً في روايته، وهذا يؤكد صحة نسبة الخطبة لعلي عليه السلام على ما أعتقد، ثم أنه يؤكد نسبة ما ورد في النهج مثلها إذا ما وضعنا في اعتبارنا المقارنة بين أساليب النصوص والتشابه التام في نظمها.

وعليه فإن المصطلحات التي وردت في النهج لعلي عليه السلام هي من ابتكاره، والذين ينكرون وجود مثل تلك الكلمات الجديدة في عصر صدر الإسلام إنّما يحاولون إلغاء التطور الذي أحدثه الإسلام في اللغة العربية بتأثير القرآن الكريم، كتغيير لبعض المفاهيم العربية كمعنى (زكاة، وصلاة)[٣] ثم إنهم ينكرون الإشتقاق والنحت ممّا يجعلهم يشكون في

---

(١)،(٢) راجع ربيع الأبرار للزمخشري ١/ ١١٤، ١١٥، ٣٧٢، وقارون ذلك بما ورد في نص رقم ١ باب الخطب.

(٣) بشأن تغيّر المعنى بتغيّر الظرف، يقول ابن فارس في الصاحبي من فقه اللغة ص٣٨«كان العرب في جاهليتها على ارث من آبائهم في لغاتهم ونسائهم وقرابينهم، فلما جاء الله ـ جل ثناؤه ـ بالإسلام، حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت... »، أما بشأن ما أستحدث في اللغة من جديد في الإسلام فيحدثنا ابن دريد في المجتنى ص٢١، فيقول«قال علي رضوان الله عليه: ما سمعت كلمة عربية إلا وسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله، سمعته يقول«مات حتف أنفه» وما سمعتها من عربي قبله صلى الله عليه وآله. وورد في المزهر للسيوطي ١/ ٣٠٢«وفي الصحاح قال أبو عبيد: الصّير في الحديث أنه شق الباب، ولم يسمع هذا الحرف، وقال: والزمّارة في الحديث أنها الزانية، قال أبو عبيد: ولم أسمع هذا =

قدرة المسلمين الأوائل على توليد كلمات مثل (العلة والمعلول، والسبب والمسبب، والأزل والأزلية، والأين، والكيف) والسبب في شكهم أنهم لم يجدوا لها شواهد في كلام العرب، فهل وجدوا شواهد في كلام العرب لكل ما جاء به القرآن الكريم[(١)]؟ وهل يريدون أن تقف العبقرية اللغوية عند

= الحرف إلاّ في الحديث، ولا أدري من أي شيء أخذ. وفي ذلك دلالة على أن اللغة تتطور بتطور الظروف، كما أن الاختراع في اللغة لم يكن مقصوراً على عرب الجاهلية بدلالة ما أثر عن الرسول ﷺ، وعلي بن أبي طالب عليه السلام ربيب الرسول وتلميذه، فلا غرابة أن يأتي في اللغة بالمخترع الجديد. وقد أشار إلى بعض من ذلك الرضي أثناء تعليقه في النهج على قول الإمام «فما عدا ممّا بدا» بقوله: «وهو عليه السلام أول من سمعت منه هذه الكلمة».

ثم أن قول الحوفي في كتابه بلاغة الإمام علي ص١٢٧ «بأن كلمة الأزل غير عربية» يفتقر إلى الدقة والنزاهة العلمية، لأن معنى «الأزل بالتحريك: القدم، يقال أزلي. ذكر بعض أهل العلم أن أصل هذه الكلمة قولهم للقديم: لم يزل، ثم نسب إلى هذا فلم يستقم إلاّ بالاختصار، فقالوا: يزلي، ثم أبدلت الياء، ألفاً لأنها أخف، فقالوا: أزلي كما قالوا في الرمح المنسوب إلى ذي يزن: أزني، ونصل أثربي»، ابن فارس (ت ٣٩٥) مجمل اللغة ١/ ٩٤، ٩٥، الجوهري (ت ٣٩٨) الصحاح ٤/ ١٦٢٢، ابن منظور (ت ٧١١) لسان العرب المحيط ١/ ٥٧، الفيروز آبادي (ت ٨١٧) القاموس ١/ ٥٧ بترتيب الزاوي.

(١) وردت في القرآن الكريم كلمات عربية كثيرة لم يرد لها شواهد في الشعر الجاهلي من ذلك قوله تعالى «﴿ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ الآية ـ الحجرات٦» قال ابن الإعرابي: لم يسمع في كلام الجاهلية في شعر ولا كلام (فاسق). قال: وهذا عجب، كلام عربي ولم يأت في شعر جاهلي ـ ابن فارس ـ مجمل اللغة ٣/ ٧٣١. كما ورد قوله تعالى «﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾ الآية ـ الحج / ٢٩». والتفث: ما كان من نحو قص الأظافر والشارب، وحلق الرأس والعانة، ورمي الجمار، ونحر البدن، قال أبو عبيد: ولم يجيء فيه شعر يحتج به ـ صحاح الجوهري ١/ ٢٧٤. وبالإمكان مراجعة ذلك وأمثاله كثير عند السيوطي في المزهر ١/ ٢٩٤ وما بعدها.

الشاهد اللغوي لا تتعداه؟ لأن عدم وجود الشاهد اللغوي لا يعني عدم ابتكار كلمات أو مصطلحات جديدة فطاقات اللغة لا يحدها زمن، إلاّ أن الناس ـ بالنسبة إلى الإبتكار فيها «رجلان: رجل شغل بالفرع فلا يعرف غيره، وآخر جمع الأمرين معاً، وهذه الرتبة العليا، لأن بها يعلم خطاب القرآن والسنة، وعليها يعوّل أهل النظر والفتيا، وذلك أن طالب العلم اللغوي يكتفي من أسماء الطويل باسم الطويل لا يضيره ألا يعرف الأشق والأسق»[١]، لذا فإن كل ما ورد في النهج ممّا سمي بالمصطلحات الفلسفية، هو من باب الإشتقاق ممّا لا يدعو إلى الريبة في صدوره عن علي، أو عن غير علي عليه السلام من صحابة الرسول صلى الله عليه وآله ممّن لهم الباع الطويل في فهم القرآن فهماً عميقاً.

أما البحث في الوجود والكون والخلق والخالق فلم يكن وقفاً على العصر الأموي أو العصر العباسي، لأنه وإن كان بسيطاً في بدايته فهو معرق في القدم، من ذلك ما ورد في الذكر الحكيم عن بحث ابراهيم عليه السلام عن الحقيقة في قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ۝٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ۝٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝٧٨﴾[٢]. كما «كان للعرب قبل ظهور القرآن شيء من النظر العقلي في بعض النواحي الفلسفية، وإن لم

---

(١) السيوطي ـ المزهر ١/ ٥.

(٢) الأنعام/ ٧٤.

يكن ذلك قائماً على أساس أو منهج معروف محدّد»[١]، فقول طرفة بن العبد (طويل):

فَذَرْنِي أُرَوِّيْ هَامَتِي فِي حَيَاتِهَا ... مَخَافَةَ شُرْبٍ فِي الحَيَاةِ مُصَرَّدِ
كَرِيمٌ يُرَوِّي نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ ... سَتَعْلَمُ إنْ مُتْنَا غَداً أَيُّنَا الصَّدِي
أَرَى المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ وَيَصْطَفِي ... عَقِيلَةَ مَالِ الفَاحِشِ المُتَشَدِّدِ
أَرَى الدَّهْرَ كَنْزاً نَاقِصاً كُلَّ لَيلَةٍ ... وَمَا تُنْقِصُ الأيَامُ وَالدَّهرُ يَنفَدِ[٢]

فوقفته تلك تعكس وجهة نظر فلسفية بسيطة، تتناسب ونزق الشباب والحياة اللاهية، ممّا يجعلها تختلف عن تأمل أكثم بن صيغي في الحياة والموت في تعزيته لعمرو بن هند في أخيه بقوله: «إنّ أَهْلَ الدّارِ سَفْرٌ لاَ يَحِلّوْنَ عَقْدَ الرِّحَالِ إلاّ فِي غَيْرِهَا، وقَدْ أَتَاكَ مَا لَيْسَ بِمَرْدُودٍ عَنْكَ، وَارْتَحَلَ عَنْكَ مَا لَيْسَ بِرَاجِعٍ إلَيْكَ، وَأَقَامَ مَعَكَ مَنْ سَيَظْعَنُ عَنْكَ وَيَدَعَكَ»[٣]. وهذا التأمل البسيط في الحياة والموت هو ما حدا بالعربي في صحرائه للبحث عن حقيقة الوجود وسر الحياة فتمثل الجن، وأخذ بنصح الكهان، حتى جاء الإسلام، فطرح في القرآن الكريم مشكلة الخلق والخالق، فكان التوحيد أول أركان الإسلام، وتقبل المسلمون ذلك في بداية الأمر ببساطة، ودونما أية مناقشة، لانشغالهم بنشر الدعوة، ولكن ما لبثوا بعد وفاة الرسولﷺ حتى أخذوا في التساؤل عن آي القرآن الكريم

---

(١) محمد يوسف موسى ـ القرآن والفلسفة ص١٧.

(٢) القرشي ـ جمهرة أشعار العرب ٣٢٧ ـ ٣٣٠ وهامتي: رأسي، والمصرد: المقلل والصدي: العطشان، ويعتام: يختار، ويصطفي: يأخذ صفوته وخيرته، وعقيلة المال: أكرمه وأحسنه وأنفسه، والفاحش: السيء الخلق، والمتشدد: البخيل.

(٣) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد، ٣/ ٣٠٧.

وعن صفات الخالق، من ذلك أن يهوديا حضر مسجد المدينة على عهد أبي بكر وقال له «أريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلاّ نبي أو وصي نبي، فقال أبو بكر: سل عمّا بدا لك، قال اليهودي: أخبرني عمّا ليس لله، وعمّا ليس عند الله، وعمّا لا يعلمه الله، فقال أبو بكر: هذه مسائل الزنادقة يا يهودي، وهمّ أبو بكر والمسلمون رضي الله عنهم باليهودي، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما أنصفتم الرجل. . . فقام أبو بكر ومن حضر معه حتى أتوا علي بن أبي طالبعليه السلام . . . فقال علي: ما تقول يا يهودي، فرد اليهودي المسائل. فقال عليعليه السلام : أما ما لا يعلمه الله فذلك قولكم يا معشر اليهود إن العُزَيْرَ ابنُ الله، والله لا يعلمُ أَنّ له وَلداً، وأمّا قولك أخبرني بما ليس عند الله، فَلَيْسَ الله عِنْدَهُ ظِلْمٌ للعِبَادِ، وَأَمّا قولك أخبرني بما ليس لله، فَلَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ»[1]، وتلك مرحلة من مراحل الجدل الفلسفي البسيط على ما نعتقد. وشبيه منه سؤال رجل لعليعليه السلام «أين كان ربك قبل أن يخلق السماوات والأرض؟»[2]. لأن القرآن الكريم قد حثّ الإنسان على استخدام العقل لاستنباط الأشياء وعدم قبول الأمور على علاتها. قال تعالى ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[3]، فالغفلة هي عدم البحث عن الحقيقة المؤدية إلى الإيمان التام.

---

(١) ابن دريد ـ المجتنى ص٤٥.

(٢) السكوني ـ عيون المناظرات ١٣٨.

(٣) الأعراف / ١٧٩.

إن الأسئلة التي طرحها اليهودي على أبي بكر، والسؤال الذي طرحه الرجل على علي عليه السلام كلها تصب في مجرى واحد هو البحث في قضية الكون، وخالقه، وهي القضايا التي لم ينفك علي عليه السلام يتحدث فيها كلما واتته المناسبة، لإدراكه العميق بأهميتها بالنسبة لبقاء الإيمان الصادق ثابتاً وقويا في النفوس، فلشعوره بتزعزع قيم الإسلام الروحية أمام القيم المادية التي نتجت عن الفتوح واختلاط المسلمين بغيرهم، وبسبب الأهمية التي يوليها علي عليه السلام للتوحيد، فقد جعله العنصر الأساسي في وصيته لابنه الحسن بقوله «وَأَنْ أَبْتَدِأَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ الله وَتَأْوِيلِهِ وَشَرَائِعِ الإِسْلاَمِ وَأَحْكَامِهِ وَحَلاَلِهِ وَحَرَامِهِ، وَلاَ أُجَاوِزَكَ إِلى غَيْرِهِ، ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ مِثْلَ الَّذِي الْتَبَسَ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتُ مِنْ تَنْبِيْهِكَ لَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلاَمِكَ إِلَى أَمْرٍ لاَ آمَنُ عَلَيْكَ فِيهِ الهَلَكَةَ»[١].

إذن فالقول بعدم خوض علي عليه السلام في قضايا التوحيد والعدل والتنـزيه يحتاج إلى دليل يدّعمه، فلم يكن في سيرته ما يشير إلى عقابه لسائل عن تلك القضايا كما لم يؤثر عنه ترك مجادلة القدرية في عصره، فالمواقف التاريخية كلها تشير إلى معالجته لذلك، فالنصوص المأثورة عنه في غير النهج[٢] تبطل

---

(١) رسائل ٣١، فقرة ٦.

(٢) حول القضاء والقدر ومناظراته مع القدرية، راجع: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص١٤٦، عيون المناظرات ص١٧٦، وحول التنزيه ونفي الصفات عن الخالق جل شأنه، راجع أقوال علي عليه السلام في: العقد الفريد ٤/ ٧٦، ترجمة الإمام علي عليه السلام في تاريخ دمشق ٣/ ٢٣٢، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص١٤٦، عيون المناظرات من ص٢٤٥ حتى ١٧٨.

زعم القائلين «بظهور أثر الصنعة ـ في أقواله ـ ظهوراً يساير ما كان قد نشأ في دولة بني العباس من ثقافة اليونان وطرائق تفكيرهم»[١]. فنسبة ما ورد في نهج البلاغة إلى المعتزلة يتعارض مع رواية ابن النديم «حدثنا أبو الهديل العلاف، قال: أخذت الذي أنا عليه من العدل والتوحيد، عن عثمان الطويل، قال أبوالهديل: وأخبرني عثمان أنه أخذه عن واصل بن عطاء، وأن واصلاً أخذه عن أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية وأن عبدالله أخذه من أبيه محمد بن الحنفية، وأن محمداً أخبره أنه أخذه عن أبيه عليه السلام، وأن أباه أخذه عن الرسول صلى الله عليه وسلم»[٢]، فإقرار رؤوس المعتزلة بأخذهم التوحيد والعدل والتنزيه عن علي بن أبي طالب عليه السلام يؤيد صحة ما نسب إليه من ذلك، كما أن ما أثر عن أئمة أهل البيت من أقوال في ذلك الشأن[٣] يعضد تلك النسبة، خاصة أن التوحيد والعدل من الأصول التي يعتمدها الشيعة الإمامية في مذهبهم[٤] اقتداء بعلي عليه السلام وأولاده من الأئمة الإثني عشر.

٦ ـ استخدام التقسيم في شرح المسائل ووصفها[٥]:

إن التقسيم العددي ليس هو الباعث الحقيقي على الشك في بعض

---

(١) الباقوري ـ علي إمام الأئمة ص٣٦.

(٢) ابن النديم ـ الفهرست ٢٠٢.

(٣) راجع على سبيل المثال ما ورد عند ـ الكليني ـ أصول الكافي ١/ ٧٢ وما بعدها.

(٤) عن ذلك يقول الزنجاني في كتاب عقائد الإمامية الإثني عشرية ١/ ٢٥«أن الله تعالى واجد الوجود بذاته ولِذَاتِه وفي ذاته، ومنزّه عن التجسيم والحلول والتركيب والنقائص ومستجمع لجميع صفات الكمال من العلم والقدرة والإرادة والعدل ونحوها وأن صفاته الحقيقية عين ذاته وهو الواحد الأحد لا شريك له...».

(٥) قال بهذا الرأي أحمد أمين في فجر الإسلام ص١٤٩.

نصوص النهج لأنه قديم قدم اللغة، والذين قالوا بذلك يدركون تمام الإدراك بأنه موجود في الشعر الجاهلي، فقد كان الخليفة عمر بن الخطاب يتعجب من قول زهير (وافر):

فَإِنَّ الحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلاثٌ ... أَدَاءٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جَلاءُ[١]

ومن التقسيم أيضاً قول الأعشى ميمون بن قيس (خفيف):

ظَلَلْنَا مَا بَيْنَ شَاوٍ وَذِي قِدْ ... رٍ وَسَاقٍ وَمُسْمِعٍ مِحْفَالِ[٢]

ومنه أيضاً في الشعر الجاهلي قول طرفة بن العبد (طويل):

فَلَوْلا ثَلاثٌ هُنَّ مِنْ عِيشَةِ الفَتَى ... وَجَدِّكَ لَمْ أَحْفَلْ مَتَى قَامَ عُوَّدِي

فَمِنْهُنَّ سَبْقُ العَاذِلاَتِ بِشَرْبَةٍ ... كُمَيْتٍ مَتَى مَا تُعْلَ بِالمَاءِ تُزْبِدِ

وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ والدَّجْنُ مُعْجِبٌ ... بِبَهْكَنَةٍ تَحْتَ الخِبَاءِ المُعَمَّدِ

وَكَرِّي إِذَا نَادَى المُضَافُ مُحَنَّباً ... كَسِيدِ الغَضَا ذِي السَّوْرَةِ المُتَوَرِّدِ[٣]

وممّا جاء من تقسيم في النثر الجاهلي قول قبيصة بن نعيم حين وفوده وقومه على أمرئ القيس ومنه: «فَأَحْمَدُ الحَالاتِ فِي ذَلِكَ أَنْ تَعْرِفَ

---

(١) ابن رشيق ـ العمدة ١/ ٥٥.

(٢) أبوزيد القرشي ـ جمهرة أشعار العرب ٢٣٤، محفال: يجتمع الناس لسماع غنائه لجمال صوته.

(٣) السابق ٣٢٦، ٣٢٧ ـ العوّد: الزوار عند المرض، العاذلات: اللوم، الكميت: الخمر التي تضرب إلى السواد، تعل بالماء: تخلط بالماء، تقصير يوم الدجن: تخصيص يوم المطر، ببكهنة: الحسنة الخلق، الخباء: بيت الشعر، المضاف: المُحْرَج الذي أُحِيطَ بِهِ، محنباً، المحنب: الذي بدت عظامه من الجوع والاعياء، والسيد: الذئب، شجر صحراوي وذئابه من أخبث الذئاب، ذي السورة: البالغ العطش، المتورد: الذي بلغ ورد الماء.

الوَاجِبَ عَلَيْكَ فِي إحْدَى خِلاَلٍ: إمّا أنِ اخْتِرْتَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَشْرَفَهَا بَيْتاً، وَأَعْلاَهَا فِي بِنَاءِ المَكْرُمَاتِ صَوْتاً، فَقَدَّمْنَاهُ إلَيكَ بِنِسْعِهِ تُذْهِبُ مَعَ شَفَرَاتِ حُسَامِكَ قَصْدَتَهُ فَيَقُولُ رَجُلٌ: إمْتُحِنَ بِهُلْكِ عَزِيْزٍ فَلَمْ تُسْتَلَّ سخيمته إلاّ بِتَسْكِيْنِهِ من الإنْتِقَام، أَوْ فِدَاءً بِمَا يَرُوحُ مِنْ بني أَسَدٍ مِنْ نِعَمِهَا فَهِيَ أُلُوفٌ تُجَاوِزُ الحِسْبَةَ، فَكَانَ ذَلِكَ فِدَاءً رَجَعَتْ بِهِ القُضُبُ إلى أَجْفَانِهَا لَمْ يَرْدِدْهُ تَسْلِيْطُ الإِحَنِ عَلَى البُرَءاءِ، وِأَمّا أنْ تُوَادِعَنَا حَتّى تَضَعَ الحَوَامِلُ فَنُسْدِلُ الأُزُرَ وَنَعْقِدُ الخُمُرَ فَوْقَ الرَّايَاتِ. . . »[1].

وفي صدر الإسلام ورد التقسيم في الحديث الشريف، فممّا أثر عنه ﷺ في ذلك قوله «أُحِلَّتْ لَنَا مِيْتَتَانِ وَدَمَانِ، فَأَمَّا المِيْتَتَانِ فالسَّمَكُ وَالجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ فَالكَبِدُ والطُّحَالُ»[2]، ومن التقسيم في حديث أبي بكر قوله «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيْهِ كُنَّ عَلَيْهِ: البَغْيُ والنَكْثُ وَالمَكْرُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾، وَقَالَ تَعَالَى ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾، وقال تعالى ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾»[3]. ومنه في حديث عمر قوله «ثَلاَثٌ قَدْ ضَمَنَهُنَّ الله تَعَالَى وَلاَ خَلَفَ فِيْهِنَّ: إنّ الله لاَ يُضِيْعُ أَجْرَ المُحْسِنِيْنَ، إنَّ الله لاَ يَهْدِي كَيْدَ الخَائِنِينَ، إنَّ الله لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ المُفْسِدِينَ»[4]. ومنه في حديث عثمان قوله «أَصْلَحُ الأَعْمَالِ ثَلاَثٌ: خَوْفُ

---

(١) الاصفهاني ـ الاغاني ٩/ ١٠١، خلال: خصال، النسع: السَير الذي تقاد به الدابة وهو هنا كناية عن الانقياد والطاعة، حسامك: سيفك، السخيمة: الحقد، نعمها: حيواناتها ودوابها، القضب: السيوف، أجفانها: أغمادها، الاحن: الحقد، تضع الحوامل: تلد النساء والعبارة وما بعدها كناية عن طلب مهلة أو هدنة.

(٢) الثعالبي ـ برد الاكباد في الاعداد ص١٠٤ ـ ١١٤.

(٣)،(٤) الثعالبي ـ السابق.

اللهِ تَعَالَى فِي السِّرِّ وَالعَلاَنِيَةِ، وَالحُكْمُ بِالعَدْلِ فِي حَالِ الرِّضَى وَالغَضَبِ، وَالإِقْتِصَادُ فِي الغِنَى وَالفَقْرِ»[1]. ولو أردنا استقصاء ذلك لطال بنا المقال. وعليه فلا مجال للشك في نسبة ما ورد من تقسيم عددي في النهج لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

فالشك الذي قيل عن التقسيم العددي موجه بالذات إلى رسالة علي عليه السلام التي كتبها لقاضيه شريح عندما بلغه أنه اشترى داراً بثمانين ديناراً[2] وكتب بذلك عهداً أشهد فيه شهوداً، فكتب له الإمام بذلك عهداً ينعى عليه فعلته، وما ورد في ذلك العهد من تقسيم وتحديد هو الباعث الحقيقي لذلك الشك، لأنه لم يؤثر عن الصحابة نص نسج على منواله، لكن ابن أبي الحديد قد اتخذ من شرط الإمام علي عليه السلام الذي كتبه لشريح دلالة على أن مثل ذلك الشرط كان معمولاً به في زمن الصحابة، إلا أن أحداً منهم لم ينقل الصيغة الفقهية إلى المعنى الوعظي سوى الإمام علي عليه السلام[3]. والشاكون في هذا النص يأخذون عليه التحديد الدقيق للشرط الفقهي بادعاء أن مثل ذلك لم يتبلور بعد في عصر صدر الإسلام.

ويدحض ذلك الزعم ما ورد في القرآن الكريم من دقة متناهية في كتابة الشروط كما ورد في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا

---

(١) الثعالبي ـ السابق.

(٢) يقول أحمد أمين في فجر الإسلام ص١٤٨: «... نهج البلاغة وهو يشتمل على كثير من الخطب والأدعية... وقد شك في مجموعها النقاد... كالذي فيه من وصف الدار وتحديدها بحدود وهي أشبه بتحديد الموثقين...».

(٣) راجع شرح النهج ١٤/ ٣٠ ـ ٣١.

عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾[١]، فشروط الدين كما ينص القرآن الكريم عليها هي من الدقة المتناهية بحيث يمكن اعتبارها نموذجاً يحتذى به في كتابة العقود الفقهية الأخرى التي ضاعت في خضم ما ضاع من التراث الإسلامي. أضف إلى ذلك ما قام به عثمان بن حنيف من مسح لسواد العراق بتكليف من الخليفة عمر بن الخطاب بعد فتح فارس[٢]، فيه دلالة على معرفة المسلمين الأوائل بعمليات المسح وتحديد الأراضي، لأن مسح تلك المساحات الشاسعة وتحديد حدودها الجبائية من قبل أحد الصحابة يعني بدهياً أنه لا يعوز علي عليه السلام ـ وهو أفقه الأمة وأقضاها ـ أن يملي شرطاً مماثلاً لشروط ابتياع الأملاك.

ثم إن ذلك الشرط يتناسب تماماً والزهد الذي التزمه علي عليه السلام وحثّ قضاته وعماله عليه فهو قد اقتبس من شرط تحديد العقار شكله، أما المضمون فقد نحا به نحواً زهدياً الهدف منه الوعظ.

وممّا يجعلنا أكثر اطمئناناً في نسبة النص لعلي عليه السلام، وروده باختلاف

---

(١) البقرة / ٢٨٢.

(٢) راجع ـ أبوعبيد: الأموال ص٦٨ وما بعدها، وراجع أيضا: البلاذري ـ فتوح البلدان ص٢٦٨، فقد ورد فيه«أن عمر بن الخطاب بعث عثمان بن حنيف الأنصاري يمسح السواد فوجده ستة وثلاثين ألف ألف جريب».

في روايته عند الصدوق (ت٣٦١) في أماليه[١]، كما ورد النص أيضاً باختلاف في بعض عباراته وسند متصل بالشعبي عند سبط ابن الجوزي (ت٦٥٤)[٢] بحيث لا يمكن الشك في نسبة النص لعليعليه السلام، ولا فيما ورد من تقسيم عددي منسوب إليه في النهج كما نعتقد.

٧ ـ ورود كثير من المغيبات في ثنايا بعض نصوص النهج[٣] :

أورد الشريف الرضي في (نهج البلاغة) نصوصاً تحكي حوادث مستقبلية تأولها كل حسب تصوره واعتقاده، من ذلك وصف التركمان، أو شعوب ما وراء النهر أو المغول حسب تفسير البعض[٤]، كما وردت نصوص مأثورة عن عليعليه السلام يتنبأ فيها بما سيحدث من فتن وما سيصيب الناس جراء تلك الفتن من جوع وقتل وتشريد[٥] إلى غير ذلك من أمور كظهور المهدي[٦] وحكم بني أمية[٧] وما سيصيب الكوفة من إذلال بفعل الحجاج[٨] وغرق البصرة[٩]. كل ذلك جعل بعض الدارسين يشكك في

---

(١) أمالي الصدوق ـ المجلس ٥١ ص٢٥٦، وراجع في ترجمة الصدوق الكنى والألقاب ١/ ٢١٢.

(٢) تذكرة خواص الأمة ص١٤٩.

(٣) يقول العقاد في عبقرية الإمام ص١٢٦«من المحقق الذي لا خلجة فيه من الشك عندنا أن النبوءات التي جاءت في نهج البلاغة عن الحجاج بن يوسف وفتنة الزنج وغارات التتار وما إليها هي من مدخول الكلام عليه. وممّا أضافه النساخ إلى الكتاب بعد وقوع تلك الحوادث بزمن قصير أو طويل».

(٤) إلى (٩) راجعها جميعها حسب ترتيبها في المتن ـ جدولة الخطب النصوص رقم: (١٢٨) (١٠٠، ١٠٧، ١٣٨، ١٥١)، (٩٧، ١٦٠)، (١١٥)، (١٤).

نسبتها لعلي عليه السلام، وينظرون إلى ذلك من زاويتين:

الأولى ـ تاريخية: وتتمثل في التنبؤ بالمغول وما سيحدثونه من رعب في أرض الإسلام وهذا يتنافى ومنطق التاريخ لبعد الشقة الزمنية بين علي عليه السلام وبين حملات التتار على دولة الإسلام إذ سقطت بغداد سنة ٦٥٦ بينما كانت وفاة علي عليه السلام سنة ٤٠، ممّا يجعل أولئك الشاكين يجزمون بأن مثل ذلك قد أضيف على النهج في فترة متأخرة بعد وفاة جامعه الشريف الرضي ويمكن الرد على هذا الزعم من ناحيتين:

١ ـ بخصوص ما زعم من إضافات إلى (النهج) بعد الشريف الرضي، ويدحض ذلك النسخة التي كانت بخط الشريف الرضي، والنسخ التي نقلت عن تلك النسخة في عصره، أي قبل بدء حملات التتار فكل تلك النسخ تذكر النص الذي حامت حوله الشكوك بسبب ورود أوصاف تلك الشعوب ضمنه، وغزوهم دولة الإسلام، ونسخة الرضي تلك من النسخ التي عوّل ابن أبي الحديد عليها في شرحه، ويؤيد ذلك إشارته إليها في مواضع متفرقة من ذلك الشرح. كما أن نسخ (نهج البلاغة) المخطوطة منها والمطبوعة ـ على كثرتها ـ لا تكاد تختلف إلاّ في ترتيب بعض النصوص بالتقديم والتأخير، وقد أشار إلى ذلك ميثم البحراني في شرحه[1]. فلو كانت هناك أية إضافات لكانت بعض النسخ أقصر من الأخرى إذ «كان طبيعياً بعد أن استفاضت شهرة الكتاب وطبقت الآفاق، وتواتر متنه على ألسنة الأدباء والفضلاء أن يقلّ الإختلاف في نصه، وأن ينتقل من جيل إلى جيل برواية تكاد

---

(١) راجع شرح نهج البلاغة لميثم ٣/ ٤١٣.

تكون واحدة. وإذا أضفنا إلى شهرته الأدبية ما أحيط به من معاني التعظيم ـ بل التقديس ـ ولاسيما لدى إخواننا علماء الشيعة الكرام، لم نعجب لسلامته من الزيادة والنقصان، وندرة ما وقع فيه من التحريف والتصحيف»[١]. إضافة إلى ذلك فإنه بمناسبة الذكرى الألفية لوفاة الشريف الرضي فقد قام السيد عبدالعزيز الطباطبائي بدراسة لحياته ومؤلفاته[٢]، وقد وقف طويلاً عند (نهج البلاغة) وذكر بعضاً من مصادره، وتعرض أيضاً لذكر مخطوطاته الباقية في المكتبات منذ عصر الرضي حتى القرن الثامن الهجري، وقد عرض إلى مخطوطة سنة تسع وستين وأربعمئة لناسخها الحسين بن الحسن بن الحسين المؤدب وهو من أعلام القرن الخامس الهجري، وقد عاصر الشريف الرضي فيما يعتقد، وتعتبر النسخة من أقدم النسخ المخطوطة للنهج وأنفسها، وقد قامت لجنة الإحتفال بتصويرها وتمكنا من الحصول على صورة من تلك المخطوطة وبتصفحنا إياها وجدنا الخطبة مثار الشك موجودة ضمن نصوصها مع ملاحظة أن النسخة قد فرغ من كتابتها قبل سقوط بغداد بمئة وتسع وثمانين سنة، ويمكن ملاحظة ذلك من الصور الأربع التي اجتزأناها من المخطوطة. لذا فإن الإدعاء بالزيادة في نهج البلاغة بعد الشريف الرضي ـ في اعتقادنا ـ ضرب من المكابرة.

٢ ـ إن ما ورد من وصف في (نهج البلاغة) لتلك الشعوب، فقد ينطبق على

---

(١) صبحي الصالح ـ مقدمة تحقيق النهج ص١٨.

(٢) راجع مجلة تراثنا، العدد ٥ ـ السنة الأولى ١٤٠٦ ـ ١٩٨٥، ص٥٥ وما بعدها.

المغول أو على غيرهم من شعوب القوقاز الأخرى التي غزت البلاد الإسلامية وتسلطت على الخلافة، فالنص في اعتقادنا لا يحدد جنساً معيناً أو بالأحرى لا يعني التتار بالذات ولم يضف إلى النهج بعد غزوهم لبغداد، فمن الدلالات المؤكدة على وجود النص في نهج البلاغة قبل سقوط بغداد سنة ٦٥٦ وجوده في نسخ نهج البلاغة التي اعتمدها ابن أبي الحديد في شرحه، وكما هو معلوم أن ابن أبي الحديد قد شرع فيه قبل سقوط بغداد فقد تم تصنيف الشرح «في مدة قدرها أربع سنين وثمانية أشهر وأولها غرّة رجب سنة أربع وأربعين وستمائة، وآخرها سلخ صفر من سنة تسع وأربعين وستمائة»(١)، كما أن الشارح قد توفي سنة ٦٥٥ أي قبل سقوط بغداد بعام بحيث يمكن القول أن النص لم يضف إلى النهج بعد حملة التتار على بغداد.

ثم إن الوصف الذي ورد في (نهج البلاغة) لتلك الشعوب، هو ذات الوصف الذي أثر عن الرسول ﷺ فيها، من ذلك قوله ﷺ «يَنزلُ الناسُ مِنْ أمتي بِغَائِطٍ يسمونَهُ البُصَيرةَ عِندَ نَهرٍ يُقَالُ لَهُ دِجْلَة، يَكُونُ عَلَيْهِ جِسْرٌ، يَكْثُرُ أَهْلُهَا وَتَكُونُ مِنْ أَمْصَارِ المُهَاجِرِينَ - وفي رواية أخرى المُسْلِمِينَ - فَإذا كَانَ آخرُ الزّمَانِ جَاءَ بَنُو قَنْطُورا، عِرَاضُ الوُجُوهِ، صِغَارُ الأعْيُنِ حَتَّى يَنْزِلُوا عَلَى شَطِّ النَّهْرِ، فيتفرقُ أَهْلُهَا ثَلاثَ فِرَقٍ...»(٢)، وما ذكر في النهج من وصف لا يكاد يختلف في مضمونه عمّا ورد في الحديث الشريف.

---

(١) ابن أبي الحديد - شرح النهج ٢٠/ ٣٤٩ - دار إحياء التراث.

(٢) ابن الأثير - جامع الأصول ١٠/ ٤٠٣، وقد جاء في صحيح مسلم ٤/ ٢٢٣٣ ممثلة تحت رقم ٦٢ - ٦٦.



١ ـ الصفحة الأولى من مخطوطة لنهج البلاغة كتبت على ما يبدو، إمّا سنة ٤٩٩ أو سنة ٤٦٩ لناسخها الحسن بن الحسن بن الحسين المؤدب، أحد أعلام القرن الخامس الهجري ـ أي أنه قد تمّ الفراغ من كتابتها قبل غارات التتار وغزو بغداد من قبلهم (٦٥١ هـ).

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد حمد الله الذي جعل الحمد ثمناً لنعمائه ومعاذاً من بلائه ووسيلاً الى جنانه وسبباً لزيادة
احسانه والصلوة على رسوله نبي الرحمة وامام الائمة وسراج الامة المنتجب من طينة الكرم و
سلالة المجد الاقدم ومغرس الفخار المعرق وفرع العلاء المثمر المورق وعلى اهل بيته مصابيح الظلم
وعصم الامم ومنار الدين الواضحة ومثاقيل الفضل الراجحة صلى الله عليهم اجمعين صلوة تكون
ازاء لفضلهم ومكافاة لعملهم وكفاء لطيب فرعهم واصلهم ما انار فجر ساطع وخوى نجم طالع
فاني كنت في عنفوان السن وغضاضة الغصن ابتدأت بتاليف كتاب في خصايص الائمة عليهم
السلام يشتمل على محاسن اخبارهم وجواهر كلامهم حداني عليه غرض ذكرته في صدر
الكتاب وجعلته امام الكلام وفرغت من الخصايص التي تخص امير المؤمنين عليا عليه السلم
وعاقت عن اتمام بقية الكتاب محاجزات الايام ومماطلات الزمان وكنت قد بوبت ما
خرج من ذلك ابوابا وفصلته فصولا فجاء في اخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلم
من الكلام القصير في المواعظ والحكم والامثال والاداب دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة
فاستحسن جماعة من الاصدقاء ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره معجبين ببدايعه
ومتعجبين من نواصعه وسألوني عند ذلك ان ابتدئ بتاليف كتاب يحتوي على مختار
كلام امير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ
وادب علما ان ذلك يتضمن من عجايب البلاغة وغرايب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب
الكلم الدينية والدنياوية ما لا يوجد مجتمعا في كلام ولا مجموع الاطراف في كتاب اذ
كان امير المؤمنين عليه السلم مشرع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة ومولدها ومنه ظهر
مكنونها وعنه اخذت قوانينها وعلى امثلته حذا كل قائل خطيب وبكلامه استعان كل
واعظ بليغ ومع ذلك فقد سبق وقصروا وتقدم وتاخروا لان كلامه الكلام الذي عليه مسحة من
الكلام الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي فاجبتهم الى الابتداء

بذلك

٢ ـ الصفحة الثانية من المخطوطة نفسها وقد تضمن بنية مقدمة الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) جامع النهج.



٣ ـ صورة من الخطبة التي ذكر فيها وصف صاحب الزنج وغزو التتار من المخطوطة ذاتها ويمكن مقارنة خطّها وطريقة تنسيقها ضمن المخطوطة بغيرها من النصوص الواردة ضمنها.

٤ ـ صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة وقد ذكر فيها الناسخ اسمه وتاريخ فراغه من النسخ علماً بأن هذه المخطوطة من أقدم النسخ المخطوطة لنهج البلاغة في العالم.

الثانية : عقائدية:

فالغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، وما ورد في (نهج البلاغة) من مغيبات يتنافى وقوله تعالى ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[١]، وقد عرضنا لمفهوم علي بن أبي طالب عليه السلام للغيب في موضع آخر من هذا البحث[٢] ولكن الذي نريد أن نسجله هنا أن ما أثر من استكناه لبعض الأمور المستقبلية لم يكن قصراً على علي بن أبي طالب عليه السلام دون غيره من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أخذوا ذلك كله عنه صلى الله عليه وسلم. فلو رجع من قال بالشك فيما ورد في بعض النهج من استكناه لأمور مستقبلية إلى الصحاح الستة لوجد أن كل النصوص التي تعرضت للمغيبات في النهج تتماشى مع ما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك الشأن[٣]، بالإضافة إلى ذلك فقد أثر عن الخليفة عمر بن الخطاب ما هو أدق تفصيلاً ممّا ورد في النهج منه قوله لابن عباس عن خلافة علي عليه السلام «أما أنه سيليها بعد هياط ومياط ثم تزل قدمه فيها، ولا يقضي منها إربه، ولتكونن شاهداً ذلك يا عبدالله، ثم يتبين الصبح لذي عينين»[٤]، ومنه ما رواه ابن الأثير في ذكره لفتح (فسا، ودار بجرد) من فارس، إذ «دهم المسلمين أمر عظيم وجمع كثير وأتاهم الفرس من كل جانب، فرأى عمر فيما يرى النائم تلك الليلة معركتهم في ساعة من

---

(١) النمل / ٦٥.

(٢) راجع القضايا الكلامية في فكر علي بن أبي طالب عليه السلام ضمن هذا البحث ص٥٢٧ وما بعدها.

(٣) راجع جامع الأصول ٤/ ٤٢٩ في قتل عثمان، ٤٣١ في وقعة الجمل، ٤٣٢ في الخوارج، ٤٤٢ في أمر الحكمين، ٤٤٥ في ذكر بني مروان، ٤٤٦ في ذكر الحجاج.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٢/ ٨٠.

النهار، فنادى الغد الصلاة جامعة، حتى إذا كان في الساعة التي رأى فيها ما رأى خرج إليهم، وكان ابن زنيم والمسلمون بصحراء، إنْ أقاموا فيها أحيط بهم، وإنْ استندوا إلى جبل خلفهم لم يؤتوا إلاّ من وجه واحد، فقام وقال: يا أيها الناس إني رأيت هذين الجمعين، وأخبر بحالهما وصاح عمر وهو يخطب: يا سارية بن زنيم الجبل الجبل، ثم أقبل عليهم وقال: إنّ لله جنوداً ولعل بعضها أن تبلغهم، فسمع سارية ومن معه الصوت، فلجئوا إلى الجبل، ثم قاتلوهم من وجه واحد فهزمهم الله، وأصاب المسلمون مغانمهم»[1]، فمن الملاحظ أن الخليفة عمر بن الخطاب قد تمكن من إنقاذ جيش المسلمين وتوجيهه إلى النصر بفارس عن طريق حلم، ثم نداء في ساعة معينة من المعركة من على منبر المدينة المنورة التي بينها وبين أرض المعركة مسافات شاسعة.

واحتمال تصديق مثل ذلك والإعتقاد به، يستوجب احتمال تصديق ما أثر عن الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة من مغيبات، وإلا فإن الشك يشمل كل ما أثر عن الرسول وصحابته الكرام في هذا الشأن، إضافة إلى ذلك فإن المغيبات المأثورة عن علي عليه السلام لم يكن ليقتصر عليها (نهج البلاغة) فقط، فقد ورد الكثير منها عند المبرد[2] وعند أبي حنيفة الدينوري[3]، وكل ذلك يجعلنا نميل إلى الرأي القائل باحتمال صحة نسبة تلك النصوص إلى علي بن أبي طالب عليه السلام.

---

(١) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ٣/ ٢١ ـ ٢٢.

(٢) راجع الكامل في الأدب، ١/ ٣٠٣.

(٣) راجع الأخبار الطوال ص١٥١، ١٥٢.

٨ ـ ورد في النهج الكثير من النصوص التي فحواها الزهد والتصوف وذكر المسيح[1]:

يمكن أن نشك فيما ورد من نصوص زهدية في النهج، لو أنها لا تتناسب وسيرة من نسبت إليه تلك النصوص، ولكن واقع الحال يخالف ذلك، ففي سيرة علي عليه السلام من الأمثلة الكثيرة التي تؤكد أن ذلك المنحى من طبيعته، بحيث لا يمكن فصله إطلاقا عن سيرته، من ذلك ما أورده أحمد بن حنبل على لسانه «لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع، وإن صدقتي اليوم لأربعون ألفاً»[2]، ومنه أيضاً قول معاوية بن أبي سفيان «لو كان لعلي عليه السلام بيت من تبن وآخر من تبر لأبعد التبر قبل التبن»[3]. هذا وقد دار حديث حول الزهاد في مجلس عمر بن عبدالعزيز «فقال قائلون: فلان، وقال القائلون: فلان، فقال عمر بن عبدالعزيز: أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب عليه السلام»[4]، ويكفي دلالة على زهد علي عليه السلام قول ضرار «فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وهو قائم في محرابه، قابض على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين ويقول: يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا، إِلَيْكِ عَنّي، أَبِي تَعَرَّضْتِ؟ أم إِلَيّ تَشَوَّقْتِ؟ لاَ حَانَ حِيْنُكِ، هَيْهَاتُ: غُرّي غَيْرِي، لاَ حَاجَةَ لِيْ فِيْكِ، قَدْ طَلّقْتُكِ ثلاثاً لا رَجْعَةَ فِيْهَا، فَعَيْشُكِ قَصِيرٌ، وَخَطَرُكِ يَسِيْرٌ وَأَمَلُكِ حَقِيْرٌ، آهِ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ، وَطُولِ الطَّرِيْقِ، وَبُعْدِ السَّفَرِ، وَعَظِيْمِ

---

(١) راجع محمد سيد كيلاني ـ أثر التشيع في الأدب العربي، ص٦٠ ـ ٦١.

(٢) البنا ـ الفتح الرباني، ١٩/ ١٠٦.

(٣) ابن عساكر ـ ترجمة علي من تاريخ دمشق ٣/ ١٥٨ من تحقيق محمد باقر المحمودي.

(٤) ابن عساكر ـ السابق ٣/ ٢٠٢.

المَوْرِدِ»[١]. فالزهد جبلة زرعها الإسلام في أعماق عليعليه السلام بفعل عيشه في كنف أعظم الزهاد رسول اللهﷺ واقتدائه به في جميع شؤون حياته، فقد ورد في الأثر «عن ابن عباس، أن رسول اللهﷺ دخل عليه عمر رضي الله عنه، وهو على حصير قد أثر في جنبه، فقال: يا نبي الله، لو اتخذت فراشاً أوثر من هذا، فقال: مَا لِي وَالدُّنْيَا، مَا مِثْلِي وَمِثْلُ الدُّنْيَا إلاّ كَرَاكِبٍ سَارَ فِي يَومٍ صَائِفٍ، فَاسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»[٢]. لذلك فإن محاولة الدس فيما ورد من زهد في النهج بالقول بأثر المسيحية فيه لا يستند لأية حجة، لأن ما أسماه أولئك بمنهج المسيح ـ بسبب ذكر المسيح في نص واحد من (نهج البلاغة) ـ قد أثر الكثير منه عن صحابة الرسولﷺ، فأفرد أحمد بن حنبل فصلاً كاملاً بما أثر عنهم في «زهد عيسىعليه السلام ومواعظه»[٣]، وممّا أثر عن أبي هريرة في ذلك قوله «كان عيسى بن مريمعليه السلام يقول لأصحابه: اتَّخِذُوا المَسَاجِدَ مَسَاكِنَ، وَالبُيُوتَ مَنَازِلَ، وَكُلُوا مِنْ بَقْلِ البَرِيَّةِ وَانْجُوا مِنَ الدُّنْيَا بِسَلامٍ... واشربُوا الماءَ القَرَاحَ»[٤]، ومنه ما روي عن مالك بن أنس، قال «بلغني أن عيسى بن مريمعليه السلام قال لقومه: لا تُكْثِروا الكَلامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ الله فَتَقْسُو قُلُوبُكُمْ، فَإِنَّ القَلْبَ القَاسِي بَعِيْدٌ مِنَ الله، وَلَكِنْ لاَ تَعْلَمُونَ، وَلا تَنْظُرُوا فِي ذُنُوبِ النَّاسِ

---

(١) ورد هذا الخبر في كثير من المصادر منها ـ المسعودي ـ مروج الذهب ٢/ ٤٣٣، القالي الأمالي ٢/ ١٤٣، الحصري القيرواني ـ زهر الآداب ١/ ٤٠، ابن عبدالبر ـ الاستيعاب بهامش الاصابة ٣/ ٤٤، الابشيهي ـ المستطرف ١/ ٢١٠.

(٢) البنا ـ الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد ١٩/ ١٠٢.

(٣) كتاب الزهد ١/ ١٧٦ حتى ٢٠٣.

(٤) ابن مبارك ـ كتاب الزهد ص١٩٨.

كَأَنَّكُمْ أَرْبَابٌ، وانْظُرُوا فِيْهَا كَأَنَّكُمْ عَبْيدٌ، وإنَّمَا النَّاسُ رَجُلاَنِ: مُبْتَلَى وَمُعَافَى، فَارْحَمُوا أَهْلَ البَلاَءِ، واحْمِدُوا أَهْلَ العَافِيَةِ»[١].

وبالمقارنة بين ما ورد في النهج وبين ما روي عن الصحابة في زهد المسيح عليه السلام نلاحظ أن لا اختلاف بين هذا وذاك إلاّ في صياغة الألفاظ مع انطلاق المعاني ودورانها في رحاب الإسلام بعيدة كل البعد عن رهبانية المسيحية بالإنزواء عن الدنيا وترك ملذاتها. إضافة إلى ذلك فإنّ ما أسماه أولئك بمنهاج المسيح، لم يتعد في (نهج البلاغة) الأربعة أسطر وردت ضمن خطبة وعظية[٢]، ذكر فيها زهد النبي ﷺ وغيره من الرسل عليهم السلام، وذلك يجعلنا لا نرتاب في نسبتها هي وغيرها من النصوص الأخرى إلى علي عليه السلام، لأن الزهد في كل تلك النصوص يتطابق تماماً ونهج الإسلام لانطلاق ذلك الزهد من ذم الدنيا ولهوها، فهو مبني على:

ـ ما ورد في القرآن الكريم كما في قوله تعالى ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[٣].

ـ وما أثر عن الرسول ﷺ: «الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤمِنِ وَجَنَّةُ الكَافِرِ»[٤].

ـ ومن وصف عمر بن الخطاب لرسول الله ﷺ «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَظَلُّ اليَوْمَ يَتَلَوَّى، مَا يَجِدُ دَقْلاً يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ»[٥].

---

(١) السابق ص٤٤.

(٢) راجع باب الخطب، نص رقم ١٦١ حسب ترتيب الجدولة.

(٣) الحديد ٢٠ وآل عمران: ١٨٥.

(٤) صحيح مسلم ٤/ ٢٢٧٣.

(٥) السابق ٤/ ٢٢٨٥، والدقل: بفتح الدال والقاف أردأ التمر ـ صحاح الجوهري ٤/ ١٦٩٨.

أضف إلى ذلك ما روته المصادر عن زهادة علي عليه السلام وخشونة لباسه وجشوبة طعامه[١].

٩ ـ وصف الحياة الإجتماعية وصفاً دقيقاً وانتقاد سلوك بعض الولاة وأخلاقهم[٢] :

إن الشاكين في نسبة نصوص نهج البلاغة التي تعرضت بالنقد لسلوك الولاة وفضح أعمالهم لعلي بن أبي طالب عليه السلام، إنّما ينكرون فترة خلافته التي امتدت من ٣٥ هـ ـ إلى ٤٠ هـ ـ ولم تشهد حياته خلالها الإستقرار، حيث بدأت القيم تتغير بغلبة النزعة المادية على النزعة الروحية في طبيعة الإنسان المسلم، ووجود علي عليه السلام في خضم فترة الإنتقال تلك جعله يحس للوهلة الأولى من تولّيه الخلافة، أن الإمارة قد أصبحت مغنماً مادياً في نظر الكثير من الصحابة، فها هو معاوية يشترط في بيعته لعلي عليه السلام أن يقرّه والياً على الشام[٣]، والزبير بن العوام يطلب منه ولاية البصرة[٤]، كما يبدي طلحة بن عبيدالله رغبته في ولاية الكوفة[٥]. ولما كانت مبادئه تأبى عليه المصانعة، كان لابد له من حسم الأمر منذ البداية ـ وإن كلفه ذلك الكثير ـ ممّا جعل أولئك يتظاهرون عليه ويؤلبون الأمة على الثورة بقصد نقض خلافته[٦]، مع ملاحظة أن من أولويات الأمور التي قام بها طلحة

---

(١) راجع أحمد بن حنبل ـ كتاب الزهد ٢/ ٤٧ وما بعدها.

(٢) راجع أثر التشيع في الأدب، ص٦٠ ـ ٦١.

(٣) راجع ابن قتيبة ـ الإمامة والسياسة ١/ ١١٧، البلاذري ـ أنساب الأشراف ٢/ ٢٩٣.

(٤)،(٥) راجع تاريخ الطبري ٤/ ٤٢٩، ٤٣٨.

(٦) راجع السابق ٤/ ٤٧٥ ـ قول عبدالله بن الزبير لحكيم بن جبلة في أمر عثمان بن =

والزبير عند دخولهما البصرة الإستيلاء على بيت المال[١]. وإذا ما تركنا ذلك جانباً، نجد أن بعض ولاته لم يكونوا في مستوى المسؤولية التي أناطها بهم في الفترة الإنتقالية تلك، من ذلك أن أبا موسى الأشعري واليه على الكوفة كان «كارهاً للقتال مخذلاً الناس عن نصرة إمامهم»[٢]، كما «لم تكن طاعة مصقلة ـ والي آذربيجان ـ لعلي عليه السلام طاعة الرجل الذي يصدر في كل ما يأتي عن معرفة الحق والإيمان»[٣]، إضافة إلى العصبية القبلية التي كانت تنضح بها نفوس بعض ولاته كالأشعث بن قيس[٤]، لكنه بالرغم من كل تلك المصاعب لم يتهاون إطلاقاً في إحقاق الحق، فقد «كان شديد المراقبة لعماله، يشدّد عليهم في الحساب، وفي سيرتهم العامة والخاصة وأنه كان يرسل الأرصاد والرقباء ليطلعوه على سيرة العمال»[٥]. فمن يقوم بتلك الأعباء الثقيلة دون هوادة، في عصر مضطرب، لا يعوزه القول إذا كان يملك بجانب الشجاعة والجرأة، الورع وقوة البيان. وعليه فإنّ ما ورد في (نهج البلاغة) من وصف للمجتمع، ونقد لاذع لسلوك

= حنيف «لا نرزقكم من هذا الطعام، ولا نخلي سبيل عثمان بن حنيف حتى يخلع علياً».

(١) راجع البلاذري ـ أنساب الأشراف ٢/ ١٣٣ ففيه قول الزبير لما دخل بيت مال البصرة.

(٢) طه حسين ـ علي وبنوه ٣٤.

(٣) السابق ١١٦.

(٤) راجع ابن مزاحم ـ صفين ٢٠ وما بعدها، وراجع أيضاً قول الإمام في الأشعث ـ الأغاني ٢١/ ١٩.

(٥) أحمد محمود صبحي ـ نظرية الإمام ٢٨٤.

بعض الرجال كمعاوية[١] وطلحة والزبير[٢] وعبدالله بن عباس[٣] والأشعث بن قيس وغيرهم، هو من كلام علي عليه السلام ويؤيد ذلك، وقائع التاريخ وورود تلك النصوص باختلاف في رواياتها في المصادر التاريخية السابقة للنهج.

١٠ ـ نسبة بعض نصوص النهج لغير علي عليه السلام في مصادر اخرى[٤]:

إن النصوص التي وردت منسوبة لغير علي عليه السلام في بعض المصادر، بينما نسبها الرضي في (نهج البلاغة) لعلي عليه السلام، تكاد تكون من القلة بحيث يمكن مناقشة كل نص منها على حدة، **ففي باب الخطب وردت أربعة نصوص هي:**

١ ـ الخطبة رقم ٣٢ «أيها الناس إنّا قد أصبحنا في دهر عنود»[٥]. وقد علق الشريف الرضي عليها بقوله «هذه الخطبة ربّما نسبها من لا علم له إلى

---

(١) راجع ابن مزاحم السابق ص٢٩، ٥٧ وما بعدها.

(٢) عمّا قاله في ذم طلحة راجع العقد الفريد ٤/ ٣١٤، أمّا عمّا قاله الإمام علي عليه السلام في علاقته بالزبير فراجع منه ـ ابن الأثير ـ أسد الغابة ٣/ ٢٤٣.

(٣) أخذ عبدالله بن عباس أموالاً طائلة من بيت مال البصرة التي هو وال عليها من قبل علي عليه السلام فلما علم علي عليه السلام بذلك كتب إليه في هذا الشأن يهدده ويوبخه وقد دارت بينهما مشادة سجل جزءا منها البلاذري في أنساب الأشراف ٢/ ١٧٠ وما بعدها.

(٤) أحمد زكي صفوت ـ ترجمة الإمام علي ص١٢٢ بواسطة عبدالزهراء الحسيني ـ مصادر نهج البلاغة ١/ ١١٣.

(٥) راجع النص رقم ٣٢ باب الخطب.

معاوية، وهي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا يشك فيه»[١]، ثم أورد تعليق الجاحظ الذي حقق في نسبتها بقوله «وفي هذه الخطبة أبقاك الله ـ ضروب من العجب: منها أن الكلام لا يشبه السبب الذي من أجله دعاهم معاوية، ومنها أن هذا المذهب في تصنيف الناس في الأخبار عمّا هم عليه من القهر والإذلال، ومن التقية والخوف، أشبه بكلام علي عليه السلام ومعانيه وحاله منه بحال معاوية، ومنها أنا لم نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد»[٢]، هذا وقد وثق عبدالزهراء الحسيني[٣] النص بما يثبت صحة نسبته إلى علي عليه السلام من كتاب (مطالب السؤول ـ لمحمد بن طلحة الشافعي) الذي ذكر مكان الخطبة بعد أن مهّد لها بما يثبت أنه لم يأخذها من نهج البلاغة، وفيما ورد من تعليقات كل من الجاحظ والشريف الرضي بالإضافة إلى توثيق النص ما يؤيد نسبته إلى علي عليه السلام.

٢ ـ الخطبة رقم ٤٦ «اللّهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر...»[٤]، قال عنها الرضي «وابتداء هذا الكلام مروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد قفّاه أمير المؤمنين بأبلغ كلام وتممه أحسن تمام من قوله: ولا يجمعهما غيرك»[٥]، وبالفعل فإن من يراجع كتب الحديث الشريف[٦] يلاحظ ما ذيّل

---

(١) راجع النص رقم ٣٢ باب الخطب.

(٢) الجاحظ ـ البيان والتبيان ـ ٢/ ٦١.

(٣) مصادر نهج البلاغة ١/ ٤١٧.

(٤)،(٥) يمكن الرجوع إلى النص وتعليق الرضي عليه من خلال ـ جدولة النهج ـ باب الخطب.

(٦) راجع ابن الأثير ـ جامع الأصول ٥/ ٨٦.

به الإمام علي عليه السلام ذلك الدعاء المأثور عن الرسول صلى الله عليه وآله، ممّا لا يدعو إلى الشك بأن الإضافة كانت لعلي عليه السلام، وفي ذلك دلالة أكيدة على أمانة الشريف الرضي العلمية وحرصه على إبعاد الشك عن مختاراته لعلي عليه السلام في (نهج البلاغة).

٣ ـ الخطبة رقم ١١٠ «أمّا بعد فإني أحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة. . . »[١]. سكت الرضي عن التعليق عليها، وأوردها إيراد المسلمات بنسبتها لعلي عليه السلام، ممّا يدل على أنه قد أخذها من مصدر يثق في روايته، ولو وجد حولها أي شك لما سكت عن ذلك. ولكن الجاحظ[٢]، وابن قتيبة[٣] وابن عبد ربه[٤] قد نسبوا الخطبة إلى قطري بن الفجاءة وقد علق بن أبي الحديد على نسبة الجاحظ لها لقطري بقوله «وأعلم أن هذه الخطبة ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) ورواها لقطري بن الفجاءة، والناس يروونها لأمير المؤمنين عليه السلام، وقد رأيتها في كتاب (المؤنق) لأبي عبدالله المرزباني مروية لأمير المؤمنين عليه السلام، وهي بكلام أمير المؤمنين أشبه، وليس يبعد عندي أن يكون قطري قد خطب بها بعد أن أخذها عن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام فإن الخوارج كانوا أصحابه وأنصاره، وقد لقي قطري أكثرهم»[٥]، وفي سكوت الرضي عن التعليق على النص، وتعليق ابن أبي

---

(١) راجع جدولة النهج ـ باب الخطب.

(٢) البيان والتبيان ٢/ ١٢٦.

(٣) عيون الأخبار ٢/ ٢٥٠ نتفة من الخطبة.

(٤) العقد الفريد ٤/ ١٤١.

(٥) شرح النهج ٧/ ٢٣٦ وراجع التعليق على الخطبة بأكمله.

الحديد على نسبته بعد توثيقه ما يجعل ترجيح نسبته إلى علي عليه السلام أقرب.

٤ ـ الخطبة رقم ١٩٧ «أيها الناس إنّما الدنيا دار مجاز والآخرة دار قرار...»[١]، جعل الرضي نسبة هذا النص إلى علي عليه السلام من المسلمات بعدم التعليق عليه كعادته في كل نص يحوم حوله الشك، إلاّ أن ابن أبي الحديد قد نبهنا إلى أن المبرد قد نسبه إلى أعرابي نقلاً عن رواية الأصمعي معلقا على ذلك بقوله «وأكثر الناس على أن هذا الكلام لأمير المؤمنين عليه السلام، ويجوز أن يكون الإعرابي حفظه فأورده كما يورد الناس كلام غيرهم»[٢]. فسند رواية المبرد[٣] الأصمعي «والعلاقة بين العلويين والأصمعي لم تكن مرضية، فقد قطع علي بن أبي طالب عليه السلام يد جدّ الأصمعي في سرقة شن رخيص، ولم يتمكن من التغلب على هذه العقدة[٤]، فلا أعتقد أن الأصمعي وهو الخبير بكلام العرب لا يعرف نسبة الخطبة لعلي عليه السلام، ولكن ما يحمله من بغض للعلويين وللإمام علي عليه السلام على وجه الخصوص جعله لا يصرّح بذلك، وما تخطئته للكميت في قوله (كامل):

أَرْعِدْ وَأَبْرِقْ يَا يَزِيدُ ... فَمَا وَعِيدُكَ لِي بِضَائِرْ

إلاّ محاولة تخطئة علي بن أبي طالب عليه السلام[٥] بطريق غير مباشر في

---

(١) راجع جدولة النهج ـ باب الخطب.

(٢) شرح النهج ١١/ ٣ ـ ٤.

(٣) الكامل في الأدب ٤/ ١٠٨.

(٤) داود سلوم ـ شعر الكميت ١/ ٣١.

(٥) راجع تعليق داود سلوم حول تخطئة الأصمعي للكميت، هامش ١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦ من شعر الكميت فقد أورد فيه قول الأصمعي ورأي المعري في ذلك القول.

قوله «وَقَدْ أَرْعَدُوا وَأَبْرَقُوا وَمَعَ هَذَيْنِ الفَشَلُ»[(١)]، فرواية الأصمعي لا يعتد بها في هذا الموضع. علاوة على ذلك فقد روى الصدوق في أماليه منسوباً إلى علي عليه السلام بزيادة واختلاف في بعض العبارات ممّا يؤكد أن الشريف الرضي لم يأخذه عنه[(٢)] وعليه فإن هناك مصدراً ثالثاً أخذه عنه الرضي وهذا يؤكد نسبته إلى علي عليه السلام ممّا لا مجال للشك فيه.

القسم الثاني:

ويقتصر على النص رقم ٢٩٧ من باب الحكم «كان لي فيما مضى أخ في الله...»[(٣)]، وقد أورده الرضي دون التعليق عليه ممّا يعني تأكده من نسبته إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، كما لم يشر ابن أبي الحديد إلى الشك في نسبته أيضاً، لكن وجود النص بعينه عند عبدالله بن المقفع[(٤)]، ملتحماً بنسيج الموضوع الذي أورده فيه أثار شكوك البعض، لأن بن المقفع لم ينسبه إلى قائله. لكن المتأمل في النص ومعانيه، يجد تفاوتاً كبيراً بينه وبين أسلوب ومعاني الفصل الذي أدرج فيه، إذ يغلب على عبارات ابن المقفع الواقعية المتسمة بالجفاف في بعض المواضع، بينما يغلب على عبارات النص المقحم في الفصل، المثالية المتسمة بالروحانية التي لا يمكن لابن المقفع أن يعبر عن مثلها لا لقصور في أدواته التعبيرية، ولكن لبعده روحياً عن شحنات العاطفة العميقة الجيّاشة التي تسري في شرايين تلك المعاني

---

(١) نص ٩ من باب الخطب، وراجع تعليق ابن أبي الحديد على النص أيضاً.

(٢) أمالي الصدوق ص٩٧.

(٣) جدولة النهج ـ باب الحكم والكلمات القصار.

(٤) الأدب الكبير، ص١٣٣.

هادئة سلسلة عليها مسحة من إيمان عميق يبلغ في بعض من تعابيرها حدّ التصوف. فلنلاحظ الفجوة بين الأسلوبين ليصبح ما نقول أكثر وضوحاً، إذ يقول ابن المقفع: «قد رأينا من سوء المجالسة أن الرجل تثقل عليه النعمة يراها بصاحبه، فيكون ما يشتفي بصاحبه، في تصغير أمره وتكدير النعمة عليه، أن يذكر الزوال والفناء والدول كأنه واعظ وقاص، فلا يخفى ذلك على من يعني به ولا غيره ولا ينـزل قوله بمنـزلة الموعظة والإبلاغ، ولكن بمنـزلة الضجر من النعمة إذا رآها لغيره، والإغتمام بها والإستراحة إلى غير روح»[١]، فابن المقفع في الفقرة السابقة يصف واقع التحاسد في مجتمع يتكالب أفراده على المادة ويغلي في نفوس أبنائه الحسد بعبارات سهلة وأسلوب علمي أقرب منه إلى الأسلوب الأدبي لخلوه من الخيال والمحسن اللفظي. ثم فجأة ينقلنا إلى جو مشبع بالمثالية، بأسلوب يكاد يكون روحانياً في قوله «وَإِنّي مُخْبِرُكَ عَنْ صَاحِبٍ لِي، كَانَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ في عَيْنِي، وَكَانَ رِأسُ مَا أَعْظَمَهُ فِي عَيْنِي صِغَرَ الدُّنْيَا فِي عَيْنَيْه، وَكَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ، فَلاَ يَشْتَهِي مَا لا يَجِدُ، وَلا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ، وَكَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ فَرْجِهِ فَلاَ يَدْعُو إِلَيْهِ رِيْبَةً، وَلاَ يَسْتَخِفّ لَهُ رَأياً وَلاَ بَدَناً، وَكَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ لِسَانِهِ، فَلاَ يَقُولَ مَا لاَ يَعْلَمُ، وَلاَ يَتَنَازَعَ فِيْمَا يَعْلَمُ، وَكَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ الجَهَالَةِ. . .»[٢]، فهنا في هذه الفقرة يختلف الوضع من حيث التزاوج بين الأفكار من حيث السلاسة والهدوء في انسياب المعاني، وتناغم الفواصل، والتصوير الفني المنسجم تماما وواقع

---

(١) السابق، ص١٣٢.

(٢) الأدب الكبير، ص١٣٣.

الموضوع، كالكناية عن زهد الصديق في نظرته إلى الدنيا باستصغار ـ وإن للبطن واللسان والفرج قوة جامحة ولكنها مكبوحة الجماح. فالنفس في هذه الفقرة تختلف تماما عنها في الفقرة السابقة من حيث هيئتها وأسلوبها ومثاليتها، وعليه فإن الصديق الذي تحدث عنه ابن المقفع كمثال، لا يمكن أن يكون ذا علاقة به حتى يتمكن من عيش روحه وسبر أعماق نفسه ليترجم إحساساته وكأنه يكتب عن نفسه ويصف حاله، لأن ابن المقفع ذاته كان قريب عهد بالإسلام(١) ولما تتشبع روحه بنورانيته حتى يمكنه أن ينقل عن صاحبه الكامل الإيمان مثل ذلك الوصف المشبع بالروحانية وبأخلاق سامية اختلف الناس فيمن تكون «فقال قوم هو رسول الله صلى الله عليه وآله . . . واستبعده قوم. . . وقال قوم هو أبو ذر الغفاري واستبعده قوم. . . وقال قوم هو المقداد بن عمرو المعروف بالمقداد بن الأسود. . . وقال قوم أنه ليس إشارة إلى أخ معين»(٢).

فلو كان النص لابن المقفع ـ وقد فات الرضي ذلك ـ فلن يسكت ابن أبي الحديد عنه وهو الذي ناقش في شرحه الكبير جل نصوص النهج وما دار حولها من خلاف. ثم أن ابن قتيبة(٣) قد نسب النص للحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ولا يستبعد أن يكون الحسن قد سمعه من أبيه وأورده في مناسبة ما إيراد المسلمات، هذا وقد أشار ابن ميثم البحراني أثناء تعليقه

---

(١) عبدالله بن المقفع «اسمه بالفارسية روزبه. . . يكنى قبل إسلامه أبا عمر، فلما أسلم اكتنى بأبي محمد، والمقفع ابن المبارك وإنما تقفع لأن الحجاج بن يوسف ضربه بالبصرة في مال احتجنه من مال السلطان» ابن النديم ـ الفهرست ص١٣٢.

(٢) ابن أبي الحديد ـ شرح النهج ١٩/ ١٨٤.

(٣) عيون الأخبار ٢/ ٣٣٥.

على النص إلى أن ابن المقفع[١] قد نسب ذلك القول للحسن إلاّ أننا لم نجد ذلك في النسخ المطبوعة، فلربما يكون قد اطلع عليه في نسخة خطية لم تصلنا ولربما حذف الاسم بفعل التحريف، كما روى الكليني[٢] النص منسوباً إلى الحسن بن علي عليه السلام باختلاف يسير في روايته عمّا أورده كل من ابن المقفع والشريف الرضي، كما نسب الزمخشري[٣] النص إلى الإمام علي عليه السلام أيضاً وعليه فإن الأرجح عندنا نسبته إلى علي عليه السلام .

١١ ـ ورود كلمة (وصي): وهي مصطلح شيعي مستحدث في أكثر من موضع في النهج[٤]:

من أسباب الشك في نسبة بعض نصوص (نهج البلاغة) لعلي عليه السلام ، ورود كلمة (وصي) بالمعنى السياسي الذي يرمي منه الشيعة إسباغ الشرعية على الدعوى القائلة بأحقية علي بن أبي طالب عليه السلام بالخلافة دون غيره من صحابة الرسول صلى الله عليه وآله . فمصطلح (وصي) من وجهة نظر أولئك المشككين، هو من اختلاق الشيعة في عصور متأخرة بعد بروز الشيعة الموالين لعلي عليه السلام كحزب معارض تبلورت أفكاره ومعتقداته[٥] . والمتأمل فيما

---

(١) شرح النهج ٥/ ٣٨٩.

(٢) الأصول من الكافي ٢/ ٢٣٧ .

(٣) ربيع الأبرار ١/ ٣٠٥.

(٤) راجع محمد سيد كيلاني ـ أثر التشيع في الأدب العربي، ص٦٦ . وحول إنكار كلمة وصي فيما أثر عن النبي صلى الله عليه وآله واتهام الشيعة بتلفيقها، راجع أحمد أمين: فجر الإسلام ص٢٦٧ .

(٥) راجع أحمد محمود صبحي: نظرية الإمامة لدى الشيعة ص٢٨ وما بعدها، فقد عرض لنشأة التشيع.

ورد في النهج من نصوص لا يجد كلمة وصي بمعناها السياسي إلاّ في موضع واحد هو «لَهُمْ خَصَائِصُ الوِلاَيَةِ وَفِيْهِمْ الوَصِيَّةُ وَالوِرَاثَةُ»[(١)]، والمعني بالضمير في (لهم وفيهم) آل البيت. فإذا ما أردنا إثبات صحة نسبة تلك الخطبة، أو بالأخرى تلك العبارة القصيرة التي وردت فيها لعليعليه السلام، فمن المتوجب أن نثبت بأن مصطلح وصي قد ورد في المأثورات النبوية بنفس المعنى الذي تعنيه عقيدة الشيعة له، وذلك بتتبعه تاريخياً. فأول ما تصادفنا كلمة (وصي) بمعناها الإصطلاحي في علي، في بداية تباشير الدعوة الإسلامية، إذ أنه لما نزل قوله تعالى ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[(٢)] أمر الرسولﷺ علياً بأن يدعو عشيرته ويعدّ لهم طعاماً، وبعد أن تجمعوا وفرغوا من طعامهم قال لهمﷺ «إنّي قدْ جِئتُكم بِخيرِ الدنُّيا والآخرةِ، وقد أَمَرَنِي الله تَعَالَى أَنْ أَدْعُوكُم إليهِ، فأَيُّكُمْ يُؤازِرُني عَلى هَذا الأمرِ عَلى أَنْ يكونَ أَخي وَوَصِيي وَخَليْفَتي فِيكُمْ؟ قال علي: فَأَحجَم القَومُ عَنْها جَميعاً، قُلتُ: وإني لأَحْدَثَهُم سِنّا، وَأَرْمَصَهُمْ عَيْناً، وَأَعْظَمَهُمْ بَطناً، وَأَحَمَشَهُمْ سَاقاً، أَنا يَا نبيَّ الله أكونُ وَزِيْرَكَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَ بِرَقَبَتِي ثُمَّ قَالَ: إنَّ هَذَا أَخِي وَوَصِيي وَخَليفَتِي فِيْكُمْ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيْعُوا»[(٣)].

وبصدد كلمة وصي، سأل سلمان الفارسي رسول اللهﷺ «يَا رَسُولَ الله لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إلاّ وَلَهُ وَصِيٌّ وَسِبْطَانِ، فَمَنْ وَصيكَ وَسِبْطَاكَ؟ . . . فَلمّا صَلّى رسولُ اللهﷺ الظُّهْرَ، قَالَ: إذنُ يَا سَلْمَانُ . . . فَقَالَ: سَأَلْتَنِي عَنْ

---

(١) خطب ـ ١٢.

(٢) الشعراء ٢١٤.

(٣) تاريخ الطبري ٢/ ٣٢١، ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ٢/ ٤٢.

شِيءٍ لَمْ يَأْتِنِي فِيْهِ أَمرٌ، وَقَدْ أَتَانِي أَنّ الله قَدْ بَعَثَ أَرْبَعَةَ آلافِ وَصيٍّ، وَثَمَانِيَةَ آلاَفِ سبط، فَو الَذي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَنَا خَيْرُ النَبِيينَ، وَأنْ وصِيي لَخَيْرُ الوَصِيين، وَسِبْطَايَ خيْرُ الأَسْبَاطِ»[١].

وقد تكررت كلمة وصي من النبيﷺ وفي عليعليه السلام بالذات في مواطن متعددة، منها قولهﷺ «إنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وَصِيًّا وَإنَّ عَلياً وَصِيي وَوَارِثي»[٢]، وفي موطن آخر قالﷺ «وَصِيي وَوَارِثِي يَقْضِي دَيْنِي وَيُنْجِزُ مَوْعِدِي عَلِيُّ بنُ أَبي طالبعليه السلام»[٣]. وفي وصية منهﷺ في علي بن أبي طالبعليه السلام «أُوْصِي مَنْ آمَنَ بالله وَصَدَّقَنِي، بِوِلاَيَةِ عَليِّ بنِ أَبي طَالِبعليه السلام، مَنْ تَوَلاَّهُ، فَقَدْ تَوَلاَّنِي وَمَنْ تَوَلاَّنِي فَقَدْ تَوَلَّى الله، وَمَنْ أَحَبَّهُ فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَحَبَّنِي فَقدْ أَحَبَّ الله عَزّ وَجلّ»[٤].

كما وردت كلمة (وصي) بمعناها السياسي، وفي عليعليه السلام أيضاً، في شعر صدر الإسلام كما في قول شاعر الأنصار النعمان بن عجلان في ردّه على عمرو بن العاص حين هجا الأنصار بعد وفاة الرسولﷺ: (طويل):

وَكَانَ هَوَانَا فِي عَلِيٍّ وَإِنَّهُ ... لأَهْلٌ لَهَا يَا عَمْرُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَدْرِي
وَصِيُّ النَبِيِّ المُصْطَفَى وَابْنُ عَمِّهِ ... وَقَاتِلُ فُرْسَانَ الضَلاَلَةِ وَالكُفرِ[٥]

ومنه أيضاً قول حسّان بن ثابت الأنصاري (طويل):

جَزَى الله عَنَّا وَالجَزَاءُ بِكَفِّهِ ... أَبَا حَسَنٍ عَنَّا وَمَنْ كَأَبِي حَسَنْ

---

(١) ابن إسحاق ـ السيرة، ص١٠٥.
(٢)،(٣) المحب الطبري ـ ذخائر العقبى، ص٧١.
(٤) الزبير بن بكار ـ الأخبار الموفقيات ص٣١٢.
(٥) المصدر السابق، ص٥٩٣.

حَفِظْتَ رَسُولَ اللهِ فِينَا وَعَهْدَهُ ... إِلَيكَ وَمَنْ أَوْلَى بِهِ مِنْكَ مَنْ وَمَنْ
أَلَسْتَ أَخَاهُ فِي الهُدَى وَوَصِيَّهُ ... وَأَعْلَمَ مِنْهُمْ بِالكِتَابِ وَبِالسُّنَنْ[١]

وفي نفس السياق يقول أبوالأسود الدؤلي (وافر):

أُحِبُّ مُحَمَّداً حُبّاً شَدِيداً ... وَعَبّاساً وَحَمْزَةَ وَالوَصِيّا[٢]

ومن ذلك أيضاً ما ورد في خطبة الحسين بن علي عليه السلام قبل استشهاده يوم عاشوراء (أَمّا بَعْدُ، فَانْسِبُونِي، فَانْظُرُوا مَنْ أَنَا، ثُمَّ ارْجِعُوا إِلى أَنْفُسِكُمْ وَعَاتِبُوهَا، فَانْظُرُوا هَلْ يَحُلُّ لَكُمْ قَتْلِي، وَانْتِهَاكَ حُرْمَتِي؟ أَلَسْتُ ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ صلى الله عليه وآله وَابْنَ وَصِيِّهِ وَابْنَ عَمِّهِ»[٣].

تلك إذاً كلمة (وصي) بمعناها السياسي، كما وردت في الحديث النبوي الشريف، وفي الشعر وفي الخطابة، وهي تدحض ما زعم بأن الشيعة هم الذين ابتدعوها وألبسوها ذلك المعنى لذلك فإن وجودها في (نهج البلاغة) مأثورة عن علي بن أبي طالب عليه السلام ممّا لا ريب فيه.

١٢ ـ ذكر الإمامة على لسان علي عليه السلام وأحقيته فيها في مواضع كثيرة من النهج هو ما لم يحدث منه على الإطلاق[٤]:

عرض (نهج البلاغة) لأحقية علي بن أبي طالب عليه السلام في خلافة

---

(١) الزبير بن بكار ـ الأخبار الموفقيات، ص٥٩٨.

(٢) المبرد ـ الكامل ٣/ ٢٠٥.

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٤٢٤.

(٤) راجع أثر التشيع في الأدب العربي، السابق ص٦٥.

المسلمين دون غيره من قرابة رسول الله ﷺ وصحابته في أربعة عشر نصاً[١]. وهذا ما دعا بعض الدارسين إلى الشك في نسبة نصوص النهج لعلي عليه السلام، أو على الأقل الشك في نسبة تلك النصوص الأربعة عشر، على اعتبار أن علياً عليه السلام بايع الخلفاء قبله طوعاً ولم يَدَّعِ لأحقّيتهُ في الخلافة. ولكن الباحث المحايد في تاريخ صدر الإسلام سيجد ما يناقض تلك المقولة، إذ ما انفك يذكر أحقيته في الخلافة طيلة حياته ابتداء من اليوم الأول الذي بويع فيه بالخلافة لأبي بكر. يحدثنا ابن قتيبة عن ذلك فيقول «ثم إن عليّاً عليه السلام أُتي به إلى أبي بكر، وهو يقول: أنا عبدالله وأخو رسول الله، فقيل له: بايع، فقال: أنا أحق بهذا الأمر منكم لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي»[٢]. وقد يرى أولئك الشاكون أن ذلك القول مختلق على علي عليه السلام، ولكن الذي يؤيده ويثبت صحته ما ورد على لسان أبي بكر عند وفاته «إنّي لا آسي على شيء في الدنيا إلاّ على ثلاث فعلتهن ووددت أني تركتهن، وثلاث أني تركتهن ووددت أني فعلتهن، وثلاث وددت أني سألت رسول الله ﷺ عنهن، فأما الثلاث اللاتي فعلتهن ووددت أني تركتهن: فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء، وإن كانوا أغلقوه على حرب...»[٣]، وكشف بيت فاطمة الذي تمنى أبوبكر أنه لم يفعله يعني ضمنا معارضة عليّ عليه السلام، ثم يعني أن علياً عليه السلام أكره على بيعة أبي بكر بعد إخراجه من بيت فاطمة بالقوة، فقول علي عليه السلام وما صاحبه من أمر

---

(١) راجع الخطب: ٢، ٣، ٤، ٢٦، ٣٧، ٦٦، ٧٣، ٩٩، ١٥٢، ١٦٣، ١٧٣، ١٨٠، ٢١٢ والحكمة رقم ١٨٧.

(٢) ابن قتيبة ـ الإمامة والسياسة ١/ ١١.

(٣) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ٤/ ٢٦٨.

على البيعة بالإضافة إلى القول بكشف بيت فاطمة، كل ذلك يعني معارضة علي عليه السلام وأنه لم يؤد البيعة لأبي بكر إلا مكرها، فشعوره بالغبن الذي وقع عليه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله هاجس ظل يلاحقه، إذ ما فتيء يذكر ذلك بألم ومرارة في كل مناسبة تقتضيه، حتى بعد أن بويع بالخلافة، فمن ذلك قوله في أول خطبة بعد أن بويع له «قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُمورٌ مِلْتُمْ عَلَيَّ فِيْهَا مَيْلَةً لَمْ تَكُونُوا عِنْدِيَ فِيْهَا بِمَحْمُودِيْنَ وَلاَ مُصِيْبِيْنَ. أَمَا إنّي لَوْ أَشَاءُ لَقُلْتُ، عَفَا الله عَمّا سَلَفَ، سَبَقَ الرّجُلاَنِ، وَقَامَ الثَّالِثُ كَالغُرُابِ هَمُّهُ بَطْنُهُ...»[١].

ويتضح من النصوص التي بين أيدينا أن شكواه من ذلك كانت من المرارة والألم بحيث رواها عنه حتى المنابذين له، فعن عبدالرحمن بن أبي بكرة قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام «مَا لَقِيَ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ مَا لَقِيْتُ، تَوَفَّى رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وَأَنَا أَحَقُّ النّاسِ بِهَذَا الأَمْرِ فَبَايَعَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ وَاسْتُخْلِفَ عُمَرَ، فَبَايَعْتُ وَرَضِيْتُ وَسَلَّمْتُ، ثُمَّ بَايَعَ النَّاسُ عُثْمَانَ فَبَايَعْتُ وَرَضِيْتُ وَسَلّمْتُ، وَهُمُ الآنَ يَمِيلُونَ بَيْنِي وَبَيْنَ مُعَاوِيَةِ»[٢]، كما أن القول بأحقيته في الخلافة قبل انعقاد الشورى[٣]، وعلى الملأ يوم بويع لعثمان مشهور[٤]، وأيضاً مناشدته الصحابة بسماعهم حديث الغدير[٥] عن رسول

---

(١) الجاحظ ـ البيان والتبيين ٢/ ٥٠.

(٢) البلاذري ـ أنساب الأشراف ٢/ ٧٧.

(٣) راجع قوله لعمه العباس بعدما رشحه عمر للخلافة ضمن الستة أصحاب الشورى. تاريخ الطبري ٤/ ٢٢٩، ٢٣٠.

(٤) راجع قوله لعبدالرحمن بن عوف بعد أن بايع لعثمان ـ ابن الأثير ـ الكامل ٣/ ٣٧.

(٥) الغدير ـ غدير خم: بين مكة والمدينة بينه وبين الجحفة ميلان ـ معجم البلدان ١٨٨/٤. وهو الموضع الذي أعلن فيه الرسول صلى الله عليه وآله على الملأ بعد حجة الوداع =

الله ﷺ فيه من الدلالات الأكيدة: على قوله بأحقيته بالخلافة، لذا فإن ما ورد في (نهج البلاغة) من مثل تلك النصوص المنسوبة إليه، ما هي إلا غيض من فيض أثر عنه، ممّا لا يدع إلى الشك في صحة نسبتها، وان جلّ تلك النصوص موثقة من مصادر امّا أنها قد ألفت قبل الشريف الرضي، وامّا أنها قد وردت فيها باختلاف في رواياتها[١] يدل على أنها أخذت من مصادر غير المصادر التي اعتمدها الرضي.

١٣ ـ السجع المفرط والأناقة اللفظية في كثير من نصوص (نهج البلاغة)[٢]:

من أسباب الشك في نسبة الكثير من نصوص (نهج البلاغة) لعلي بن أبي طالب عليه السلام، شيوع السجع والإزدواج في الكثير منها، على اعتبار أن الأناقة اللفظية قد دخلت النثر الفني العربي في وقت متأخر، بعد تفاعل الحضارة العربية الإسلامية بالحضارات المجاورة بفعل التأثير والتأثر[٣]، إلا أننا لا نعتقد أن تلك الفكرة مصيبة لبعدها عن الواقع، إلا إذا كان القصد من القول: الزخرفة اللفظية الخارجية التي يعمد إليها الأديب، لاهتمامه بالسجع كغاية يهدف إليها على حساب المضامين.

= قوله «من كنت مولاه فهذا علي مولاه...» وقد أورد أحمد بن حنبل مناشدة علي عليه السلام الصحابة عن سماعهم حديث الغدير ورواه في مسنده بسبع طرق مختلفة ـ راجع الفتح الرباني ٢٣/ ٢٥/ ٢٧/، كما ،رد ابن عساكر تلك المناشدة بثلاث عشر رواية مختلفة ـ ترجمة علي من تاريخ دمشق ١/ ٥، ٣٠.

(١) راجع مصادر النصوص الأربعة عشر في جدولة النهج.

(٢) راجع أحمد أمين: فجر الإسلام ص١٤٩، شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر ص٦٢.

(٣) راجع أحمد أمين: السابق.

فالنثر الجاهلي وإن لم يصلنا منه سوى النزر القليل، إلا أننا نعتقد أنه قد بلغ حد الإتقان والروعة، لأن نزول القرآن الكريم بأساليبه التعبيرية المعجزة وموسيقاه الرائعة المبنية بإحكام لا يمكن محاكاتها، فيه من الدلالات البعيدة والأكيدة على أن العرب في جاهليتهم قد كانوا على دراية تامة بأساليب العربية، وذوق بلاغي رفيع، وما تحديه لهم بآياته إلا لأنهم قد بلغوا مكانة سامقة من الصياغة الأدبية، تحتاج إلى نماذج معجزة تفحمهم وتتحداهم في أعز ما يتملكونه ويفخرون به. فالقرآن الكريم «في بلاغته إنما كان يخاطب قوماً يفهمونه ويتذوقونه، وفهم القرآن وتذوقه لا يمكن أن يقع اتفاقاً وبلا استعداد»(١).

فإذا ما سلمنا بمعجزة القرآن البلاغية، فلابد أن تكون موسيقاه اللفظية جزءًا لا يتجزأ من تلك المعجزة. وعليه فالسجع بصوره الواردة في كتاب الله «طابع أصيل في اللغة تطور مع تطور الزمن»(٢) ولقد أشار أبوهلال العسكري لذلك بقوله «لو استثنى كلام عن الإزدواج، فكان القرآن الكريم، لأنه في نظمه خارج من كلام الخلق وقد كثر الإزدواج فيه»(٣). كما أن قول الرسول ﷺ «أسجعاً كسجع الكهان»(٤) يؤكد وجود نوع من السجع الجاهلي المستكره بجانب السجع المقبول المحبب للنفس، ولولا ذلك لما ورد السجع في أحاديثه ﷺ التي منها «يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة

---

(١) زكي مبارك: النثر الفني ١/ ٥٥.

(٢) السابق ١/ ٥٤.

(٣) أبوهلال العسكري ـ كتاب الصناعتين ٢٦٠.

(٤) السابق ـ ١٦١.

بسلام»[١]. يعلق الجرجاني على الحديث الشريف بقوله «فأنت لا تجد في جميع ما ذكرت لفظاً اجتلب من أجل السجع وترك لما هو أحق بالمعنى منه وأبرّ به وأهدى إلى مذهبه»[٢]. فإحساس النبيﷺ بالقيمة الموسيقية للفظ في بعض الأحيان «ربما غيّر الكلمة عن وجهتها للموازنة بين الألفاظ واتباع الكلمة أخواتها كقولهﷺ: «أعيذه من الهامة والسامة وكل عين لامّة. وإنّما أراد ملمة»[٣].

إذن فالسجع والإزدواج وغيرهما من المحسنات البديعة، خصائص أصيلة في النظم العربي إذ لم تدخل فيه جراء تأثيرات حضارية وافدة، وعليه فإنّ ما ورد من سجع وازدواج وغير ذلك من موسيقى لفظية ومحسنات بديعية في (نهج البلاغة) أصيلة في نسبتها إلى عليعليه السلام لأنها لا تتعدى في بنائها وانسجامها السير في ظلال القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف من غير إفراط ولا تفريط، بحيث يمكننا تقويمها ونقدها من خلال ما يمكن استنباطه من قواعد وأصول شيّد عليها البناء الفني في الذكر الحكيم والمأثورات النبوية، لبعدها عن التكلف، والإنسجام في تناغم ألفاظها من حيث المخارج، واتساقها في نصوصها لخدمة المعاني في جوها الذي قيلت فيه، ممّا ينأى بها عن الإفتعال لأنها صادرة في صخبها وهدوئها عن عاطفة صادقة في تمثيلها لروح العصر الذي قيلت فيه، بدلالة إحساسنا من خلال العبارات في جرسها عن نبض صادق، لا يمكن لأية

---

(١) أسرار البلاغة ١٢.

(٢) أسرار البلاغة ١٣.

(٣) كتاب الصناعتين، ص١٦١.

نفس مهما أوتيت من ملكة بلاغية أن تنقله بالصورة الحية تلك إلاّ من خلال معايشته في واقعه، لأن ترجمة انفعالات الآخرين وأحاسيسهم إلى أفكار من الصعوبة والتعقيد، بحيث لا يمكن أن يعبر عنها إلا صاحبها، وهذا ما يمكن أن نعيشه بالفعل، عند دراستنا للأساليب التعبيرية في فكر علي بن أبي طالبعليه السلام[١].

إن (نهج البلاغة) بنصوصه المتكاملة وأشلاء الخطب المتناثرة وما ورد فيه من رسائل وعهود وحكم وكلمات قصار، هو بناء متكامل ومنسجم «امتزج فيه أدب وفلسفة وفروسية وسياسية امتزاجاً لا نستطيع معه أن نسلّ عنصراً منها لنقيمه وحده بعيداً عن سائر العناصر»[٢]. وذلك الإعتبار في حد ذاته يعني صدور النهج من مجرى واحد في بنائه بحيث لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نرى في هندسته صدعاً أو في تناغم أصواته نشازاً لأنه كلّ متكامل وإن حاول الشريف الرضي توزيع نصوصه على شكل منهج معين ارتآه فكره.

---

(١) يمكن استخلاص ذلك من قراءة في الباب الخامس من هذا البحث ص٦٢٩ وما بعدها.

(٢) زكي نجيب محفوظ: المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، ص٢٩.

منهج الشريف الرضي في تصنيفه لنصوص (نهج البلاغة)

بلغ عدد النصوص التي اختارها الشريف الرضي للإمام علي عليه السلام ضمن كتاب (نهج البلاغة) ثمان مئة واثني عشر نصاً، بين صغير لا يتعدى الجملة المكونة من الكلمتين أو الثلاث والمتوسط المتكون من فقرة أو فقرتين، والكبير الذي بلغ عدة صفحات وقد صنفت في الكتاب حسب الجدول التالي:

الخطب وما يجري مجراها	الرسائل	الوصايا	العهود	الحكم والكلمات القصار
٢٤٤	٦١	١٤	٤	٤٨٩

أما المنهج الذي اختطه الشريف الرضي لتوزيع المادة في المنهج فـ «يدور على ثلاثة أقطاب:

- **أوّلها: الخطب والأوامر.**
- **وثانيها: الكتب والرسائل.**
- **وثالثها: الحكم والمواعظ**»[١].

(١) مقدمة الشريف الرضي للنهج ـ ملحق رقم ١.

وعلى هذا فقد ضمّ الكتاب، مقدمة وثلاثة أبواب:

١ ـ **المقدمة**:[١] وقد بيّن فيها الشريف الرضي الأسباب التي دعته إلى جمع ما تيسّر من مأثورات الإمام علي، والمنهج الذي ارتآه في تنسيق مادته، مع الإشادة بعبقرية الإمام علي عليه السلام في مجال البلاغة وغيرها من العلوم، كما ذكر ضمن تلك المقدمة سبب تسمية الكتاب بـ «نهج البلاغة» ثم تلا ذلك أبواب الكتاب:

٢ ـ **الباب الأول**: المختار من محاسن خطب الإمام علي، وقد احتوى على مئتين وأربعة وأربعين نصاً بين صغير وكبير، متنوعة المضامين، منها السياسية ومنها الإجتماعية ومنها التأملية التي تبحث في شؤون الخالق والخلق ومنها الزهدية إلى غير ذلك من أدعية وتفسير لبعض من آيات القرآن الكريم[٢].

٣ ـ **الباب الثاني**: المختار من محاسن كتبه وعهوده ووصاياه، وعدد نصوص هذا الباب تسعة وسبعون نصاً، يمكننا من خلالها دراسة أسلوب علي عليه السلام الإجتماعي والسياسي وطرق تعامله مع أعدائه وعلاقاته بعماله من قضاة وجباة خراج وقادة وولاة، ونظرته إلى طبقات الأمة، وكيفية التعامل مع كل طبقة من خلال علاقة الحاكم بالمحكوم، إلى غير ذلك من وصايا أخلاقية تتعلق بشؤون الدنيا والدين[٣].

٤ ـ **الباب الثالث**: المختار من محاسن حكمه وما أثر عنه من أقوال قصيرة ويتكون هذا الباب من أربع مئة وتسعة وثمانين نصاً تقريباً، وهو من

---

(١) راجع المقدمة السابقة.

(٢)،(٣) يمكن معرفة ذلك من إلقاء نظرة سريعة على جدولة النهج.

الثراء بحيث لا يمكن حصر مضامينه في موضوعات معينة، إذ بالإمكان اعتباره شاملاً لجميع شؤون الحياة[١].

إضافة إلى المجهود الكبير الذي بذله الشريف الرضي في جمع المادة وانتقاء شواهده منها وتبويبها، فقد تجلت قدرته كمؤلف بارع ذي ثقافة موسوعية، أثناء عرضه لكثير من النصوص بالتعليق عليها، أمّا لغاية التوثيق، أو لتبيان قيمة بلاغية دقيقة[٢]، وأمّا لشرح بعض الغريب[٣]، أو لمناقشة مسألة فقهية عرض إليها النص[٤]، إلى غير ذلك من مسائل كلامية أو سياسية. ولما كانت الغاية البلاغية هي الهدف من جمع تلك النصوص[٥]، فقد أدى ذلك إلى تجزئتها، وتفريقها على فصول مختلفة ومتباعدة داخل الكتاب[٦]، أضف إلى ذلك اجتزاءه بعض العبارات من خطب لم يذكرها، ممّا يصعب معه فهم تلك العبارات فهماً دقيقاً وأدّى إلى كثرة التأويلات حولها[٧]، ومنه أيضاً ورود فقرات متتالية في فصل واحد من خطب متعددة[٨]، والشريف الرضي إذ يقوم بذلك فإنه على وعي تام بما يفعل،

---

(١) يمكن معرفة ذلك من إلقاء نظرة سريعة على جدولة النهج.

(٢) راجع على سبيل المثال الخطبة رقم ٢١.

(٣) راجع على سبيل المثال تعليقه على النص رقم ٣، باب الخطب، والخطبة ٤٢، والخطبة ٤٨.

(٤) راجع تعليق الرضي على الحكمة رقم ٢٦٣.

(٥) راجع مقدمة الشريف الرضي للنهج.

(٦) لقد أشرنا إلى ذلك في ص٣٦ من هذا البحث.

(٧) راجع ص٣٦ وما بعدها من هذا البحث.

(٨) سبق وأن أشرنا إلى ذلك في ص٣٦ وما بعدها من هذا البحث.

يقول في المقدمة «ربّما جاء فيما اختاره من ذلك فصول غير متسقة، ومحاسن كلم غير منتظمة لأن أورد النكت واللمع ولا أقصد التتالي والنسق»(١).

كما أن الهاجس البلاغي الذي ملك على الرضي إحساسه أثناء تنسيق المادة أوقعه في الكثير من المعاني المكررة وعذره في ذلك «أن روايات كلامه ـ أي الإمام علي عليه السلام ـ تختلف اختلافاً شديداً: فربما اتفق المختار في روايته فنقل على وجهه ثم وجد بعد ذلك في رواية أخرى موضوعاً غير موضعه الأول، أما بزيادة مختارة، أو لفظ أحسن عبارة، فتقتضي الحال أن يُعاد، استظهاراً للاختيار، وغيرة على عقائل الكلام، وربما بَعُدَ العهد أيضاً بما اختير فأعيد بعضه سهواً أو نسياناً، لا قصداً واعتماداً»(٢).

وما يمكن استخلاصه ممّا سبق، أن منهج الشريف في تنسيقه مادة (نهج البلاغة) قد انبنى على محورين:

ـ الأول: أساسي وهو البلاغي.

ـ الثاني: ثانوي وهو تصنيف النصوص حسب الموضوعات.

وسيطرة المحور الأول على فكر الرضي أدت إلى تجزئة الكثير من النصوص لتسليط الضوء على الجانب البلاغي فيها، وقد أوقعه ذلك في أخطاء لابد من ذكرها:

أولا: إن التركيز على الجانب البلاغي واجتزاءه من النص دون المراعاة لمعناه التام في سياقه، حال دون فهم بعض الجوانب الفكرية التي انطمست معالمها بسبب ذلك، ممّا فتح الباب للتخمين والإفتراضات حول

---

(١)،(٢) الشريف الرضي ـ مقدمة النهج.

معاني تلك النصوص[١].

ثانيا: إن إيراد فقرات متتابعة في فصل واحد، أدّى إلى التناغم الأسلوبي بين الفقرات، والتنافر في سياقها المعنوي كفصل منتظم، ممّا يوقع الدارس في حيرة، خاصة إذا اعتمد في دراسته على (نهج البلاغة) دون شروحه المطولة كشرح ابن أبي الحديد وشرح ميثم البحراني أو منهاج البراعة للخوئي، لأن تلك الشروح هي التي حاولت معالجة مثل تلك الفصول بإسهاب[٢] معتمدة على المصادر السابقة على النهج.

ثالثاً: توزيع النص الواحد في فصول متفرقة متباعدة داخل الكتاب، حال دون الوحدة العضوية التي أرادها الإمام علي عليه السلام من النص.

رابعاً: قد نتغاضى عن التكرار الذي أورد الرضي له عذراً في مقدمته، ولكن هناك نصوصاً كررها الرضي بعينها دون أية زيادة جديدة فيها وأشار إلى ذلك التكرار عند إيرادها[٣].

خامساً: عالج بعض ما ورد من غريب في كلام الإمام علي عليه السلام ضمن باب الحكم والكلمات القصار، في ثمانية نصوص[٤]، استأنف

---

(١) يقول ابن أبي الحديد في شرحه للنهج ٨/ ٢٩٤ أثناء تعليقه على الخطبة رقم ١٣٣«فأما قوله: (وكتاب الله) إلى قوله: (لا يخالف بصاحبه عن الله) ففصل آخر مقطوع عمّا قبله ومتصل بما لم يذكره جامع (نهج البلاغة)».

(٢) عرضنا لنماذج من ذلك في ص٣٦ وما بعدها من هذا البحث.

(٣) على سبيل المثال راجع الفقرة الأخيرة من الخطبة رقم ١٧٣ وقارنها بالنص رقم ٢١٢ من باب الخطب ـ جدولة النهج.

(٤) للتثبت من ذلك، راجع باب الحكم ابتداء بالحكمة رقم ٢٦٠ وانتهاء بالحكمة رقم ٢٦٨. جدولة النهج.

بعدها الباب المذكور، وحبذا لو أفرد لها باباً خاصاً توسع فيه، لأن الغريب لم يقتصر على تلك النصوص الثمانية في مختاراته الكثيرة المتنوعة.

على أن كل ذلك لا يغض من المجهود الكبير الذي بذله الشريف الرضي في حفظه هذا الكم الوافر من التراث الإنساني الذي أثر عن عليعليه السلام، كما أنه لا ينقص من قيمة النهج كأثر أصيل يمدّنا بفيض زاخر من عبقرية تراثنا الفكري في مجال السياسة والإجتماع والأخلاق والفلسفة والأدب والبلاغة.

قيمة نهج البلاغة

من خلال دراسة متعمقة في نصوص (نهج البلاغة) نظهر بنتيجة مفادها أن تلك النصوص، وإن تنوعت في موضوعاتها، إلا أنها تكاد تكون متكاملة من حيث أساليبها ونبعها الفكري، فهي تمثل «الجمع العجيب ـ الجميل ـ في رجل واحد، بين أن يكون الفارس الذي يجيد القتال بسيفه وجواده، وهو السياسي الذي يجادل ويقاول، وهو الأديب الذي كيّف صياغة اللفظ في أروع ما تكون الصياغة. . . وهو الفيلسوف الذي ينـزع بفلسفته إلى ضم الكون كله في أحكام موجزة مركزة نافذة إلى صميم الحق»[١]، وتلك الإشعاعات المتفرعة من ذلك الكل المتكامل هي التي منحت (نهج البلاغة) الثراء من حيث:

١ ـ القيمة الأدبية والبلاغية:

عرفنا ممّا سبق أن الهدف البلاغي هو الأساس الذي من أجله جمعت نصوص (نهج البلاغة) ولا أعتقد أن الشريف الرضي حين قام بذلك الجمع ـ وهو الأديب الشاعر ذو الذوق الرفيع ـ قد غفل عمّا سيحدثه الكتاب من ضجة في الأوساط الأدبية، وما سيناله من مكانة رفيعة عند المهتمين

---

(١) المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري ص٥٤.

بالبلاغة والأدب، خاصة أنه قد ألفه وجمع شتاته بناء على رغبة المتأدبين من أبناء عصره[١]، كما أن اطلاعه على أثر تلك النصوص في بلاغة من سبقه من الكتّاب[٢] كان حافزاً له على ذلك الجمع، أضف إلى ذلك معايشته لتلك النصوص أثناء الإختيار منها فببراعته وحذقه بصناعة الكلام تمكن من اختيار درر الكلم، التي أصبحت من بعده قطب رحى الدراسات والشروح. فما أن ظهر الكتاب إلى الوجود حتى تناولت الأقلام نصوصه بالشروح الكبيرة والصغيرة[٣]، وتناقلتها الألسن في لغاتها المختلفة[٤]، فأصبحت معانيها ميداناً تتبارى العقول في إظهار عجائبها، وشرح غريبها، والوقوف عند أسرار بلاغتها، بحيث شكلت تلك الدراسات والشروح مكتبة تكاد تكون متكاملة[٥]. أضف إلى ذلك الدراسات التي ألفت حول النهج وعلى هامشه، فقلما صدرت دراسة أو ترجمة للإمام علي عليه السلام وحياته إلا وتعرضت لبلاغته، مشيرة في ذلك لما حواه النهج من روائع، كما أنه من النادر جداً أن يترجم للشريف الرضي دون ذكر نهج البلاغة وموضوعاته وما دار حولها من جدل له أو عليه.

---

(١) راجع مقدمة الشريف الرضي للنهج.

(٢) لابد أنه قد اطلع ما روي عن عبدالحميد بن يحيى الكاتب (ت ١٣٢ هـ) حين سئل «ما الذي مكنك من البلاغة، وخرّجك فيها؟ قال: حفظ كلام الأصلع: يعني أمير المؤمنين - الجهشياري - الوزراء، والكتاب ص١٨٢، كما قد أثر عن أستاذه ابن نباتة الفارقي (ت ٣٧٤ هـ) قوله «حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق إلا سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب عليه السلام »، ابن أبي الحديد: شرح النهج ١/ ٢٤.

(٣) لقد تعرضنا لذلك في ص١٩ وما بعدها من هذا البحث.

(٤) لقد تعرضنا لذلك في ص١٩ وما بعدها من هذا البحث.

(٥) لمعرفة ذلك بالتفصيل: راجع عبدالزهراء الحسيني - مصادر نهج البلاغة ١/ ٢٢٠ وما بعدها.

ولم تقتصر الدراسات في (نهج البلاغة) على القديم، بل مازالت مستمرة، فمحمد عبده في معرض إشادته بالكتاب يوصي «الطالبين لنفائس اللغة، والطامعين في التدرج لمراقيها، أن يجعلوا هذا الكتاب أهم محفوظهم، وأفضل مأثورهم، مع تفهم معانيه في الأغراض التي جاءت من أجلها. وتأمل ألفاظه في المعاني التي صيغت للدلالة عليها»[١]. فبلاغة نصوص النهج وأساليبها الرفيعة، شحذت عقول الدارسين وحيّرت أفهامهم لا لأنها اتخذت من القوالب الجمالية غاية، بل لأن العقلية الفذة التي صاغتها استطاعت توظيف البلاغة العربية ـ في طبيعتها الخالصة ـ لمعالجة موضوعات الحياة، معالجة تتسم بالحيوية والصدق، فأذابت الفروسية والسياسة والأخلاق والفلسفة والزهد في قوالب محكمة مَن المتعذر الفصل بين عناصرها وإقامة أي عنصر منها «وحده بعيداً عن سائر العناصر»[٢]. وعلى ذلك فإن عنصرَي البلاغة والأدب في (نهج البلاغة) ـ وإن كانا هما السبب المباشر في جمع نصوص الكتاب ـ إلا أنهما لم يكونا عنصري القيمة الوحيدين، لأن معالجة تلك النصوص لجوانب متعددة من الحياة منحها القيمة العالية على اعتبارها أثراً إنسانياً له مكانته من حيث القيمة التاريخية.

٢ ـ القيمة التاريخية:

إذا كان مؤرخو فترة صدر الإسلام يذكرون الحوادث التاريخية متسلسلة اعتماداً على روايات أخذت سماعاً، فإن في (نهج البلاغة)

---

(١) مقدمة شرح نهج البلاغة ص١٢ من طبعة دار الأندلس.

(٢) المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري ص٢٩.

نصوصاً كثيرة تؤرخ لمعظم تلك الحوادث عن مشاهدة وعيان، لأن قائلها طرف أصيل في تلك الحوادث في بداية الدعوة الإسلامية، وأثناء الخلافة الراشدة بعد وفاة الرسولﷺ. وقطب رحى تلك الحوادث بعد مقتل الخليفة الثالث. وبناء عليه فإن نصوص النهج ـ إذا ما نظرنا فيها بحيدة ـ هي من أصدق الوثائق التاريخية التي أرخت لتلك الفترة ومن أهمها أيضاً. وتتجلى أهمية تلك الوثائق التاريخية، في عدم اقتصارها على سرد الحوادث ووصف المشاكل التي عرضت للمجتمع الإسلامي، بل في مناقشتها لتلك المشاكل من جميع الوجوه مع محاولة لوضع الحلول المناسبة لها، فالنصوص التاريخية المأثورة في النهج عن عليعليه السلام «تعطي صورة واضحة عن نظراته الثاقبة وآرائه البعيدة في مبادئ السياسة وأساليب حكم الرعية وإدارة شؤونها والحث على دفع الفتن عنها»[(١)]. ثم إن الدارس للحوادث التاريخية من خلال النهج يمكنه أيضاً متابعة التاريخ الإسلامي في انعطافته الكبيرة التي عبّر عنها حديثاً بـ «الفتنة الكبرى»[(٢)] التي تمكن دارس تلك الحقبة من معرفته الأسرار الخفية الدقيقة التي بسببها استحالت الخلافة الإسلامية إلى ملك عضوض.

لذلك فإن أية دراسة لتاريخ صدر الإسلام، لا تتخذ من (نهج البلاغة) مصدراً من مصادرها تعتبر ـ في اعتقادنا ـ قاصرة، خاصة أن التاريخ العام

---

(١) صبحي الصالح: مقدمة تحقيق نهج البلاغة ص١١.

(٢) أرّخ طه حسين لفترة عثمان ثم لفترة عليعليه السلام في كتابين منفصلين بعنوان«الفتنة الكبرى» وقد أرّخ في ذينك الكتابين إلى ما أصاب الدولة الإسلامية من شرخ عميق أحالها في نهاية الأمر إلى ملك وراثي.

لتلك الفترة لا يحلّل الحوادث كتحليل نصوص النهج لها من واقع معايشتها حيث يرى الباحث من خلال العبارات «أن حروباً قد شبت وغارات شنّت... والحق منتصر، والباطل منكسر، ومرج الشك في خمود، وهرج الريب في ركود»[1]. فالحوادث التاريخية في النهج لا تحتسب من النوافل، وإنما هي من أسسه التي لم تكن الصياغة إلا خادمة لها لإجلاء وجهها ورفع غبار الزمن عنها لتبدو جلية واضحة تجعل الباحث يعيش التاريخ ويحلّل الحوادث بعيداً عن أية تأثيرات خارجية.

٣ ـ القيمة الفكرية لنهج البلاغة:

تعتبر النواحي الفكرية من الركائز التي انبنى عليها الكثير من نصوص (نهج البلاغة) التي عرضت لمعالجة قضايا العدل، والتوحيد، وعلم الأخلاق والسياسة والمجتمع إلى غير ذلك من موضوعات ما ورائية تتعلق بالحياة والموت، وذلك ما جعل النهج مصدراً مهماً وأساسياً بالنسبة لجميع الفرق الإسلامية على اختلاف مشاربها:

فمن ذلك تعويل الشيعة على نصوصه كمصدر لعقائدهم وبالأخص العدل والتوحيد على أساس «أن أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ وخطبه فإنها تتضمن مالا زيادة عليه ولا غاية وراءه»[2].

كما يمكن للباحث أن يتعرف على الكثير من العناصر الأولية التي

---

(١) محمد عبده: مقدمته لشرح نهج البلاغة ص١٠ من طبعة الأندلس.

(٢) الشريف المرتضى: أماليه ١/ ١٤٠.

انبنت عليها آراء الخوارج وعقائدهم في الإمامة وأحكام القرآن وغير ذلك من الآراء التي تدور حول الإيمان والكفر، وذلك من خلال الجدل الذي دار بين الإمام علي عليه السلام وبينهم بعد قضية التحكيم، وقد حفظ لنا النهج طرفاً كبيراً من ذلك النـزاع.

أما تأثر المعتزلة وعلماء الكلام بأقوال علي عليه السلام وخطبه فواضح باعتراف شيوخهم[(١)] وقد أدّى ورود بعض الكلمات التي استخدمها المعتزلة وعلماء الكلام كمصطلحات في بعض من نصوص النهج، إلى الشك في نسبة تلك النصوص لعلي عليه السلام.

هذا وقد اعتمد الأشاعرة في الكثير من حججهم الكلامية وعقيدتهم في الخلق والخالق على ما أثر عن علي بن أبي طالب عليه السلام من خطب وأقوال[(٢)].

كما اتخذ المتصوفة من أقواله في الزهد والتقشف وصفات المؤمنين ما يتناسب وأفكارهم، حتى لقد أوّل أحد الشارحين بعض نصوص النهج تأويلاً صوفياً[(٣)]، كما أفرد شارح آخر فصولاً طويلة لدحض تلك الأفكار والرد عليها[(٤)].

---

(١) راجع: ابن النديم ـ الفهرست ص٢٠٢.

(٢) راجع ما قاله ابن أبي الحديد في ذلك ـ شرح النهج ١/ ١٧، هذا وقد اعتمد الأشاعرة في الكثير من مناظراتهم على ما أثر عن علي بن أبي طالب عليه السلام من خطب وأقوال، وقد ذكر أبي علي عمر السكوني في كتابه ـ عيون المناظرات ـ إحدى عشرة مناظرة من ص١٦٧ حتى ١٨٤.

(٣) راجع على سبيل المثال شرح ميثم البحراني للنص رقم ٢١٦ من باب الخطب.

(٤) عرض الخوئي للصوفية وتسفيه مذهبهم في منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة =

فالمتصفح لشروح (نهج البلاغة) المطوّلة، يجد كل تلك الأفكار مبسوطة فيه، وذلك بناء على تأويل النصوص بما يتناسب وكل عقيدة على اعتبار أن ما ورد فيه من كلام هو «عند أهل الفطنة والنظر دون كلام الله ورسوله، وفوق كلام البشر واضحة مناره، مشرقة آثاره، لا يستبعد في هذا الدهر أن يلتبس شيء من مشكلاته على من يقتبس إمّا من ألفاظه الغرائب أو معانيه العجائب»[1].

فعلى ضوء ما سبق يمكننا اعتبار (نهج البلاغة) نصّاً متكاملاً تندرج موضوعاته تحت عناوين «ثلاثة هي نفسها الموضوعات الرئيسية التي ترتدّ إليها محاولات الفلاسفة قديمهم وحديثهم على السنواء ألا وهي: الله والعالم والإنسان»[2]، وهي أيضاً المحاور الأساسية التي سترتكز عليها دراستنا في فكر علي بن أبي طالبعليه السلام كما يبدو من خلال نهج البلاغة.

= ١٣/ ١٣٣. حتى ٤١٧، ١٤/ ٢ حتى ٢٤ وذلك في استطراد طويل أثناء تعليقه على ما ورد من زهد في الخطبة رقم ٢٠٣.

(١) الراوندي: منهاج البراعة ١/ ٤.

(٢) المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري ص٣٠.

الباب الثاني

فكر علي بن أبي طالب عليه السلام السياسي كما يبدو في نهج البلاغة

- الفصل الأول: مفهوم الإمامة في فكر علي عليه السلام .

- الفصل الثاني: فكر علي بن أبي طالب عليه السلام في مجريات السياسة في عصره.

- الفصل الثالث: مؤسسات الدولة وسياستها الإدارية في فكر علي عليه السلام .

الفصل الأول

مفهوم الإمامة في فكر علي عليه السلام

١ ـ سياسة الدولة في الإسلام:

من خلال نظرة شاملة ومتعمقة لتصرفات النبي صلى الله عليه وآله، ندرك أنه قد كان بجانب تبليغه الدعوة يضع أسس الدولة التي ستحتضن الدين، ولم يكن ذلك التصرف منه اجتهاداً شخصياً، استناداً لقوله تعالى ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1]، فالأمر السماوي في الآية الكريمة يشمل جميع التصرفات القولية والفعلية لا يفرق في التشريع بين العقائد والعبادات، لذلك فإننا نعتقد أن «جميع الآيات القرآنية الكريمة التي نزلت لتشريع حكم من الأحكام التي تتعلق بموضوع الدولة وشؤونها جاءت على أساس قيام دولة شرعية في المجتمع الإسلامي»[2] لكون الإسلام كلاً متكاملاً لا يمكن تجزئته بين عمل دنيوي وآخر آخروي للترابط الوثيق

---

(١) الحشر / ٧.

(٢) عبدالرزاق الفضلي: الدولة الإسلامية ص١٢.

بينهما، فالدين «هو الحياة بأسرها وهو روحها الناطقة الحيّة ومحركها الرئيسي وقوتها الدافعة وهو الفهم والشعور والوعي[1] والفكر والنظر والإدراك». فالرابط بين الدين والدولة في الإسلام ينطلق من منظور أن الحياة بالنسبة للمسلم، مسلك يعبره من خلال معاملاته وعلاقاته الإنسانية، ليصل إلى النعيم المقيم الدائم في الآخرة، لأن «مقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم، فوجب بمقتضى الشرائع حمل الكافة على الأحكام الشرعية في أحوال دنياهم وآخرتهم»[2]، وبسبب الترابط التلازمي بين الدين والدولة، نجد أن سياسة الدولة في الإسلام مرتبطة ارتباطاً تتابعياً، يكون الدين قائداً والسياسة مقودة، ويمكن ملاحظة ذلك من تتبعنا لتكوين الدولة في الإسلام.

٢ ـ تكوين الدولة في الإسلام:

ممّا لا شك فيه أن الرسول ﷺ قد تمكن من بعد بيعة العقبة الثانية[3]

---

(١) أبوالأعلى المودودي: الحكومة الإسلامية ص١٣.

(٢) ابن خلدون: المقدمة ص٢٣٨.

(٣) بيعة العقبة الثانية: العقبة: موضع بين منى ومكة، بينها وبين مكة نحو ميلين وعندها مسجد، ومنها ترمى حجارة العقبة، وكان من حديثها أن النبي ﷺ كان في بدء أمره يوافي الموسم بسوق عكاظ وذي المجاز ومجنة، ويتبع القبائل في رحالها يدعوهم إلى أن يمنعوه ليبلغ رسالات ربّه، فلا يجد أحداً ينصره، حتى إذا كانت سنة إحدى عشرة من النبوة لقي ستة نفر من الأوس عند هذه العقبة، فدعاهم ﷺ إلى الإسلام وعرض عليهم أن يمنعوه... فآمنوا به وصدّقوه... فانصرفوا إلى المدينة وذكروا أمر رسول الله ﷺ فأجابهم ناس وفشا فيهم الإسلام، ثم لما كانت سنة اثنتي عشرة من النبوة وافى موسم الحج اثنا عشر رجلاً فآمنوا وأسلموا (فسميت بيعة العقبة الأولى) فلما كانت =

من وضع اللبنة الأساسية للمجتمع الإسلامي، نواة الدولة لأنه ﷺ بهذه البيعة قد تمكن من وضع اثنتين من أهم ركائز الدولة الإسلامية:

ـ **الركيزة الأولى**: الحصول على الحماية والمنعة التي كان محتاجاً إليها لتأمين حياة أصحابه ولتمكين الدعوة من الإستقرار ليتاح لها الإنتشار، ففي قوله ﷺ للمبايعين ليلة العقبة «أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تمنعوني مِمّا تمنعون مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ»[1] دلالة على الجهد العظيم الذي يسعى من أجله لإقرار الدعوة داخل سياج أمين قوي، لأن ما طلبه من حماية ليس بالسهل اليسير على العربي الذي يرى في العرض وصيانته أغلى القيم وأمنعها. هذا بالإضافة إلى أن تلك المعاهدة ستعرضهم إلى ما لا قبل لهم به من عداوة قريش وسخطها لما لها من قوة ونفوذ في القبائل العربية بحكم مكانتها الدينية.

الركيزة الثانية: وتتمثل في هجرة الرسول ﷺ مع من آمن به إلى المدينة بأمر من الله تعالى لقوله ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[2]، فحماية المؤمن وموالاته ومؤازرته لا تكون فرضاً على المؤمنين حتى يهاجروا من دار الكفر إلى المدينة المنورة دار الإيمان آنذاك لقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾[3]، هـذا وقـد

= سنة ثلاث عشرة من النبوة أتى منهم سبعون رجلاً وامرأتان وبايعوا الرسول ﷺ على المنعة، وهي بيعة العقبة الثانية ـ ياقوت ـ معجم البلدان ٤/ ٤٣.

(١) ابن هشام ـ السيرة ٢/ ٨٤.

(٢) النساء / ٨٩.

(٣) الأنفال / ٧٢.

وردت «الهجرة» والحض عليها بالمعنى الذي نقصده في ثلاثة وعشرين موضعاً من القرآن الكريم[١]، ممّا يدل على أهميتها في بناء الدولة الجديدة لكونها تدعو إلى تجمع بشري يعتمد العقيدة أساً في بناء العلاقات الإنسانية.

بعد أن دخل ذلك التجمع مرحلة التنفيذ بتوافد المسلمين إلى المدينة امتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى، دخلت الدولة الفتية مرحلة وضع القوانين التي تربط مختلف الفئات التي كانت تقطن المدينة بالجماعة الوافدين إليها، خاصة أنها لم تكن بعد حكراً على المسلمين، فقد كان يستوطنها بجانبهم اليهود، والكفار، فكان كتاب الرسول صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار وموادعة اليهود[٢]. والمتمعن في محتوى ذلك الكتاب يجد أنه اختصار دقيق وشامل لما ورد في القرآن الكريم من تبيان للعلاقات بين المسلمين وعلاقة المسلمين بغيرهم في حالتي السلم والحرب من جهة أخرى، ومعالجة لتلك القضايا وما ينجم عنها من مغانم ومغارم، ووجوب رجوع سكان المدينة من مسلمين وغيرهم إلى الرسول صلى الله عليه وآله في كل الأمور السياسية، وعدم إبرام أية معاهدة إلا بعلم منه. والمتصفح للقرآن الكريم سيجد في آياته تأييداً لكل شرط من شروط ذلك الكتاب، ومن المعلوم أن الكتاب قد كتب في بداية السنة الأولى من الهجرة، أي قبل نزول معظم

---

(١) البقرة / ٢١٨ ـ آل عمران / ١٩٥ ـ النساء / ٨٩، ٩٧، ١٠٠ ـ الأنفال / ٧٢، ٧٤، ٧٥ ـ التوبة / ٢٠، ١٠٠، ١١٧ ـ النحل / ٤١، ١١٠ ـ الحج/ ٥٨ ـ النور / ٢٢ ـ الأحزاب / ٦، ٥٠ ـ الحشر / ٨، ٩ ـ الممتحنة / ١٠.

(٢) راجع ابن هشام: السيرة ٢/ ١٤٧، فقد ذكر نص الكتاب وعرض لتفسير غريبه.

آيات التشريع، وليس يعني هذا أن القرآن قد كان ينزل بحسب رغبة النبي صلى الله عليه وآله أو ترجمة لأفكاره، وإنّما يعني ـ في اعتقادنا ـ أن تصوره لذلك الكتاب من قبيل المعجزة الإلهية، حيث تمكن صلى الله عليه وآله أن يرسم الخطوط العريضة للدولة دون سابق تجربة أو ممارسة، وعليه يمكننا القول إن الأساس الذي قامت عليه دولة الرسول صلى الله عليه وآله هو الوحي الإلهي، وحتى المسجد النبوي الشريف (مقر حكومة النبي) لم يكن باختيار أحد، فعلى الرغم من العروض الكثيرة التي عرضها أهالي المدينة على الرسول صلى الله عليه وآله للسكنى في جوارهم والأخذ بزمام ناقته فقد قال للجميع «إِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، خَلّوا سَبِيلَهَا. . . فانطلقت حتى بركت في محل من محلات بني النجار، وذلك في محل المسجد»[1].

ثم إن الرسول صلى الله عليه وآله بعد كتاب الموادعة ذاك، سار في بناء الدولة خطوة هامة الهدف منها محاولة إنشاء مجتمع إسلامي متكامل، وجعل المدينة ـ نواة الدولة ـ بوتقة ذلك الإنصهار بإذابة الفوارق، وتبديد هاجس الغربة من نفوس النازحين إليها، بزرع مواطنة جديدة أساسها العقيدة وأخوة الإسلام، تجعل من الأرض والمال شيئاً ثانوياً، فكانت مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار، فقد «آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه حين نزلوا المدينة ليذهب عنهم وحشة الغربة، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة، وشدّ أزر بعضهم البعض»[2] واستمرت تلك المؤاخاة بشموليتها لكل شيء بما في ذلك الميراث، حتى تمكن الإسلام من النفوس، واطمأنّ المسلمون في

---

(١) الحلبي: السيرة الحلبية ٢/ ٢٤٥.

(٢) السهيلي: الروض الآنف. عن السيرة لابن هشام ٢/ ١٥٠ ـ الهامش ٤.

وطنهم الجديد، بعد أن ذابت الفوارق ولم تعد الغربة تشكل هاجساً مقلقاً للنفوس المؤمنة، فنزل القرآن الكريم لفسخ الجانب المادي من تلك المؤاخاة لجعلها روحية خالصة لوجه الله تعالى، ففي قوله جلّ شأنه ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ﴾[1]، قصر سبحانه التوارث على القرابة من الأهل بعد أن كانت مؤاخاة «النبي ﷺ بين أصحابه وبينه وبين علي عليه السلام في النصرة والميراث»[2]، وبقيت المؤاخاة بين المسلمين ـ دون الإرث ـ على حالها لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[3]، فالقصر في الآية على المؤمنين يؤكد بقاء تلك الأخوّة واستمراريتها. فإذا كانت الدولة «هي جمع من الناس مستقرون في إقليم معيّن الحدود ويستقلون بحكم أنفسهم وفق نظام خاص»[4]، فإن ما قام به الرسول ﷺ من خطوات يكاد يطابق ما حدده ذلك التعريف للدولة، كما أن ذلك الكيان الجديد لم يكن من اجتهاد الرسول ﷺ، لأن الوحي كان يساير عمله ﷺ خطوة بخطوة كما لاحظنا سابقاً.

ثم إن نظم الجهاد وقواعد الحرب وما يترتب على ذلك من غنم أو غرم هو من وحي السماء، فعن الإذن بمحاربة الكفار وأعداء الإسلام بعد أن قامت الدولة، يقول سبحانه ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[5]، ويقول سبحانه في أهلية القيادة ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى

---

(١) الأنفال / ٧٥.

(٢) مغنية ـ التفسير الكاشف ٣/ ٥١٦.

(٣) الحجرات / ١٠.

(٤) يوسف خياط: معجم المصطلحات العلمية والفنية، ٢٤٥.

(٥) الحج / ٣٩.

ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾[1]، وعن الإستعداد للحرب من أجل إقرار السلم والعدل يقول سبحانه ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[2]، وعن الجنوح إلى السلم يقول سبحانه ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[3]، ومبايعة المؤمنين للرسول على الموت كشرط سياسي هي مبايعة لله سبحانه وتعالى وفقاً لقوله الكريم في بيعة الرضوان[4]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ﴾[5]. وفي قضية الأسرى وهي من المشاكل السياسية المتولدة عن الحرب، يقول سبحانه ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[6]. فالرأي الراجح في سبب نزول هذه الآية بعد غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة، أنه كان عتاباً من الله عزّ وجلّ لأصحاب نبيه ﷺ والمعنى: «ما كان ينبغي لكم أن

---

(١) القصص / ٥.

(٢) الأنفال / ٦٠.

(٣) الأنفال / ٦١.

(٤) بيعة الرضوان: كانت تحت شجرة سمرة بالحديبية، وكان الصحابة الذين بايعوا رسول الله ﷺ يومئذ، قيل ألفاً وثلاثمئة، وقيل أربعمئة، وقيل خمسمئة والأوسط أصحّ: تفسير ابن كثير ٥/ ٣٤٣. والحديبية: قرية متوسطة ليست بالكبيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها... وبينها وبين مكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل... وبعض الحديبية في الحل وبعضها في الحرم ـ ياقوت: معجم البلدان ٢ / ٢٢٩.

(٥) الفتح / ١٠.

(٦) الأنفال / ٦٧، والاثخان في الشيء المبالغة فيه والإكثار منه والمراد المبالغة في قتل الكفار.

تفعلوا هذا الفعل الذي أوجب أن يكون للنبي ﷺ أسرى قبل الاثخان ولهم هذا الإخبار بقوله ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾، والنبي ﷺ لم يأمر باستبقاء الرجال وقت الحرب ولا أراد قط عرض الدنيا، وإنّما فعله جمهور مباشري الحرب، فالتوبيخ والعتاب إنّما كان متوجها بسبب من أشار على النبي ﷺ بأخذ الدية»[1]، والمستخلص من ذلك أن القرار السياسي الذي اتخذه بعض المسلمين في أسرى بدر كان مخالفاً لحكم الإسلام ولم يسكت القرآن الكريم عن ذلك، ممّا يؤكد رابطة الدين بالدولة، لأن قواعد الحرب وما يترتب عليها من معاهدات بشأن السلم والتسلح والأسرى وغير ذلك من أمور عسكرية وأخرى اجتماعية لا يمكن أن تكون ذات فاعلية إلاّ في مجتمع مستقر تحكمه القوانين.

ثم أن جميع آيات التشريع، جاءت لتنظم العلاقات الإجتماعية والسياسية بين المسلمين أنفسهم، وبين المسلمين وغيرهم من أهل الذمة، وبين المسلمين والكفار، علاوة على ذلك، فقد أحكم القرآن الكريم طريقة التعامل مع من يمتنع عن الدخول في الإسلام من الأفراد والجماعات، فَحَكّم السيف في رقاب الكفار من قاطني شبه الجزيرة العربية، بينما ترك حرية العبادة لأصحاب الديانات السماوية شريطة دفع الجزية. ولو أمعنا النظر في صلح الحديبية[2] الذي تنازل فيه الرسول ﷺ عن الكثير من

---

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٤٥، ٤٦.

(٢) صلح الحديبية: كان في ذي القعدة من السنة الخامسة لهجرة الرسول ﷺ، خرج الرسول ﷺ معتمراً لا يريد حرباً ومعه جماعة من الهاجرين والأنصار ومن تبعه من الأعراب ألف وأربعمائة... فلما سمعت قريش بمسيره اجتمعت على منعه من دخول مكة، فلما استقر به المقام في الحديبية أخذ يفاوض قريش، فانبثق عن تلك =

صلاحياته، إلى حدّ جعل عمر يقول للرسول ﷺ «يَا رَسُولُ الله، أَلَسْتَ بِرَسُولِ الله؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: أَوَلَسْنَا بِالمُسْلِمِيْنَ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: أَوَلَيْسُوا بِالمُشْرِكِيْنَ؟، قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَعَلاَمَ نُعْطِيْ الدَّنِيَّةَ فِيْ دِيْنِنَا؟، فَكَانَ رَدُّ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: أَنَا عبدالله وَرَسُولَهُ، وَلَنْ أُخَالِفَ أَمْرَهُ ولنّ يُضَيِّعِنيّ»[1]، فصلح الحديبية بناء على قول الرسول ﷺ قد كان بوحي من الله.

وبعث الرسول ﷺ رسله إلى ملوك الممالك المجاورة في السنة

= المفاوضات صلح الحديبية شروطاً خمسة قد تبدو من حيث الظاهر أنها مجحفة بحق الإسلام والمسلمين، إلاّ أنها قد كانت في باطنها ذات فوائد عظيمة من عدة نواح:

أولا: اعتراف قريش بدولة الرسول كقوة يمكنها التفاوض من مركز قوة، كما يمكنها إدخال أي تحالف قبلي تحت حمايتها.

ثانيا: فترة السلام التي تعاهد الطرفان عليها أتاحت للناس التفكير في أمن واستقرار، فكان ذلك من أهم عوامل انتشار الإسلام، فقد دخل فيه في تلك الفترة مثل ما دخل فيه قبل ذلك وأكثر.

ثالثا: ثم أن شرط عدم قبول الرسول مسلمة قريش إلاّ بموافقتها، قد طلبت قريش من الرسول إلغاءه وعدم العمل به، بعد أن فرّ عتبة بن أسيد الثقفي وهو مسلم من سجنه ولم يقبله الرسول امتثالاً للمعاهدة، ففرّ هو وسبعون رجلا باسلامهم إلى ذي المروة على ساحل البحر على طريق قريش إلى الشام، فضيقوا على قريش، يعترضون قوافلهم التجارية، فأرسلت قريش إلى النبي يناشدونه الرحم لما أرسل إليهم فمن أتاه فهو آمن، فآواهم رسول الله، وبذلك صارت الهجرة إلى المدينة آمنة دون أية معارضة من قريش، فتحولت جميع بنود الصلح لصالح الإسلام ممّا أتاح له الانتشار في قبائل العرب ـ راجع بشأن ذلك: ابن هشام ـ السيرة ٣/ ٣٢١ ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ٢/ ١٣٥، ياقوت ـ معجم البلدان ٢/ ١٢٢٩.

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٦٤٣.

السادسة للهجرة يدل على أن البعد السياسي في الدولة تابع للبعد الديني[١]، لأن فحوى كتبه لأولئك الملوك أمّا الدخول في دين الإسلام، وأمّا الخضوع لإرادة دولة الإسلام امتثالاً لقوله تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾[٢]، فلم تكن بعوثه تلك إلاّ بوحي من الله. فبناء الدولة في الإسلام بجميع مؤسساتها جزء أصيل من الدين، لأنها لم تكن خارجة عن نطاق الوحي، بحيث يمكننا القول بأن الركائز الأساسية قد تم وضعها باكتمال الدين وإتمام النعمة، وقد سارت سياسة الدولة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله في نفس الإتجاه الديني في ظل تشريع القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وآله.

لم يتغير شيء من سياسة الرسول صلى الله عليه وآله إلاّ بعد التغيرات الإجتماعية التي حدثت للمجتمع العربي اثر تغير خريطة الدولة الإسلامية بعد الفتوح الواسعة وانتشار الإسلام، فكان من جراء ذلك التغيير محاولة العرب الإنحراف بالسياسة الدينية نحو المصالح الدنيوية، وقد بدأ ذلك الإنحراف يأخذ طريقه إلى نفوس القرشيين في الخفاء منذ خلافة عمر بن الخطاب[٣]، ثم تكشفت معالمه في خلافة عثمان[٤] وأسفر عن وجهه في خلافة علي عليه السلام الذي عايش ظروف ذلك المنعطف الخطير في السياسة

---

(١) جرت كتب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الملوك وغيرهم بدعوتهم إلى الإسلام فإن أبو فالجزية، وبذلك كان يوصي أمراء جيوشه وسراياه، وللإطلاع على نماذج من هذه الكتب، راجع: أبو عبيد ـ الأموال ص٢٠ وما بعدها.

(٢) سبأ / ٢٨.

(٣) راجع مقتل عمر ص٣٠٦ من هذا البحث.

(٤) راجع مقتل عثمان ص٣٠٧ من هذا البحث.

الدينية بكل إحساساته، وحاول جاهداً إعادتها إلى الجادة التي رسمها صاحب الرسالة، ولكن بعد فوات الأوان بانطلاق الشهوات المادية من عقالها، وخفوت جذوة القيم الروحية، فكان على علي عليه السلام أن يعيد التمثل بالسياسة الدينية على اعتبار أنه الممثل الشرعي للنبي صلى الله عليه وآله في توكيد تلك السياسة ومحاولة إحيائها بتبديد ما أثير حولها من شكوك، لذلك نجده في خطبته الأولى التي أعلن فيها سياسته، يقرّر بأن حكومته ما هي إلاّ امتداد لحكومة الرسول صلى الله عليه وآله كما يبدو من قوله «أَلاَ وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ الله نَبِيَّكُمْ صلى الله عليه وآله، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً، وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً وَلَتُسَاطُنَّ سَوْطَ القِدْرِ، حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلاَكُمْ، وَأَعْلاَكُمْ أَسْفَلَكُمْ»[1]، فالظاهر من تشبيهه عصره بعصر بداية البعثة النبوية أنه عازم على إعادة تلك السياسة التي نبذتها قريش إلى نصابها، لذا فإنه يقول للمسلمين في خطبة أخرى «وَلَكُمْ عَلَيْنَا العَمَلُ بِكِتَابِ الله تَعَالَى وَسِيْرَةِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وَالقِيَامُ بِحَقِّهِ وَنَعْشُ سِنَّتِهِ»[2]، ومن هذا المنطلق يمكننا دراسة السياسة الدينية في فكر علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣ـ السياسة الدينية في فكر علي عليه السلام ومقارنتها بالسياسة الإسلامية:

بعد أن استشرى في النفوس حبّ السلطة جريا وراء نفعها المادي بجمع الأموال واقتناء الضياع والإماء والعبيد والجواري[3]، أخذت السياسة

---

(١) خطب ١٦.

(٢) خطب ١٧٠.

(٣) بشأن ما كان يمتلكه بعض الصحابة من ثروات راجع: طبقات بن سعد ٣/ ١٠٩، ٢٢٢=

طريقها في الإستقلال عن الدين شيئا فشيئا، وقد صوّر لنا علي عليه السلام واقع المتكالبين على السلطة تصويراً دقيقاً، في مواضع متعددة من النهج، فصنّفهم إلى أربعة أصناف:

ـ **الصنف الأول**: هو المتقاعس عن طلب السلطان لا لشيء، إلاّ لشعوره بحقارة نفسه وضعفه عن مقارعة المتنافسين بسبب قلة الأعوان وعدم امتلاك الثروة فهو «لاَ يَمْنَعُهُ مِنْ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ إلاّ مَهَانَةُ نَفْسِهِ وَكَلاَلَةُ حَدِّهِ وَنَضِيْضُ وَفْرِهِ»[1].

ـ **الصنف الثاني**: المتمثل في الإنسان الحاقد الذي يبتغي للشرأيّة وسيلة بتنحية القيم الإنسانية جانبا، وتحكيم السيف في رقاب العباد من أجل إرضاء غرور النفس في حب التسلط فهو «المُعْلِنُ بِشَرِّهِ المُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ وَأَوْبَقَ دِيْنَهُ لِحُطَامٍ يَنْتَهِزَهُ أَوْ مَقْنَبٍ يَقُودَهُ أَوْ مِنْبَرٍ يَقْرَعَهُ»[2].

ـ **الصنف الثالث**: هو المنافق الذي يظهر خلاف ما يبطن، برفع الشعارات البراقة واتخاذ الدين وسيلة للوصول إلى السلطة، بالتصنع في الأقوال والأفعال «قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ، وَشَمَّرَ عَنْ ثَوْبِهِ، وَزَخْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ الأَمَانَةَ، وَاتَّخَذَ سِتْرَ الله ذَرِيْعَةً إلى المَعْصِيَةِ»[3].

ـ **الصنف الرابع**: هو الذي أقعده عن طلب السلطة اقتناعه الداخلي

= ومروج الذهب ٢/ ٢٤٢، ٣٤٢، ومعجم البلدان ٥/ ١٣٨، والعقيدة والشريعة للمستشرق جولد سهير ١٢١.

(١) إلى (٣) خطب ٣٢.

بأنه ليس أهلاً لها لعدم قدرته على التعامل مع الناس، وهروباً من ذلك تزيا بزي الزهاد، واتخذ القناعة ستاراً فهو الذي «أَبْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ المُلْكِ ضُؤولَهِ نَفْسِهِ، وَانْقِطَاعِ سَبَبِهِ، فَقَصَرَتْهُ الحَالُ عَنْ حَالِهِ فَتَحَلّى باسْمِ القَنَاعَةِ وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزّهَادَةِ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاحٍ وَلاَ مَغْدَى»[1].

فالسلطة في عرف الفئات الأربع مطمع دنيوي لا يمت للدين بصلة، وبسبب نجوم تلك الفئات المتسلقة وقع الحيف على عامة الناس الذين استحالوا جراء أطماع أولئك إلى «خَائِفٍ مَقْمُوعٍ، وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ، وَدَاعٍ مُخْلِصٍ، وَثَكْلاَنَ مُوْجَعٍ، قَدْ أَخْمَلَتْهُمْ التَّقِيَّةُ، وَشَمَلَتْهُمْ الذِّلَّةُ فَهُمْ فِيْ بَحْرٍ أَجَاجٍ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ، قَدْ وَعُظُوا حَتَّى مُلُّوا، وَقُهِرُوا حَتّى ذَلُّوا، وَقُتِّلُوا حَتّى قَلّوا»[2]. فكما يبدو من تصنيف علي عليه السلام للفئات الأربع المتسلقة، فإن الدين والسلطة ليسا خطين متوازيين، بل إنهما خطان متداخلان يشكل الدين فيهما أساس ذلك التداخل المنظم للعلاقات في إطار تمازجهما، ونلمس ذلك من خلال دراستنا لعلاقة السلطة بالدين في فكر علي عليه السلام.

٤ ـ السلطة والدين في فكر علي:

لقد عرفنا من القول بأن سياسة علي عليه السلام امتداد لسياسة النبي صلى الله عليه وآله، وعلى ذلك الأساس، فمن المرجح أن الركيزة الأساسية في فكر علي عليه السلام السياسي هي خضوع السلطة المدنية للسلطة الدينية خضوعاً مطلقاً، لذلك ارتأى أن في محاربته الخارجين على سلطته ـ بعد أن ولي الخلافة ـ واجباً

---

(١)،(٢) خطب ٣٢.

دينياً، وأن المهادنة مع أولئك كفر بما جاء به محمدﷺ استناداً لقوله «وَقَدْ قَلَّبْتُ هَذَا الأَمْرَ بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ حَتَّى مَنَعَنِي النَوْمَ، فَمَا وَجَدْتُنِي يَسَعُنِي إلاّ قِتَالُهُم أَوْ الجُحُود بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمّدٌﷺ فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ القِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ العِقَابِ، وَمَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الآخِرَةِ»(١) فعليعليه السلام يرى من واجبه كإمام للأمة أن لا يتهاون ولا يهادن على حساب ما شرّعه الإسلام، لأن غاية السلطة تحقيق العدالة في ظل شريعة السماء.

ومن منطلق إسلامي بحت بنى أيضاً سياسته المالية، فلا محاباة ولا مفاضلة بين طبقات المجتمع في توزيعه لأن «المَالَ مَالُ الله»(٢)، وقد عايش هو وجميع الصحابة تصرف الرسولﷺ في المال، فطلحة والزبير وغيرهما من المسلمين ليس لهم في المال إلاّ بقدر ما شرعه الإسلام لكل فرد، لذلك فإنه يقول لطلحة والزبير لما عتبا عليه مساواتهم بغيرهم من المسلمين «أَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الأَسْوَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيْهِ بِرَأْيٍّ، وَلاَ وَلَيْتُهُ هَوَىً مِنِّي، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهﷺ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيْمَا فَرَغَ الله مِنْ قَسْمِهِ وَأَمْضَى فِيْهِ حُكْمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمَا، وَاللَّهِ، عِنْدِي وَلاَ لِغَيْرِكُمَا فِيْ هَذَا عُتْبَى»(٣). ثم إن ممارسته للسلطة تقوم على السياسة الدينية نستشف ذلك ممّا قاله لطلحة والزبير حين احتجا على سياسته في تسيير الأمور دون مشورة منهما «لَمّا أَفْضَتْ إليّ نَظَرْتُ إلى كِتَابِ الله وَمَا وَضَعَ لَنَا وَأَمَرَنَا بِالحُكْمِ بِهِ، فَاتَّبَعْتُهُ وَمَا اسْتَنَّ النَبِيُّ

---

(١) خطب ٥٤، وجاء مثله أيضاً في الخطبة رقم ٤٣.

(٢) خطب ١٢٦.

(٣) خطب ١٩٩، والعتبى: العتاب واللوم.

فَأَقَمْتَهُ، فَلَمْ أَحْتَجْ إلى رَأيِكُمَا وَلاَ رَأيِ غَيْرِكُمَا»[١]. فأسلوب الحكم في فكره عليه السلام لا يقاس نجاحه برضى العامة وإنما يقاس بمدى مطابقته لما جاء في الشريعة الإسلامية، فوجهات النظر المختلفة حول التطبيق الصحيح لأساليب الحكم والمعاملة هو ما حدا بعلي إلى القول لمن بايعه «لَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِداً، إنّي أُرِيدُكُمْ إلى الله وَأَنْتُم تُرِيْدُوْنَنِي لِأَنْفُسِكُمْ»[٢]. فالقيادة في فكره عليه السلام مبنية في الأساس على الدين، ومهمة الخليفة أو الإمام بتطبيق الشرع على جميع شؤون الحياة، لذلك فإن الطاعة التي يتوخاها في جمهور المسلمين ليست لشخصه، وإنما هي لمصلحة المطيعين، لأن قيادته لهم قيادة هداية وصلاح، وفي هذا الصدد يقول لأهل البصرة «فَإنْ أَطَعْتُمُونِي فَإنّي حَامِلُكُمْ ـ إنْ شَاءَ الله عَلَى طَرِيقِ الجَنَّةِ، وَإنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيْدَةٍ وَمَذَاقَةٍ مَرِيْرَةٍ...»[٣]، فالقيادة الحقة هي التي تؤدي إلى الجنة وهي غاية الإسلام من الحكم كما يراها عليه السلام ممّا يؤكد الإرتباط الوشيج بين الدين والدولة في النظام الإسلامي «لأن الإسلام دين وليس قانوناً أخلاقياً ولا مذهباً فلسفياً»[٤]، وذلك على أساس المفهوم الواسع لمعنى الدين في شموليته على أصول الشرائع وفروعها بما تنطوي عليه من اعتقادات وعبادات، وممارسات متعلقة بجميع شؤون الدين والدنيا فوصف الدين على أنه:

---

(١) خطب ١٩٩.

(٢) خطب ١٣٦.

(٣) خطب ١٥٦.

(٤) عبدالمجيد النجار: العقل والسلوك في البيئة الإسلامية ص٢٣.

أ ـ ممارسة شعائر وطقوس معينة.

ب ـ الإعتقاد في قيمة مطلقة لا تعدلها أية قيمة.

جـ ـ ارتباط الفرد بقوة روحية عليا[1].

يقصره على العبادات والطقوس وهو ما يتنافى وشمولية الإسلام الذي وصفه عليه السلام بأنه «التَسْلِيْمُ وَالتَسْلِيْمُ هُوَ اليَقِيْنُ، وَاليَقِيْنُ هُوَ التَّصْدِيْقُ، وَالتَصْدِيْقُ هُوَ الإِقْرَارُ، والإِقْرَارُ هُوَ الأَدَاءُ، والأَدَاءُ هُوَ العَمَلُ»[2] المطلق اللامحدود بزمان أو مكان لبناء خير الإنسانية «لأن لفظ العمل يشمل الإعتقاد والنطق باللسان وحركات الأركان... كل ذلك عمل وفعل»[3]، وهذا يبطل الزعم بعدم وجود فرق بين الإسلام والمسيحية، من حيث الحكم والسياسة على اعتبار «أن الإسلام دين يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويوجه إلى الخير ويبعد عن الشر... ولا تزيد المسيحية على هذا ولا تنقص منه، ولأمر ما قال عيسى عليه السلام للذين جادلوه من بني إسرائيل: أعطوا ما لقيصر وما لله لله»[4]. لأن مفهوم «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» كمصطلح ديني في الإسلام لا يمكن إفراغه إطلاقا من مضمونه الثوري الذي بثه الإسلام فيه، فتصوره على أنه مجرد نصح وإرشاد وتبشير يبعده عن مفهومه السياسي كمبدأ من مبادئ الثورة على الظلم وهدم الفساد، وقد منحه المسلمون في كثير من العصور ذلك البعد السياسي

---

(١) خياط: معجم المصطلحات العلمية والفنية، ص٢٤٧.

(٢) حكم ١٢٢.

(٣) ابن أبي الحديد، السابق ١٨/ ٣١٤.

(٤) طه حسين: الفتنة الكبرى ـ عثمان ـ ص٢٧.

الذي أراده الإسلام له، فممّا يؤثر عن الحسين بن عليه السلام في خطبته لأهل الكوفة عند خروجه على يزيد قوله «أَيُّها النَّاسُ، إنّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: مَنْ رَأَى سُلْطَاناً جَائِراً لِحَرَمِ الله، نَاكِثاً لِعَهْدِ الله، مُخَالِفاً لِسُنَّةِ رَسُولِ الله، يَعْمَلُ فِي عِبَادِ الله بِالإِثْمِ وِالعُدْوانِ، فَلَمْ يُغَيِّر عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلاَ قَوْلٍ كَانَ حَقاً عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ، أَلا وَأن هَؤلاءِ قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشيطان وتركوا طاعة الرّحْمَنِ، وَأَظْهَرُوا الفَسَادَ وَعَطَّلُوا الحُدُوَد، وَاسْتَأْثَرُوا بِالفَيءِ وَأَحَلُّوْا حَرَامَ الله، وَحَرّمَوا حَلاَلَهُ وَأَنَا أَحَقُّ مَنْ غَيَّرَ»[١].

ثم إن الإستشهاد بمقولة المسيح بحسب مفهومها الذي وردت في سياقه[٢] تتناقض ومفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الدين

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٤٠٣.

(٢) يبدو أن المقولة قد صدرت عن المسيح عليه السلام لأولئك الهيرودسيون الذين حاولوا أن ينتزعوا اعترافاً منه بالتمرد على السلطة القائمة حين قالوا له«يا معلم، نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق لا تبالي بأحد، لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس، فقل لنا ماذا تظن. أيجوز أن نعطي جزية لقيصر أم لا؟ فعلم يسوع خبثهم، وقال: لماذا تجربونني يا مراؤون، أروني العملة التي تدفع بها الجزية، فقدموا له ديناراً. فقال لهم: لمن هذه الصورة والكتابة؟ قالوا: لقيصر، فقال لهم: أعطوا إذا ما ليقصر ليقصر، وما لله لله. . . ، عن كتاب ـ تاريخ الأفكار السياسية١/ ١٥٧ نقلا عن: انجيل متى ـ الإصحاح الثاني والعشرون ـ الآية ١٦ ـ ٢٢. فمفهوم مقولة المسيح عليه السلام في السياق الذي وردت فيه تعني الخضوع للسلطة الدنيوية حتى وإن كانت ظالمة وهذا لا يتناسب ومفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كعنصر فعّال من عناصر السياسة الدينية في الإسلام، يهدف إلى دفع الأمة نحو الأحسن والأصلح، بنسف الفساد وفضح أساليب الالتواء والغش، ويكفي في هذا الصدد بأن«كلمة حق عند سلطان جائر» هي من لب قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الإسلامي، لأن معناها «أنه يجب الإذعان إلى الضرورات السياسية، إذ لا قيمة لها يجب دفع الضريبة الرمز الخالد للطاعة المدنية وذلك بالتحديد لأنها لا تخص الله»[(١)] فالفكر السياسي معدوم تماما في الديانة المسيحية على اعتبار أن السياسة من اختصاص المجتمع الدنيوي وأن «أمور المجتمع الدنيوي تدرك بأنها مختلفة اختلاف جذرياً عن أمور المجتمع السماوي»[(٢)]، فالتبشير المسيحي مبني على أساس تثبيت الوضع القائم، وإقرار بالواقع الدنيوي بكل عيوبه، وهو موجه بالذات إلى المنبوذين والمعدمين لمحاولة إقناعهم بأن «الهناءة الحقيقية في نظام ملذات الأرض وأنه يجب تحمل حالات التعاسة الأرضية أو الإجتماعية أو الجسدية»[(٣)] بعكس نظرة الإسلام للدين، حيث يرى فيه «أنه أساس المواطنة، فالدين هو بالماهية، قيمته من طبيعته السياسية، لا بل هو القيمة الحقيقية الوحيدة لهذه الطبيعة السياسية»[(٤)]، لذلك فإن ما زعم من دنيوية السياسة في الإسلام استناداً على تنازع المسلمين على خلافة الرسول «لأنه توفي من غير أن يسمي أحداً يخلفه من بعده»[(٥)] تنبني على ركيزتين:

١ ـ رفض نظرية الإمامة[(٦)] عند الشيعة.

٢ ـ الإعتماد على مقولات فقهاء السنة في الإمامة والمستخلصة من وصف الواقع وتبريره دون محاكمته.

---

(١) إلى (٤) تاريخ الأفكار السياسية ١/ ١٤٨، ١٤٩، ١٤٨، ١٩١.

(٥) راجع: خالد محي الدين: الدين والاشتراكية ص١٦٢، علي عبدالرزاق: الإسلام وأصول الحكم ص١٨١، ممدوح حقي: التعليق على كتاب الإسلام وأصول الحكم ص١٨٧.

(٦) حول نظرية الإمامة عند الشيعة، راجع ص١٧٥ من هذا البحث.

أولاً: رفض نظرية الإمامة عند الشيعة، ودراستها لغاية نقدية هجومية على الرغم من استقرائها أدلتها وبراهينها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ثانياً: الإعتماد على مقولات فقهاء السنة في الإمامة، والتي لم تكن سوى وصف لما حدث بعد وفاة الرسول ﷺ في محاولة لرفع الملام عن تصرف الصحابة وذلك في القديم وتأييداً لدنيوية الحاكمية في الإسلام في العصر الحديث، على الرغم ممّا يكتنف تلك المقولة من تناقضات.

الوصفية التبريرية تكمن في قولهم بشرطي صحة انعقاد الإمامة وهما:

١ ـ اختيار أهل العقد والحل

٢ ـ بعهد الإمام من قبل[١]

فعلى ضوء ما حدث في سقيفة بني ساعدة من مجادلات انتهت بإشهار بيعة أبي بكر[٢] انبثق شرط اختيار (أهل الحل والعقد) وصار شرطاً أساسيا في صحة انعقاد الإمامة. ثم إن شرط جواز قبول الإمامة بعهد الإمام من قبل فهو أيضاً تبرير لعهد أبي بكر في عمر[٣]، ثم في حصر عمر الخلافة في ستة يتفقون فيما بينهم لاختيار أحدهم خليفة[٤].

أما تبرير الواقع، فهو القبول والتسليم بما حدث في الثلاث حالات

---

(١) راجع كيفية انعقاد الإمامة عند: عبدالقاهر البغدادي: أصول الدين ص٢٧٩، الماوردي: الأحكام السلطانية ص٦، ابن حزم: الفصل في الملل والنحل ٤/ ١٦٧.

(٢) راجع ص١٩٠ من هذا البحث.

(٣) راجع ص١٩٠ من هذا البحث.

(٤) راجع ص١٩٠ من هذا البحث.

على أنه من الأمور السياسة المقطوع بصحتها، بناء على صحة انعقاد الحكم باختيار فئة معينة هم (أهل الحل والعقد) أو بعهد من الخليفة السابق للخليفة اللاحق، ممّا أتاح فيما بعد للفقهاء ابتكار تبريرات أخرى جديدة تؤيد نظم الحكم التي فرضت نفسها بالقوة على دولة الإسلام.

وافتقار كلا الشرطين إلى الدليل الشرعي هو ما أتاح القول بانفصال الحكم عن الدين رغم الإقرار أن «الخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها. إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا»[1]، فالتعريف كما يبدو ينص على أن الخلافة منصب ديني الهدف منه حمل كافة الناس على موائمة الأعمال الدنيوية، لتتناسب وأعمال الآخرة التي ترضي الله. وقد يبدو التعريف ـ من وجهة نظرنا ـ متوازنا من الناحية الدينية، لولا إسناده اختيار صاحب ذلك المنصب الخطير لأهل الحل والعقد ممّا يجعل الجانب الديني في بعض نواحيه يخضع إلى الجانب الدنيوي، الذي عادة ما تؤثر فيه العواطف الذاتية والإنفعالات الشخصية من عصبية وموالاة، وحب، وكره وهو ما يتنافى في مجال التطبيق باعتراف المشرعين الإسلاميين كما يبدو من المقولة بأن «الأنظمة السياسية في الإسلام تتصف بأنها إسلامية أو بالأحرى دينية»[2]، وما دام الدين هو القيّم على السياسة في الإسلام فلابدّ أن يكون للإمامة ـ الحارسة لتلك السياسة

---

(١) ابن خلدون: المقدمة ٢٣٩.

(٢) أحمد محمود صبحي: نظرية الإمامة ص١٧.

والمنفذة لها ـ شروطها المعتبرة ممّا يحتم علينا التعرض لها من حيث الوجوب وشروطه في الفكر الإسلامي، ومدى تطابقه وما جاء في فكره عليه السلام كما يبدو في نهج البلاغة.

مفهوم الإمامة:

١ ـ اللغوي: تجمع المعاجم اللغوية[١] على أن مفهوم كلمة إمام: هو القدوة أو المثال أو النموذج الذي يحتذى، كما يفهم من ذلك أن كلمة إمام لا يقتصر إطلاقها على الإنسان فقط، إذ قد يكون الكتاب إماماً، كما في قوله تعالى ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا﴾[٢]، «ويقال إن الخيط الذي يجمع الخرز إمام»[٣] والإمام «المثال، وما يتعلمه الغلام في المكتب. . . وخيط البناء، وخشبة البناء، والطريق»[٤]. وعلى هذا فإنّ تحديد معنى الكلمة ومعرفة نوعها وطبيعتها يمكن استخلاصه من السياق الذي ترد فيه سواء أقصد من ذلك المدح كما في قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[٥] أم الذم كما في قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾[٦]، وقد ترد في السياق لغرض بلاغي كما في قوله تعالى ﴿وَكُلَّ

---

(١) راجع: الجوهري: الصحاح ٥/ ١٨٦٥، ابن فارس: مجمل اللغة ١/ ٨٢، ابن منظور: لسان العرب ١/ ١٥١.

(٢) هود / ١٧.

(٣) ابن فارس: مجمل اللغة ١/ ٨٢.

(٤) ابن منظور: لسان العرب ١/ ٦١.

(٥) الأنبياء / ٧٣.

(٦) القصص / ٤١.

شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[1]، فالمقصود إمام كما يبدو في السياق ـ هو الكناية عن «معلومات الله سبحانه على التفصيل»[2] ولما كانت معاني مفردة (إمام) تنحصر في المثال والقيادة سواء أكانت معنوية أو مادية، فقد توّلد عن ذلك المعنيان: الإصطلاحي، والسياسي، لكون السياق التعبيري منحهما ذلك.

٢ ـ **المعنى الإصطلاحي**: لا يمكن تحديد الفترة الإسلامية لمصطلح إمام، إلاّ أننا نعتقد أن ذلك كان في فترة مبكرة جداً لارتباط المعنى ارتباطاً وثيقا بالصلاة التي فرضت على المسلمين في السنة الأولى من البعثة النبوية[3] ، وللأهمية التي يوليها المسلمون للمعنى الإصطلاحي لكلمة (إمام) فقد اختلف السنة والشيعة في أمر إمامة المسلمين في الصلاة أثناء مرض الرسول الذي توفي فيه في السنة الحادية عشرة من هجرته[4]. إذ

---

(١) يس / ١٢.

(٢) الطبري: مجمع البيان ٢٢/ ١٢.

(٣) راجع في شأن ذلك رواية صلاة الرسول بخديجة وعلي عليه السلام عند البيت العتيق بمشهد من العباس ابن عبد المطلب وهي كما نعتقد أول إمامة للصلاة في الإسلام ـ تاريخ الطبري ٢/ ٣١١.

(٤) قال الزهري: حدثني حمزة بن عبدالله عن عمران عن عائشة قالت«لما استعز برسول الله صلى الله عليه وآله قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس. . . ابن هشام ـ السيرة النبوية ٤ / ٣٠١، وفي رواية أخرى عن عبدالله بن زمعة عن الاسود بن المطلب بن أسيد قال«لما استعز برسول الله صلى الله عليه وآله وأنا عنده في نفر من المسلمين قال: دعاه بلال إلى الصلاة، فقال: مروا من يصلي بالناس ـ السابق ٤/ ٣٠٣. ومن الملاحظ أن الرواية الأولى تنص على تكليف أبي بكر بالصلاة بينما لم تعيّن الرواية الثانية فرداً بعينه. ويحتج الشيعة بالرواية الثانية على«أن ذلك القول كان من عائشة لبلال: قل لأبي بكر يصلي بالناس، فلما =

يرى السنة أن الرسول ﷺ قد استناب أبا بكر عنه في الصلاة بالناس، بينما يرى الشيعة أن صلاة أبي بكر بالناس أثناء مرض الرسول ﷺ كانت بأمر من ابنته السيدة عائشة، حتى تمكن له من السلطة فيما بعد. وهذا الإختلاف يدل على انبثاق المعنى السياسي الذي سيبرز بعد وفاة الرسول ﷺ.

وللاحتراز من الخلط بين المعنى الإصطلاحي وبين المعنى السياسي وجب تقييد أحدهما فوجدوا إنه من الأجدى تقييد المصطلح الديني بإضافته فقد «قال قوم أن اسم الإمامة قد يقع على الفقيه والعالم وعلى متولي الصلاة بأهل مسجد ما، قلنا نعم، لا يقع على هؤلاء إلاّ بإضافته لا بالإطلاق، فيقال: فلان إمام الدين، وإمام بني فلان، فلا يطلق لأحدهم اسم الإمامة بلا خلاف»[1]. وعلى هذا الأساس اكتسبت لفظة إمام (مطلقة) معناها السياسي..

٣ ـ المعنى السياسي: إذا ما أطلقنا كلمة (إمام) على شخص ما دون تقييدها فإنها بالمفهوم الإسلامي تعني القائد الديني والسياسي للأمة لأن الإمامة «موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا»[2] ونطلق

= أفاق ﷺ وقد سمع مقالتها قال: إنكن صويحبات يوسف، ثم خرج ﷺ متوكئا على علي والفضل بن العباس. . . وتقدم فصلى بالناس» ابن شاذان ـ الإيضاح ص١٨٣، وراجع أيضاً استخلاف الصلاة بالتفصيل برواية الشيعة عند المفيد ـ الإرشاد ص٩٧، على أننا نعتقد أن صلاة أبي بكر بالناس لم تكن السبب المباشر لمبايعته في سقيفة بني ساعدة ولكن احتجاجه بالحديث«الأئمة من قريش» هو ما أحدث البلبلة في نفوس الأنصار، راجع ص٢١٥ من هذا البحث.

(١) ابن حزم: الفصل في الملل والنحل ٤/ ٩٠.

(٢) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص٥.

على متقلدها لقب (إمام) لأهليته واعتباره قدوة في أفعاله وأقواله، وقد اعتبر صحة انعقادها في صدر الإسلام قياساً على إمامة الصلاة، اعتباراً بقول كل من عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح لأبي بكر في سقيفة بني ساعدة «لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك، فإنك أفضل المهاجرين وثاني اثنين إذ هما في الغار، وخليفة رسول الله على الصلاة، والصلاة أفضل دين المسلمين. . . أبسط يدك نبايعك»[١]، إذ صارت إمامة أبي بكر للمسلمين في الصلاة من أهم المزايا التي أهلته لإمامتهم في تدبير شؤون دنياهم. ولكن هذا لا يعني أن المضمون السياسي لكلمة إمام وليد اجتماع السقيفة.

بالإضافة إلى ذلك فإن الإمامة ليست من «الألقاب المستجدة للخليفة أثناء الدولة العباسية بالعراق»[٢]، بدلالة ورودها بمضمونها السياسي في القرآن الكريم، باتفاق المفسرين على أن قوله تعالى ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ من قوله ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾[٣]، أي نجعلهم «ولاة وملوكاً»[٤]. كما أثر المعنى السياسي للإمامة عن النبي ﷺ في قوله «الأئمة من قريش»[٥]، وقد رجح احتجاج أبي بكر بنص الحديث السابق، على مطالبة الأنصار بالخلافة في

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٢١.

(٢) القلقشندي: مآثر الأنافة ١/ ٢١.

(٣) القصص / ٥.

(٤) راجع تفسير الطبري ٢٠/ ١٩، الطبرسي: مجمع البيان ٢٠/ ١٦٣، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٣٤٩.

(٥) مسند الإمام أحمد (الفتح الرباني ٢٣/ ٦).

سقيفة بني ساعدة[١].

فالإمامة بالمعنى السياسي يمكن اعتبارها من أقدم التعريفات لولي الأمر في الدولة الإسلامية، كما أنها الأنسب من حيث تداخل المهام الدينية بالمهام الدنيوية في اختصاصاته كقائد وقدوة وقيّم على الدين، لذلك فمن المرجح، أن اختيار الشيعة للإمامة كمصطلح سياسي يطلقونه على «الرياسة العامة على جميع الناس»[٢] هو من باب الإختيار الدقيق لجمع السلطتين الدينية والدنيوية في شخص الإمام على أساس الترابط الوشيج، استيحاء من القرآن الكريم، والحديث الشريف، وما أثر عن علي بن أبي طالب عليه السلام في نهج البلاغة[٣] على أنه بجانب لقب إمام، فإن هناك لقبين آخرين مساويين له في القيمة، استخدمهما المسلمون للتعريف القائم بأمور المسلمين بعد الرسول صلى الله عليه وآله وهما:

١ ـ خليفة رسول الله

٢ ـ أمير المؤمنين

لقب خليفة رسول الله:

يعرّف أبوالبقاء الكفوي الخلافة بأنها «النيابة عن الغير إمّا لغيبة المنوب

---

(١) راجع العقد الفريد ٤/ ٢٥٨.

(٢) الطريحي: مجمع البحرين ٦/ ١٥.

(٣) وردت كلمة إمام بالمفهوم السياسي عن علي بن أبي طالب عليه السلام في (نهج البلاغة) اثنتين وسبعين مرة، تسعة وثلاثون اسماً صريحاً وثلاثة وثلاثون ضميراً، راجع على سبيل المثال: الخطب: ١٨، ١٠٤، ١٥٢، والرسالة: ٦، لمعاوية بن أبي سفيان.

عنه، وإمّا لموته، وإمّا لعجزه»[١] ويكون الإستخلاف إمّا للجدارة والقدرة و«إمّا لتشريف المستخلف، وعلى هذا استخلف الله عباده في الأرض»[٢]، فالخليفة بهذا المعنى هو الذي يقوم مقام من هو قبله في تدبير الأمور المناطة بالمستخلف. ومنه تولد المعنى السياسي بتعريف الخلافة بالإمامة الكبرى[٣] والخليفة بأنه «السلطان الأعظم»[٤] أو الحاكم، كما ورد في قوله تعالى ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾[٥] أي «ملكاً لتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فتخلف من كان قبلك من الأنبياء، والأئمة الصالحين»[٦]، كما أثر عن الرسول ﷺ بشأن الخلافة بالمعنى السياسي قوله «لايَزالُ هَذا الأمرُ عَزِيزاً إلى اثْنَى عَشَرَ خَلِيْفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ»[٧].

يقال إن أول من اتخذ لقب خليفة في الإسلام هو أبوبكر الصديق، حين وافق على أن يسمى بخليفة رسول الله ﷺ منكراً على من سماه بخليفة الله لأنه «إنّما يستخلف من يغيب أو يموت، والله تعالى باق موجود على الأبد لا يغيب ولا يموت»[٨]. ويرى أحمد بن حنبل وجوب إطلاق اسم

---

(١) الكليات ٢/ ٢٩٩.

(٢) السابق.

(٣) راجع ابن خلدون: المقدمة ص٢٣٩.

(٤) ابن منظور: لسان العرب المحيط ١/ ٨٨٢.

(٥) سورة ص/ ٢٦.

(٦) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ١٨٨.

(٧) صحيح مسلم ٣/ ١٤٠٣.

(٨) القلقشندي: مآثر الأنافة ١/ ١٥.

خليفة على الراشدين الأربعة والحسن بن عليه السلام دون غيرهم استناداً لقول رسول الله ﷺ «الخِلاَفَةُ فِي أُمَّتِي ثَلاَثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ»[١]، على أساس احتساب مدة خلافة الراشدين والحسن بن علي عليه السلام والمقدرة بثلاثين سنة، إلاّ أن رأي أحمد بن حنبل ذاك ومن تابعه من الفقهاء، لم يمنع من إطلاق لقب خليفة على كل من تمكن من السلطة سواء بالعهد أو بالقهر، وذلك لتجويز بعض الفقهاء تسمية أي متسلط بخليفة «وإن كان مخالفاً لسيرة أهل العدل»[٢].

أمير المؤمنين: الأمر بمعناه المطلق ـ ما لم يخرج عن صيغته الأصلية لغرض بلاغي ـ هو طلب الشيء على سبيل الإستعلاء ومنه سمي الأمير ملكاً «لنفاذ أمره. . . والجمع أمراء وأمر الرجل يأمر إمارة إذا صار عليهم أميراً، والتأمير تولية الإمارة، وأولو الأمر الرؤساء وأهل العلم[٣].

وإضافة أمير إلى المؤمنين من الألقاب المستحدثة في خلافة عمر بن الخطاب، كما يرى أهل السنة والسبب في ذلك استثقال لقب (خليفة خليفة رسول الله) فأطلق عليه المسلمون لقب (أمير المؤمنين) وقيل إن أول من أسماه بذلك أبووبرة[٤] وعلي بن أبي طالب عليه السلام، وفي رواية ثانية، إن أول من أطلق عليه ذلك اللقب عمرو بن العاص، حين دخل عليه يستأذنه في

---

(١) بذل المجهود في حل أبي داود ١٨/ ١٧٠، القلقشندي: مآثر الأنافة ١/ ١٢.
(٢) مآثر الأنافة ١/ ١٤.
(٣) لسان العرب المحيط ١/ ٩٧، ٩٨.
(٤) أبووبرة: هكذا ورد الاسم في مآثر الأنافة ١/ ٢٦، ٢٧ ولم أعثر له على ترجمة.

دخول لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم[(١)]، بعد قدومهما من عامله على العراق، بعد أن طلب عمر من ذلك العامل أن يرسل إليه برجلين عارفين بأمور العراق[(٢)]. أما الشيعة الإمامية فيرون أن لقب (أمير المؤمنين) هو من مستحدثات عصر النبوة، وأن الرسول ﷺ قد اختص به علياً «لم يسم به أحداً قبله ولم يسم بعده»[(٣)] فعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ «يَا أَنَسُ أَوّلُ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ هَذَا البَابِ أَمِيْرُ المُؤمِنِيْنَ وَسَيّدُ المُسْلِمِيْنَ وَقَائِدِ الغُرِّ المُحَجَّلِيْنَ وَخَاتِمُ الوَصِيِّيْنَ، قال أنس «قُلْتُ اللّهُمَّ اجْعَلْهُ رَجُلاً مِنَ الأنْصَارِ وَكَتَمْتُهُ. إذْ جَاءَ عليه السلام فَقَالَ: مَنْ هَذَا يَا أَنَسُ؟ فَقُلْتُ: عَلِيٌّ، فَقَامَ مُسْتَبْشِراً فَاعْتَنَقَهُ...»[(٤)].

---

(١) عدي بن حاتم: بن عبدالله بن سعد بن الحشرج... أبوه حاتم هو الجواد الموصوف بالجود... أسلم وحسن إسلامه. روى عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة، كان جواداً شريفاً في قومه، معظماً عندهم وعند غيرهم... كان منحرفاً عن عثمان... شهد بعض الفتوح الإسلامية وشهد صفين مع علي عليه السلام، توفي سنة سبع وستين من الهجرة وله من العمر مائة وعشرون سنة. راجع أسد الغابة ٤/ ٨، ٩، ١٠.

(٢) حول هذا الأمر راجع: مآثر الأنافة ١/ ٢٦، ٢٧.

(٣) الطريحي: مجمع البحرين ٣/ ٢١١.

(٤) أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء ١/ ٦٣، وعن المفيد في الإرشاد ص٢٨: عن بريدة بن خصيب الاسلمي أنه قال«إن رسول الله ﷺ أمرني وأنا سابع سبعة فيهم أبو بكر وعمر وطلحة والزبير، فقال: سلّموا على علي بإمرة المؤمنين فسلمنا بذلك ورسول الله ﷺ حي بين أظهرنا»، وورد مثل ذلك عند: الطبرسي ـ الاحتجاج ص١٥٧، والمجلسي ـ بحار الأنوار ٣٧/ ٢٩٠ وما بعدها (باب ما أمر به النبي ﷺ من التسليم عليه بإمرة المؤمنين» ونحن نرجح مقولة الشيعة في تلقيب علي ب (أمير المؤمنين) منذ عهد رسول الله ﷺ استناداً إلى الوقائع التاريخية المرتبطة بذلك. فعن أبي نيزر قال«جاءني علي بن أبي طالب وأنا أقوم بالضيعتين: عين أبي نيزر والبغيبغة، فقال =

....

= لي: هل عندك طعام؟ فقلت: طعام لا أرضاه لأمير المؤمنين، قرع من قرع الضيعة بإهالة سنخة (الإهالة: ما أذيب من الشحم، والسنخة: المتغيرة الرائحة)، فقال: عليّ به، فقام إلى الربيع ـ وهو جدول ـ فغسل يده، ثم أصاب من ذلك شيئا، ثم رجع إلى الربيع فغسل يده بالرمل حتى أنقاها، ثم ضم يديه كل واحدة منهما إلى أختها، وشرب بهما حسّا من ماء الربيع، ثم أخذ المعول وانحدر في العين، فجعل يضرب، وأبطأ عليه الماء، وقد تفضج عرقاً، فانتكف العرق عن جبينه، ثم أخذ المعول وعاد إلى العين، فأقبل يضرب فيها وجعل يهمهم، فانثالت كأنها عنق جزور، فخرج مسرعاً، فقال: أشهد أنها صدقة، علي بدواة وصحيفة، قال: فجعلت بهما إليه فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما تصدق به عبدالله علي أمير المؤمنين. . . » المبرد الكامل ٣/ ٢٠٨، البكري ـ معجم ما استعجم ٢/ ٦٥٧، ياقوت ـ معجم البلدان ٤/ ١٧٥. فمن المعلوم أن علياً قد اشترى الضيعتين ـ على ما ذكرت تلك المصادر ـ في حياة رسول الله ﷺ من الصحابي عبدالرحمن بن سعد بن زرارة الذي استوبأهما وكره العيشة فيهما، وقد وردت عبارة (أمير المؤمنين) ضمن الرواية مرتين: الأولى على لسان أبي نيزر قبل أن يبدأ علي بحفر العين، والثانية عندما كتب علي صك الصدقة المتزامن مع تفجر ماء العين في نفس اليوم كما يستنتج من قول علي بعد تفجر الماء مباشرة (أشهد أنها صدقة علي دواة وصحيفة). ومن المرجح أن يكون حفر العين قبل تولي علي الخلافة، لأنه بعد ما بويع له بالخلافة انشغل تماما بإعادة أمور الدولة إلى نصابها في محاولة منه لإخماد الفتنة وإخراج الثوار من المدينة وتوزيع عماله على الأمصار، ممّا يحول بينه وبين العمل في الضيعتين اللتين هما في ينبع خارج المدينة، علما بأن المدة بين بيعته وبين وقعة الجمل التي بارح بسببها مدينة الرسول إلى العراق أربعة أشهر، لأنها وقعت في منتصف جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين هجرية، أما البيعة له بالمدينة فقد كانت في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين هجرية، وعليه فليس بإمكانه في هذه المدة القصيرة المليئة بالأحداث والفتن أن يترك شؤون الدولة ليذهب إلى العمل في ضيعته، ثم أنه لم يعد إلى المدينة إطلاقا بعد مغادرته إياها، إذ بقي في العراق حتى =

وجوب الإمامة:

من أعظم إنجازات البشرية في مراحل تطورها الحضاري، ابتكار الحكومة كحاجة ملحّة لتنظيم علاقات الأفراد، ووضع الأمن في نصابه، فضرورة التجمع الإنساني ولّدت الحاجة إلى التكامل في إيجاد الوسائل الضرورية لتهيئة أسباب العيش، وهذا من جانب آخر ولّد التنافس وتعارض المصالح ممّا أدى إلى محاولة تسلط ذوي القدرة على المستضعفين من أبناء المجتمع في سبيل امتلاك الأسباب وتسخيرها لمصالح فردية، فالإجتماع «إذا حصل للبشر... تم عمران العالم بهم فلابدّ من وازع يدفع بعضهم عن البعض لما في طباعهم الحيوانية من العداوات والظلم»[1]، ووجوب الوازع هو السبب المباشر في انبثاق الحكومة التي أطلق المسلمون عليها الإمامة العظمى. فقد اتفقت جميع الفرق الإسلامية على

= اغتيل سنة أربعين هجرية، لذلك فالأرجح أن حفر العين وكتابة صك الصدقة قد تمّا قبل أن يبايع له بالخلافة سواء أكان ذلك في عهد الرسول ﷺ أو في عهد الراشدين أبي بكر وعمر، ممّا يرجح أن اللقب قد أطلقه عليه أبو نيزر قبل توليه الخلافة، وهذا يعني - من وجهة نظرنا - أنه من الألقاب التي خصّه بها الرسول ﷺ خاصة أن الضيعتين كانتا تدران أموالا وفيرة على عهد الرسول ﷺ استناداً لرواية أحمد بن حنبل في كتاب الزهد (ص ٥١) عن علي قوله«لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع وأن صدقتي اليوم لأربعون ألف دينار». ثم أن قول المبرد«بأن وقف الضيعتين لسنتين من خلافته» لا يتناسب والتزامنية التي وردت في الرواية لأن علياً في ذلك التاريخ لم يكن متواجداً في المدينة حتى يقوم بالحفر ويكتب صك الوقف، لذلك فقد يكون ما عناه المبرد بالوصية، ليس صك الوقف، ولكن وصيته العامة في كيفية تصرفه في أمواله التي ذكرها الشريف الرضي في نهج البلاغة (الرسالة رقم ٢٤).

(١) مقدمة ابن خلدون ص٥٥.

«وجوب الإمامة. . . وأنه لابد للمسلمين من إمام ينفذ أحكامهم، ويقيم حدودهم ويغزي جيوشهم. . . وخالفهم شر ذمة من القدرية[1] كأبي بكر الأصم[2] وهشام الفوطي[3]»[4].

---

(١) القدرية: لقب أطلقه أهل السنة والأشاعرة على المعتزلة، وقد نفى المعتزلة ذلك عن أنفسهم لقول القاضي عبدالجبار (ت ٤١٥هـ)«إن هذا اللقب لم يثبت لنا. . . لأننا نزعم أن ذلك اللقب لمن يخالفنا في الحق، ونزعم أن أفعال العباد من خلق الله وأنها بقضائه وقدره. . . فأما القدرية فهم الذين يزعمون أن الله تعالى قدّر المعاصي، وجعلوا ذلك كالعذر للعاصي حتى أعتقد بعضهم أنه لا يقدر ولا يصح منه غير ما قدّر الله تعالى. . . وأصحابنا نفوا المعاصي عن الله وهم أثبتوه، فيجب أن يكون اللقب لهم لازماً» فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص١٦٧، وحسب المفهوم العلمي فإن القدرية«هم الذين يؤمنون بكون الأشياء محددة مدّبرة في الأزل حيث تصبح لا مناص من وقوعها»، يوسف خياط ـ معجم المصطلحات العلمية ص٥٢١.

(٢) أبو بكر الأصم (ت ٢٠٠هـ) كان من المعتزلة المعدودين، وفيه ميل على أمير المؤمنين علي عليه السلام، وبذلك كان يعاتب، فأخرجه المعتزلة من جملة المخلصين وله كتب كثيرة ـ ابن النديم الفهرست ص٢١٤، وبشأن وجوب الإمامة كان يزعم«أن الناس لو كفوا عن الظلم لاستغنوا عن الإمام» ـ عبدالقاهر البغدادي ـ أصول الدين ص٢٧١.

(٣) هشام بن عمرو الفوطي: كان من أصحاب أبي الهذيل فانحرف عنه فعتّم عليه المعتزلة وانحرفوا عنه. . . وكان من أهل البصرة وسافر إلى عدة بلدان من البحر وكان داعية إلى الاعتزال. لم تذكر وفاته ـ ابن النديم ـ الفهرست ص٢١٤ ويتمثل رأيه في الإمامة: «الأمة إذا اجتمعت كلها على الحق احتاجت حينئذ إلى الإمام، وأما إذا عصت وفجرت وقتلت الإمام لم يجب على أهل الحق منهم حينئذ إقامة الإمام» ـ عبدالقاهر البغدادي ـ أصول الدين ٢٧٢.

(٤) أصول الدين السابق ص٢٧١ وتكاد جميع مصادر السنة التي تناولت الموضوع تتفق على ذلك. راجع: الماوردي ـ الأحكام السلطانية ص٥، ابن حزم ـ الفصل في الملل والنحل ٤/ ٨٧.

فوجوب الإمامة يعتبر نقطة التقاء الفرق الإسلامية، ولكنها سرعان ما تفترق في طريقة الوجوب إذ بينما يرى الأشاعرة والسنة أنها مدرك شرعي يشاركهم في ذلك معتزلة البصرة[١]، يرى الشيعة أنها «تدرك بالعقل لا بالأوامر السمعية»[٢]. وقد أخذ بالمدرك العقلي أيضاً معتزلة بغداد بالإضافة إلى الجاحظ من معتزلة البصرة[٣].

وتكاد تنحصر نقطة الخلاف بين الدليل الشرعي وبين الدليل العقلي ـ في اعتقادنا ـ في تاريخية ابتداء الإمامة، فمن البحث في دليل القائلين بالمدرك الشرعي، نجد أنهم ينظرون من واقع ما حدث في سقيفة بني ساعدة يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله، فابن خلدون حين يقول «إن نصب الإمام واجب قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين»[٤] ويعني بالوجوب، ما تم يوم السقيفة باتفاق بعض الصحابة. ومن هنا يتضح الخلط في فكر القائلين بالمدرك العقلي، بين الحكومة ساعة انتخابها، وبين وجودها كواقع موجود بالفعل في أحقاب متأخرة من تاريخ الإنسانية السياسي. والسبب المباشر في ذلك الخلط يرجع إلى عدم وجود نظرية محددة متكاملة للإمامة عند السنة، لعدم الحاجة إلى مثل ذلك بالنسبة لهم كسلطة قائمة تمارس الحكم، ولأن النظريات في العادة تتولد من فكر «أحزاب المعارضة التي لا تكتفي بموقف سلبي من الحكم القائم، وإنما

---

(١) راجع ابن أبي الحديد، السابق ٢/ ٣٠٨.

(٢) الحلي ـ الألفين ص٢٧.

(٣) راجع ابن أبي الحديد، السابق ٢/ ٣٠٨.

(٤) المقدمة ص٢٤٠.

تقدم نظرية متسقة في أصول الحكم»[١] لذلك يمكن اعتبار ما قيل من قبل السنة حول نظرية الإمامة، هو مجرد رد فعل.

والشيعة حين يتفقون مع المعتزلة بالقول بالمدرك العقلي في وجوب الأمامة فإنهم يختلفون معهم لأن المعتزلة «يوجبون الرياسة على المكلفين من حيث كان في الرياسة مصالح دنيوية، ودفع ومضار دنيوية»[٢] ، أما الشيعة الإمامية فيوجبونها على الله تعالى. ثم أنهم حين يقولون بالمدرك العقلي، إنما يصفون الحكومة منذ نشأتها كواقع ينظم حياة الأفراد بناء على «اتفاق العقلاء في كل صقع وفي كل زمان على إقامة الرؤساء»[٣] وهو الأساس الذي يبنون عليه دليلهم العقلي، لكونه أسبق من الدليل الشرعي، لأن الشرع ـ من وجهة نظرهم ـ لا يمكن الأخذ به كقانون ملزم إلاّ بمدرك عقلي وهبه الله للإنسان ليتمكن من حرية الإختيار والإرادة في الأخذ بالخير وتجنّب الشر، فلو لم تكن الإمامة من الملكات العقلية «لكان الله تعالى مخلاً بالواجب في أكثر الناس، لأنه إن امتنع الفعل وكان من فعله، كان الجاء وهو ينافي التكليف»[٤] والقول بوجوب الإمامة عقلاً من الأفكار التي يمكن تلمس ملامحها عند علي بن أبي طالب عليه السلام في (نهج البلاغة)، على اعتبار أن أزمة الإستخلاف، وما دار حولها من جدل كانت من أصعب مراحل حياته الفكرية.

---

(١) محمد محمود صبحي: نظرية الإمامة ص٢٣.

(٢) ابن أبي الحديد، السابق ٢/ ٣٠٨

(٣)،(٤) الحلي: الالفين ص١٥، ١٦، والإلجاء: الاضطرار والجأه ـ اضطره لفعل ما لم يكن مقتنعاً به.

وجوب الإمامة في فكر عليعليه السلام:

بطبيعة الحال لا نتوقع الحصول على تعريف فلسفي محدّد في الإمامة ووجوبها، فيما أثر عن علي بن أبي طالبعليه السلام من أقوال في (نهج البلاغة) ولكن ذلك لا يعني سكوته عن الموضوع بصفته قطب رحى المعارضة التي استدارت حولها نظرية الإمامة. فعليعليه السلام في هذا المجال لم يكن منظّراً، بل كان مطبقاً لنظرية متكاملة الجوانب فإذا «كان علاج أبي بكر وعمر (لقضية الإمامة) علاجاً مؤقتاً، لدرء فتنة متوقعة، دون وضع أسس كاملة لنظام الحكم»[1] فقد حاول عليعليه السلام ـ كما يبدو من (نهج البلاغة) ـ أثناء خلافته القصيرة المليئة بالأحداث والفتن، أن يضع تلك الأسس على ضوء القرآن والسنة، كما أفهمها له الرسولصلى الله عليه وآله[2].

فالإمامة في فكر عليعليه السلام واجبة وضرورية، ولا يمكن على الإطلاق أن يسود النظام بدونها وينعم الناس بالأمن وتستقر الحياة، وفي هذا المجال يقول لما سمع قول الخوارج «لا حُكْمَ إلاّ لله»: «كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ، نَعَمْ أنّهُ لاَ حُكْمَ إلاّ لله، وَلَكِنَّ هَؤُلاءِ يَقُولُونَ: لاَ إمْرَةَ إلاّ لله، وَإنّهُ لابُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ، بَرٍّ أوْ فَاجِرٍ، يَعْمَلُ فِي إمْرَتِهِ المُؤمِنُ، وَيَسْتَمتِعُ فِيْهَا الكَافِرُ، وَيِبْلُغُ فِيْهَا الأَجَلُ، ويُجمَعُ بِهِ الفَيء، وَيُقَاتَلُ بِهِ العَدُوُّ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، وَيُؤخَذُ بِهِ للضَعِيْفِ مِنَ القَوِيِّ، حَتّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ»[3]، فنص عليعليه السلام السابق يرتكز على ثلاث نقاط:

---

(١) محمد محمود صبحي ـ نظرية الإمامة ص٢٦.

(٢) راجع قول عليعليه السلام عن نفسه في هذا الشأن، الخطبة رقم ٢٤٠.

(٣) خطب ٤٠.

ـ **الأولى:** الإلتباس في فكر الخوارج بين الأحكام التشريعية والإمارة بمعناها القيادي، المناط بها تطبيق شريعة السماء.

ـ **الثانية:** وجوب الإمارة مطلقة.

ـ **الثالثة:** الغاية المطلقة من الإمارة.

١ ـ الإلتباس في فكر الخوارج بين الأحكام الشرعية وبين الإمارة: إذ يفهم من قول علي عليه السلام أن الخوارج قد خلطوا بين التشريع وبين نفي الإمارة، بعدم قبولهم التحكيم، لعدم وجود نص يدعم أو ينفي ذلك القبول، إذ يفهم من قولهم (لا حكم إلا لله) «بأنه لا حكم كلّي ولا جزئي لمجتهد أو أمير أو أي إنسان كائناً من كان إلا في الأشياء المنصوص عليها كتاباً وسنة، أما غير المنصوص عليها فيترك أمرها إلى الله»[١] ولكن المنطق والعقل يأبيان ذلك لأن «أكثر الأحكام الفرعية غير المنصوص عليها مع أنها أحكام الله، بل تكون منتزعة بحسب الإجتهاد وساير طرقها لمن كان أهلاً لذلك»[٢]. فقولهم بأن (لا حكم إلا لله) قد نفوا الأمرة لغير الله مع أن الإستنباط العقلي يقول بضرورة الحاكم الذي تستقيم به مصالح الناس وأحوال الرعية.

٢ ـ وجوب الإمارة مطلقة: فعلي عليه السلام قد قال بوجوب (الإمارة) أو السلطة أو الإمامة كرادع، يقيم أود المجتمع، إلا أنه قد قال بإطلاقها، فهو لا يريد من القول امارة معينة في وقت معين، ذات طبيعة خاصة، فقوله

(١) مغنية ـ في ظلال نهج البلاغة ١/ ٧٥٣.

(٢) ميثم البحراني ـ شرح نهج البلاغة ٢/ ١٠٢.

«لابد للناس» تعني أي ناس يتفقون فيما بينهم لتأمير أحدهم عليهم ليصون مصالحهم، لذلك جاء في السياق «بر أو فاجر». وهنا يجدر الأخذ بعين الإعتبار أن علياًعليه السلام قد جعل الإرادة الحرة المتمثلة في العقل هي الأساس في وجوب الإمارة باعتبارها وليدة التفكير الجماعي، أما عدم ربطه إياها بالدين كما يتبين من النص فلأنه قد نظر إليها من حيث الإطلاق كإمارة، وليست إمامة محاطة بسياج من التشريع الإسلامي، فليس مجال النص ما طرحه ابن أبي الحديد أو الخوئي من كون مناقشة ألإمامة كمنصب ديني[1]، فهو يعني ـ كما يبدو من النص ـ الإمارة بمعناها المطلق في مجالها التاريخي العام دون تحديدها أو ربطها بتشريع إلهي.

ثم إن الدليل العقلي على وجوب الإمامة في فكر عليعليه السلام يمكن استنتاجه من كلام قاله لرسول قوم أرادوا منه استطلاع «حقيقة حاله مع أصحاب الجمل، لتزول الشبهة من نفوسهم فبيّن لهعليه السلام من أمره معهم ما علم أنه على حق، ثم قال له: بايع، فقال: إني رسول قوم، ولا أحدث حدثاً حتى أرجع إليهم، فقالعليه السلام: أَرَأَيْت لَوْ أَنّ الّذِيْنَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الغَيْثِ، فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الكَلأِ وَالماءِ، فَخَالَفُوا إلى المَعَاطِشِ وَالمَجَاذِبِ، مَا كُنْتَ صَانِعاً؟ قَالَ: كُنْتُ تَارِكَهُمْ وَمُخَالِفَهُمْ إِلَى الكَلأِ وَالماءَ، فقالعليه السلام فَامْدِدْ إذاً يَدَكَ، فَقَالَ الرّجُلُ: فَوَاللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَنِعَ عِنْدَ قِيَامِ الحُجَّةِ عَلَيَّ فَبَايَعْتُهُ»[2]. فقد طلب عليعليه السلام بيعة الرجل من وجهة عقلية مبنية على الإرادة التامة في حرية

---

(١) راجع ابن أبي الحديد ٢/ ٣٠٨، الخوئي ـ منهاج البراعة ٤/ ١٧٨.

(٢) خطب ـ ١٧١.

الإختيار، بعد أن أوضح له الطريق، فاستجابة الرجل هنا لم تكن مبنية على نصوص تشريعية بقدر ما هي مبنية على اقتناع داخلي بأن موقف علي عليه السلام هو الحق، وذلك من خلال توظيف علي عليه السلام للصورة العقلية، ولو أن الرجل رفض بيعته فباختياره المحض أيضاً، لأن الحق لا يعرف بالرجال، ولكن الرجال تعرف بالحق، لذلك فقد قال علي عليه السلام للحارث بن حوط[١] حين سأله عن أصحاب الجمل، أكانوا على حق أم كانوا على ضلال، قال: «يَا حَارِثُ إنّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ وَلَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحِرْتَ، إنَّكَ لَمْ تَعْرِفُ الحَقَّ، فَتَعْرِفَ أَهْلَهُ، وَلَمْ تَعْرِفْ البَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ»[٢] أي أنك «نظرت إلى طلحة والزبير من خلال صحبتهما لرسول الله صلى الله عليه وآله وإلى عائشة من خلال حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله»[٣]، والحق لا يمكن إدراكه بالوجاهة والمركز وإنمّا من خلال إعمال العقل بالتأمل في ماجريات الأمور تأملاً متروياً وعميقاً، وعليه فإن الأخذ بما حدث في السقيفة بأنه تشريع أو نص قانوني، لأن بعضاً من صحابة الرسول قد أقروا به، لا يمكن قبوله من وجهة نظر علي عليه السلام.

٣ ـ **أمّا من حيث الغاية من الإمارة:** فقد قصرها علي عليه السلام على الشؤون الدنيوية العامة لكونه يتحدث عن ضرورة السلطة لحفظ نظام لاستتباب أمن المجتمع سواء أكان إسلاميا أو غير إسلامي، لذلك لا يمكننا

---

(١) الحارث بن حوط، بالحاء المهملة. ويقال: إن الموجود في خط الرضي«ابن خوط» بالخاء المعجمة المضمومة ـ ابن أبي الحديد ١٩/ ١٤٨ ـ يبدو أنه من أصحاب الإمام علي عليه السلام، لم أعثر له على ترجمة.

(٢) حكم ـ ٢٧٠.

(٣) مغنية ـ في ظلال النهج ٤/ ٣٧٦.

استكمال صورة الإمامة ووجوبها من الناحية الشرعية في فكره عليه السلام إلاّ بالتعرض إلى الشروط التي يجب توفرها من وجهة نظر الفرق الإسلامية ومن ثم مقارنتها بما ورد عند علي عليه السلام في ذات الموضوع.

٤ ـ شروط استحقاق الإمامة من وجهة نظر الفرق الإسلامية: تكاد الفرق الإسلامية كلها تتفق على شروط معينة من الواجب توفرها، فيمن يستحق الإمامة العظمى ويحصرها فريق في أربعة، بينما يرى الماوردي حصرها في سبعة شروط هي:

١ ـ «العدالة على شروطها الجامعة.

٢ ـ العلم المؤدي إلى الإجتهاد في النوازل.

٣ ـ سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان ليصح معها مباشرة ما يدرك بها.

٤ ـ سلامة الأعضاء من نقص يمنع عن استيفاء الحركة وسرعة النهوض.

٥ ـ الرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح.

٦ ـ الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو.

٧ ـ النسب، وهو أن يكون من قريش، لورود النص فيه وانعقاد الإجماع عليه»[١].

---

(١) الماوردي: الأحكام السلطانية ص٦، واتفق عبدالقاهر البغدادي في أصول الدين ص٢٧٧ وابن خلدون في المقدمة ص٢٤١ على أن الشروط التي يجب توفرها في مستحق الإمامة أربعة هي «العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس، واختلف في شرط خامس وهو النسب القرشي» بينما ذكر القلقشندي في مآثر الأنافة ١/ ٣١، ٣٩، أربعة=

«وزادت الشيعة في هذه الشروط العصمة من الذنوب»[١]. ويكاد شرط العصمة يكون هو الأساس في استحقاق الإمامة عندهم، وهم لا يقصدون بالعصمة الإضطرار إلى الطاعات والإمتناع عن المعاصي لا إراديا، وإنما العصمة عندهم قوة إرادية يزوّد الله سبحانه بها المعصوم لاختيار الفضائل وتجنب المعاصي بكابح داخلي ذاتي، مع الإقتدار على فعل المعاصي بالإختيار الحر الخالي من كل إلجاء، فالعصمة في اعتقاد الشيعة «هي اللطف الذي يفعله الله تعالى فيختار العبد عنده الإمتناع من فعل القبيح»[٢]. وعلى اعتبار أن العصمة من خصوصيات الإمام عند الشيعة دون سائر البشر، فإنهم لا يقصدون بشرطية العلم والعدالة وغيرهما من الشروط على المحمول اللفظي لتلك المعاني، لأنهم يوجبون في الإمام «أن يكون أفضل زمانه دينا وورعاً وعلما وسياسة»[٣]. فأفعل التفضيل «أفضل» هنا يقصد به، أن العلم والعدالة والإجتهاد وحدها لا تكفي، لأن الجدارة والإستحقاق للأفضل والأقوى.

فشروط الفريقين في استحقاق الإمامة، وإن بدت متفقة في الظاهر ـ فيما عدا العصمة ـ إلاّ أنها بأفعل التفضيل الذي جعله الشيعة الشرط الرئيس

= عشر شرطاً هي«الذكورة، البلوغ، العقل، البصر، السمع، النطق، سلامة الأعضاء، الحرية، الإسلام، العدالة، الشجاعة، النجدة، العلم، المؤدي إلى الاجتهاد، صحة الرأي، التدين، سلامة النسب» وأخذنا بقول الماوردي في المتن لأنه الأخصر والأشمل.

(١) أصول الدين ص٢٧٧.

(٢) الشريف المرتضى: أمالي المرتضى ٢/ ٣٧٧.

(٣) الحلي: الألفين ٤١.

للاستحقاق قد باعد بين الرأيين. وهذا ما سنحاول طرحه في موضوع عقد الإمامة بين النص، والإختيار وولاية العهد وذلك بعد محاولتنا تلمس الشروط التي يجب أن تتوفر في مستحق الإمامة في فكر علي عليه السلام.

شروط استحقاق الإمامة في فكر علي:

الإمامة في فكر علي عليه السلام كما يبدو في النهج، ولاية مطلقة عامة، يتحمل الإمام بمقتضاها مسؤولية صيانة الأعراض والدماء والأموال، وتطبيق الشريعة بمقتضى الإنصاف والعدل اللذين نصّ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة عليهما، فلا «يَنْبَغِي أَنْ يَكُوَن الوَالِي عَلَى الفُرُوجِ والدِّمَاءِ وِالمَغَانِمِ وَالأَحْكَام وَإِمَامَةِ المُسْلِمِيْنَ، البَخِيْلُ، فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ، وَلاَ الجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ، وَلاَ الجَافِيْ فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ وَلاَ الحَائِفُ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذَ قَوْمَاً دُوْنَ قَوْمٍ، وَلاَ المُرْتَشِي فِي الحُكْم فَيَذْهَبَ بِالحُقُوقِ، وَيَقِفَ فِيْهَا دُوْنَ المَقَاطِعِ، وَلاَ المُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الأُمَّةَ»(١). فالإمامة ليست منصباً تشريفيا يتوصل عن طريقه الفرد لتحقيق مآرب خاصة على حساب حقوق العباد الدينية والدنيوية، لأنها في جوهرها رعاية مصالح المؤمنين بما يؤمن لهم الحياة السعيدة في الدنيا والنعيم الدائم في الآخرة، فالأسس التي يجب أن تقام الإمامة عليها هي الكرم والعدل والنزاهة في تنفيذ الأحكام بما يصون حقوق الأفراد، لذلك يرى علي عليه السلام «أَنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ وَأَعْلَمَهُمْ بِأَمْرِ الله»(٢) فقد حصر الإستحقاق في شرطين هما:

---

(١) خطب ـ ١٣١، ١٧٥.

(٢) السابق.

***١ ـ الأقوى على الأمر.**

***٢ ـ الأعلم بأمر الله.**

أمّا شرط الأقوى على الأمر فيمكن اعتباره جامعاً مانعاً لكل ما يمكن توفره من شروط الإستحقاق المدنية، إذ يجب أن يكون المستحق «هو الأكمل قدرة على السياسة، والأكمل علما بمواقعها وكيفية تدبير المدن والحرس وذلك يستلزم كونه أشجع الناس»[1].

وبالشرط الثاني تستكمل حلقة الإستحقاق في فكر علي، لأن الأعلم بأمر الله يجب أن يكون محيطاً إحاطة تامة ومتناهية في الدقة بأصول الدين وفروعه ليتمكن من معالجة المستجدات في الحياة بما يتناسب تماما والشريعة الإسلامية.

ومن الملاحظ أن علياً قد استخدم في ذكره لشرطي الإستحقاق أفعل التفضيل «الأحق والأقوى»، وقد علق ابن أبي الحديد على ذلك بقوله «وهذا لا ينافي مذهب أصحابنا البغداديين في صحة إمامة المفضول، لأنه ما قال: إن إمامة غير الأقوى فاسدة، ولكنه قال: إن الأقوى أحق»[2]. وكما يبدو لنا من السياق، أن الشرطين لا يحتاجان إلى تأويل بحسب فكرة الزيدية[3] وبعض المعتزلة، والقائلة (بجواز إمامة المفضول مع وجود

---

(١) ميثم البحراني ـ شرح النهج ٣/ ٣٤٠.

(٢) ابن أبي الحديد ٩/ ٣٢٨.

(٣) الزيدية: هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة عليها السلام ولم يجوّزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، إلاّ أنهم جوّزوا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة أن يكون إماما واجب الطاعة سواء أكان =

الأفضل)، لأن علياً يعني أن المؤهل الوحيد المستحق للإمامة هو: الأقوى والأعلم، ويمكن تفسير ذلك بناء على ما ورد في موضع آخر من النهج «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ بِمَا جَاءُوا بِهِ»[1]، فلا حق للناس بنيابة الأنبياء والقيام مقامهم، إلا للعالمين برسالاتهم العاملين بها الناصرين لها في جميع المواطن، فلا مجال للمفاضلة في الأسلوب إذ يمكننا القول باقتصار فكر عليعليه السلام في الإستحقاق على الأقوى والأعلم دون غيره من الناس فالقول بتقديم المفضول مع وجود الأفضل من الحجج الكلامية التي يقول بها الزيدية وبعض المعتزلة، هو من باب الإحتجاج باقتضاء المصلحة بتقديم أبي بكر وعمر وعثمان على عليعليه السلام من أجل الإسلام والخوف من فتنة قريش إذا ولّي عليعليه السلام مع أنه الأفضل في نظر أولئك، لكن السنة والأشاعرة يرفضون الفكرة، وبناء على رفض المقولة.يقول أبو الحسن الأشعري بوجوب كون «الإمام أفضل أهل زمانه... ولا تنعقد الإمامة لأحد مع وجود من هو أفضل منه فيها»[2]، وعلى هذا فإن ترتيب الخلفاء

= من أولاد الحسن أو من أولاد الحسينعليه السلام ... وكان من مذهب زيد«جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل فقال: كان علي بن أبي طالبعليه السلام أفضل الصحابة، إلاّ أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين ثائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة» الشهرستاني الملل والنحل ١/ ١٥٥ وكذلك قال بهذا الرأي معتزلة بغداد ـ راجع ابن أبي الحديد ٩/ ٣٢٨، وأحمد محمود صبحي ـ الزيدية ص٢٢٥.

(١) حكم ـ ٩٦.

(٢) عبدالقاهر البغدادي ـ أصول الدين ص٢٥٢، وراجع أيضا: ابن حزم ـ الفصل في الملل والنحل ٤/ ١٠٥ فقد رفض القول بالمفاضلة وشنّع على القائلين بها، وقال بأفضلية الخلفاء بحسب ترتيبهم في خلافتهم.

كان بحسب الأفضلية، وإن جوّزوا المفاضلة فلا تدخل فيها خلافة أبي بكر ولا خلافة عمر إذ تنحصر المفاضلة عندهم بين عثمان وعلي عليه السلام(١) فوضع المفاضلة في خلافة الراشدين ـ من وجهة نظر الأشاعرة والسنة ـ يتخذ من التسلسل التاريخي نصاً شرعيا، لكون جمهور من الصحابة قد أقرّوه واتفقوا عليه. كما يرفض الشيعة الإمامية القول بتقديم المفضول مع وجود الأفضل لمصلحة اقتضتها الظروف، لما في القول من منافاة لمنطق العقل، لأن عدم قبول الأفضل من لدن فئة معينة تقدم مصلحتها الذاتية على مصلحة الأمة بأكملها ممّا يأباه العقل ولا يقره القرآن الكريم، لأن «العقل يقبح تقديم المفضول وإهانة الفاضل، ورفع مرتبة المفضول وخفض مرتبة الفاضل، والقرآن الكريم، قد نصّ على إنكار ذلك، فقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾»(٢). ثم إن علياً عليه السلام ذاته لا يقبل المفاضلة، إذ يجد نفسه الأحق والأفضل، يقول لمعاوية ضمن ردّه على إحدى رسائله «زَعِمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الإِسْلاَمِ فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ... وَمَا أَنْتَ والفَاضِلَ وَالمَفْضُولَ، وَالسائِسَ وَالمَسُوسَ... فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ فَإنّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، والناس صنائع لنا»(٣)، إذ لا فضل لأحد علينا سوى فضل الله سبحانه، أما فضلنا فقد عم جميع الناس لأنهم اهتدوا بنا إلى الإسلام. وعلى نفس المعنى يمكن حمل قوله في موضع آخر من النهج «أَيْنَ الّذِيْنَ زَعَمُوا أَنّهُم الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ دُوْنَنَا؟

---

(١) راجع عبدالقاهر البغدادي ـ أصول الدين ص٢٩٣.

(٢) المطهر الحلي: نهج الحق ص١٨٨ والآية موضع الشاهد من سورة يونس / ٣٥.

(٣) رسائل ـ ٢٨.

كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا، أَنْ رَفَعَنَا اللهُ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ، بِنَا يُسْتَعْطَى الهُدَى، وَيُسْتَجْلَى العَمَى»(١) . فهو ردّ صريح على أولئك الذين يقولون بالمفاضلة على أهل البيت، فالعلم المؤهل للهداية والقيادة هو المتمثل فيه، وفي عترة الرسولﷺ من صلبه فموقفه ـ على ما يبدو ـ من قضية جواز تقديم المفضول على الأفضل هو موقف الرافض، بحيث يمكن القول تجاوزاً بأسبقيته إلى نفي تلك المقولة قبل أن تبرز على سطح السياسة الإسلامية. فاستخدامه لاسم التفضيل (أحق وأعلم) يعني حصر استحقاق الإمامة فيمن يتوفر الشرطان فيه دون أية مفاضلة، واستخدامه في السياق (انّ) المشدَّدة التي تعني التوكيد.

فشروط الإستحقاق التي حصرها السنة والأشاعرة ومعتزلة البصرة في (العلم والعدالة والكفاية) تكاد تتفق في مضامينها مع ما أثر عن عليعليه السلام في (نهج البلاغة) من قول، إلا أنها تختلف مع فكر عليعليه السلام في الكيفية التي تحدد تلك الشروط، إذ بينما يقول أولئك بوجوب كون الإمام أفضل رعيته، فإنهم يكتفون من ذلك بكونه (عالماً، عادلاً، كفؤاً)(٢)، فلا يحددون المقياس الذي صار به الإمام هو الأفضل. بينما يرى عليعليه السلام أن مستحق الإمامة يجب أن يكون (الأعلم، والأعدل والأكفى)، وبذلك صار الأفضل لتفرده بتلك المزايا دون سواه من أفراد أمته، ومن هذا النبع استقى الشيعة الإمامية نظريتهم في الإمامة، ثم بعد ذلك بيّنوا الكيفية التي يمكن معرفة الأفضل بها.

---

(١) خطب ـ ١٤٤.

(٢) راجع شروط انعقاد الإمامة عند السنة والأشاعرة ص١٨١ من هذا البحث.

أمّا شرط وجوب «الأئمة من قريش» الذي يكاد يكون لا خلاف عليه لتواتره عن النبي عليه السلام، فوجهة نظر علي عليه السلام فيه الحصر لا الإطلاق لقوله «إنّ الأئِمَةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِيْ هَذَا البَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ، لاَ تَصْلُحُ الوُلاَةُ مِنْ غَيْرِهِمْ»[(1)]، فالإمامة ليست دولة في قريش، بل يجب حصرها في البطن الهاشمي الذي منه جاء النبي صلى الله عليه وآله، فقد أثر عنه صلى الله عليه وآله قوله «إنَ الله اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وِلْدِ إِسْمَاعِيْلَ واصْطَفَى قُرَيْشاً مِنْ كِنَانَة، واصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمْ، واصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِم»[(2)]، وبناء على ما ورد في الحديث الشريف فإن بني هاشم هم المصطفون من قريش، لذلك فإن علياً عليه السلام يرى أن «لَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الوِلاَيَةِ»[(3)] دون غيرهم كما خصهم الله سبحانه بالنبوة دون غيرهم.

أمّا شرط (العصمة) الذي انفرد به الشيعة، فيمكن تلمسه في فكر علي عليه السلام في عدّة مواضع من (نهج البلاغة)، فتميّز علاقته بالرسول صلى الله عليه وآله دون سائر قرابته وصحابته منذ طفولته، غرس في نفسه المثل العليا فراض نفسه على الصدق قولاً وعملاً منذ نعومة أظافره ويمثل ذلك قوله «قَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِيْ مِنْ رَسُوْلِ الله صلى الله عليه وآله بِالقَرَابَةِ القَرِيْبَةِ وَالمِنْزِلَةِ الخَصِيْصَةِ وَضَعَنِي فِيْ حِجْرِهِ وَأَنَا وَلِيْدٌ، يَضُمُّنِي إلى صَدْرِهِ، وَيَكْتَنِفُنِي فِي فِرَاشِهِ... وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ وَلاَ خَطْلَةً في فِعْلٍ»[(4)]، ولكن تعلقه بالفضيلة

---

(١) خطب ـ ١٤٤.
(٢) صحيح مسلم ٤/ ١٧٨٢.
(٣) خطب ـ ٢.
(٤) خطب ـ ١٩٠.

وامتناعه عن الرذيلة لم يكن عن تقليد، كما لم يكن تصرفاً آلياً لا خيار له فيه ممّا يعد من قبيل الإلجاء ولكن تحكمه في نفسه بضبط إرادته هو ما حال بينه وبين الآثام بتصرف إرادي حر(١)، يقول ضمن إحدى خطبه «إنّي لَسْتُ فِيْ نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ، وَلاَ آمَن ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي، إلاّ أَنْ يَكْفِيَ الله مِنْ نَفْسِي مَا هُو أَمْلَكُ بِهِ مِنّي»(٢)، فالخطأ والصواب من طبائع البشر، وهو أيضاً من البشر، إلا أن امتلاكه لزمام نفسه يحول بينه وبين مواقعة الخطأ مهما كان ضئيلاً، بفضل قوة إيمانه ورسوخ يقينه، فقوله ذاك لا يعني اعترافاً منه بعدم عصمته على سبيل التواضع كما يقول بذلك شارحان لنهج البلاغة(٣)، ولكنه يعني العصمة الإختيارية بحمل الإستثناء في قوله (إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك منّي) على قوله تعالى على لسان يوسف ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي﴾(٤) على اعتبار «ما رحم ربي: في موضع نصب بالإستثناء. وهو استثناء منقطع، لأنه استثناء المرحوم بالعصمة من النفس الأمارة بالسوء»(٥). وقول علي

---

(١) ممّا يدل على التصرف الإرادي الحر في فكر علي عليه السلام قوله«إنّما هِيَ نَفْسِي أُرَوِّضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الخَوْفِ الأَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ المَزَالِقِ، وَلَوْ شِئْتُ لاَهْتَدَيْتُ الطَّرِيْقَ إلى مُصَفَّى هَذا العَسَلِ، وَلُبَابِ هَذَا القَمْحِ، وَنَسَائِجِ هَذَا القَزِّ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ وَيَقُودَنِي جَشَعِي» رسائل ـ ٤٥.

(٢) خطب ـ ٢١١.

(٣) راجع: شرح ابن أبي الحديد ١١/ ١٠٨، وشرح ميثم البحراني ٤/ ٤٨.

(٤) يوسف / ٥٣.

(٥) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٢١٠، واعتبر المستثني في الآية منقطعاً على أساس أنه ليس بعضاً من المستثنى منه ويمكن تقدير إلاّ ـ بلكن.

بالعصمة لا يعني اقتصارها على نفسه دون سواه من ولده من أهل البيت الذين وصفهم بأنهم «أَزِمَّةُ الحَقِّ، وَأَعْلاَمُ الدِّينِ، وَلْسِنَةُ الصِّدْقِ فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلَ القُرآنِ»[١]، والقرآن كتاب الله الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾[٢]. وإنزال آل البيت منازل القرآن يعني الإقرار بعصمتهم، لذلك جاء أمره إلى المكلفين «بأن يجروا العترة في إجلالها وإعظامها والإنقياد لها والطاعة لأوامرها مجرى القرآن»[٣]. فقول بعض المعتزلة باختصاص علي عليه السلام بالعصمة دون سواه من آل البيت[٤] لا يتسق واستخدامه للعترة ضمير جمع الغائب (هم ـ أنزلوهم). وعليه فإن العصمة كشرط من شروط استحقاق الإمامة، لم يكن من ابتكار متكلمي الشيعة، وفقهائهم لأنهم ـ كما يبدو ـ قد أخذوه عن علي عليه السلام، الذي يرى أن الإمامة نيابة عامة ومطلقة عن الرسول صلى الله عليه وآله في كل ما يتعلق بالدنيا والدين، وعلى ضوء ذلك يمكننا دراسة فكره في كيفية انعقاد الإمامة، ورأيه في الأفكار التي طرقت ذات المجال.

عقد الإمامة: حصر القلقشندي[٥] طرق عقد الإمامة عند السنة في ثلاث:

---

(١) خطب ـ ٨٦.

(٢) فصلت / ٤٢.

(٣) ابن أبي الحديد ٦/ ٣٧٦.

(٤) راجع ابن أبي الحديد ٦/ ٣٧٦، فقد قصر العصمة على علي عليه السلام دون سواه.

(٥) اخترنا القلقشندي: مآثر الأنافة ١/ ٣٩ وما بعدها لحصره جميع الآراء التي قيلت في الموضوع تقريباً، ولأن السابقين عليه قد حصروا العقد في طريقتين، كما نص على ذلك عبدالقاهر البغدادي في (أصول الدين ص٢٧٩) إذ قصره على النص أو اختيار أهل الحل والعقد، وكذلك فعل الماوردي في (الأحكام السلطانية ص٦) وما بعدها، وقد=

الأولى: في انعقاد الإمامة باجتماع أهل الحل والعقد واتفاقهم على عقدها فيمن يستجمع شروطها «وعلى ذلك كانت خلافة أبوبكر بعد وفاة رسول الله ﷺ»(١).

الثانية: تنعقد الإمامة لشخص الإمام بعهد من الإمام الذي قبله «والأصل في ذلك ما روي أنه لما مرض أبوبكر مرضه الذي مات فيه»(٢) عهد بالإمامة من بعده لعمر فصحّت بيعته.

الثالثة: تنعقد الإمامة «للمتغلب عليها بالقهر والإستيلاء إذا جمع شرائطها من غير عهد إليه ولا بيعة، وجوّز أصحاب الشافعي إمامة المتغلب وإن كان فاسقاً»(٣).

أمّا الشيعة الإمامية فيرون «أن الإمامة... من جملة ما هو أعظم أركان الدين وأن الإيمان لا يثبت بدونها»(٤)، لذلك لا يجوز على الخالق إسنادها لاختيار المكلفين «لأن القصد من نصب الإمام، امتثال الخلق لأوامره ونواهيه، والإنقياد إلى طاعته، وسكون ثائرة الفتن وإزالة الهرج والمرج،

= تحدث ابن خلدون في المقدمة ص٢٦٢ عن ولاية العهد، ولم يتطرق لشرط اختيار أهل الحل والعقد، وذلك على أساس أنه شرط مفروغ من صحته وثباته، وذلك لأنه قد ذكره عند المبادرة إلى بيعة أبي بكر في فصل (اختلاف الأمة في حكم منصب الإمامة وشروطه) المقدمة ص٢٣٩. أما عن القهر والاستيلاء فقد ضمنه فصل (انقلاب الخلافة إلى ملك) المقدمة ص٢٥٣.

(١) مآثر الأنافة ١/ ٤٠، ٤٨.

(٢) السابق.

(٣) السابق ١/ ٥٨.

(٤) المطهر الحلي: الألفين ٣٦.

وإبطال التغلب والمقاهرة»[١]، فلو أسند الإختيار إلى المكلفين لتدخلت الأهواء، وتغلبت المصالح الذاتية ممّا يتنافى والقصد من الإمامة لذلك «ذهبت الإمامية كافة إلى أن الطريق إلى تعيين الإمام أمران:

- النص من الله تعالى أو نبيه، أو إمام تثبتت إمامته بالنص.
- ظهور المعجزات على يده لأن شروط الإمامة العصمة، وهي من الأمور التي لا يعلمها إلا الله تعالى»[٢].

وفكرة المكانة الدينية العالية في نيابة الإمام عن الرسول صلى الله عليه وآله في حمل العباد على النهج القويم، لم تكن مقصورة على الشيعة، فقد وردت عند ابن خلدون عن مكانة الخليفة «أن الله سبحانه إنّما جعل الخليفة نائباً عنه في القيام بأمور عباده ليحملهم على مصالحهم ويردهم على مضارهم»[٣]، فابن خلدون وإن لم يقر بمقولة الشيعة (بالنص) إلا أنه يعطي للخليفة مكانة قدسية في نيابته عن الله في خلقه، وهو بذلك يدحض زعم القائلين أن فكرة الشيعة في الإمامة غريبة عن روح الإسلام[٤]، لكونها تقول بمنزلة

---

(١) السابق ص٣٨.

(٢) المطهر الحلي: نهج الحق وكشف الصدق ١٦٨.

(٣) المقدمة ٢٤٥.

(٤) يقول خالد محي الدين، في: الدين والاشتراكية ص٦١: «إننا إذا استعرضنا كل التيارات الفكرية، والفرق الإسلامية لم نجد غير الشيعة الإمامية الذين يمكن أن يقترب فكرهم حول (الإمامة) من نظرية الحق الإلهي، فهم يرون إقامة (الإمام) واجباً على الله وليس واجباً على الناس، وأن الله قد حدّد أشخاص الأئمة، وأن الرسول قد أوصى بذلك في (علي عليه السلام) وبينه، ونحن نتفق معه في كل ما جاء به من عقائد الشيعة في الإمامة، ونتفق معه أن المذاهب الأربعة ومعظم الفرق الإسلامية ترفض القول بالوصية في=

الخليفة الدينية التي ـ فيما نعتقد ـ تتفق أيضاً مع ما ورد عند الماوردي، بأن «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا»(١)، والإختلاف ينحصر أساساً في طريقة تعيين الإمام، إذ يتمسك السنة بالجانب الدنيوي المتمثل في اختيار العباد، على الرغم من أنهم يقولون بأن الإمامة منصب ديني ودنيوي، بينما يرى الشيعة أن الناس مهما بلغت بهم المعرفة والعلم، فإنهم ليسوا في مستوى الإختيار النزيه البعيد عن الميل إلى جانب دون الجانب الآخر، لما في الطباع البشرية من ميل نحو المصالح الشخصية والمكاسب المادية، وجنوح نحو الأثرة والأنانية،

= علي عليه السلام وأولاده، مع أنها تقرّ بوصية أبي بكر في عمر، ولكننا لا نتفق معه في أن الشيعة الإمامية يقولون بأن الخليفة«نائب الله» لأنه يناقض ما جاء عندهم أن«الإمامة عبارة عن خلافة شخص من الأشخاص للرسول صلى الله عليه وآله في إقامة قوانين الشرع وحفظ حوزة الملة على وجه يجب اتباعه على الأمة كافة ـ الألفين ص١٢». أما تفسيره لقول الله تعالى ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ بإضافة «من أمور الدين» إلى الآية، فهو فيما نعتقد عدم إدراك من الباحث أن القرآن الكريم لم يقتصر على العبادات التي كان يقصد بها (أمور الدين) ولكنه كتاب تشريع وعبادة وإنكاره ذلك لا يغير من كون الإسلام بعيداً كل البعد عن الإسقاطات الإيديولوجية الحديثة من اشتراكية وغيرها من أطروحات حاول الكاتب إلباسها ثوب الإسلام، ومقولة أن الخلافة ظل الله التي نسبها الأستاذ إلى الشيعة هي من ابتكار بعض الخلفاء السنة الذين حاولوا إلباس خلافتهم صبغة دينية ويمكن مراجعة مثل ذلك المعنى فيما جاء على لسان زياد بن أبيه في خطبته البتراء ـ العقد الفريد ٤/ ١١٢، وما أثر عن أبي جعفر المنصور ـ العقد الفريد ٤/ ٩٩. إضافة إلى ذلك فإنه لم يؤثر مثل هذا القول عن علي عليه السلام أو عن الأئمة الاثني عشر كما لم يقل فقهاؤهم بأن الإمام نائب الله في الأرض، بل قالوا فيما نعتقد نائب للرسول.

(١) الأحكام السلطانية ص٥.

لذلك فإن من لطف[١] الله بالعباد فقد أوجب النص على الإمام ليكون حجة عليهم أمام الله. وقد تعرض علي عليه السلام إلى معظم آراء انعقاد الإمامة في ثنايا خطبه ورسائله، أمّا على سبيل الإحتجاج على خصومه السياسيين، وأمّا لتوضيح وجهة نظره التي يؤمن بها ويتبناها وهي هذه:

طريق انعقاد الإمامة في فكر علي عليه السلام كما يبدو في نهج البلاغة:

لم تكن مقولات علي عليه السلام عن طريق انعقاد الإمامة لمجرد الإدلاء برأيه في قضية شرعية بقصد التنظير، خاصة وأن تلك المقولات تمسه مباشرة لاعتقاده بأنه صاحب حق وقطب من أقطاب سياسة عصره، لذلك لم يقبل مقولة: انعقاد الإمامة باتفاق أهل الحق والعقد لأنها فكرة استحدثت لتبرير الواقع، بل وأنها أيضاً لم تكن مستكملة الجوانب لأن معظم رؤوس أهل الحل والعقد الذين كانوا في المدينة كانوا غير متواجدين أثناء انعقاد البيعة لأبي بكر في سقيفة بني ساعدة، فقد انعقدت تلك البيعة حسب معظم المصادر[٢] بخمسة هم: عمر بن الخطاب، وأبوعبيدة بن الجراح، وأُسَيد بن حضير[٣]،

---

(١) اللطف في عرف المتكلمين ما يقرّب من الطاعات ويبعد عن المعاصي، ولا حظ له في التمكين ولا يبلغ الإيجاد لمنافاة التكليف... وهو من المصطلحات التي يعوّل عليها الشيعة، راجع: مجمع البحرين ٥/ ١٢٠.

(٢) راجع: القلقشندي: مآثر الأنافة ١/ ٤٢ فقد أورد مقالة غيره من المصادر في ذات القضية.

(٣) أسيد بن حضير: بضم الهمزة والحاء... الأنصاري الأوسي الأشهلي... أسلم قبل سعد بن معاذ على يد مصعب بن عمير بالمدينة، وكان إسلامه بعد العقبة الأولى وقبل=

وبشير بن سعد[١]، وسالم مولى أبي حذيفة[٢]، ولمجرد الإحتجاج وتسجيل الموقف على تلك البيعة يقول علي عليه السلام «واعجباه أَتكُونُ الخِلاَفَةُ بِالصّحَابَةِ، وَالقَرَابَةِ؟ وروي له شعر في هذا المعنى ـ (طويل):

فَإنْ كُنتَ بِالشُّورَى مَلَكْتَ أُمُورَهُمْ ... فَكَيفَ بِهَذَا والمُشِيرُونَ غُيَّبُ

وَإنْ كُنتَ بِالقُرْبَى حَجَبتَ خَصِيمَهُم ... فَغَيرُكَ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ وَأَقْرَبُ[٣]

فإذا كان مقياس صحة انعقاد الإمامة لأبي بكر، كما يراها عمر، هي صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع المواطن، فالأولى بها القريب اللحمة ومن صحبه صلى الله عليه وسلم منذ نعومة أظافره حتى اليوم الذي ألحده صلى الله عليه وسلم في قبره، أمّا الإحتجاج «بالإختيار ورضا الجماعة»[٤] فلم يثبت لغياب جلّ الصحابة عن السقيفة حين انعقدت البيعة، أما الإحتجاج بانعقاد البيعة لقرابة الرحم من الرسول صلى الله عليه وسلم حسب قول أبي بكر يوم السقيفة بشأن قريش «هم أولياؤه

= الثانية، وكان أبوبكر يكرمه ولا يقدم عليه واحداً... آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين زيد بن حارثة. توفي في شعبان من سنة عشرين ـ أسد الغابة ١/ ١١١ وما بعدها.

(١) بشير بن سعد بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج... شهد العقبة الثانية وبدراً واحداً والمشاهد بعدها يقال إنه أول من بايع أبا بكر يوم السقيفة من الأنصار وقتل يوم عين التمر مع خالد بن الوليد بعد انصرافه من اليمامة سنة اثنتي عشر ـ أسد الغابة ١/ ٢٣١.

(٢) سالم مولى أبي حذيفة وهو سالم بن عبيد بن ربيعة... من أهل اصطخر... هاجر إلى المدينة قبل النبي صلى الله عليه وسلم... كان عمر بن الخطاب يكثر الثناء عليه... آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين معاذ بن ماعض... شهد المشاهد كلها، قتل يوم اليمامة سنة إحدى عشرة من الهجرة ـ أسد الغابة ٢/ ٣٠٧.

(٣) حكم ـ ١٨٧.

(٤) ابن أبي الحديد، السابق ١٨/ ٤١٦.

وعشيرته، وأحق الناس بهذا الأمر بعد»[١]، فعلى ذلك المقياس بالقرابة القريبة من عترة آل البيت هم أحق وأولى بالأمر دون سائر قريش.

ثم إن علياً عليه السلام في مجال ردّه على معاوية حين امتنع عن بيعته بحجة افتقاد شرط الإجماع على خلافته، يقول «لَئِنْ كَانَتْ الإِمَامَةُ لاَ تَنْعَقِدُ حَتّى يَحْضِرَهَا عَامّةُ النَّاسِ فَمَا إلى ذَلِكَ مِنْ سَبِيْلٍ»[٢]، فشرط الإجماع الذي اتخذه معاوية ذريعة للامتناع عن البيعة، لم يكن إلا من باب طلب المستحيل، لذلك يجب على معاوية وأمثاله من الذين امتنعوا عن البيعة الإنقياد إلى ما تعارف الناس عليه منذ خلافة أبي بكر بالرجوع إلى أهل الحل والعقد الذين «يَحْكُمُونَ على مَنْ غَابَ عَنْهَا، ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ وَلا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ»[٣]. وفي اعتقادنا أن كل ما ورد عند علي عليه السلام عن انعقاد الإمامة بالقرابة أو باتفاق أهل الحل والعقد أو بالشورى كان لمجرد الإحتجاج على من يحاولون تبرير الواقع بعد أن تم إقراره «لأن الشورى التي قيل باستخلاف أبي بكر بمقتضاها، أو نظر إليها على أنها الأساس المقرر لاختيار الخلفاء، فإنها مبدأ لاحق مسبوق لم ينشأ ساعة الإستخلاف بل طرأ من بعد على الأذهان»[٤]، إذ يبدو للمتتبع للنصوص المتعلقة بالإمامة في (نهج البلاغة) أن ما قيل من اتفاق أهل الحل والعقد لم يكن إلا محاولة من سياسيي العصر لإضفاء شرعية على واقع فرض بالقوة، كما أن الشورى التي لاكتها الأفواه ما هي إلا «مجرد اسم تلعب به

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٠.

(٢)،(٣) خطب ـ ١٧٥.

(٤) عبدالفتاح عبدالمقصود ـ السقيفة ص١٤٦، ٢٦٤.

الشفاه، أفرغ منه مضمونه»[1]. أضف إلى ذلك بأن علياً عليه السلام لم يكن ليقيم للقرابة أية صلة بعقد الإمامة لأنه يعتقد «إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ الله وَإِنْ بَعُدَتْ لُحْمَتُهُ، وَإِنَّ عَدُوَّ مُحَمَّدٍ مَنْ عَصَى الله وَإِنْ قَرُبَتْ قَرَابَتُهُ»[2]، وهو كما نلاحظ ردّ على القرشيين الذين احتجوا على الأنصار يوم السقيفة بزعمهم أنهم أولى بالخلافة لقرابتهم من الرسول صلى الله عليه وآله. فعلي عليه السلام وإن نوّه بالقرابة في استحقاق الإمامة، إلا أنه لم يكن يقصد من ذلك سوى إقامة الحجة على من اتخذ القرابة ذريعة، لذلك فإنه «لم يضع قرابته من النبي صلى الله عليه وآله مزّية ترشحه للخلافة من بعده»[3].

فمن خلال ترتيبنا لنصوص (نهج البلاغة) التي عالجت شروط انعقاد الإمامة، نجد أن عليّاً عليه السلام يقرر بما لا يدعو إلى الشك إلى أن الأرض لا تخلو (مِنْ قَائِمٍ لله بِحُجَّةٍ، إِمّا ظَاهِراً مَشْهُوراً، أَوْ خَائِفاً مَغْمُوراً، لِئَلاّ تَبْطُلَ حُجَجُ الله وأَنْبِيَائِهِ»[4]، ووجود الحجة في الفكر الشيعي ـ لطف من الله

---

(١) المصدر السابق.

(٢) حكم ـ ٩٤.

(٣) العقاد ـ عبقرية علي ص١١١.

(٤) حكم ـ ١٤٥، فقرة ٦، وقد علق ابن أبي الحديد على قول علي عليه السلام ذاك بأنه «يكاد يكون تصريح بمذهب الإمامية، على أن أصحابنا ـ أي المعتزلة ـ يحملون على أن المراد به الأبدال الذين وردت الأخبار النبوية عن أنهم في الأرض سائحون» ـ شرح النهج ١٨/ ٣٥١، ويرى ميثم البحراني ـ شرح النهج ٥/ ٣٣٦ «أنه تصريح منه عليه السلام بوجوب الإمام بين الناس في كل زمان مادام التكليف قائماً»، ونحن نميل إلى رأي ميثم لخلوه من التأويل ولأن علياً عليه السلام في كثير من نصوص (نهج البلاغة) يعتبر نفسه وآل البيت هم الحجة على الخلق عند الخالق سبحانه من ذلك قوله «أَنَا حَجِيْجُ المَارِقِيْنَ وَخَصِيْمُ النَّاكِثِيْنَ ـ خطب ٧٤» وقوله أيضاً «بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَجِهِ وَخَلِيْفَةٌ مِنْ خَلاَئِفِ =

بعباده ـ يقرّبهم من الطاعات ويبعدهم عن المعاصي، وعليه بنى الإمام جعفر الصادق عليه السلام قوله «لَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الأَرْضِ إلاّ إثْنَانِ لَكَان أَحَدَهُمَا الحُجَّةُ»[1]، لذلك يعتبر علي عليه السلام نفسه مبلغاً عن النبي صلى الله عليه وآله، قائما مقامه قائلا بلسانه، يقول لأصحابه «وَاللَّهِ مَا أَسْمَعَكُمْ الرَّسُولُ شَيْئاً إلاّ وَهَا أَنَاذَا اليَوْمَ مَسْمِعُكُمُوهُ، وَمَا أَسْمَاعُكُمْ اليَوْمَ بِدُوْنِ أَسْمَاعِكُمْ بِالأَمْسِ»[2]، وهو حين يقوم بذلك إلاّ لأنه يعتقد بأن مكانته في الإسلام تأتي تالية بعد الرسول صلى الله عليه وآله في المنزلة استناداً لروايته عنه صلى الله عليه وآله حين ابتداء نزول الوحي إذ قال له «إنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أرى، إلاّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، وَلَكِنَّكَ لَوَزِيْرٌ، وَإنَّكَ لَعَلَى خَيْرٌ»[3]. إذ يفهم ممّا أثر عنه من أقوال أنه حين يقوم بأمر المسلمين، فليس لأنه خليفة منتخب من قبل جمهور المسلمين، ولكن لكونه يعتقد بأنه إمام منصوص عليه من قبل الله سبحانه، كما يتضح ممّا ورد في وصيته لعماله على الصدقات «أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ الله وَخَلِيْفَتُهُ،

= أَنْبِيَائِهِ ـ خطب ١٨٩».

(١) الكليني ـ أصول الكافي ١/ ١٧٩.

(٢) خطب ـ ٨٨.

(٣) خطب ـ ٩٠، فقرة ٢٧. ويروي ابن أبي الحديد لعلي عليه السلام ـ ٢٠/ ٢١٦ «أنا مِنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله كَالعَضَدِ مِنَ المَنْكَبِ، وكَالذِّرَاعِ مِنَ العَضَدِ، وَكَالكَفِّ مِنَ الذِّرَاعِ، رَبَّانِي صَغِيْراً، وَآخَانِي كَبِيْراً وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أنّي كَانَ لِي مَنْهُ مَجْلِسُ سِرٌّ لاَ يُطْلِعُ عَلَيْهِ غَيْرِي، وَأَنَّهُ أَوْصَى لِيْ دَوْنَ أَصْحَابِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، ولأقولَنَّ مَا لَمْ أَقُلْهُ لأَحَدٍ قَبْلَ هَذَا اليَوْمِ، سَأَلْتَهُ مَرَّةً أَنْ يَدْعُوَ لِي بِالمَغْفِرَةِ فَقَالَ: أَفْعَلُ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى، فَلَمَّا رَفَعَ يَدَهُ لِلدُّعَاءِ اسْتَمَعْتُ إِلَيْهِ، فَإذَا هُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ بِحَقِّ عَلِيٍّ عَبْدِكَ اغْفِرْ لِعَلِيٍّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَوَ أَحَدٌ أَكْرَمُ مِنْكَ عَلَيْهِ فَاسْتَشْفِعْ بِهِ إِلَيْهِ؟».

لَآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ الله فِيْ أَمْوَالِكُمْ»[١]، فنصّه على أنه ولي الله يلقي ضوءًا على تفكيره في أن الإمامة لا تكون مطلقة يرشح لها أهل الحل والعقد من يرونه صالحاً لها، لأن رؤيتهم مهما اتسعت في شموليتها فهي دون رؤية الخالق سبحانه في مصالح عباده، فالأئمة في فكر عليعليه السلام «قُوَّامُ الله عَلَى خَلْقِهِ وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلاّ مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوه، وَلاَ يَدْخُلُ النَّارَ إِلاّ مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ»[٢]، وهنا يستوقفنا تفسير المقولة بين المعتزلة والشيعة، فابن أبي الحديد ـ من المعتزلة ـ يؤولها في ضوء قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾[٣]، أي «ينادى كل قوم باسم إمامهم»[٤]. أمّا ميثم البحراني من متكلمي الشيعة فيرى أن كلام عليعليه السلام يعني به نفسه والأئمة من ولده، وقد استند في رأيه ذاك على نقطتين[٥]:

الأولى: إن الشريعة بما حوته من أوامر ونواهٍ محتاجة إلى من يوضح كيفية العمل بها لتسلك بالإنسان طريق الخير والجنة، ولا يتأتى ذلك إلا بمعرفة من يعمل بها، وهم الأئمة الواجب الإقتداء بهديهم.

الثانية: وهو المشهور عن عليعليه السلام أن الأئمة الذين يريدهم هم أهل بيته ومعرفة إمامتهم ركن من أركان الدين يؤدي إلى الجنة ويبعد عن النار.

ولعل رأي ميثم هو الأرجح، فالأئمة الذين يعنيهم عليعليه السلام ـ كما

---

(١) رسائل ـ ٢٥.

(٢) خطب ـ ١٥٢، فقرة ٢.

(٣) الإسراء / ٧١.

(٤) ابن أبي الحديد ٩/ ١٥٢.

(٥) راجع شرح نهج البلاغة ٣/ ٢٣٥، ٢٣٦.

نعتقد ـ هي العترة من آل بيت النبوة، على اعتبار أنهم أحق الناس بولايته دون الخلق أجمعين في كل منقول ومعقول، لأنه «لاَ يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ، وَلاَ يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِمْ أَبَداً، هُمْ أَسَاسُ الدِّيْنِ، وَعِمَادُ اليَقِيْنِ. . . وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الوِلاَيَةِ، وَفِيْهِمُ الوَصِيَّةُ وَالوِرَاثَةُ»[١]. وقد تأول ابن أبي الحديد الولاية في الشاهد بأنها «حق ولاية الرسول ﷺ على الخلق»[٢]، فلا يقصد بها الإمامة كما تزعم الشيعة، وتأول (الوصية والوراثة) بأنها ليست «النص والخلافة ولكن أموراً أخرى لعلها ـ إذا لمحت ـ أشرف وأجل»[٣]، ومع تجاوزنا عن قول ابن أبي الحديد، فإنه «لا يعدم كل أحد أن يستنبط من كل كلام ما يوافق غرضه وإن غمض»[٤]، فعلى أي محمل يمكن تأويل قول علي عليه السلام بعد كلامه السابق، وفي نفس الفقرة «الآنَ إِذْ رَجَعَ الحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ وَنُقِلَ إِلى مُنْتَقَلِهِ»[٥]، فالحق الذي رجع إلى أهله باتفاق جميع تفاسير النهج هو الخلافة[٦]، والسياق يشير لذلك ولا مجال فيه إلى التأويل. ثم إننا لو قبلنا قول ابن أبي الحديد بأن المقصودِ من الوراثة وراثة العلم، فعلى أي محمل

---

(١) خطب ـ ٢ ـ فقرة ٣.

(٢) ابن أبي الحديد ١/ ١٣٩.

(٣)،(٤) السابق ١/ ١٤٠ ـ ٨/ ٢٦٦.

(٥) خطب ـ ٢.

(٦) راجع: الراوندي ـ منهاج البراعة ١/ ١١٤، ابن أبي الحديد ١/ ١٤٠، فقد فسّر الحق بالخلافة ثم تأول المعنى حسب القائلة بجواز تولية المفضول مع وجود الأفضل، ميثم البحراني ـ شرح النهج ١/ ٢٤٨، محمد عبده ـ شرح النهج ١/ ٣٨، الخوئي ـ منهاج البراعة ٢/ ٣٤٣ مغنية في ظلال النهج ١/ ٨٢.

يمكننا تأويل قول علي عليه السلام «كَانَتْ فِيْ أَيْدِيْنَا فَدَكٌ، مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوْسُ قَوْمٍ وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوْسُ قَوْمٍ آخَرِيْنَ، وَنِعْمَ الحَكَمُ اللهُ»[(١)]. فعلي عليه السلام يؤكد حقهم في فدك[(٢)] ممّا يجعل مقولة اقتصار وراثة آل البيت على العلم دون سواه من لوازم الوراثة الأخرى ـ في فكر علي عليه السلام ـ غير مقبولة، وإن لم تكن الوراثة هي الحجة التي اعتمد عليها علي عليه السلام في المطالبة بالخلافة، لأنه في اعتقاده أن النص هو الأساس وهو ما اعتمده كحجة لا تقبل الجدل، فلا يجوز له وهو أول من آمن برسالة محمد صلى الله عليه وآله أن يكذب عليه ويدعي ما ليس له، فلو لم يكن واثقا أن الخلافة

---

(١) رسائل ـ ٤٥.

(٢) فدك: قرية بالحجاز، بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وآله في سنة سبع صلحاً ـ معجم البلدان ٤/ ٢٣٨. وجاء في كتاب فضائل الخمسة من الصحاح الستة للفيروز أبادي ٣/ ١٦٨ عن السيوطي في (الدر المنثور) في ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾... قال: وأخرج البزاز وأبويعلى وابن أبي حاكم وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت هذه الآية... دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام فأعطاها فدكا. وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله جاءت فاطمة حينئذ تطلب صدقة النبي بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبوبكر: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورِّث ما تركناه صدقة... فأبى أبوبكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا، فوجدت عليه حتى توفيت ـ طبقات ابن سعد ٢/ ٣١٥. ويبدو من كلام علي خلاف ما أثر عن أبي بكر وأنه كان يقول بتوريث النبي كل ما يورثه المسلم لأهله ـ لتفصيل ذلك وتضارب الآراء فيه، راجع: ابن أبي الحديد ١٦/ ٢٠٥ وما بعدها ـ الطبرسي ـ الاحتجاج ص٩٠، وراجع أيضاً تعليقات شرّاح النهج لقول علي عليه السلام عند دفنه السيدة فاطمة «وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا، فَاحْفِهَا السُّؤَالَ وَاسْتَخْبِرْهَا الحَالَ، هَذَا وَلَمْ يَطُلِ العَهْدُ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ» خطب ـ ١٩٦.

من حقه بالنص لما جادل دونها ولما طالب بها، وما قوله «أتراني أكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ والله لأنا أول من صدّقه، فلا أكون أول من كذب عليه، فنظرت في أمري، فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي وإذا الميثاق في عنقي لغيري»(١)، وتكاد تتكرر كلمة الحق في الخلافة بمرارة في ثنايا الكثير من خطبه من ذلك قوله «فَوَ الله مَا زِلْتُ مَدْفُوعاً عَنْ حَقِّي مُسْتَأثراً عَليَّ مُنْذُ قَبَضَ الله نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا»(٢)، وفي معرض ردّه على إحدى رسائل معاوية إليه يقول «وَقُلْتَ أَنـي كُنْتُ أقادُ كما يُقادُ الجملُ المخشوشُ حتى أبايعُ، ولعمرُ الله لقد أردتَ أن تذمَّ فمدحتَ وأن تفضحَ فافتضحتَ، وما علَى المسلمِ مِنْ غَضَاضَةٍ في أن يكونَ مظلوماً ما لم يكُنْ شاكاً في دينهِ، ولا مُرتاباً بِيَقِينِهِ، وهذه حُجّتِي إلى غيرِكَ قصدُها، ولكني أطلعتُ لكَ منها بقدرِ ما سنحَ مِنْ ذِكْرِهَا»(٣)، فالشاهد يوضح بجلاء ـ كما نعتقد ـ أن علياً عليه السلام كان يطالب بحق، لا يَرتاب في أنه له، وأنّ تنازله عن ذلك الحق لم يكن بمحض إرادته وسكوته عن ذلك لا يعني اقتناعه بصلاحية حكم من سبقه بدلالة قوله «لَوْ قَدْ اسْتَوَتْ قَدمايَ من هذهِ المدَاحِضِ لغيّرْتُ أشياءَ»(٤)، فالأشياء التي كان يتوق إلى تغييرها هي وضع قائم لابدّ من نسفه وإحلال مكانه ما يراه الأصلح من وجهة نظر دينية بحته.

ويبدو التناسق في الربط بين النبوة والولاية في فكر علي عليه السلام من خلال محاولة تجسيده لمنزلة آل البيت الدينية بتبيان علاقتهم الروحية

---

(١)،(٢) خطب ـ ٣٧، ٦.

(٣) رسائل ـ ٣٥، فقرة ٤.

(٤) حكم ٢٨٠.

بالرسول صلى الله عليه وآله وما لذلك من تأثير على المكلفين من حيث السعادة والشقاء في الدنيا والآخرة.

فمن خلال تنسيق النصوص المتعلقة بآل البيت عليهم السلام في (نهج البلاغة) يمكننا إدراك الرابط الوشيج بين الرسالة والولاية في تفكير علي عليه السلام، فعلى الرغم من كثرة تلك النصوص[(١)]، وتعدد مناسباتها، إلاّ أنه بالإمكان تشكيلها في وحدة متكاملة من حيث السياق الفكري، من ذلك على سبيل المثال قوله «اعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الذي تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ، وَلَنْ تُمْسِكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِيْ نَبَذَهُ، فَالْتَمِسُوهُ عِنْدَ أَهْلِهِ، فَإِنَّهُمْ عَيْشُ العِلْمِ، وَمَوتُ الجَهْلِ، هُمُ الَّذِيْنَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمَهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ»[(٢)]، فهو يعني نفسه وآل البيت من ولده بحيث يمكن متابعة السياق في قوله «نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَحطُّ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ المَلائِكَةِ، وَمَعَادِنُ العِلْمِ، وَيَنَابِيْعُ الحِكَمِ، نَاصِرُنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ، وَعَدُوّنَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَطْوَةَ»[(٣)] لأن الله سبحانه قد «خَلَّفَ فِيْنَا رَايَةَ الحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمُهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ. . . أَلاَ إِنّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ، إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ اللهِ فِيْكُمْ الصَّنَائِعُ وَأَرَاكُمْ

(١) بلغ عدد النصوص التي وردت في ذكر آل البيت في نهج البلاغة خمسة عشر نصاً ـ من الخطب ٢، ٤، ٩٢، ٩٥، ٩٨، ١٤٢، ١٤٥، ١٥٠، ١٥٢، ١٨٧، ١٨٨، ٢٣٧، والحكمة ١٣٧، هذا ما عدا ما ورد في ثنايا الرسائل متفرقا.

(٢) خطب ـ ١٤٧فقرة ٣.

(٣) السابق فقرة ٣، ١٠٨.

مَا كُنْتُمْ تَأَمَلُونَ»[١]. فالتفاوت بين موسيقى النصوص بين هدوء وصخب، وتعدد مناحيها وتباعد مناسباتها لا يحول بيننا وبين إدراجها في سياق واحد، تمثل خلاصته الفكرية أن حق قيادة الناس وهدايتهم، يجب أن تنحصر ـ من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ـ في آل بيته دون سواهم حتى قيام الساعة، لتميزهم عن الخلق بالعلم الواسع المتطابق وشريعة الله المنزّلة على محمد صلى الله عليه وآله، فإذا ما حاولنا الربط بين قول علي بالوصية والولاية، وبين المنزلة الدينية التي خصّ بها آل البيت دون غيرهم من سائر المسلمين ـ فيما أثر عنه من أقوال ـ فسنجد أن ذلك الفكر مبني علي أن الإمامة قد كان النص عليها في آل البيت من قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله فلم يكن يمر في روع علي عليه السلام أو يخطر على باله «أَنَّ العَرَبَ تُزْعِجُ هَذَا الأَمْرَ بَعْدَهُ صلى الله عليه وآله عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ»[٢].

فإذا كَانَ الكميتُ (ت ١٢٦) أوّل من تكلم في الإمامة وفصّل القول فيها فِي هاشمياته[٣] وأن عيسى بن روضة (ت ١٥٨) أول من ناظر في الإمامة[٤] وأن أول من «ألف في ذلك علي بن إسماعيل بن ميثم»[٥]،

---

(١) السابق فقرة ٦، ٩٩.

(٢) رسائل ٦٢، فقرة ١.

(٣) جاء عند السيوطي ـ في شرح شواهد المغني ١/ ٢٨ عن الكميت«كان جدلاً، وهو أول من ناظر في التشيع».

(٤) عيسى بن روضة التابعي مولى بني هاشم صاحب أبي جعفر المنصور (ت ١٥٨) أول من صنّف في علم الكلام. له كتاب في الإمامة، وبقي إلى عصر المنصور، لم أعثر على سنة وفاته ـ أعيان الشيعة ٨/ ٣٨٣.

(٥) ابن النديم ـ الفهرست ص٣٢٣.

المعاصر لواصل بن عطاء (ت ١٣١)[١] فإن جميع أولئك ـ على ما نعتقد لم يبدأوا من فراغ ـ أقوالهم في الإمامة وتفريعاتها لأن الخطب والرسائل والعهود والكلمات القصار التي أثرت عن علي عليه السلام ـ وكان كل أولئك قريبي عهد بها ـ كانت بمثابة الزاد الفكري الذي مهد لهم الطريق وفتّق لهم الكلام. فقد رأينا من أشلاء الخطب والرسائل التي وصلتنا ضمن (نهج البلاغة) كيف طرح علي عليه السلام قضية الإمامة التي ما فتئ يكرر حقه وحق آل بيته فيها، طوال عهده وعهد الخلفاء من قبله، ممّا يجعلنا نرجح بأن البراهين الكلامية التي بنى عليها الشيعة نظريتهم في الإمامة قد كانت وليدة عصر صدر الإسلام، حيث وضع أسسها الفكرية علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم جاء من بعده متكلمو الشيعة وبسطوا القول فيها، مقتفين أثره، ممّا يجعلنا نرفض ما قال به جولد سهير من تأثر الشيعة بفكر المعتزلة[٢] في هذا المجال.

---

(١) راجع ترجمته في السابق، ص٢٠٢.

(٢) يقول جولد سهير في كتاب العقيدة والشريعة ص٢٠٠«ممّا يسترعي النظر أن علم الكلام الشيعي يتجه بصفة خاصة نحو المعتزلة، لأنه يستند فيما يسوقونه من براهين لتأييد نظرية الإمامة على قواعد اعتزالية بحته، فالحاجة إلى وجود إمام لكل عصر، وما يجب أن تمتاز به هذه الشخصية من عصمة وقداسة، وقد ربطها الشيعة لا شك في طابعها الاعتزالي»، وقد سقنا من النصوص المأثورة عن علي عليه السلام في مواطنها من هذا الفصل ما يؤيد مقولة الشيعة من غير تأثيرات خارجية. علما بأن المهدي كاعتقاد موجود عند جميع الفرق الإسلامية ـ راجع الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد بن حنبل ٢٤/ ٤٩ وما بعدها، بذل المجهود في حلّ أبي داود ١٧/ ١٩٠ وما بعدها، فضائل الخمسة في الصحاح الستة ٣/ ٣٩٨ وما بعدها. والاختلاف حول المهدي المنتظر عند الفرق الإسلامية ليس في وجوده كمعتقد، بل في كيفية وجود المهدي. إذ بينما يقول السنة وغيرهم من الفرق الإسلامية بأنه لم يخلق بعد وسيخلق متى شاء الله، يعتقد الشيعة =

وإذا كان علي عليه السلام يعتقد بأحقيته في الإمامة التي أقصي عنها فلابد أن يكون له موقف فكري محدد تجاه أولئك الذين حالوا بينه وبين ممارسة حقه، وهذا ما سنحاول تتبعه من خلال نصوص نهج البلاغة التي عرضت لذلك.

= الإمامية بأنه إمامهم الثاني عشر الذي غاب عن الأنظار وسيظهر في آخر الزمان فأصل عقيدة المهدي مأخوذة من الأحاديث النبوية الشريفة ولا دخل في تأثر الشيعة بالمعتزلة في إثباتها بالحجج الكلامية.

الفصل الثاني

فكر علي بن أبي طالب عليه السلام في مجريات السياسة في عصره

قبل الدخول في فكر علي عليه السلام في ماجريات عصره يجدر النظر في نقطتين يرتكز عليهما ذلك الفكر كما يبدو من خلال تتبعنا لنصوص نهج البلاغة:

ـ الأولى: واجب الحاكم في نظر علي عليه السلام.

ـ الثانية: الإستقلالية في فكر علي عليه السلام.

١ ـ واجب الحاكم في نظر علي عليه السلام:

من الممكن إدراك الغاية من الحكم في فكر علي عليه السلام من خلال نظرته الزاهدة في الحياة بحيث لا يمكن الفصل بين تصرفه الخارجي في معاملاته مع الناس، وبين إيمانه الداخلي، فهو ذو شخصية واحدة تمقت التلون وتنأى عن الإزدواجية، فلا يأمر بطاعة إلا ويوجبها على نفسه أولاً، ثم يطبقها على غيره بعد ذلك، ولا ينهى عن معصيةٍ إلاّ وهو القدوة في

تجنبها[١]، وعلى ذلك فهو فرد من أفراد الأمّة مساوٍ في المنـزلة لأيّ فرد من أفرادها مهما كانت منـزلته الإجتماعية لا لشيء إلاّ لأنه قدوة، والقدوة مثال يجب أن يحتذى من قبيل الشرائح الواسعة بين طبقات الأمة، وبطبيعة الحال فإنّ الفقراء والمعدمين هم الكثرة الغالبة فمن المتوجب «عَلَى أَئمَّةِ العَدْلِ أَنْ يُقَدِّروا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ كَيْلاَ يَتَبَيَّغ بِالفَقِيْرِ فَقْرُهُ»[٢]. ومساواة الإمام نفسه بأفقر طبقات الأمة ـ كما يرى علي عليه السلام ـ فرض من الله وليس محاولة لإرضاء شريحة من شرائح المجتمع، للتقرب إليها بالتزي بزيّها. لذلك يمكن اعتبار زهده وتقشفه من مستوجبات الإمامة، لأن في مقدوره وهو القائم بالأمر في الأمة الإسلامية أن يستمتع بملذات الحياة، فيأكل مصفى العسل مع الخبز المصنوع من لباب القمح ويلبس ألين الملابس وأفخرها[٣]، ولكن شعوره بالمسؤولية يأبى عليه ذلك، فليس من العدل في مفهومه أن يشار إليه بالقول «هَذا أَمِيرُ المُؤمِنِيْنَ وَلاَ (يشارك أمته) فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ (يكون) أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ العَيْشِ»[٤]، فمن خلال التزامه بمبادئ الإسلام يرى أن الإمامة ليست منصباً تشريفيا غايته الملك والسطوة كما أثر عن معاوية في قوله لأهل الكوفة «أتروني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج، وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون ولكن قاتلتكم لأتأمر على رقابكم»[٥]. فقضية الإمامة، أو بمعنى أصح، التحكم في رقاب العباد ـ كما يرى ذلك علي عليه السلام ـ إذا لم تصدر عن اقتناع بمبادئ

---

(١) راجع خطب ـ ١٧٧، فقرة ٢.

(٢) خطب ـ ٢٠٣، ويتبيغ: يهيج به.

(٣) راجع في ذلك قولة لعثمان بن حنيف عامله على البصرة ـ رسالة رقم ٤٥.

(٤) رسائل ـ ٤٥، فقرة ٣ وجشوبة العيش: خشونته.

(٥) ابن أبي الحديد ١٦/ ٧٥.

الإسلام، مع خلوها من أيّة أطماع دنيوية، أو أيّة مزايا شخصية، مثلها في ذلك مثل أي شكل من أشكال المادة الزائلة، التي لا جدوى من امتلاكها مادامت لا تحقق الهدف المرجو منها، وهو سعادة الناس في ظل عدالة اجتماعية شاملة. لذلك فقد اعتبر علي عليه السلام ثورة أبي سفيان المفتعلة[١] في سبيل حق الهاشميين وعلى رأسهم علي عليه السلام بعد أن بويع لأبي بكر، ما هي إلا فقاعات زبد القصد منها إشعال نار الفتنة وتبديد شمل المسلمين، من أجل أمر تافه لن ينقص من قيمة علي عليه السلام، ولن ينال من مكانة الهاشميين، لأن الخلافة كمنصب القصد منه التسلط وشهوة الملك ما هي إلا «مَاءٌ آجِنٌ، وَلُقْمَةٌ يَغُصُّ بِهَا آكِلُهَا»[٢].

فالغاية من الحكم في فكر علي عليه السلام، بقاء قواعد الإسلام قوية حتى ولو كان ذلك على حساب اهتضام حقه المشروع. يقول لأصحاب الشورى لما عزموا على مبايعة عثمان «لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي، والله لَأُسَلِّمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِيْنَ وَلَمْ يَكُنْ فِيْهَا جَوْرٌ إلاّ عليّ خَاصَةً، إلتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهْداً فِيْمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجَهِ»[٣] فلا يهم أن يكون مظلوماً مادام الإسلام مصاناً، لأن نظرته الشمولية المتعمقة لمجريات الأحداث بعد وفاة الرسول حتّمت عليه أن يبقى في الظل نائياً بمبادئه من أن تمس، أو أن يحوّر إصراره على المطالبة بالحكم بأنه شهوة حب التسلط في رقاب العباد ـ لأن اقتناعه التام بتكامل طرفي

---

(١) راجع ص٢٧٨ من هذا البحث، فقد فصلنا القول في ذلك.

(٢) خطب ٥، ٧٣.

(٣) السابق.

الإسلام، كعبادة وأسلوب حياة، لا مجرد طقوس وشعائر، هو ما جعله ينبه لأحقيته في الحكم كوصي منصوص عليه معلّلاً ذلك التنبيه وتلك المطالبة ليست من أجل إشباع رغبة التسلط والإمتلاك، ولكنها من أجل حماية الدين وإعادة نصاعته إليه بإصلاح ما أفسدته المادة وإعادة الحقوق إلى نصابها بقمع الظلم والظالمين[١].

وما دامت شرائع الإسلام ـ كما يراها علي عليه السلام ـ تُؤدّى على الوجه المرضي، فلن تكون غضاضة عليه، في السكوت عن حقه، متربصاً بأي زيغ تحدثه السلطة، إذ لم يكن وقوفه في الظل إلا وليد نظرة واقعية في ماجريات الأمور في فترة كان الدين فيها مازال طرياً أخضر العود لمّا يشتد بعد[٢]، وعلى هذا يمكن قياس موقف علي عليه السلام الفكري تجاه الرجال والأحداث في عصره.

٢ ـ الإستقلالية السياسية في فكر علي عليه السلام:

إن اعتقاد علي عليه السلام بالنص عليه كوصي للنبي صلى الله عليه وآله حدّد فكره المتعلق

---

(١) راجع خطب، ١٣٦، فقرة ٢.

(٢) ذلك بناء على قول علي عليه السلام في رسالته لأهل مصر «فَواللَّهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رَوعِي، وَلا يَخْطُرُ بِبَالِي أَنَّ العَرَبَ تُزْعِجُ هَذَا الأمْرَ مِنْ بَعْدِهِ صلى الله عليه وآله عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلاَ أَنَّهُم مُنَحُوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ، فَمَا رَاعَنِي إلاّ انْثِيَالُ النَّاسِ عَلى فُلانٍ يُبَايِعُونَه، فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنْ الإسْلاَمِ يَدْعُونَ إلى مَحْقِ دِيْنِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، فَخَشِيْتُ إنْ لَمْ أَنْصُرْ الإسْلاَمَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيْهِ ثَلْماً، أَوْ هَدْماً تَكُوْن المُصِيْبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مَنْ فَوْتِ وِلاَيَتِكُمْ. . . فنهضتُ فِيْ تَلْكَ الأَحَداثِ حَتّى زَاحَ البَاطِلُ وَزَهَقَ، وَأَطْمَأَنَّ الدِيْنُ وَتَنْهْنَهَ. . . » رسالة رقم ٦٢.

بسياسة الدولة في حدود القرآن والسنة دون غيرهما، لذلك رفض الوصاية على تلك السياسة، التي انبنت عليها كصاحب مبدأ يجب أن يدافع عنه مهما بلغت التضحيات في سبيله، فلقد كان بإمكانه أن ينال الخلافة بعد مقتل عمر حين دعاه عبدالرحمن بن عوف إليها بشرط العمل «بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده»[١] ولكنه رفض الشرط قائلاً «أَرْجُو أَنْ أَفْعَلَ وَأَعْمَلَ بِمَبْلَغِ عِلْمِي وَطَاقَتِي»[٢]، فلو كانت الخلافة في حدّ ذاتها طلبته لقبل العمل بسيرة الخليفتين ، حتى وإن كان القبول بالقول، إلاّ أنه لم يرض بذلك، لأنه يرفض الإلتواء ولأنه يجد أحقيته بأن يُؤخذ برأيه، لا أن يأخذ برأي غيره، لأنه إنما يعمل بعلم علّمه إياه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعا له بأن يعيه صدره، وتضطم عليه جوانحه[٣]. فهو إذ ما وضع بين اختيارين مصلحته أو مصلحة الإسلام، فإنه يختار ما فيه مصلحة الإسلام، مهما عظمت خسارته الشخصية، لذلك لم يكن من السهل قبوله منصب الخلافة بعد مقتل عثمان، إلاّ بعد إلحاح شديد من الناس، واشتراط منه على المبايعين، القبول بالحكم كما يعلمه هو لا كما يريدون، وفي هذا الصدد يقول «إِعْلَمُوا أَنّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ، وَلَمْ أُصْغِ إِلى قَوْلِ القَائِلِ وَعَتْبِ العَاتِبِ»[٤]. ولما أفضت إليه الخلافة، كان عليه أن يتصدى للاضطرابات التي سادت أرجاء ما أحدثه عمّال عثمان من فتن أسخطت صحابة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وجرأت العامة على قتل الخليفة، فأشار عليه المغيرة

---

(١) العقد الفريد ٤/ ٢٧٩.

(٢) السابق.

(٣) راجع نهاية الخطبة رقم ١٢٨.

(٤) خطب ـ ٩١.

بن شعبة أن يقرّ ولاة عثمان حتى يستتب الوضع له، ثم يعزلهم، أو على الأقل يقرّ معاوية على ولايته إلي فترة ما، لأنه لم تكن له حجة في إقرار بقية ولاة عثمان، فإن حجته في إقرار معاوية على الشام، بأن عمر قد أقره من قبل، فلم يكن غريباً أن يرفض اقتراح المغيرة رفضاً قاطعاً بقوله «لاَ أُدَاهِنُ فِيْ دِيْنِي وَلا أُعْطِي الدّنِيَّ مِنْ أَمْرِي. . . وَلاَ أَسْتَعْمِلُ مُعَاوِيَةَ يَوْمِيْنِ أَبَداً»[1]. ثم أن طلحة والزبير حين بايعاه كانا يرجوان أن تكون لهما الحظوة دون غيرهما، وقد روي أنهما قالا له حين البيعة «نُبَايِعُكَ عَلَى أَنَّنَا شُرَكَاؤكَ فِي هَذا الأَمْرِ، فَقَالَ لَهُمَا: لا ولكنكما شركاي في الفيء، لا أَسْتَأْثِرَ عَلَيْكُمَا وَلاَ عَلَى عَبْدٍ حَبَشِيٍّ مُجَدَّعٍ بِدِرْهِمٍ مَا دُوْنَهُ، لاَ أَنَا وَلاَ وَلَدَايَ هَذَانِ»[2].

فالمواقف الصلبة في ذات الله جعلت من فكر علي عليه السلام السياسي، منهجاً صلباً لا يقبل المناورة والمداورة، وقد أشار عمر بن الخطاب إلى ذلك التفرد السياسي في شخص علي عليه السلام بقوله «لَوْ وَلِيَهُمْ يَحْمِلَهُمْ عَلَى مَنْهِجِ الحَقِّ، فَأَخَذَ المَحَجَّةَ الوَاضِحَةَ، إلاّ أَنّ فِيْهِ خَصَالاً: الدَّعَابَةُ فِي المَجْلِسِ، وَاسْتِبْدَادُ الرَّأْيِ، وَالتَبْكِيْتُ لِلنَّاسِ»[3]. وبرغم ما في المقولة من تناقض كما يتراءى لنا بين الإستبداد بالرأي، وهو نوع من الشعور بتضخم الشخصية والتعالي، وبين الدعابة التي تعني التبسط والهزل[4]، إلاّ أننا

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٤٠، كامل ابن الأثير ٣/ ١٠١. وقد ذكر المصدران حوار علي عليه السلام مع المغيرة بأكمله.

(٢) ابن أبي الحديد ٧/ ٤٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٥٩.

(٤) ما قيل عن استبداد علي عليه السلام برأيه ودعابته وتبكيته للناس يخالف تماما ما وصفه =

نلمس فيها أيضاً ما نحن بصدده من قول حول شخصية علي عليه السلام السياسية، فمنهج الحق الذي يقصده عمر، هو ما يعنيه علي عليه السلام بقوله لطلحة والزبير حين طلبا منه أن يوليهما «إِعْلَمَا أَنِّي لاَ أُشْرِكُ فِي أَمَانَتِي إلاّ مَنْ أَرْضَى بِدِيْنِهِ وَأَمَانَتِهِ مَنْ أَصْحَابِي وَمَنْ قَدْ عَرَفْتُ دَخِيْلَتَهُ»[1] لأن مقياس علي عليه السلام السياسي في الولاية، البعد عن كل شهوة مادية، وطلحة والزبير ممن لا يرتضي أمانتهما، لأنه يعرف دخيلتهما وحرصهما على الإمارة من أجل دعم مصالحهما الشخصية أما ما أشار إليه عمر من طبيعة استبدادية في شخص علي عليه السلام، فليس إلاّ لأنه يرى أن المنزلة التي حظي بها عند الرسول صلى الله عليه وآله لم تتغير حتى بعد وفاته صلى الله عليه وآله وإقصائه عن الخلافة، فهو يسير على نهجه ويتقفي خطاه صلى الله عليه وآله، إذ يقول في هذا الصدد «أَلاَ أَنَّ مَوْضِعِيْ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله بَعْدَ وَفَاتِه، كَمَوضِعِي مِنْهُ أَيَّامَ حَيَاتِهِ، فَامْضُوا لِمَا تُؤمَرُونَ بِهِ وَقِفُوا عِنْدَمَا تَنْتَهُونَ عَنْهُ»[2]، فتمسّك علي (برأيه، نابع من إيمانه وتصوره لنهج الرسول صلى الله عليه وآله بأن الدين والدولة كل لا يتجزأ.

وعلى هذا الأساس يمكن دراسة مواقفه السياسية تجاه رجال عصره وأحداثه، فما وافق الدين فهو رضا بالنسبة إليه، لذلك فإن وقوفه في الظل

= أصحابه والذين عاشروه به من ذلك ما أثر عن ضرار الضابي حين طلب معاوية منه وصف علي قولة«وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه لهيبته ولا نبتدئه لعظمته، يعظم أهل الدين ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله» الحصري القيرواني ـ زهر الآداب ١/ ٤١.

(١) ابن أبي الحديد ١/ ٢٣١.

(٢) ابن أبي الحديد ٧/ ٣٧.

طيلة السنوات التي أقصي عمّا يعتقده حقه، لم يحل بينه وبين المشاركة في سياسة الدولة إذا ما طلب منه ذلك، فمن خلال ما أسميناه بواجب الحاكم والإستقلالية السياسية يمكننا الدخول إلى فكر علي عليه السلام في ماجريات عصره كما رسمها (نهج البلاغة).

يمكن تقسيم فكر علي عليه السلام في ماجريات عصره السياسية إلى مرحلتين:

ـ **المرحلة الأولى**: وهي مرحلة ما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وما قبل خلافته عليه السلام، وتمتد من السنة الحادية عشرة للهجرة، حتى مقتل عثمان بن عفان سنة خمس وثلاثين، ويمكن دراسة فكر علي عليه السلام في هذه المرحلة من خلال الوقائع التاريخية التالية:

١ ـ مؤتمر سقيفة بن ساعدة.

٢ ـ خلافة أبي بكر الصديق.

٣ ـ خلافة عمر بن الخطاب.

٤ ـ الشورى.

٥ ـ خلافة عثمان بن عفان.

ـ **المرحلة الثانية**: وهي التي تمثل فترة خلافته وتمتد من سنة خمس وثلاثين هجرية حتى سنة أربعين، ويمكن دراسة فكره في هذه المرحلة من خلال الوقائع التالية:

١ ـ أصحاب الجمل ـ أو ـ الناكثون

٢ ـ معاوية وبنو أمية ـ أو ـ القاسطون

٣ ـ الخوارج ـ المارقون.

٤ ـ إرادة قريش.

المرحلة الأولى: والمتمثلة في فترة ما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم

١ ـ مؤتمر سقيفة بني ساعدة[١] في فكر علي عليه السلام:

لم يكن علي عليه السلام وآل بيت الرسول وجلّ المهاجرين حضوراً في اجتماع السقيفة، لأنهم كانوا في شغل بتجهيز الرسول صلى الله عليه وسلم والإعداد لدفنه، فلم يعلموا بخبرها إلا بعد أن «بويع أبوبكر وأقبلت الجماعة التي بايعته تزفه زفاً إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم»[٢]، فلم يكن إلا ذهولاً أصاب النفوس، إذ كيف تسنى لأولئك أن يبرموا أمراً في مثل ذلك اليوم العصيب دون أن يستشار جميع أولي الأمر، وعلى ذلك الأساس بنى علي عليه السلام فكرته فيما أثر عنه من قول لأبي بكر (طويل):

فَإِنْ كُنتَ بِالشُّورَى مَلَكْتَ أُمُورَهُمْ ... فَكَيفَ بِهَذَا وَالمُشِيرُونَ غُيَّبُ[٣]

فعلي عليه السلام ـ على ما يبدو ـ لا يعتقد أن ثمة شورى في انعقاد البيعة لأبي بكر، لأن الشورى تقتضي حضور جميع من يهمهم الأمر، أما وجهة

---

(١) سقيفة بني ساعدة: بالمدينة وهي ظلة كان الأنصار يجلسون تحتها، فيها بويع أبوبكر... وأمّا بنو ساعدة الذين أضيفت لهم السقيفة، فهم جماعة من الأنصار، وهم بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة، ومنهم سعد بن عبادة ـ معجم البلدان ٣/ ٢٢٨، ٢٢٩، أما بشأن ما دار في السقيفة من حوار بين الأنصار ورهط قريش من الصحابة فيمكن مراجعته في تاريخ الطبري ٣/ ٢١٨ وما بعدها.

(٢) الزبير بن بكار ـ الأخبار الموفقيات ص٥٧٨.

(٣) حكم: ١٨٧.

نظره في مؤتمر السقيفة فقد بناها على تفنيد منطق كل من الأنصار والمهاجرين الذين حضروا السقيفة ذلك اليوم. فالإسلام لا يجيز للأنصار الإدعاء بخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله على اعتبار أنهم موصى بهم من قبل الرسول صلى الله عليه وآله، ومن يوصى به لا يجوز لا عقلاً ولا شرعاً أن يكون قائداً، وبناء على ذلك قال لما بلغته أنباء السقيفة «مَا قَالَتْ الأنْصَارُ؟، قالوا: قالت منّا أمير ومنكم أمير، قال عليه السلام: فَهَلاً احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله أَوْصَى بِأَنْ يُحْسَنَ إلى مُحْسِنِهِمْ وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ، قَالُوا: وَمَا فِيْ هَذِهِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ؟، فَقَالَ عليه السلام: لَوْ كَانَتْ الإمَامَةُ فِيْهِمْ لَمْ تَكُنْ الوَصِيَّةُ بِهِمْ»[1].

أما طرف السقيفة الثاني، وهم قريش، فقد احتجوا بقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله كما ورد في قول عمر بأنهم «أولياؤهُ وَعَشِيْرَتَهُ»[2]، وهم بحجتهم تلك لا يستحقون الإمامة أيضاً من وجهة نظر علي عليه السلام وذلك بناء على قول الله تعالى ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[3]، فإذا كان مقياس استحقاقهم الأمر لقرابتهم البعيدة من الرسول صلى الله عليه وآله، فالأولى به أن يكون في رحمه القريب وعترته، ويمثل وجهة نظر علي عليه السلام تلك قوله «مَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ؟ قَالُوا: احْتَجَتْ بِأَنَّها شَجَرَةُ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله، فَقَالَ عليه السلام: احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَأَضَاعَوا الثَّمَرَةَ»[4]، فالثمرة وهي النتاج الأصلي للشجرة

---

(١) خطب ـ ٦٦.

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٠.

(٣) الأنفال / ٧٥.

(٤) خطب ـ ٦٦.

أولى بأن يكون لها الحق دون غيرها من سائر الفروع، وعلى ذلك بنى علي عليه السلام فكره من خلافة أبي بكر، كرأي مضاد الهدف منه إقامة الحجة.

٢ ـ موقف علي عليه السلام من خلافة أبي بكر:

لم يحسم أمر البيعة بالخلافة لأبي بكر حسماً تاماً في مؤتمر السقيفة كما تصوره لنا المصادر التاريخية، إذ يبدو من خلال فلتات المؤرخين في ثنايا سردهم للحوادث أن صراعاً خفياً قد احتدم وأن المسلمين قد تحزبوا إلى فرقتين إذ يمكن أن يستنتج من القول بأن «أسلم أقبلت بجماعتها حتى تضايقت بهم السكك فبايعوا، فكان عمر يقول: ما هو إلاّ أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر»[١]، أي أن فوز أبي بكر لم يتحقق بسهولة ويسر، إذ لو كان الأمر كذلك لما قال «فأيقنت بالنصر» ممّا يعني أن الرؤية قد كانت غامضة قبل مبايعة أسلم، فاليقين هنا يتبع شكاً، والوجل والخوف من الفشل، كما أن كلمة (النصر) في السياق تنم عن الصراع الخفي الذي كاد أن ينفجر ليرجح كفة على أخرى. فما أن استقر أمر السقيفة لأبي بكر جراء الجدل الذي أخذ القوم على غرة، وتنبه أولئك المجتمعون للسرعة المذهلة التي تمت فيها تلك البيعة، حتى «ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته ولام بعضهم بعضاً، وذكروا علي بن أبي طالب عليه السلام، وهتفوا باسمه، وإنه في داره فلم يخرج إليهم، فجزع لذلك المهاجرون، وكثر في ذلك

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٢ وأسلم ـ اسم يطلق على عدة بطون وقبائل، والذين يعينهم عمر ـ كما أعتقد ـ هم أسلم بن افصى: بطن من خزاعة وهم: بنو أسلم بن افصى بن حارثة بن عمرو من القحطانية، من قراهم وبرة وهي قرية ذات نخيل من أعراض المدينة ـ كحالة ـ معجم قبائل العرب ١/ ٢٦.

الكلام»[١]، ثم أن المنافرات بين الأنصار والمهاجرين كادت أن تحدث فتقا في الإسلام، بإثارة النعرات القبلية، لولا تدارك بعض الصحابة للأمر بسدّ أفواه موتوري قريش على الأنصار وعليعليه السلام، لما فعلوه بآبائهم وأجدادهم وإخوانهم في حروبهم معهم في الجاهلية بين يدي رسول اللهﷺ[٢]. ثم أن هناك الكثير من رؤوس المهاجرين ممن امتنع عن بيعة أبي بكر من أمثال: الزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو وأبي ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، ولم يدلوا بيعتهم[٣]، إلاّ مكروهين «وكان إبان بن سعيد أحد من تخلف عن بيعة أبي بكر لينظر ما يصنع بنو هاشم فلما بايعوا بايع»[٤]، وكان إبان في موقفه ذاك تبعاً لأخيه الأكبر خالد بن سعيد بن العاص الذي أسلم وأبوبكر الصديق في يوم واحد[٥]، وقيل أن أبا بكر قد أَمَّر خالداً ذاك على جيوش الشام، فاعترض عمر على ذلك قائلاً «أتولي خالداً وقد حبس عنك بيعته، وقال لبني هاشم ما قد بلغك؟ فوالله ما أرى أن توجهه»[٦] فامتثل أبوبكر لذلك فعزله وولى مكانه يزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة بن الجراح[٧]. لذلك فمن المرجح أن البيعة لأبي بكر

---

(١) الزبير بن بكار ـ الأخبار الموفقيات ٥٨٣.

(٢) راجع ذلك بالتفصيل عند الزبير بن بكار، السابق من ص٥٩٥ حتى ص٦٠٢.

(٣) راجع سليم بن قيس الهلالي الكوفي (ت في حدود ٩٠ هـ) ـ كتاب سليم بن قيس ص٨٩ وما بعدها، وقد ذكر الكتاب وصاحبه ابن النديم ـ الفهرست ص٢٧٥ في أخبار فقهاء الشيعة وما صنفوه من الكتب، وراجع أيضا: تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٢٤.

(٤) ابن الأثير ـ أسد الغابة ١/ ٤٧، وراجع ترجمة إبان في المصدر نفسه.

(٥) السابق ٢/ ٩٧، ٩٨، وترجمة خالد هناك أيضاً.

(٦) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٣٣.

(٧) راجع السابق ٢/ ١٣٣.

لم تتم ولم يستقر له الأمر إلاّ بعد أن بايعه علي بن أبي طالب عليه السلام، وتبعه بنو هاشم إذ تحدثنا بعض المصادر التاريخية عن المحاولات التي بذلتها قريش لإضعاف جانب علي عليه السلام وإرغامه على البيعة «من ذلك توجه أبي بكر وعمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح والمغيرة بن شعبة إلى منزل العباس بن عبدالمطلب ليلاً ليجعلوا له في الحكم «نصيباً يكون له ولعقبه من بعده»[(١)]، ليفتوا من عضد علي عليه السلام ولكنهم لم يفلحوا في إقناع العباس بذلك، وبقي علي عليه السلام ومن تبعه من آل بيته وأشياعه «ستة أشهر لم يبايعوا حتى ماتت فاطمة (ر) فبايعوا»[(٢)].

ويبدو ممّا أثر عن علي عليه السلام من نصوص في (نهج البلاغة)، وما دار حولها من شروح وتعليقات أن علياً عليه السلام قد حاول في الأيام الأولى من مبايعة أبي بكر أن يسترجع ما كان يعتقده حقه، وقد وقفت زوجته السيدة فاطمة عليها السلام بجانبه[(٣)] ولكنه لم يفلح، من ذلك ما أثر عن معاوية في إحدى رسائله لعلي قوله «لقد حسدت أبابكر والتويت عليه ورمت إفساد أمره، وقعدت في بيتك، واستغويت عصابة من الناس حتى تأخروا عن بيعته»[(٤)]، فمعاوية يتهم علياً عليه السلام بالإفساد والتعدي والتحريض لإفشال بيعة أبي بكر

---

(١) راجع الحادث بأكمله عند أبن قتيبة ـ الإمامة والسياسة ١/ ١٥، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ١٢٤ وما بعدها.

(٢) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ٢/ ٢٢٤.

(٣) راجع ما قاله سليم بن قيس في كتابه بشأن حمل علي فاطمة الزهراء على حمار وأخذه بيدي ابنيه الحسن والحسين عليهما السلام وذهابه إلى بيوت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يناشدهم الله في حقه ص٨٢ ـ ٨٣.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٥/ ١٨٦.

ومهما انطوت تلك المقولة على مكر وخديعة بقصد الإساءة لعلي عليه السلام، فإنها تضيء جوانب من موقف علي عليه السلام وكثير من الصحابة إزاء بيعة أبي بكر ممّا يجعلنا نعتقد بأن تلك البيعة قد أحدثت في بدايتها نوعاً من التشتت الفكري في مصداقية الإسلام في نفوس أولئك الذين لـمّا تتمكن مبادئ الإسلام منها، إذ وجدت في اختلاف صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله ذريعة للتمرد على الدين[1]. لذلك لم يجد علي عليه السلام بدّاً من اتخاذ موقف حاسم إزاء هذه المتناقضات التي كادت أن تحدث شرخاً في الإسلام، حتى لو كان ذلك على حساب حقه، لأن مصلحة الإسلام تقتضي منه التضحية[2] وكانت بيعته لأبي بكر الذروة في هذه التضحية، إلاّ أن تلك البيعة لم تأت عن طواعية ولم تحدث إلاّ بعد جدل طويل سجلت لنا بعض المصادر التاريخية جانباً منه[3]، مقتصرة على السرد، لذلك لم نتمكن من تمثيل الصورة الصادقة لمعاناته النفسية أثناء مجادلته عن ذلك الحق ولكن (نهج البلاغة) قد نقل إلينا بعض مأثورات علي التي توضح بعض الجوانب من تلك المعاناة، من ذلك قوله في شأن من نقلوا حقه لغيره بتأويلات مفتعلة تنم عن نكوصهم عمّا أوصى به الرسول «حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللهُ رَسُولَهُ صلى الله عليه وآله رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الأَعْقَابِ، وَغَالَتْهُمُ السُّبُلُ وَاتَّكَلُوا عَلَى الوَلائِجِ، وَوَصَلُوا

---

(١) نعني بذلك ارتداد بعض القبائل عن الإسلام وامتناع القبائل الأخرى عن دفع الزكاة، يمكن مراجعة ذلك في تاريخ الطبري ٣/ ٣٠١ وما بعدها.

(٢) بشأن امتناع علي عليه السلام عن بيعة أبي بكر، والسبب الذي جعله فيما بعد يبايع، راجع قول علي عليه السلام في رسائل ٦٢، فقرة ١.

(٣) راجع على سبيل المثال الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ١٢، ١٣، ابن اعثم: الفتوح ١/ ١٢، ١٣.

غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِيْ أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ وَنَقَلُوا البِنَاءَ عَنْ أَسَاسِهِ، فَبَنُوهُ فِيْ غَيْرِ مَوْضِعِهِ»[١]، ويبدو من المقولة ـ كما نعتقد ـ أن علياًعليه السلام يختلف مع الشيخين اختلافاً بيّناً بشأن قضية الإستخلاف وما امتناعه عن البيعة لأبي بكر مدة ستة أشهر[٢]، إلاّ تعبير واضح عن ذلك، ثم أن بعض المصادر الأدبية تذكر لعليعليه السلام نصوصاً يقول فيها بمنزلته من رسول اللهصلى الله عليه وآله وأحقيته دون غيره بالخلافة، من ذلك ما رواه له الجاحظ من عتاب وجهه لمن أمال الخلافة عنه من جمهور المسلمين[٣]، كما أن ما دار من جدل بين عليعليه السلام وبين أبي بكر في اليوم الثاني بعد بيعة السقيفة، يدل على الخلاف العميق بين وجهتي نظر كليهما، ولكنه خلاف «يقف عند حدّ النقاش والحوار وقرع الحجة بالحجة»[٤]، لاعتقاد عليعليه السلام بأن الإحتكام إلى السيف في مثل تلك الظروف العصيبة لن يكون في صالح الإسلام، فكان صراع بين العاطفة والعقل بالنسبة لعليعليه السلام، حيث حسم ذلك الصراع لصالح العقل، فأقرّ عليعليه السلام بالتسليم على اهتضام لحقه، وألم ممض فاضت به أعماقه[٥].

فاعتقاده بأحقيته بالخلافة بعد الرسولصلى الله عليه وآله هو المحور الأساس الذي اعتمده في مواجهة من جادله من الصحابة بشأن ذلك، يقول له أبو عبيدة

---

(١) خطب ـ ١٤٨.

(٢) أكثر المصادر ترجح أن بيعة علي لأبي بكر لم تحدث إلاّ بعد ستة أشهر ـ راجع: تاريخ الطبري ٣/ ٢٠٨، العقد الفريد ٤/ ٢٦٠، ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ٢/ ٢٢٠.

(٣) راجع البيان والتبيين ٢/ ٥٠، ٥١.

(٤) مغنية ـ في ظلال النهج ٢/ ٣٠٥.

(٥) راجع خطب ٣، فقرة ١.

بن الجراح حين حاولوا إرغامه على التسليم لأبي بكر بالبيعة «يا ابن عم، إنك حديث السن، وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم، ومعرفتهم، ولا أرى أبا بكر إلاّ أقوى على هذا الأمر منك»[١] فكان رده على تلك المقولة «يَا أَبَا عُبَيْدَةِ، أَطَالَ عَلَيْكَ العَهْدُ فَنَسِيْتَ، أم نَافَسْتَ فَأُنْسِيْتَ؟ لَقَدْ سَمِعْتَهَا وَوَعَيْتَهَا فَهَلاً رَعَيْتَهَا»[٢] فمن الملاحظ أن علياً عليه السلام لم يتطرق إلى مسألة الأحقية بالسن التي أثارها أبو عبيدة لإدراكه ـ كما نظن ـ بأن عامل السن من العوامل المستحدثة ضمن ذلك الجدل لافتقار الطرف المقابل إلى الحجة، لأن الرسول صلى الله عليه وآله حين أمرّ أسامة، وهو الحدث، على المهاجرين الأولين لم يضع السن مقياساً لذلك التأمير.

لذلك فإننا لو أخذنا مسألة الخلافة من منظور علي كما هو منصوص عليها في (نهج البلاغة)، فسنخلص إلى أنه قد كان يرى أنها حقه المنصوص عليه من قبل الرسول صلى الله عليه وآله سُلِبَ منه عنوة إذْ ما فتيء يكرر ذلك في كل مناسبة، يقول في خطبته المسماة بالشقشقية «أَمّا والله لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلاَنٌ، وَإِنّهُ ليعلم أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحَى، يِنْحَدِرُ عَنِّي السَيْلُ، وَلاَ يَرْقَى إِليَّ الطَيْرُ»[٣].

إلاّ أن ما حمله في نفسه من ضيم لم يحل بينه وبين تقديم العون والمشورة كلما دعت الحاجة لذلك، لأنه لم ير في سياسة أبي بكر أية شائبة تسيء للإسلام وأهله، فلقد بذل الخليفة الأول جهده وطاقته ليكون

---

(١) الإمامة والسياسة ١/ ١٢.

(٢) ابن أبي الحديد ٢٠/ ٣٠٧.

(٣) خطب ٣، فقرة ١.

أهلاً للمقام الذي تسنمه «فَقَارَبَ وسدّد حَسْبَ اسْتِطَاعَتِهِ عَلَى ضَعْفٍ وَحَدٌّ كَانَا فِيْهِ»[1]، لذلك لم يبخل برأيه، ولم يتردد في إبداء موقفه بصدق وأمانة وحماس كلما لجأ أبو بكر إليه، فحين عزم على إرسال الجيوش الإسلامية لغزو الروم شاور كثيراً من الصحابة «فقدموا وأخروا، فاستشار علي بن أبي طالب عليه السلام، فأشار عليه أن يفعل، فقال: إن فعلتَ ظَفَرْت»[2]، فأخذ بمشورته فكان الظفر للإسلام، ولم يكن علي عليه السلام ينظر إلى شخص أبي بكر في حدّ ذاته إلاّ من خلال نظرته الشمولية إلى مصلحة الإسلام، فالطاعة والإستجابة هنا ليست امتثالاً لشخص أبي بكر، لذلك يمكننا القول بأن حياة علي عليه السلام في عهد أبي بكر لم تكن سوى المناصحة والطاعة المقرونة بالإيمان، والإنتظار المقرون بالأمل عسى أن يعود الحق إلى نصابه، ويمكن استخلاص ذلك من قوله «تَوَلّى أَبو بَكْرٍ تِلْكَ الأُمُورِ، فَيَسّرَ وَسَدَّدَ، وقَارَبَ وَاقْتَصَدَ، وَصَحِبْتُهُ مُنَاصِحاً وَأَطَعْتَهُ فِيْمَا أَطَاعَ الله فِيْهِ جَاهِداً، وَمَا طَمَعْتُ أَنْ لَوْ حَدَثَ بِهِ حَادِثٌ وَأَنَا حَيٌّ أَنْ يَرُدَّ إِليَّ الأَمْرَ الذِي نَازَعْتُهُ فِيْهِ، طَمَعَ مستيقن، وَلاَ يَئِسْتُ مِنْهُ يَأَسَ مَنْ لاَ يَرْجُوهُ، وَلَوْلاَ خَاصَّةٌ مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُمَرَ لَظَنَنْتُ أَنَّهُ لاَ يَدْفَعُهَا عَنّيْ، فَلَمَّا احْتَضَرَ بَعَثَ إلى عُمَرَ فَوَلاَّهُ فَسَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَنَاصَحْنَا»[3]، فمسألة مركز الخلافة الإسلامية في فكر علي عليه السلام وإن كان ذو أهمية عظيمة ـ إلا أنه مسألة ثانوية، مادام الإسلام مصاناً وحقوق العباد مؤادة في ظل الشرع من غير عسف ولا

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠/ ٢١٨.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٣٣.

(٣) ابن أبي الحديد ٢٠/ ٢١٨.

إرهاق، وعلى ذات النهج يمكننا تتبع موقفه من شخص عمر بن الخطاب وتحديد فكره من سياسته.

٣ ـ موقف علي عليه السلام من خلافة عمر:

ليس ثمة شك في أن تثبيت بيعة أبي بكر وتقويم أمر سلطته يرجعان إلى جرأة عمر ومبادرته بالمبايعة له في السقيفة على رؤوس الأشهاد، فلقد جاهد جهاداً مستميتاً في سبيل ذلك إلى الحد الذي جعله يعتبر الخلافة معركة وفوز أبي بكر بها نصراً شخصياً له بعد أن بايعت قبيلة أسلم كما أسلفنا القول في ذلك. وتحدثنا المصادر التاريخية بأنه قد حاول إرغام سعد ابن عبادة على البيعة لأبي بكر بالإكراه، لولا تصلب سعد في امتناعه وتدخل بشير بن سعد الأنصاري حسماً للنزاع وتجنباً من الفتنة[١]. ولاعتداد عمر بمنزلته فقد اعتبر مبايعته لأبي بكر ملزمة للمهاجرين، إذ أنها تعادل من وجهة نظره ـ كما نعتقد ـ بيعة الأنصار كافة[٢]، ولم يأل جهداً لترسيخ دعائم تلك البيعة بملاحقة المتخلفين عنها[٣]. واستمر عمر يشد من أزر أبي بكر ويقوم مقامه طيلة خلافته، فقد كان يصلي بالناس نيابة عنه

---

(١) راجع ذلك بالتفصيل: تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٢، العقد الفريد ٤/ ٢٥٨ وفي ص٢٦٠ ذكر ابن عبد ربه الكيفية التي اغتيل بها سيد الخزرج سعد بن عبادة الأنصاري، ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ٢/ ٢٢٤.

(٢) راجع في ذلك الصدد ما قاله عمر للمهاجرين في مسجد المدينة بعد أن تمت بيعة السقيفة في الإمامة والسياسة ١/ ١١، وراجع حضّه على إتمام البيعة لأبي بكر في اليوم الثاني في تاريخ الطبري ٣/ ٢٠٣.

(٣) بشأن معاملة عمر المتخلفين عن بيعة أبي بكر راجع ابن أبي الحديد ١/ ١٧٤.

أثناء تغيبه عن المدينة[١]، كما كان أبو بكر لا يمضي أمراً دون مشورة عمر، وكان يرجح رأيه في كثير من الأحيان على آراء جماعة المسلمين[٢]، فمواقف عمر تلك والمكانة التي تبوأها في عهد أبي بكر جعلت علي عليه السلام ينظر إليه ومنذ البداية على أنه المؤهل للأمر بعد أبي بكر، وهو ما يمكن استخلاصه من قول علي عليه السلام حين قال له عمر «إِنَّكَ لَسْتَ مَتْرُوكاً حَتَّى تُبَايِع، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: إِحْلِبْ حَلْباً لَكَ شَطْرَهُ، وَاشْدِدْ الْيَوْمَ أَمْرَهُ يَرْدِدْهُ عَلَيْكَ غَداً»[٣].

والتحليل المنطقي للحوادث يكاد يعزز ما قاله عليّ عليه السلام فقد حزم أبو بكر أمره منذ الوهلة الأولى التي تسلم فيها على تجريد الهاشميين من كل ما يمكن وراثته عن النبي صلى الله عليه وآله، بما في ذلك الخلافة بوضعها في قريش عامة وفي عمر بن الخطاب على وجه الخصوص، فقول عمر لعبدالله بن عباس «لَوْلاَ رَأْيُ أَبِي بَكْرٍ فِيَّ بَعْدَ مَوْتِهِ لأَعَادَ أَمْرَكُم إِلَيْكُمْ»[٤] يتضمن الإختيار المسبق لعمر والإبعاد المتعمد لآل البيت عن حقهم بدلالة قوله «أمركم إليكم»، فالإضافة في السياق تعني الإختصاص والأحقية. ثم إن عهد أبي بكر لعمر يؤكد مقولة الإستخلاف للنص فيه على «أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قَدْ

---

(١) راجع تاريخ الطبري ٣/ ٤٣٢.

(٢) راجع على سبيل المثال موقف أبي بكر من طلب كل من عيينه بن حصين والأقرع بن حابس ورد عمر على ذلك الموقف وما قاله لهما أبو بكر بشأن رد عمر ـ شرح بن أبي الحديد ١٢/ ٥٨.

(٣) الإمامة والسياسة ١/ ١١.

(٤) ابن أبي الحديد ١/ ١٩٠. وقد أورد مثله باختلاف الطبري في تاريخه ٤/ ٢٢٢.

اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ عُمَرُ بنَ الخَطَّابِ»[١] ممّا يتعارض ومقولة الترشيح الذي لا يمكن تحوله إلى استخلاف إلاّ بعد موافقة المسلمين[٢]، إذ لا يمكن استخلاص أية عبارة تنم على الترشيح من سياق العهد المذكور حتى ولو حاولنا التعسف في تأويل العبارات، لثبات نص الإستخلاف في سياقها، إضافة إلى ذلك فإن قول أبي بكر للمسلمين «فَإِنّي مَا اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُم ذَا قَرَابَةٍ وإنِّي قَد اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُم عُمَرَ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيْعُوا»[٣]، يبيّن تلميحاً ـ على ما نعتقده ـ بأن هناك سابقة استخلاف بالقرابة يحاول أبوبكر إبعاد مثلها عن نفسه، كما وأن الأمر بالسمع والطاعة للمستخلف هو بعيد عمّا قيل من شورى، إذ لو كان أبوبكر يبغي من قوله الشورى لجعل الإستخلاف في صيغة اقتراح لا في صيغة أمر مؤكد متبوع بالسمع والطاعة.

وإذا ما حاولنا ترتيب عهد أبي بكر لعمر ترتيباً زمانيا، فسنجد المصادر التاريخية التي أرخت لذلك تكاد تتفق جلها على التالي:

أولا: إن سؤال أبي بكر لكل من عبدالرحمن بن عوف وعثمان بن عفان قُبَيْل كتابة عهد الإستخلاف كان محصوراً في شخص عمر[٤] دون غيره من الصحابة ممّا يعني ـ فيما نظن ـ أن أبا بكر قد بنى أمره على النص لعمر وما ذاك السؤال إلا من قَبِيلِ التمهيد.

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٤٢٨، ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ٢/ ٢٩٢.

(٢) راجع: طه حسين ـ الشيخان ص٤٨.

(٣) تاريخ الطبري ٣/ ٤٢٨، ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ٢/ ٢٩٢.

(٤) راجع ذلك في المصدرين السابقين في موضوع (ذكر استخلاف عمر).

ثانيا: إن ذاك السؤال من قِبَلِ أبي بكر لم يأتِ ـ فيما نعتقد ـ إلا بعد إيمانه التام بكفاءة عمر، فهو يقول لعبد الرحمن بن عوف عن غلظة عمر «لَوْ أُفْضِيَ الأَمْرُ إِلَيْهِ لَتَرَكَ كَثِيراً مِمّا هُوَ عَلَيْهِ»[١].

ثالثا: محاولة أبي بكر التكتم على قضية الإستخلاف وحصر خبرها في اثنين دون الهيئة المكونة من العشرة من الصحابة الذين حصرت بعض المراجع مجلس الشورى فيهم[٢]، مع ملاحظة أن أولئك العشرة ـ فيما نظن ـ لم يصيروا هيئة استشارية إلا بعد أن حصر عمر بن الخطاب الخلافة في ستة منهم أثناء وفاته[٣]، وذلك بعد موت ثلاثة منهم رابعهم عمر بن الخطاب، أضف إلى ذلك فإنّ تلك الهيئة الإستشارية لم تجتمع بأكملها قط للتداول في أمر الخلافة أو غيرها من شؤون الحكم، كما أن التاريخ لم يحدثنا إطلاقاً عن اتفاق حتى نصف نصابها على شأن من شؤون الأمة، بله تحاشي أبي بكر وكتمانه أمر الإستخلاف عن بعض أفرادها[٤]، كما حدث

---

(١) المصدر السابق.

(٢) العشرة هم: أبوبكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالبعليه السلام وطلحة بن عبيدالله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبدالرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وقد وردت فيهم أحاديث عن رسول اللهصلى الله عليه وآله بتبشيرهم بالجنة، إلا أن تلك الأحاديث لم تتضمن أنهم أهل الحل والعقد ولا أنهم أهل الشورى. راجع ما روي فيهم من أحاديث عند: المحب الطبري ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة ١/ ٣١ حتى ص٣٨.

(٣) راجع الشورى في فكر عليعليه السلام ص٢٣٥ من هذا البحث.

(٤) تذكر المصادر التاريخية أن أبا بكر لما أراد أن يعقد بالخلافة لعمر بن الخطاب«دعا عبدالرحمن بن عوف، فقال: أخبرني عن عمر، فقال: يا خليفة رسول الله، هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل... فقال أبو بكر:... لا تذكر يا أبا محمد ممّا قلت =

في أمر علي بن أبي طالب عليه السلام وهو زعيم الهاشميين وأحد من عد في الشورى، ممّا يعني تشكيل تلك الهيئة من اختراع المؤرخين المحدثين بناء على استنتاجات تاريخية لا تمت للواقع بصلة، فأبوبكر كما يرى علي عليه السلام لم يتسلم الخلافة إلا بتعضيد من عمر ودون علم معظم من سمّوا بهيئة الشورى وعلى رأسهم علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي كان متواجداً مع أبي بكر في بيت النبي صلى الله عليه وآله حين جاء عمر وأسر لأبي بكر خبر اجتماع السقيفة[١] دون غيره ممن كانوا حول النبي في تلك الساعة.

رابعا: إن سرية العهد لم تحل دون علم بعض الصحابة ومن ثم اعتراضهم عليه، من ذلك قول طلحة بن عبيد الله التيمي ـ أحد أفراد هيئة الشورى ـ لأبي بكر «اسْتَخْلَفْتَ عَلَى النَّاسِ عُمَرَ، وَقَدْ رَأَيْتَ مَا يَلْقَى النَّاسُ مِنْهُ وَأَنْتَ مَعَهُ، وَكَيْفَ بِهِ إِذا خَلاَ بِهِمْ وَأَنْتَ لاقٍ رَبَّكَ»[٢]، فلو كان الإستخلاف متولداً عن مشورة لما جاءت مقولة طلحة للخليفة المريض

= لك شيئا، ثم دعا عثمان بن عفان، قال: أخبرني عن عمر، قال: أنت أخبر به، فقال أبوبكر: عليّ ذاك يا أبا عبدالله، قال: اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته... قال أبوبكر: رحمك الله يا أبا عبدالله، لا تذكر ممّا ذكرت لك شيئا» تاريخ الطبري ٣/ ٤٢٨، ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ٢/ ٢٩١، ٢٩٢، فمن الملاحظ أن استشارة أبي بكر قد اقتصرت على اثنين فقط من أهل الشورى دون غيرهما، وتحديد الاستشارة في عمر بالذات وتبرير غلطته ممّا يعني أنها تمهيد لعقد الخلافة في شخص عمر وليس استشارة، ويعزز ذلك الاعتقاد محاولة أبي بكر التكتم على الخبر حتى لا تتم معارضته قبل أن يتم.

(١) راجع تاريخ الطبري ٣/ ٢١٩، ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ٢/ ٢٢٢.

(٢) الكامل في التاريخ ٢/ ٢٩٢.

بهذه الحدة المتضمنة التهديد بعقاب الله، ثم إن أبا بكر ذاته يؤكد استخلافه لعمر ضمن ردّه على طلحة في قوله «أَبِاللَّهِ تُخَوِّفُنِي؟ إذا لَقِيْتُ رَبِّي فَسَأَلَنِي قُلْتُ: اسْتَخْلَفْتُ عَلَى أَهْلِكَ خَيْرُ أَهْلِكَ»[١]، علماً بأن الحوار الحاد الذي دار بين أبي بكر وطلحة يأتي في ترتيبه الزماني الأول قبل كتابة العهد، وقبل أمر أبي بكر المسلمين بالسماع والطاعة لعمر، ممّا يرجّح أن الإستخلاف قد كان وارداً قبل المداولات التي جرت فيما بعد إسباغ الشرعية عليه، إذ يمكن الإستنتاج ممّا أثر عن علي عليه السلام في نهج البلاغة أن اتفاقا مسبقا[٢] قد أدّى بالخلافة إلى عمر ولولا ذلك لما تعداه أبوبكر.

بناء على ما سبق لا يمكن قبول قول من قال «بأن خلافة عمر لم تتم بعهد من أبي بكر»[٣] لأن القائل قد بنى استنتاجه ذاك على أساس أنه ليس من حق الخليفة أن يعهد لمن بعده، لكن ذلك يتعارض مع قول من تحدثوا في الإمامة من فقهاء السنة، لأنهم قد جوّزوا عهد الخليفة لمن بعده[٤] وبشأن أهمية الإستخلاف العظيمة تقول السيدة عائشة لعبدالله بن عمر حين بلغها الإعتداء على الخليفة عمر في المسجد «يا بني أبلغ عمر سلامي وقل له: لا تدع أمة محمد صلى الله عليه وسلم بلا راع، استخلف عليهم، ولا تدعهم بعدك هملاً، فإني أخشى عليهم الفتنة»[٥]. فمحاولة إلباس عهد استخلاف عمر

---

(١) السابق.

(٢) راجع خطب ٣، فقرة ١، وطابقه بالمحاجة التي دارت بين عمر وعلي عليه السلام بشأن البيعة في الإمامة والسياسة ١/ ١١.

(٣) فتحي عبدالكريم ـ الدولة والسيادة ص٢٤٧.

(٤) راجع ص١٩٠ من هذا البحث.

(٥) الإمامة والسياسة ١/ ٢٣.

ثوباً من الديمقراطية بالقول باشتراك المسلمين في اتخاذه، ومشاورتهم فيه، لا ينفي كونه قراراً فردياً في نظر علي بن أبي طالبعليه السلام كما ورد في النهج «حَتَّى مَضَى الأَوَّلُ لِسَبِيْلِهِ فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلاَنٍ مِنْ بَعْدِهِ»[١] فقد اتفق شرّاح النهج على تفسير (أدلى بها) في سياق الخطبة طبقاً للقول «أدلى ما له إلى الحاكم، إذا دفعه إليه رشوة»[٢]، وخرج ابن أبي الحديد العبارة طبقاً لقوله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾[٣]، «أي تدفعوها لهم رشوة. . . لما كانعليه السلام يرى أن العدول بها عنه إلى غيره إخراج لها إلى غير جهة الإستحقاق»[٤].

ومهما بلغت الحدة في نقده لخلافة أبي بكر ومن بعده خلافة عمر فهي ـ في اعتقادنا ـ لا تخرج عمّا ذكره التاريخ في شخصيهما، فالإختلاف هنا يكمن في طريقة التناول، فعليعليه السلام قد عبّر عن نقده بأسلوب ساخط ممزوج بالألم، وإلا فإن أبا بكر قد قال في مطلع خلافته مستقيلاً عبء الخلافة زاهداً فيها «لاَ حَاجَةَ لِيْ فِيْ بَيْعَتِكُمْ أَقِيلُونِي بَيْعَتِي»[٥]، وقد تناول عليعليه السلام ذات التعبير في معرض الإستغراب والتعجب من التناقض بين القول والفعل، إذ بينما يظهر أبوبكر الزهد في الخلافة أثناء حياته، يراه عليعليه السلام يحرص بالوصية في عقدها لعمر بن الخطاب بعد وفاته معبراً عن ذلك بقوله «فَيَا عَجَباً، بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِيْ حَيَاتِهِ، إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ

---

(١) خطب، ٣ ـ فقرة.

(٢) الراوندي ـ منهاج البراعة ١/ ١٢٤.

(٣) البقرة / ١٨٨.

(٤) شرح النهج ١/ ١٦٣.

(٥) الإمامة والسياسة ١/ ١٤.

وَفَاتِهِ»[١]، لأن المفروض ـ من وجهة نظر عليعليه السلام ـ فيمن «يستقيل من أمر على ظاهر الحال، يجب أن يكون زاهداً فيه متبرماً منه... ومن عقده لغيره ووصّى به إلى سواه فهو على غاية التمسك به»[٢].

فإذا كان عليعليه السلام ينكر على أبي بكر ذلك، فإنّه في ذات الوقت ينتقد شخص المعقود له حين يصفه بالخشونة وعدم الثبات في الأحكام، بحيث أصبح عهده من حيث الفتيا والقضاء لا يلتزم منهجاً معيناً، فقد كان عمر «ما يحكم بالأمر ثم ينقضه، ويفتي بالفتيا ثم يرجع عنها، ويعتذر ممّا أفتى به»[٣] من ذلك أنه قضى في توريث «الجد مع الإخوة قضايا كثيرة مختلفة، ثم خاف من الحكم في هذه المسألة، فقال: من أراد أن يقتحم جراثيم جهنم فليقل في الجد برأيه»[٤]، هذا بالإضافة إلى حدّة مزاجه وسرعة غضبه، وقد تمثل عليعليه السلام كل تلك الصفات في خطبته المسماة (بالشقشقية)[٥] وبغض النظر عمّا حواه أسلوب الخطبة من حدّة، فمن المرجح أن ما ورد فيها من نقد لا يخرج عمّا قاله التاريخ فيه ووصف به نفسه. فعبد الرحمن بن عوف يقول لأبي بكر حين سأله عن عمر «فيه غلظة»[٦]. وفي خطبته الأولى بعد توليه الخلافة يقول عمر «اللّهُمَّ إنّي غَلِيظٌ فَلَيِّنّي لِأَهْلِ طَاعَتِكَ... اللّهُمَّ إِنّي شَحِيحٌ فَسَخِّنِي فِي نَوائِبِ

---

(١) خطب ٣، ويستقيلها: يطلب الإعفاء منها.

(٢) الراوندي: منهاج البراعة ١/ ١٢٥.

(٣) ابن أبي الحديد ١/ ١٧١، ١٨١.

(٤) السابق.

(٥) راجع خطب ٣، فقرة ٢.

(٦) تاريخ الطبري ٣/ ٤٢٨، ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ٢/ ٢٩.

المَعْرُوفِ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي خَفْض الجَنَاحِ وَلِيْنِ الجَانِبِ للمُؤْمِنِيْنَ. . .»[١]، فما قاله عليعليه السلام في عمر لا يتعدى ما قاله عمر عن نفسه، فهو ليس سب ولا تعريض، وإنما هو نقد خالٍ من كل ما يسيء. فالغلظة والجفاف وسرعة الغضب من طبع عمر حتى قيل أنه «إذا غضب على بعض أهله لم يسكن غضبه حتى يعض يده»[٢]، إلا أن ذلك لم يكن ليثلم في متانة إيمانه وصدق عزيمته في النصح للإسلام وأهله، لذلك فبالرغم من الإختلاف في وجهات النظر بينه وبين عليعليه السلام، فلم يكن عمر ليتردد في استشارة عليعليه السلام، كما لم يبخل عليعليه السلام من إسداء المشورة والنصح بروح ملئوها التسامح والصدق، لأن الغاية بقاء الإسلام قوياً عزيزاً.

لقد حفظت لنا كتب التاريخ والأدب الكثير من المشاركات القضائية والفقهية[٣] التي ساهم عليعليه السلام في عهد عمر بن الخطاب الذي كان «يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبوالحسن»[٤]، ومن الأقوال المأثورة عن عمر في حق عليعليه السلام «لولا علي لهلك عمر»[٥].

ممّا أسلفنا من مناقشات يمكن أن نخلص إلى فكر عليعليه السلام السياسي تجاه خلافة عمر بن الخطاب من خلال نصوص (نهج البلاغة)، فإذا كان

---

(١) العقد الفريد ٤/ ٦٥، ابن أبي الحديد ١٢/ ٣١، وقد أوردها باختلاف.

(٢) الزبير بن بكار ـ الموفقيات ص٦٠٢.

(٣) راجع بعض مشاركات عليعليه السلام القضائية في عهد عمر عند: المحب الطبري ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة ٣/ ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥ ـ وسبط ابن الجوزي ـ تذكرة الخواص ص١٣٥ وما بعدها.

(٤)،(٥) ابن عبدالبر ـ الاستيعاب بهامش الإصابة ٣/ ٣٩.

علي عليه السلام قد تحدث عن غلظة عمر وخشونته فإنه في الجانب الثاني قد قدّم له من الآراء السياسية ما فيه دلالة على عمق نظرته لوقائع الأمور كما تنبئ عن إخلاصه وصدق اجتهاده في النصح، ففي النهج ثلاثة نصوص يمكننا اعتبارها في غاية الأهمية من الناحية السياسية:

الأول منها: في تبيان الصلاحية الشرعية التي تخوّل للحاكم استخدام الأموال الخاصة لتجهيز الجيوش الإسلامية، وتنطلق وجهة نظر علي عليه السلام في هذا الشأن من أحكام القرآن وسنة النبي صلى الله عليه وآله في أحكام توزيع المال ووضعه في المواضع التي خصصها له الشرع «فلا يجوز التصرف في شيء من الأموال والمنافع إلا بإذن شرعي»[1]، وعلى هذا الأساس لما استشار عمر علياً عليه السلام في تجهيز جيوش المسلمين بما كان في الكعبة من حلي ومال، قال له «إِنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وَالأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ: أَمْوَالُ المُسْلِمِينَ فَقَسَّمْهَا بَيْنَ الوَرَثَةِ فِي الفَرَائِضِ، وَالفَيءُ فَقَسَّمَهُ عَلَى مُسْتَحِقِّيهِ، وَالخُمْسُ فَوَضَعَهُ حَيْثُ وَضَعَهُ، وَالصَّدَقَاتُ فَجَعَلَهَا اللهُ حَيْثُ جَعَلَهَا، وَكَانَ حُلِيُّ الكَعْبَةِ فِيهَا يَوْمَئِذٍ، فَتَرَكَهُ اللهُ، وَلَمْ يَتْرُكْهُ نِسْيَاناً، وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ مَكَاناً، فَأَقِرَّهُ حَيْثُ أَقَرَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ»[2]، فالقضية الأساسية التي من أجلها أراد عمر التصرف في حلي الكعبة سياسية، حيث أراد تجهيز جيوش المسلمين بتلك الأموال، ولكن علياً عليه السلام اعتبرها فرعية إزاء الحكم الشرعي، ممّا يعني من وجهة نظره عدم تجويز التصرف في أي ملك من ممتلكات الدولة الإسلامية إلا في ظلال الشرع، وعلى ما نعتقد من خلال

---

(١) ابن أبي الحديد ١٩/ ١٥٨.

(٢) حكم ـ ٢٧٨.

موقف علي عليه السلام ذاك أن «الفرق بين الشريعة والسياسة من وجهة نهايتهما أن نهاية السياسة هي الطاعة للشريعة»[(١)] لذلك فقد عمل عمر بمشورة علي عليه السلام دون غيره من المسلمين الذين أشاروا عليه بالتصرف، فترك حلي الكعبة على حاله قائلاً لعلي عليه السلام «لولاك لافتضحنا»[(٢)].

أما النصان الآخران فتتمحور الإستشارة في كليهما حول القيادة لجيوش الإسلام فحين أراد عمر أن يقود جيوش المسلمين لغزو الروم[(٣)] وقتال الفرس[(٤)] استشار علياً عليه السلام في ذلك، فأشار عليه في كلتا الحالتين ألا يخرج بنفسه ويكلف من ينوب عنه من أهل الخبرة والدراية بالحرب ويبعث معه من ذوي الرأي من رجال المسلمين ممن يعتمد عليهم وعلى ما يبدو فإن عمر قد أخذ بمشورة علي عليه السلام في حرب فارس[(٥)] إلا أنه لم يأخذ برأيه في حرب الشام[(٦)].

فإذا ما اعتبرنا الإستشارة مجرد اختيار من حق المستشير قبولها أو رفضها، فإن ذلك يجعل علياً عليه السلام لا يجد أية غضاضة في نفسه حين لم يعمل عمر بمشورته، بل بقي أمينا على عهده صادقاً في نصحه طيلة خلافته.

فمن خلال وقفة تأمل في النصوص التي أثرت عن علي عليه السلام في (نهج البلاغة) إبان خلافة عمر بن الخطاب نجدها تحمل في طياتها معاني

---

(١) أفلاطون في الإسلام ص٢٠٠ بتحقيق عبد الرحمن بدوي.

(٢) حكم ـ ٢٧٨.

(٣)،(٤) راجع خطبة ١٣٤ وخطبة ١٤٦.

(٥)،(٦) بشأن موقف عمر من المشورتين راجع تاريخ الطبري ٣/ ٦٠٨، ٤/ ١٢٥.

التعاطف والتسامح المشبعين بروح إسلامية عميقة لا يشوبها زيف ولا يكدرها رياء، لأنها تعبير صادق عن عناصر الأصالة التي فاضت بها حنايا علي عليه السلام تجاه كل مخلص للإسلام، رغم معاناته وتألمه لحقه المضاع، ولكن تلك المعاناة الشخصية لم تكن لتؤثر على تصرفاته كوريث لحكمة النبي صلى الله عليه وآله وعلمه في جعل الإسلام ورفعته هي الغاية، لذلك كان تعاونه مع عمر نابع من اقتناع إيماني بأن سياسة عمر كانت تسير في الطريق السوية التي رسم الإسلام خطوطها، إلا أنه بجانب ذلك الإخلاص، فقد حزّ في نفسه أن يرى حقه ي الخلافة يؤول للمرة الثالثة ـ بعد عمر ـ لغيره، دون أدنى حق إلا المفاضلة المبنية على العصبية التي مقتها الإسلام، وفي هذا الصدد يقول «وَتَوَلَّى عُمَرُ الأَمْرَ، فَكَانَ مَرْضِيَّ السِّيرَةِ، مَيْمُونَ النَّقِيَّةِ، حَتَّى إذا احْتَضَرَ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَنْ يَعْدِلَهَا عَنِّي، لَيْسَ بِدَافِعِهَا عَنِّي، فَجَعَلَنِي سَادِسَ سِتَّةٍ، فَمَا كَانُوا لِوِلاَيَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَشَدَّ كُرَاهَةً لِوِلاَيَتِي عَلَيْهِمْ، وَكَانُوا يَسْمَعُونَ عِنْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله لِجَاجَ أَبِي بَكْرٍ، وَأَقُولُ يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنّا أَهْلَ البَيْتِ أَحَقُّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْكُمْ...»[1]. فمن خلال علاقته بالستة الذين رشحهم عمر ـ أثناء احتضاره ـ لاختيار واحد منهم لخلافته، يتحدد الإتجاه الذي انبنت عليه سياسة عمر في ذلك الإختيار فيما سمي في التاريخ الإسلامي بالشورى.

٤ ـ الشورى في فكر علي عليه السلام كما تبدو في نهج البلاغة:

لما أصيب عمر بن الخطاب سنة ثلاثة وعشرين وأحس بدنو أجله،

---

(١) ابن أبي الحديد ٦/ ٩٦.

حصر اختيار الخليفة من بعده في أحد ستة من الصحابة، هم: عثمان بن عفان الأموي، وعلي بن أبي طالب الهاشميعليه السلام، وعبدالرحمن بن عوف الزهري، وسعد بن أبي وقاص الزهري، وطلحة بن عبيد الله التيمي، والزبير بن العوام الأسدي، وقد فوّض إليهم الإتفاق فيما بينهم على أحدهم لذلك المنصب الخطير، أما سبب ترشيحه لأولئك الستة دون سواهم فلكون الرسولﷺ قد مات وهو راض عنهم. ويبدو من خلال دراستنا لتاريخ الفترة أن ذلك الإختيار من قبل عمر لم يكن وليد ساعته. فلقد أحس عمر بما يدبّر في الخفاء أثناء خلافته حين نمى إلى سمعه «أن الزبير قال: لو قد مات عمر لبايعنا علياًعليه السلام»(١) وكان قوم يقولون «لو قد مات أمير المؤمنين أقمنا فلاناً، يعنون طلحة بن عبيد الله»(٢) وجاء مثل ذلك في رواية عن المغيرة بن شعبة(٣)، وبطبيعة الحال، فلقد وقف عمر من ذلك موقف المتشدد لقطع دابر تلك النوايا في خطبته بالمدينة بعد قفوله من آخر حجة له بقوله «إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ قَائِلاً مِنْكُمْ يَقُولُ: لَوْ قَدْ مَاتَ أَمِيْرُ المُؤمِنِيْنَ بَايَعْتُ فُلاَناً، فَلاَ يَغُرَّنَّ امْرُؤٌ أَنْ يَقُولَ: أَنَّ بَيْعَةَ أَبِيْ بَكْرٍ فلتة»(٤)، فما حدث في بيعة أبي بكر من استعجال وسرعة لا يرغب عمر أن يتكرر مرة أخرى، ممّا يعني أنه قد كان يفكر جديًّا فيمن سيخلفه، من ذلك كثرة سؤاله عن الشخص المؤهل الذي ترتضيه قريش لنفسها من بعده، فقد «روي عن عبدالله بن عباس قال: طرقني عمر بن الخطاب بعد هدأة من

---

(١)،(٢) القسطلاني: ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ١٠/ ١٩.

(٣) راجع: العقد الفريد ٤/ ٢٨١.

(٤) تاريخ الطبري ٣/ ٢٨٥.

الليل، فقال: أخرج بنا نحرس نواحي المدينة، فخرج وعلى عنقه درّته حافياً حتى أتى بقيع الغرقد فاستلقى على ظهره، وجعل يضرب أخمص قدميه بيده وتأوه صعداً، فقلت له: يا أمير المؤمنين، ما أخرجك إلى هذا الأمر؟ قال: أمر الله يا ابن عباس، قال: إذا شئت أخبرتك بما في نفسك، قال: غص غوّاص، إن كنت لتقول فتحسن، قال: ذكرت هذا الأمر بعينه، وإلى من تصيّره، قال: صدقت»[١]، ثم تذاكر الرهط الستة الذين رشحهم عمر فيما بعد لاختيار الخليفة فيما بينهم، ويبدو أن عمر قد انتقد كل واحد منهم ممّا يثلم في أهليته للخلافة[٢]، ولكن ينتابنا شعور أنه كان يميل إلى جانب عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف أكثر من ميله إلى الأربعة الباقين فممّا يرون في شأن عثمان، عن حذيفة بن اليمان «أنه قال: قال لي عمر: من ترى الناس يؤمرون بعدي؟ قال: قلت سمّوا لها عثمان، قال: فسكت»[٣] حتى قيل إن أمر عثمان قد اشتهر وطارت به حداة الإبل وعمر مازال حيّاً، «روي عن حارثة بن مضروب قال: سمعت الحادي يقول: إلاّ إنّ الأَمِيْرَ بَعْدَهُ ابْنُ عَفَّانْ»[٤].

كان عمر يميل إلى عثمان، وقد شعر علي بن أبي طالب عليه السلام بذلك

---

(١)،(٢) راجع الحديث بأكمله في تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٥٨.

(٣) القاضي عبدالجبار ـ المغني ٢٠/ القسم الثاني / ٣٠ وقد جاء في أنساب الأشراف ٢/ ٢١٤ عن حارثة قال«حججت مع عمر فسمعت حادي عمر يحدو: إن الأمير بعده ابن عفان».

(٤) القاضي عبدالجبار ـ المغني ٢٠/ القسم الثاني / ٣٠ وقد جاء في أنساب الأشراف ٢/ ٢١٤ عن حارثة قال«حججت مع عمر فسمعت حادي عمر يحدو: إن الأمير بعده ابن عفان».

الميل، وأحسّ منذ الوهلة الأولى التي قبل فيها أن يكون ضمن رجال الشورى، أن الخلافة ستؤول إلى عثمان، فممّا يؤثر عنه في ذلك قوله لبني هاشم «أن أطيع فِيْكُمْ قَوْمُكُمْ فَلَنْ يُؤَمَّرُوْكُمْ أَبَداً، وَتَلَقَّاهُ العَبَّاسُ فَقَالَ لَهُ: عَدَلَتْ عَنَّا، قَالَ لَهُ: وَمَا أَعْلَمَكَ، قَالَ: قرن بي عُثْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: إن رضي ثَلاَثَةٌ رَجُلاً وَثَلاَثَةٌ رَجُلاً، فَكُونُوا مِنَ الّذِيْنَ فِيْهِمْ عَبْدُالرَّحْمَنِ بِن عَوْفٍ، فَسَعْدٌ لاَ يُخَالِفُ ابنُ عَمِّهِ عَبْدُالرَّحْمَنِ وعَبْدُالرَّحْمَنِ صِهْرُ عُثْمَانَ، لاَ يْخْتَلِفُونَ، فَلَو كَانَ الآخَرَانِ مَعِي مَا نَفَعَانِي»[1]، ولا نعتقد أن عمر حين قسّم أصحاب الشورى ذلك التقسيم كان لا يدرك أن الأمر سيؤول إلى عثمان، لدرايته بأهمية القرابة والعصبية في تشكيل المواقف عند العرب فصلة القرابة التي تربط عبدالرحمن بن عوف بسعد بن أبي وقاص وبعثمان بن عفان، تجعل علياًعليه السلام في الكفة الخاسرة، هذا على افتراض وقوف طلحة والزبير بجانبه، مع ملاحظة أن طلحة وإن كان غائباً يوم الشورى فإنه من المستبعد أن يكون في الكفة التي ترجح علياًعليه السلام بسبب معارضة هذا الأخير لبيعة أبي بكر التيمي نفس الفرع القرشي الذي ينتمي إليه طلحة، لذلك تحقق ما كان عليعليه السلام يتوقعه، وبويع لعثمان بعد أن فوّض الإختيار لعبدالرحمن بن عوف الذي أخرج نفسه من الشورى كي يصبح الإختيار في يده[2]، ولمعرفة عبدالرحمن بأسلوب عليعليه السلام ومبدئه بالإضافة إلى موقفه الحاسم من خلافة الشيخين، فإنه لم يزو الأمر عنه، إنما اشترط عليه فيما لو بويع له بالخلافة فإن عليه «عهد الله وميثاقه ليعملن بكتاب الله وسنة

(١) العقد الفريد ٤/ ٢٧٦.

(٢) السابق ٤/ ٢٧٧.

نبيه وسيرة الخليفتين من قبله»[1]، وقد رفض علي عليه السلام النقطة الثالثة من الشرط، لاعتقاده بأحقية اتباع الشيخين له لا بإتباعه سيرة الشيخين، فالنقطة تلك موضوعة في الأساس ـ على ما نعتقد ـ لعلي عليه السلام، لأن عثمان لن يعترض عليها لأنه لم يُرَ فيه منافساً للشيخين، ولم تؤثر عنه أية معارضة لخلافتهما، لذلك فقد تحققت مقولة عمر في علي عليه السلام من كراهة قريش اجتماع النبوة والخلافة في بني هاشم[2]، كما أن قريش ـ حسب تعبير عمر ـ لا تحتمل علياً عليه السلام «ولئن وليهم ليأخذنهم بمر الحق لا يجدون عنده رخصة»[3]، فالشورى بحسب تخطيط عمر لها، لم تكن رضاً بالنسبة لعلي عليه السلام كما يبدو من قوله «حَتَّى مَضَى لِسَبِيْلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعِمَ أَنِّي أَحَدُهُم، فَيَا لله وَيَا لَلشُّورَى، مَتَى اعْتَرَض فِيّ مع الأوّل مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إلى هذهِ النَّظَائرِ، وَلَكنِّي أَسْفَفْتُ إذْ أَسَفُّوا، وَطِرْتُ إذْ طَارُوا فَصَغَا رَجُلٌ مِنهُمْ لِضِغْنِهِ، وَمَالَ آخَرٌ لِصِهْرِهِ مَعَ هَنٍ وَهَنٍ»[4]. فتبرم علي عليه السلام بالشورى وعدم رضاه عنها يبدو واضحاً من خلال تعبيراته الهادرة بالغضب، لما أصاب منزلته من استصغار بقبوله الدخول ضمن تلك الشورى وذلك حين قرنه عمر بستة ليس فيهم من يتمكن من القيام مقامه أو يساويه في منزلته، مع أنه يعتقد في قرارته أنه أحق بالأمر من الخليفة الأول.

---

(١) العقد الفريد ٤/ ٢٧٩.

(٢) راجع العقد الفريد ٤/ ٢٨٠، ابن أبي الحديد ١٢/ ٩.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٥٩.

(٤) خطب ـ ٣، وأسف الرجل: إذا دخل في الأمر الدنيء وأصله من أسفّ الطائر إذا دنا من الأرض في طيرانه، والضغن: الحقد، ومع هن وهن: أي مع أمور يكنى عنها ولا يصرح بذكرها وأكثر ما يستعمل في الشر.

لقد قبل علي عليه السلام بمحض إرادته أن يدخل في الأمر بدافع المطالبة بحقه، لكن تدخل عامل القرابة في الشورى، وتشبع نفس أحدهم بالحقد والضغينة(١)، بالإضافة إلى أمور متفق عليها في الخفاء لم يكشف علي عليه السلام النقاب عنها(٢)، كل تلك العوامل أدت إلى إفلات الخلافة منه للمرة الثالثة. كما أن الشورى في حد ذاتها قد أحدثت شرخاً عميقاً في الصف الإسلامي، حين أوجدت في الساحة السياسية متنافسين على الخلافة لم يكونوا كذلك من قبل، إلا أن ترشيح عمر لهم أعطى كل فرد منهم الثقة في نفسه، وجعله ومن ورائه عشيرته، يعتقد أهليته وصلاحيته للمنصب الخطير، ممّا أحال المنافسة بينهم إلى صراع دام كلّف المسلمين

---

(١) يقول ابن أبي الحديد: إن علياً عليه السلام يعني بالحاقد «طلحة... فأما الرواية التي جاءت بأن طلحة لم يكن حاضراً يوم الشورى، فإن صحت فذو الضغن سعد بن أبي وقاص، لأن أمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس، والضغينة التي عنده على علي عليه السلام من قبل أخواله الذين قتل صناديدهم وتقلد دماءهم... ١/ ١٨٩، ١٩٠.

(٢) أعتقد أن الأمور التي لم يكشف عنها علي عليه السلام وكنى عنها بـ«هَنٍ وَهَنٍ» هي الاتفاق فيما بين عبدالرحمن وعثمان أن يرجع الأمر إليه فيما بعد كما يروي صاحب العقد الفريد ٤/ ٢٧٩«إن علياً عليه السلام قد قال لعبدالرحمن بن عوف: حبوته محاباة، ليس بأول يوم تظاهرتم فيه علينا، أما والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك» وقد نشب خلاف بين عبدالرحمن بن عوف وعثمان أدى إلى القطيعة فيما بينهما، وقد أرجع اليعقوبي ذلك الخلاف وتلك القطيعة إلى الأسلوب الذي حاول به عثمان أن يعهد بالخلافة لعبد الرحمن إذ«روي أن عثمان اعتل علة اشتدت به، فدعا حمران بن ابان، وكتب عهداً لمن بعده، وترك موضع الاسم ثم كتب بيده: عبدالرحمن بن عوف، وربطه وبعث به إلى أم حبيبة بنت أبي سفيان، فقرأه حمران في الطريق، فأتى عبدالرحمن فأخبره، فقال عبدالرحمن وغضب غضباً شديداً: استعمله علانية ويستعملني سرا»، تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٦٩.

الكثير «فلم يشتت بين المسلمين، ولا فرّق أهواءهم، ولا خالف بينهم ـ حسب قول معاوية ـ إلا الشورى التي جعلها عمر إلى ستة نفر. . . لم يكن رجل منهم إلا رجاها لنفسه ورجاها له قومه. . . ولو أن عمر استخلف عليهم كما استخلف أبوبكر ما كان في ذلك اختلاف»[١]. وبرغم الإفرازات الخطيرة التي تنبأ بها علي عليه السلام جراء الشورى إلا أنه من أجل وحدة المسلمين بايع طائعاً بعد أن قال في محضر من جماعة الشورى وحشد من المسلمين «لَقَدْ عَلِمْتُم أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي، والله لأُسَلِّمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ المُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيْهَا جَوْرٌ إِلاّ عَلَى نَفْسِي خَاصَّةً، الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهْداً فِيْمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفَةٍ وَزِبْرَجَةٍ»[٢]، وعلى أساس بيعته الطوعية تلك يمكننا تتبع فكره أثناء خلافة عثمان.

٥ ـ موقف علي عليه السلام أثناء خلافة عثمان:

يبدو أن الدسائس قد لعبت دورها لتفرّق بين عثمان وعلي عليه السلام، كما مهدت السبل لاغتيال الخليفة الثالث في ظروف يمكن معها إقصاء علي عليه السلام من المسرح السياسي، وتهيئ الجو المناسب لاستمرارية السلطة في الأمويين ـ عشيرة عثمان ـ، فلقد حاولت فئة من أصحاب المصالح تثوير عثمان على علي عليه السلام، فأفلحت إلى حد بعيد[٣] وتباين المواقف

---

(١) العقد الفريد ٤/ ١٨١.

(٢) خطب ـ ٧٣.

(٣) من ذلك إقبال عثمان على عبدالله بن عباس بقوله«مالي ولكم يا ابن عباس، ما أغراكم بي وأولعكم بتعقب أمري، أتنقمون عليّ أمر العامة؟ أتيت من وراء حقوقهم أم أمركم، فقد جعلتهم يتمنون منزلتكم، لا والله لكن الحسد والبغي وتثوير الشر وإحياء الفتن=

الفكرية في العصر الحديث من علاقة علي عليه السلام بعثمان تعكس تلك الصورة، فقد اعتبر أحد المستشرقين ما حدث بين علي عليه السلام وعثمان من مشادات كلامية بداية تشكل معارضة علي بن أبي طالب عليه السلام[(١)]، بينما اتهم دارس آخر علياً عليه السلام وبعض الصحابة ببغض عثمان والكيد له، والنقمة عليه حين اعتبر علياً عليه السلام وطلحة والزبير «على رأس الناقمين على عثمان»[(٢)]، واعتبر دارس ثالث علياً عليه السلام من الذين وقفوا من عثمان موقفاً محايداً «فلم يدافع عنه ولم يعن عليه»[(٣)]، ويرى آخر أنه «كان عليه السلام مخلصاً لعثمان مدافعاً عنه ملبياً لدعوته ماداً إليه يده ومعونته عند الحاجة»[(٤)]، وهناك أيضاً رأي خامس يعتبر علياً عليه السلام «ناقداً لسياسة عثمان وبطانته التي حجبته عن قلوب رعاياه، ناصحاً للخليفة بإقصاء تلك البطانة، وتبديل السياسة التي تزينها له وتغريه بإتباعها»[(٥)]. وإذا ما استفتينا (نهج البلاغة) لمحاكمة تلك الآراء المتضاربة فسنجد أن الرأيين

=... فقال ابن عباس: على رسلك يا أمير المؤمنين، فوالله ما عهدتك جهراً بسرك ولا مظهراً ما في نفسك، فما الذي هيجك وثوّرك؟ إنا لم يولعنا بك أمر، ولا نتعقب أمرك بشيء، أُتيتَ بالكذب وتُسوِّف عليك بالباطل... فما دعاك إلى هذا الأمر الذي كان منك؟ قال: دعاني إليه ابن عمك علي بن أبي طالب عليه السلام. فقال ابن عباس: وعسى أن يكذب مبلّغك. قال عثمان: إنه ثقة. قال ابن عباس: إنه ليس بثقة مع بلغ وأغرى» الزبير بن بكار ـ الأخبار الموفقيات ٦٠٤ و٦٠٥.

(١) راجع بلاشير ـ تاريخ الأدب العربي ١/ ٢١٧.

(٢) نبيه عاقل: خلافة بني أمية ص١٤.

(٣) عبدالكريم الخطيب: علي بن أبي طالب عليه السلام ص٢٨٧.

(٤) محمد رضا: الإمام علي بن أبي طالب ص٥١.

(٥) عباس العقاد: عبقرية علي، ص٦٣.

الأخيرين المتمثلين في نصح الخليفة والمدافعة عنه ونقد سياسته، هما اللذان ينطلق منهما فكر علي السياسي تجاه عثمان وخلافته، إذ لم يؤثر عن علي الجنوح إلى السلبية في مواقفه السياسية على اعتبار أن النصح للدين مبدأ لا يحيد عنه، وذلك ليس من باب المعارضة أو الثورة طمعاً في السلطة، إذ لو كانت السلطة غايته لقبلها بشرط عبدالرحمن بن عوف «العمل بسيرة الشيخين»[١]، حين عرضت عليه قبل المبايعة لعثمان على اعتبارها حيلة سياسية، ولكن الغاية في فكر عليعليه السلام وضع تعاليم الإسلام في مسارها الصحيح في ضوء القرآن والسنة، ففي ردّه على رسالة وردت إليه من معاوية يتهمه فيها بالتأليب على عثمان والمشاركة في قتله يقول «وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَذِرَ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثاً، فَإذا كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهِدَايَتِي لَهُ، فَرُبَّ مَلُومٍ لاَ ذَنْبَ لَهُ: (طويل) وقد يستفيدُ الظنةَ المتنصحُ»[٢].

وَمَا أَرَدْتُ إلاّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ، ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾[٣]، فاللوم الموجه لعليعليه السلام ـ كما يبدو من قوله ـ لم يكن بسبب تخليه عن عثمان أو لكراهيته له أو معارضة خلافته، ولكنه بسبب نصحه لعثمان، ومحاولة إرشاده، وفضح أساليب بطانته التي استغلت أموال المسلمين لأجل مصالحها الذاتية. فلو قبل من الأموال ما قبله غيره وتعامى

---

(١) راجع ص٢١١ وما بعدها من هذا البحث.

(٢) هو عجز لبيت صدره: وَكَمْ سُقْتُ فِي آثارِكُمْ مِنْ نَصِيحَةٍ. قائله مجهول: المبرد: الكامل ٤/ ١٢٦.

(٣) رسائل ـ ٢٨، فقرة ٧ والآية في السياق من سورة هود/ ٨٨.

عمّا أحدثه ولاة عثمان في الأمصار الإسلامية، لما وجه إليه أي اتهام، ويمثل وجهة نظره تلك قوله لأبي ذر لما وجهه عثمان إلى الربذة[1] المتضمن إشادة علي عليه السلام بثبات أبي ذر على مواقفه الرافضة لكل المغريات المادية ومهاجمته العنيفة لسياسة البذخ التي كان الأمويون يتبعونها بموافقة الخليفة، وتنبع إشادة علي عليه السلام تلك من مبدئه الفكري والتزامه الأخلاقي الذي قد يتحمل في سبيله كل التضحيات إذا ما دعت الحاجة لذلك، وكان يعيب على عثمان أمرين هما:

١ ـ الولاة وأحداثهم في الأمصار الإسلامية.

٢ ـ طريقة عثمان في التصرف في الأموال العامة.

وهما الأمران اللذان نعيهما عليه كثير من الصحابة وثوار الأمصار.

فعن مراقبة الولاة وأخذهم بالحزم والشدة، صيانة للعدل، وحفاظاً على مصالح المسلمين يقول عثمان لعلي عليه السلام: «أنشدك الله يا علي، هل تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك؟ قال: نعم، قال: فتعلم أن عمر ولاه؟ قال: نعم، قال: فَلِمَ تلومني إن وليتُ ابن أبي عامر في رحمه وقرابته؟ قال علي عليه السلام: إن عمر يطأ صماخ من ولى أن بلغه عنه حرف جلبه، ثم بلغ به أقصى العقوبة، وأنت لا تفعل، ضعفتَ، ورفقتَ على أقربائك... قال عثمان: هل تعلم أن عمر ولّى معاوية، فقد وليته، فقال علي عليه السلام: أنشدك الله، هل تعلم أن معاوية كان أخوف لعمر من يرفأ غلام عمر له؟ فقال: نعم، قال علي عليه السلام: إن معاوية يقطع الأمور دونك ويقول للناس هذا أمر

---

(١) راجع خطب ـ ١٣٠، والربذة ـ بفتح الراء والباء والذال: من قرى المدينة، راجع معجم البلدان ٣/ ٢٤.

عثمان وأنت تعلم ذلك فلا تغيّر عليه؟»[1] فتولية عثمان قرابته وتساهله معهم، وغضه عن الكثير من تصرفاتهم، جعلهم يستغلون حبه لهم بالتنمر على الطبقات المستضعفة من المسلمين، ممّا حدا بإلقاء اللوم عليه شخصياً وانتقاده، فعليعليه السلام لا يرى مجالاً للمقارنة بين سياسة عمر تجاه ولاته، وبين سياسة عثمان تجاه ولاته، وإن كان أحدهم وهو معاوية، قد ولّي الشام من قبل عمر فأقره عثمان عليها، فمراقبة عمر لولاته غاية في الحزم، بحيث بلغت في كثير من الأحيان إيقاع العقاب عليهم[2]، ومصادرة بعض ثرواتهم التي يجمعونها أثناء عملهم له[3]، وهذا ما لم يفعله عثمان مع أحد ولاته قط، وذلك ما نعاه عليعليه السلام على سياسة عثمان في إدارة الولايات بتعيين ولاة من أهله.

أما من حيث السياسة المالية، فقد تصرّف عثمان وولاته بأموال المسلمين تصرفاً لم يؤثر عن النبيصلى الله عليه وآله ولا عن الخليفتين من بعده من ذلك أنه أعطى «عبدالله بن خالد بن أسيد صلة مقدارها أربعمائة ألف، وتصدق رسول اللهصلى الله عليه وآله بمهزور ـ موضع سوق بالمدينة ـ على المسلمين، فأقطعها الحارث بن الحكم ـ أخا مروان ـ وأقطع فدك مروان وهي صدقة لرسول اللهصلى الله عليه وآله، وافتتح إفريقية وأخذ خمسه فوهبه لمروان»[4] كما اعتبر سعيد بن

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣/ ٧٦.

(٢) لمعرفة ما يوقعه عمر بن الخطاب من عقاب على المنحرفين عن الجادة من عماله راجع: ابن أبي الحديد ١٢/ ٢٦.

(٣) حول مصادرات عمر لعماله، راجع ابن أبي الحديد ١٢/ ٤٢، ٤٣.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٤/ ٢٨٤.

العاص ـ والي عثمان على العراق ـ ما أفاء الله على المسلمين من ضياع لقريش وحدهم وذلك في قوله في جمع من قرّاء الكوفة «السواد بستان قريش، فما شئنا أخذنا منه وما شئنا تركناه»(١)، لذلك لم يكن بوسع علي عليه السلام ولا غيره من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله أن يسكتوا عن هذه السياسة بعد أن زكمت الأنوف رائحتها، وانتشر التبرم منها بين عامة المسلمين، فأول من وجه اللوم لعثمان على تلك السياسة عبدالرحمن بن عوف الذي بايع له بالخلافة، فدخل عليه معاتباً بقوله «إنّما قدمتك على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر، فخالفتها وحاببت أهل بيتك، وأوطأتهم رقاب المسلمين، فقال: إن عمر كان يقطع قرابته في الله وأنا أصل قرابتي في الله، قال عبدالرحمن: لله عليّ ألا أكلمك أبداً»(٢). فإذا كان موقف عبد الرحمن بن عوف من سياسة عثمان موقفاً سلبياً اتخذ جانب السكوت والمقاطعة، فإن علياً عليه السلام لم يجد في ذلك ما يعود على الأمة بالصلاح، وعلى الخليفة بالرشاد، فاتبع أسلوباً ناقداً، ممّا أدى في كثير من الأحيان إلى المجابهات الكلامية بينه وبين الخليفة الذي لم يفلح في إسكاته بإغرائه بالمال(٣).

فنقد علي عليه السلام لسياسة عثمان عامة وسياسته المالية على وجه

---

(١) راجع تاريخ الطبري ٤/ ٣٢٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣/ ٧٠، ابن أبي الحديد ٣/ ٢١.

(٢) العقد الفريد ٤/ ٢٨٠.

(٣) راجع الزبير بن بكار: الأخبار الموفقيات ص٦١٢، فقد تحدث عمّا عرضه عثمان على علي عليه السلام من مال في سبيل إرضائه ورفض علي عليه السلام ذلك المال، وما قام به عثمان تجاه علي عليه السلام حين رفضه.

الخصوص، نابع من مبدأ إسلامي هو لبّ السياسة الإسلامية والمرتكز الذي تعتمد عليه في بناء شخصية الفرد المسلم ذي الفكر الحر، فيقول الحق بصراحة وصدق دونما رهبة ولا رغبة، ذلك هو مبدأ «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[١].

والحقيقة التي لا مراء فيها أن عثمان كان كثيراً ما يستجيب لنصح علي عليه السلام، ويستمع لنقده، ويحاول العمل بمشورته، إلا أن وقوعه تحت تأثير مروان ومن شايعه من بني أمية، هو ما يحول بينه وبين ذلك، وقد التفت العباس بن عبدالمطلب إلى ضعف شخصية عثمان وتأثير أهله عليه بقوله «ما هذا ـ يعني عثمان ـ . . . من أمره من شيء»[٢]، لذلك بدت الهوة سحيقة جداً بين وجهة نظر علي عليه السلام ووجهة نظر عثمان، بحيث يستحيل التوفيق بينهما حتى قيل أنه «لا سبيل إلى صلحهما»[٣]. فبعد أحداث الحصار ومقتل عثمان والمبايعة لعلي عليه السلام بالخلافة، يستعرض في أول خطبة له بالمدينة تاريخ الخلافة في عجالة، ثم يقف عند عثمان، ناعياً عليه تصرفه في أموال المسلمين ووضعه إياها في غير استحقاقها مشبها إياه بالغراب في قوله «سَبَقَ الرَّجُلانَ، وَقَامَ الثَّالِثُ كَالغُرَابِ هِمَّتُهُ بَطْنُهُ، يَا وَيْحَهُ لَوْ قُصّ جَنَاحَاهُ، وَقُطِعَ رَأْسَهُ لَكَانَ خَيْراً لَهُ»[٤]، وقص الجناح وقطع الرأس لا يعني التحريض على القتل ـ كما يظن ـ ولكنه يعني ـ كما نعتقد ـ

---

(١) راجع ص٣٨٧ من هذا البحث.

(٢) الأخبار الموفقيات ص٦١١، ٦١٧.

(٣) السابق.

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين ٢/ ٥١، العقد الفريد ٤/ ٦٧، وقد ورد في الخطبة الشقشقية ـ خطب ٣ ـ فقرة ٢، من النقد ما هو أشد من ذلك.

المعالجة الحكيمة لسياسة التصرف في المال، بقطع دابر القيل والقال، والنأي بالنفس عن الشبهات، ووضع الأموال في المواضع التي أرادها الله، دون تمايز في توزيعها، لأن الخليفة في مركزه ذاك لا يمثل عشيرته وقومه، وإنّما يمثل الأمة بأسرها، مما يحتم عليه أن يسمو بنفسه عن العصبية العشائرية فتتساوى الناس عنده في الحقوق والواجبات، فالقص والقطع في النص ـ كما نفهمها ـ إنما يقصد منهما أنه كان من المتوجب على عثمان النظر إلى مكانته كرأس للمسلمين لا كرأس لبني أمية، وهو ما لم يكن عثمان يدرك أبعاده من خلال تأمله في مركزه الجديد بعد أن بويع له بالخلافة فاختلطت عليه الأمور «وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيْهِ يَخْضُمُونَ مَالَ الله خَضْمَ الإِبِلِ نَبْتَةِ الرّبِيْعِ، إلى أَنْ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ»[1]، إذ يفهم من ذلك أن الذي أودى بحياة عثمان ليس الثوار الذين حصروه، لأن أولئك لم يكونوا سوى إفرازات لسياسة مدبرة لم يكن الخليفة المقتول يعي أبعادها، لأن البطانة التي أحاطت به قد حجبت عنه الحقيقة وحالت بينه وبين سماع صيحات السخط من حوله. وقد بذل علي عليه السلام كل طاقته لإيصال تلك الصيحات إلى سمع الخليفة، ولكن نفسية عثمان لم تكن مهيأة لسماع أية نصيحة، خاصة من علي عليه السلام، لما نمته إليه بطانة السوء حوله بأن علياً عليه السلام إنّما يقوم بدور الناصح حسداً ونكاية لإظهار عيوب الخليفة للناس لتثويرهم حتى يتسنى له الوصول إلى السلطة، وما تمثل به عثمان من شعر في إحدى خطبه مومئاً لعلي عليه السلام فيه دلالة على ذلك الإعتقاد الذي بلغ من عثمان حدّاً لا يمكن معه إزالته من نفسه: (طويل)

---

(١) خطب ـ ٣.

تَوَقَّدْ بِنَارٍ أَيْنَمَا كُنْتَ وَاشْتَعِلْ فَلَسْتَ تَرَى مِمَّا تُعَالِجُ شَافِيَا
تَشَطُّ فَيَقْضِي الأَمْرَ دُونَكَ أَهْلُهُ وَشِيكاً وَلا تُدْعَى إذا كُنْتَ نَائِيَا(١)

فالتمثيل بالبيتين يدل على موقف عثمان الرافض لكل نصح أو نقد أو استشارة مصدرها علي عليه السلام، أما الخلافة فلن ينالها علي عليه السلام وسوف يقضي فيها أهل الحل والعقد، دون أن يكون علي عليه السلام طرفاً فيها، ولا حتى في المشاورات التي على أساسها يبايع للخليفة.

إلاّ أن التصلب من ناحية عثمان كان يقابله اللين والرفض من جانب علي عليه السلام الذي لم يمتنع من الوقوف بجانب الخليفة أثناء محنته العصيبة حين حصره الثوار، فقد تحمل السفارة بينه وبينهم، ينقل مطالبهم والتفاوض عنهم في محاولة منه لمنع انتشار الفتنة، من ذلك قوله لعثمان «إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي، وَقَدْ استسفروني بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ، مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلَهُ، وَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ لاَ تَعْرِفَهُ. . . فَلاَ تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ، بَعْدَ جَلاَلِ السِّنِّ وَتَقَضِّي العُمُرِ. . . (فقال عثمان مستجيباً لسفارته) كَلِّمِ النَّاسَ أَنْ يُؤَجِّلُونِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ فِي مَظَالِمِهِمْ»(٢)، إلاّ أن

---

(١) الزبير بن بكار: الأخبار الموفقيات ص٦٠٣، وقد ذكر البيتين ضمن خطبة لعثمان مشحونة بالسخط والغضب على منتقدي سياسته المالية. «وكأنه يومي فيهما إلى علي عليه السلام» بحسب رواية الزبير بن بكار، ثم أن ما دار من جدل بين عثمان وبين عبدالله بن عباس حول فحوى الخطبة بعد فراغ عثمان منها ورجوعه إلى بيته يرجح أن معاني الخطبة كانت موجهة إلى الهاشميين عامة وإلى علي عليه السلام على وجه الخصوص، راجع ذلك الجدل الذي بلغ حدّ النزاع ـ الزبير بن بكار ـ الأخبار الموفقيات ص٦٠٤ وما بعدها.

(٢) خطب ـ ١٦٥، وجاء مثله في تاريخ الطبري ٤/ ٣٣٧، العقد الفريد ٤/ ٣٠٨.

البطانة التي التفت حول عثمان قد حالت بينه وبين الإستماع إلى شكاوى الناس وتظلماتهم، بل تمادت بعض الأيدي الخفية ـ في دسها على الخليفة ـ أن تزّور كتاباً إلى عامله على مصر ينقض كتاب الخليفة في عزل ذلك الوالي استجابة لأهالي مصر، ودبرت من المكر ما يمكن معه أن يقع الكتاب في أيدي أولئك الثوار القافلين إلى ديارهم بعد أن حصلوا على مطالبهم، وذلك بقصد إرباك الخليفة والإيقاع به لتشتيت أمر المسلمين وتفتيت وحدتهم حتى يفلت زمام السلطة من أيديهم، مع أن الضامن لما في كتاب الخليفة الأصلي من شروط هو علي بن أبي طالب عليه السلام بشهادة بعض الصحابة، فلمّا واجه علي عليه السلام عثمان بالكتاب المزّور عليه والمختوم أنكر أن يكون قد كتبه، وقد صدّقه علي عليه السلام ومن معه وعرفوا من الخط أن كاتبه مروان هو الذي زوّره على الخليفة، فطالبوا عثمان بتسليمه إليهم لاستجوابه، وكان عنده في الدار، ولكن عثمان أبى عليهم ذلك وأصرّ على عدم تسليمه إليهم، فغضب علي عليه السلام ومن معه من الصحابة[1] فتركوه وشأنه مع الثوار فشددوا

---

(١) توسّط علي عليه السلام بين عثمان وبين الثوار من أهالي مصر وذلك بطلب من عثمان نفسه على أن يأخذ علي عليه السلام منه عهداً غليظا وميثاقا مؤكداً بأن يستجيب لكل طلب عادل ومعقول يطلبونه وبالفعل فقد أفلحت وساطة علي عليه السلام وتولد عنها كتاب فحواه «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عبدالله عثمان بن عفان لجميع من نقم عليه من أهل البصرة والكوفة وأهل مصر، إن لكم عليّ أن أعمل فيكم بكتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وأن المحروم يُعطَى والخائف يُؤمن والمنفي يُرد، وأن المال يُرد على أهل الحقوق وأن يُعزل عبدالله بن سعد بن أبي السرح عن أهل مصر ويُولَّى عليهم من يرضون، قال أهل مصر: نريد أن تولي علينا محمد بن أبي بكر، فقال عثمان: لكم ذلك، ثم اثبتوا في الكتاب «وإن علي بن أبي طالب عليه السلام ضمن بالوفاء لهم بما في هذا الكتاب، شهد على ذلك الزبير بن العوام وطلحة بن عبيدالله، وسعد بن أبي وقاص»، =

حصارهم على داره، وبعض أفراد قريش يساعدونهم في الخفاء على ذلك[١]، إلاّ أن غضب علي عليه السلام وسخطه من تصرف عثمان بشأن مروان لم يمنعه من الإمتثال لأمر عثمان وطاعته بصفته ولي الأمر المفروضة طاعته، فقد كان عثمان يظن وهو محصور أن من الأسباب التي ألّبت الناس عليه وجود علي عليه السلام تحت أعينهم بالمدينة، خاصة وأن الكثير من الثوار المحاصرين لدار الخليفة قد كانوا يهتفون بإسم علي عليه السلام للخلافة[٢]، ممّا أدى بعثمان إلى الحيرة بتصرفه إزاء علي عليه السلام، فتارة يطلب منه مبارحة المدينة وتارة أخرى يدعوه للقدوم حين تدعو الحاجة لطلب المعونة في الذبّ عنه، حتى أن علياً عليه السلام قد ضاق ذرعاً من تصرفات الخليفة تلك، فقال لعبدالله بن عباس متبرما لما قدم إليه بأمر الخليفة بمبارحة المدينة «مَا يُرِيْدُ عُثْمَانُ إلاّ أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلاً نَاضِحاً بالغَرْبِ، أُقْبِلُ وَأُدْبِرُ، بَعَثَ إِلَيّ أَنْ أَخْرُجَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيّ أَنْ أَقْدِمَ، ثُمَّ هُوَ الآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ، والله لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيْتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً»[٣]، لقد حاول علي عليه السلام جاهداً أن

= ابن اعثم الكوفي ـ الفتوح ٢/ ٤١٠. أما عن طلب عثمان وساطة علي عليه السلام بينه وبين الثوار، وكيف استطاع مروان بن الحكم أن يثني عثمان عمّا وعد الناس به من وعود فراجع تاريخ الطبري ٤/ ٣٥٨ وما بعدها وراجع أيضاً تاريخ الطبري ٤/ ١٨٠ حول طلب عثمان من علي عليه السلام مساعدته في ردّ الناس عنه بعد أن ضيّقوا عليه الحصار، ثم عدوله عمّا اشترطه على نفسه بعد أن فك الثوار الحصار عن داره.

(١) راجع موقف طلحة بن عبيدالله من عثمان وهو محصور وما أمر به الثوار ـ الكامل في التاريخ ٣/ ٨٧.

(٢) راجع مقدمة الخطبة ـ ١٦٥.

(٣) خطب ـ ٢١٥. وورد مثل ذلك القول عند ابن عبد ربه في العقد الفريد ٤/ ٣١٠ =

يدفع عن عثمان ولكن تيّار العنف كان أقوى من أن يُصدّ.

فنقد علي عليه السلام لعثمان ولسياسته، وارتياب عثمان في نوايا علي عليه السلام الصادقة تجاهه لم يمنع علياً عليه السلام من الدفاع عن عثمان، ولكن السياسة الملتوية أبت إلاّ أن تلصق دم عثمان بعلي عليه السلام وذلك بعد البيعة له بالخلافة مباشرة، لأن مصلحة من أذكوا نار الفتنة من بني أمية وغيرهم من القريشيين تقتضي ذلك، فممّا يؤثر عن مروان بن الحكم قوله «ما كان في القوم أحد أدفع عن صاحبنا من صاحبكم ـ يعني علياً عليه السلام عن عثمان ـ قال: فقلت له: فمالكم تسبونه على المنابر؟ قال: لا يستقيم الأمر إلاّ بذلك»[١]. فمناهضة علي عليه السلام ورفض نقده ومحاولة إخماد صوته أثناء خلافة عثمان كان الهدف منه ـ على ما نعتقد ـ محاولة إقصائه عن الحياة السياسية، وعدم تمكينه من الخلافة، ولكن الظروف السياسية أبت إلاّ أن يكون رجل الساعة المنقذ بالنسبة للفئات المغلوبة على أمرها من عامة المسلمين ممّا يتعارض مع ما كانت الأرستقراطية القرشية تبتغيه، وذلك بزعامة بني أمية عشيرة الخليفة المقتول، فعملت جاهدة على إفشال مخطط علي عليه السلام

= بزيادة منها «فخرج علي عليه السلام إلى ينبع فكتب إليه عثمان حين اشتد الأمر: أما بعد فقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين، وطمع فيّ من كان يضعف عن نفسه» ـ (طويل والبيت لامرئ القيس):

فإنكَ لم يفخر عليكَ كفاخرٍ ضعيف ولم يغلبْكَ مثلُ مغلب

فأقبل إليّ على أي أمر أحببت، وكن لي أم عَليَّ، صديقاً كنت أم عدواً (طويل ـ والبيت للمزق العبدي):

فَإِنْ كُنْتُ مَأكُولاً فَكُنْ خَيْراً آكِلٍ وإلاّ فَأَدْرِكْنِي وَلَمَّا أُمَزَّقِ

(١) ابن عساكر ـ ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ دمشق ٣/ ٩٩.

السياسي بتوجيه الإتهامات الباطلة إليه، وهذا ما يمكن تتبعه من دراستنا لفكر عليعليه السلام السياسي في تعامله مع المناهضين لحكومته والناقمين على سياسته.

المرحلة الثانية
سياسة عليعليه السلام أثناء خلافته

ـ البيعة لعليعليه السلام بالخلافة:

لم يكن بوسع أحد من صحابة رسول اللهصلى الله عليه وآله أن يتحمل عبء الخلافة وتركاتها الثقيلة، بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان، لأن الحياة في المدينة قد آلت إلى الفوضى والإضطراب بحيث لم يعرف أي فرد موضع قدمه، كما أن اختلاط الأمور جعل الكثير لا يميّز بين الصح والخطأ، فلقد ملك الثوار على الناس كل مسلك، وفقدت الخلافة قدسيتها وهيبتها، وظلت المدينة في الأيام الخمسة التي تلت مقتل الخليفة بدون إمام[١]، واستتر رؤوس الصحابة في بيوتهم هروباً من الإتهام بالتحريض والفتنة، وظل جثمان الخليفة المقتول ثلاثة أيام دون أن يوارى الثرى خوفاً من سخط الثوار، ولما سمع بعض الثائرين عليه بأنه سيدفن «قعدوا له في الطريق بالحجارة... فلما خرج به على الناس، رجموا سريره، وهموا بطرحه»[٢]، فكل تلك الأحداث تعني أن وضع الأمة الإسلامية قد تعقد

---

(١) يروي الطبري في تاريخه أن المدينة بقيت «بعد قتل عثمان (ر) خمسة أيام وأميرها الغافقي بن حرب يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه» ٤/ ٤٣٢.

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٤١٢.

للغاية بحيث لم يعد بوسع أحد أن يتصدى لتلك الفتنة، وإعادة الأمور إلى نصابها، بالقود للخليفة المقتول، وتأمين أهل المدينة ممّا اعتراهم من خوف وهلع، فلابد لذلك الظرف الدقيق الحساس من رجل حازم، يستطيع أن يقود الأمة إلى برّ الأمان، فوقع اختيارهم على علي عليه السلام.

لقد تردد علي عليه السلام كثيراً قبل أن يستجيب لنداءات الناس الملحّة من كل صوب[(١)] واضعاً نصب عينيه أمرين:

*** الأول: مسؤولية إخماد الفتنة والقود من قتلة الخليفة وتأمين الناس.**

*** الثاني: العدل في العطاء.**

ويحتاج الأمر الأول إلى الحكمة والتؤدة وسعة الصدر لاستلال ما في نفوس العامة من غيظ، مع الصبر في معالجة القضايا حتى تنكشف الجوانب المبهمة، لمعاقبة الجناة والعودة بالحياة إلى طبيعتها. ولكن رفض طرفي النزاع ـ الجاني وأهل المجني عليه ـ لتلك السياسة المرحلية المتأنية سيؤدي إلى وضع الأمة على طريق غامض مظلم، لتعارض أهداف طرفي النزاع، ممّا يعني أن قتل عثمان لم يكن إلاّ بداية خطيرة كامنة في النفوس.

أمّا الأمر الثاني في تحقيق العدالة، فهو وإن كان مطمع الثوار والفئات المستضعفة الناقمة على سياسة عثمان، إلاّ أنه يتعارض تماما وطموحات القرشيين من أمثال طلحة والزبير[(٢)] الذين أذكوا نار الفتنة ضد عثمان لما

---

(١) راجع تاريخ الطبري ٤/ ٤٢٧، ٤٢٨.

(٢) من أجل معرفة دور الزبير وطلحة في فتنة عثمان راجع قولهما في ص٢٦٨ وما بعدها من هذا البحث.

وجدوا أن بني أمية قد استأثروا دونهم بالمال، لأن سعيهم في الخفاء، وإن كان في الظاهر من أجل الحرص على مصالح الناس، فقد كان من أجل مصالحهم الذاتية، ثم أن قبولهم بالحق سيعرضهم للعقاب لأنهم، وإن لم يباشروا قتل الخليفة، فإنهم قد هيأوا الظروف المناسبة لقتله بتأليب الثوار عليه. لذلك حاول علي عليه السلام رفض الخلافة مبيّناً وجهة نظره في مستقبل الأمة بعد أن عايش ما انتاب المجتمع الإسلامي من هزات عنيفة عقيب مقتل عثمان، ممّا أدى إلى تهرّب جميع الصحابة من المسؤولية التي عبّر عنها ـ في إحدى خطبه ـ بالغموض، لتعدد وجوهها، وتشكل ألوانها، ممّا جعل العقول لا تستوعبها لما اكتنفها من تشويش، حجب الحقيقة خلف غيوم كثيفة داكنة[١].

وفي مثل هذا الجو المضطرب، لابدّ من منقذ يخرج الأمة من مأزقها الخطير، ولابدّ أن يكون ذلك الإنسان مرضيا عند جميع عامة المسلمين، لا عند فئة معيّنة من الأرستقراطية القرشية. لذلك ـ فمن الأرجح ـ أنَّ تَرَدُّدَ عَليٍّ في قبول الخلافة، هو خشيته من عدم اتفاقه في الرأي من حيث سياسة توزيع المال مع تلك الفئة، التي لن ترضى بسياسة تتعارض ومصالحها. وحتى يحتاط لنفسه من الدخول مع تلك الفئة القرشية في مواجهة، فيما لو اضطر لقبول الخلافة، امتثالاً لإلحاح عامة المسلمين، كان قوله «وَاعْلَمُوا أَنّي إن أَجَبْتُكُم رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ، وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ القَائِلِ وَعَتْبِ العَاتِبِ»[٢]، ولقد قبلت تلك الفئة شرطه ذاك على دخن، بينما قبلته عامة الناس بابتهاج وسرور، ولكن علياً عليه السلام لم ير بدّاً من

---

(١)،(٢) راجع خطب ـ ٩١.

التريث والنظر في واقع الأمة نظرة المتأمل، المتفكر في عواقب قبوله لقيادتها[١]، إلاّ أن إلحاح الجماهير ـ كما يبدو ـ كان أقوى من تريثه وتردده، فكانت البيعة له بالخلافة رغم امتناعه كما وصف ذلك في قوله «وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا»[٢]. فالبيعة لعليعليه السلام انعقدت له باقتناع تام وطواعية وسرور «وكان أول من صعد المنبر طلحة فبايعه. . . ثم بايعه الزبير وسعد وأصحاب النبي جميعاً»[٣]. ويستنتج من وصف عليعليه السلام لبيعته أن أكثر الناس استبشار بها، الطبقات المستضعفة من المسلمين الذين وجدوا فيه الضامن لحقوقهم من غير محاباة لقريب أو تمييز بين مسلم وآخر بالأسبقية والصحبة، كما كانت استجابة الأمصار الإسلامية لبيعته سريعة فيما عدا الشام[٤] التي كانت تحت ولاية معاوية،

---

(١) جاء عند ابن اعثم الكوفي في الفتوح ٢/ ٤٣٢ أنه لما رضي جمهور الناس بالبيعة لعليعليه السلام بالخلافة قال لهم «أخبروني عن قولكم هذا رضينا به طائعين غير كارهين، أحق واجب هذا من الله عليكم أم رأي رأيتموه من عند أنفسكم؟ قالوا: بل هو واجب أوجبه الله عزّ وجل علينا، فقال عليعليه السلام فانصرفوا يومكم هذا إلى غد. . . فلما كان من الغد أقبل الناس إلى المسجد، وجاء علي بن أبي طالبعليه السلام فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن الأمر أمركم فاختاروا لأنفسكم من أحببتم، وأنا سامع مطيع لكم. . . فصاح الناس من كل ناحية وقالوا: نحن على ما كنا عليه بالأمس» فلقد أعطى عليعليه السلام لنفسه فرصة للتفكر كما أعطى للناس فرصة لمراجعة أنفسهم قبل الإقدام على بيعته كما نلاحظ من الرواية.

(٢) خطب ـ ٢٢٦ ـ المطلع.

(٣) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ١/ ٤٧، وراجع أيضاً ابن اعثم الكوفي: الفتوح ٢/ ٤٣١، العقد الفريد ٤/ ٣١٠.

(٤) راجع موضوع: تفريق عليعليه السلام عماله على الأمصار بتاريخ الطبري ٤/ ٤٤٢، =

ممّا يدحض القول بأن اكتفائه ببيعة الثوار وأهل المدينة دون سائر الأمصار هو السبب في عدم الإعتراف بخلافته[(١)]. فالقضية التي كانت تشغل علياً عليه السلام وتقلقه، ليست بيعة الأمصار ـ كما نرى ـ ولكن كيفية التعامل مع رجال السياسة من الصحابة وغيرهم من علية القوم، الذين يرون لأنفسهم أحقية التفضل ماديا ومعنويا على غيرهم من أفراد الأمة. خاصة أن سياسته التي أعلن عنها، في خطبته الأولى، بعد المبايعة له لا تتناسب وطموحات تلك الفئة فقوله «إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ كِتَاباً هَادِياً، بَيَّنَ فِيْهِ الخَيْرَ وَالشَّرْ، فَخُذُوا الخَيْرَ تَهْتَدُوا، وَاصْدِفُوا عَنْ سِمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا. . . الفَرَائِضَ الفَرَائِضَ أَدُّوْهَا إلى الله تُؤَدِّ بِكُمْ إِلَى الجَنَّةِ، إِنَّ اللهَ حَرَّمَ حَرَاماً غَيْرَ مَجْهُولٍ، وَأَحَلَّ حَلالاً غَيْرَ مَدْخُولٍ»[(٢)]. يعني إلغاء الإمتيازات والمفاضلة، والإلتزام التام بالعمل بما جاء في الكتاب والسنة والمساواة التامة بين جميع المسلمين في الحقوق والواجبات، لأن الإسلام مسؤولية التزامية، تعني اندماج طبقات المجتمع، في كل متكامل يزيل التمايز ويعطي لكل حق حقه، وذلك بالطبع لا يرضي أصحاب الطموحات المادية من القرشيين الذين يريدون خليفة يحافظ على امتيازاتهم ومكاسبهم أو على

= وراجع أيضاً ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢/ ٤٣٥ وما بعدها.

(١) يقول شلبي أبو زيد في كتابه: الخلفاء الراشدون ص١٥٦«لم ينتظر علي عليه السلام حتى بايعه أهل الأمصار ظنا منه أن بيعة أهل المدينة والثوار كافية في جعل أهل الأمصار يعترفون بخلافته» وقد تناسى المؤلف أن الخلفاء الراشدين الثلاثة قد انعقدت لهم البيعة وصحت خلافتهم ببيعة أهل المدينة، كما أنه تجاهل في تحليله للأحداث أن جميع الأمصار الإسلامية قد أرسلت ببيعتها للخليفة في المدينة فيما عدا الشام.

(٢) خطب ـ ١٦٨، فقرة ١.

الأقل يترك لهم في أيديهم ما جنته من مغانم واستأثرت به من مال على حساب المستضعفين باسم الصحبة لرسول اللهﷺ والقرابة منه، ولكن تصميم عليعليه السلام على تجريد أولئك ممّا غنموه من أموال وضياع من غير استحقاق[١]، والمحاولة من حدّ أطماعهم جعلهم يتألبون عليه ويحرضون الناس على محاربته لعرقلة سياسته تلك، وقد استخدموا شتى الوسائل للوصول إلى غايتهم من ذلك:

ـ مطالبتهم إيّاه بالإقتصاص من قتلة عثمان في حينه، أي بعد توليه الخلافة مباشرة، لإدراكهم أن ذلك لا يمكن تحقيقه إلاّ بعد أن تهدأ النفوس وتنجلي الحقيقة[٢].

ـ التغاضي عمّا حققه الأمويون من مكاسب على حساب المسلمين أثناء خلافة عثمان وهو ما لا يتسق والسياسة الدينية التي ترى الحق حقاً، والباطل باطلاً، ممّا جعله يرفض مطالبهم في إقراره لهم ما جنوه من أموال في خلافة عثمان مقابل إقرارهم بالولاء له[٣]، ومحاولة طرف ثان جنى مكاسب مادية على حساب الإقرار له بالخلافة كطلب طلحة والزبير الولاية[٤]، وطلب معاوية إقراره على ولاية الشام[٥] وهو ما يتعارض في اختيار ولاته ممّن يرتضيه لدينه، لذلك لَمَّا يَئِسَ أولئك من حصولهم على

---

(١) راجع مقولته في ردّ قطائع عثمان ـ خطبة ١٥.

(٢) راجع مقولته في ذلك خطب ١٦٩.

(٣) راجع ص٢٧٣ من هذا البحث.

(٤) راجع ص٢٦٨ من هذا البحث.

(٥) راجع ص٢٨٦ من هذا البحث.

ما يبتغون لجأوا إلى الحل المسلح علهم يدركون من علي عليه السلام ما لم يدركوه منه بالإحتيال«فَنَكَثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَى، وَقَسَطَ آخَرُونَ»[١].

وقد تتبعتْ نصوص (نهج البلاغة) الفئات الثلاث التي ذكرها علي عليه السلام في خطبته السابقة وهي: الناكثون والقاسطون والمارقون.

أولا: الناكثون ـ أي أصحاب الجمل:

النكث بفتح الفاء ـ لغة: هو المخالفة بعد إظهار الإتفاق و«نكث العهد والحبل فانتكث، أي نقضه فانتقض»[٢] والناكثون الذين يعنيهم علي عليه السلام «هم أهل وقعة الجمل لأنهم كانوا بايعوه ثم نقضوا بيعته وقاتلوه»[٣]، إذ لم يقبل طلحة والزبير سياسة علي عليه السلام التي لا تتفق ومصالحهما التي من أجلها ثوّرا الناس على عثمان، ومهدوا لقتله، لاستئثار أسرته بالثرواتْ وولاية الأمصار، ثم أن علياً عليه السلام لم يحقق لهما ما كان يطمحان إليه من ولاية فاستنجدا «في محاربته وتأليب الناس عليه بعائشة»[٤] بحجة استبداده بالحكم دون مشورة المسلمين، وإيوائه قتله عثمان، فكان التظاهر عليه بقصد خلعه وردّ الأمر شورى ليختار المسلمون خليفتهم[٥]، والثأر للخليفة المقتول، ولكن أبعاد القضية ـ كما يراها علي عليه السلام ـ ليست حسب ما يدعيان، لأن الهوى، وعدم التبصر في العواقب هو الذي جعلها ألعوبة في

---

(١) خطب ٣.

(٢) صحاح الجوهري ١/ ٢٩٥.

(٣) ابن منظور: لسان العرب المحيط ٣/ ٧١٤.

(٤) أحمد أمين: يوم الإسلام ص٥٧.

(٥) راجع بشأن ذلك ما ورد عند ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١/ ٦٨.

يد الشيطان، «فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ وَزَيَّنَ لَهُمُ الخَطَلَ»[١]. وتسيير أمور الناس والحكم فيهم ـ في فكر علي عليه السلام ـ لا يكون وليد تحقيق الرغبات الجامحة والميول الذاتية، لأن أية سياسة تنبني على رغبات فئة معينة همّها المحافظة على امتيازاتها ومصالحها، تؤدي بالمجتمع إلى التناقضات الطبقية التي ينجرّ عنها في نهاية الأمر تصدع في بنيته الأساسية. فتغليف الفتنة بشعارات برّاقة لا يغيّر من كونها فتنة القصد منها تفتيت وحدة المجتمع بضرب فئاته بعضها ببعض. فموقف الناكثين ـ من وجهة نظر علي عليه السلام ـ ليس موقفاً اجتهاديا لأنهم قد سبق أن طلبوا منه الإقتصاص من قتلة عثمان، فوافقهم على ذلك، وطلب المهلة حتى يستتب الأمن، وتعود الأمور إلى مجاريها، فينجلي الغموض، وتتبدد غيوم الفتنة كيلا يُؤْخَذَ البَرِيءُ بِالمُذْنِبِ[٢]، إلا أنهم ـ فيما يبدو ـ لم يكونوا جادين فيما طلبوه، لأن القصد الحقيقي من سخطهم كما يقول علي عليه السلام طلب «هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَدًا لِمَنْ أَفَاءَها الله عَلَيْهِ»[٣].

فطلحة والزبير حين بايعا علياً عليه السلام، كانا يظنان أنه سيستجيب لرغباتهما في الإمرة، ولكنه رفض شرطهما عارضاً عليهما أن يكونا شريكاه «فِي القُوَّةِ وَالإِسْتِقَامَةِ و(عوناه) عَلى العَجْزَ وَالأَوَدِ»[٤]، لأن المشاركة في الإمامة غير مقبولة لا عقلاً ولا شرعاً إذ «لا يجوز الإشتراك فيها»[٥]. كما أن دوافعهما شخصية، فحين لم يحقق رغبتهما أظهرا التأليب عليه، بحجة

---

(١) خطب ٧.

(٢) راجع في ذلك الخطبة ـ ١٦٩.

(٣) خطب ١٧٠ ـ فقرة ٢.

(٤) حكم ٢٠٠.

(٥) الأحكام السلطانية ص٩.

أنهما بايعا مكرهين[١]، وإن كانت الوقائع التاريخية تشكك في ذلك، فالزبير ـ من وجهة نظر عليعليه السلام ـ قد أضمر في بيعته غير ما كان يظهر. وهو ادعاء متهافت إذا ما وضع في صور مناظرة، لأن الحجة تكون عليه لا له، وفي ذلك يقول عليعليه السلام «يَزْعَمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ، وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ، فَقَدْ أَقَرَّ بِالبَيْعَةِ، وَادَّعَى الوَلِيجَةَ فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بَأَمْرٍ، وَإلاَّ فَلْيَدْخُلْ فِيْمَا خَرَجَ مِنْهُ»[٢] لأن من واجب المدعي إثبات صحة إدعائه، وإلاّ فإن ما يدعيه باطل، فبيعة الزبير لعليعليه السلام ملزمة وصحيحة، ومادام مقرّا بها فمن المحتم عليه أن يقبل الحق، وإذا ما احتمى كل من الزبير وطلحة بالسلطة التي يسعيان في الحصول عليها، فإنهما سينأيان بنفسيهما ـ كما يبدو من قول عليعليه السلام ـ من العقاب لمشاركتهما في دم عثمان[٣]، ولما لم يتمكنا من ذلك، اختلقا شبهة تلبس على الناس ما اقترفاه في حق الخليفة المقتول تُبرّئهما من دمه، فالسياسة في مثل هذه الظروف تقتضي التمويه، فلم يكن بدّاً من الحرب، بعد أن حاول عليعليه السلام أن يثنيهما عن ذلك بالتفاهم وتحكيم العقل بقوله «وَإِنّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ الله عَلَيْهِمْ، وَعِلْمِهِ فِيْهِمْ...»[٤] ولكنهما أبيا إلاّ الحرب.

فوقعة الجمل لم تنشب بسبب عدم انعقاد البيعة لعليعليه السلام كما يزعم القائل «لا تكون البيعة إلاّ باتفاق أهل الحل والعقد»[٥] لأن ما أثر عن

---

(١) راجع ما قالاه بشأن ذلك في تاريخ الطبري ٤/ ٤٢٦، وأيضاً في كامل ابن الأثير ٣/ ٩٨.

(٢) خطب ٨.

(٣) راجع خطب ٢٢، فقرة ٢.

(٤) السابق.

(٥) فتحي عبدالكريم: الدولة والسيادة ص٢٥٧.

علي عليه السلام من أقوال تؤكد بيعة طلحة والزبير له بالخلافة[١]، ويعضد تلك الأقوال ما ذكرته المصادر التاريخية بشأن بيعتهما[٢] بالإضافة إلى ذلك فإن صاحب المقولة، لم يعرّف أصحاب الحل والعقد، وكم عددهم آنذاك والكيفية التي يتم على أساسها اجتماعهم، فطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص من أصحاب الشورى الذين بقوا على قيد الحياة، وقد بايعوا علياً عليه السلام، كما بايعه كافة الأنصار سوى عدد قليل منهم[٣]، ثم أن جميع الأمصار الإسلامية تبع المدينة، فالبيعة لعلي عليه السلام قد انعقدت بمبايعة من سمّوا بأهل الشورى، وأهل المدينة، ومن حضر من ثوّار الأمصار، ولم يحدث حدثاً يبطل خلافته، ولكن إصرار أصحاب الجمل على نكث بيعته، هو العامل الذي أدّى إلى إضرام نار الحرب، بقتلهم المسلمين صبراً، واستيلائهم على بيت مال البصرة. يلخص علي عليه السلام ما أحدثوه بالبصرة قبل قدومه إليها قائلاً «قَدِمُوا عَلَى عُمَّالِي، وَخِزّانِ بيْتِ مَالِ المُسْلِمِيْنَ الذَّي فِي يَدِيْ، وَعَلَى أَهْلِ مَصْرِ كُلُّهُمْ فِيْ طَاعَتِي، وَعَلَى بَيْعَتِي فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ، وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ، وَوَثَبُوا عَلَى شِيْعَتِي، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْراً، وَطَائِفَةٌ عَضُّوا عَلَى أَسْيَافَهُمّ فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا الله صَادِقِيْنَ»[٤].

فبرغم تراكم الأحداث والغموض المحيط بالجو السياسي، فلقد كانت

---

(١) راجع: رسائل ـ ٦، ٩، ٥٤،

(٢) راجع بشأن بيعة الزبير وطلحة لعلي عليه السلام: ابن أعثم الكوفي: الفتوح ١/ ٤٣١، ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة ١/ ٤٧، ابن الأثير: الكامل ٣/ ٩٨.

(٣) راجع في ذلك الشأن قول ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/ ٩٨.

(٤) خطب ٢١٣.

رؤية علي عليه السلام واضحة فكان يسير بخطوات ثابتة ومدروسة، يقول في هذا الصدد «إِنَّ مَعِيْ لَبَصِيْرَتِي، مَا لَبَّسَتُ عَلَى نَفْسِي، وَلاَ لُبِّسَ عَلَيَّ»[1]. يقابله في الإتجاه الثاني التخبط حيث يقول الزبير قبل بدء المعركة «مَا كُنْتُ فِي مَوْطِنٍ مُنْذُ عَقِلْتُ إلاّ وَأَنا أَعْرِفُ فِيْهِ أَمْرِي، غَيْرَ مَوْطِنِيْ هَذَا»[2] ممّا يرجح عدم ثبات أصحاب الجمل على قاعدة صلبة في خروجهم على علي عليه السلام، إذ لم يكونوا صادقين حتى مع بعضهم، فقد أثر عن المقربين منهم القول «والله لو ظفرنا لافتتنا، وما خلّى الزبير بين طلحة والأمر، ولا خلّى طلحة بين الزبير والأمر»[3] فهم حسب قول علي عليه السلام قد «أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إلى أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ فَوَقَصُوا دُوْنَهُ»[4].

فعلي لم يكن راغباً في الحرب، ولم يبدأها، وتكاد معظم المصادر التاريخية تتفق في ذلك مع ما أثر عن علي من أقوال، إلاّ أن الطرف المقابل هو الذي كان يصرّ عليها لذلك فإن التعويل على الروايات الضعيفة التي تدعي أن إشعال تلك الحرب قد بدأ «من ذوي الأغراض الخبيثة من جيش علي عليه السلام، وهم أولئك الذين اشتركوا في حصار عثمان... فخافوا على أنفسهم إذا ما تم الصلح»[5] لا يثبت حجة، لأن الذين مهدّوا لقتل عثمان هم المطالبون بالثأر له «فلم يكن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أشد

(١) خطب ١٠.
(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٥٠٢، ٤٥٥.
(٣) السابق.
(٤) خطب ٢١٤.
(٥) محمد الطيب النجار: علي بن أبي طالب نظرة عصرية ص٩٠.

على عثمان من طلحة»[١] كما كانت السيدة عائشة من أكبر المحرضين على قتله وهي القائلة قبل خروجها من المدينة إلى مكة أثناء حصر عثمان «اقتلوا نعثلاً فقد كفر»[٢].

فوقعة الجمل كحدث مريع، أحدث صدعاً عميقاً في الصف الإسلامي، لم يكن مقبولاً بحقائقه الأليمة، لأن في ذلك مسّا بقدر الصحابة، وحطّاً من مكانة أم المؤمنين عائشة، ومن أجل تبرئة أولئك، عوّل على أسطورة (ابن سبأ أو ابن السوداء)[٣] التي تفرد الطبري بروايتها،

---

(١) العقد الفريد ٤/ ٢٩٩، وقد أثر عنه لمّا أصيب في وقعة الجمل بالسهم القاتل«اللهم خذ لعثمان مني حتى ترضى» الكامل في التاريخ ٣/ ١٢٤.

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٤٥٩.

(٣) ابن السوداء، أو عبدالله بن سبأ: «تنسب إليه الطائفة السبئية، وهم الغلاة من الرافضة، أصله من أهل اليمن، وكان يهوديا من أمة سوداء، فأظهر الإسلام، طاف ببلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة، ويلقى بينهم الشر، وكان قد بدأ أولا بالحجاز ثم بالبصرة، ثم بالكوفة، ثم دخل دمشق في أيام عثمان بن عفان، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم وأظهر مقالته بينهم ابن بدران» ـ تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧/ ٤٣١ ـ وقد وردت الإشارات عن عبدالله بن سبا وانسياحه في البلاد أيام عثمان وعلي عليه السلام في تاريخ الطبري (ت ٣١٠ هـ) ٤/ ٢٨٣، ٣٢٦، ٣٣١، ٣٤٠، ٣٤٩، ٣٩٨، ٤٩٣، ٥٠٥. وتاريخ الطبري هو مصدر الأسطورة ـ كما نعتقد ـ وقد أخذها عنه الكثير من المؤرخين الذين أتوا من بعده، فسند الرواية التي عوّل ابن عساكر (ت ٥٧١) في شأن عبدالله بن سبأ هو«روى سيف بن عمر بن أبي حارثة، وأبي عثمان قالا. . . » ابن بدران ـ تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧/ ٤٣٢، وهو سند رواية الطبري عن سيف، أما ابن الأثير (ت ٦٣٠) فقد ذكر أعمال عبدالله بن سبأ والسبأية في خلافة عثمان ومن ثم في خلافة علي عليه السلام ـ الكامل في تاريخ ٣/ ٥٧، ٧٢، ٧٧، ١٢٠، دون إسناد، لكنه ذكر في مقدمة تاريخه ١/ ٥ بانه في تأليفه قد =

....

= ابتدأ «بالتاريخ الكبير الذي صنفه الإمام أبو جعفر الطبري. . . (فأخذ) ما فيه من تراجمة لم (يخل) بترجمة واحدة منها»، ويعرض ابن خلدون (ت ٧٣٢) = «الرواية عبدالله بن سبأ في موضوع «أمر الجمل» ـ تاريخ ابن خلدون ٢/ ٦٠٦، ثم يقول في نهاية الرواية ٢/ ٦٢٢ «هذا أمر الجمل ملخص من كتاب أبي جعفر الطبري اعتمدنا للوثوق بسلامته»، وإذا ما رجعنا إلى الطبري في مقدمة تاريخه ١/ ٨ فإنه يقول «فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين ممّا يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا، وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا» فهو يبريء ساحته ويلقي بالمسؤولية التامة على من أخذ عنهم من الرواة وإذا ما عدنا إلى سند رواية عبدالله ابن سبأ كما أوردها الطبري، فسنجد أن مصدرها هو سيف بن عمر الضبي، الذي قال عنه الرازي (ت ٣٢٧) في كتاب الجرح والتعديل ٤/ ٢٧٨«ضعيف الحديث. . متروك الحديث، يشبه حديثه حديث الواقدي»، وقال قيه ابن حجر (ت ٨٥٢) في كتاب تهذيب التهذيب ٤/ ٤٩٥ «سيف بن عمر البرجمي، ويقال السعدي، ويقال الضبعي، ويقال الأسدي الكوفي، صاحب كتاب الردة والفتوح. . . ضعيف الحديث، ليس خير فيه. . . قال أبو داود: ليس بشيء. وقال النسائي والدار قطني: ضعيف. . . وقال ابن حبّان: يروي الموضوعات عن الإثبات. . . وقالوا: أنه كان يضع الحديث. . . وقال الحاكم: اتهم بالزندقة وهو في الرواية ساقط. . . مات زمن الرشيد»، فسند الرواية متهافت، إضافة إلى ذلك، فإن كتب الطبقات والتاريخ المعوّل عليها والسابقة في تأليفها لتاريخ الطبري قد سكتت تماما عن ابن سبأ وأعماله الشنيعة تجاه الإسلام، فابن سعد (ت ٢٣٠) في الطبقات الكبرى ٣/ ١٩ وما بعدها و٥٣ وما بعدها في سيرتي علي عليه السلام وعثمان؛ لم يأت على ذكر ابن سبأ وأسطورته أثناء ذكره لحوادث عصر كلا الخليفتين، كما لم يذكر ذلك أيضاً البلاذري (ت ٢٧٩) في أنساب الأشراف ٢/ ٣٠٥ وما بعدها، فالأسطورة كما نعتقد من نسج خيال سيف بن عمر ومن شايعه من مرتزقة الرواة ونتفق مع طه حسين بأن =

اعتماداً على سند ضعيف مصدره سيف بن عمر[١]، ولكن ذلك لا يغيّر من الواقع، لأن الذين خرجوا إلى علي عليه السلام من أهل الكوفة لم يلبوا دعوته إلاّ بعد جدل طويل وأخذ ورد، بمعنى أنهم كانوا في بداية أمرهم مترددين، وقد سجل التاريخ جانباً من ذلك الجدل[٢]، وعليه فإن من خرج منهم إلى علي عليه السلام خرج مقتنعاً، ولو كانت هناك أيد خفية خائفة لسمع صوتها وبان تأثيرها في ذلك الجدل الذي اشترك فيه كل من عمّار بن ياسر والحسن بن علي عليه السلام، وهاشم بن عتبة[٣]، وصعصعة بن صوحان[٤]، وأبي موسى الأشعري[٥] ومالك الأشتر[٦]،

= «أكبر الظن. . . أن خصوم الشيعة أيام الأمويين والعباسيين قد بالغوا في أمر عبدالله بن سبأ هذا، ليشككوا في بعض ما نسب من الأحداث إلى عثمان وولاته من ناحية، وليشنعوا على علي عليه السلام من ناحية أخرى، فيردوا بعض أمور الشيعة إلى يهودي أسلم كيداً للمسلمين»، الفتنة الكبرى ـ عثمان ١/ ١٣٤.

(١) راجع الهامش السابق.

(٢) بشأن ذلك الجدل راجع تاريخ الطبري ٤/ ٤٨١.

(٣) هاشم بن عتبة ـ صحابي من أصحاب علي عليه السلام استشهد في صفين ـ راجع ترجمته في أسد الغابة ٥/ ٣٧٧.

(٤) صعصعة بن صوحان العبدي، كان مسلما على عهد الرسول صلى الله عليه وآله ولكنه لم يره، وهو من سادات عبدالقيس ـ كان من أصحاب علي عليه السلام توفي في أيان معاوية ـ أسد الغابة ٣/ ٢١.

(٥) أبو موسى الأشعري ـ عبدالله بن قيس ـ صحابي أستعمله الرسول صلى الله عليه وآله على زبيد وعدن واستعمله عمر على البصرة وأقره عثمان عليها ثم عزله، وكان أحد الحكمين (ت ٤٢ هـ) أسد الغابة ٣/ ٣٦.

(٦) مالك الأشتر ـ أحد الأشراف الأبطال المذكورين، كاد يهزم معاوية في صفين لولا رفع المصاحف. لما رجع من صفين جهزه علي عليه السلام واليا على مصر، فمات في الطريق=

ومحمد بن أبي بكر[١]. ثم أن جيش علي عليه السلام ـ كما تحدثنا المصادر التاريخية ـ قد كان تحت قيادته المباشرة، ملتزما بتعليماته، من ذلك أنه قال للأشتر وقد كان على ميمنته يوم الجمل «احمل فحمل في أصحابه، فكشف من بازائه، ثم قال لهاشم بن عتبة. . . ـ وكان على المسيرة ـ احمل فحمل في المضرية، فكشف من بازائه، فقال علي عليه السلام لأصحابه، كيف رأيتم ميسرتي وميمنتي»[٢]، وفي ذلك ما يدل على انضباط قيادته، وائتمار جنده بإمرته، ممّا لا يدع مجالاً للدس بينهم، خاصة وأن سياسته الحربية تعتمد الدفاع في أية حرب يجبر على خوضها، بالرغم من اعتقاده بسلامة موقفه لأنه يرى أن بدء العدو بالحرب حجة عليه لكونه البادئ، لذلك كان يوصي جنده في كل موطن قتال بقوله «لاَ تُقَاتِلُوا القَوْمَ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ الله عَلَى حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إيّاهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ»[٣]، فالقتال ـ من وجهة نظر علي عليه السلام ـ هو الملاذ الأخير الذي يلجأ إليه مضطراً بعد أن تنفذ كل جهوده السلمية، لأنه يرى نفسه هادئا ومصلحاً لا متسلطاً يسعى إلى الحكم بأية وسيلة[٤].

فحرب الجمل قد خاضها علي عليه السلام مضطراً ليس بفعل المندسين في

= مسموما سنة اثنتين وثلاثين ـ راجع سير أعلام النبلاء، ٤/ ٣٤.

(١) محمد بن أبي بكر الصديق ـ من أصحاب علي عليه السلام ـ ولاّه مصر، لما رجع معاوية من صفين جهّز له جيشاً، فانهزم محمد وقتل وأحرق جثمانه سنة ثمان وثلاثين. راجع ترجمته عند العماد الحنبلي ـ شذرات الذهب ١/ ٤٨.

(٢) العقد الفريد ـ ٤/ ٣٢٥.

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ١٠، رسائل ـ ١٤.

(٤) راجع قول علي عليه السلام عن موقفه من الحرب ـ خطب ٥٤.

جيشه، ولكن إرادة طلحة والزبير ومعهما السيدة عائشة، هي التي حتمت عليه خوضها، خاصة أن أقطاب حرب الجمل الثلاثة قد أدركوا أن المساومة مع علي عليه السلام على حساب المباديء لن تجدي، فلجأوا إلى الحل المسلح لإقصائه حتى يتمكنوا من تحاشي تهمة تأليبهم على عثمان فيما لو استقر الوضع، وكي يصلوا إلى تحقيق هدفهم المادي المشترك المتمثل في تمكنهم من السلطة فيما لو انتصروا عليه.

فطلحة بن عبيدالله التيمي، قد كان من أكبر المؤلبين على عثمان، فهو الذي أمر الثوّار بتشديد الحصار عليه، ومنع الماء عنه. كما استولى على مفاتيح بيت المال أثناء الحصر(١)، وقد حاول علي عليه السلام ثنيه عن كل ذلك، ولكنه ظل مصرّا على موقفه(٢) ولما قتل الخليفة ووجد إقبال الناس على علي عليه السلام بايعه معتقداً أنه سينال الحظوة عنده بحكم صحبته فطلب منه أن يولّيه البصرة(٣)، فأبى عليه ذلك.

والزبير بن العوام كان من أكبر المعاضدين لعلي عليه السلام، والمساندين لحقه في المطالبة بالخلافة منذ اليوم الذي تمت فيه البيعة لأبي بكر(٤) حتى الوقت الذي انعقدت فيه لجنة الشورى، فلقد كان من ضمن الستة الذين رشّحهم عمر للخلافة، فتنازل عن حقه في تلك اللجنة لعلي(٥)، إلاّ أنه

---

(١)،(٢) راجع العقد الفريد ٤/ ٢٩٩ وتاريخ الطبري ٤/ ٣٧٩، ٤٠٧، والإمامة والسياسة ١/ ٣٨.

(٣) راجع قول طلحة بشأن ذلك ـ تاريخ الطبري ٤/ ٤٠٥.

(٤) راجع موقفه من بيعة أبي بكر في: الإمامة والسياسة ١/ ١١.

(٥) راجع ذلك عند ـ ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ٤/ ٢٧٨.

غيّر موقفه من عليعليه السلام بعد أن تمت البيعة له بعد مقتل عثمان، ويعزى ذلك التغيير ـ فيما نعتقد ـ إلى عدة عوامل، في مقدمتها العامل المادي، إذ لم يكن الزبير راضيا عن نظام المساواة لتعارضه مع مصلحته الذاتية[١]، كما أن علياًعليه السلام لم يحقق له رغبته في توليته الكوفة[٢]، إذ يبدو من حواره مع عليعليه السلام حول طلب الولاية، أن العامل المادي هو الذي أسخطه على عثمان، إذ يقول هو وطلحة لعليعليه السلام بعد أن بايعاه «قد رأيت ما كنّا فيه من الجفوة في ولاية عثمان كلها، وعلمت رأي عثمان في بني أمية، وقد ولاّك الله الخلافة من بعده، فولنا بعض أعمالك»[٣]، ولما امتنع عليعليه السلام عن الإستجابة لما طلباه، قال الزبير متذمراً «هذا جزاؤنا من عليعليه السلام، أقمنا له في أمر عثمان حتى أثبتنا عليه الذنب، وسببنا له القتل، وهو جالس في بيته، وكُفِيَ الأمر، فلما نال ما أراد جعل دوننا غيرنا»[٤]، أضف إلى ذلك تأثير ولده عبدالله ـ ابن أسماء شقيقة السيدة عائشة ـ عليه، فلقد كان الطموح إلى الإمارة يملأ حنايا الإبن، بحيث لم يترك لأبيه مجالاً للتفكير في عاقبة مجابهة عليعليه السلام ونكث بيعته، ولإدراك عليعليه السلام مدى تأثير الإبن على أبيه روي عنه قوله «مَازَالَ الزُّبَيْرُ رَجُلاً مِنَّا أَهْلَ البَيْتِ حَتَّى نَشَأَ ابْنُهُ المَشْؤومُ عبدالله»[٥]. ولقد بذل عليعليه السلام كل ما في وسعه لصد الزبير عمّا عزم عليه متبعاً أسلوب الملاينة المقرون بعنصر القرابة، ولكن كل

---

(١) راجع ص١٥٦ من هذا البحث.

(٢) راجع أنساب الأشراف ٢/ ٢١٨.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١/ ٢٣١.

(٤) ابن قتيبة ـ الإمامة والسياسة ١/ ٥١.

(٥) حكم ـ ٤٦١.

ذلك لم يجد نفعاً، من ذلك أنه قبل بدء القتال قال لابن عباس حين أرسله للتفاهم مع أصحاب الجمل «لاَ تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ، عَاقِصاً قَرْنَهُ، يَرْكَبُ الصَّعْبَ، وَيَقُولُ: هُوَ الذَّلُولُ، وَلَكِنْ إلْقَ الزُّبَيْرَ، فَإِنّه لَيِّنُ العَرِيكَةِ، فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ: عَرَفْتَنِي بِالحِجَازِ، وَأَنْكَرْتَنِي بِالعِرَاقِ، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدا»[١] لكن الزبير لم يثب إلى رشده ويعتزل القتال، إلاّ بعد أن نشب القتال.

السيدة عائشة: بدأ صوتها يعلو في خلافة عثمان متخذا جانب المعارضة فكانت «أشد الناس تأليباً عليه وتحريضاً»[٢]، والسبب المادي ـ كما يتهيأ لنا ـ هو الدافع وراء ذلك، لأن عثمان قد صيّرها «أسوة غيرها من نساء رسول الله صلى الله عليه وآله»[٣] بعد أن كان عطاؤها في عهد عمر يزيد عليهن بألفي درهم[٤]، فدخلت معه في منافرات، وحرضت علي قتله[٥]، وكانت تتمنى لو حلّ في مكانه، طلحة بن عبيدالله التيمي[٦]، على اعتبار أنها تيمية أيضاً، فلما قتل الخليفة ووصلها خبر مبايعة الناس لعلي عليه السلام، أدركت أن طموحاتها في إرجاع الخلافة تيمية أصبح بعيد المنال[٧]، هذا بالإضافة إلى

---

(١) خطب ـ ٣١.

(٢) ابن الأثير ـ أسد الغابة ـ ٣/ ٥٩١.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٧٥، وورد مثله عند ابن أعثم الكوفي في الفتوح ٢/ ٤١٩.

(٤) راجع سير أعلام النبلاء، ٢/ ١٨٧.

(٥) راجع ص٢٦٤ من هذا البحث.

(٦) راجع مقالتها بشأن طلحة ـ تاريخ الطبري ٤/ ٤٠٧.

(٧) راجع مقالتها بشأن مبايعة علي عليه السلام ـ تاريخ الطبري ٤/ ٣٥٩، الإمامة والسياسة ١/ ٥٢، الكامل في التاريخ ٣/ ١٠٦.

ما كانت تحمله في نفسها على علي عليه السلام، فكتب السيرة تحدثنا بأنها لم تكن تحب حتى ذكر اسمه[١].

لقد تهيأت لأصحاب الجمل كل الظروف التي تتيح لهم محاربة علي عليه السلام، حين توفرت لهم الطاعة، والسخاء، والشجاعة، وقد أجمل علي عليه السلام تلك المزايا في قوله «إني مُنِيتُ بِأَرْبَعَةٍ: أَدْهى النَّاسِ، وَأَسْخَاهُم طَلْحَةَ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ الزُّبِيْرَ، وَأَطْوَعَ النَّاسِ فِي النَّاسِ عَائِشَةَ»[٢] والرابع يعلى بن منية[٣] الذي وصفه علي عليه السلام بأسرع الناس إلى إشعال الفتن.

فقضية حرب الجمل قد كانت محسومة بالنسبة لعلي عليه السلام، فهو لا يجد مبرراً في الخروج على السلطة ما دامت تسير بأمور المسلمين بما يتماشى مع القرآن والسنة وتحقيق العدل للجميع فالتصدي للفتنة وإخمادها واجب ديني في حالة عدم جدوى النصح، وهو ما يمكن استخلاصه ممّا أثر عنه عليه السلام من أقوال، فبصدد كشفه أساليب التضليل التي حاول بها أصحاب الجمل تمويه الحقيقة يقول «أَنَا فَقَأْتُ عين الفتنة، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غيْرِي، بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا وَاشْتَدّ كَلَبُهَا»[٤]، والإجتراء الذي يقصده علي عليه السلام هو تبصُّره بملابسات الفتنة ومعالجتها بمقتضى الشرع.

(١) راجع سيرة ابن هشام ٤/ ٢٩٨، وتاريخ الطبري ٣/ ١٨٩.

(٢) ابن عبدالبر ـ الاستيعاب ـ بهامش الإصابة ٢/ ٢٢١.

(٣) يعلى بن منية ـ وهو اسم أمه واسم أبيه أمية، استعمله عمر على بعض اليمن وكان على الجند باليمن حين بلغه قتل عثمان، فأقبل لنصره، ولكنه لم يدركه، فقدم مكة بعد انقضاء الحج، وأخذ يحرض على الثأر من قتلة عثمان، راجع ترجمته في أسد الغابة ٥/ ٥٢٣.

(٤) خطب ـ ٩٢.

فإن تكن واقعة الجمل قد أحدثت انقساما في الصف الإسلامي، إلاّ أن نتائجها لم تخل من ايجابيات، لم تكن لتعرف لولا تلك المعركة، لأن علياً عليه السلام قد عامل أصحاب الجمل بعد هزيمتهم معاملة تكاد تختلف تماما عمّا عهده المسلمون في معاملتهم للمهزومين، حيث يجعلون من أراضيهم وأموالهم غنيمة للمحاربين، ومن نسائهم وأطفالهم وأسراهم سبايا يحق بيعهم واسترقاقهم، ولكن علياً عليه السلام في حرب الجمل لم يأخذ بذلك الأسلوب، ممّا جعل أصحابه يستغربون تصرفه وينكرونه عليه بقولهم «تحل لنا دماءهم، ولا تحل لنا نساءهم؟ فقال: كذلك السيرة في أهل القبلة، فخاصموه، قال: فهاتوا سهامكم واقرعوا على عائشة... ففرقوا وقالوا نستغفر الله»[1]، فحرب الجمل ونتائجها من وجهة نظر علي عليه السلام، مسألة فقهية، وضحت واستبانت حين باشرها بنفسه «إذ لم يكن المسلمون قبلها يعرفون كيفية قتال أهل القبلة»[2]، فقد أثر عن الإمام الشافعي قوله «لولا علي لما عرف شيء من أحكام أهل البغي»[3]، إلا أنها وإن حسمت في صالح علي عليه السلام فإنها لم تكن سوى تمهيد لحرب تزعمها من أسماهم علي عليه السلام القاسطين.

ثانيا: القاسطون ـ أي بنو أمية:

والقاسطون في اللغة هم الجائرون الباغون، وقد جاء في القرآن الكريم «وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً»[4]، «لذلك قيل: قسط

---

(١) المتقي الهندي ـ كنز العمال ـ ١١/ ٣٣٦.

(٢)،(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩/ ٣٣١.

(٤) الجن / ٧٢.

الرجل: إذا جار وأقسط: إذا عدل»[1]. وفي التفريق بين معنى المفردتين يقول ابن منظور «أقسط يقسط، فهو مقسط إذا عدل، وقسط يقسط، فهو قاسط إذا جار، فكأن الهمزة في اقسط للسلب كما يقال شكا إليه وأشكاه»[2]. ومفردة قاسط التي تعني الجور كمصطلح سياسي، قد أطلقت على الأمويين ومن شايعهم لخروجهم على علي عليه السلام ومحاربتهم له في صفين، فقد أثر عنه قوله «عَهَدَ إليّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله أَنْ أُقَاتِلَ النَاكِثِيْنَ وَالقَاسِطِيْنَ وَالمَارِقِيْنَ»[3]، وذلك يكشف لنا عن موقف علي عليه السلام المتشدد تجاه الأمويين عامة وتجاه معاوية بن أبي سفيان على وجه الخصوص لم يكن بدافع العصبية أو حب التسلط، وإنما هو موقف نابع من اعتقاد ديني بحت، وإن حاولت السياسة إلباسه ثوب العصبية، ذلك الوتر الذي حاول الأمويون العزف عليه للوصول إلى مآربهم فكان البدء مطالبتهم الخليفة بالإقتصاص من قتلة عثمان الأموي، فجانب العصبية قد يكون له قيمته العالية في القضية إذا ما نظرنا إليه من الزاوية الأموية، فقد احتموا بذلك كشعار من أجل معارضتهم لخلافة علي عليه السلام حين وضعوه كشرط لإقرارهم بخلافته وذلك منذ الأيام الأولى التي انعقد فيها الأمر له، فقد تخلف عن البيعة بعض الأمويين، فبعث إليهم ليكلمهم في ذلك، فتكلم الوليد بن عتبة فقال «يا أبا الحسن، إنك وترتنا بأجمعنا، أما أنا فقتلت أبي صبراً يوم مكة،

---

(١) الراغب الأصفهاني ـ المفردات في غريب القرآن ٦٠٨.

(٢) لسان العرب المحيط ٣/ ٨٦.

(٣) ابن الأثير ـ أسد الغابة ٤/ ١١٥، لسان العرب المحيط ٣/ ٨٦، ويمكن مراجعة تخريجات أخرى للحديث في: فضائل الخمسة من الصحاح الستة لمرتضى الحسيني الفيزو أبادي ٢/ ٣٩٦ وما بعدها.

وخذلت أخي عثمان فلم تنصره، وأما سعيد بن العاص فقتلت أباه يوم بدر. . . وأما مروان فسحقت أباه عند عثمان لما ردّه إلى المدينة وضمّه إليه، ونحن نبايعك على أن تقتل من قتل صاحبنا. . . وعلى أنك تسوّغنا ما يكون منا وعلى أنا إنْ خفناك على أنفسنا لحقنا بالشام عند ابن عمنا معاوية»[١] فالشروط التي وضعها أولئك الرهط من الأمويين لم تكن في مجملها ذات طابع إسلامي، وإنما هي مبنية على العصبية الجاهلية والمادة، وبعيدة عن مفهوم السياسة الدينية[٢]، لذلك فهي تتعارض وفكر علي عليه السلام، وهذا ما أدى إلى رفضها جملة وتفصيلاً ويكمن ذلك في ردّه عليهم بقوله «أمّا مَا ذَكَرْتُمْ أنّي وَتَرْتَكُمْ فَإنْ الحَقَّ وَتَرَكُمْ، وَأمّا وَضْعِي عَنْكُمْ مَا يَكُونُ مِنْكُمْ فَلَيْسَ لِي أنْ أَضعَ عَنْكُمْ حَقّاً لله تَعَالَى قَدْ وَجَبَ عَلَيْكُمْ، وَأَمّا قَتْلِي قَتَلَةَ عُثْمَانَ فَلْو لَزِمَنِي اليَوْمَ قَتْلَهُمْ لَقَتَلْتَهُمْ أَمْس، وَأَمّا خَوْفُكُمْ إِيَّايَ فَإنِّي أُؤمِنُكُمْ ممَّا تَخَافُونَ»[٣]. فالجدل الذي دار بين علي عليه السلام وبين أولئك الأمويين يكشف تباين المواقف الفكرية عند كلا الطرفين، إذ بينما ينطلق فكر علي عليه السلام من قاعدة دينية أساسها الحق والمساواة، ينطلق فكر أولئك من قاعدة أساسها المصلحة الذاتية المتكونة من عناصر مادية وأخرى عصبية.

لقد حاول الأمويون كبح جماح رغباتهم في فترة صدر الإسلام، وإن لم يخفوا بعض تطلعاتهم التي كانت تصطرع في نفوسهم، فعثمان بن عفان

---

(١) ابن أعثم الكوفي ـ الفتوح ٢/ ٤٤١.

(٢) راجع ص٢٠٧ وما بعدها من هذا البحث فقد فصلنا القول في واجب الحاكم في فكر علي عليه السلام.

(٣) ابن أعثم الكوفي، السابق ٢/ ٤٤١.

وهو من الصحابة السابقين الأولين الذين دخلوا الإسلام طواعية وعن اقتناع، قد جاء إلى الرسول ﷺ هو وجبير بن مطعم[١] لما قسم ﷺ سهم ذوي القربى بين بني هاشم وبني عبدالمطلب، فقال له «يا رسول الله، هؤلاء بنو هاشم لا ينكر فضلهم لمكانك الذي وضعك الله به منهم، أرأيت بني عبدالمطلب؟ أعطيتهم ومنعتنا، وإنّما نحن وهم منك بمنزلة واحدة»[٢]، ونحن إذ نورد هذا الشاهد لا نشك في إخلاص عثمان للإسلام وبذله الأموال الطائلة في سبيل إعلاء كلمته ولكن مبادرته الرسول ﷺ بذلك القول تعني التماس السؤدد بالإندماج فيمن خصهم الرسول بالخمس من ذوي قرباه.

لقد فقد الأمويون كل امتيازاتهم التي كانوا يتمتعون بها في الجاهلية بعد دخولهم الإسلام كرها فعدوا من الطلقاء، بعد أن سَنّ عليهم الرسول ﷺ يوم الفتح[٣]، ولابد أن يكون ذلك قد ترك أثراً عميقاً في

---

(١) جبير بن مطعم من حلماء العرب وساداتهم، يؤخذ عنه النسب لقريش وللعرب قاطبة، كان له عند رسول الله ﷺ يد، وهو أنه كان أجار رسول الله ﷺ لما قدم من الطائف حين دعا ثقيفاً إلى الإسلام، وكان أحد الذين قاموا بنقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم وبني عبدالمطلب، وكان إسلامه بعد الحديبية، وقبل الفتح، توفي سنة سبع وخمسين من الهجرة ـ ابن الأثير: أسد الغابة ١/ ٣٢٣.

(٢) أبو عبيد: الأموال ٣٤١.

(٣) سموا بالطلقاء نسبة إلى قول رسول الله يوم الفتح في السنة الثامنة«يا معشر قريش ويا أهل مكة، ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، ثم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء»، سيرة ابن هشام ٤/ ٥٥، تاريخ الطبري ٣/ ٦١ ـ المسعودي ـ مروج الذهب ٢/ ٢٩٧.

نفوسهم، وإن حاولوا إضماره والإندماج في المجتمع الجديد، كما حاول الرسول ﷺ بدوره استلال النقمة من نفوسهم بتألفهم بالمال، فأعطى أبا سفيان من غنائم حنين «مائة بعير وأربعين أوقية، كما أعطى سائر المؤلفة قلوبهم وأعطى ابنيهِ يزيد ومعاوية»[١]، كما استعمل ﷺ منهم في بعض أعماله من ارتضى دينه ووثوقه من حسن إسلامه مثل إبان بن سعيد بن العاص[٢] الذي ولاه ﷺ البحرين بعد أن «عزل عنها العلاء ابن الحضرمي»[٣]، وبعث خالد بن سعيد بن العاص[٤] عاملاً على صدقات اليمن ولم يزل على عمله حتى توفي رسول الله ﷺ، واستعان بعثمان بن عفان على كتابة الوحي[٥]، وبخالد بن سعيد ومعاوية بن أبي سفيان في

---

(١) ابن عبدالبر ـ الاستيعاب بهامش الإصابة ٢/ ١٩٠.

(٢) إبان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، أسلم قبل خيبر وشهدها مع رسول الله ﷺ وكان شديداً على رسول الله ﷺ والمسلمين قبل إسلامه، أسلم بعد أن عرف حقيقة النبي ﷺ من راهب بالشام واستعمله الرسول ﷺ على البحرين، وكان أحد من تخلف عن بيعة أبي بكر لينظر ما يصنع بنو هاشم، فلما بايعوا بايع، اختلف في سنة وفاته، فقيل سنة اثنتي عشر وقيل سنة أربع عشرة بعد الهجرة. . . وقيل توفي سنة تسع وعشرين. أسد الغابة ١/ ٤٦.

(٣) أسد الغابة ١/ ٤٧.

(٤) خالد بن سعيد بن العاص، من السابقين الأولين في الإسلام لم يتقدم عليه في ذلك سوى علي عليه السلام وأبو بكر وزيد بن حارثة وسعد بن أبي وقاص، هاجر إلى الحبشة فيمن هاجر إليها من المسلمين، شهد مع النبي ﷺ بعض غزواته، وبعثه عاملا على صدقات اليمن، ولم يزل بها حتى توفي ﷺ فرجع وأخواه عمرو وإبان عن أعمالهم، وتأخروا عن بيعة أبي بكر حتى بايعت بنو هاشم، استشهد في وقعة اجنادين سنة ثلاث عشرة من الهجرة ـ أسد الغابة ٢/ ٩٨.

(٥) راجع الجهشياري ـ الوزراء والكتاب ص١٢.

كتابة حوائجه[١]، كل ذلك ـ على ما نعتقده ـ في سبيل تأليف نفوس الأمويين، وإدماجهم في الحياة الجديدة، فخبت طموحاتهم بعض الشيء وإن كانت لتظهر من الشاذين منهم على شكل تصرفات عدائية بقصد الإستهزاء بالإسلام، والإساءة إلى الرسول بسبب عدم مقدرتهم على التفاعل مع القيم الإنسانية التي حطت من مكانتهم الإستعلائية لتفضل عليهم من كانوا عبيداً وسوقة من الفقراء، وذوي الأنساب الخاملة. فعبد الله بن أبي السرح أخو عثمان في الرضاعة، قد ارتد مشركاً وكان من كتبة الوحي «وصار إلى قريش بمكة فقال لهم: إني كنت أصرف محمداً حيث أريد، كان يملي علي عزيز حكيم، فأقول: أو عليم حكيم؟ فيقول: نعم، كل صواب»[٢]، وقد أهدر الرسول صلى الله عليه وآله دمه يوم الفتح لولا إلحاح عثمان بالشفاعة فيه[٣]. ومن ذلك أيضاً طرده صلى الله عليه وآله الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس من المدينة، بسبب محاولته إيذاء الرسول صلى الله عليه وآله بالإستهزاء عليه، وتصنته على بيوته ونقل أخباره «إلى كبار أصحابه من مشركي قريش وسائر الكفار والمنافقين»[٤].

فمن الملاحظ أن الرسول صلى الله عليه وآله قد سار في الأمويين بسيرة الترغيب تارة باستئلافهم وتقريب المؤمنين منهم، وبإغداق الأموال على الذين لم يثبت الإسلام في نفوسهم، والترهيب تارة أخرى بالقتل والنفي، ممّا جعل أولئك الذين دخلوا في الإسلام كرها أن يتقبلوا الحياة الجديدة على مضض

---

(١) السابق.

(٢)،(٣) أسد الغابة ٣/ ٢٥٩.

(٤) الاستيعاب بهامش الإصابة ١/ ٣١٧، وراجع ترجمته هناك أيضاً.

مع بذلهم كل ما في وسعهم من طاعة ومشاركة تخفف عن كواهلهم وطأة الإستصغار الذي لحق بهم جراء دخولهم الإسلام مرغمين(١)، وحاولوا جاهدين كبح جماح طموحاتهم وإضمارها في أعماقهم، لذلك فما أن انتقل الرسولﷺ إلى الرفيق الأعلى وانعقدت البيعة لأبي بكر الصديق حتى ارتفع صوت أبي سفيان بن حرب قائلاً لعليعليه السلام «مال هذا الأمر في أقل حيّ من قريش، والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجالاً»(٢)، إذ تبدو العبارة وكأنها صادرة عن حمية جاهلية أو قل عصبية عشائرية يقصد بها صيانة حقوق الهاشميين، ولكن الحقيقة من وجهة نظر عليعليه السلام ليست كذلك، لأنها وإن كانت عصبية في ظاهرها، فما هي سوى فتنة أراد بها رأس الأمويين شق عصا المسلمين، لذلك بادره عليعليه السلام بالقول «يَا أَبَا سُفْيَانَ طَالَمَا عَادَيْتَ الإِسْلاَمَ وَأَهْلَهُ فَلَمْ تَضُرْهُ بِذَلِكَ شَيْئاً، إنّا وَجَدْنَا أَبَا بَكْرٍ لَهَا أَهلاً»(٣)، فعليعليه السلام أدرى بما يضمره الأمويون للإسلام، فلو كانت مقولة أبي سفيان تلك تعبيراً عن عصبية خالصة، لما سكت عندما خلى له أبو بكر ما كان في يده من الصدقات التي كلفه رسول اللهﷺ بجمعها قبل وفاته وذلك امتثالاً لنصيحة عمر بأن «هذا قد قدم وهو فاعل شراً، وقد كان النبيﷺ يستألفه على الإسلام، فدع ما بيده من الصدقة، ففعل، فرضي أبو سفيان وبايعه»(٤). مع ملاحظة التباين بين موقف عليعليه السلام، وبين موقف أبي بكر من تصرف أبي سفيان، فكلتا الشخصيتين تدركان تزعزع

---

(١) لمعرفة شعور الأمويين بعد دخولهم الإسلام راجع قول هند وأبي سفيان لابنهما معاوية حين استعمله عمر على مكة ـ العقد الفريد ٤/ ٣٦٥.

(٢)،(٣) تاريخ الطبري ٣/ ٢٠٩.

(٤) العقد الفريد ٤/ ٢٥٧.

إيمان رأس الأمويين مع التباين في أسلوبهما في معالجة ذلك، فقد استخدم أبو بكر العامل المادي لقطع دابر الفتنة، ولكنه بذلك قوّى العزم وأنعش الأمل في نفوس الأمويين في تعويض ما افتقدوه من سلطان في ظل الإسلام، وذلك بإتباعهم ذات الأسلوب ولكن بطرق مختلفة قد تكون أكثر إحكاما ودهاء، أما علي عليه السلام فقد حسم الأمر بفضح أساليب أبي سفيان وكشف نواياه الحقيقية تجاه الإسلام، في محاولة منه لوأد أية طموحات غير مشروعة تعود بالضرر على الإسلام، خاصة وأن الإسلام لم يعد في حاجة إلى استئلاف المنافقين وضعفاء الإيمان، بعد أن اشتد عوده وكثرت أعوانه بشهادة عمر بن الخطاب في قوله «كان يتألفكما والإسلام يومئذ ذليل وإن الله قد أعز الإسلام»[1]، فلم تعد الحاجة إليه، لأن المنافقين ومن تابعهم من ضعفاء الإيمان أصبحوا قلة لا يشكلون أية خطورة على الإسلام.

ففي نفس الوقت الذي كان فيه الخليفتان الأول والثاني قد ارتابا في نوايا أبي سفيان تجاه الإسلام في مطلع خلافة أبي بكر كما أسلفنا، فإنهما قد قلّدا الأمويين بعض الأعمال المهمة، وذلك على اعتبار أن الإسلام قد أزال ما في نفوس الأمويين[2] من عصبية جاهلية، ولكن الخليفة الرابع لم يثق قط بمُعظم الأمويين، خاصة أولئك الذين تأخر دخولهم في الإسلام من الفرعين السفياني والمرواني، إذ يقسم في أحد المواقف تأكيد لمقولته

(١) ابن أبي الحديد ١٢/ ٥٩.

(٢) لمعرفة رأي علي عليه السلام في الأمويين راجع: البلاذري ـ أنساب الأشراف ٢/ ١٠٣، صفين لابن مزاحم ص٢١٥، خطب ٢٤، ٧٦، ٩١.

«وَالّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ، وَبَرَأَ النسمة مَا أَسْلَمُوا وَلَكِنْ اسْتَسْلِمُوا وَأَسِرُّوا الكُفْرَ فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً أَظْهَرُوهُ»[١].

فوثوق أبي بكر وعمر بالأمويين عامة وبمعاوية على وجه الخصوص لا يعني سلامة موقفهم بحيث يرتضيهم علي عليه السلام في معاونته على أعباء الحكم، فمعاوية الذي رفع راية العصيان في وجه علي عليه السلام، لا بدّ أنه كان يتعجّل موت عمر ويتمناه، وقد كان يتكلف ما يرضي عمر، لذلك فلقد تنفس الصعداء حين بلغه نبأ وفاة عمر وهو مازال على ولاية الشام، إذ اعتبر بقاءه في الولاية تزكية له فهو يقول لمن نفاهم إليه عثمان من أعيان أهل الكوفة حين عابوا سياسته وطالبوه بالإعتزال عن ولاية الشام «لقد رأى ذلك عمر بن الخطاب، فلو كان غيري أقوى مني لم يكن لي عند عمر هوادة ولا لغيري، ولم أحدث من الحدث ما ينبغي لي أن أعتزل عملي»[٢]، ثم أن عثمان قد احتج بتلك الحجة[٣] على علي عليه السلام حين ناقشه في شأن ولاته وبالأخص معاوية الذي كان يقطع الأمور باسم الخليفة الذي لا ينكر عليه ذلك.

لقد وضحت نوايا الأمويين بجلاء في خلافة عثمان، إذ لم يكن في مقدورهم اعتبار الحكم في ظل الشريعة الإسلامية على أنه خلافة، بل ملك، فقد استغل الأمويون قرابتهم من عثمان وحبّه الشديد لهم أسوأ

---

(١) ابن مزاحم ٢١٥، رسائل ـ ١٦.

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٣٢٥.

(٣) راجع ص٢٤٤ وما بعدها من هذا البحث فقد فصلنا القول في شأن ولاة عثمان هناك.

استغلال فأخذوا «يَخْضُمُونَ مَالَ الله خَضْمَةَ الإبِلِ نَبْتَةَ الرّبِيْعِ»[١]، فسعيد بن العاص والي عثمان على الكوفة يرى أن سواد العراق «بستان لقريش»[٢] أما مروان بن الحكم[٣] فإنه يرى أن الخلافة الإسلامية لن تخرج من البيت الأموي إلاّ بالدم معتبراً إياها سلطانا وملكاً لا خلافة، وذلك بقوله وفي محضر من المسلمين في مسجدهم والخليفة حاضر «أمّا والله لا يرام ما وراءنا حتى تتواصل سيوفنا وتتقطع أرماحنا»[٤].

فالتسلط والمال هما الهدفان اللذان كان الأمويون يرمون إليهما، وهم في سبيل ذلك مستعدون لدوس القيم الإنسانية، باستخدام أساليب الزيف والتضليل، بحيث وصلت بمعاوية الجرأة أن يوهم طلحة والزبير بأنه بايع لهما بالخلافة على الشام شريطة استظهارهما طلب الثأر لعثمان والتمرد على خلافة علي عليه السلام لنقضها[٥]، غير آبه بما سيراق من دم، وبما سيحل بالإسلام من الكوارث، قد تؤدي إلى تمزيقه وتشتيت وحدته، كل ذلك في سبيل البقاء في السلطة، بعد أن عرف عزم علي عليه السلام على تجريده وبني أمية من المكاسب التي اجتنوها في عهد عثمان، لكونها من وجهة نظر الإسلام ثروات غير مشروعة، إذ يؤثر عن علي عليه السلام قوله في هذا الصدد

---

(١) خطب ـ ٣.

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٣٢٣.

(٣) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية. وهو ابن عم عثمان بن عفان، لم ير النبي صلى الله عليه وآله لأنه خرج إلى الطائف طفلا لا يعقل لما نفى النبي أباه الحكم، وكان مع أبيه بالطائف حتى استخلف عثمان فردهما واستكتب عثمان مروان ـ أسد الغاية ٥/ ١٤٤.

(٤) الزبير بن بكار: الأخبار الموفقيات ٦١٨. وقد ورد مثله في تاريخ الطبري ٤/ ٣٣٤.

(٥) راجع رسالة معاوية إلى كل من طلحة والزبير ـ شرح ابن أبي الحديد ١/ ٢٣١.

«أَلا إِنّ كُلَّ قَطِيْعَةٍ أَقْطَعَهَا عُثْمَانُ، وَمَالٍ مِنْ مَالِ الله فَهُوَ رَدٌّ عَلَى المُسْلِمِينَ فِي بَيْتِ مَالِهِمْ، والله لَوْ رَأَيْنَاهُ نَكَحَ بِهِ النِّسَاءَ، وَتَفَرَّقَ بِهِ فِي البُلْدَانِ، لَرَدَدْنَاهُ، لأنّ الحَقَّ قَدِيْمٌ لاَ يَخْلَقُ، وَإِنّ لَكُمْ فِي الحَقِّ سِعَةً، وَمَنْ ضَاقَ عَنْهُ الحَقُّ فَالبَاطِلُ أَضْيَقُ»[١].

فالعنصر المادي الذي حاول علي تجريد الأمويين منه، كان هو السبب المباشر في التصدي للتيار الديني الداعي إلى المساواة المتمثل في سياسته التي أعلنها في الأيام الأولى من قبوله الخلافة[٢]. وهو ما يدعونا إلى طرح مقولة ابن خلدون «بأن الفتنة بين علي عليه السلام ومعاوية، وهي مقتضى العصبية، كان طريقهم فيها الحق والإجتهاد، ولم يكونوا في محاربتهم لغرض دنيوي، ولا لإيثار باطل. . . وإنما اختلف اجتهادهم في الحق، وسفه كل واحد منهم نظر صاحبه. . .»[٣] على بساط المناقشة، فمفهوم العصبية في فكر علي بن أبي طالب عليه السلام ـ كما يبدو لنا ـ يختلف اختلافاً جذرياً عن مفهومها عند ابن خلدون، الذي يرى أن الدعوة الدينية لا يمكن أن تتكلل بالنجاح ما لم تعتمد على عصبية قومية[٤]، بانيا نظريته على الحديث الشريف «مَا بَعَثَ الله نَبِيّاً إلاّ فِيْ مِنْعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ»[٥]، بينما يرى

---

(١) خطب ١٥ . أورد الرضي القسم الأخير منها وأخذناها بتمامها من أبي هلال العسكري: كتاب الأوائل ص١٣٩ .

(٢) راجع خطب ١٦ .

(٣) المقدمة ١/ ٢٦٩.

(٤) السابق ١/ ١٩٩، ٢٠٠.

(٥) السابق ١/ ١٩٩ ـ والحديث كما ورد بنصه عند أحمد بن حنبل ـ الذي انفرد بروايته ـ المسند ٢/ ٥٣٣«قال ﷺ: قال لوط: لَوْ أَنّ لِي بِكُمْ قُوّةً أَوْ آوِي إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ، =

علي عليه السلام أن الذين أرادوا الكيد بالإسلام وإطفاء نوره هم قوم النبي وعشيرته من قريش إذ يقول في إحدى رسائله لمعاوية «فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا وَاجْتِيَاحَ أَصْلِنَا، وَهَمُّوا بِنَا الهُمُوْمَ وَفَعَلُوا بِنَا الأَفَاعِيْلَ وَأَحْلَسُونَا الخَوْفَ، وَاضْطَرُّوْنَا إلى جَبَلٍ وَعْرٍ، وأوقَدُوا لَنَا نَارَ الحَرْبِ»[1]، فالدين في نبذه للعصبية يجيز مقاومة العشير وقتلهم بدافع الجهاد في سبيل الله وهو فحوى فكر علي عليه السلام الذي يعبر عنه بقوله «لَقَدْ كُنَّا مَعَ رِسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَإِنَّ القَتْلَ لَيَدُوْر بَيْنَ الآبَاءِ وَالأَبْنَاءِ وَالإِخْوَانِ وَالقَرَابَاتِ، فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيْبَةٍ

= قال: قد كان يأوي إلى ركن شديد، ولكنه عنى عشيرته، فما بعث الله عزّ وجلّ بعده نبيا إلاّ في ذروة قومه، قال أبو عمر: فما بعث الله عزّ وجلّ نبيا إلاّ في منعة من قومه» فمن الملاحظ أن الرسول صلى الله عليه وآله لم يقل «في منعة» ولكنه قال«في ذروة قومه» بإضافة ذروة إلى قومه«وذروة كل شيء أعلاها»، ابن دريد ـ الجمهرة ٢/ ٣١٢، والذروة هنا ـ كما أعتقد ـ يقصد الرسول صلى الله عليه وآله بها علو النسب وعراقته، وقد كان أعلى قريشاً نسباً وأطيبها أرومة، إلاّ أنه لم يكن الأقوى ولا الأغنى، بالإضافة إلى أن القول«في منعة من قومه» لم يكن ـ كما يبدو لنا ـ في حديث النبي وإنما كان تعقيباً من الراوي على قوله صلى الله عليه وآله كما أن الحديث بمفهوم العصبية التي أرادها ابن خلدون، لا يتسق مع ما ورد في القرآن الكريم من آيات بشأن وضع الأبناء في أقوامهم، من ذلك قوله تعالى«وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ» هود / ٨٩، فسياق الآية الكريمة يدل على أن العصيان والشقاق تجاه دعوات الرسل يأتي عادة من ذوي البأس والقوة في أقوامهم. أنظر الأعراف / ١٤٨ والتوبة / ٧٠ وهود / ٦٠ وق / ١٢ . . . ولو أن النبي صلى الله عليه وآله قد كان في منعة من قومه لما اضطرته قريش هو صلى الله عليه وآله وآل بيته من الهاشميين والطالبين إلى الشعب ولما عرض نفسه على القبائل الأخرى في مواسم الحج، ولما اضطرته قريش إلى الهجرة عن موطنه في نهاية المطاف.

(١) رسائل ـ ٩.

وَشِدَّةٍ إلاَّ إيْمَاناً وَمُضِيّاً عَلَى الحَقِّ»[١]. فالعصبية في مفهوم عليعليه السلام ـ كما يتهيأ لنا ـ هي مجموعة من القيم الأخلاقية تعني التوق إلى بناء مجتمع مثالي يسير في ظل المبادئ الإسلامية. أما العصبية الأموية فهي مبنية على القيم الجاهلية التي تعتمد على النظرة الضيقة المحصورة في نطاق مصلحة العشيرة، كما أن العصبية الأموية لم تكن ـ في اعتقادنا ـ مبنية على أسس الإقتناع النفسي لكونها غلاف خارجي يقصد به المحافظة على المكاسب المادية، لذلك فإن ما أسماه ابن خلدون باجتهاد معاوية لا يتسق مع معنى الإجتهاد في الشريعة وهو «إعمال الرأي في التماس الحكم الشرعي»[٢] في حالة عدم وجود نص الحكم لا في الكتاب ولا في السنة، ولكن القضية التي نشب النزاع بسببها بين عليعليه السلام ومعاوية حكمها ثابت شرعاً، كما يتهيأ لنا، لأن الدعوة الأساسية التي عمد معاوية إلى تضليل جمهور أهل الشام والسذّج من المسلمين، وطلاب الدنيا من ذوي المصالح، هي الثأر لعثمان من قتلته، وهي دعوى متهافتة من جميع جوانبها كما يتبيّن لنا من خلال ما تبودل من رسائل بين عليعليه السلام ومعاوية. فمعاوية من الناحية الشرعية ليس هو الولي بدم عثمان حتى يطالب بالثأر من قتلته لأن أبناء عثمان وإخوته أولى منه بذلك[٣]، ثم أن علياًعليه السلام يفترض أنه لو قبل ولاية معاوية في المطالبة بدم عثمان على أساس القرابة، فعليه أولا: أن يدخل فيما دخل فيه عموم الناس من بيعة ملزمة، ومن ثم يحاكم القتلة أمام القائم

---

(١) خطب ـ ١٢١.

(٢) محمد تقي الحكيم: مقدمة كتاب النص والاجتهاد ص٤٣.

(٣) راجع رسالة عليعليه السلام إلى معاوية: ابن أبي الحديد ٣/ ٨٩.

بالأمر[١]، إذ لا يحق شرعاً لأي فرد من أفراد الأمة مهما علت منزلته أن يقتص من مجرم وأن يقيم حدّاً على زان أو أن يقتل قاتلاً في حالة وجود سلطة شرعية يمكنها القيام بذلك، لأن محاكمة الجناة في الإسلام وفي غيره من الشرائع السماوية والوضعية من اختصاص الحاكم، فقوله تعالى ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾[٢]، وهي الآية التي اعتمد عليها معاوية في تضليله في المطالبة بالإقتصاص من قتلة عثمان، لا تعني في تفسيرها: قيام أهل القتيل وقرابته من الإقتصاص له من قتلته بأنفسهم، بل عليهم أن يَمْثِلُوا ومن اتهموه بالقتل أمام الحاكم «فإن حكم بالحق أستقيمت حكومته، وإلاّ فسق وبطلت إمامته»[٣]، لذلك فإن ادعاء معاوية بالتظاهر من أجل دم عثمان، هو في تصور علي عليه السلام مثله مثل «خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنْ اللَّبَنِ فِي أَوّلِ الفِصَالِ»[٤]، تلك الخدعة التي حاول معاوية التستر بها للبقاء في ولاية الشام طيلة حياته وبدون أي التزام تجاه خلافة علي عليه السلام[٥]، ممّا يعني استعداده للسكوت عن عصبيته في المطالبة بالثأر من قتلة عثمان، فيما لو استجاب علي عليه السلام لطلبه.

فالغرض الدنيوي الذي حاول ابن خلدون تبرئة معاوية منه هو لبّ

---

(١) راجع قول علي عليه السلام لمعاوية في شأن عثمان وقتلته الرسالة رقم ٦٤.

(٢) الإسراء / ٣٣.

(٣) ابن أبي الحديد ١٨/ ٢١.

(٤) رسائل ـ ٦٤، الفقرة الأخيرة.

(٥) في طلب معاوية ولاية الشام من علي عليه السلام بتلك الشروط راجع: ابن مزاحم ـ صفين ٤٧٠.

ثورته المفتعلة وهو في نفس الوقت السبب المباشر الذي جعل علياً عليه السلام يقف منه موقف المتصلب، من أجل إفشال مخططات الأمويين وعلى رأسهم معاوية الذي «قَادَ لُمَّةً مِنَ الغُوَاةِ وعمس عَلَيْهِمْ الخَبَرَ»[١] فجعلهم لا يعرفون من يحاربون[٢].

فمأرب معاوية من العصيان وتجريده الجيوش لمقاتلة علي عليه السلام ـ كما نرى ـ هو مأرب دنيوي، بينما نرى أن موقف علي عليه السلام المتشدد تجاه معاوية ومن شايعه من الأمويين موقف ديني بحت هدفه المحافظة على نصاعة تعاليم الإسلام، لأن الحزم عنده «أن يخطر أمر الدين ثم لا يفكر في الموت»[٣].

فسياسة معاوية ـ كما تبدو من وجهة نظر علي عليه السلام ـ مبنية على التلون حسب مقتضيات الظروف، مع استخدام جميع الأساليب المتاحة التي تمكنه من غرضه، فتارة يطالب بدم عثمان وأخرى يلحّ على علي عليه السلام بإقراره على الشام، ثم أنه يهدد تارة ثالثة بالحرب، ويأمر بقتل النساء والأطفال وترويع الآمنين[٤]، في نفس الوقت الذي ينادي فيه بإنهاء الحرب، لما أحدثته من خسائر في الأرواح والأموال مستجيراً في ذلك

---

(١) خطب ـ ٥١.

(٢) لقد مارس معاوية مع أهل الشام كل أساليب التضليل التي تنأى بهم عن معرفة حقيقة علي عليه السلام راجع على سبيل المثال: ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣/ ١٥٩.

(٣) المبرد: الكامل في الأدب ١/ ٢٠٦.

(٤) قول علي «وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ يَدْخُلُ عَلَى المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ وَالأُخْرَى المُعَاهِدَةِ... الخطبة» خطب ٢٧. هو من الصور البشعة التي كان جنود معاوية يمارسونها أثناء غاراتهم على أطراف بلاد الإسلام في خلافته.

برابطة الرحم[١]. على أن موقف علي عليه السلام من كل تلك الأساليب المتلونة واحد لم يتغير، وهو اعتبار معاوية فرداً من أسرة هدفها جعْل الإسلام مطية لتحقيق أغراضها، فوجودهم ضمن المجتمع الإسلامي فتنة شغلت حيزاً واسعاً من فكر علي عليه السلام، فتكرر ذكرهم في نهج البلاغة ما يقارب من أربع وخمسين مرة في ثمانية وثلاثين نصّا أثرت عن علي عليه السلام[٢]، ممّا يعني استيعاب قضيتهم لمساحة واسعة من فكره السياسي، ليس بصفتهم معارضة هدفها إثراء الحوار الفكري والسياسي، ولكن لكونهم خطراً يهدد الإسلام من الداخل، ويحاول تقويض دعائمه الروحية، لذلك فإن من أهم الأسباب التي جعلت علياً عليه السلام يقبل الخلافة، في وقت لم تكن فيه إلاّ مجرد مشكلة سياسية معقدة تجلب المتاعب والمحن لمن يتقلدها، إلاّ لخوفه من استحواذ بني أمية عليها ممّا يتيح لهم تصريف شؤون الدين بحسب أهوائهم[٣].

لقد شكّل الأمويون خطراً حقيقياً على الإسلام سبّب لعلي عليه السلام قلقاً فكرياً، باستخدامهم الأساليب الملتوية للوصول إلى غاياتهم دون مراعاة لأية قيمة دينية، فمعاوية يعقد صفقة بينه وبين عمرو بن العاص حين يجعل

---

(١) يمكن استنتاج ذلك من رسالة رقم ١٧ وهي ردّ على رسالة من معاوية.

(٢) راجع الخطب: ٤٣، ٥١، ٥٥، ٧٤، ٧٦، ٨٢، ٨٥، ٩١، ٩٥، ٩٩، ١٠٣، ١٠٥، ١٣٦، ١٥٦، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٨، ١٧٨، ١٩٨، ٢٣٦، والرسائل: ٦، ٩، ١٠، ١٥، ١٦، ٢٧، ٣١، ٣٢، ٣٦، ٤٣، ٥٣، ٥٧، ٦٣، ٦٩، والحكم: ١٢٠، ٤٦٤. مع ملاحظة أنه تارة يعبر عن ذلك ببني أمية، وتارة أخرى بأهل الشام وثالثة بمعاوية ويقصد من ذلك الأمويين على ما نعتقد.

(٣) راجع قول علي عليه السلام في ذلك عند: البلاذري ـ أنساب الأشراف ٢/ ١٠٣.

مصر ـ التي لم تكن تحت إمرته ـ طعمة لعمرو بن العاص طيلة حياته في سبيل استمالته إلى جانبه ضد علي عليه السلام[١]، ثم أنه يعقد صفقة ثانية مثلها مع خالد بن المعمر[٢] قائد ميمنة علي عليه السلام ورأس من رؤوس ربيعة بصفين يجعل فيها خراسان طعمة له فيما لو تراجع عن مسيرته «وقد شارفوا أخذه»[٣]، كما كان يستخدم أساليب الكذب والتضليل فيما لو أعيته الحيل من استمالة الرجال، من ذلك ما ادعاه من دخول قيس بن سعد بن عبادة[٤] ـ والي مصر من قبل علي عليه السلام ـ في طاعته بعد أن يئس من استمالته، ممّا أدى بعلي إلى عزله رغم إخلاصه، وذلك بإلحاح من بعض رجاله الذين انطلت عليهم خدعة معاوية وشكّوا في نزاهة سعد وصدقه[٥]، وهو ما كان

---

(١) راجع الإمامة والسياسة ١/ ٩٧.

(٢) خالد بن المعمر الدوسي، كان رئيس بكر بن وائل في عهد عمر، وكان خالد مع علي عليه السلام يوم الجمل وصفين من أمرائه، وعلى ما يبدو لم يكن مخلصاً لعلي عليه السلام بدلالة قول الشاعر لمعاوية (طويل) وقائله مجهول:

مُـعَـاوِيَ أَمِّـرْ خَـالِـدَ بـنِ مُـعَـمَّـرٍ ... فَـإِنَّـكَ لَـوْلاَ خَـالِـدٌ لَـمْ تُـؤَمَّـرَ

وقد أمَّره معاوية على أرمينية فوصل إلى نصيبين فمات بها ـ ابن حجر ـ الإصابة ١/ ٤٦١.

(٣) ابن أبي الحديد ٥/ ٢٢٨.

(٤) قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي من فضلاء الصحابة، وهو من ذوي الرأي والمكيدة في الحرب، مع النجدة والشجاعة، وكان من النبي صلى الله عليه وآله بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير، ممّا يلي من أموره، صحب علياً عليه السلام لما بويع له بالخلافة، واستعمله على مصر، فكايده معاوية فلم يظفر منه بشيء، فكايد علياً عليه السلام وأظهر أن قيساً قد صار معه يطلب بدم عثمان، فبلغ الخبر علياً عليه السلام، فلم يزل به محمد بن أبي بكر وغيره حتى عزله، صار مع الحسن بعد مقتل علي عليه السلام توفي سنة تسع وخمسين ـ أسد الغابة ٤/ ٤٢٤.

(٥) راجع البلاذري ـ أنساب الأشراف ٢/ ٢٨٨، ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ٣/ ١٣٨.

معاوية يرمي إليه من وراء كذبته تلك، كما أنه استغل المال أبشع استغلال لشراء ضمائر ذوي الأطماع، فقد أخذ في مكاتبة وجوه أهل العراق، كالأشعث بن قيس وغيره، والبذل لهم بسخاء في سبيل تخذيل الناس عن علي عليه السلام، ويبلغ به القول عن بذل الأموال في سبيل ذلك «والله لأستميلن بالأموال ثقات علي عليه السلام ولأقسمن فيهم المال حتى تغلب دنياي على آخرته»[1]. لكن كل تلك الأساليب الملتوية التي اتبعها الأمويون بقيادة معاوية، لم تكن لتخفى على علي عليه السلام، ولا على أولي العزم من أصحابه الذين عاشروا الأمويين وخبروا نواياهم، فكان قول عمار بن ياسر «واللَّهِ مَا طَلَبْتَهُمْ بِدَمِهِ ـ أي دم عثمان ـ وَلَكِنَّ القَوْمَ ذَاقُوا الدُّنْيَا فَاسْتَحَبُّوهَا وَاسْتَمْرَؤُوهَا وَعَلِمُوا أَنَّ الحَقَّ إِنْ لَزِمَهُمْ حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَتَمَرَّغُونَ فِيْهِ مِنْ دُنْيَاهُمْ»[2] انعكاساً لفكر علي عليه السلام تجاه الأمويين، بحيث اعتبرهم فتنة لابدّ من استئصالها من جذورها، أو على الأقل تبصير المسلمين بمدى خطورتها لأنها «فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ، مُظْلِمَةٌ عَمَّتْ خُطَّتُهَا، وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا وَأَصَابَ البَلاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيْهَا وَأَخْطَأَ البَلاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا»[3].

لقد بذل الأمويون كل ما في وسعهم من جهد لزحزحة علي عليه السلام عن موقفه الفكري تجاههم، فلم يتمكنوا من تغيير سياسته تجاههم قيد أنملة، فاستمرت مقاومته، لاتجاههم المادي بكل ضراوة سواء أكان ذلك باللسان أم بالسيف، فلما أحسّوا بعدم قدرتهم على مقاومته وأن نهايتهم قد قربت

---

(١) ابن مزاحم ـ صفين ص٤٣٦ وص ٣١٩.
(٢) السابق.
(٣) خطب ـ ٩٢.

في صفين، لجأوا إلى حيلة رفع المصاحف[١]، كورقة أخيرة يدرأون بها الهلاك عن أنفسهم، ممّا فتح لعلي عليه السلام جبهة معارضة ثالثة، تولدت هذه المرة من بين أصحابه الذين حارب بهم أصحاب الجمل، والأمويين في صفين، فاضطر غير راغب إلى مواجهة تلك المعارضة التي أُطلق على رجالها: لقب المارقين.

ثالثا: المارقون، أي الخوارج:

المروق هو الخروج من غير مُدخله، والمارقة «الذين مرقوا من الدين لغلوهم فيه»[٢]. وقد أُطلق لقب المارقين على الخوارج لغلوهم في الدين، وتكفيرهم كل من يخالف عقيدتهم[٣]، وسمّوا أيضاً بالمحكمة الأولى لرفضهم صحيفة التحكيم[٤] بعد أن أجبروا علياً عليه السلام على قبول عرض أهل الشام بتحكيم القرآن، أثر رفعهم المصاحف حين أوشكت أن تحل الهزيمة بهم، وأدركوا أن لا مفر من القيام بعمل يفت من عزيمة أصحاب علي عليه السلام، ويحول بينهم وبين النصر المحقق.

١ ـ موقف علي عليه السلام من قضية رفع المصاحف:

قد يقال أن قضية رفع المصاحف في صفين، هي من وحي ساعة

---

(١) راجع ذلك مفصلا عند نصر بن مزاحم ـ صفين ص٤٧٨ وما بعدها وتاريخ الطبري ٥/ ٤٨ وما بعدها، وكامل ابن الأثير ٣/ ١٦٠.

(٢) لسان العرب المحيط ٣/ ٤٧٢.

(٣) راجع عقائد الخوارج عند الأشعري، مقالات الإسلاميين ص٨٦ وما بعدها.

(٤) راجع: الشهرستاني: الملل والنحل ١/ ١١٥.

الهزيمة كما تذكر معظم المصادر التاريخية[١]، ولكن المرجّح غير ذلك، لأن المفروض في أية قيادة عسكرية قبل عزمها على مواجهة عدوها، أن تضع في حسبانها احتمالي النصر والهزيمة، وتضع لكلا الإحتمالين خطته المناسبة. لذلك ـ فمن المعتقد ـ أن قضية رفع المصاحف كانت محسوبة تماماً، ومخطط لها من قبل، باتفاق قد يكون مجرد فكرة في البداية، ولكن استطالة أمد الحرب، جعل ذلك الإتفاق شبه مؤكد بالنسبة لمعاوية، والمخذلين في جيش علي عليه السلام، خاصة أن المصادر التاريخية تطلعنا على جوانب كثيرة من الحوار المتبادل بين طرفي النزاع أثناء فترات الهدنة[٢].

ثم أن فكرة تحكيم القرآن ـ في حدّ ذاتها ـ ليست جديدة أو مفاجئة بالنسبة لكلا طرفي النزاع، فلقد سبق أن عرضها علي عليه السلام على أصحاب الجمل، ولكن قبل نشوب المعركة كحل يتفادى به احتكام المسلمين إلى السيف[٣]، وليس عرضه على معاوية الدخول فيما دخل فيه الناس، ثم محاكمة قتلة عثمان بالقرآن[٤]، إلاّ من قبيل حقن الدماء، لذلك فليس من

---

(١) راجع ذلك عند: البلاذري: أنساب الأشراف ٢/ ٣٢٣، الدينوري: أخبار الطوال ص١٨٨ اليافعي: مرآة الجنان ١/ ١٣٨، أما ابن مزاحم ـ صفين، ص٤٧٧ فيرى أن قضية رفع المصاحف قد أُعدّ لها من قبل.

(٢) راجع على سبيل المثال: الرسالتين المتبادلتين بين علي عليه السلام ومعاوية في صفين ـ شرح ابن أبي الحديد ١٧/ ٢٥٠، وبشأن تداخل طرفي النزاع وتسامح بعضهما عن بعض راجع: صفين ـ ص٣٣٢، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٨٥.

(٣) راجع ذلك عند الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٥١١، ابن اعثم الكوفي: الفتوح ٢/ ٤٧٧.

(٤) راجع قول علي عليه السلام لمعاوية بشأن ذلك: رسائل ٦٤، فقرة ٥.

المستبعد أن يعلم أهل الشام بما فعله علي عليه السلام «من رفع المصاحف لأهل الجمل ففعلوا مثله»[١].

فالمفاجأة لا تكمن في رفع المصاحف، ولكنها تكمن في توقيت رفعها، وهو ممّا أوقع الكثير من فرق الجيش المنتصر في الإرتباك والحيرة، ثم توقفها عن مقاتلة من لجأوا إلى القرآن حَكماً. وهنا في هذا الموقف الدقيق والمحيّر تتجلى رباطة جأش علي عليه السلام وبعض أصحابه المخلصين، بإصرارهم على مواصلة القتال حتى النهاية، لا لأنهم لا يريدون النزول إلى حكم القرآن، ولكن مواصلة القتال كما يقول «لِيَدِينُوا بِحُكْمِ القُرْآنِ، فَإِنَّهُم عَصُوا الله فِيْمَا أَمَرَهُمْ، وَنَقَضُوا عَهْدَهُ، وَنَبَذُوا كِتَابَهُ»[٢]، إلاّ أن استطالة أمد الحرب، وما أحدثته المفاجأة من تشتت فكري، حال بين علي عليه السلام وبين إقناع أولئك المتمردين بالمضي في الحرب حتى نهايتها، ففي مقابل إصراره «جاءه زهاء عشرين ألفاً مقنعين في الحديد شاكي السلاح سيوفهم على عواتقهم... فنادوه باسمه، لا بإمرة المؤمنين: يا علي عليه السلام أجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت إليه، وإلاّ قتلناك»[٣]. مع ملاحظة أن ذلك الحماس الجامح لم يكن عن اقتناع إيماني، وإنما هو وليد عاطفة آنية، ناجمة عن نظرة سطحية في ماجريات الحوادث.

فمحاربتهم لمعاوية ومن ناصره من أهل الشام، قد كانت نابعة من اعتقاد ديني هدفه إرجاعهم عن ضلالهم، وها هم قد ثابوا إلى رشدهم،

---

(١) أنساب الأشراف ٢/ ٣٢٣.

(٢) ابن مزاحم ـ صفين، ص٤٨٩ ـ ٤٩٠.

(٣) السابق.

واستجابوا لما يراد منهم لذلك فمن الملزم الإستجابة لطلبهم بالنزول إلى حكم القرآن في قضية الخليفة المقتول. وقد حاول علي عليه السلام جاهداً ثنيهم عن عزمهم، وحثهم على مواصلة القتال بتبصيرهم بحقيقة الأمويين من خلال مرارة تجربته معهم، فهم من وجهة نظره «لَيْسُوا بِأَصْحَابِ دِيْنٍ وَلا قُرْآنٍ... والله مَا رَفَعُوهَا ـ أي المصاحف ـ أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا وَيَعْلَمُونَ بِهَا، وَلَكِنَّهَا الخَدِيْعَةُ وَالوَهْنُ وَالمَكِيدَةُ»[١] فما أقدموا عليه بعد شعورهم بالهزيمة، كما يقول علي عليه السلام «ظَاهِرُهُ إِيْمَانٌ وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ»[٢]، لذلك فمن واجب أهل العراق، المضي فيما هم عليه من جهاد العدو حتى النهاية «دُوْنَ الإلْتِفَاتِ إِلَى نَاعِقٍ نَعَقَ، إنْ أُجِيْبَ أَضَلَّ وَإِنْ تُرِكَ ذَلَّ»، لكن جهوده في إقناعهم لم تفلح فأوقعهم تقديرهم المرتجل في شرك الخديعة التي حذرهم علي عليه السلام منها، والتي يمثل توقيت رفع المصاحف الجانب الأول منها، تلاه اختيار من يمثل الطرفين في الحكم بالقرآن، في القضية المختلف فيها.

٢ ـ اختيار الحكمين وموقف علي عليه السلام من ذلك:

بعد أن أجبر علي عليه السلام على وقف القتال، تبرّع الأشعث بن قيس[٣]

---

(١) المصدر السابق.

(٢) خطب ـ ١٢١، فقرة ٢.

(٣) الأشعث بن قيس واسمه معدي كرب بن قيس، أسلم في السنة العاشرة من الهجرة، كان ممن ارتدّ بعد النبي، فسيّر أبو بكر الجنود إلى اليمن، فأخذوا الأشعث أسيراً، فأحضر بين يديه فقال له: استبقني لحربك وزوجني أختك، فأطلقه أبو بكر وزوجه أخته... توفي بعد علي عليه السلام بأربعين ليلة سنة أربعين من الهجرة ـ أسد الغابة =

بالوساطة بين عليعليه السلام ومعاوية، فاتفق هو ومعاوية على اختيار حكمين[١]، مهمتهما فض نزاع الطرفين حسب شروط يتفق عليها. وقد حزم معاوية أمره على أن يكون عمرو بن العاص ممثلاً له في ذلك التحكيم[٢]، وتلافياً من وقوعه فيما لا يحمد عقباه من نتائج حاول أن يسدّ الباب في وجه عليعليه السلام، ويحول بينه وبين اختيار من يرتضيه حكماً، فاقترح على الأشعث، بطريق غير مباشرة، أبا موسى الأشعري[٣] ليقوم بمهمة تمثيل أهل العراق في التحكيم، وذلك بعد أن أجال فكره في رجال عليعليه السلام، قال للأشعث على سبيل الإقتراح المتضمن النصح «إن الناس قد ملّوا هذه الحرب، ولم يرضوا إلاّ رجلاً له تقية، وكل هؤلاء لا تقية لهم ـ يعني رجال عليعليه السلام المخلصين ـ ولكن انظروا أين أنتم من أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله، تأمنه أهل الشام، وترضى به أهل العراق، فقال عتبة: ذلك أبو موسى الأشعري»[٤] فوجد الإقتراح قبولاً عند الأشعث، فكان لمعاوية ما أراد.

= ١/ ١١٨. قال الطبري في التاريخ ٣/ ٣٣٨: كان الأشعث«يلعنه المسلمون، ويلعنه سبايا قومه، وسمّاه نساء قومه: عرف النار ـ كلام يمان يسمون به الغادر ـ»، وقال عنه ابن أبي الحديد ١/ ٢٩٧ «كان الأشعث من المنافقين في خلافة عليعليه السلام وهو في أصحاب أمير المؤمنينعليه السلام كما كان عبدالله بن سلول في أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله كل واحد منهما رأس النفاق في زمانه».

(١)،(٢)،(٣) راجع صفين ص٤٩٨، ٤٩٩.

(٤) ابن قتيبة ـ الإمامة والسياسة ١/ ١٢٩. أمّا عتبة الذي ذكر أبا موسى الأشعري تعقباً على حديث معاوية، فهو عتبة بن أبي سفيان (ت ٤٤ هـ) أخو معاوية ـ ترجمته في أسد الغابة ٣/ ٥٦٠، أما الاقتراح بترشيح أبي موسى الأشعري بالذات فلأنه منحرف عن عليعليه السلام، ثم أنه ضعيف الشخصية بإزاء دهاء عمرو بن العاص. راجع بذلك الشأن ما قاله عليعليه السلام عنه في صفين ص٤٩٩ وما أورده ـ ابن عبد البر عن انحراف الأشعري=

فعلي عليه السلام الرغم من انحراف أبي موسى الأشعري عن علي عليه السلام، إلاّ أن الأشعث وبقية اليمانية[1] في جيشه، بالإضافة إلى القرّاء، قد ألزموه على قبوله رغم محاولاته المستميتة في رفضه، وتنبيه أولئك المتمردين بمغبة اختيارهم، علهم يتركون له مجال ترشيح من يراه أهلاً لمواجهة دهاء عمرو بن العاص. لكن إرادته لم تفلح للمرة الثانية، فاستقر رأي الفريقين على الحكمين برضا معاوية، وسخط علي عليه السلام، ولم يبق إلاّ الإتفاق على شروط التحكيم وكتابتها.

٣ ـ شروط التحكيم وما تنطوي عليه من أبعاد:

لقد تم بين قيادة العراق المتمثلة في الخلافة الشرعية وبين قيادة الشام المتمثلة في الإمارة المتمردة، على صيغة التحكيم وشروطه التي من أهمها: رضا أهل العراق وأهل الشام النزول «عند حكم القرآن، والوقوف عند أمره، وأن لا يجمع (بينهم) إلاّ ذلك (وإنهم) جعلوا كتاب الله فيما بينهم حكماً فيما (اختلفوا) فيه من فاتحته إلى خاتمته»[2].

فالإختلاف الأساسي بين الطرفين هو مطالبة معاوية الإقتصاص من قتلة عثمان ليس غير، والقضية محسومة سلفاً من وجهة نظر علي عليه السلام، الذي لا يرى في مطالبة معاوية تلك أي مبرر للخروج على الخلافة

= عن علي عليه السلام في: الاستيعاب بهامش الإصابة ٢/ ٣٧٢ وعن الخلل في شخصية أبي موسى الأشعري. راجع وصية معاوية لعمرو بن العاص حين توجه إلى مكان التحكيم عند: ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ـ ٤/ ٣٤٧.

(١) إصرار اليمانية على أبي موسى الأشعري لأنه يماني ـ راجع صفين ص٥٠٠.

(٢) صفين ص٤٩٩ وما بعدها.

الشرعية. وهذا ما جعل الحقيقة تتكشف لأولئك الذين اغتروا برفع المصاحف من أصحاب علي عليه السلام، فثابوا إلى رشدهم، ولكن بعد أن تم توقيع الصحيفة، ممّا لا يمكن معه نقضها إطلاقا ـ على الأقل من وجهة نظر علي عليه السلام ـ لما تتضمنه من التزام خلقي فحواه المحافظة على العهد والتمسك بالمواثيق.

فلقد عاد أولئك الذين أرغموا عليّا عليه السلام على إيقاف الحرب، يطالبونه باستئنافها مقرين بخطئهم، وبمشاركته الذنب معهم حين استجاب لهم، متأولين بذلك الإقرار بالذنب والتوبة عمّا بدر منهم[1]، لكن علياً عليه السلام لم يقبل عذرهم، ولا طلبهم باستئناف القتال ـ لا لأنه لا يرغب في مواصلتها ـ ولكنه ملتزم بعهد لا يمكنه نقضه، لأن في ذلك نقضاً لقوله تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[2] ممّا يخالف منهجه الإسلامي.

خلاف علي عليه السلام مع الخوارج وما ولّده من جدل:

إن المواجهة بين علي عليه السلام والخوارج تكمن في اختلاف وجهتي نظرهما من عدة نواح فكرية تضمنتها صحيفة التحكيم بعد إقرارها، ويمكن تبيان ذلك الخلاف من خلال نقاط ثلاث هي:

١ ـ مفهوم تحكيم القرآن كما نصت عليه الصحيفة: فقد تأول الخوارج ما جاء في صحيفة التحكيم بشأن رجوع الحكمين إلى القرآن فيما اختلف طرفا النزاع فيه، على أنه تطاول على القرآن، بقبول علي عليه السلام

---

(١) راجع السابق ص٥١٣ وما بعدها.

(٢) الإسراء / ٣٤.

تحكيم الرجال فيه والوصاية عليه[١]. وهو تأويل ينم عن قصور في نظرتهم الفكرية تجاه استنباط الأحكام من القرآن الكريم. وقد حاول عليعليه السلام أن ينبههم لذلك بقوله «إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ، وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ، وَهٰذَا الْقُرْآنُ هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، وَلا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ، وَلا بُدَّ لَهُ مِنْ تُرْجُمَانٍ، وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ... وَقَدْ قَالَ الله سُبْحَانَهُ ﴿فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، وَرَدُّهُ إِلَى الرَّسُول أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ»[٢].

فصحيفة التحكيم لم توكل للحكمين الوصاية على كتاب الله، بل جعلتهما ناطقين فيما اختلف الفريقان عليه، ممّا يعني الخطأ في فهمهم لمقولة «لا حكم إلاّ لله» لأن الله سبحانه قد أمضى حكم المخلوقين في الكثير من الشرائع باستنباط الأحكام ممّا نص القرآن عليه.

٢ ـ إسقاط عليعليه السلام حقّه في الخلافة بتخليه عن لقب أمير المؤمنين في الصحيفة: ويرى عليعليه السلام أن موافقته على محو اللقب من تلك الوثيقة لا يغيّر من واقع كونه الخليفة الشرعي وهو بعمله ذاك إنّما أخذ بسابقة حدثت للرسولصلى الله عليه وآله من قبل، فقد وافقصلى الله عليه وآله على محو لقب (رسول اللهصلى الله عليه وآله من صحيفة صلح الحديبية، نزولاً عند رغبة الكفار، ممّا يعني ضمنا اعتبار عليعليه السلام بني أمية في عداد المنافقين الذين أظهروا الإسلام وأسروا الكفر، مثلهم مثل الكفار الذين كتب الرسولصلى الله عليه وآله معهم صحيفة صلح الحديبية[٣].

---

(١) راجع بذلك الشأن: الدينوري: الأخبار الطوال ص١٩٦، ١٩٧.

(٢) خطب ١٢٥. والآية من سورة النساء/ ٥٩.

(٣) راجع محو النبيصلى الله عليه وآله اسمه من صحيفة الحديبية، نزولا عند رغبة قريش وقوله لعلي (لتبتلين بمثلها). ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ٢/ ١٣٨، ثم راجع موقف عليعليه السلام=

٣ ـ موافقة عليعليه السلام على شرط الهدنة التي نصت الصحيفة عليها:
فقد نعى الخوارج على عليعليه السلام التزامه بفترة الهدنة التي نصت الصحيفة عليها ـ ممّا يعني من وجهة نظرهم ـ تساهله في طلب الحق، وقد بيّن لهم، أن سبب قبوله فترة الهدنة تلك، لا يعني تراخيه وفتوره عن مطالبة الحق، لكنه يعني إفساح المجال للطرف المقابل في التفكير «لِيَتَبَيَّنَ الجَاهِلُ وَيَتَثَبَّتَ العَالِمُ، وَلَعَلَّ الله أَنْ يُصْلِحَ فِي هَذِهِ الهُدْنَةِ أَمْرَ هذهِ الأُمَّةِ، وَلا تُؤخَذُ بِأَكْظَامِهَا فَتَعْجَلُ عَنْ تَبَيُّنِ الحَقِّ»[١].

ولكن إسقاط الحكمين رغبتهما الذاتية في فحوى التحكيم، بعد فترة الهدنة أدى إلى توسيع هوّة الخلاف بابتعادهما عن مناقشة جوهر الخلاف الكامن فيما نصت عليه الوثيقة من شرط فحواه، جعل القرآن حكماً في ما اختلف الطرفان فيه. فكلا الحكمين قد جاء إلى مكان التحكيم حاملاً خلفيات مسبقة، لا تمت لقضية الخلاف بصلة. فوثيقة التحكيم لم تنص إطلاقا على مناقشة تغيير الخليفة، أو استحقاق الخلافة، ثم أنها لا تخوّل الحكمين حق التثبيت والخلع، فأهل الشام كانوا قد بايعوا معاوية على الأخذ بالثأر من قتلة عثمان[٢]، وكان ذلك مطلبهم حتى اليوم الذي توقف القتال فيه، ممّا يعني أن الخلاف الذي يجب أن يعرضه الحكمان على كتاب الله هو الحكم في (مقتل عثمان)، أما رغبة أبي موسى الأشعري في

= من كتابة وثيقة التحكيم، والجدل الذي دار بينه وبين عمرو بن العاص حين وافق على محو إمرة المؤمنين من اسمه. صفين ٥٠٨، الأخبار الطوال ص١٩٤، شرح ابن أبي الحديد ٢/ ٥٣٢.

(١) خطب ١٢٥. والأكظام جمع كظم: مخرج النفس، والأخذ بالأكظام: المضايقة.

(٢) راجع ابن مزاحم ـ صفين ص٣٢، ٥٤١ وما بعدها.

إحياء سيرة عمر بن الخطاب[١]، ورغبة عمرو بن العاص في تثبيت معاوية خليفة[٢]، فذلك ـ من وجهة نظر علي عليه السلام ـ خروج عن روح الصحيفة، ونبذ لكتاب الله بتحكيم الرغبات والأهواء[٣] لذلك فليس ثمة خدعة فيما صدر عن الحكمين من حكم، فقد تكون الخديعة في توقيت إيقاف الحرب المفاجئ، وفي ترشيح أبي موسى الأشعري ممثلاً عن أهل العراق، وقد حاول علي عليه السلام تلافي كل ذلك في إبانه، إلاّ أن نتيجة التحكيم لم تكن مفاجئة بالنسبة لعلي عليه السلام ولأصحابه المخلصين لعلمهم بدخيلة كلا الحكمين.

لقد أحدثت نتيجة التحكيم شرخاً عميقاً في صفوف رجال علي عليه السلام، إلاّ أنها لم تغيّر من موقفه الصلب تجاه معاوية في معاودة الكرة لإزالته ومن شايعه من القرشيين، لذلك فقد بذل كل ما في وسعه من جهد لإقناع الخوارج بالعودة إلى الجماعة، محاولاً توضيح ما وقعوا فيه من لبس بخلطهم بين مفهومي الحكومة والتحكيم. وجرّه ذلك إلى الدخول معهم في صراع فكري ثري وعميق، اتخذ مسارب متعددة يمكننا من خلالها استكناه فكره في محاربته لأهل الملّة[٤]، وحقيقة الكفر والإيمان ومعنى التوبة[٥]. ويبدو أن تلك المناظرات الفكرية قد بلغت من الإتساع الحدّ الذي أدّى بالخوارج إلى اللجوء إلى تأويل آيات القرآن الكريم بما يتناسب

---

(١)، (٢) المصدر السابق.

(٣) راجع خطب ١٢٥.

(٤)، (٥) راجع المناظرات التي دارت بين الخوارج وعلي عليه السلام عند: السكوني: عيون المناظرات ص١٦٩، ١٨٠، ١٨١.

وميولهم الفكرية، ممّا حدا بعلي عليه السلام إلى أن يوصي ابن عباس أثناء مناظرته مع الخوارج أن يعتمد على السنة دون القرآن بقوله «لاَ تُخَاصِمْهُمْ بِالقُرآنِ، فَإِنّ القُرْآنَ حَمّالٌ، ذُو وُجُوهٍ، تَقُولُ وَيَقُولُونَ. . . ، وَلَكِنْ حَاجَجْهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا مِنْهَا مَحِيْصًا»[(١)]، وكاد ذلك الجدل أن يؤتى ثماره، حين عاد الخارجون عن الجماعة إلى صفوف أصحاب علي عليه السلام بعد أن أقنعهم بالإستغفار والتوبة[(٢)].

موقف الأشعث بن قيس من عودة الخوارج:

لم تكن عودة الخوارج وانتظام أمر علي عليه السلام في صالح الأشعث ومن شايعه من أصحاب المصالح الخاصة الذين يعملون لمعاوية في الخفاء. لذلك فما أن سمع الأشعث بنبأ عودتهم حتى أخذ يلح على علي عليه السلام، كي يجعله يفصح عن موقفه الذي حاول تعميته سياسة منه لاستمالة الخوارج، ممّا جعله في نهاية المطاف يصرّح بما أضمره[(٣)]، ويعترف بتمسكه بكل شروط وثيقة التحكيم، وأنه لن يعدل عنها، ولن يعاود

---

(١) رسائل ـ ٧٧.

(٢) يقول ابن أبي الحديد ٢/ ٢٨٠: حاول علي عليه السلام أن يسلك مع الخوارج مسلك التعريض والمواربة من ذلك أنهم قالوا له: تبّ إلى الله ممّا فعلت، كما تبنا ننهض معك إلى حرب أهل الشام فقال لهم كلمة مجملة مرسلة، يقولها الأنبياء والمعصومون وهي قوله: أستغفر الله من كل ذنب، فلم يتركه الأشعث، وجاء إليه مستفسراً وكاشفاً، وهاتكاً ستر التورية. . . ولم يستفسره عنها إلاّ بحضور من لا يمكنه أن يجعلها معه هدنة على دخن. . . وألجأه بتضييق الخناق عليه، أن يكشف ما في نفسه، فانتقض ما دبّره وعادت الخوارج إلى شبهتها الأولى.

(٣) أنظر الهامش السابق.

محاربة معاوية، إلاّ بعد انقضاء الهدنة وظهور نتيجة التحكيم، فكان لذلك العمل المتعمد من الأشعث أثره في انسلاخ الخوارج عن جماعة علي عليه السلام مرة ثانية، فاستجد الجدل بينه وبينهم، وتمكن من إقناع الكثير منهم بالعودة[١]، ولكن بقي عدد منهم لا يستهان به على موقفهم المتصلب من سياسته، ممّا حتّم المواجهة الدامية معهم.

المواجهة الدامية وأسبابها:

لما يئس علي عليه السلام من إقناع البقية الباقية من الخوارج، تركهم وما هم عليه، متجنباً الدخول معهم في أية حرب، فأجرى لهم الأرزاق مثلهم مثل غيرهم من المسلمين الداخلين في طاعته، شريطة إلاّ يثيروا أية مشاكل[٢]، وكان غرضه تحييدهم، حتى يتسنى له التفرغ إلى معاوية مصدر الخطر الرئيسي على دولة الإسلام. لكن إصرارهم على المكابرة وتماديهم في العصيان والتأليب، ومقاطعته أثناء صلاته[٣]، ووصمهم إياه بالكفر في ملأ المسلمين[٤]، جعله ينذرهم مصوّراً لهم ما سيؤولون إليه، إن هم لم

---

(١) بشأن جدل علي عليه السلام مع الخوارج الذي على أثره اقتنع بعضهم بالعودة إلى صفوفه راجع: ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢/ ٢٥١، ٢٥٢.

(٢) بشأن إجراء أرزاق الخوارج، راجع قول علي عليه السلام عند البلاذري: أنساب الأشراف ٢/ ٣٥٩. وجاء عند المبرد: الكامل ٣/ ١١ قول علي عليه السلام بشأن الخوارج «لا أقاتلهم حتى يقاتلونني».

(٣) حول مقاطعته في صلاته راجع ابن أبي الحديد ٢/ ٢٦٨ و٣١١، أما بشأن اتهامه بالكفر، راجع استنكاره عليهم ذلك في خطب ٥٧، وتعقيب الخارجي على حديث علي عليه السلام في حكم ٤٢٨. وبشأن تحذيره لهم راجع خطب ٣٦.

(٤) انظر الهامش السابق.

يرتدعوا[١]، لكنه في النهاية لم يجد بدّاً من الدخول معهم في معركة كادت تستأصلهم[٢]، بعد أن أحدثوا أحداثاً تأوّلوها لا يمكن السكوت عنها[٣].

موقف علي عليه السلام من الخوارج بعد فراغه من محاربتهم:

إن محاربة علي عليه السلام الخوارج وانتصاره عليهم، لم يسلبهم حقوقهم الشرعية كمسلمين من وجهة نظره، لذلك فقد أوصى بعدم محاربتهم من بعده، في الوقت الذي كان يحض فيه على مقاومة الأمويين، فقوله «لاَ تُقَاتِلُوا الخَوَارِجَ بَعْدِي، فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الحَقَّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ البَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ»[٤]، هو من قبيل المقارنة بين موقفه من الخوارج الذين «لم يطلبوا الباطل بكونه باطلاً، بل طلبوا الحق بالذات، فوقعوا بالباطل، ومن لم يكن غرضه إلاّ الحق لم يجز قتله»[٥]، وبين معاوية المشار إليه في المقولة (بمن طلب الباطل فأدركه).

موقف علي عليه السلام من مناوئيه عامة:

اتخذت سياسة علي عليه السلام من مناوئيه موقفين مختلفين، فقد اعتبر محاربته لأصحاب الجمل ولأهل الشام من الفئة القرشية من قبيل إزاحة

---

(١) المصدر السابق.

(٢) كان ذلك في معركة النهروان سنة سبع وثلاثين هجرية. راجع تاريخ الطبري ٥/ ٨٤ وما بعدها.

(٣) راجع مثلاً تأولهم قتل عبدالله بن خباب، وقتلهم الخنزير: أنساب الأشراف ٢/ ٣٦٧ وما بعدها.

(٤) خطب ٦٠.

(٥) ميثم البحراني: شرح النهج ٢/ ١٥٥.

الباطل وإحقاق الحق بالعودة بتعاليم الإسلام إلى أصالتها التي كانت على عهد الرسول ﷺ.

أما محاربته لمناوئيه من الخوارج، فلقد كانت من أجل تطهير صفوفه وتوحيد جبهته الداخلية للتفرغ للعودة لأهل الشام. وهو وإن استطاع أن يحسم قضيته مع الخوارج جزئيا، إلاّ أنه لم يتمكن من الوصول إلى غايته من مواجهته لقريش، التي كانت إرادتها أن تكوّن جبهة واحدة تتصدى لكل من يعرّض مصالحها الذاتية للخطر كائناً من كان.

رابعاً ـ إرادة قريش[1] كما تبدو في فكر علي عليه السلام:

على الرغم من صعوبة الحياة، وجفاف الأرض وقلة المطر في أرض

---

(١) قريش: قبيلة عربية عظيمة تتكون من تحالف عدة بطون ينتمون لأب واحد ـ على ما ذهب إليه جمهور النسابين ـ أما ما قيل في تسميتهم بقريش يمكن الرجوع إليه في المظان الأصلية وتنقسم القبيلة إلى قسمين عظيمين: قريش البطاح وهم الذين ينزلون الشعب بين أخشبي مكة وقريش الظواهر وهم الذين ينزلون خارج الشعب. ويرجع الفضل في إعزاز جانب قريش إلى قصي بن كلاب، فهو الذي جمعهم من متفرقات مواطنهم من شبه جزيرة العرب، واستعان بمن أطاعه من إحياء العرب على حرب خزاعة التي كانت تهيمن على البيت العتيق، فطردهم عنه وتولاه وترأس على قومه بعد دماء غزيرة بينهم وبين خزاعة التي أقرت لهم بالسيادة على مكة في نهاية الأمر. ولما كانت قريش سكان الحرم وحماته، ولم يكن لهم زرع ولا ضرع فقد كانوا يميرون في الشتاء والصيف آمنين والناس يتخطفون من حولهم، فلا يتعرض الناس لهم، وبذلك اشتهرت قريش بالتجارة، حتى قيل أنها سميت بقريش اشتقاقا من القرش أي الاكتساب، وقد اكتسبت قريش مكانتها بين العرب في الجاهلية لكونها محط البيت مجمع آلهتهم ومحط أسواقهم التجارية والأدبية، ثم أنها اكتسبت مكانتها في الإسلام لكونها القبيلة التي ولد النبي ﷺ فيها ـ راجع: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن =

الحجاز، فلقد تمكن القرشيون من تكوين مجتمع مستقر حول بيت الله الذي كانت العرب تؤمه من كل حدب وصوب وبفضل ذلك الإستقرار وقدسية الأرض تبوأت الحجاز مكانة ستراتيجية هامة، إذ أصبحت همزة وصل لأهم طرق التجارة الصحراوية بين الشام واليمن والحبشة وفارس، فانتعشت الحياة في مكة، فقد أفادها الإستقرار في نمو تجارتها الخاصة المعتمدة على أسواقها الموسمية[١] التي يحضرها العرب لشراء ما يحتاجونه ومقايضة سلعهم بسلع أخرى، بالإضافة إلى عرضهم على قريش ما جادت به قرائحهم من أشعار، والتحاكم إليها وإلى قبائل العرب الأخرى بشأنها[٢]. ولأهمية التجارة في حياة قريش، فقد عقدت اتفاقيات سلام مع كل الممالك والإمبراطوريات المجاورة، «فكان هاشم يؤلف ملك الروم، أي يأخذ منه حبلاً وعهداً يأمن به تجارته إلى الشام، وأخوه عبد شمس كان يؤلف إلى الحبشة، والمطلب إلى اليمن ونوفل إلى فارس»[٣] فتدفقت بسبب ذلك الثروات على الحجاز ممّا جعل قريش في بحبوحة من العيش والرخاء، فتولد عن ذلك التفاوت في طبقات المجتمع، فانقسم «في القرن السادس للمسيح إلى ثلاث فئات: الأولى قريش ولها كل الحقوق، والثانية حلفاء قريش وهم أناس من العرب، والثالثة العبيد الذين لا يملكون شيئا

= ٢٠/ ٢٠٢ وما بعدها، القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص٣٦٤ وما بعدها، عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب ٣/ ٩٤٧ وما بعدها.

(١) حول تعامل قريش وأسواقها، راجع: كحالة: معجم قبائل العرب ٣/ ٩٤٩.

(٢) من ذلك قول ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١/ ١٠١ «كان النابغة يضرب له قبة حمراء من آدم بسوق عكاظ، فتأته الشعراء فتعرض عليه أشعارها».

(٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٠٤.

حتى أنفسهم»[١]. وعادة ما يؤدي مثل ذلك الإنتعاش الإقتصادي إلى الميل إلى الإستقرار والدعة وتجنب التغيير، كما أن الميل إلى المادة والتمرس بأعمال التجارة يتعارض والتقلبات الإجتماعية. لذلك رفض القرشيون الإسلام رفضاً قاطعاً، وقاوموه بضراوة، وتتبعوا مؤيديه والمؤمنين به بالتعذيب والقتل والسجن والتشريد، كل ذلك في سبيل إبقاء المجتمع المكي مستقراً في حياته الرتيبة التي ورثها الأبناء عن الآباء أجيالاً متعاقبة، خاصة أن عقلياتهم التجارية التي تضع المادة نصب العين كانت ترى في الرسالة زعزعة للاستقرار وتغييراً في التركيبة الإجتماعية تفقدهم مكانتهم التي تبوأتها كعقيدة دينية سمحة من أهم مبادئه المساواة بين الناس بمحو التفاضل والتفاخر وإزالة التفاوتات الإجتماعية بالإتجاه نحو عبادة إله واحد، هو رب لكل البشر، ممّا يعني أن رعايتهم لما في الكعبة من أصنام سيزول، وستزول معه وصايتهم على أديان العرب، لذلك وقفت في وجه الإسلام جبهة متحدة، وقاومته بالمال والحرب مقاومة شعواء، منذ بزوغ نوره، ولم تسلّم بالأمر الواقع إلاّ بعد أن رأت جيوش الإسلام قد أحاطت بشعاب مكة، فكان دخولها الإسلام رهبة لا رغبة، فخمدت العصبية القرشية وبقيت جذوتها في النفوس متقدة نقمة على الهاشميين، وبالأخص النبي صلى الله عليه وآله وآل بيته متحينة الفرصة ولو بعد حين.

لقد خسرت قريش الكثير في مواجهتها المباشرة للنبي صلى الله عليه وآله، ففقدت الكثير من أبطالها، ومن ثم مكانتها كمركز استقطاب للقبائل العربية، ورضخت في نهاية الأمر مرغمة لإدارة الله. فأكسبتها تلك الحوادث الأليمة تجارب قيّمة، فلم ترتد عن الإسلام حين ارتدت الكثير من قبائل العرب[٢]، ثم أنها دعّمت أبا بكر وساندت تثبيت خلافته حين وجدت

---

(١) مغنية: التفسير الكاشف ٧/ ٦١٢. (٢) راجع: ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/ ٢٢٠.

مصلحتها تقتضي ذلك[١]، وتعاونت مع عمر بن الخطاب بحذر شديد وفي حدود مصلحتها فلما أحست بخطره على طموحاتها، وتأكد لها أنه سيجعلها أسوة بغيرها[٢]، دبّرت اغتياله ـ فيما نعتقد ـ بيد غريبة، وهي بمنأى عن الاتهام[٣]، ثم تعاونت مع عثمان وأظهرت له الود والإخلاص حين سمح لها بما لم يسمح به عمر من الإنسياح في الأمصار الإسلامية

---

(١) بشأن موقف قريش من بيعة أبي بكر ومعاضدتها خلافته، راجع: ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ١/ ١١ وما بعدها.

(٢) جاء عند الطبري في تاريخه ٤/ ٣٩٧ أن عمر «لم يمت(ر) حتى ملّته قريش»، وروى اليعقوبي في تاريخه ٢/ ١٥٤ قول عمر في آخر سنة من خلافته «إن عشتُ هذه السنة ساويت بين الناس، فلم أفضّل أحمر على أسود، ولا عربياً على عجمي وصنعتُ كما صنع رسول الله ﷺ وأبو بكر.

(٣) إن اغتيال عمر بن الخطاب على يد أبي لؤلؤة، ذلك العبد الذي قيل عنه أنه ربما كان مجوساً أو مسيحيا، وتحت سمع المسلمين وبصرهم في مسجد رسول الله ﷺ لمن الأمور التي تبعث على الشك، وتطرح الكثير من التساؤلات، إذ كيف تسنى لذلك العبد أن يقدم على الدخول إلى المسجد دون أن يلفت إليه الأنظار، في وقت يقتضي تواجد جل المسلمين فيه، ثم أن الحوار الذي دار بين الخليفة والعبد لا يشكل دافعاً لقيام العبد بذلك العمل الجريء، إضافة إلى ذلك فإننا نستبعد أن يكون الاغتيال بدافع الشعوبية، لأن القاتل لم يكن في مستوى النضج الفكري بحيث يشكل عنده الدافع القومي هاجساً ينزع به إلى القتل، أضف إلى ذلك أن المصادر التاريخية لم تحدثنا أن القاتل مصاب بلوثة أدت به إلى الأقدام على ذلك، ممّا يجعلنا نعتقد أن قريشاً هي التي دبّرت مقتل الخليفة؛ فأغرت به ذلك العبد وهيأت له الظروف المناسبة بطريقة محكمة وذكية، لأنها أحست بتهديد الخليفة لمصالحها المادية بالعودة بنظام توزيع الأموال كما كان عليه في عهد الرسول وأبي بكر ـ بشأن موقف عمر من قريش في آخر حياته ـ راجع تاريخ الطبري السابق، أمّا بشأن اغتيال الخليفة فراجع أحداث السنة الثالثة والعشرين هجرية في جميع المصادر التاريخية.

واقتناء الضياع وامتلاك العبيد، وجمع الثروات، وبناء الدور الفخمة[١]، ولكن تفضيله فئة قرشية على أخرى جعله موضع سخط الفئة المفضولة[٢]، وتربص الفئة المفضلة[٣] التي لا تهمها سوى امتيازاتها، فاتحدت الفئتان في الأهداف، فكانت النتيجة اغتيال الخليفة الثالث في منأى من اتهام قريش أيضاً. ولكنها أخطأت التقدير حين واجهت علياًعليه السلام في وقعة الجمل، ممّا جعلها تعود لمراجعة حساباتها ثانية، فتتخفى وراء سياج متين من سياسة الخداع، بالإلتواء على النص القرآني وتأويله بما يتناسب ومصلحتها، فكان لها ما أرادت في صفين، حين استطاعت أن تقف حائلاً دون عودة الصف الإسلامي إلى وحدته في كنف السياسة الدينية المتمثلة في الخلافة.

إن اغتيال الخليفة الثالث أحدث إرباكاً في صفوف القرشيين المتربصين به، فطلحة الذي كان يتهيأ للأمر لم يتمكن من التحرك السريع لاحتواء القضية، وعائشة التي كانت تبارك طموحات طلحة، كانت غائبة عن ساحة الأحداث، هذا بالإضافة إلى الوجوم والهلع الذي حلّ بالناس أثر ذلك العمل المريع، فلم يعد زمام المبادرة في المرة الرابعة بيد قريش، التي عادة ما توجه السياسة الإسلامية في المدينة حيث تريد، لذلك توجه المسلمون المتواجدون بالمدينة عن بكرة أبيهم إلى عليعليه السلام لمبايعته، الأمر الذي لم يكن يخطر ببال قريش لأن زعامتها تدرك جيّداً أنه لو وليهم

---

(١) بشأن معاملة عثمان اللينة لقريش راجع تاريخ الطبري ٤/ ٣٩٧.

(٢) راجع ص٢٤٥ وما بعدها من هذا البحث.

(٣) بشأن موقف معاوية من مقتل عثمان، راجع تاريخ الطبري ٤/ ٣٦٨، وراجع أيضاً رسائل ٣٧.

«لم تخرج من بني هاشم أبداً، وما كانت في غيرهم من قريش»[١]. وقد ترتضي قريش علياًعليه السلام أو غيره من أفراد بني هاشم خليفة، فيما لو ترك لها ما تريد، إلاّ أن زعماتها لم تنس مقولة عمر بن الخطاب لعليعليه السلام قبيل وفاته «انك أحرى القوم إن وليتها أن تقيم على الحق المبين والصراط المستقيم»[٢]، فقريش لا تريد من الحق إلاّ الذي يكون في صالحها. وذلك يتعارض تماما مع مباديء عليعليه السلام في سياسته للناس، لذا «اجتهدت قريش كلها من مبدأ الأمر في إخماد ذكره وستر فضائله»[٣].

فقريش عن بكرة أبيها لا تنكر فضل عليعليه السلام وسابقته وشجاعته وتشدده في ذات الله إلاّ أنها لا ترضى بتطبيق ذلك عليها. يقول عمرو بن العاص لمعاوية ضمن حوار دار بينهما حول تآمرهما على إفشال خلافة عليعليه السلام «أما علي فلا تسوي العرب بينك وبينه في شيء من الأشياء، وأن له في الحرب لحظا ما هو لأحد من قريش، قال معاوية: صدقت، وإنما نقاتله على ما في أيدينا، ونلزمه دم عثمان، فقال عمرو: وأن أحق الناس أن لا يذكر عثمان لا أنا ولا أنت، أما أنا فتركته عيانا وهربت إلى فلسطين، أما أنت فخذلته ومعك أهل الشام»[٤]. وفي الجانب الآخر من قريش تألبت على خلافته عائشة ومن ورائها طلحة والزبير وغيرهم من موتوري قريش من ذوي الثراء، لأنه لم يكن ليرخص لهم أن يثروا على حساب عامة

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٢٣٣.

(٢) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ١/ ٢٥.

(٣) ابن أبي الحديد ٨/ ١٨.

(٤) أنساب الأشراف ٢/ ٢٨٧.

المسلمين، خاصة بعد أن عرفوا عزمه الأكيد على ردّه كل ما اقتطعه عثمان لأهله من قطائع وأموال من بيت مال المسلمين[١]، لذا «لم يحارب علياً عليه السلام من العرب أحد إلاّ قريش ما عدا يوم النهروان»[٢]، وحتى يوم النهروان وإن لم يتقابل فيه علي عليه السلام قريشاً وجهاً لوجه، إلاّ أن من حاربهم في تلك الموقعة، قد خرجوا عليه بتدبير ومكيدة من قريش في صفين[٣]، فالخوارج نتيجة طبيعية لما دبرته قريش لعلي عليه السلام، فلقد كانت إرادتها أن تبدأ القتال مع علي عليه السلام متى تشاء وبالأسلوب التي تشاء، وتنهي القتال بالطريقة التي ترتئيها في صالحها دون مراعاة لأية قيمة إسلامية، ممّا أودى بحياة آلاف من المسلمين في صفين[٤]، كل ذلك في سبيل السلطة والمال.

لقد كانت شكوى علي عليه السلام من تألب قريش عليه وعلى حكومته ممضة ومؤلمة، فهي قد أضمرت لرسول الله صلى الله عليه وآله «ضُرُوبًا مِنَ الشَّرِّ وَالغَدْرِ»[٥]، فلما لم تتمكن من إصابته بشر ودخلت الإسلام مرغمة، صبت جام حقدها على آل بيته في الوقت الذي كانت تتخذ من اسمه صلى الله عليه وآله «ذَرِيعَةً إلى الرِّيَاسَةِ، وَسِلْمًا إلى العِزِّ والإمرة»[٦]، ولولا حصولهم على تلك الإمتيازات لما «عَبَدُوا الله بَعْدَ مَوْتِهِ يَوْمًا وَاحِدًا وَلاَرْتَدَّتْ فِي

---

(١) راجع خطبة ١٥.

(٢) ابن أبي الحديد ١٠/ ٢٢١.

(٣) راجع ص٢٩١ وما بعدها من هذا البحث.

(٤) انفضت وقعة صفين عن سبعين ألف قتيل، خمسين ألفاً من أهل الشام، وعشرين ألفاً من أهل العراق ـ العقد الفريد ٤/ ٣٤٣.

(٥)،(٦) ابن أبي الحديد ٢٠/ ٢٩٨.

حَاضِرَتِهَا»[١]. فمباهاة قريش بالإنتماء إلى النبي وتصريحهم بحبه في الملأ، ما هو ـ في رأي علي ـ إلاّ طلاء خارجي ليحققوا الثراء في الوقت الذي يطؤون فيه رقاب آل بيته ويحاولون إخماد ذكرهم[٢].

لذلك كان إصرار عليعليه السلام على مواجهتهم والحدّ من أطماعهم ووضعهم في المنزلة التي أرادها الإسلام لهم، فقريش الأمس ـ من وجهة نظر عليعليه السلام ـ هي قريش اليوم، لم تتغير إلاّ من حيث المظهر الخارجي، فالحمية الجاهلية مازالت مستكنة في نفوسهم لم يهذبها الإسلام، يقول لأخيه عقيل الذي أخبره بتسلل القرشيين من المدينة إلى معاوية تهافتاً على المادة «قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي كَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ قَبْلِي»[٣]، إذ يفهم من القول السابق أن علياًعليه السلام يرى المبرر قوياً لقتال قريش، غير آبه بما يقال فيهم، وما يدعونه لأنفسهم من قرابة وصحبة، لا تخولهم امتلاك رقاب الناس، فإذا ما أرادوا فرض إرادتهم بالقوة، فإن القوة هي العلاج للحدّ من غلوائهم، يقول في إحدى خطبة عند خروجه لملاقاة أصحاب الجمل «مَالِي وَلِقُرَيْشٍ، والله لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِيْنَ، وَلأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِيْنَ»[٤].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أثر عن عليعليه السلام قوله ضمن المأثورات التي جمعها ابن أبي الحديد ٢٠/ ٣٠٨ «مالنا ولقريش يخضمون الدنيا باسمنا ويطأون على رقابنا، فيا لله وللعجب، من اسم جليل لمسمى ذليل».

(٣) رسائل ـ ٣٥.

(٤) خطب ـ ٣٣.

فقتاله لهم هو من أجل «استقامتهم على الدين ورجوعهم إلى الحق، عند الضلال»[١]. فقريش كما يراها عليعليه السلام تقيس الحق بما يتلاءم ومصلحة أبنائها، لذلك حالت بينه وبين حقه محاولة إكراهه على النزول عند رغبتها بتصرفها في حقه في الخلافة كما تشاء، كما في قوله «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِدِيكَ بِكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُم، فإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْرًا هُوَ لِي، ثُمَّ قَالُوا إنَّ فِي الحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ»[٢]. ويجدر بنا أن نقف عند مفهوم الحق في هذا الموضوع الذي يرمي عليعليه السلام إليه، فابن أبي الحديد يخرج معنى الحق في المقولة على تأويل معنى الأفضلية لأن «جملة الإستحقاق بالنص تكفير أو تفسيق لوجوه المهاجرين والأنصار»[٣]. لكن الذي نفهمه نحن من القول بأن الحق في السياق يعني الخصوصية التي لا يمكن تأويلها على أساس الأفضلية لأنه لو كان يقصد الأفضلية لذاتها لقال: أنا أفضلهم أو أنا أقربهم، أو أنا أحقهم بالأفضلية ممّا يعني أن الحق مطلقا دون الإضافة ـ كما نفهمه ـ يعني الإختصاص بالإمرة دون غيره بدلالة قوله في السياق «أَجْمَعُوا مُنَازَعَتِي أَمْرًا هُوَ لِيْ»لما فيه من توكيد الأحقية التي لا تحتاج إلى تأويل، فالقضية هنا لا يمكن إجراؤها كما يرى ابن أبي الحديد «مجرى الآيات المتشابهات التي لا يعمل بها أبداً»[٤]، لأن «المتشابه من القرآن: ما

---

(١) شرح ميثم ٢/ ٧٥.

(٢) خطب ١٧٣، فقرة ٢. ويذكر ابن أبي الحديد باسناده أن مثل هذه العبارة قد تكررت من علي مرات عديدة.

(٣) ابن أبي الحديد ـ ٩/ ٣٠٧.

(٤) السابق ٩/ ٣٠٧.

أشكل تفسيره لمشابهته بغيره، أما من حيث اللفظ أو من حيث المعنى»[١]، ومقولة عليعليه السلام واضحة وجلية من ناحيتي الألفاظ والمعاني، خاصة أن علياًعليه السلام قد اتبع مقولته لمفهوم الحق عند قريش بالتصرف فيه «كما تشاء، بالأخذ والترك. . . وهذه شكاية ظاهرة لا تأويل فيها»[٢]. إلاّ أن علياًعليه السلام ـ كما يبدو في النهج ـ لم يكن يحمل لقريش أية ضغينة أو حقد لأن أخلاقه الإسلامية تسمو بروحه العالية عن ذلك، وهو الداعي إلى الحب بتؤدة والبغض بتؤدة أيضاً في قوله «أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يِوْمًا مَا»[٣]. فعلى الرغم من مواقف قريش العدائية تجاهه وتجاه حكومته، واستماتتهم في إفشال أمره، لم يحاربهم إلاّ مضطراً، بعد أن نفذت جميع أسلحة التفاهم معهم[٤]، يقول متألما لمصارعهم حين نظر إلى قتلاهم في موقعة الجمل «واللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٍ قَتْلَى تَحْتَ بُطُونِ الكَوَاكِبِ»[٥].

فمن مأثورات عليعليه السلام يمكن الإستنتاج أن المواجهة بينه وبين قريش قد ابتدأت منذ اليوم الذي انتقل فيه الرسولصلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى واستمرت حتى بلغت ذروتها إبان خلافته، حين حاول التصدي لها والحدّ من طموحاتها، لكنه لم يفلح في مساعيه، لأنها استطاعت أن تخلق له

---

(١) الراغب الأصفهاني ـ المفردات في غريب القرآن ص٣٧٣.

(٢) شرح ميثم ـ ٣/ ٣٣١.

(٣) حكم ـ ٢٧٦.

(٤) راجع ص٢٦٣ وما بعدها من هذا البحث.

(٥) خطب ٢١٧.

المشاكل ما حال بينه وبين تنفيذ سياسته ومن ثم التدبير لاغتياله بيد أحد ممّن خرجوا عليه من أصحابه، بعد أن أفلحت في تدبير قضية التحكيم تلك المأساة التاريخية الفظيعة، ممّا يعني أن قريشاً لا يمكنها أن تحقق إرادتها بالمواجهة المباشرة، لذلك كانت كثيراً ما تلجأ ـ للوصول إلى مأربها ـ بوضع يد غيرها في النار، ثم تقف متفرّجة لتقطف ثمرة غيرها، إلاّ أن الظروف المعقدة التي اختلقتها قريش لتعطيل أفكار علي عليه السلام السياسية لم تحل بينه وبين جهاده المستميت لتحقيق تلك السياسة.

الفصل الثالث

مؤسسات الدولة وسياستها الإدارية في فكر علي بن أبي طالب عليه السلام

بين الدولة والحكومة والسياسة

قد يتبادر إلى الأذهان ونحن نقرأ في (نهج البلاغة) بأن المفاهيم: دولة وحكومة وسياسة، تعني في مجملها معنى واحداً، لذلك لابدّ لنا من الوقوف عند كل مفهوم من المفاهيم الثلاثة على حدة.

أ ـ الدولة:

تمكن النبي صلى الله عليه وآله سنة ٦٢٢ ميلادية من وضع أسس الدولة الإسلامية، في مجتمع متجانس، أساس المواطنة فيه المؤاخاة بين أفراده، فالرسول صلى الله عليه وآله وإن لم يؤثر عنه أي تعريف لمفهوم الدولة، إلاّ أنه بالإمكان استنتاج مثل ذلك من الخطوات العملية التي باشرها بحيث نستطيع القول بأن دولة الرسول صلى الله عليه وآله قد خلقت مجتمعاً قوياً تمكن من نشر الإسلام في فترة قصيرة جدّاً بفضل التجانس البشري الكامن في أخوة الإسلام

والإخلاص الصادق الذي انبنت عليه تلك الأخوة، ولكن ذلك التجانس قد بدا في التداعي جرّاء الثروات المتدفقة بغزارة على ذلك المجتمع بعد الفتوحات الإسلامية العظيمة، فأخذت الطبقية في التبلور. ولم تكن مقولة عمر بن الخطاب، بعد أن عرضت عليه غنائم فارس، وفيها من أطايب الأطعمة التي لم يخبرها العرب من قبل «يا معشر المهاجرين والأنصار ليقتلن منكم الإبن أباه والأخ أخاه على هذا الطعام»[١]، إلاّ إحساس صادق بقرب ذلك. فقد تسلم عليعليه السلام مقاليد الدولة الإسلامية، وهي في طريق الإنهيار لافتقاد المسلمين روح المؤاخاة، أساس المواطنة الإسلامية ويرجع سبب ذلك إلى الإتجاه المادي البحت، ونجوم النعرة القبلية ثانية بعد أن خمدت وكادت جذوتها تنطفئ.

تسلم عليعليه السلام مقاليد الدولة الإسلامية في السنة الخامسة والثلاثين هجرية، بعد تفكر عميق، وأخذ وردّ[٢]، لإحساسه بثقل مسؤولية إعادة بناء النسيج الداخلي من جديد، لأن التصور الواضح للدولة في فكر عليعليه السلام ـ طبقا لنصوص النهج ـ هو الرجوع بالمواطنة داخل المجتمع الإسلامي إلى النهج الذي اختطه الرسولﷺ. فلقد دخل عليعليه السلام الكوفة سنة ست وثلاثين هجرية وهي مقسمة إلى أسباع، بحسب الإنتماء القبلي، والرابطة الإقليمية التي اختطها سعد بن أبي وقاص في السنة السابعة عشرة هجرية، حين باشر بتمصيرها[٣]، هذا بالإضافة إلى غير العرب من

---

(١) المحب الطبري: الرياض النضرة ٢/ ٣٨٦.

(٢) راجع ص٢٨٤ وما بعدها من هذا البحث.

(٣) راجع تمصير الكوفة: تاريخ الطبري ٤/ ٤٤، ٤٥، وماسنيون: خطط الكوفة ص١٠.

المسلمين وغيرهم الذين استوطنوها، ممّا يعني في طيأته افتقاد المواطنة الإسلامية داخل المجتمع الكوفي، الذي يمكن اعتباره صورة مصغرة للمجتمع الإسلامي. فالتكتل الطبقي بين سكانها أعاد المؤاخاة الإسلامية فيها إلى ولاء قبلي، بالإمتثال للزعامة القبلية ولرؤساء العشائر، فكان على علي عليه السلام إذا ما أراد للدولة أن تستمر كما أراد الرسول ﷺ لها والإسلام أن ينتشر، أن يقوم بإعادة بناء هيكل المواطنة المثالي بمجانسة أفراد المجتمع المتنافر عن طريق إعادة الأخوة الإسلامية إلى النفوس، وفك الهيمنة القبلية بتحويل الولاء للدولة، فهو في نفس الوقت الذي اضطر فيه إلى التعامل مع الزعامة القبلية بما يتماشى وروح الإسلام، قد بذل جهداً كبيراً في التنبيه للخطر الذي تشكله تلك الزعامات، والتحذير من مغبة الإمتثال لها، لما في ذلك من هدم للمثل والقيم الإنسانية، من ذلك قوله «أَلاَ فَالحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ الَّذِيْنَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وَأَلْقَوُا الهِجْنَةَ عَلى رَبِّهِمْ... فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ العَصَبِيَّةِ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الفِتْنَةِ، وَسُيُوفُ اعْتِزَاءِ الجَاهِلِيَّةِ... لاَ تُطِيْعُوا الأَدْعِيَاءَ الَّذِين شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ»[1]. فالدولة في فكر علي عليه السلام يجب أن تقوم على التجانس الإنساني داخل المجتمع، بصهر الطبقات في بوتقة المساواة، وإذابة فوارق الجنس، والتعصب للأخلاق الحميدة وهو ما يمكن أن نلمسه ضمن قوله لأبناء مجتمع الكوفة «فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الخِصَالِ، وَمَحَامِدِ الأَفْعَالِ، ومَحَاسِنِ الأُمُورِ التي تَفَاضَلَتْ فِيْهَا المُجَدَاءُ والنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ العَرَبِ،

---

(١) خطب ٢٤٠، فقرة ٨.

وَيَعَاسِيبِ القَبَائِلَ، بَالأَخْلاَقِ الرَّغِيبَةِ وَالأَحْلاَمِ العَظِيْمَةِ. وَالأَخْطَارِ الجَلِيْلَةِ وَالآثَارِ المَحْمُودَةِ، تَعَصَّبُوا لِخِلاَلِ الحَمْدِ مِنْ الحَقِّ لِلْجِوَارِ، وَالوَفَاءِ بِالذِّمَامِ، وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ، وَالمَعْصِيَةِ لِلْكِبَرِ، وَالأَخْذِ بِالفَضْلِ، وَالكَفِّ عَنِ البَغْيِ وَالإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ، وَالإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ، وَالكَظْمِ لِلْغَيْظِ، وَاجْتِنَابِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ»[١]، فمن تلاحق العبارات وتتابع الجمل، بعطف بعضها على بعض، نحسّ أن علياً عليه السلام قد كان مشحوناً غيظاً بسبب ما آلت إليه بنية المجتمع من تصدع، بحيث لم يعد للحكومة أية قيمة في ظل نظام قبلي، لا يرى الدولة ولا يفهم مقوماتها إلا في حدود منظاره الضيّق المتمثل في مصلحة القبيلة، ممّا يحول دون الإنسجام بين أفراد المجتمع الواحد، والدولة «كيما تضمن لمرافقها العامة أقصى مردودها (يجب) أن تعمل على تأمين انسجامها مع الأوضاع الخاصة بالحياة المحلية وبالأدوات الإقليمية ذات المصالح المشتركة»[٢]. لذلك كانت نظرة علي عليه السلام إلى الدولة نظرة مختلفة تماماً عن نظرة زعماء القبائل. فالمجتمع الكوفي ـ بل الإسلامي بأكمله ـ لم يكن قصراً على المسلمين العرب، فهو مكوّن من خليط من أقوام غير متجانسة، منها فئات عربية ترى نفسها حاكمة لفضلها في نشر الإسلام، فمن حقها الإستئثار بكل الإمتيازات، ومنها فئات غير عربية، دخلت الإسلام فراراً من الإضطهاد، وبحثاً عن العدالة والمساواة وفي ظل التعصب العربي لم تحصل على ذلك، ثم إن الفئات العربية داخل بنيتها الإجتماعية غير متجانسة أيضاً بسبب العصبية القبلية وتفاضل بعضها

---

(١) خطب ٢٤٠، فقرة ١٦.

(٢) دوفابر ـ الدولة ٩١.

على البعض الآخر، هذا بالإضافة إلى عدم تجانسها أيضاً مع الفئات غير العربية، بسبب النظرة الإزدرائية لأولئك الأجانب، لذلك فإن الزعامات القبلية في المجتمع الكوفي ترى أن جميع إمكانات الدولة يجب أن تكون تحت تصرفها ورهن إشارتها، حتى الخليفة ـ رأس الدولة وقدوتها ـ لكونه عربياً يجب أن يكون قصراً على العرب في القيام بمصالحهم وإعطائهم دون غيرهم، على العكس من نظرة علي عليه السلام الذي يرى أن الإنتماء الإسلامي أقوى وأمتن من انتمائه العربي[1] من ذلك «أن الأشعث قال له وهو على المنبر: غلبتنا عليك هذه الحمراء، فقال علي عليه السلام: مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ هَؤُلاءِ الضَيَاطِرَةِ، يَتَخَلَّفُ أَحَدُهُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَحَشَايَاهُ كَالعِيْرِ، وَيَهْجُرُ هَؤُلاءِ لِلذِّكْرِ، أَأَطْرُدُهُمْ؟ إِنِّي إِنْ طَرَدْتُهُمْ لَمِنْ الظَالِمِيْنَ، والله لَقَدْ سَمِعْتُهُ ـ أي رسول الله صلى الله عليه وآله ـ يَقُوْلُ: والله لَيَضْرِبُنَّكُمْ عَلَى الدِّيْنِ عَوْدًا كَمَا ضَرَبْتُمُوهُمْ بَدْءًا»[2] إذ يبدو أن علياً عليه السلام يرى من منظوره الإسلامي بأن التجانس داخل الدولة لا يعني الإنتماء إلى جنس مميّز على غيره، ولهذا السبب بيّن للأشعث ولغيره من زعماء القبائل بأن احتواءه لأولئك غيْر العرب لتمسكهم بالدين بمعناه الصحيح وأسلوبه القويم، فمقياس المواطنة كما يبدو لنا في فكر علي عليه السلام هو الأخوة في الدين، يقول ردّاً على المرأة العربية التي طلبت منه أن يفضلها في عطائها على غير العربية «قَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللَّوْحَتَيْنِ، فَمَا رَأَيْتُ لِوِلْدِ إِسْمَاعِيْل عَلَى وِلْدِ إِسْحاق عليهما السلام فَضْلاً وَلاَ جَنَاحَ

---

(١) راجع حكم ٩٤.

(٢) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ١/ ٤٣٨ باب حمر، ٣/ ٨٧ باب ضطر، وابن أبي الحديد ١٩/ ١٢٤، ويعني بالحمراء: العجم والموالي، والضياطرة جمع ضيطر: الضخم الذي لا نفع فيه. والحمراء: أي الفرس، لحمرة لونهم.

بَعُوضَةٍ»[١]، إذ يمكن أن نستنتج من ذلك القول إن اندماج الأجناس في الدولة في كل متكامل، هو السياج المتين الذي يحفظ كيانها، ويوحد بين مواطنيها، ممّا يعني أن التصور السياسي لمفهوم الدولة واضح ـ على ما نعتقد ـ في فكر علي عليه السلام، وإن لم يضعه في قالب اصطلاحي، لذلك فإن مفردة (دولة)[٢] في نهج البلاغة لا تخرج في معانيها عمّا أورده القاموس اللغوي من (تحول أو نصرة أو استيلاء أو تسلط)[٣]، إلا أن المتعمق الدقيق لا يعدم الحصول على ما تعنيه المفردة بمفهومها الإصطلاحي كما في قوله «فَإذَا أَدَّتْ الرَّعِيَّةُ إلى الوَالِيَ حَقَّهُ. . . طُمِعَ فِي بَقَاءِ الدُّوَلِ»[٤]، فالدول ـ على ما نظن ـ تعني في السياق العلاقات الترابطية بين الحاكم والمحكوم داخل إطار معيّن. ولكن أكثر ما ترد مفردة دولة في السياق ـ عند علي عليه السلام ـ بمعنى التسلط والحكم، كما في قوله للأشتر حين ولاه مصر «إنِّي قَدْ وَجَهْتُكَ إلى بِلاَدٍ، قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ»[٥]، أي سُلَط وحكومات مختلفة في أحقاب متعاقبة، مع ملاحظة استخدامه لمفردة بلاد عوضاً عن إقليم أو دولة، إلا أن ذلك لا يعني التداخل بين مفهومي دولة

---

(١) البلاذري ـ أنساب الأشراف ٢/ ١٤١.

(٢) وردت مفردة دولة في النهج بصيغة المفرد والجمع في سبعة مواضع: خطب ٤ في نهايتها وخطب ١٣١ فقرة ٢ وخطب ٢١٠ فقرة ٢ ورسائل ٥٣ فقرة ٤ ورسائل ٦٩ نهاية الفقرة الأولى، ورسائل ٧٢، وحكم ٣٤٦.

(٣) راجع باب ـ دول ـ في: لسان العرب المحيط ١/ ١٠٣٤، الطريحي: مجمع البحرين ٥/ ٥٧، المعجم الوسيط ١/ ٣٠٤.

(٤) خطب ١٢٠، وقد جاء في بعض الطبعات: طمع في بقاء الدولة.

(٥) رسائل رقم ٥٣، فقرة ٤.

وحكومة في فكر عليعليه السلام ، فقد بيّنا فيما سبق مفهومه للدولة، ممّا يحتم علينا تبيان مفهوم حكومة عنده.

ب ـ الحكومة:

إذا كانت الدولة «هي البنية السياسية بمالها من عادات وتقاليد وبما تقتضيه من العلاقات بين الحكام والمحكومين»[(١)]، فإن الحكومة هي المؤسسة التي تنظم العلاقات داخل الدولة، فالدولة كيان موجود بالفعل، أما الحكومة كمؤسسة موجودة بالقوة للحاجة الماسة إليها[(٢)].

وقد ورد مفهوم (حكومة) في نهج البلاغة بما لا يختلف عن مفهومها المتعارف عليه، وإن ورد استخدام الإمامة[(٣)] في كثير من المواضع بدلاً من (الحكومة) بتسمية القائم بالأمر (إماما) عوضاً عن تسميته (حاكما) لما في معنى الإمامة من جمع بين شؤون الدنيا والدين، ولقد استوعب مفهوم الحكومة بكل مشمولاته مساحة واسعة من فكر عليعليه السلام ، فتحدث عن أهميتها، وعن مكانة الحاكم بالنسبة للدولة وعن الصفات التي يجب أن تتوفر فيه، وعن المسؤوليات المناطة بالحكومة.

فعن أهمية الحكومة ووجوبها ومسؤولياتها كان حديثه مع الخوارج[(٤)]، أما عن أهمية الحاكم ومنزلته كقائد الدولة فيمثله قوله «مَكَانُ

---

(١) ما كيفر: تكوين الدولة ص٥٠.
(٢) راجع ص١٧٢ من هذا البحث.
(٣) راجع مفهوم الإمامة ص١٦٣ وما بعدها من هذا البحث.
(٤) راجع ص١٧٦ من هذا البحث.

القَيِّمِ بِالأَمْرِ مَكَانَ النِّظَامِ مِنَ الخَرَزِ يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ»[١]، فمحاسبة مركز الحاكم في فكر علي عليه السلام دقيقة للغاية، على اعتبار أنه قلب الأمة والخيط الجامع لها، ولخطورة ذلك المنصب بالنسبة لصلاح الأمة، فقد كان علي عليه السلام حريصاً على صيانته عن كل ما يسيء. فلقد عرض عليه معاوية إقراره على ولاية الشام في سبيل عدم مقاومته والتأليب على سلطته فكان ردّه «حَاشَى لله أَنْ تَلِيَ لِلْمُسْلِمِيْنَ بَعْدِي صَدْرًا أَوْ وِرْدًا أَوْ أُجْرِيَ لَكَ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ عَقْدًا أَوْ عَهْدًا»[٢]. فالتسلط ـ في فكر علي عليه السلام ـ لا يكسب صاحبه الشرعية في تولي رقاب الناس، مهما بلغت قوته، لأن الحاكم من وجهة نظره من يستطيع امتلاك زمام نفسه وينأى بها عن شهوة الإمتلاك لغاية إشباع رغبة جامحة في استعباد الناس والتصرف في حقوقهم، ولن يتأتى ذلك إلاّ لمن تتوفر فيه مزايا يستطيع من خلالها مباشرة الحكم، ومن تلك المزايا يتولد الرضا عن الحكومة، لأن العلاقة بين الحاكم والمحكوم ليست علاقة قهر وإنّما هي علاقة تبادل حقوق، فالحاكم على هذا الأساس مثله مثل أي فرد في الدولة وليس متميزاً على أحد إلاّ بكونه يحمل من التبعات ما لا يستطيع غيره تحملها، فمن منظور علي عليه السلام الديني «إِنَّ الله تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ العَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بضعفة الناس، كَيْلاَ يَتَبَيَّغَ بِالفَقِيْرِ فَقْرُهُ»[٣]، فمسؤولية الحكومة في فكر علي عليه السلام تكمن في أمرين أساسيين: إقامة الحق بمفهومه الإسلامي ودفع الباطل، فإذا لم تتمكن

---

(١) خطب ـ ١٤٦، الفقرة ١.

(٢) رسائل ٦٥.

(٣) خطب ـ ٢٠٣، ويقدّروا ـ يقيسوا، ويتبيّغ ـ يهيج به ألم الفقر.

الحكومة من الوفاء بذينك الشرطين فلا قيمة لها ولا جدوى من ورائها «قال عبدالله بن عباس: . . . دَخَلْتُ عَلَى أَمِيْرِ المُؤمِنِيْنَعليه السلام بِذِي قَارٍ، وَهُوَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، فَقَالَ لِي: مَا قِيْمَةُ هَذَا النَعْلِ؟ فَقُلْتُ: لاَ قِيْمَةَ لَهَا، فَقَالَعليه السلام: والله لَهِيَ أَحَبُّ إليَّ مِنْ إمْرَتِكُمْ، إلا أَنْ أُقِيْمَ حَقّاً أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلاً»[١]، وإقامة الحق ودفع الباطل تعنيان في مضمونهما ـ كما نعتقد ـ تنظيم العلاقات بين الأفراد بأسلوب قويم ومحكم أساسه الحياة السعيدة لكل فرد من أفراد الأمة، تقوم الحكومة بالتخطيط له ومن ثم تنفيذه، وذلك الأسلوب هو ما نعنيه بالسياسة.

جـ ـ السياسة كما تبدو في نهج البلاغة:

تعني السياسة بالمفهوم الإصطلاحي: المنهاج أو الخطة التي تتبعها الحكومة لتدبير مصالح الناس وطريقة التفاهم معهم، والسياسة بمفهومها العام هي «القيام على الشيء بما يصلحه، واشتهرت عند أهل العصر في العمل لأمور الدولة داخلها وخارجها»[٢]، فهي إذن أسلوب تضعه الحكومة على أساس خطة محكمة تتفق ووضع الدولة من حيث الإقتصاد والإجتماع والأمن، وتتلاءم مع المحيط الدولي الذي توجد الدولة ضمنه، ومن الملاحظ أن مفهوم السياسة ذاك يتعلق بالشؤون الدنيوية فقط، أمّا السياسة بالمفهوم الإسلامي فتعني ـ في اعتقادنا ـ ارتباطها ارتباطاً وثيقاً بالدين، لكونها ـ من وجهة نظر إسلامية ـ خطة أخلاقية تقوم على

---

(١) خطب ـ ٣٣.

(٢) أحمد رضا: معجم متن اللغة ٣/ ٢٤٧.

«استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل»[١]، فهي بهذا المعنى تبع للدين، تسير في خطاه، وتستنير بهديه، وعلى ذلك يمكن التفريق بين السياسة بالمفهوم الأخلاقي، وبين السياسة بالمفهوم الإنتهازي، المرتبط بالمصالح الذاتية لفئة معينة من الناس، والمبنية في مجملها على الإحتيال والخداع والمراوغة باتخاذ الدين وسيلة لما يقارب من الدنيا[٢]، بإلباس الشهوات صبغة دينية تبرّر المآرب المعوجة، فالدين «شيء والسياسة شيء آخر لو أريد من السياسة الغدر والنفاق والكذب والخداع»[٣].

وإذا ما أردنا الدخول في فكر علي عليه السلام السياسي، في ضوء ما ورد في النهج من نصوص يجب أن نضع في اعتبارنا أننا نبحث في سياسة دينية، الأخلاق دعامتها، والمبادئ السامية سياجها، فالنظرة الشمولية المتعمقة منحت المسؤولية في فكر علي عليه السلام اتساعاً لا يقتصر على العلاقات الإنسانية بين الحاكم والمحكوم فحسب، بل شملت كل ما يتعلق بالإنسان في محيطه، فضمن عرضه لسياسته في أوائل خلافته يقول «إتَّقُوا اللهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلاَدِهِ، فَإِنَّكُمْ مَسْؤولُونَ حَتَّى عَنِ البِقَاعِ وَالبَهَائِمِ»[٤]، فالمسؤولية في السياق تعني الإلتزام الذي يترتب عليه حال تركه أو إهماله المحاسبة والعقاب، أما المجتمع فقد استوعب جلّ فكر علي عليه السلام السياسي لكونه

(١) أبو البقاء الكفوي: الكليات ٣/ ٣١.
(٢) راجع حكم ـ ٤١٣.
(٣) باقر القرشي: النظام السياسي في الإسلام ص٦٠.
(٤) خطب ١٦٨.

الركن الأساس الذي تقوم عليه دعائم الدولة. فَبإلقاء نظرة على ما ورد في خطبه ورسائله من وصايا إنسانية سنجد أن قضايا المجتمع قد كانت شغله الشاغل، كما أن استخدامه بكثرة المفردات (أمة، جماعة، رعيّة)[(١)] لدليل واضح على قيام سياسته على قواعد اجتماعية مرتبطة بالقاعدة المكونة من السواد الأعظم من الناس الفقراء والمعدمين، وهو كما نلاحظ يعوّل على تلك الطبقات ويستمد منها القوة الحقيقية لبقاء الدولة، ودلالة ذلك قوله لمالك الأشتر حين ولاه مصر «إنَّ سُخْطَ العَامَةُ يُجْحِفُ بِرِضَا الخَاصَّةِ، وَإنَّ سُخْطَ الخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَا العَامَةُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخَاءِ وَأَقَلَّ مَعُونَةً فِي البَلاَءِ، وَأَكْرَهُ للإِنْصَافِ... مِنْ أَهْلِ الخَاصَّةِ وَإنّمَا عُمَادُ الدِّيْنِ وَجِمَاعُ المُسْلِمِيْنَ وَالعُدَّةُ لِلأَعْدَاءِ العَامَةُ مِنَ الأُمَّةِ»[(٢)]. لذا فقد سارت سياسته الإقتصادية إلى جانب أولئك المعدمين، برعاية شؤونهم، وتدبير مصالحهم، وعدم تمكين الفئات المتسلطة من التسلق على حسابهم، فالمال مال الجميع ليس لأحد فضل فيه على أحد، فحين طلب منه بعض أصحابه اسلاف بعض الزعامات القبلية وأشراف قريش بالمفاضلة في العطاء قال لهم «لاَ والله لاَ أَفْعَلْ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ... ثُمَّ سَكَتَ وَاجِماً ثُمَّ قَالَ: الأَمْرُ أَسْرَعُ مِنْ ذَلِكَ، قَالَهَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ»[(٣)].

---

(١) من خلال احصائية قمنا بها في نصوص النهج وجدنا أن: كلمة أمة قد تكررت في ما يقارب تسعة وأربعين موضعاً، وأن كلمة جماعة قد تكررت في ما يقارب من خمسة وعشرين موضعاً، أما كلمة رعيّة فقد وردت في أربعة وتسعين موضعاً تقريباً.

(٢) رسائل ـ ٥٣، فقرة ٧، وسخط: تبرم وعدم رضاً، ويجحف: يذهب ويزيل.

(٣) أخذنا هذا النص من ابن أبي الحديد ٢/ ٢٠٣ عن رواية علي بن محمد المدائني، وقد ورد هذا النص باختلاف في بعض عباراته في نسخ نهج البلاغة في باب الخطب تحت=

فعلي عليه السلام يدرك تماما أنه يستطيع تحقيق النصر الشخصي في قضية الحكم بتوظيف المال توظيفاً سياسيا معوجاً، ولكن ذلك سيكون على حساب المبادئ والقيم فوجومه ثم تكراره عبارة «الأمر أسرع من ذلك» تحمل في طياتها ـ على ما نعتقده ـ شعوره بالألم لانزلاق القيم وترديها بأسرع ممّا يتصوره إنسان، علاوة على ما تتضمنه العبارة من ترهيب وتخويف من كتاب الخالق سبحانه، ممّا جعله يتشدد في تسوير سياسته بسياج أخلاقي متين، ليتمكن ـ على الأقل ـ من إبقاء جذوة المبادئ متّقدة في مواجهة ذلك التيّار المتنامي للتكالب على السلطة وجمع الثروات واقتناء الضياع والإماء والعبيد على حساب الفئات المستضعفة، فمن خلال نظرة فاحصة في المصطلح السياسي، في فكر علي عليه السلام، سنجد أن المفاهيم الأخلاقية في تلك النماذج تكاد تتقابل بين الإيجاب والسلب أو بمعنى أوضح، بين القيم الأخلاقية، وبين العيوب والسلبيات التي نجمت في المجتمع، مع ملاحظة تركيزه على الجوانب السلبية، ممّا يعني استفحال ذلك بين متسلقي السلطة في عصره، وبتحول السياسة عند أولئك إلى مفهوم فارغ من أية قيمة أخلاقية، واهتبال الفرص للوصول إلى الغاية المنشودة بأية وسيلة، فالغدر والإحتيال، والخيانة، وإشاعة الفتن، ذكاء وفطنة وفهم. ففي معرض المقارنة بين مفهوم السياسة عنده، ومفهومها عند سياسي عصره

= رقم ١٢٦. فقد ورد في نص النهج «واللَّهِ لاَ أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً ـ بدلا من قوله عند ابن أبي الحديد: والله لا أفعل. . . »، ثم أن الشريف الرضي لم يورد الزيادة التي أوردها ابن أبي الحديد وهي قول علي ثلاث مرات «الأمر أسرع من ذلك» وأما معنى لاح أي ظهر وبان، وواسيت ـ ساويت، وأطور به ـ لا أقر به، ما سمر سمير: السمير: الدهر ـ أي أبد الدهر ما قام وما بقي، وما أمّ نجم: أي قصد وتقدم.

يقول علي عليه السلام «أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ الوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ، وَلاَ أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْفَى مِنْهُ، وَمَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ المَرْجِعُ، وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِيْ زَمَانٍ قَدْ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الغَدْرَ كَيَساً، ونَسَبَهُمْ أَهْلُ الجَهْلِ إلى حُسْنِ الحِيْلَةِ، مَالَهُمْ، قَاتَلَهُمُ اللهُ، قَدْ يَرَى الحُوَّلُ القُلَّبُ وَجْهَ الحِيْلَةِ، وَدُوْنَهَا مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، فَيَدَعُهَا رَأْيَ العَيْنِ بَعْدَ القُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لاَ حَرِيْجَةَ لَهُ فِي الدِّيْنِ»(١)، فالحيلة والخداع والغدر والكذب لا تعني إلاّ هدراً للأخلاق وهدما للدين في قاموس علي عليه السلام السياسي، لأن مقياسه لرجل السياسة الصحيح هو الإتفاق بين ما يظهر وبين ما يبطن، لأنه هو ذاته «من تماسك الشخصية بحيث لا يتناقض أبداً، وهو من سلامة وأصالة الفكر بحيث لا يتعارض»(٢)، لاقتران القول بالفعل في كل تصرفاته، وهو القائل «مَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وَعَلاَنِيَتُهُ، وَفِعْلُهُ وَمَقَالَتُهُ، فَقَدْ أَدَّى الأَمَانَةَ، وَأَخْلَصَ العِبَادَةَ»(٣). فالإخلاص في القول وفي الفعل قيمتان خلقيتان مرتبطتان في فكر علي عليه السلام السياسي ـ بالأمانة والعبادة ـ. ومن ذلك المنطلق الأخلاقي يقول عن سياسته إزاء سياسة معاوية «وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي، وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ، وَلَوْلاَ كَرَاهِيَةُ الغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ، وَلَكِنَّ كُلَّ غَدْرَةٍ فَجْرَةٍ، وَكُلَّ فَجْرَةٍ كَفْرَةٍ، وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»(٤). فمن

---

(١) خطب ٤١ ـ التوأم: الذي يولد مع الآخر في حمل واحد، والوفاء والصدق قرينان في المنشأ، والجنة ـ بضم الجيم ـ: الوقاية، والمرجع ـ بكسر الجيم ـ: العودة لله سبحانه للحساب، الكَيَس ـ بفتح الكاف ـ: العقل، والحوّل القلب ـ بضم الأول وتشديد الثاني وفتحه في اللفظين ـ: البصير بتحول الأمور وتقلبها، والحريجة: التحرج والاحتراز.

(٢) جورج جرداق: علي صوت العدالة الإنسانية ١/ ١٦٨.

(٣) رسائل ٢٦، الفقرة الأولى.

(٤) خطب ١٩٤. ويفجر: يفسق ويكذب.

ذلك نستنتج أن علياً عليه السلام قد كان على دراية تامة بما يحدث على الساحة الإسلامية من مراوغات وألاعيب سياسية في عصره، وكان بإمكانه أن يتخذ من أساليب سياسته ما يُثَبّتُ سلطته، ولكنه كان «ملجما بالورع عن جميع القول والفعل إلاّ ما هو لله عزّ وجلّ، رضاً، وممنوع اليدين من كل بطش إلاّ ما هو لله رضاً»[(١)]. ففكر علي عليه السلام السياسي ـ كما يبدو في نهج البلاغة ـ يتمثل في محاولة إصلاح ما فسد في دولة الإسلام، بإرجاع الحقوق إلى نصابها، وبناء المجتمع المثالي القائم على المؤاخاة في الله والتسامح والتعاون، فكان أن خطط للمؤسسات التنفيذية في حكومته ما يمكنها من تحقيق تلك السياسة.

مؤسسات الدولة في فكر علي عليه السلام كما تبدو في نهج البلاغة

من خلال قراءة متأنية في نهج البلاغة، يمكننا القول، أن الجهاز الحكومي الذي اعتمد عليه علي عليه السلام في تسيير شؤون الدولة الإسلامية يميل إلى البساطة، وأن هذا الجهاز مبني في الأساس على قيم أخلاقية عالية تضع في الإعتبار مصلحة عامة الناس قبل خاصتهم، فهو جهاز اجتماعي أخلاقي مكوّن من:

أولا: الخلافة[(٢)]:

أعلى مركز سياسي ديني في الدولة الإسلامية، وقد استحوذ على

---

(١) ابن أبي الحديد ١٠/ ٢٢٩.

(٢) لمعرفة أهمية هذا المنصب وخطورته راجع ص١٧٢ وما بعدها من هذا البحث.

مساحة واسعة من فكر علي عليه السلام، فتكرر مصطلحها في النهج ما يقارب من اثنين وسبعين مرة باسم (الإمامة) ومشتقاتها، كما تكرر ما يقارب من خمس وأربعين مرة اسم (خليفة) ومشتقاته، ولو راجعنا النصوص التي عالج علي عليه السلام فيها مسألة الخلافة، فسنجد أنه قد عالجها من جميع جوانبها من شروط استحقاق(١)، وطريقة انعقاد(٢)، هذا بالإضافة إلى حديثه بإسهاب عن المهام المناطة بالخليفة في عدة نصوص بحسب مقتضيات مناسباتها(٣). فمن أساسيات تلك المهام عنده، رعاية «الجُنْدِ وَالمَصْرِ، وَبَيْتِ المَالِ وَجِبَايَةِ الأَرْضِ، وَالقَضَاءِ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ وَالنَّظَرِ فِي حُقُوقِ المَطَالِبِيْنَ»(٤)، فالمهام المناطة بالخليفة ـ من وجهة نظر علي عليه السلام ـ شاملة لجميع شؤون الدنيا والدين، لذا يجب أن يكون متقلد ذلك المركز قدوة لجميع أفراد الأمة في القول والفعل، فلا يستأثر بشيء دون أفقر الناس(٥)، ولا يقوم بما لا يرضاه لأي فرد طبقا لقوله «إنِّي والله مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إلاّ وَأَسْبِقُكُمْ إلَيْهَا، وَلاَ أَنْهَاكُم عَنْ مَعْصِيَةٍ إلاّ وَأَتَنَاهَي قَبْلَكُمْ عَنْهَا»(٦)، وعلى ذلك النهج الأخلاقي تبلور فكره في اختيار ولاته لكونهم يمثلونه ويقومون مقامه في ولايات الدولة.

---

(١) راجع ص١٨٢ من هذا البحث.

(٢) راجع ص١٩٣ من هذا البحث.

(٣) راجع على سبيل المثال ص٣٣١ وما بعدها من هذا البحث.

(٤) خطب ١١٨.

(٥) راجع ص٢٠٧ من هذا البحث.

(٦) خطب ١٧٧، الفقرة الأخيرة.

ثانيا: الوالي:

يحتل الوالي مكانة كبيرة في حكومة عليعليه السلام، ويمكن اعتباره نائب الخليفة والقائم بمهامه في إدارة شؤون ولايته، ورعاية مصالح العباد فيها، ولأهمية الوالي كمنفذ لسياسة الحكومة ـ في فكر عليعليه السلام ـ فقد تكررت كلمة (والي وولاية) في النهج ما يقارب من خمس وثمانين مرة.

ومن خلال قراءة متمعنة في تلك النصوص يمكننا تلمس الأسلوب الدقيق الذي يتبعه عليعليه السلام في اختيار ولاته، فمن الأولويات التي يضعها في اعتباره فيمن يرشحه للولاية «اللياقة الذاتية للحكم حسب سلوكه الطبيعي والإجتماعي، وحسب إيمانه العقائدي»[١]، ممّا يعني دراسة حالته دراسة مستفيضة، من حيث مسلكه الإنساني وتصرفاته الإجتماعية، ومدى إخلاصه للعقيدة، على أن تكون الدراسة متبوعة بمراقبة دقيقة أثناء ممارسة مهام الولاية، لكون عليعليه السلام يرى أنه «إذا قَوِيَ الوَالِي فِي عَمَلِهِ حَرَّكَتْهُ وُلاَيَتِهِ عَلَى حَسْبِ مَا هُوَ مَرْكُوزٌ فِي طَبْعِهِ مِنَ الخَيْرِ وَالشَّرِّ»[٢]، ممّا يعني في طياته أن الطبع يغلب التطبع، فما دام الإنسان بعيداً عن واقع العمل فقد تصدق الفراسة فيه، وقد تخون، خاصة إذا حاول التزيّي بما ليس في طبعه، إذ سرعان ما ينكشف حين يباشر ما أوكل إليه من أعمال فتتبدى طموحاته في الظهور لتبيّن ما في دخيلته من ميول خيّرة أو شريرة، لذا لم يرشح للولاية إلا من يرتضيه لدينه[٣]، واضعاً شروطاً تكاد تكون نادرة إلا

---

(١) مهدي محبوبة: ملامح من عبقرية الإمام ص٨٣.

(٢) ابن أبي الحديد ٢٠/ ٢٦٩.

(٣) راجع ص٢١١ وما بعدها من هذا البحث.

في القليل من الرجال، لأن طبعه المثالي وحبّه للإنسانية جعلاه يتوق دائماً إلى المثال في كل ما يتعلق بالإنسان ويمكن حصر الشروط التي يتوخاها علي عليه السلام في الوالي المثالي في النقاط الثمان التالية:

١ ـ الإيمان القوي التام[(١)].

٢ ـ الورع والنزاهة[(٢)].

٣ ـ الخوف المؤدي إلى محاسبة النفس على كل حقير أو عظيم[(٣)].

٤ ـ العدل بمعناه الشامل لكل الأشياء ولجميع أفراد الولاية الفقير قبل الغني والضعيف قبل القوي[(٤)].

٥ ـ ثقافة واسعة تمكن الوالي من الدراية التامة بأحوال البلاد وما مرّ عليها وعلى مواطنيها من حكومات سابقة اتصفت بالعدل أو بالجور لمقارنة حكمه بحكم أولئك وتلمس الطريق الأصوب والأسلم في سياسته، من ذلك قوله للأشتر «إعلَمْ يَا مَالِكُ، أَنّي قَدْ وَجَّهتُكَ إلى بِلادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِيْ مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظِرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الوُلاةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ، وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمِا يُجْرِي الله لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ»[(٥)].

٦ ـ الشجاعة والقوة والجرأة، فلا «يَنَامُ أَيَامَ الخَوْفِ، وَلاَ يَنْكِلُ عَنِ الأَعْدَاءِ

---

(١)، (٢)، (٣) راجع رسائل ٣٨ ـ الفقرة الثانية في وصفه عليه السلام لمالك الأشتر.

(٤) راجع رسائل ٢٦، الفقرة الأولى، ورسائل ٧٦.

(٥) رسائل ٥٣، الفقرة الرابعة وما بعدها.

سَاعَاتِ الرَّوْعِ»[١].

٧ ـ الإئتمار التام بأمر الخليفة في كل ما يعترضه من مهام خطيرة تتعلق بالبلاد والعباد قبل أن يتخذ رأيه فيها[٢].

٨ ـ أن يكون قدوة في القول والفعل بالنسبة لمواطني ولايته[٣]، متبعاً الصراحة بمكاشفتهم بالأمور المتعلقة بمصالحهم[٤]، إضافة إلى ذلك الحلم وسعة الصدر[٥] والتعويل على استشارة أولي الألباب في المهمات[٦]، وحضور البديهة عند كل ملمة، والنظر في مجريات الأحداث بحذر وأناة ومعالجتها بما يتناسب والشرع حتى ولو كان في ذلك إجحاف بالحكومة وإضرار بمصالحها الدنيوية[٧].

وهو إذ يضع تلك الشروط الدقيقة فيمن يتوخاه لتحمل أعباء الولاية، لأنه يعتبره شريكه فيما أوكل إليه من أمانة، يقول لعبدالله بن عباس واليه على البصرة «أَرْبِعْ أَبَا العَبَّاسِ، رَحِمَكَ الله، فِيْمَا جَرَى عَلَى لِسَانِك وَيَدِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍ، فَإِنَّا شَرِيْكَانِ فِي ذَلِكَ»[٨]، والشراكة التي يقصدها علي عليه السلام، تعني أن مهام الوالي في ولايته تكاد تكون نفس مهام الخليفة، أي بمعنى أوضح أنها ولاية اختيارية عامة[٩]، حسب ما وضّحه الماوردي الذي جعل اختصاص الوالي العام في سبع نقاط هي:

---

(١) رسائل ٣٨.

(٢) راجع السابق، الفقرة الثانية.

(٣) راجع رسائل ٤٥، الفقرة الثانية.

(٤) إلى (٧) راجع رسائل ٥٣، الفقرات ٤، ١٣، ٣٢.

(٨) رسائل ١٨، وأربع: أي أرفق وقف عند حدود ما تعرف.

(٩) راجع الأحكام السلطانية، ص٢٧.

*** ١ ـ النظر في تدبير الجيوش.**

*** ٢ ـ النظر في الأحكام وتقليد القضاة.**

*** ٣ ـ جباية الخراج وقبض الصدقات وتقليد العمال فيهما، وتفريق ما استحق منها.**

*** ٤ ـ حماية الدين والذب عن الحريم.**

*** ٥ ـ إقامة الحدود في حق الله.**

*** ٦ ـ الإمامة في الجُمع والجماعات.**

*** ٧ ـ تسيير الحجيج»[١].**

ولو نظرنا فيما أورده عليعليه السلام من اختصاصات الوالي فسنجدها تشمل ـ إضافة إلى ما أورده الماوردي ـ النظر في العلاقات الإنسانية بين الناس، والستر على عيوب الرعية ما أمكن[٢]، ورعاية كل طبقة بما يصلحها[٣]، بالإضافة إلى الطريقة المثلى في السياسة تجاه العدو في وقت الحرب والسلم[٤]، من صلح وكتابة معاهدات، إلى غير ذلك من شؤون تتعلق بمصلحة البلاد والعباد، وهو بذلك جعل مهمة الوالي متسعة باتساع ولايته، إذ يدخل ضمنها كل بيت من بيوتها، وتشمل الرعاية كل شخص، بل حتى البقاع وما يدب عليها من حيوان، وعلى ذلك فإن الشروط التي أرادها في شخص واليه في منتهى المثالية والندرة ولكنها هي المؤهلات لصاحبها للقيام بمهام الولاية طبقا لمعاني الحق في فكر عليعليه السلام الذي

---

(١) السابق.

(٢)،(٤) راجع رسائل ٥٣، الفقرات: ٨، ١٤، ٣٣.

يدرك تماما بأن «الحَقَّ كُلَّهُ ثَقِيلٌ، قَدْ يَخُصَّهُ الله عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا العَافِيَةَ، فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ وَوَثَقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ الله لَهُمْ»[1]. وبطبيعة الحال فإن الإختصاصات الواسعة التي أوكلها علي عليه السلام لواليه تحتاج إلى جهاز إداري محكم، حتى يتمكن من القيام بمسؤوليته على أكمل وجه.

ثالثا: جهاز الدولة الإداري، كما يبدو في النهج:

تعتمد الحكومة في تسيير شؤون الدولة ومصالح الناس ـ كما يبدو في النهج ـ على جهاز إداري مكوّن من:[2]

* ١ ـ الوزارة.
* ٢ ـ الجيش.
* ٣ ـ القضاة.
* ٤ ـ بيت المال.
* ٥ ـ العمّال.
* ٦ ـ الدواوين.
* ٧ ـ الرقابة الإدارية.

١ ـ الوزارة[3]:

يختلف مفهوم الوزارة عند علي عليه السلام عنه عند الماوردي، فالماوردي

---

(١) رسائل ٥٣، فقرة ٢٦.

(٢) سنشير إلى مصدر كل نقطة عند طرحها للمناقشة.

(٣) رسائل ٥٣، فقرة ١٠. والوزير لغة هو المساعد والمعين وفي التنزيل «وَاجْعَلْ لِي وَزِيْراً مِنْ أَهْلِي... طه / ٢٩» أي معينا ومساعداً.

يجعل الوزير في مرتبة ثانية بعد الخليفة، ويضع للوزارة شروطاً، تكاد تكون مقاربة لشروط انعقاد الإمامة فيما سوى النسب(١). أمّا عليعليه السلام فيضع الوزير في مرتبة المستشار الذي لا تتعدى صلاحياته الإستشارة ويأتي في مرتبته دون الوالي، ويستدل على ذلك من قوله لمالك الأشتر «إنَّ شَرَّ مَنْ كَانَ لِلأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيْراً»(٢)، ممّا يعني ضمنيا تفويض عليعليه السلام للوالي أمر اختيار المستشارين والوزراء الذين يعوّل على آرائهم وحكمتهم، وقد وردت مفردة (وزير) ومشتقاتها ـ كمصطلح سياسي في النهج ـ ما يقارب من اثنتين وعشرين مرة وهي تدل في معظم سياقاتها على أن أهمية الوزير تأتي دون أهمية الوالي، ولا تتعدى صلاحياته وصلاحيات المستشار سوى النصح، وإبداء الرأي إذا طلب منه، من ذلك قوله للناس لما أرادوا مبايعته على الخلافة بعد مقتل عثمان «أَنَا لَكُمْ وَزِيْراً خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيْراً»(٣) أي معاوناً ومستشاراً لكم، أمدكم بالآراء التي تصلحكم في أمور دينكم ودنياكم كما كنت في أيام الخلفاء السابقين، مع ملاحظة أن مصطلح (وزير) بمعنى النيابة العامة والمكانة المرموقة قد ورد في النهج في موضع واحد، على لسان الرسولصلى الله عليه وآله في شخص عليعليه السلام بقولهصلى الله عليه وآله «إنَّكَ تَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إلاّ أَنَّك لَسْتَ بِنَبِيٍّ، وَلَكِنَّكَ لَوَزِيْرٌ»(٤) في شركك إياي في المعاونة والقوة وتثبيت دعائم الدين. أما الشروط التي يجب أن

---

(١) راجع الأحكام السلطانية ص٢٠، وطرحه لمفهوم الوزارة ذاك ـ مبني على ما تصوره ـ في العصور الإسلامية المتأخرة وخاصة الأعصر العباسية.

(٢) رسائل ٥٣، فقرة ١٠.

(٣) خطب ٩١.

(٤) خطب ٢٤٠، فقرة ٢٧.

تتوفر في المستشار أو الوزير كما حدّدها علي عليه السلام فهي:

١ ـ أن لا يكون بخيلاً أو جبانا أو حريصاً لأن «البُخْلَ وَالجُبْنَ وَالحُرْصَ غَرائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ»[(١)].

٢ ـ أن يكون ذا ماضٍ مشرّف ونظيف ولم يشارك الأشرار في حكومات سابقة، حتى ولو كان مؤهلاً لذلك المنصب[(٢)].

٣ ـ أن يكون شديداً في أمر الله لا ينافق في الحق ولا يعرف سواه طريقا[(٣)].

٢ ـ الجيش:

من خلال قراءتنا في نصوص النهج المتعلقة بالجند والحرب، نجد أن عليّا قد أعطى المؤسسة العسكرية من الأهمية ما يضعها على رأس الطبقات التي يوصي عمّاله بها خيراً، يقول للأشتر «الجُنُودُ بِإذْنِ الله، حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزِيْنُ الوِلاَيَة، وَعِزُّ الدِّيْنِ، وَسُبُلُ الأَمْنِ، وَلَيْسَ تقوم الرعية إلاّ بهم»[(٤)]، فالجند ـ في فكر علي عليه السلام ـ للبناء والسلام والجهاد والمحافظة على الإستقرار والأمن، ممّا يعني ضمنا أن لهم مؤسستهم الخاصة القائمة بذاتها التي عادة ما تكون تحت إشراف الوالي المباشر، ومن أهم الشروط التي يجب أن تتوفر لها كي تقوم بتأدية واجبها على أسس أخلاقية متينة:

ـ أن يكون الإنخراط فيها تطوّعيا، لأنها مؤسسة ذات طابع أخلاقي، هدفها الأسمى تثبيت القيم، وإزهاق الباطل، ويجدر بالمنتسب إليها أن

---

(١) رسائل ٥٣، فقرة ٩.

(٢)،(٣) راجع السابق، فقرة ١٠.

(٤) السابق، فقرة ١٥.

يكون مؤمنا بذلك. وأن تكون المادة عنصراً ثانويا بالنسبة إليه، لأن الجهاد بمعناه العقائدي يكون بقوة الإيمان بالقيم التي تدفع الإنسان إلى الإستشهاد في سبيلها، لذلك فقد وردت جميع الخطب الداعية إلى الجهاد في النهج، خالية من أية إغراءات مادية دنيوية.

ـ أن يكون الترابط بين الجند وقادتهم محكماً، لذلك فقد عوّل علي عليه السلام على قاعدة في اختيار قادة الجيوش قوامها الكفاءة القتالية المقرونة بالأخلاق العالية، يقول للأشتر «فَوَلِّ مِنْ جُنْدِكَ أَنْصَحَهُمْ فِيْ نَفْسِكَ لِلّهِ، وَلِرَسُوْلِهِ، وَلإِمَامِكَ، وَأَنْقَاهُمْ جَيْباً، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً، مِمَنْ يُبْطِئُ عِنْدَ الغَضَبِ، وَيَسْتَرِيْحُ إلى العُذْرِ وَيَرأَفُ بِالضُّعَفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَى الأَقْوِيَاءِ»[١] ذلك من الناحية الأخلاقية.

ـ أما اختيار القادة من حيث الخبرة فيبلورها فكر علي عليه السلام في ذوي النسب والشرف السامق والمجد من الشجعان الكرام[٢] الذين لا يبطرهم المركز لكونه لا يرفع من منزلتهم ولا يزيدهم شرفاً، وكما نلاحظ أن الخبرة والأخلاق عنصران متلازمان ومتداخلان عنده، بحيث يستعصي الفصل بينهما.

ـ أن تكون العلاقة بين قادة الجند وجندهم علاقة إنسانية، تحكمها الرأفة والعطف والحب، بعيدة عن روح التسلط، فأفضل قادة الجند عند علي عليه السلام «مَنْ (وَاسى جُنْدَهُ) فِيْ مَعُونَتِهِ وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ»[٣].

---

(١) رسائل ٥٣، فقرة ١٥. وأنقاهم جيبا: اطهرهم صدراً، وينبوا عليهم: يشتد عليهم.

(٢) راجع السابق، فقرة ١٧.

(٣) السابق، الفقرات ١٦، ١٧، ١٨، وواساهم: ساعدهم وجدته ـ بكسر الجيم وفتح الدال: كرمه.

ـ إن انخراط الجندي الطوعي في الجيش لا يعني حرمانه من المادة، فقد يتبادر إلى الذهن أن علياً عليه السلام لم يكن يضع للمادة أي اعتبار أو أي أثر في إصلاح الجند، ولكن الذي نقرأ في النهج يخالف ذلك، فعلي عليه السلام لم يقصر الدخول في الجندية على العمل المجاني، بل جعل التطوع في المقام الأول لكونه واجباً دينيا، يحتم على كل مسلم قادر مباشرته إذا دعت الحاجة إلاّ أنه في نفس الوقت قد وضع للمادة اعتبارها، وتأثيرها في الروح القتالية بالنسبة للجند فهو يرى أن إعطائهم «مَا يَسَعَهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وراءهم مِنْ خُلُوفِ أَهْلِهِمْ»[1] يجعلهم يدركون أن من ورائهم حكومة تتفقد أمورهم الدنيوية بما يكفل لهم ولأولادهم ونسائهم وعجزتهم الحياة الكريمة، فيكون في ذلك إخلاصهم فيما كلّفوا به من قتال في وقت الحرب، وتفانيهم في بث الطمأنينة وإشاعة الأمن بين الناس وقت السلم حيث «لاَ تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُم إلاّ بِسَلاَمَةِ صُدُورِهِمْ»[2].

ـ ثم أنه لما كان للحوافز المادية أثرها الفعّال في إخلاص الجند، فقد جعل لها علي عليه السلام مكانة، في فكره العسكري، بوصيته ولاته وأمراء جنده أن يعرفوا «لِكُلِّ امْرِئٍ مَا أَبْلَى»[3]، مع تجنب المحاباة على أساس المكانة والنسب حال تقسيم مثل تلك الحوافز إذ يجب أن يأخذ كل جندي حقه كاملاً، يقول ضمن عهده للأشتر «وَلاَ يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِئٍ أَنْ تُعَظِّمَ مِنْ بَلاَئِهِ مَا كَانَ صَغِيْراً، وَلاَ ضِعَةَ امْرِئٍ أَنْ تُصَغِّرَ مِنْ بَلاَئِهِ مَا كَانَ عَظِيْماً»[4].

هذا بالنسبة لتكوين الجيش في فكر علي عليه السلام، أمّا سياسته العسكرية

---

(١)،(٤) رسائل ٥٣، الفقرات ١٦، ١٧، ١٨، خلوف ـ بضم الخاء واللام ـ: جمع خلف، بفتح الخاء وسكون اللام، وهو ما يتركه الجند وراءهم من نساء وأطفال وعجزة.

فيمكن حصرها في محاور أربعة هي:

*** ١ ـ علاقة الخليفة أو القائد العام بأمراء الجيوش.**

*** ٢ ـ علاقة أمراء الجيوش بالجند.**

*** ٣ ـ الطلائع والعيون.**

*** ٤ ـ الصفات التي ينبغي للجندي أن يتحلى بها.**

١ ـ علاقة الخليفة بأمراء الجيش:

يبدو أن علاقة ولي الأمر أو الخليفة بقادة الجند تنبني على تبادل الحقوق، في فكر علي عليه السلام الذي يرى أن من حق القادة الإطلاع على جميع أسرار الدولة العسكرية والأمنية، إلاّ فيما يختص بحرب أو يتعلق بحكم من الضروري كتمانه حتى حينه، كما أن على الخليفة أو من يقوم مقامه أن لا يفضّل قائداً على آخر في رتبته إلاّ بما يمتاز به من بلاء ويلتزم أيضاً بأداء جميع حقوقهم المالية والقانونية كاملة، فإذا ما استوفوا كل ذلك فمن حق الخليفة عليهم «الطَّاعَةُ، وَأَنْ لاَ يَنْكِصُوا عَنْ دَعْوَةٍ وَلاَ يُفَرِّطُوا فِيْ صَلاحٍ وَأَنْ يَخُوضُوا الغَمَرَاتِ إلى الحَقِّ»[1].

٢ ـ علاقة أمراء الجيوش بالجند:

من واجب أمير الجيوش ـ في فكر علي عليه السلام ـ أن يراعي راحة جنده ولا يرهقهم بالقيام بمجهودات شاقة تحول بينهم وبين تأدية الواجب على أتم وجه، ففي أثناء سيرهم نحو معركة ما أو لإخماد فتنة في إقليم ما، يجب عليه أن يختار الأوقات المناسبة، ففي وصيته لأحد أمراء جيوشه

---

(١) رسائل ٥٠، فقرة ٣. بتصرف في النص بتحويل تاء المخاطبين إلى ياء المضارعة.

يقول «لاَ تُقَاتِلَنَّ إِلاَّ مَنْ قَاتَلَكَ وَسِرْ البَرْدَيْنِ، وَغَوِّرْ بِالنَّاسِ وَرَفِّه فِي السَّيْرِ، وَلاَ تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ الله جَعَلَهُ سَكَناً، وَقَدَّرَهُ مَقَامًا، فَأَرِحْ فِيْهِ بَدَنَكَ وَرَوِّحْ عَنْ ظَهْرِكَ، فَإِذَا وَقَفْتَ حِيْنَ يَنْبَطِحُ السَّحَرُ، أَوْ حِيْنَ يَنْفَجِرُ الفَجْرُ، فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ الله»[(١)].

فالراحة البدنية والترويح عن الجنود، تجعلهم في حالة نفسية مرتفعة أثناء الحرب، ولكن ليس معنى ذلك استخدام الليونة التي تؤدي بالجندي إلى التهالك على ملذات الدنيا ومن ثم الإنهيار، فعلي عليه السلام يرى أن من مميزات رجل الحرب أن يتحمل خشونة العيش وصعوبة الحياة[(٢)]، والتعود على البعد عن الأهل، فكان إذا شيّع جيشاً لحرب أو حشر جنداً في معسكر استعداداً لحرب، يوصيهم من ضمن نصائحه بقوله «إِعْذِبُوا عَنِ النِّسَاءِ مَا اسْتَطَعْتُمْ»[(٣)]. إذن فراحة الجنود التي يرمي علي عليه السلام إليها، هي الإطمئنان النفسي والراحة الجسدية المبنيتان على الرأفة والرحمة بجانب عدم التهالك على الشهوات المادية تهالكاً يؤدي بالجندي إلى الإنهيار.

---

(١) رسائل ١٢، وسر البردين: أي وقت برودة الأرض والهواء من حرّ النهار بمعنى أن السير يكون أمّا في الصباح أو في العصر، وغوّر بالناس: أي أنزل بهم وقت القائلة في منتصف النهار حين يشتد الحر، ورفّه: أي هوّن ولا تتعب نفسك ولا جندك ولا دابتك، وينبطح: أي ينبسط وهو مجاز عن استحكام الوقت بعد مضي مدة منه أو بقاء مدة منه.

(٢) راجع مقولة علي عليه السلام في ذلك الشأن ضمن: رسائل ٤٥ الفقرة الثالثة.

(٣) حكم ٢٦٦. ومعناها كما يقول الشريف الرضي: اصدفوا عن ذكر النساء وشغل القلب بهن وامتنعوا عن المقاربة لهن، لأن ذلك يفت في عضد الحميّة، ويقدح في معاقد العزيمة.

وعن علاقة القائد بجنده حين ملاقاة العدو، يرى عليعليه السلام، أن من واجبه أن ينظم صفوفه باتخاذه الموقف الوسط من جنده ويضبط نفسه، ويكبح جماح حماسه باستخدام العقل، فلا يدنو من عدوه «دُنُوَّ مِنْ يُرِيْدُ أَنْ يُنْشِبَ الحَرْبَ وَلاَ (يَتَبَاعَدْ) عَنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ البَأْسَ»[1]، ولا يغامر بالدخول مع العدو في حرب حتى يتلقى أمر القائد العام أو الخليفة[2]، أمّا إذا اضطره العدو لذلك، فمن واجبه ـ إيثاراً للسلم ـ وحفاظاً على الأرواح ـ أن يدعوهم لما فيه خير وأمن البلاد والعباد، ولا يلجأ إلى الحرب إلاّ بعد أن يستنفذ كل ما لديه من أعذار سلمية[3]، لأن سلامة أرواح الناس ـ عند عليعليه السلام ـ فوق كل اعتبار، ما لم يتعارض ذلك مع الغاية النبيلة المتمثلة في إحقاق الحق وتقوية دعائم الدين، فالقائد بالنسبة لجنوده أب رحيم[4]، وبالنسبة لأعدائه داعية سلام. أما الحرب فهي العلاج الأخير.

٣ ـ الطلائع والعيون:

المخابرات العسكرية من أهم الدعائم التي اعتمدتها الدول لحفظ أمنها منذ أقدم العصور[5]، إذ عن طريقها تعرف تحركات العدو، وما يمتلكه من سلاح وعتاد، ومواضع الضعف والقوة في دفاعاته، ورسم الخطط والخطط المضادة لهجوماته المباغتة. لذلك فقد اهتم بها عليعليه السلام اهتماماً عظيماً وجعلها ضمن مخططات مؤسسته العسكرية، فاستخدم العيون

---

(١)، (٢)، (٣) رسائل ١٢.

(٤) راجع رسائل ٥٣، الفقرة ١٦.

(٥) للإطلاع على قدم أنشطة الاستخبارات العسكرية ـ راجع: عبدالله مناصره: الاستخبارات العسكرية في الإسلام، ص١٥ وما بعدها.

والطلائع فقد كانت له عيون بالشام ترصد له تحركات معاوية[١]، كما كانت له بعض العيون في جيش معاوية بصفين[٢]، هذا بالإضافة إلى الطلائع التي كان يرسلها في مقدمة جيوشه كما فعل في صفين، يقول ضمن وصيته لجيش من جيوشه «إعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ القَوْمِ عُيُونُهُمْ وَعُيُوْنَ المُقَدِّمَةِ طَلاَئِعُهُمْ»[٣]، وذلك يعني أن علياًعليه السلام قد كان على علم واسع بالشؤون العسكرية.

والجوسسة كعمل مشروع يراد منه الحفاظ على مصالح الأمة وحماية الإسلام، لم يقصرها عليعليه السلام على الناحية العسكرية دون غيرها من النواحي الأمنية الأخرى، ففي كتاب له لقثم بن العباس[٤] واليه على مكة، يقول «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ عَيْنِي بِالمَغْرِبِ كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي أَنَّهُ وُجِّهَ إلى المُوسِمِ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ»[٥]. لكن علياًعليه السلام لم يحاول استخدام الجوسسة للقمع على الإطلاق، لأنه كان يستنكف الإساءة لأي إنسان في سبيل توطيد سلطته، فهو كقائد يتحلى بروح الفروسية في أنبل معانيها يجد أن «أَلأَمَ النَّاسِ مَنْ سَعَى بِإِنْسَانٍ ضَعِيْفٍ إلى سُلْطَانٍ جَائِرٍ»[٦].

---

(١) راجع ابن مزاحم: صفين ص٦٥ وما بعدها ورسائل ٣٣.

(٢) راجع ابن مزاحم: السابق ص٤٦٨.

(٣) رسائل ١١، والنص يحوي نصائح عسكرية جليلة رغم صغر حجمه.

(٤) قثم بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم، ابن عم الرسولصلى الله عليه وآله، استعمله عليعليه السلام واليا على مكة فلم يزل واليا عليها حتى قتل عليعليه السلام، سار أيام معاوية إلى سمرقند فمات بها شهيداً ـ أسد الغابة ٤/ ٣٩٢.

(٥) رسائل ٣٣.

(٦) ابن أبي الحديد ٢٠/ ٣٠٣.

٤ ـ الصفات التي ينبغي للجندي أن يتحلى بها في نظر علي عليه السلام :

ممّا أثر عن علي عليه السلام من توجيهات ونصائح كان يزّود جنده بها أثناء توجههم إلى أية معركة يمكننا التعرف على صفات الجندي المثالي عنده.

فعلي عليه السلام كما عرفنا لم يبدأ بحرب قط[١] و«لم يقاتل يوما من أهل القبلة ممن خالفه حتى يدعوهم»[٢] إلى الإحتكام للعقل، لذلك فقد أراد لجنده أن يقتدوا به ويأخذوا بنهجه في ضبط نفوسهم وتحكيم عقولهم، ولا يبادروا بمقاتلة أعدائهم إلاّ إذا بدأوا هم بذلك، وينطلق من نظرته تلك على اعتبار أن في بدء القتال عدوانا، واستصغاراً للقيم، وانهزاما داخليا للنفس المعتدية يؤدي بها إلى الإنهيار، جاء في نصحه لابنه الحسن قوله «لاَ تَدْعُوَنَّ إلى مُبَارَزَةٍ، وَإنْ دُعِيْتَ فَأَجِب، فَإنَّ الدَّاعِي بَاغٍ، والبَاغِيْ مَصْرُوعٌ»[٣] لاعتداده بشجاعته وقوته دون ارتكازه على قاعدة خلقية يؤدي به إلى الغرور فتكون هزيمته حتمية.

أما إذا اضطر الجند للدخول في مواجهة حتمية مع العدو، فمن واجب كل جندي أن يعرف موقعه، ويلتزم بتوجيهات قيادته، ليدفع عن نفسه الهلاك، ويحقق النصر. فقبل نشوب أية معركة يجب على جميع المقاتلين أن يلتزموا بقاعدة عسكرية فحواها تقدم أصحاب الدروع من الجند، وتأخر

---

(١) راجع ص٢٦٧ وما بعدها من هذا البحث.

(٢) أبو يوسف: كتاب الخراج ص٢١٤.

(٣) حكم ٢٣٢.

الحاسرين ممن ليس لديهم ما يدرأ عنهم ضرب السيوف وطعن الرماح[١].

هذا من ناحية التحرك العسكري في مواجهة العدو أثناء بدء المعركة، أما من ناحية درء الجندي خطر الموت باتقاء الضربات القاتلة أثناء احتدام القتال، فيرى علي عليه السلام أنه من الأجدى بالجند أثناء التحامهم بالأعداء، أن يعضوا على أضراسهم بشدة[٢] كي تمنح تلك العملية جماجمهم صلابة وقوة قد تحول دون سيوف الأعداء والقطع، ثم أن العض على الأضراس يزيد من شدة المقاتل في الضرب والقطع، لما لتلك العملية من تأثير نفسي وجسمي في حشد القوة لمواجهة الصعوبات والتغلب عليها بإصرار.

ويجب على الجند أن يتحاشوا رماح الأعداء أثناء اشتجارها بيقظة وانتباه واستخدام لياقتهم البدنية للانعطاف عن أسنتها في خفة وحذق يجنبهم إصابتها[٣].

ومن عوامل النصر ـ من وجهة نظر علي عليه السلام ـ العامل النفسي المتمثل في طرد الخوف والإقبال على القتال بقلوب قوية وعزيمة صادقة، لذلك فمن الأجدى للجنود أثناء احتدام القتال، غضّ أبصارهم عمّا تُهْرَقُ مِن دماء، وتُزْهَق من أرواح، لأن ذلك كما يقول «أَرْبَطُ لِلْجَاشِ وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ»[٤]، إضافة إلى التزام السكينة والهدوء طرداً للفشل[٥].

ولما كان تعاون الجند فيما بينهم من أهم عوامل النصر، فلقد ركّز

---

(١)، (٢)، (٣) راجع خطب ١٢٤. وقد ورد ضمنها نصائح عسكرية أخرى تتعلق بالرايات وكيفية حملها ومن هو المؤهل لتلك المهمة الخطيرة الصعبة.

(٤)، (٥) خطب ـ السابق.

عليه علي عليه السلام واضعاً نصب عينيه احتمال أن يصاب الجندي بانهيار نفسي أثناء مشاهدته الموت من حوله، وفي مثل هذه المواقف يجب على أخيه الجندي أن يقف بجانبه ويشّد أزره ليمنحه الإحساس بالإطمئنان، فيكون ذلك دافعاً له على مواصلة القتال، وفي ذلك يقول علي عليه السلام «وَأَيُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رَبَاطَةَ جَأْشٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَرَأَى مِنْ أَحَدٍ إِخْوَانِهِ فَشَلاً فَلْيَذُبَّ عَنْ أَخِيْهِ بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ الَّتِي فُضِّلَ بِهَا عَلَيْهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ»[1].

ومن أهم الصفات التي يجب أن يتحلى الجند بها ـ من وجهة نظر علي عليه السلام ـ التزام أخلاق الفرسان بتجنبهم كل ما يحط من القيمة الأخلاقية، أثناء المعركة وبعد أن تحسم لصالحهم، ويمثل ذلك قوله «إِذَا قَاتَلْتُمُوهُمْ فَلاَ تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيْحٍ، وَإِذا هَزَمْتُمُوهُمْ فَلا تَتَّبِعُوا مُدْبِرًا، وَلاَ تَكْشِفُوا سِتْرًا، وَلاَ تَدْخُلُوا دَارًا، وَلاَ تَأْخُذُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ شَيْئاً وَلاَ تُهَيِّجُوا امْرَأَةً بِأَذىً، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ وَصُلَحَاءَكُمْ»[2].

ففكر علي عليه السلام العسكري فكر تكاملي من حيث ممازجته بين السياسة العسكرية بشقيها الإداري والتربوي وبين الأخلاق المتمثلة في الإيمان بالقيم والتعاون والبناء، والأخذ بالأساليب الإنسانية في مواجهة الأعداء، لأن خبرته العسكرية وشجاعته «هما بمنزلة التعبير عن الفكرة، أو بمثابة العمل من الإدارة، لأن (محورها) الدفاع عن طبع في الحق وإيمان بالخير»[3].

---

(١) خطب ١٢٢.

(٢) رسائل ١٤.

(٣) جورج جرداق: علي عليه السلام صوت العدالة الإنسانية ١/ ٨٠.

٣ ـ القضاء:

«كان الخلفاء في صدر الإسلام يباشرونه بأنفسهم»[١]، ويرجع ذلك إلى الأهمية التي أولاها الإسلام له، وأسوة بالنبي ﷺ الذي كان يقضي بين المسلمين في المدينة بنفسه، ويرسل من يتوخى فيهم العلم والدارية والإنصاف من صحابته للقضاء، بين الناس في الولايات البعيدة، ومن أولئك الذين اعتمد عليهم ﷺ في القضاء «علي بن أبي طالب عليه السلام وهو من أجل القضاة»[٢]. وقد اهتم علي بالقضاء في دولته لسببين:

ـ **الأول**: مكانة القضاء كمنصب ديني يهم كافة الناس، بالفصل في الخصومات، وأخذ الحق للمظلوم وردع الظالم، وإقامة الحدود بما يتطابق وأحكام القرآن والسنة.

ـ **الثاني**: مباشرته القضاء بنفسه على عهد الرسول ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين من بعده. وتمرسه في ذلك جعله على دراية تامة بخبايا تلك الوظيفة الحساسة، وما تحتاجه من علم وخبرة، وسعة اطلاع في طبائع البشر، لمعرفة ألاعيب المحتالين، إلى غير ذلك من أمور يحتاجها القاضي أثناء مزاولته القضاء، فمن خلال تجربته في مباشرة ذلك المنصب يقول علي عليه السلام «لو يعلم الناس ما في القضاء، ما قضوا في ثمن بعرة، ولكن لا بدّ للناس من القضاء»[٣]، لذلك يرى علي عليه السلام: أن على القاضي أن يتحرى الحق وأن يحكم بالعدل دون أي التباس، لأن القاضي الجائر

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص٣٧٥.

(٣) وكيع: أخبار القضاة ١/ ٥، ٢١.

والقاضي المخطئ ـ وإن كانت نيته العدل ـ كلاهما في النار من وجهة نظر علي عليه السلام (١).

ويبدو أن الإغراءات المادية والسعي وراء الشهرة في صدر الإسلام أدى بالكثير من الناس إلى الجري وراء ذلك المنصب، ممّا جعل علي عليه السلام يحمل حملة شعواء على مثل أولئك المتطفلين على الوظيفة، وقد ورد ذلك في نصين في النهج:

ـ **الأول** منهما يبيّن خطورة القاضي الجاهل بعلم القضاء، وما ينجر عن جهله من كوارث على الناس، جاء في خاتمته «جَاهِلٌ خَبَّاطُ جَهَالاَتٍ، عَاشٍ رَكَابُ عَشَوَاتٍ، لَمْ يَعُضَّ عَلَى العِلْمِ بِضِرْسٍ قَاطِعٍ. . . لاَ يَحْسِبُ العِلْمَ فِيْ شَيءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ، وَلاَ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مَذْهَباً لِغَيْرِهِ، وَإِنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرٌ اكْتَتَمَ بِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ، تَصْرَخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدِّمَاءُ وَتَعُجُّ مِنْهُ المَوَارِيثُ»(٢).

ـ **أما النص الثاني** فيتمثل في اختلاف الفتيا بين القضاة في قضية واحدة بعينها بحيث يحكم فيها كل قاض بخلاف حكم الآخر، ثم يجتمعون عند من «اسْتَقْضَاهُمْ فَيُصَوِّبُ آراءهم جَمِيْعاً، وَإِلٰهُهُمْ وَاحِدٌ، وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ. أَفَأَمَرَهُمُ الله ـ سُبْحَانَهُ ـ بِالإخْتِلاَفِ فَأَطَاعُوهُ، أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوهُ»(٣).

---

(١) راجع السابق ص١٨.

(٢) خطب ١٧، فقرة ٢. تعج: يرتفع صوتها مولولة، ويقول محمد عبده أن «صراخ الدماء وعج المواريث، تمثيل لحدة الظلم، وشدة الجور» راجع نهج البلاغة ـ بشرح محمد عبده ص٦١ ـ الأندلس.

(٣) خطب ١٨، الفقرة الأولى.

لذلك وضع شروطاً شاملة ودقيقة فيمن يصلح لتولي ذلك المنصب المهم وهي:

* ١ ـ شروط أخلاقية.
* ٢ ـ شروط ثقافية.
* ٣ ـ شروط نفسية.

أولاً ـ الشروط الأخلاقية:

وحصرها في وجوب كون القاضي من حيث اختياره، من أفضل الرعية عند ولي الأمر أخلاقا[١] وصورة هذه الأخلاق تتجلى في:

الصبر والتأني والثبات فلا «تَضِيْقُ بِهِ الأُمُورُ»[٢] في مجلس القضاء وأن لا يكون أعسر الخلق لجوجاً، حتى يمكنه تجنب استخدام أساليب الضغط أثناء طلبه من أحد المتخاصمين الإدلاء بحجته، فهو بهذه الخصيصة الأخلاقية «مِمَّنْ لاَ تُمْحِكُهُ الخُصُومُ»[٣]. وإذا ما زلّ على أحد المتخاصمين وشعر بذلك فمن الواجب عليه أن يراجع نفسه فلا «يَتَمَادَى فِيْ الزَّلَّةِ»[٤]، وإذا ما أخطأ واستبان فلا يصرّ عليه «وَلاَ يَحْصُرُ مِنَ الفَيءِ إلى الحَقِّ إذا عَرَفَهُ»[٥].

ثانيا ـ الشروط الثقافية:

بالإضافة إلى تبحر القاضي في الشريعة الإسلامية يجب أن يكون مزوداً بثقافة موسوعية عامة، فلا يقصر نظره في قضايا الناس على ما

---

(١)،(٢)،(٣) راجع رسائل ٥٣، فقرة ٢٠.

(٤)،(٥) راجع رسائل ٥٣، فقرة ٢٠.

يستبين له من براهين لأول وهلة، بل يجب أن يستقصي في دراسته لتلك البراهين كل الأدلة الشرعية الناتجة عنها «فَلاَ يَكْتَفِيْ بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ»[1]. وقد تشتبه الأمور عليه ويلتبس الحكم، وفي هذه الحالة يجب أن يتحرز من الوقوع في الشبهات، ولا يبتُّ في حكم إلاّ بعد أن يطمئن إلى عدالته[2]. ثم أنه يجب أن يكون ممن يعتمد في قضائه على سماع جميع أقوال المتخاصمين[3]، ويزنها بميزان العدل بإرجاعها إلى الأصول المعتبرة، ومقارنتها بمثيلاتها، ومن ثم يصدر حكمه بناء على قوة الحجج، لا من حيث الجدال والمماحكة، وقوة الأسلوب، ولكن من حيث قوة المنطق ومطابقته للحق[4].

ثالثاً ـ الشروط النفسية:

إن النفس الإنسانية التي تجعل من المال هدفاً وغاية، قد تضطر إلى التخلي عن التزاماتها في سبيل ذلك، لذا فقد رأى عليعليه السلام أن يكون المؤهل لمنصب القضاء ممن لا «تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ»[5]. كما أن التبرم والضيق لا يتفقان وطبيعة العمل القضائي. فمن خاصية القاضي أن يكون منشرح الصدر يستمع إلى الخصوم بإصغاء دونما ملل «مِنْ مُرَجَعَةِ الخَصْمِ»[6] ويتحلى بضبط النفس «حَتَّى تَتَكَشَّفَ الأُمُورُ»[7]، ويجب أن يتمتع بمزايا الشجاعة والجرأة والصرامة في الوقوف بجانب الحق «عِنْدَ اتِّضَاحِ الحُكْمِ»[8]. وينأى بنفسه عن الخيلاء وينبذ النفاق والتزلف «فَلاَ يَزْدَهِيَهُ إِطْرَاءٌ وَلاَ يَسْتَمِيْلُهُ إغراء»[9].

---

(١)،(٩) المصدر السابق.

وعلي عليه السلام حين يضع لمنصب القضاء تلك الشروط المثالية، فهو على وعي تام بأن الحصول على مثل أولئك الرجال قليل[١]، ولكن قلّتهم لا تمنع من البحث عنهم بين الناس لحاجة المجتمع إليهم. إلاّ أنه في نفس الوقت واحترازاً من الوقوع في الخطأ، واطمئنانا على حقوق الناس أوجب على ولي الأمر مراقبة القضاة، ومراجعة أحكامهم من حين إلى حين[٢].

وحين يجنب القضاة الإنزلاق في هاوية الحاجة بقبول الرشاوي والإغراءات المادية فقد أوصى لهم من المال «مَا يُزِيْلُ (عِلَّتَهُمْ) وَتَقِلُّ مَعَهُ (حَاجَتَهُمْ) إلى النَّاسِ»[٣].

ولاستقلالية القضاء مكانة عالية في فكر علي عليه السلام، لأنه ـ كما نتصور ـ يرى أبعاد القاضي من أي ضغط من شأنه التأثير في نزاهة الحكم بالإرهاب، أو بأية وسيلة أخرى، وحتى يكون حكم القضاة نافذاً في كل الأوقات، وعلى جميع الناس، فقد أوصى أولياء الأمور ممن يوكل إليهم اختيار القضاة، أن يكون أصحاب أولئك المناصب تحت إشرافهم المباشر[٤] ولا يوكلوا أمر الأشراف عليهم من قبل هيئة معينة. وذلك حتى يقوى مركزهم، ويشعرون بأن وراءهم قوة تسندهم في حال ابتلائهم بقوة تحدّ من سلطتهم وتعطل أحكامهم، وبذلك يمكن القول أن علياً عليه السلام قد وضع دستوراً مثاليا متكاملاً، يتناسب ومثاليته المتناهية في حب الإنسان والإنسانية.

٤ ـ بيت المال:

لا يكاد نهج البلاغة أن يمدنا بالشيء الكثير عن المؤسسة المالية في

---

(١)،(٤) المصدر السابق.

فكر عليعليه السلام لكون اعتماد جامع نصوصه منهجاً انتقائياً معيناً، حال بينه وبين نقل جميع ما أثر عن عليعليه السلام وقد أشار إلى ذلك في مقدمته[١]. إلاّ أننا لا نعدم الخطوط الأساسية العريضة لتلك المؤسسة من خلال الإشارات الخاطفة التي يرسلها عليعليه السلام في خطبه أو ضمن بعض رسائله ووصاياه وحكمه خاصة عهده للأشتر الذي وصلنا كاملاً، وضمّنه عليعليه السلام الكثير من أفكاره في بناء الدولة وسياستها. فمن ذلك النص والنصوص الأخرى يمكننا استنتاج أهم موارد الخزينة (بيت المال) وطريقة جبايتها، والوجوه التي تصرف فيها، فأهم موارد الدولة المالية في عهد عليعليه السلام كما يتهيأ لنا هي:

*** ١ ـ الزكاة[٢].**

---

(١) راجع مقدمة نهج البلاغة في أية نسخة من النسخ المجدولة في ص٧٨٣ من هذا البحث وراجع أيضاً ص١٢٩ من هذا البحث.

(٢) الزكاة أو الصدقة، يفترق الاسم ويتفق المسمى، ولا يجب على المسلم في ماله حق سواها، الأحكام السلطانية ص٩٩، ويقول محمد جواد مغنية: الفقه على المذاهب الخمسة ص١٦٦: إن الشيعة الإمامية والمالكية يوجبون الزكاة على الكافر كما يوجبونها على المسلم، ويوجب الشيعة الإمامية الخمس في كل ما يفضل عن مؤونة سنة الإنسان وعياله مهما كانت مهنته ومن أي نحو حصلت فائدته، سواء أكان من التجارة أو الصناعة أو الزراعة أو الوظيفة أو العمل اليومي، أو من الأملاك أو من الهبة أو من غيرها، ولو زاد على مؤونة سنته قرش واحد أو ما يعادله، فعليه أن يخرج خمسه ـ الفقه على المذاهب الخمسة، السابق ص١٨٧. أما مذاهب السنة فيحددون الخمس في الأموال التي تجبى من الكفار من فيء وغنيمة، كما يبدو من كلام الماوردي في الأحكام السلطانية ص١١٠. وقد عرضنا إلى اختلاف المذاهب الإسلامية في توزيع الخمس ضمن هذا البحث.

*** ٢ ـ الجزية[١].**

*** ٣ ـ الخراج[٢] والعشر[٣].**

*** ٤ ـ التجارة والصناعة.**

ويمكننا ممّا بين أيدينا من نصوص استنتاج ملامح فكر علي عليه السلام في الكيفية التي اختطها لجمع تلك الضرائب، والسياسة التي يتبعها في صرف الأموال في وجوهها المستحقة والوازنة بين الداخل والخارج وحساب المستقبل.

١ ـ الزكاة:

أو الصدقة، وينبع الإهتمام بها في الإسلام لكونها ضمن العبادات، وهي الركن الثالث في الإسلام ، استناداً لقول النبي صلى الله عليه وآله «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى

---

(١) الجزية: ضريبة مالية «موضوعة على الرؤوس، وتؤخذ مع بقاء الكفر وتسقط بحدوث الإسلام. . . وتجب على الرجال الأحرار» الأحكام السلطانية ص١٢٧.

(٢) الخراج: هو ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عنها. والخراج يؤخذ على الكفر والإسلام بمعنى أن الأرض الخراجية تبقى على حالها من حيث أداء الضريبة المقررة عليها بغض النظر عن دخول مالكها الإسلام، أو شرائها من قبل مسلم. راجع السابق ص١٢٤، ١٢٧.

(٣) العشر: هو ما يوظف على الأرض الميتة إذا ما أحياها مسلم بمدها بالماء، وتعهد تربتها، واستغلال مواردها، فإن الإسلام يملكها له استناداً على قول الرسول صلى الله عليه وآله «مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَوَاتًا فَهِيَ لَهُ». الأحكام السلطانية السابق ص١٥٣، وذلك التمليك يكون بشروط معتبرة في كتب الفقه ـ راجع السابق ـ وفيما لو أحيا أحد المسلمين أرضاً مواتاً فهي ملك له شريطة أ، يدفع لولي الأمر عشر ما تدره الأرض كضريبة سنوية ـ راجع السابق.

خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إله إلاّ الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»[١]. وقد أعطى علي عليه السلام للزكاة مكانة هامة، جعلته يتتبع جمعها من المسلمين منذ بداية العملية حتى اللحظة الأخيرة من توزيعها على مستحقيها. وجمع الزكاة في فكر علي عليه السلام، يقوم على دعامة أخلاقية متينة، تحول بين جامعيها والقسرة في جبايتها، لأنها في الأساس تطهير للنفس من الشحّ، وإبعادها عن حبّ الذات بالتكالب على المادة، ولن يتأتى ذلك إلاّ إذا كان المزكي ذا قلب سليم ونفس سمحة، فمن وصيته لعمّاله على الصدقات يأمرهم بالقول «عِبَادَ الله، أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ الله وَخَلِيْفَتُهُ، لِآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ الله فِيْ أَمْوَالِكُمْ، فَهَلْ فِيْ أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إِلىَ وَلِيِّهِ، فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: لاَ، فَلاَ تُرَاجِعْهُ، وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ فَانْطَلِقْ مَعَهُ»[٢]. ثم إن على ذلك العامل إلاّ يأخذ من المتصدق أكثر من حق الله المفروض في ماله[٣]. ولا يأخذ من المال إلاّ ما هو رضاً لصاحبه[٤] إذ ليس تعني الموافقة على دفع الزكاة، بأن تقوم السلطة بمحاسبة المزكي محاسبة دقيقة باستخدام العسف والإرهاب، لذا يجب على العامل أن يأخذ ما أعطي، اعتماداً على صدق المزكي، وإخلاص إيمانه، وفي حالة امتلاك المتصدق إبلاً أو ماشية فعلى العامل أن لا يدخل إليها إلا بإذنه لأن «أَكْثَرَهَا لَهُ... فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلاَ تَدْخُلْ عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ وَلاَ عَنِيْفٍ بِهِ، وَلاَ تُنَفِّرَنَّ بِهِيْمَةً وَلاَ تُفْزِعْهَا، وَلاَ تَسُوءَنَّ صَاحِبَهَا فِيْهَا، وَاصْدَعِ المَالَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْهُ، فَإِذَا اخْتَارَ، فَلا تَعْرِضَنَّ لِمَا

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٤٥.

(٢)، (٣)، (٤) رسائل ٢٥. وأنعم: أجاب بنعم.

اخْتَارَهُ، ثُمَّ اصْدَعِ البَاقِي صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْهُ، فِإذَا اخْتَارَ فَلاَ تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ، فَلاَ تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيْهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ الله فِيْ مَالِهِ فَإِنْ اسْتَقَالَكَ فَأَقِلْهُ ثُمَّ اخْلَطْهُمَا ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الّذِي صَنَعْتَ حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ الله فِيْ مَالِهِ»[1]. فالمثالية ـ كما نلاحظ ـ قد بلغت الذروة، فلم تقتصر عند علي عليه السلام على الموافقة على أداء الزكاة بل تعدتها إلى التخيير المتناهي في عدالته، وشملت أيضاً طريقة التعامل مع المال والحيوان، إلاّ أن ذلك لا يعني ـ في فكر علي عليه السلام ـ القبول بأي شيء لا يتناسب ومصلحة مستحقي الصدقة، ففي زكاة الحيوان، على سبيل المثال، يجب عدم قبول المعيب أو المريض[2]، إذ من واجب عامل الزكاة أن لا يقبل إلاّ ما هو صالح للناس.

ثم أن علياً عليه السلام في مثاليته، يسير مع عامله على الصدقات خطوة بخطوة خلال رحلته الشاقة، فينصحه بأن لا يوكل بما اجتمع عنده من مال المسلمين «إلاّ نَاصِحًا شَفِيْقًا أَمِيْنًا حَفِيْظًا، وَغَيْرَ مُعْنِفٍ وَلاَ مُجْحِفٍ وَلاَ ملغب وَلاَ مُتْعَبٍ»[3]. كما يجب عليه أن يراعي الله فيما اجتمع عنده من حيوانات، حتى تصل إلى مستقرها، فتقسم على مستحقيها وهي سليمة غير متعبة[4].

فإذا اكتملت عملية جمع الزكاة في كل ولايات الدولة، واستقرت الأموال في بيوتها، فعلى القائم بالأمر أن يباشر بتقسيمها على السبعة الذين

---

(١)، (٢) السابق. وأصدع: أقسم، واستقالك: أي ظن في نفسه سوء الاختيار فطلب منك أن تعيد عملية القسمة.

(٣)، (٤) السابق. وملغب: المعي من التعب.

خصهم الله تعالى في قوله ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾[1]، ولا أن يتعدى المسؤول في توزيعها أولئك السبعة. وكما يبدو من كلام علي عليه السلام في وصية أخرى إلى عماله على الصدقات، إن المتولي على جمع صدقات البقعة أو الحي، هو الذي يقوم بتوزيع ما اجتمع عنده على المحتاجين، والضعفاء، وذوي الفاقة، من أهل المنطقة ذاتها، كما أن على المتولي أن لا يأخذ حقه من الصدقات إلاّ بإذن ولي الأمر، وبالمقدار الذي يفرضه له، وفي ذلك يقول لعامله على الصدقات «إِنَّ لَكَ فِيْ هَذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيْبًا مَفْرُوضًا وَحَقًّاً مَعْلُوماً وَشُرَكَاءَ أَهْلَ مَسْكَنَةٍ وَضُعَفَاءَ وَذَوِي فَاقَةٍ، وَإِنَّا مُوَفُّوكَ حَقَّكَ فَوَفِّهِمْ حَقَّهُمْ»[2]. وعلى ذلك فإنه لا يرجع إلى بيت المال المخصص للزكاة إلاّ ما زاد عن حاجة فقراء المنطقة التي جمعت منها، وهو ما يشير ـ حسب فهمنا ـ أن علياً عليه السلام قد خصص مقداراً معيّنا لكل مستحق في دولة الإسلام، لأنه عادة ما يأمر ولاته بتوزيع الزكاة على مستحقيها، ثم يرسل ما تبقى عنده منها إلى عاصمة الدولة ليقوم الخليفة بتقسيمه بما يقيم التوازن بين الولايات كلها، إذ لا بدّ أن تكون الزكاة في ولاية ما أكثر منها في ولاية أخرى، لذا فقد أوجب على ولي الأمر أن يراعي ذلك أثناء جمع الصُدقة وتوزيعها، وإننا وإن كنا لا نملك نصّا صريحاً بذلك في النهج، إلاّ أنه يمكن استنتاجه من قوله إلى قثم[3] بن

---

(١) التوبة / ٦٠.

(٢) رسائل ٢٦، فقرة ٣.

(٣) راجع ترجمته في ص٣٤٢ من هذا البحث.

العباس عامله على مكة «أُنْظُرْ إِلَى مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ اللهِ فَاصْرِفْهُ إِلى مَنْ قِبَلَكَ مِنْ ذَوِي العِيَالِ وَالجَمَاعَةِ، مُصِيْباً مَوَاضِعَ الفَاقَةِ وَالخَلاَّتِ، وَمَا فَضَلَ عَنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنَا لِنُقَسِّمَهُ فِيْمَنْ قِبَلَنَا»[١]، والتقسيم فيمن قبله ـ على ما نعتقد ـ لا يعني الكوفة عاصمة الخلافة بالذات، بل يعني محاولة العدل في التوزيع بين فقراء المسلمين في كل بقاع الدولة.

٢ ـ الجزية:

في اعتقادي أن أثر هذه الضريبة في موارد الدولة ـ على عهد عليعليه السلام ـ كان ضئيلاً نسبياً، لكون الكثير ممن كانوا يدفعونها قد دخلوا الإسلام، إما تخلصاً من دفعها، فلم يبق من دافعيها إلاّ قلة من اليهود والمسيحيين فيما عدا التغلبيين[٢]، لذلك لا نرى للجزية أي ذكر في نصوص النهج، أو قد يكون ضمن النصوص التي لم تدخل ضمن اختيار الجامع[٣].

٣ ـ الخراج والعشر:

أو ضريبة الأرض، وقد اهتم المسلمون بها اهتماماً بالغاً لكونها المصدر الرئيس لتمويل مشاريع الدولة، وصرف مرتبات الجند والقضاة

---

(١) رسائل ٦٧، الفقرة الثانية، وقبلك ـ بكسر ففتح ـ: أي عندك، والفاقة: شدة الفقر والخلة ـ بفتح الخاء ـ: الحاجة.

(٢) صالح عمر بن الخطاب نصارى بني تغلب أن يضاعف عليهم الزكاة عوضاً عن الجزية شريطة ألاّ يشتركوا في حرب ضد المسلمين وأن لا ينصروا أولادهم. راجع الخراج لأبي يوسف ص١٢٠.

(٣) راجع ص١٢٩ وما بعدها من هذا البحث.

والعمال وغيرهم من الموظفين، ومن دواعي الإهتمام بها فقد دخلت تلك الضريبة في كتب الفقه الإسلامي كموضوع قائم بذاته، فأفرد لها أبو يوسف[١] (ت ١٨٢) فصولاً عرّفها فيها، بالإضافة إلى كيفية جمعها من الفلاحين وملاّك الأرض، والنواحي التي تصرف فيها تلك الأموال. كما عالج ضريبة الأرض أيضاً أبو عبيد القاسم بن سلام[٢] (ت ٢٢٤)، وحظيت أيضاً باهتمام يحي بن آدم[٣] (ت ٣٧٠ هـ)، وعرض الماوردي لها[٤]، كما أفرد الحافظ عبدالرحمن بن أحمد الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ) كتاباً، خاصاً بالخراج أسماه (الإستخراج في أحكام الخراج)، ولو رجعنا للنهج لنستقرئ فكر عليعليه السلام في ضريبة الأرض تلك، فسنجد أن اهتمامه قد انصب أولاً ـ وقبل جباية الأموال ـ على العامل أو الفلاح، ومن ثم على الأرض التي يعملون عليها، وهما كما نلاحظ دعامتا الثروة الرئيستان في المجتمع الزراعي، الذي كانت الدولة الإسلامية تعتمد عليه في معيشة سكانها، وفي إدارة دفة الحكم. يقول عليعليه السلام في عهده للأشتر «وَتَفَقَّدْ أَمْرَ الخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِيْ صَلاحِهِ وَصَلاَحِهِمْ، صَلاَحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلاَ صَلاَحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلاَّ بِهِمْ لأنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الخَرَاجِ»[٥]، فالخراج في النص كناية عن الأرض، وليست الضريبة

---

(١) راجع كتاب الخراج ص٣٣، ٤٧، ٦٣، ١٣٣.

(٢) راجع كتاب الأموال ص٧٣، ٧٩، ٨٣، ١٠٢، ٥٢٤...

(٣) راجع كتاب الخراج ص٢٢، ٦٣، ٨٤.

(٤) راجع الأحكام السلطانية ص١٢٤ وما بعدها وص ١٥٣ وما بعدها وص ١٦٧ وما بعدها.

(٥) رسائل ٥٣، فقرة ٢٢.

المفروضة عليها، ثم أن أهل الخراج هم الفلاحون وتفقدهم يعني إصلاح حالهم وتعهدهم بإنشاء القنوات، ومدّ الجسور، وحفر الآبار، واستصلاح الأرض، والوقوف إلى جانبهم في وقت الكوارث الطبيعية، من جفاف أو فيضان أو جراد، فإن كل ذلك يمّكن الفلاح من زيادة إنتاجه، ويعني في نهاية المطاف الزيادة في دخل الخراج، ومن أجل ذلك يقول عليعليه السلام للأشتر «وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِيْ عَمَارَةِ الأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِيْ اسْتِجْلاَبِ الخَرَاجِ، لأَنَّ ذَلِكَ لاَ يُدْرَكُ إلاَّ بِالْعَمَارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الخَرَاجَ بِغَيْرِ عَمَارَةٍ، أَخْرَبَ البِلاَدَ وَأَهْلَكَ العِبَادَ وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلاَّ قَلِيْلاَ»[1]، لأن العمال والفلاحين سيهجرون الأرض وبذلك تكثر المجاعات وينهدم الإقتصاد فيختل الأمن، ممّا يدعو في النهاية إلى زوال نظام الحكم، فالعمران ـ كما يبدو في فكر عليعليه السلام ـ هو ما ينمي الدخل «وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الأَرْضِ مِنْ إعْوَازِ أَهْلِهَا، وَإِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلُهَا لإِشْرَافِ أَنْفُسِ الوِلاَةِ عَلَى الجَمْعِ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالبَقَاءِ وَقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالعِبَرِ»[2] وهو ما يعني ضمنا أن أحكام السياسة المتعلقة لا يكمن في إرهاق العباد بفرض الضرائب وجمع الأموال لملء خزينة الدولة، لأن دخل الدولة الحقيقي ورصيدها المالي هو الإنسان ذاته، فإذا صلح الإنسان وصلحت حاله، تمكن من العطاء بما يعود عليه وعلى البلاد بالخير العميم، وفي تاريخ الإنسانية من العبر الكثيرة التي يمكن للحكام الإنتفاع بها لو تأملوها بعين العقل. على تلك الأسس الإنسانية المتينة باشر عليعليه السلام سياسته المالية تجاه الأرض مصدر الرزق

---

(١) المصدر السابق.

(٢) رسائل ٥٣، فقرة ٢٢. إعواز أهلها: جعلهم في حاجة مستديمة، إشراف: تطلع.

الأساسي في عصره، فمن وصية له إلى عماله على الخراج يقول «وَلاَ تَبِيْعَنَّ للنَّاسِ فِيْ الخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتَاءٍ وَلاَ صَيْفٍ، وَلاَ دَابَّةٍ يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا، وَلاَ عَبْدًا، وَلاَ تَضْرِبْ أَحَداً سَوْطاً لِمَكانِ دِرْهَم وَلاَ تَمِسَنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مُصَلٍّ وَلاَ مُعَاهِدٍ، إلاّ أنْ تَجِدُوا فَرَسًا أَوْ سِلاَحًا يُعْدَى بِهِ عَلَى الإِسْلاَمِ»(١)، إذ لا يمكن أن تؤخذ الضريبة من الإنسان على ضرورياته الحياتية «من غذاء أو كساء أو أثاث أو آلة أو حيوان»(٢). وبهذا الأسلوب المثالي السمح تدفقت الضرائب من خراج وعشر على بيت مال الدولة ممّا جعل العطاء يزيد ويكثر(٣) إلى الحد الذي أدّى بعلي عليه السلام إلى إطعام اليتامى والمساكين العسل(٤).

٤ ـ التجارة والصناعة:

هما من مصادر الدولة المهمة في عصر صدر الإسلام وإن لم تكونا في مستوى الخراج أهمية. فقد كان عمر بن الخطاب يستوصي بالتجار، ويسهر على راحتهم، حتى بلغ به الأمر حراستهم وحراسة أموالهم بنفسه، فممّا يؤثر عنه أنه «كان يعس ليلاً، فنزلت رفقة من التجار بالمصلّى، فقال لعبد الرحمن بن عوف، هل لك أن نحرسهم الليلة من السّرق؟ فباتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهما»(٥)، ولأهمية التجارة في حياة الأمة وفي انتعاش اقتصاد الدولة، فقد أفرد لها علي عليه السلام مساحة من فكره

---

(١) رسائل ٥١.
(٢) مغنية: في ظلال النهج ٤/ ٤١.
(٣)،(٤) راجع أنساب الأشراف ٢/ ١٣٦ وما بعدها.
(٥) ابن أبي الحديد ١٢/ ١٤.

الإقتصادي يمثله قوله لمالك الأشتر «ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ، وَذَوِيْ الصِّنَاعَاتِ وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا، الْمُقِيْمِ مِنْهُمْ وَالْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ، وَالْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُ الْمَنَافِعِ وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ، وَجُلاَّبُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ، فِيْ بَرِّكَ وبَحْرِكَ وَسَهْلِكَ وجَبَلِكَ حَيْثُ لا يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا وَلاَ يَجْتَرِئُونَ عَلَيْهَا»[١]. فالتجارة بما يكتنفها من المخاطر والمغامرة بالأموال من قبل التجار، إلاّ أنها ضرورية بل وأساسية في حياة الناس، لأنها توفر ما يحتاجونه من آله وكساء وطعام، هذا بالإضافة إلى ما تدره على بيت المال من دخل يتمثل في جباية الأسواق بالإضافة إلى الضرائب التي يدفعها التجار مقابل ما يجلبونه من مؤن وبضائع إلى البلاد، لذا من واجب الحكومة أن ترعاهم بما يكفل لهم الربح المعقول، وتجنبهم الخسارة، بتوفير الأمن والحماية لهم، إذ لا يمكن أن تستقر تجارة إلاّ في مجتمع مستقر، ولا يمكن للتاجر أن يستثمر أمواله إلاّ إذا شعر بالأمان، لما في طبعه من حذر وحيطة وجبن، فالتجار على العموم ـ من وجهة نظر علي عليه السلام ـ «سِلْمٌ لا تُخَافُ بَائِقَتَهُ وَصِلْحٌ لاَ تُغْشَى غَائِلَتَهُ»[٢]. لكن علياً عليه السلام لم يترك الحبل على غاربه للتجار، بحيث يمكنهم التصرف في الأسواق كما يشاؤون، فهو في نفس الوقت الذي أحاطهم فيه بالرعاية، فإنه قد نبّه إلى أن «فِيْ كَثِيْرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشًا وَشُحّاً قَبِيْحًا، وَاحْتِكَارًا

---

(١) رسائل ٥٣، فقرة ٢٤، والمضطرب بماله: الذي لا يستقر في بلد ما، والمترفق ببدنه: المتكسب من عمل يده من بناء ونجار وغيره، والمرافق: ما ينتفع بها من أدوات، جلاّ بها: الذين يأتون بها.

(٢) السابق، وبائقته: داهيته ومكره، وغائلته: عصيانه وتمرده.

لِلْمَنَافِعِ وَتَحَكُّمًا فِي البَيَاعَاتِ»[١]، لذا فمن واجب ولي الأمر ـ والسوق مفتوحة للجميع ـ أن يراقب الأسعار ويحول بين التجار والإضرار بالناس[٢] فالتجارة، وإن كانت ضرورية، ومصدراً مهماً من مصادر الدخل ـ كما تبدو في فكر علي عليه السلام ـ إلاّ أنها مقننة بما يتماشى ومثاليته المتناهية في تطبيق شرائع الإسلام طبقا للكتاب والسنة.

أما الصناعة والصناع الذين وصّى واليه الأشتر بهم خيراً[٣]، فإن الذي يقصده من وصيته تلك ـ كما نستخلص من سيرته[٤] ـ أنه يريد بذلك حمايتهم وحماية صناعاتهم من الإنقراض، حتى لا يتضرر الناس ويتأثر الإقتصاد، فإن قلة الحاجة إلى بعض الصناعات في وقت ما لا يعني اهمالها وعدم رعايتها، فقد تكون تلك الصناعة متوفرة في إقليم ونادرة في إقليم آخر، فتعهدها وحمايتها يعني التكامل الإقتصادي فيما بين أقاليم الدولة المختلفة لأن «اختصاص بعض الأمصار ببعض الصنائع دون بعض، وذلك أنه من البيّن أن أعمال أهل مصر يستدعي بعضها بعضاً لما في طبيعة العمران من التعاون»[٥]. لذا كان علي عليه السلام ـ فيما نعتقد ـ يأخذ ضمن الجزية والخراج والزكاة، بعض الصناعات المتداولة في عصره. يقول أبو يوسف «كان علي بن أبي طالب (ك) فيما بلغنا يأخذ منهم (أي أهل الذمة) في جزيتهم الإبر والمسال ويحسب لهم من خراج رؤوسهم»[٦]. وقد ورد

---

(١)،(٢) المصدر السابق.

(٣) راجع السابق، مطلع الفقرة.

(٤) راجع ابن أبي الحديد ٢/ ١٩٩ ـ طريقة علي عليه السلام في تقسيم ما في بيت المال.

(٥) مقدمة ابن خلدون ٤٧٢.

(٦) الخراج ص١٢٢، والمسال: إبر الخياطة الكبيرة التي يخاط بها الخيش.

عند البلاذري أن علياً عليه السلام كان (يقسم العطور بين نسائنا)[١] كما كان يقسم بينهن الإبر التي كان يأخذها «من اليهود ممّا عليهم من الجزية»[٢] وهو بعمله ذاك إنما يهدف إلى تشجيع الصناعات والإبقاء عليها باعتبارها أحد مصادر الدولة. تلك هي إذن مصادر المؤسسة المالية وكيفية جبايتها ـ كما تبدو في فكر علي عليه السلام ـ فما هي سبل صرفها؟.

سياسة التصرف في موارد الدولة المالية كما تبدو في النهج:

يخلص القارئ المتسرع في سيرة علي عليه السلام أنه لم يكن يتمتع بفكر اقتصادي قويم ولا بسياسة مالية محكمة، لعدم اهتمامه بالمال، فقد اشتهر عنه أنه لا يرتاح وتطمئن نفسه حتى يقسم كل الأموال الواردة[٣] إلى بيت المسلمين، ثم ينضح أرضه بالماء ويصلي فيه[٤]. كما أثر أنه قد اقترح على عمر بن الخطاب، لما وردت إليه أموال الفتوح أنّ يقسمها في الناس حتى لا يبقى منها شيئ[٥]، ويروي أبو الأسود الدؤلي: أن علياً عليه السلام قد قسّم كل ما وجد في بيت مال البصرة على أصحابه بعد وقعة الجمل[٦]. وتلك تصرفات لا تنمّ عن حنكة سياسية، وتمرس بأساليب الحكم لما فيها من عدم حساب للمستقبل، وإهمال لمشاريع الدولة، وتعطيل لأجهزتها،

---

(١)،(٢) أنساب الأشراف ٢/ ١٣٧.

(٣) راجع أبا عبيد: الأموال ص٣٨٤، فقد روى أن علياً عليه السلام يفرض العطاء أكثر من مرة في العام.

(٤) راجع البلاذري ـ أنساب الأشراف ٢/ ١٣٢.

(٥) راجع ابن أبي الحديد ١٢/ ٩٤.

(٦) السابق ١/ ٢٥٠.

بسبب وفاض الخزينة من المال الذي تحتاجه لكل ذلك.

ولكن المتأمل فيما أثر عن عليعليه السلام في النهج يرى عكس ذلك، إذ يبدو أن بيت المال في أثناء خلافته كان مقسماً إلى أقسام ثلاثة هي:

* **الأول: ديوان الزكاة:** وهو مؤسسة مالية قائمة بذاتها تختص بجمع الزكاة ثم توزيعها على مستحقيها بالعدل في جميع أرجاء الدولة الإسلامية تحت إشراف الخليفة وأموال هذا الديوان لا يبقي عليعليه السلام منها شيئا لكونها من المنصوص عليه في القرآن الكريم.

* **الثاني: ديوان العطاء:** وهو مؤسسة مالية قائمة بذاتها أيضاً استحدثت في عهد عمر بن الخطاب[١] ويدخل فيه أربعة أخماس[٢] ما يجبى من الغنيمة[٣] والفيء[٤] وتقسم في الجند بالسوية[٥]، وهو ما كان يتصرف فيه عليعليه السلام بإعطاء كل ذي حق حقه بالعدل بموجب ما يدخل فيه من مال وثمر وعسل وغيره من الصناعات. وجميع أموال هذا الديوان لا تدخل ضمن الصرف على مشاريع الدولة، لذلك يقوم عليعليه السلام بتقسيم جميع أمواله حتى لا يبقي فيه شيئا.

* **الثالث: بيت المال:** أو خزينة الدولة، ومن مهامه الصرف على ديوان الجند وما يتعلق بمشاريع الدولة من إصلاحات واعمار، ودفع

---

(١) راجع أبا عبيد، السابق ص٢٣٦، وابن أبي الحديد ١٢/ ٧٥.

(٢) راجع يحي بن آدم: الخراج ص١٨.

(٣) الغنيمة: ما غلب عليه المسلمون بالقتال حتى يأخذوه ـ السابق ص١٧.

(٤) الفيء: ما صولحوا عليه دون قتال ـ السابق.

(٥) راجع السابق ص١٨.

مرتبات الولاة والقضاة والعمّال وغيرهم من موظفي الدواوين. ومصادر هذا الديون خراج مالم يأخذه المسلمون من الكفار لا عنوة ولا صلحاً[١]، وبالإضافة إلى الخمس[٢] الخامس من مال الفيء والغنيمة، وذبك بعد اقتطاع سهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل بحسب ما ورد في قوله تعالى ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[٣] مع ملاحظة أن سهم الرسول قد دخل ضمن اختصاصات ولي الأمر القائم بشؤون الدولة، يصرفه حيث تقتضي مصلحة الإسلام. وبيت المال هذا هو ما يمكننا أن نطلق عليه ـ تجوّزاً ـ

---

(١) وهو ما هرب عنه أهله من مال وضياع، وتركوه من غير قتال، السابق ص١٧.

(٢) يلاحظ هنا اختلاف المذاهب الإسلامية في سهم الرسول ﷺ من الخمس بعد وفاته «فذهب من يقول بميراث الأنبياء إلى أنه موروث عنه مصروف إلى ورثته. وقال أبو ثور: يكون ملكاً للإمام بعده لقيامه بأمور الأمة مقامه، وقال أبو حنيفة: قد سقط لموته، وذهب الشافعي إلى أن يكون مصروفاً في مصالح المسلمين. والسهم الثاني سهم ذي القربى، زعم أبو حنيفة أنه قد سقط حقهم منه اليوم، وعند الشافعي حقهم ثابت» الماوردي ـ الأحكام السلطانية ص١١٠، ١١١. ويتفق الشيعة الإمامية من وجهة النظر القائلة بتوريث نصيب الرسول ﷺ من الخمس لآل بيته استناداً لقول جعفر الصادق عليه السلام «الخمس لنا فريضة» الحر العاملي ـ وسائل الشيعة ٦/ ٣٣٧. وهم إذ يقولون ذلك يعتقدون بعصمة الإمام ممّا يجعله يضع الخمس في صالح الإسلام وأهله، لذلك يرى الخميني (ق) في كتاب الحكومة الإسلامية ص٢٥ أن «الخمس مورد ضخم إنما هو من أجل تسيير شؤون الدولة الإسلامية، وسد جميع احتياجاتها المالية، وأن هذه الأموال الطائلة ليست لرفع حاجات سيد أو طالب علم... بل لسد احتياجات أمة بأكملها» لكون الخمس من وجهة نظر الشيعة أوسع في مفهومه ممّا هو عند السنة. راجع ص٣٥١ من هذا البحث.

(٣) الأنفال/ ٤١.

(وزارة المالية) وهو أيضاً ما يمكننا أن نستنتج منه سياسة علي عليه السلام المتعلقة بتصريف الشؤون المالية إبان حكمه.

فممّا يبدو من عهده لمالك الأشتر أن ميزانية الدولة عنده مقسّمة كالتالي:

ـ **أولا**: الصرف على المشاريع العمرانية من طرقات وجسور وقنوات وتعهد للأراض. وقد وضع ذلك كشرط أساس في العهد(١)، ممّا يعني ضمنا أن العمران من أول واجبات الحكومة نحو البلاد.

ـ **ثانيا**: إفراد ميزانية خاصة بالمؤسسة العسكرية(٢)، يصرف منها على الجند ورجال الأمن، مع توفير ما تحتاجه الدولة من عتاد وسلاح.

ـ **ثالثا**: إفراد ميزانية خاصة لدفع مرتبات الموظفين، من قضاة وعمّال ومراقبين وكتبة، وكل ما يتعلق بالدواوين الحكومية من خصوصيات(٣).

ـ **رابعا**: تخصيص ميزانية للصرف على العجزة والمسنين وذوي العاهات من مسلمين أو معاهدين يعيشون في كنف دولة الإسلام(٤).

ثم أن فكر علي عليه السلام الإقتصادي لم يقتصر على جمع الأموال وصرفها بعد ذلك في وجوهها المستحقة، بل وضع في الإعتبار ـ كما نعتقد ـ ما يسمى في العصر الحديث بموازنة الداخل بالخارج، والحساب للمستقبل حتى تتجنب الحكومة أية ضائقة مالية، وتتفادى أية أزمة اقتصادية، وذلك انطلاقاً من فهمنا لقوله «إِنَّ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا

---

(١) راجع رسائل ـ الفقرة ١، ٢٢.

(٢)،(٣)،(٤) راجع السابق، الفقرات ١٧، ٢٠، ٢١، ٢٥.

يُحْرِزُهَا»[١]، أي أن من لم ينظر بعين العقل إلى المستقبل ولم يحسب لعواقب الأمور، لم يستطع أن يجنّب نفسه اللجوء إلى الحاجة والوقوع في الكوارث. وعلى هذا الأساس يمكن أن يقال ـ فيما نظن ـ أن سياسة علي عليه السلام المالية بما تضمنت من أفكار مثالية، فهي أيضاً مبنية على نهج علمي وتخطيط سليم، انطلاقاً من لا إسراف ولا تقتير امتثالاً لقوله تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[٢].

٥ ـ العمال:

نعني بالعمال أولئك الذين يباشرون جمع الزكاة وجباية الخراج، ومراقبة الأسواق، وقد اهتم الفرس قبل الإسلام بالخراج، فوضعوا له الديوان بعد أن مسحوا الأرض وأحصوا الأنفس، وعرفوا ما يمكن جبايته من كل فرد[٣]، وقد خصّصوا رجالاً ذوي كفاءة لجمع الضرائب واشترطوا فيهم الرأفة بالعباد، والأمانة للمحافظة على ما يجبون من أموال[٤]، ولما فتح المسلمون فارس، اقتبسوا ذلك النظام من الفرس[٥]، فوضعوا على كل أرض ما يناسبها من خراج، وعلى كل إنسان لا يرغب في الدخول في الإسلام أن يدفع مقداراً معيناً من المال أطلق عليه (جزية). وقد وكلت جباية الأموال في بدايتها إلى الولاة وتقديراتهم[٦]، ومن ثم اختص بها

---

(١) رسائل ٥١، الفقرة الأولى.

(٢) الإسراء / ٢٩.

(٣) راجع الجهشياري: الوزراء والكتّاب ص٤.

(٤) راجع السابق ص٦.

(٥) راجع: دانيل دينيث: الجزية في الإسلام ص٤٥ وما بعدها.

(٦) راجع ابن أبي الحديد ٢/ ٤٢، ٤٣، فقد جعل عمر بن الخطاب أبا هريرة عاملا على=

موظفون خاصون تحت إشراف الخليفة أو الوالي، اقتداء بعمل الرسولﷺ[1]. ولعمال الخراج، وغيرهم من مراقبي الأسواق، أهمية كبيرة في فكر عليعليه السلام، لاتصالهم المباشر بالناس على مختلف طبقاتهم، هذا بالإضافة إلى اطلاعه الواسع في أحوال الفرس، والنظام المالي عندهم، وأساليبهم في فرض الضرائب، وذلك عن طريق احتكاكه[2] بهم، بمجالسته إياهم في مجتمع الكوفة، فأضاف ذلك رافداً ثريا إلى زاده الثقافي العميق الذي اكتسبه من الإسلام بمعاشرته الروحية للنبيﷺ[3]. خاصة وأن علياًعليه السلام قد كان يوصي ولاته بدراسة ماضي الأمم التي يتولون رعايتها، وما حدث عليها من عدل أو جور في ظل الحكومات المتعاقبة عليها[4]، حتى يتسنى لهم تفادي سخط الناس، ممّا يعني أنه كان يعمل بذلك. وعليه فإن علمه الواسع بشرائع الإسلام واستلهامه أحوال الماضين من خلال قصص القرآن الكريم وعبره، بالإضافة إلى اطلاعه على أحوال العناصر الأجنبية في مجتمع الكوفة، منحه كل ذلك زاداً فكرياً في معرفة أحوال الناس وطبائعهم، وطرق التعامل معهم، فأتاح له بذلك اختطاط سياسة ترتكز على التعامل مع الجميع على أُسس إنسانية عمادها الأخلاق،

= هجر واليمامة وأقاصي البحرين بالإضافة إلى جباية أموالها وكذلك كان استعماله لعمرو بن العاص على مصر.

(١) من ذلك استعمالهﷺ «خالد بن سعيد عاملاً على صدقات اليمن وقبل على صدقات مذحج» ابن الأثير ـ أسد الغابة ٢/ ٩٨.

(٢) أشرنا إلى ذلك في ص٤٠٩ وما بعدها من هذا البحث.

(٣) راجع قول عليعليه السلام في علاقته بالرسولﷺ: خطب ٢٤٠، فقرة ٢٦، ٢٧.

(٤) راجع رسائل ٥٣، فقرة ٤، ٣٨.

فكان اختياره للعمّال نابعاً من تلك الأسس الإيمانية، والإقتناع الفكري حين وضع شروط اختيارهم وصفاتهم، وكيفية التعامل معهم، لأنهم كما يقول «خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ، وَوُكَلاءِ الأُمَّةِ وَسُفَرَاءُ الأَئِمَّةِ»(١). وأهم الشروط التي وضعها فيمن يتوخاه من رجال لهذا الجهاز المالي الدقيق هي:

الإعتماد على النـزاهة في تعيين أفراده، بالبعد عن المحاباة والأثر والوساطة(٢) مع تجنب الإستجابة لأي فرد يلح على العمل في هذا الجهاز، لأن من يتهالك في الحصول على مثل هذه الوظيفة دون غيرها ـ في فكر علي عليه السلام ـ ليس إلاّ لأن في طبعه «جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الجَوْرِ وَالخِيَانَةِ»(٣) ومحاولة الثراء على حساب الأمة. لذلك لا يصلح لمثل هذه الأعمال إلاّ «أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ البُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالقَدَمِ فِيْ الإِسْلاَمِ المُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلاَقاً وَأَصَحُّ أعْرَاضاً، وَأَقَلُّ فِي المَطَامِعِ إِشْرَافاً وَأَغْلَبُ فِي عَوَاقِبِ الأُمُورِ نَظَراً»(٤)، لأن ارتواء نفوسهم وعمق تجربتهم ورسوخ أقدامهم في الإسلام، كل ذلك يجعلهم على فهم واسع لطبيعة الناس الذين سيتعاملون معهم، بالإضافة إلى أن التدين، وطيب العنصر، ومتانة الأخلاق من المزايا التي تردع صاحبها عن قبول الرشوة، والتعامي عن الحق، والجور على الناس.

أمّا الكيفية التي يجب على ولي الأمر التعامل بها مع أولئك الموظفين فإنها تتمثل ـ كما يراه علي عليه السلام ـ في منع نفوسهم من النظر إلى ما في أيدي الناس وتجنيبهم الإغراءات المادية التي تجعلهم عرضة للسقوط،

---

(١) رسائل ٥١.

(٢)،(٣)،(٤) راجع رسائل ٥٣، فقرة ٢١.

وذلك بتوفير الرزق الكافي لهم «فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلاَحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنىً لَهُمْ»(١) عن الإختلاس والسرقة والنهب. وحتى إذا ما ارتكبوا خيانة أصبح ذلك «حُجَّةً عَلَيْهِمْ»(٢) في التنكيل بهم. ولكن العطاء المجزي ليس وحده كافيا، بل من واجب الدولة أن تتفقد أعمالهم ببثّ «العُيُونِ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالوَفَاءِ»(٣). لأن في شعورهم بالرقابة، رادع لهم لتفادي أي مسلك معوج يؤدي إلى العقاب.

٦ ـ الكتّاب:

أولى المسلمون الكتابة اهتماماً بالغاً، ففي صدر الإسلام وعلى عهد الرسول ﷺ باشر كثير من الصحابة الكتابة بين يديه، فقد كان «علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان يكتبان الوحي، فإن غابا كتبه أُبي بن كعب وزيد بن ثابت، وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان يكتبان بين يديه في حوائجه»(٤).

ولأهمية الكتابة والكتاب في الفكر الإسلامي، أفردت كتب الأدب أبواباً خاصة لدراسة أحكام تلك الصناعة وأهميتها وأثرها في العام والخاص من جمهور الناس(٥)، كما انفردت كتب خاصة أخرى بأدب الكتاب ومعالجة أساليب الكتابة، إلى غير ذلك من أمور أسلوبية ولغوية

---

(١)، (٢)، (٣) رسائل ٥٣، فقرة ٢١.

(٤) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص١٢.

(٥) راجع على سبيل المثال موضوع «أدوات الكتابة والكتّاب» عند: ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ٤/ ١٥٥ وما بعدها، وراجع أيضاً الجهشياري السابق ـ مقدمة الكتاب ص١ وما بعدها وابن النديم ـ الفهرست ص٧، مما بعدها.

وبلاغية تتعلق بشؤون المهنة[(١)]، إذ يبدو أنه كان للكتاب عندهم «أحكام بيّنة كأحكام القضاة، يعرفون بها وينسبون إليها ويتقلدون سياسة الملك بها»[(٢)]. ومن أشهر رسائل الأدب العربي التي عرضت للكتاب وشؤونهم «رسالة عبدالحميد بن يحي الكاتب»[(٣)] (ت ١٣٢ هـ) الشهيرة، وقد عرض فيها لكل ما يتعلق بالكتّاب من آداب، بحيث عدت دستوراً متكاملاً للكتاب من حيث المضمون والشكل. وإذا ما نحن رجعنا إلى بلاغة عبدالحميد الكاتب فإنها ـ على ما نعتقد ـ رافد من روافد بلاغة علي عليه السلام فقد قيل لعبدالحميد «ما الذي مكّنك من البلاغة، وخرّجك فيها؟ فقال: حفظ كلام الأصلع، يعني أمير المؤمنين علياً عليه السلام»[(٤)]. لذلك فلا عجب أن تأتي رسالته إلى الكتّاب ـ كما نتصورها ـ عبارة عن شرح مفصل لما عرضه علي عليه السلام من فكر عن مهنة الكتابة وأهميتها، وما يجب أن يتصف به الكتّاب من مواصفات والأسس التي ينبني عليها اختيارهم. مع الوضع في الإعتبار أن علياً «من أهل هذه الصناعة»[(٥)] إذ لم يقتصر عمله الكتابي في عهد الرسول صلى الله عليه وآله على كتابة الوحي، بل زاول أيضاً كتابة العهود. فهو كما تحدثنا كتب السير والتاريخ ـ الذي كتب معاهدة صلح الحديبية[(٦)] بين يدي

---

(١) من أشهر الكتب: أدب الكاتب لابن قتيبة، والاقتضاب في شرح أدب الكتّاب ـ للبطليوسي (ت ٥٢١ هـ).

(٢) العقد الفريد ٤/ ١٦٠.

(٣) للإطلاع على نص الرسالة راجع الجهشياري، السابق ص٧٣ وما بعدها.

(٤) السابق ص٨٢.

(٥) العقد الفريد ٤/ ١٦١.

(٦) راجع على سبيل المثال: ابن هشام ـ السيرة ٣/ ٣٣١، تاريخ الطبري ٢/ ٦٣٤، وقد عرضنا لصلح الحديبية في ص١٥٠ الهامش (٢) من هذا البحث.

رسول الله صلى الله عليه وآله. وعليه فإن ما جاء في عهده للأشتر بشأن الكتّاب نابع من تجربة واقتناع تام بمكانة الوظيفة. فوضع شرط الأخلاق الفاضلة على رأس شروط اختيار الكتّاب[1] لما يحسه من شعور بأهمية مركزهم الذي يدخل ضمنه أسرار الدولة ومصالحها العامة، وكيفية التواصل بين القيادة والمصالح في طول البلاد وعرضها[2]، إلى غير ذلك من مهام بالغة في الدقة، لا يؤتمن عليها سوى الكتّاب الشرفاء، الذين يعوّل على إخلاصهم، لشعورهم بأنهم ينطقون بلسان الحكومة في كل ما يصدر عنهم من قريب أو بعيد[3]. ومن مميزات المؤهل للوظيفة ـ في فكر علي عليه السلام ـ هو من يكون «مُمْتَنًّا بِكَرَامَةٍ»[4] من يعمل في خدمته، متجنباً الإجتراء عليه في خلاف حول موضوع ما «بِمَحْضَرِ مَلأٍ»[5].

ومن يكون ذكيا نبيها لا يغفل أو يتساهل في مراجعة مكاتبات العمّال «وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ»[6] بما يتماشى والسياسة التي يرسمها له ولي الأمر.

من يكون حازماً، ذا خبرة تامة بأساليب الكتابة التي لا يدخلها الخلل من حيث المنافذ القانونية، ولديه قدرة فائقة في التحكم بأساليب اللغة فلا «يُضْعِفُ عَقْدًا إعْتَقَدَهُ وَلاَ يَعْجَزُ»[7] عن حل عقد يرى فيه مضرة لأمته وإمامه.

من يكون عارفاً بقدر نفسه، واثقاً من مقدرته على أداء ما يناط به من مهام كتابية، معتقداً بعلو مكانته عند من يباشر خدمته «لأنَّ الجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بَقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلْ»[8].

---

(١)،(٨) راجع رسائل ٥٣، الفقرة ٢٣.

وتلك الشروط في مجملها تعني ـ عند علي عليه السلام ـ عدم الإعتماد على الفراسة وحسن الظن أثناء اختيار الكتاب، لأن التصنع والتظاهر بما ليس في الطباع من الأساليب التي يتبعها الكثير من البشر للوصول إلى غاياتهم[١]، لذلك فمن واجب المسؤول، وقبل ترشيحه مثل أولئك الذين يرغبون في الإلتحاق بالخدمة، أن يباشر أولاً بدراسة ماضيهم الوظيفي واختيارهم بناء على «مَا وُلُّوا لِلصَّالِحِيْنَ»[٢] قبله، لأنه بذلك يتمكن من توظيف «أَحْسَنَهُمْ كَانَ فِي العَامَّةِ أَثَرًا وَأَعْرَفَهُمْ بِالأَمَانَةِ وَجْهًا»[٣].

ولضبط الجهاز الوظيفي في الدولة ضبطاً حكماً، يجب تحديد المسؤوليات بتعيين رئيس لكل شعبة، ويكون ذلك الرئيس ذا شخصية قوية متمرساً في وظيفته «لاَ يَقْهَرُهُ كَبِيْرُهَا وَلاَ يَشِتُّ عَلَيْهِ كَثِيْرُهَا»[٤]، وبذلك يضمن نجاح الجهاز الوظيفي وتتجنب الدولة ما لا يحمد عقباه.

٧ ـ الرقابة الإدارية:

مهما بلغت مؤسسات الدولة من الجدّيّة والإحكام والإخلاص، فإنها لا يمكنها الإستمرار في السير في الطريق السليم ما لم تكن تحت إشراف الخليفة[٥] مباشرة، ولا يمكن للخليفة أو الحاكم أن يلم بكل التبعات الثقيلة إلا بمعاونة من جهاز يمكن الإعتماد عليه في معرفة سير دواليب الدولة سيراً متوازناً وسليماً، لذلك ـ على ما نعتقد ـ استخدم على الرقابة الإدارية كمؤسسة قائمة بذاتها، يمكنه من خلال موظفيها معرفة سير الولاة.

---

(١)، (٤) المصدر السابق.

(٥) راجع السابق، فقرة ٢٧.

وأحوال الولايات، إذ يبدو من الكثير ممّا ورد في النهج من نصوص أنه، وعن طريق أولئك الرقباء، قد كشف الكثير من ألاعيب الولاة واختلاساتهم[١] وقد بلغ من دقة أولئك المراقبين من إطلاعه حتى على فحوى الرسائل الخاصة التي كانت تصل إلى بعض عمّاله من أعدائه ومناوئيه[٢]. ويبدو أن جهاز المراقبة، عند علي عليه السلام، لا يقتصر على مراقب واحد لكل إقليم أو مؤسسة، لأن في ذلك ـ على ما نعتقد ـ إجحافاً بحق الوالي أو المسؤول، إذ قد يكون ذلك المراقب ممن يحمل ضغناً أو عداء لذلك المسؤول، ممّا يجعل الحكم في حقه جائراً، فكان تعدد المراقبين[٣] من أجل تفادي ذلك، كما أننا نفهم من سياق النصوص أن علياً عليه السلام قد اعتمد في اختياره للمراقبين الإداريين عدم معرفة بعضهم البعض[٤]، حتى يتجنب الإتفاق فيما بينهم على باطل، وقد اشترط مسبقاً أن يكونوا من «أَهْلُ الصِّدْقِ وَالوَفَاءِ»[٥]، حتى إذا اجتمع رأيهم عند ولي الأمر على اتهام مسؤول بالتقصير أو الخيانة فإنه «يَكْتَفِي بِذَلِكَ شَاهِدًا»[٦] لمعاقبة الجاني بما يستحق، وبذلك ضمن لنا علي عليه السلام ـ كما يتهيأ لنا ـ سياسة عادلة هدفها سعادة الإنسان، وبث الطمأنينة في نفسه ووضعه في المكانة المناسبة لإنسانيته، له من الحقوق مثل ما عليه من الواجبات.

سياسة علي عليه السلام بين المثال والواقع:

النجاح والفشل في عالم السياسة أمران نسبيان، فقد يكون النجاح

---

(١) راجع على سبيل المثال: رسائل ٣، ٢٠، ٤٠، ٤١، ٤٣.

(٢) راجع رسائل ٤٤.

(٣)،(٦) راجع رسائل ٥٣، فقرة ٢٤.

إخفاقاً من وجهة نظر معينة، وقد يكون العكس من وجهة نظر أخرى، ويرجع ذلك إلى مفهوم السياسة عند كلا وجهتي النظر، فالذي يرى أن السياسة تسلط ومكر واحتيال ودهاء، لا يقيم للأخلاق الفاضلة ولا للعدل أي وزن، باعتقاده أن أية سياسة لا تتفق مع مصلحته ومصلحة، فئة معينة من الأمة محكوم عليها بالفشل، ووجهة النظر تلك عادة ما تأخذ من فشل السياسة الأخلاقية على صعيد الواقع في كثير من الأحيان مثالاً.

أما أولئك الذين ينظرون إلى السياسة نظرة أخلاقية وينـزهون أساليبها عن كل التواء، فإنهم لا يعتبرون إخفاق السياسي المثالي في تطبيق سياسته المثالية إخفاقاً للمثالية. والمتأمل في سياسة علي عليه السلام سيجد أنها من النوع المثالي الذي لا يرى في التسلط أو شهوة الحكم غاية يركب إليها أية وسيلة، فقوله «لاَ يُقِيْمُ أَمْرَ الله، سُبْحَانَهُ، إِلاَّ مَنْ لاَ يُصَانِعُ وَلاَ يُضَارِعُ وَلاَ يَتَّبِعُ المَطَامِعَ»(١) نابع من فكره الذي يؤمن به ويتبناه، ويسعى إلى تحقيقه على صعيد الواقع ويرجع ذلك ـ في اعتقادنا ـ إلى الإنسجام التام في شخصيته بين الداخل والخارج، ولقد بذل كل ما في وسعه لخلق مثل ذلك الإنسجام في أصحابه المقربين أولاً ومن ثم في رعيته عامة، ولكن الحظ لم يحالفه، لا لعيب في أساليب التوصيل عنده ولكن العيب في اختلاف نفوس المسلمين في عصره، وقد شعر ـ هو ذاته ـ بذلك التغيير إلا أنه لم يقبل لنفسه أن تتلون وفق مقتضيات الظروف، لارتكازه في سياسته على دعائم راسخة ومتينة، يقول لأصحابه «إِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَيُقِيْمُ

---

(١) حكم ١٠٩، ويضارع ـ المضارعة المشابهة ويضارع يتشبه في عمله بالمبطلين.

أَوَدَكُمْ، وَلَكِنِّي لاَ أَرَى إِصْلاَحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِيْ»[١]، لأن الإقتناع الذاتي بأساليب الإصلاح ـ في فكر علي عليه السلام ـ يختلف عمّا يريده أصحابه لكونهم يتصورون أن الإصلاح فيما يرغبون فيه.

لقد أراد لأولئك الأصحاب أن يكونوا بالنسبة إليه مثل أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله بالنسبة للرسول صلى الله عليه وآله في إخلاصهم وتفانيهم للإسلام، دونما مقابل أو أجر، لكنه لم يستطع أن يحقق ذلك المجتمع، لأن الرجال الذي كانوا حول الرسول صلى الله عليه وآله كانوا ذوي نفوس مختلفة عن الرجال الذين كانوا حوله عليه السلام، لذلك راح علي عليه السلام شهيداً ضحية سياسته المثالية، ولكنه لم يخفق ـ كما نعتقد ـ في تخليد مبادئه من خلال التزامه السياسي الثابت في مجتمع مضطرب لأن «الإلتزام بروح المبادئ التي ينطلق منها الحاكم، وتجسيدها على الصعيد العملي، وعدم التلاعب بمضمونها، هو النجاح في نظر الأخلاق ومقياسها وإن خسر الإنسان جولة أو أكثر في سبيل ذلك»[٢].

---

(١) خطب ٦٨، وأودكم: اعوجاجكم.

(٢) أحمد الوائلي: علي بن أبي طالب عليه السلام ـ نظرة عصرية حديثة ص١٠٥.

الباب الثالث

فكر علي عليه السلام الإجتماعي كما يبدو في نهج البلاغة

* الفصل الأول: المجتمع وحالته كما يبدو في فكر علي عليه السلام.
* الفصل الثاني: القيم الخلقية كما تبدو في فكر علي عليه السلام.
* الفصل الثالث: التربية في فكر علي عليه السلام كما تبدو في نهج البلاغة.

الفصل الأول

المجتمع وحالته في فكر علي عليه السلام

لا نتوقع ونحن نبحث في فكر علي عليه السلام الإجتماعي الحصول على تعريف نظري للمجتمع لأنه لم يكن منظِّراً. ولكن من خلال مزاولته للحكم ومما أُثر عنه من أقوال، يمكننا تصوّر الملامح الأساسية لذلك الفكر المستنير بهدي القرآن الكريم والسائر في خطى السنة النبوية الشريفة.

فالقرآن الكريم يدعو ضمن آياته إلى التجمع البشري ويشيد بالرابطة الإنسانية كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[١] والآية بما تضمنته من معان سامية، دعوة لبناء مجتمع إنساني واحد أساسه العدل والتعاون والمحبة دون أي تمايز بين أفراده إلا بالعمل المثمر الذي يعود على الإنسانية بالخير العميم وما تكرر كلمة (الناس) في القرآن الكريم في مئتين وأربعين[٢] موضعاً إلا دلالة على أن هدف الإسلام الأساسي هو بناء

---

(١) الحجرات / ٧.

(٢) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة (ن وس).

المجتمع المثالي «أمل الصفوة من المفكرين وحلم المصلحين»[(١)]. وقد تمكّن الرسولﷺ بالفعل من تحقيق ذلك الأمل في فترة وجيزة، حينما باشر في وضع أسس الدولة[(٢)]، وذلك في السنة الأولى من الهجرة النبوية، بالمؤاخاة بين المهاجرين الوافدين على المدينة وبين الأنصار سكانها الأصليين، ثم بكتابه الوثيقة التي تنظّم علاقات السكّان من مهاجرين وأنصار ويهود. فبغض النظر عن التعرفيات النظرية يمكننا القول، بأنّ الرسولﷺ من خلال قيامه بذلك العمل العبقري الجبار، قد كان على دراية تامة بأهمية التجمع البشري في بناء المجتمع ولذلك فُرِضَتْ الهجرة إلى المدينة[(٣)]. وإذا ما تمعنّا في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، نخلص إلى نتيجة قوامها أن المجتمع في الفكر الإسلامي، يعني في الأساس تأمين الحياة الفردية والإجتماعية بأسلوب يتّسم بالتوازن الذي يقتضي ألا يكون الفرد أساساً في التشريع والحكم ولا يكون المجتمع هو الأساس الوحيد الذي تنبني عليه تشريعات الدولة، فالفرد بماله من خصائص إنسانية، هو عضو ضمن جماعة من الناس تتيح له إبراز تفرده وخصائصه على أن لا يكون ذلك التفرد على حساب الآخرين، فقول الرسولﷺ «مَثَلُ المُؤْمِنِيْنَ فِي تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى»[(٤)] يعني أن الرابطة الإجتماعية في البناء الإسلامي تجعل من الفرد جزءاً من كلٍ

---

(١) محمد جواد مغنية ـ التفسير الكاشف ٧/ ١٤٧.

(٢) راجع ص١٤٤ وما بعدها من هذا البحث.

(٣) السابق.

(٤) صحيح مسلم ٤/ ٩٩٩.

متكامل من حيث التعاون والتعاضد والمساواة لأن «مفهوم المجتمع في الإسلام يقوم على أمرين: التعادل بين الفرد ذاته وبين الفرد الآخر، والثاني: التوازن بين الفرد والمجتمع»[١] ولو تتبعنا الفكر الإجتماعي عند عليّ عليه السلام لوجدناه ينطوي على تلك الثنائية بمعناها الشامل، فالإنسان السوي في فكر علي عليه السلام هو من لديه القدرة على فهم نفسه، حتى يتمكن من التعايش مع غيره لأن «الجَاهِلُ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلْ»[٢]، ومعرفة النفس تحقيق لمكانتها، ومتى استطاع الفرد أن يتحقق من مكانته في مجتمعه، فستكون علاقته بالآخرين سويّة لا تشوبهما شائبة ولا يعكر صفوها كدر وسيجنب نفسه التباغض والتحاسد محاولاً الدفع بالحياة إلى الأمام للرفع من مستوى المجتمع بوضع يده في يد الآخرين عن اقتناع جاعلاً نصب عينيه أن «مَنْ يَقْبَضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيْرَتَهُ فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ وَتُقْبَضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيْرَةٌ»[٣]، إذ لا يستطيع الإنسان العيش بمفرده دون تعاون الآخرين معه مهما بلغت إمكاناته[٤]. فإذا تم التعاون بين الأفراد ينهض المجتمع، وتتوسع المسؤوليات لتشمل كل ما يحيط بالإنسان ويتعلق به من طبيعة وحيوان[٥]، ومن خلال مباشرة الفرد لتلك المسؤوليات الواسعة يتحقق التوازن بين الفرد والمجتمع، ولكن ذلك التوازن لا يمكن أن يستقر ويستمر إلا إذا أحيط بسياج من النظم تحمي

---

(١) سيد عبدالحميد مرسي ـ النفس البشرية ص٣٠.

(٢) رسائل ـ ٥٣ فقرة ٢٣.

(٣) خطب ـ ٢٣ الفقرة الثالثة.

(٤) راجع بذلك الشأن ضرورة التجمع البشري ـ مقدمة ابن خلدون ص٥٤.

(٥) راجع خطب ـ ١٦٨ ـ الفقرة الأخيرة.

حقوق الأفراد وتصون مصالحهم المشتركة، وحتى لا يستغل القوي الضعيف فكانت فكرة الحكومة كرادع اجتماعي.

ضرورة الحكومة في فكر علي عليه السلام

تجنباً لتكرار ما عرضنا له بشأن ضرورة الحكومة في فكر علي عليه السلام[١]. يجدر بنا نشير إلى أن موضوع الحكومة وإن أُدرج في فكر علي عليه السلام السياسي، إلا أن الجانب الإجتماعي هو الغالب عليه لكون سياسة علي عليه السلام اجتماعية بحتة، هدفها بناء المجتمع على أسس التكافل والتضامن والعدل، فلا القرابة تعطي لأحد حق الأفضلية[٢]، ولا تكون الصداقة مدعاة لإعطاء الصديق ما لا حقّ له فيه[٣]، ولا الإنتماء إلى جنس معين يعطي لأحد الحق في التمايز على غيره[٤] والحكومة العادلة هي التي تضمن كل ذلك فهي على هذا الأساس ضرورية، يقول علي عليه السلام: «لابُدَّ مِنْ إِمَارَةٍ وَلا يَزَالُ أَمْرُنَا مُتَمَاسِكاً مَا لَمْ يَشْتُمْ آخِرُنَا أَوَّلَنَا، فَإِذَا خَالَفَ آخِرُنَا أَوَّلَنَا وَأَفْسَدُوا هَلَكُوا وَأَهْلَكُوا»[٥] فالحكومة ـ كما يتضح من قول علي عليه السلام ـ مؤسسة اجتماعية هدفها تنظيم العلاقات، ومتى اختلّ النظام

---

(١) راجع ص١٧٦ وما بعدها من هذا البحث.

(٢) راجع خطب ـ ٢٢١ ـ الفقرة الثانية ـ ما جاء فيها بشأن معاملة علي عليه السلام لأخيه عقيل حين استماحه شيئا من أموال المسلمين.

(٣) راجع خطب ـ ٢٢٥ بشأن رد علي عليه السلام على صاحبه عبدالله بن زمعة حين استماحه العطاء من أموال المسلمين.

(٤) راجع ص٢٥٦ وما بعدها وص ٣١٩ وما بعدها من هذا البحث.

(٥) رواه ابن مزاحم في صفين ص١٥ وليس في نهج البلاغة.

بين المؤسسة وبين أفرادها جراء انحراف في أحد الطرفين، فإن ذلك يؤدي حتماً إلى الفوضى واختلال النظام، لأن الحكومة ـ في فكر علي عليه السلام ـ لم تنشأ لحماية حقوق فئة معينة، ولا يمكنها أن تكون أداة توازن بين جميع فئات المجتمع إلا إذا وضعت في حسبانها أن النظام والقانون يطبقان على الجميع دون استثناء لأن الحكومة في الإسلام تقيم العلاقات بين الناس وتنظمها لصالح «الجميع بلا استثناء، إن أمكن، وإلا قُدِّم صالح الأغلبية على الأقلية»[1] فالحكومة بتلك الصورة تجعل الحاكم مراقباً لتصرفات الفئات المستَغِلّةِ للحد من جموحها في التمادي في اقتناء الثروات على حساب الفئات المستضعفة لذلك رأى علي عليه السلام أن يوضح الصورة لأولئك المترفين حين عرضوا عليه الخلافة بعد مقتل عثمان وذلك في قوله «أَلاَ لاَ يَقُولَنَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ غَدًا قَدْ غَمَرَتْهُمْ الدُنْيَا فَاتَّخَذُوا العَقَارَ وَفَجَّرُوا الأَنْهَارَ، وَرَكِبُوا الخُيُولَ الفَارِهَةَ، واتَّخَذُوا الوَصَائِفَ الرَّوِقَةَ، فَصَارَ ذَلِكَ عَلِيْهِمْ نَارًا وَشَنَارًا، إِذَا مَا مَنَعْتُهُمْ مَا كَانُوا يَخُوضُونَ فِيْهِ، وَأَصَرْتَهُمْ إِلَى حُقُوقِهِم الّتي يَعْلَمُون، فَيَنْقِمُونَ ذَلِكَ وَيُنْكِرُونَهُ وَيَقُولُون: حَرَمَنَا ابْنُ أَبِي طَالِبٍ حُقُوقَنَا»[2] وعليه فإن أسس العلاقات الإجتماعية بين الحاكم والأمة في فكر علي عليه السلام تنحصر في نقطتين:

الأولى ـ بالنسبة إلى الحكومة:

أ ـ العدل واجتناب الظلم من قبل أولي الأمر وفقاً لقوله للأشتر «أَنْصِفِ الله وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيْهِ هَوىً

---

(١) محمد جواد مغنية ـ في ظلال النهج ٤/ ٩٧.

(٢) رواها ابن أبي الحديد شرحه ٧/ ٣٧ وليست من ضمن نصوص نهج البلاغة.

مِنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّك إِلاّ تَفْعَلْ تَظْلِمْ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ الله كَانَ الله خَصْمَهُ دُوْنَ عِبَادِهِ»[١].

ولأهمية العدل العظيمة في فكر علي عليه السلام لم يجعل مسؤولية ممارسته قصراً على أُولي الأمر، فهو أيضاً من وجهة نظره ـ من مسؤولية العلماء ـ أي المثقفين اليوم ـ فردع الظالم والدفاع عن المظلوم طبقا لقوله «مَا أَخَذَ الله عَلَى العُلَمَاءِ، أَنْ لاَ يُقَارُوا كُظَّةَ ظَالِمٍ وَلاَ سَغَبَ مَظْلُومٍ»[٢].

ب ـ التواضع وتجنب التكبر، والنأي بالنفس عن حب الإطراء، والفخر وعليّ عليه السلام يرى «أَنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالاَتِ الوُلاةِ عِنْد صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الفَخْرِ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الكِبْرِ»[٣] لذلك فإنّه يدعو أصحابه قائلاً «لاَ تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الجَبَابِرَةُ، وَلا تَتَحَفَّضُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ البَادِرَةِ، وَلاَ تُخَالِطُونِي بِالمُصَانَعَةِ، وَلاَ تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالاً فِيْ حَقٍّ قِيْل لِيْ»[٤] فالحاكم من وجهة نظر علي عليه السلام خادم للمجتمع، وما يؤدي من أعمال لصالح الناس هي من واجباته الأساسية التي لا تدعو إلى شكره والثناء عليه، حتى لا يظن أن ما قام به من الواجبات، إنْ هي إلا تفضل منه فيغتر بذلك، وتتعالى نفسه ويتجبر ثم ينسى واجباته في خضم الشعور بتضخم الذات.

جـ ـ المبادرة بإنجاز حقوق الناس دون تعطيل أو تسويف، حتى تتجنب الحكومة سخط عامة الناس الذي قد يؤدي إلى إفشال مخططاتها،

---

(١) رسائل ـ ٥٣ فقرة ـ ٦.

(٢) خطب ٣ ـ فقرة ٢ ـ والكظة ـ بضم الكاف ـ التخمة، والسغب ـ الجوع.

(٣)،(٤) خطب ٢١٠ فقرة ٢ ـ ٣.

ويخل بالنظام. فحين وسّط الثوار علياً كي يعرض مظالمهم على عثمان قال له: «كَلِّمِ النَّاسَ فِي أَنْ يُؤَجِلُونِي، حَتَّى أُخْرِجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ» فقال عليٌّ عليه السلام: «مَا كَانَ فِي المَدِينَةِ فَلاَ أَجَلَ فِيْهِ وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ»(١) وذلك يعني أن من واجب الحكومة الإسراع في انجاز حاجات الناس وحل مشاكلهم.

د ـ على الحاكم أن يستخبر عن أحوال الناس(٢)، لمساعدتهم في حل مشاكلهم، خاصة الفقراء والمحتاجين «مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ العُيُونُ وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ»(٣) بتكليف رجال أكفاء يوثق بهم لتقصي أحوالهم ودراسة أوضاعهم، ثم المباشرة في حلّ مشاكلهم بما يتماشى والحق، مع تجنيب تقصي عورات الناس، واستخدامها كوسيلة من وسائل الإرهاب، لأنّ في تجنب مثل تلك الأساليب، إرساء لدعائم الثقة بين الحاكم والحكومة، ومحافظة على القيم الإنسانية التي أوصى الإسلام بها من نبذ للتجسس والغيبة لما تنطويان عليه من تفتيت لأواصر المجتمع وفي ذلك يقول للأشتر «إِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا، وَالوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا، فَلا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ... فَاسْتُرِ العَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ الله مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ»(٤) فعلي عليه السلام يدرك أن أيّ مجتمع لا يخلو من العيوب، فعلى الحكومة صيانة كرامة الأفراد، وعدم التشهير بهم، لأن للحاكم عيوبه أيضاً، فمتى شرع في البحث عن

---

(١) خطب ١٦٥، الفقرة الأخيرة.

(٢)،(٣) راجع ما ورد بشأن ذلك في رسالة رقم ٥٣ الفقرة ٢٤.

(٤) السابق فقرة ـ ٨.

سقطات الناس، فإنّ الناس سيقتفون أثره في البحث عن سقطاته[١]، وفي ذلك مدعاة لهدم الشقة بين الحاكم والمحكوم، وهو ما سيؤدي في النهاية إلى انهيار المجتمع، وتصدع قيمه.

هـ ـ وعلى القَيِّم بالأمر والحاكم أن لا يستغل سلطته ليولي رقاب الناس أهله وقرابته، ليستمدّ منهم القوة على عامة الناس، فلا بدّ له أنْ يلزم «الحَقُّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ القَرِيْبِ وَالبَعِيْدِ»[٢] ويضع قرابته وأصحابه في مواضعهم المناسبة من المجتمع وبذلك ينأى بالحكومة عن مواضع التهم ويجنب أجهزتها مزالق المفاضلة بين الناس على أساس من الوساطة والمحسوبية والقرابة.

الثانية: بالنسبة للمجتمع:

أ ـ إطاعة أولي الأمر، والإمتثال لأوامر الحكومة ونواهيها فيما تسنه من نظم وقوانين تنظم العلاقات الإجتماعية بين مختلف الفئات، شريطة أن تفي الحكومة بكل التزاماتها تجاه الأمة، وفي هذا الصدد يقول عليعليه السلام متمثلاً ما لأُولي الأمر من حقوق على المجتمع «أَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالوَفَاءُ بِالبَيْعَةِ وَالنَّصِيْحَةُ فِي المَشْهَدِ والمَغْيَبِ، وَالإِجَابَةُ حِيْنَ أَدْعُوْكُمْ وَالطَّاعَةُ حِيْنَ آمَرُكُمْ»[٣] وهو بهذا يتمثل جميع الواجبات المفروضة على المجتمع تجاه الحكومة. إذ لا يمكن للحكومة أنْ تؤدي واجبها على أكمل وجه دون

---

(١) المصدر السابق.

(٢) السابق فقرة ـ ٣١.

(٣) خطب ٣٤ الفقرة الأخيرة.

تجاوب من المحكومين، على أن تكون تلك الإستجابة متمشية مع الحق والشرع، وقد أدرج علي عليه السلام ذلك الشرط في كتابه إلى أهل مصر حين ولّى الأشتر عليهم وذلك في قوله «أَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيْمَا يُوَافِقُ الحَقَّ»(١) فطاعة أولي الأمر أو الحكومة مقرونة ـ في فكر علي عليه السلام ـ بالتزام الحكام العدل قولاً وفعلاً وفقا لقول الرسول صلى الله عليه وآله «لاَ طَاعَةَ لِمَنْ لَمْ يُطِعِ الله»(٢).

ب ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: يرى علي عليه السلام أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صميم واجبات كل فرد من أفراد الأمة وليس قصراً على الحكومة أو على فئة معينة، لذلك فمن واجب كل قادر أن يباشر بالإصلاح في مجتمعه قولاً وعملاً قدر استطاعته وبالأسلوب المتاح له وقد يتردد الفرد عن قول الحق خوف التنكيل أو البطش والغيلة، سواء أكان ذلك من لدن السلطة المتعسفة، أو من لدن أفراد متسلطين لهم وجاهتهم لدى السلطة، لكن علياً عليه السلام بمنطقه الثوري الحاسم لا يرى في التردد والسكوت والخوف أية جدوى «لأَنَّ الأَمْرَ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ ـ من وجهة نظره ـ لاَ يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ»(٣) أي أنَّ السكوت عن قول الحق والرضوخ للباطل لن يقدما أو يؤخرا أجل الإنسان المقدّر له، ولأهمية ذينك العنصرين في فكر علي عليه السلام فقد عدهما من دعائم الجهاد على اعتبار أنهما فرض كفاية كما في قوله «الجِهَادُ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ، عَلَى الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ والنّهْي عَنْ المُنْكَرِ، وَالصّدقِ فِي المَوَاطِنِ، وَشَنَآنِ

---

(١) رسائل ٣٨ الفقرة الثانية.
(٢) مسند الإمام احمد بن حنبل ٣/ ٢١٣.
(٣) حكم، ٣٨٠.

الفَاسِقِينَ، فَمَنْ أَمَرَ بِالمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ المُؤْمِنِيْنَ، وَمَنْ نَهَى عَنِ المُنْكَرِ، أَرْغَمَ أُنُوفَ الكَافِرِيْنَ. . .»[١] وقد اعتبرهما من الجهاد لكونهما تضحية بالنسبة للإنسان في بحياته وبماله، إذا باشرهما على أصولهما، خاصة في المجتمعات الفاسدة، لأنهما يمسّان القاعدة العريضة بين أبناء المجتمع، ويؤثران في تصرفات الناس وأخلاقهم «فَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ مَصْلَحَةٌ لِلْعَوَامِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ رَدْعٌ لِلسُّفَهَاءِ»[٢] وعلى ذلك فإنّ تركهما أو التغاضي عنهما يعني الإختلال في بنية المجتمع بانتشار الظلم واستفحال الفساد، وهو ما يتنافى ومبادئ الإسلام التي أرادت للإنسان الكرامة في مجتمع متضامن يصون حقوق جميع الناس، وعليّ عليه السلام يصر على زرع هذين المبدأين في نفوس الجميع لأنّه يدرك تماماً أنّ في تركهما انهياراً حتمياً في قيم المجتمع خضوعاً للفرد واستسلامه للواقع بكلّ سيئاته مما يتيح للانتهازيين والظلمة التسلق على أكتاف المستضعفين وهضم حقوقهم، فتنقلب أوضاع المجتمع وتتدهور قيمه وتعمّه الفوضى. يقول علي عليه السلام «إِنَّ أَوَّلَ مَا تُغْلَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الجِهَادِ، الجِهَادُ بِأَيْدِيْكُمْ، ثُمَّ بِأَلْسِنَتِكُمْ، ثُمَّ بِقُلُوبِكُمْ. فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفًا، وَلَمْ يُنْكِرْ مُنْكَرًا، قُلِبَ فَجُعِلَ أَعْلاهُ أَسْفَلَهُ وَأَسْفَلُهُ أَعْلاهُ»[٣] فكلمة الحق الصادقة والنصيحة المخلصة من أهم الأسس التي تنبني عليها شخصية الفرد في فكر علي عليه السلام، وأفضل النصح وَأَعَزّهُ وَأَقْوَمَهُ ـ عنده ـ يتجسد في «كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ»[٤].

---

(١) حكم، ٣١، والمواطن: المواضع، ويقصد بها في السياق مواطن القتال في سبيل الحق والشنآن ـ البغض.

(٢) حكم، ٢٥١.

(٣) حكم، ٣٨١.

(٤) حكم، ٣٨٠.

فإذا ما التزمت الحكومة بواجباتها تجاه الأمة وأدت الأمة ما عليها من واجبات «صَلُحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ»[(١)] ويبدو من نصوص نهج البلاغة أَنّ حكومة علي عليه السلام قد أدت كل ما عليها من التزامات تجاه الأمة، إلا أنّ الأمة لم تؤد التزاماتها، فانقلب الوضع كما يقول علي عليه السلام «لَقَدْ أَصْبَحَتِ الأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رعَاتِهَا، وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رعيتي»[(٢)] مما يعني في طياته، انحدار المجتمع الإسلامي في هاوية التمزق، ولكن قبل الدخول في وصف الحالة الإجتماعية في مجتمع الكوفة ـ من منظور علي عليه السلام ـ يجدر بنا التعرّف على الشرائح التي تكوّن ذلك المجتمع منها.

الشرائح التي تكوّن منها مجتمع الكوفة:

الكوفة مدينة استحدثها المسلمون في السنة السابعة عشرة للهجرة في عهد عمر بن الخطاب وذلك ـ فيما يبدو ـ بعد انتصارهم على الفرس في معركة جلولاء،[(٣)] وكان الغرض من إنشائها في بداية الأمر عسكريا، وذلك «أن عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبي وقاص يأمره أن يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيروانا وأن لا يجعل بينه وبينهم بحراً. . . فتحول إلى الكوفة فاختطها، وأقطع الناس المنازل، وأنزل القبائل منازلهم»[(٤)]

---

(١) خطب ٢٦ الفقرة الثالثة.

(٢) خطب، ٩٦، الفقرة الأولى.

(٣) جلولاء: مقاطعة من مقاطعات «السواد في طريق خراسان، بينها وبين خانقين سبعة فراسخ. . . وبها كانت الوقعة المشهودة على الفرس سنة ١٦، فاستباحهم المسلمون فسميت جلولاء الوقيعة، لما أوقع بهم المسلمون» معجم البلدان ح/ ١٥٦.

(٤) البلاذري ـ فتوح البلدان ص٣٨٧.

ومعنى ذلك أن الكوفة أصبحت قاعدة لإمداد المسلمين بالجيوش، ومقراً للغنائم التي يغزونها من الجانب الشرقي وبطبيعة الحال، فإنّ ذلك ساعد على وفود الكثير من العناصر غير العربية، وسرعان ما تحول ذلك المعسكر البسيط إلى مدينة عامرة، تعج بالناس على مختلف ثقافاتهم ومستوياتهم المعيشية، فاتسعت اتساعاً عظيماً في مدة قصيرة، فتحول المعسكر البسيط إلى ولاية ذات أهمية، تحسب الدولة لسكانها ألف حساب، ويستجاب لمطالبهم تفاديا لسخطهم وثورتهم، بحيث أصبح عمر بن الخطاب، برغم ما أثر عنه من حزم، يشكو من ذلك المجتمع، فقد أثر عنه قوله «من عذيري من أهل الكوفة إنْ استعملت عليهم القوي، فجّروه وإنْ وليت عليهم الضعيف حقّروه»[1]. والسبب ـ كما نعتقد ـ هو أن مجتمعها يعيش مرحلة انتقالية تفرض على الفرد أن يتعايش مع أجناس مختلفة في العادات والتقاليد والدين واللغة، وقد يساعد على كشف ذلك إطلالة سريعة على الأجناس التي تكوّن منها ذلك المجتمع إذ يمكن إجمالها في خمسة:

١ ـ الأرستقراطية العربية.

٢ ـ الموالي.

٣ ـ العرب البدو والذين يعتمدون على الولاء القبلي.

٤ ـ الفرس والنبط والسريان وغيرهم ممن ظلوا متمسكين بديانتهم.

٥ ـ العرب غير المسلمين من نصارى تغلب ونجران.

ومن الملاحظ من التقسيم السابق فقدان الرابطة الإنسانية التي دعا

---

(١) السابق ص٣٩٣.

الإسلام إليها بين الأجناس، فمن خلال دراستنا لكل فئة على حدة يمكن الكشف عن العلاقات الإجتماعية في الكوفة.

١ ـ الأرستقراطية العربية:

لقد قسمت الكوفة منذ نشأتها الأولى على أساس قبلي، إذ يقال أن سعد بن أبي وقاص لما أراد تمصير الكوفة وجد أن جانبها الشرقي خير من الجانب الغربي، وتفاديا للفتنة والنـزاعات القبلية في جيشه المكون من قبائل يمنية وأخرى بزارية، فقد أقرع فيما بينهم، فصارت القرعة في صالح أهل اليمن «فصارت خططهم في الجانب الشرقي، وصارت خطط نزار في الجانب الغربي»[(١)]، ثم استحدث داخل ذلك التقسيم تقسيما آخر كان الغرض منه تسهيل توزيع الغنائم على القبائل فقسمت إلى سبعة أسباع، وأنزلت كل قبيلة منزلتها من ذلك التقسيم[(٢)] «بحسب النسب والحلف»[(٣)] ويلاحظ أن تعداد رجال تلك القبائل في بداية استيطانها الكوفة، لا يزيد على العشرين ألف رجل[(٤)]، وقد انبثقت من زعامة هذه القبائل الأرستقراطية العربية، فاستقر في نفوس أولئك وأبنائهم بأنهم أشرف مقاماً، وأصرح نسباً من القبائل الأخرى، ثم الإستعلاء بالمقام والأفضلية على الأجناس الأخرى المستضعفة.

---

(١) السابق ص٣٨٨. (٢) راجع السابق ص٣٨٧.

(٣) راجع ماسنيون ـ خطط الكوفة ص٩.

(٤) عن الشعبي قال: «كنا ـ يعني أهل اليمن) اثني عشر ألفاً، وكانت نزار ثمانية آلاف، ألا ترى أنا أكثر أهل الكوفة، ولقد خرج سهمنا بالناحية الشرقية فلذلك صارت خططنا بحيث هي» فتوح البلدان ص٣٨٩.

٢ ـ الموالي:

الولي هو الحليف، والمولى ابن العم، والمولى: «المعتق انتسب إلى نسبك، ولهذا قيل للمعتقين الموالي»[١] وعلى هذا فإن الولاء ينقسم إلى قسمين:

ولاء الحلف، وولاء العتاقة[٢]. ويأتي على ضربين:

الأول منهما: وهو ولاء العربي للعربي، وهذا النوع من أقدم الأنواع التي تعاقدت عليها القبائل العربية منذ الجاهلية. وقد تقسمت القبائل العربية بعد صلح الحديبية في تحالفها مع بعضها البعض إلى قسمين: قسم تحالف مع قريش[٣] والقسم الثاني تحالف مع الرسول صلى الله عليه وآله[٤]، وقد ورد في الحديث الشريف أن «كُلّ حِلْفٍ كَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ فَلاَ يَزِيدُهُ الإسْلاَمُ إلاّ شِدَّةً، وَلاَ حِلْفَ فِي الإسْلاَمِ»[٥].

الثاني: الولاء الذي يعقد بين العرب وبين الداخلين في الإسلام من العناصر الأجنبية «وهذا الضرب من الولاء إنّما هو صورة جديدة من ولاء الحلف المعروفة في الجاهلية»[٦] وهو ما نرمي إليه أيضاً في دراستنا هذه،

---

(١) لسان العرب المحيط ٣/ ٩٨٥.

(٢) حلف بالعتاق أي الإعتاق، وهو أن يعتق السيد عبده فيتحالف ذلك العبد معه وينضوي تحت حمايته ـ راجع لسان العرب المحيط ٢/ ٦٨٧ وراجع أيضاً بشأن ولاء العتاقة: إحسان النص ـ العصبية القبلية ص٦٧.

(٣) تحالفت بنو بكر مع قريش ودخلوا في عهدهم ـ راجع ـ السيرة، لابن هشام ٣/ ٣٣٢.

(٤) دخلت خزاعة في حلف مع الرسول صلى الله عليه وآله ـ راجع السابق.

(٥) ابن أبي الحديد ١٨/ ٦٧.

(٦) إحسان النص ـ السابق ص٦٧.

إذ لما استوطنت القبائل العربية بالكوفة تحالفت معها بعض العناصر الفارسية من جميع الطبقات الإجتماعية التي دخلت الإسلام، وقد استمد ذلك التحالف قيمته ومتانته من خلال المكانة الإجتماعية التي ينضوي المتحالفون تحتها. فالدهاقين[(١)] الذين دخلوا الإسلام طواعية «لم يعرض لهم عمر بن الخطاب ولم يخرج الأرض من تحت أيديهم، وأزال الجزية عن رؤوسهم»[(٢)]، وقد شكل أولئك، فيما نعتقد طبقة خاصة من الموالي لها امتيازاتها باحتفاظ أصحابها باقطاعاتهم وما عليها من عبيد، ولا بد أنهم قد تحالفوا مع بعض القبائل العربية الفاتحة للمحافظة على أموالهم، وفي محاولة من أولئك الموالي لتحسين مركزهم المالي، فقد استطاعوا أن يكونوا لهم مكانة اجتماعية مرموقة، ولكنها دون المكانة التي تسنّمتها الأرستقراطية العربية. هذا بالإضافة إلى أربعة آلاف من خاصة الجند في الجيش الفارسي، الذين اعتزلوا الفرس بعد انهزام قائدهم رستم في القادسية[(٣)]، ودخلوا الإسلام وشاركوا المسلمين في فتح المدائن[(٤)]، بعد

---

(١) الدهاقين ـ دهقان، بكسر الدال أو فتحها: التاجر ـ فارسي معرب لسان العرب المحيط ١/ ١٠٢٥، وقيل: زعيم فلاحي العجم، ورئيس الإقليم ـ الزاوي ـ ترتيب القاموس المحيط ٢/ ٢٢٢.

(٢) فتوح البلدان السابق ص٣٧٠.

(٣) القادسية: منطقة «بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً ـ لها عدة أسماء ـ وفيها كان يوم القادسية بين المسلمين والفرس في أيام عمر ابن الخطاب في سنة ١٦ هجرية وكان الفتح للمسلمين وقتل رستم جازويه، ولم يقم للفرس بعده قائمة، معجم البلدان ٤/ ٢٩١.

(٤) المدائن: قاعدة ملك الأكاسرة الساسانية، كان كل واحد منهم إذا ملك يبني لنفسه مدينة إلى جنب التي قبلها، وكان فتح المدائن كلها على يد سعد بن أبي وقاص في صفر سنة ١٦ في أيام عمر بن الخطاب. . . فلما ملك العرب ديار الفرس واختطت الكوفة =

أن استأمنوا «على أن ينزلوا حيث أحبوا ويفرض لهم في العطاء، فأعطوا الذي سألوه، وحالفوا زهرة بن حويّة السعدي من بني تميم، وأنزلهم سعد بحيث اختاروا، وفرض لهم ألف ألف (درهم) وكان لهم نقيب»(١) يتولى شؤونهم. وقد شكل أولئك أيضاً طبقة خاصة من المحاربين الموالي لهم من الحقوق ما للنخبة العربية، ولكنهم دونهم في المستوى الإجتماعي، هذا بالإضافة إلى الحرفيين، والصناع والتجار والفلاحين الذين «كانوا يحالفون العرب ويدخلون في ولائهم لحمايتهم، ويعدونهم ساداتهم»(٢).

ومن الملاحظ مما سبق، إن تركيبة الجنس الفارسي التي شكلت الموالي قد كانت مقسمة في داخلها إلى طبقات تحكمها وتحدد امتيازاتها مكانة الطبقة الإجتماعية من منظور النخبة العربية الحامية لكل تلك الطبقات، مما جعل صراع ذلك الجنس يتسم بالإزدواجية، فهو من ناحية صراع داخلي بين الفرس أنفسهم، وهو من ناحية أخرى صراع المغلوب للغالب العربي.

٣ ـ العرب البدو والذين يعتمدون على الولاء القبلي:

ويشكل أولئك الغالبية العربية في المجتمع الكوفي، فقد هجروا الصحراء فراراً من شظف العيش، وطمعاً في الثراء الذي كانوا يرجونه من وراء الجهاد، إلا أنهم قد أصيبوا بخيبة أمل لكونهم لم يحققوا ما كانوا

= والبصرة انتقل إليهما الناس عن المدائن ـ معجم البلدان ٥/ ٧٤.

(١) فتوح البلدان ص٥٩٤ وزهرة بن حوية السعدي ـ بفتح جاء حوية وكسر الواو، وفد على النبي صلى الله عليه وآله من قبل ملك هجر فأسلم... وكان على مقدمة سعد في قتال القادسية... عاش حتى كبر، وقتله شبيب بن يزيد الخارجي... أيام الحجاج ـ أسد الغابة ٢/ ٢٦٠.

(٢) أحمد أمين ـ فجر الإسلام ص١٨١.

يطمحون إليه بسبب استئثار فئة معينة من النخبة العربية بالقسط الوافر من الفيء والغنيمة، مما أحال أولئك البدو إلى التبلبل وعدم الثبات في مواقفهم، فأصبح ولاؤهم مساومة المنتفعين من زعامة العرب، ومن الطبيعي أن يولد ذلك حقداً في نفوس أولئك البدو على الزعامة العربية المتمثلة في قريش «فعدوها غاصبة وتمنوا زوال سيادتها وأعلنوا أن أموال الفيء والغنائم هي لهم وليست للحكومة فهي أموال المسلمين»[(١)] وقد بين علي عليه السلام خطورة أولئك البدو الذين اغتالوا عثمان، وملكوا على الناس كل مسلك في المدينة[(٢)].

٤ ـ الفرس والنبط والسريان وغيرهم ممن ظلوا متمسكين بدياناتهم:

وأولئك هم الذين يشكلون الطبقة المسحوقة، وهم الغالبية في العراق ويطلق عليهم أهل السواد[(٣)] لاشتغالهم بالزراعة، وهم خليط من الفرس عبدة النار، ونبط السواد من بقايا الأرمانيين»[(٤)] والسريان[(٥)] من بقايا أسرى

---

(١) النعمان القاضي ـ الفرق الإسلامية في الشعر العربي ص٣٥.

(٢) راجع خطب ١٦٩.

(٣) سواد كل شيء: كورة ما حوله من القرى والرساتيق (جمع رُستاق ـ بضم الراء ـ القرى) وأهل السواد: الفلاحون وساكنوا القرى ـ راجع مادة (سود) في تاج العروس ٨/ ٢٢٨.

(٤) تاريخ الطبري ١/ ٦١١ وقد ورد ذكر انباط السواد أيضاً في فتوح البلدان ص٣٦٦ وذلك يرجع كثرتهم في قرى العراق أبان الفتح الإسلامي وسموا بالارمانيين نسبة إلى ارم مدينتهم وللاطلاع على تاريخ الانباط ولمعرفة أصولهم راجع: كارل بروكلمان ـ تاريخ الشعوب الإسلامية ص٢٠ ـ ٢١ وجرجي زيدان ـ العرب قبل الإسلام ص٩٥ وما بعدها.

(٥) بشأن السريان راجع: دى بور ـ تاريخ الفلسفة الإسلامية ص١٩ وما بعدها.

جند يسابور[١]، والنازحين من أهالي حرّان[٢] ونصيبين[٣]، ويمكننا من النتف التاريخية التي بين أيدينا استنتاج أن سواد العراق قد كان مشحوناً بالفتن، ومصدر قلق للسلطة، ومن ذلك أنه «شكا أهل السواد إلى علي عليه السلام فبعث مئة فارس فيهم ثعلبة بن يزيد الحماني، فلما رجع ثعلبة قال في مسجد بني حمان: عليَّ أَنْ لا أرجع إلى السواد مما أرى فيه من الشرّ»[٤] ففي الشاهد ما ينبئ عن غليان تلك الطبقة، بعد أن فاضت مرارة العسف بها، وألهب نفوس أبنائها الإضطهاد الموجّه من قبل السادة الفاتحين، أو من يقوم مقامهم من الدهاقين أو جامعي الضراب، ويبدو أن استخدام العسف والتعذيب لتحصيل الخراج قد كان منذ عهد عمر بن الخطاب، رغم الوصايا التي كان يزود بها عمال الخراج، باستخدام الرأفة واللين والرحمة أثناء استجلابه[٥]، من ذلك أنه قد مر بطريقه إلى بيت

---

(١) جند يسابور: مدينة بخورستان بناها الملك الفارسي سابور بن اردشير فنسبت إليه واسكن فيها سبي الروم، وطائفة من جنده ـ معجم البلدان ح/ ١٧٠.

(٢) حران: قصبة ديار مضر، بينها وبين (مدينة) الرها، وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام، كانت منازل الصابئة، وهم الحرّانيون ـ معجم البلدان ٢/ ٢٣٥، وبشأن عقائد الصائبة راجع ـ الشهرستاني ـ الملل والنحل ٢/ ٥ وما بعدها.

(٣) نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام بينها وبين الموصل ستة أيام، كانت تابعة للروم ثم افتتحها كسرى انوشروان وافتتحها المسلمون صلحاً سنة سبع عشرة هجرية بعد تمصير الكوفة ـ معجم البلدان ٥/ ٢٨٨.

(٤) أبو يوسف ـ الخراج ص٣٧، وثعلبة بن يزيد الحماني الكوفي، كان على شرطة علي عليه السلام وكان غاليا في التشيع، قال البخاري: في حديثه نظر، لا يتابع وقال عنه النسائي: ثقة ـ ابن حجر ـ تهذيب التهذيب ٢/ ٢٦ وراجع ترجمة أيضاً في أعيان الشيعة ٤/ ٢٥، فقد سرد المصادر التي ترجمت إليه ولم يورد سنة وفاته.

(٥) راجع بشأن استجلاب الخراج في فكر عمر: يحي بن آدم ـ الخراج ص٧٦ ـ ٧٧.

المقدس سنة خمس عشرة هجرية بقوم «أقاموا في الشمس يعذبون، فقال عمر: ما بال هؤلاء يعذبون؟ فقيل: عليهم خراج»[١] وقد أنكر الخليفة ذلك وأمر بإطلاق سراحهم لعدم قدرتهم على أداء ما عليهم، امتثالاً لروح الإسلام بالرحمة والرأفة بالعباد.

٥ ـ العرب غير المسلمين من نصارى الحيرة ونجران وتغلب:

يحدثنا البلاذري عن وجود الكثير من الأديرة[٢] بالقرب من الكوفة قبل تمصيرها، علاوة على ذلك فإنها متاخمة للحيرة[٣]، قاعدة الملوك اللخميين[٤] العرب الذين انضووا في «آخر الأمر تحت لواء المسيحية»[٥] بالإضافة إلى أولئك فقد نزح إلى العراق نصارى نجران، بعد أن أجلاهم[٦] عمر بن الخطاب عن شبه الجزيرة العربية امتثالاً لوصية رسول

---

(١) الواقدي ـ فتوح الشام ١/ ٢٣٧.

(٢) راجع البلاذري ـ فتوح البلدان ص٣٩٧، ٣٩٨.

(٣) الحيرة: مدينة على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف، زعموا إن بحر فارس كان يتصل به ـ معجم البلدان ح/ ٣٢٨.

(٤) للاطلاع على نسب اللخميين ـ راجع ابن حزم الأندلسي ـ جمهرة انساب العرب ص٤٢٢ وما بعدها.

(٥) بروكلمان ـ تاريخ الشعوب الإسلامية ص٢٨.

(٦) بشأن أجلاء عمر بن الخطاب لنصارى نجران عن أرض اليمن بشبه جزيرة العرب راجع:
١ ـ أبو عبيد: الأموال ص١٠٨ وما بعدها.
٢ ـ أبو يوسف: الخراج ص٧١ وما بعدها.
٣ ـ ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة ١/ ١٧٧ وما بعدها.

الله ﷺ بذلك. وقد استوطنوا العراق «قرية تدعى نهرابان... من كورة البهقباذ من طاسيج الكوفة»[١] ولقد اعتبر أولئك النصارى من أهل ذمة وفرضت عليهم الجزية. أما نصارى بني تغلب فقد كان لهم وضع خاص، يختلف عن بقية أهل الذمة يحدثنا ابن قيم الجوزية أنهم انتقلوا «في الجاهلية إلى النصرانية، وكانوا قبيلة عظيمة لهم شوكة قوية، واستمروا على ذلك حتى جاء الإسلام وصولحوا على مضاعفة الصدقة عليهم عوضاً عن الجزية»[٢] شريطة أن لا ينصروا أولادهم ولا يمنعوا أحداً منهم رغب في الإسلام. بالإضافة إلى قلة من اليهود، الذين أجلاهم الرسول ﷺ عن قراهم بالمدينة[٣]. وأجلاهم عمر بن الخطاب عن شبه جزيرة العرب امتثالاً لوصية الرسول ﷺ. ذلك هو إذن مجتمع الكوفة حين قدم إليها علي عليه السلام بعد وقعة الجمل.

---

(١) ياقوت ـ معجم البلدان ٥/ ٢٦٩، والبهقباذ ـ بالكسر فالسكون فالضم ـ فارسي معرب اسم لثلاث كور ببغداد من أعمال سقي الفرات، منسوبة إلى قباذ بن فيروز والد كسرى انوشروان. وتقع القرية التي استوطنها النجرانيون بعد نزوحهم عن نجران اليمن في البهقباذ الأسفل الذي تقع فيه كورة الكوفة، والطسوج ـ بفتح الطاء وتضعيف السين وضمها فارسي معرب ـ الناحية والجمع طاسيج ـ تاج العروس ٦/ ٨٦.

(٢) ابن قيم الجوزية ـ أحكام أهل الذمة ١/ ٧٥ ويمكن مراجعة الشروط التي صالحهم عليها عمر في نفس المصدر ص٧٦ وما بعدها. أما مساكن تغلب فكانت بالجزيرة الفراتية بجهات سنجار ونصبين، وتعرف بديار ربيعة كحالة ـ معجم قبائل العرب ١/ ١٢٠.

(٣) بشأن إجلاء رسول الله ﷺ بعض اليهود عن المدينة ـ راجع طبقات بن سعد ٢/ ٢٩. وبشأن إجلاء اليهود عن شبه جزيرة العرب في عهد عمر بن الخطاب راجع ـ أحكام أهل الذمة ١/ ١٨٣.

مجتمع الكوفة في فكر علي عليه السلام:

دخل علي عليه السلام الكوفة «يوم الإثنين لاثنتي عشرة مضت من رجب سنة ست وثلاثين»[١] ليتخذها عاصمة له فاستقبله القراء والأشراف[٢] وأهل السواد[٣]، فاستطاع من تلك اللقاءات أن يستطلع الوضع عن كثب ويتعرف على ماجريات الأمور، إذ كان يدرك تململ الناس من السيادة العربية، واستئثار الأشراف بالأموال دون الفقراء، والعسف في استخراجها من أهل السواد، وما السبب في مقتل الخليفة الثالث، إلا استئثار بني أمية بالأموال دون غيرهم[٤]، ثم أن ثورة أهل الجمل المفتعلة ومناهضتهم إياه، إلا لأنه أراد أن يحرمهم الإمتيازات التي استأثروا بها ويساويهم بعامة المسلمين في الحقوق والواجبات[٥] فإذا ما نحن استقرأنا فكره بشأن طبقات مجتمع الكوفة ، فسنجد أنه قد كان على دراية تامة بمشاكل كل فئة وما يداخل نفوس أبنائها من آمال وآلام، وقد حاول أن يضع النقاط على الحروف بالحد من غلواء المتمادين، والوقوف بجانب حقوق المستضعفين، فكان معه «العبيد والموالي والأعراب والمحرومون. وهؤلاء كانوا خائفين متبرمين لا يرضون عن حظهم من العيش»[٦]. وحتى يحقق علي عليه السلام الإنسجام الذي يتوخاه لذلك المجتمع، فقد استخدم أسلوب الإصلاح التدرجي. فبدأ أولاً بمعالجة داء العصبية المستشري في أعضاء الزعامة القبلية.

---

(١) ابن مزاحم ـ صفين ص٣.

(٢)،(٣) السابق ص٣، ١٤.

(٤) راجع ص٢٤٥ وما بعدها من هذا البحث.

(٥) راجع ص١٥٦ وما بعدها من هذا البحث.

(٦) النعمان القاضي ـ الفرق الاسلامية في الشعر الأموي ص٤٧.

١ ـ موقف علي عليه السلام من العصبية القبلية:

استشرت العصبية في مجتمع الكوفة وفي غيره من المجتمعات الإسلامية، وقد أجج لهيبها وأحياها في النفوس، ما أحدثه ولاة عثمان الأميون من أحداث في الأمصار حين اعتبروا أنفسهم طبقة خاصة لها امتيازاتها[١]، فاستحالت العصبيات القبلية إلى تيار جارف لا يمكن الحد منه والتصدي له، إذ أنها أسدلت بحجبها المقيته على الحق كل سبيل. فالأشعث بن قيس[٢]، أحد زعماء اليمانية في الكوفة، يقوده التعصب الأعمى ليمانيته إلى فرض أبي موسى الأشعري ليمثل أهل العراق في التحكيم لأنه يماني ليس غير، ولا تهمه بعد ذلك النتائج التي سينجر عنها ذلك الإختيار، فحين رشح علي عليه السلام عبدالله بن عباس للتحكيم عارضه الأشعث مقسما «لا والله لا يحكم فيها مضريان.... والله لأن يحكما ببعض ما نكره وأحدهما من أهل اليمن، أحب إلينا من أن يكون بعض ما نحب في حكمها وهما مضريان»[٣]. ثم أن التنافس على المكانة الأثيرة عند الخليفة، والنزول على طاعته مرتبط عند الزعامات بالعصبية القبلية. إذ لما حاول معاوية إشعال نار الفتنة بالبصرة لإخراجها عن طاعة علي عليه السلام سنة ثمان وثلاثين[٤]، انقسمت فيها القبائل العربية إلى قسمين أحدهما ظل على بيعته لعلي عليه السلام، والآخر انضم إلى معاوية، وقد انحازت قبيلة تميم

---

(١) راجع ص٢٤٥ وما بعدها من هذا البحث.

(٢) راجع ترجمته في هامش٣ ص٢٩٣ من هذا البحث.

(٣) ابن مزاحم ـ صفين ص٥٠٠.

(٤) راجع بشأن ذلك ـ تاريخ الطبري ٥/ ١١٠ وما بعدها، وابن أبي الحديد ٤/ ٣٤ وما بعدها.

إلى جانب معاوية، وعاضدت رسوله وعامله عبدالله بن الحضرمي[١] على زياد بن أبيه[٢]، عامل علي عليه السلام على البصرة نيابة عن عبدالله بن عباس أثناء غيابه عنها، فلما أحس التميميون في الكوفة بنية علي عليه السلام على إرسال قوة معظم رجالها من الأزد لإخماد الفتنة، أرسلوا إليه شبث بن ربعي التميمي[٣] ليحول دون ذلك بوصفه الإزد بالبعداء البغضاء، فلم يتمالك مخنف بن سليم الأزدي[٤] ـ وفي محضر علي عليه السلام ـ أن يرد عليه بقول

---

(١) عبدالله بن عامر بن الحضرمي استعمله عثمان على مكة وبقي والياً عليها حتى قتل عثمان سنة خمس وثلاثين، وهو من أوائل الذين استجابوا لعائشة في تحريضها على نكث بيعة علي عليه السلام، شارك في حرب الجمل، ثم لجأ بعد الهزيمة إلى معاوية الذي أرسله سنة ثمان وثلاثين لإثارة الفتنة بالبصرة لإخراجها عن طاعة علي عليه السلام، فلقي حتفه هو وجماعة من أنصاره حرقاً على يد جارية بن قدامة السعدي أحد أصحاب علي عليه السلام المخلصين. راجع ـ ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ٣/ ٩٥، ١٠٦، ١٨٢.

(٢) زياد بن أبيه: وقيل تارة زياد بن أمه، ولما استلحقه معاوية قال أكثر الناس زياد بن أبي سفيان، وكان قبل استلحاقه ينسب لأبيه عبيد، الذي كان عبداً، وبقي حياً حتى أيام زياد في الرق، فابتاعه واعتقه، كان زياد شجاعاً فصيحاً، وتجلت مواهبه منذ أيام عمر بن الخطاب واستعمله علي عليه السلام على إقليم فارس تحول إلى معاوية إثر مقتل علي عليه السلام، بعد أن استلحقه، وولاه العراقين، البصرة والكوفة وبقي فيها حتى وفاته في سنة ٥٣ هجرية ـ راجع ترجمته كاملة عند: ابن عبد البر ـ الاستيعاب بهامش الإصابة ١/ ٥٦٧، وشرح ابن أبي الحديد ١٦/ ١٧٩.

(٣) شبث بن ربعي التميمي اليربوعي: بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة ـ أحد الأشراف الفرسان، كان ممن خرج على علي عليه السلام وأنكر التحكيم، ثم تاب وأناب توفي سنة سبعين هجرية وكان فيمن قاتل الحسين بن علي عليه السلام في كربلاء ـ الإصابة ٢/ ١٦٣.

(٤) مخنف بن سليم الأزدي: له صحبة، وكان نقيب الأزد بالكوفة، استعمله علي بن أبي طالب (ك) على مدينة أصفهان، وشهد معه الجمل وصفين، وكانت معه راية الأزد =

«إنّ البعيد البغيض من عصى الله وخالف أمير المؤمنين، وإنّ الحبيب القريب من أطاع الله ونصر أمير المؤمنين وهم قومي واحدهم خير لأمير المؤمنين من عشرة من قومك»[١] فمن تلك المشادة يمكن استخلاص ما تنضح به نفوس الزعامة القبلية من عصبية، ومحاولة الإستئثار بالمكانة السامية في نفس الخليفة عن طريق الخدمات المغموسة حتى نهايتها في تلك العصبية المقيتة. لقد بلغت العصبية ذروتها وكشّرت عن انيابها في أواخر خلافة علي عليه السلام. بحيث «كان الرجل يخرج من منازل قبيلته فيمر بمنازل أخرى، فينادي باسم قبيلته: يا للنخع مثلاً، أو يا لكندة، نداءً عالياً يقصد به الفتنة وإثارة الشر»[٢].

لقد بذل علي عليه السلام كل ما في وسعه من جهد لإخماد تلك العصبية، والعودة بالعرب إلى ما جاء به الإسلام من أخوة، واستخدم من أجل ذلك كل ما لديه من الأساليب المتاحة المشروعة من ذلك محاولته إلغاء المواطنة المبنية على أساس الإنتماء القبلي، بفك العلاقة بين الفرد وبين الزعامة

= يوم صفين وقد حدد الزركلي وفاته في سنة ست وثلاثين في وقعة الجمل والصواب أنه توفي بعد معركة صفين أي بعد سنة سبع وثلاثين لأن ابن مزاحم في صفين ص٨ ـ يذكر وجوده ضمن أشراف الكوفة حين دخلها علي بعد حرب الجمل. وجاء في ص١٠٤ كتاب من علي عليه السلام إلى مخنف بن سليم يدعوه فيه إلى القدوم إليه بالكوفة ليسير ضمن جيشه الذي جهزه لمحاربة معاوية. راجع: أسد الغابة ٥/ ١٢٨، وأعلام الزركلي ٧/ ١٩٤.

(١) ابن أبي الحديد ٤/ ٤٥.

(٢) السابق ٣/ ١٦٦، وقد رد علي عليه السلام تلك الأفعال بخطبة بليغة حلل فيها معاني العصبية أطلق عليها (القاصعة)، ذكرنا فقرات منها في ص٣١٧ وبعدها من هذا البحث.

القبلية عن طريق المساواة بين الناس في الحقوق[١]، وبالدعوة إلى مقاومة تلك الدعوات الهدامة، وإبادتها من النفوس بالقوة كما في قوله «إِذَا رَأَيْتُمْ النَّاسَ بَيْنَهُمْ النَّائِرَةُ، وَقَدْ تَدَاعُوا إلى العَشَائِرِ وَالقَبَائِلِ، فَاقْصُدُوا لِمهَامِهِمْ وَوُجُوهِهِمْ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَفْزَعُوا إلى الله وَإِلَى كِتَابِهِ وَسنَّةِ نَبِيِّهِ، فَأَمَّا تِلْكَ الحَمِيَّةُ من خطرات الشَّيْطَانِ فَانْتَهُوا عَنْهَا»[٢]. ولإحساسه الملح بالحاجة إلى تلاحم الأمة الإسلامية في ظروفها الصعبة التي تعيشها، وهي على مفترق الطريق بين الخلافة الدينية وبين الملك العضوض، لجأ أيضاً إلى كتابة حلف بين أهل اليمن، وبين ربيعة من أهم بنوده «أَنَّهُمْ عَلَى كِتَابِ الله، يَدْعُونَ، وَيَأْمُرُونَ بِهِ، ويَحْيُونَ مِنْ دَعَا إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ، وَلاَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيْلاً، وَلاَ يَرْضَوْنَ بِهِ بَدِيْلاً، وَأَنَّهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ. . .»[٣]. ويبدو أن أسلوبه في مناهضة الزعامات القبلية وموافقته لطموحاتها لم يرق للكثير، فأخذوا يتسللون[٤] إلى معاوية جريا وراء المادة، وإشباع غرور التسلط الذي مكنهم منه معاوية. ولكن علياً عليه السلام ـ كما يبدو ـ قد نجح نجاحاً جزئيا في مساعيه للقضاء على تلك العصبية، فقد تمكن بعد كفاح مرير أن يجمع شتات المجتمع الكوفي مرة ثانية، ويعدهم للمسير إلى معاوية، إذ يحدثنا التاريخ أنه في أيامه الأخيرة، قد أفلح في جمع كلمة المسلمين، وتوحيد صفوفهم، ومكنه ذلك من أن يعقد «للحسين عليه السلام في عشرة آلاف، ولقيس بن سعد في عشرة آلاف، ولأبي أيوب الأنصاري في عشرة

---

(١) راجع ص٣١٧ ـ ٣١٨ من هذا البحث.

(٢) ابن أبي الحديد ٤/ ٤٥.

(٣) رسائل ـ ٧٤.

(٤) راجع رسائل ـ ٧٠.

آلاف، ولغيرهم على إعداد آخر، وهو يريد الرجعة إلى صفين، فما دارت الجمعة حتى ضربه.... ابن ملجم... فتراجعت العساكر (فكانت كالأغنام التي فقدت راعيها، تتخطفها الذئاب من كل مكان[١].

٢ ـ موقف علي عليه السلام من الموالي ومن أهل السواد:

حين استقر العرب بالعراق بعد فتح فارس كونوا لهم مجتمعاً خاصاً بهم ولم يكونوا ليسمحوا لغيرهم ممن دخل الإسلام من الأمم الأخرى بمجاراتهم، فوضعوا الحواجز الإجتماعية بينهم وبين الموالي، على اعتبار أنهم دونهم في المكانة فلم يسمحوا بالإختلاط بهم وتجنبوا مجالستهم، واعتبروا الصلاة وراءهم تواضعاً وتقرباً إلى الله[٢]، وحالوا دون التزاوج معهم، خاصة بالنسبة للرجال منهم، حيث حالوا بينهم وبين الزواج من

---

(١) خطب ١٨٤ ـ تعليق راويها في نهايتها، أما أبو أيوب الأنصاري فاسمه خالد بن زيد الأنصاري الخزرجي النجارى شهد سائر المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان مع علي بن أبي طالب عليه السلام ومن خاصته، شهد معه الجمل وصفين، وكان على مقدمته يوم النهروان، غزا أيام معاوية أرض الروم مع يزيد بن معاوية سنة إحدى وخمسين وتوفي عند مدينة القسطنطينية ـ أسد الغابة ٦/ ٢٥. وعبدالرحمن بن ملجم المرادي، خارجي كان ضمن ثلاثة من الخوارج تعاقدوا في مكة على قتل علي عليه السلام ومعاوية وعمرو بن العاص، وتعاهدوا على القيام بذلك في شهر رمضان في الليلة التي قتل فيها عليّ عليه السلام وكان عبدالرحمن بن ملجم هو المتكفل بقتل علي عليه السلام، واستطاع أن يصل إلى غرضه، أما صاحباه وهما، البرك بن عبدالله التميمي، المتكفل بقتل معاوية وعمرو بن بكر التميمي المتكفل بقتل عمرو بن العاص، فلم يفلحا، وقتل عبدالرحمن بن ملجم بعد وفاة علي عليه السلام سنة تسع وثلاثين ـ مقاتل الطالبيين ص٤٣ وما بعدها.

(٢) راجع العقد الفريد ٣/ ٤١٣.

العربيات، من ذلك أن سلمان الفارسي[(١)]، وهو من كبار الصحابة المقربين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، خطب ابنة عمر بن الخطاب «فوعده بها، فشق ذلك على عبدالله بن عمر، فلقي عمرو بن العاص، فشكا إليه ذلك، فقال له: سأكفيكه، فلقي سلمان، فقال له: هنيئا لك يا أبا عبدالله، هذا أمير المؤمنين يتواضع لله عز وجل في تزويجك ابنته، فغضب سلمان وقال: لا والله لا تزوجت إليه أبدا»[(٢)] وكأنّ عبدالله بن عمر يستنكف من أن يناسب سلمان لكونه فارسياً، وفي ذلك دلالة على تجنب العربي من تزويج ابنته لغير العربي مهما بلغت منزلته وسمت مكانته، وقد بلغ التعصب بالعرب إزاء الموالي إلى القول «لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة: حمار، أو كلب، أو مولى»[(٣)]. كما أثر عن معاوية، أنه لما وجد كثرة الموالي، خطرت له فكرة إبادة قسم منهم، وترك قسم آخر لإقامة السوق وعمارة الطريق»[(٤)] وقد ثناه الأحنف بن قيس[(٥)] عن فكرته تلك.

---

(١) سلمان الفارسي: أبو عبدالله ويعرف بسلمان الخير، أصله من فارس وكان مجوسيا، رحل إلى الشام وتحول إلى النصرانية هناك، أسلم على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، أول مشاهده مع الرسول صلى الله عليه وسلم الخندق، ولم يتخلف عن مشهد بعد الخندق، كان من خيار الصحابة وزهادهم وفضلائهم، وذوي القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي سنة خمس وثلاثين في آخر خلافة عثمان ـ ابن الأثير ـ أسد الغابة ٢/ ٤١٧ وما بعدها.

(٢) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ٦/ ٩٠ وجاء عند أبي نعيم الحافظ (ت ٤٣٠) في كتابه حلية الأولياء ١/ ١٨٦ ـ إن الذي رفض الزيجة عمر بن الخطاب وليس ابنه عبدالله.

(٣)،(٤) العقد الفريد ٣/ ٤١٣.

(٥) الأحنف بن قيس: والأحنف لقب له، لحنف (اعوجاج) كان برجله ادرك النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يره، كان أحد الحكماء الدهاة العقلاء، وكان فيمن اعتزل الحرب بين علي عليه السلام وعائشة، وشهد صفين مع علي عليه السلام، وبقي إلى إمارة مصعب بن الزبير على العراق=

لذلك فلا عجب أن تلتف أولئك الحمراء[١]. حول علي عليه السلام، والقعود إليه والإستماع لوعظه، فقد وجدوا في شخصه المنقذ والمنفذ الحقيقي لمبادئ الإسلام على أصولها، خاصة بكسره طوق العادات الجاهلية بتزويج ابنه الحسين ـ سبط رسول الله صلى الله عليه وآله ـ من إحدى بنات كسرى[٢] اللواتي سبين في عهد عثمان ابن عفان، وقد عرضنا فيما سبق لرد علي عليه السلام الغاضب على مقولة الأشعث بن قيس «غلبتنا عليك هذه الحمراء»[٣]، فقد كان علي عليه السلام يجالسهم ويتحادث معهم ويستقرئهم أحوال ملوكهم السابقين وسياستهم[٤] بما يشعرهم بقيمتهم الإنسانية مثلهم مثل أي مسلم آخر، فأحبوه، وأخلصوا له وانعكس ذلك الحب فيما بعد على أحفاده الذين بلغوا مكانة سامقة في نفوس أهالي فارس[٥].

فإذا كان الموالي وهم من المسلمين، قد لقوا من العرب الهوان والذل، فما بالك بأهل السواد من غير المسلمين، ولا أخالني أجانب الصواب، إذا قلت أنّ العرب قد عدّوا أولئك من رقيق الأرض مثلهم مثل

= وتوفي سنة سبع وستين ـ أسد الغابة ١/ ٦٨.

(١) الحمراء ـ لقب كان يطلق على الموالي من الفرس ـ راجع ص٣١٩ من هذا البحث.

(٢) أم علي بن الحسين هي (سلافة) من ولد يزدجرد، معروفة النسب وكانت من خيرات النساء، وكان يقال لعلي بن الحسين عليه السلام، ابن الخيرتين، لقول «رسول الله صلى الله عليه وآله» لله من عباده خيرتان، من العرب قريش ومن العجم فارس ـ المبرد ـ الكامل في الأدب ٢/ ١٢٠، ١٢١.

(٣) راجع ص٣١٩ من هذا البحث.

(٤) راجع ابن مزاحم ـ صفين ص١٤.

(٥) راجع ـ جليل منصور العريض ـ التفجع في شعر الشريف الرضي ص٣٤.

أي متاع يباع ويشترى، ويعمل به سادته ما يشاؤون، مما جعل نفوس أولئك تمتلئ بالحقد والضغينة، والألم، لأنهم خرجوا من ربقة الذل في ظل الحكم الفارسي إلى الرق والإمتهان والتعذيب في ظل النظام الإسلامي الداعي إلى المساواة خاصة إنهم قد وجدوا أن دخولهم الإسلام لم يغير من أوضاعهم الإجتماعية كطبقة منبوذة من عبيد الأرض، لا حول لها ولا قوة، واجبها الوحيد خدمة السادة الجدد، وتوفير الراحة لهم. ولو أن التاريخ الإسلامي قد أغفل وصف تبرمهم وثوراتهم ـ لكونه تاريخ حكام لا تاريخ شعوب ـ إلا أن ذلك التبرم والضيق يمكن تصوره من خلال مواقفهم المعادية للتسلط العربي منذ البداية، خاصة تجاه بني أمية الذين حاولوا بينهم وبين الدخول في الإسلام طمعاً في الجزية التي يؤدونها، والتي ستسقط لا محالة عنهم بإسلامهم[١]، لذلك اعتمد المختار[٢] عليهم اعتماداً أساسيا وانتصر بهم في عدة مواجهات[٣] ضد عبدالملك بن مروان، إلا أن المختار بتقريب أولئك منه ألب على نفسه الأرستقراطية

---

(١) راجع بشأن وصية عمر بن عبدالعزيز إلى عامله على خراسان ـ تاريخ الطبري ٦/ ٥٥٩، وبشأن عسف عمال بني أمية وظلمهم للرعية راجع فحوى رسالة عمر بن عبدالعزيز إلى عامله على الكوفة ـ تاريخ الطبري ٦/ ٥٦٩. وبشأن أخذ الأمويين الجزية ممن أسلموا ـ راجع أحكام أهل الذمة ١/ ٥٩.

(٢) المختار بن أبي عبيد مسعود الثقفي، ولد عام الهجرة، وليست له صحبة، وكان قد خرج يطلب بثأر الحسين بن علي (ر)، واجتمع عليه كثير من الشيعة بالكوفة فغلب عليها، وطلب قتلة الحسين فقتلهم وقُتل بالكوفة سنة سبع وستين، وكانت إمارته على الكوفة سنة ونصف السنة ـ أسد الغابة ٥/ ١٢٢، ١٢٣.

(٣) راجع ـ الدينوري ـ الأخبار الطوال ص٢٩٣ و٢٩٩ وما بعدها.

العربية التي تضررت مصالحها بفعله، فتسببت في نهاية الأمر إلى سقوطه[١].

فحين دخل علي عليه السلام الكوفة كان على دراية تامة بما آلت إليه حال أهالي السواد من بؤس وشقاء وتبرم ينذر بثورة، لذلك كان من الأولويات الهامة التي باشرها أن «حشر أهل السواد، فلما اجتمعوا أذن لهم، فلما رأى كثرتهم»[٢] وعدم استطاعته من الإستماع إلى شكاواهم وتظلماتهم طلب منهم أن يسندوا أمرهم إلى أرضاهم في نفوسهم، كل ذلك من أجل وضع الحلول المناسبة لمشاكلهم بما يرضي الله، ويتماشى مع عدالة الإسلام، وبالفعل فقد باشر ذلك بصفة مستمرة طيلة عهده، فمما يؤثر في ذلك أنه كتب إلى كعب بن مالك[٣] وهو أحد عماله «أما بعد فاستخلف على عملك وأخرج في طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض السواد كورة كورة فتسألهم عن عمالهم، وتنظر في سيرتهم حتى تمر بمن كان فيما بين دجلة والفرات»[٤].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ابن مزاحم ـ صفين ـ ص١٤.

(٣) كعب بن مالك الأنصاري، كناه الرسول صلى الله عليه وآله أبا عبدالله، شاعر مشهور، شهد العقبة وبايع بها، وتخلف عن بدر وشهد ما بعدها، وتخلف عن تبوك، وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم، وقد أخرج أبو الفرج الاصبهاني في كتابه الأغاني سند شامي فيه ضعف وانقطاع، أن حسان بن ثابت وكعب بن مالك والنعمان بن بشير دخلوا على علي عليه السلام، فناظروه في شأن عثمان، وانشده كعب شعراً في رثاء عثمانُ ثم خرجوا من عنده فتوجهوا إلى معاوية فأكرمهم ـ ابن حجر ـ الاصابة ٣/ ٣٠٧ والراجح بشأن كعب أنه صحب علياً عليه السلام وولاه بعض سواد العراق، كما ورد عند القاضي أبي يوسف، في كتاب الخراج ص١١٨، وتوفى كعب في خلافة معاوية.

(٤) القاضي أبو يوسف ـ الخراج ص١١٨.

كما أن احتكاكه المباشر بهم مكنه من التعرف على أساليبهم الملتوية في التهرب من أداء ما عليهم من الخراج والجزية، مما جعله يستعمل معهم سياسة العطف والرحمة الممزوجة بالحزم حتى لا يفلت زمامهم من يده، فهو في الوقت الذي يأمر فيه عماله بالحزم والشدة على أولئك الفلاحين والصناع إلا أنه لا يرضى أن يؤخذ منهم سوى ما يمكنهم دفعه قدر استطاعتهم[١]، وتلك هي عين العدالة الإجتماعية في الإسلام.

فالحزم مطلوب ـ في فكر علي عليه السلام الإجتماعي ـ ولكن الرأفة والرحمة مطلوبتان أيضاً فكفر أولئك لا ينقص من حقوقهم الإنسانية، شكا إليه بعض أهل السواد من رؤساء الفلاحين غلظة أحد ولاته فكتب إليه «أَمّا بَعْدُ فَإِنَّ دهاقين أَهْلِ بَلَدِكَ شَكُوا مِنْكَ غُلْظَةً وَقَسْوَةً وَاحْتِقَاراً وَجَفْوَةً، وَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ لأَنْ يُدْنَوا لِشِرْكِهِمْ وَلاَ أَنْ يُقْصَوا وَيُجْفَوا لِعَهْدِهِمْ، فَالْبَسْ لَهُمْ جِلْبَاباً مِنَ اللِّينِ تَشُوبه بِطَرَفٍ مِنَ الشِّدَةِ، وَدَاوِكْ لَهُمْ بيْنَ القَسْوَةِ وَالرَّأْفَةِ. . .»[٢].

فمن الملاحظ في فحوى الرسالة أن علياً عليه السلام قد جعل اللين جلباباً للوالي وجعل الشدة طرفاً من ذلك الجلباب، وتلك أعلى مراتب التربية الإجتماعية، لكون الإرخاء واللين إذا لم يحاط بالحزم في أي أمر يتعلق بالنظام، فإنه لا محالة يؤديان إلى الفوضى والإنفلات، سواء على المستوى

---

(١) راجع بشأن ذلك حكاية علي عليه السلام مع الرجل الثقفي الذي استعمله على عكبرا وهي بلدة من نواحي دجيل بينها وبين بغداد عشرون فرسخاً ـ معجم البلدان ٤/ ١٤٢ عند ابن القيم الجوزية في أحكام أهل الذمة ١/ ٥٩.

(٢) رسائل ـ ١٩.

الفردي أو الجماعي، مع الوضع في الإعتبار إشارة عليعليه السلام إلى كون أولئك كفاراً لا يعني على الإطلاق سلبهم حقوقهم الإجتماعية في العيش كمواطنين، مثلهم مثل أي إنسان لأن الناس من وجهة نظر علي «صنفان: إمّا أَخٌ لَكَ فِي الدِيْنِ أو نَظْيرٌ لَكَ فِي الخَلْقِ»[١] ويجب التعامل معهم على ذلك الأساس، وقد نبع موقف عليعليه السلام من أهل السواد على أنهم من الصنف الثاني، الذي يجب أن ترعى حقوقه من أجل الرابطة الإنسانية، ومن أجل احترام إرادة الله سبحانه وتعالى في خلقه.

٣ ـ موقف عليعليه السلام من العرب البدو:

يصف ابن خلدون البدو «بطبيعةِ التوحشِ الذي فيهم، أهل انتهاب وعبث، ينتهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر. . . (وأنهم) إذ تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب، والسبب في ذلك أنهم أمة وحشية، باستحكام عوائد التوحش وأسبابه فيهم، فصار خلقا وجبلة، وكان عندهم ملذوذاً، لما فيه من الخروج عن ربقة الحكم وعدم الإنقياد للسياسة، وهذه منافية للعمران»[٢]، وذلك الوصف الواقعي لم يأت عند ابن خلدون من فراغ، إذ لابد أنه قد عايش البدو واحتك بهم وعانى منهم جراء رحلاته الطويلة[٣] وتقلبه في مناصب القضاء[٤] بالإضافة إلى احتكاكه

---

(١) رسائل ـ ٥٣ فقرة ٣.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص١٨٦، ١٨٧.

(٣) حول رحلات ابن خلدون المتعددة راجع تاريخه ٧/ ٥٤٨، ٥٥٧، ٤٣٧، ٦٤٨، ٦٥٧.

(٤) بشأن تولي ابن خلدون منصب القضاء راجع تاريخه ٧/ ٥٦٣، ٧١٤، ٧٤١.

المباشر بالمغول[1] كما تحدثنا سيرته، ثم أن قراءته في التاريخ وسبر أغوار أحداثه، جعله يمعن الفكر في الإجتماع البشري بعين الباحث الدقيق[2]، فاستطاع أن يصور الحقيقة بأمانة وصدق، ودراستنا لحال الأعراب الذين كانوا يستوطنون الكوفة دليل على ذلك، أن أولئك رغم انتقالهم من الصحراء إلى المجتمع الحضري، فإن ذلك الإنتقال لم يغير من طبائعهم بسبب تقوقعهم على أنفسهم عن طريق التكتل القبلي، فلم تعمل الحضارة في حياتهم وعاداتهم، لكونهم قد انتقلوا من الصحراء على شكل جماعات، وحملوا معهم طباعهم وعاداتهم التي ورثوها فأصبحت جبلة فيهم لا يمكن تغييرها، إلا بالإحتكاك المباشر بالحضارة وهذا ما لم يفعلوه لتعارضه وأساليبهم في الغزو والإستيلاء والنهب، فعلى سبيل المثال، عدم تفريقهم بين الحملات العسكرية المراد منها إعادة أولئك المحاربون من البدو ما أبداه علي عليه السلام تجاه أهل البصرة من تسامح بعد وقعة الجمل سنة وست وثلاثين، فقد أحل علي عليه السلام لجيشه الإستيلاء على كل ما في معسكر المناوئين له، دون أسر الرجال وسبي النساء، أو مصادرة ما حوته مساكنهم من أموال، فقد كان علي عليه السلام ينظر، لأولئك نظرة الخارجين عن الصف الإسلامي، لا نظرته إلى الكافرين أو المرتدين، وذلك امتثالاً لما ورد في الذكر الحكم ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا

---

(١) بشأن مقابلة ابن خلدون التتار أو المغول راجع تاريخه ٧/ ٧٢٨، أما بشأن التتار وكيف بدأت هجماتهم على البلاد الإسلامية فراجع ـ ابن أبي الحديد ٨/ ٢ وما بعدها.

(٢) لمعرفة منهج ابن خلدون في فلسفته لتاريخ الشعوب والأمم ـ راجع المقدمة ص٦ وما بعدها.

بِٱلْعَدْلِ﴾[١] وقد عمل علي عليه السلام بحكم الآية الكريمة بتمامه، فحاول الإصلاح بين الفئتين على أساس أن كلتيهما تدينان بالإسلام، ولكن أولئك الأعراب الذين ملكت المادة عليهم كل سبيل لم يقبلوا ذلك منه، بقولهم باستنكار «مَا أَحَلَّ لَنَا دِمَاءَهُمْ وَحَرَّمَ عَلَيْنَا أَمْوَالَهُمْ»[٢] لأنهم لم يشربوا الإسلام في قلوبهم، واقصروا نظرتهم على الجانب المادي، ومن المعتقد أن الجدل قد استمر بينهم وبين علي عليه السلام ولم يقتنعوا بوجهة نظره إلا بعد أن قال لهم «هذه عائشة رأس القوم أتتساهمون عليها؟»[٣]. يبدو أن الطابع البدوي قد غلب المجتمع الكوفي، بحيث أثر في أخلاق المجتمع وسار بالقيم نحو التداعي، مما جعل علي عليه السلام يتصدى له بكل قوة متبرماً من ذلك «إِعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الهِجْرَةِ أَعْرَاباً، وَبَعْدَ المُوَالاةِ أَحْزَاباً، لاَ تَعْقِلُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ إِلاَّ اسْمُهُ، وَلاَ تَعْرِفُونَ مِنَ الإِيْمَانِ إِلاَّ رَسْمَهُ تَقُولُونَ النَّارَ وَلاَ العَارَ، كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا الإِسْلاَمَ عَلَى وَجْهِهِ، انْتِهَاكاً لِحَرِيْمِهِ، وَنَقْضاً لِمِيثَاقِهِ الّذي وَضَعَهُ لَكُمْ حَرَمًا فِي أَرْضِهِ»[٤].

لقد كان أولئك الأعراب يعرضون ولاءهم على من يغدق عليهم وكان علي عليه السلام على دراية تامة بأساليبهم في تقربهم إلى الولاة والحكام، لذلك لا حقهم وتتبع تحركاتهم، خاصة إن انتقالهم إلى المجتمع المدني لم يشذب أخلاقهم، ولم يغير من عاداتهم، فعنصر الغزو الذي تشبعت به

---

(١) الحجر / ٩.

(٢) العقد الفريد ٤/ ٣٣١.

(٣) السابق.

(٤) خطب ـ ٢٤٠، فقرة ٢٣.

نفوسهم، قد شذب الإسلام بعض جوانبه، إلا أنه ما برح يراود نفوسهم، لذلك سلكوا أسلوباً آخر للكسب على حساب الأمة بإغراء ولاة الأقاليم بتبينهم ـ فمن خلال رسالة كتبها علي عليه السلام إلى واليه على أردشير خرّة[١] نستنتج أن ذلك العامل ـ بما تحمله نفسه من روح البداوة كان يغدق العطاء من أموال المسلمين على من اعتامه من أعراب قومه، لذلك كتب إليه علي بأسلوب مشحون بالغضب يتهدده متوعداً «فَوَ الَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسْمَةَ، لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ حَقًّا، لَتَجِدَنَّ لَكَ عَلَيَّ هَوَانًا، وَلَتَخُفَّنَّ عِنْدِي مِيْزَانًا»[٢]. وقد ظل أولئك الأعراب عقبة كأداء في خطط علي عليه السلام الإصلاحية، خاصة بعد أن انضوى معظمهم تحت راية الذين خرجوا على علي عليه السلام بعد قضية رفع المصاحف في صفين، وبعد مهزلة التحكيم، وأحدثوا أحداثاً منافية للروح الإسلامية[٣] ولم يتمكن علي عليه السلام من إعادة صف المجتمع الكوفي إلا بعد قضائه على معظمهم في وقعة النهروان[٤]

---

(١) أردشير خُرَّة: بفتح الألف وسكون الراء وفتح الدال وكسر الشين وياء ساكنة في (أردشير): وخاء مضمومة، وراء مفتوحة مشددة وها في (خره)، وهو اسم فارسي مركب معناه بهاء أردشير، وأردشير اسم لملك من ملوك الفرس، وأردشير خره من أجلّ كور فارس وتدخل ضمنها كثير من المدن الهامة كشيراز وكازرون وغيرها ـ معجم البلدان ١/ ١٤٦، أما عامل علي عليها فقد كان مصقلة بن هبيرة الشيباني فسترد ترجمته في ص٤١٥ هامش (٣) من هذا البحث.

(٢) رسائل ـ ٤٣.

(٣) بشأن فتهنة الخوارج في خلافة علي عليه السلام والسبب في محاربته إياهم راجع: الدينوري ـ الأخبار الطوال من ص٢٠٢ حتى ص٢٠٧.

(٤) النهروان: وأكثر ما يجري بها على الألسنة بكسر النون، وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي، حدها الأعلى متصل ببغداد، وفيها عدة بلاد متوسطة، =

سنة تسع وثلاثين، ولكن لم يحالفه الحظ في إتمام خطه الإصلاحي حين استشهد على يد واحد من أولئك الخوارج في السنة الأربعين هجرية.

٤ ـ موقف علي عليه السلام من العرب غير المسلمين من نصارى تغلب ونجران:

لا نكاد نعثر على أي نص في نهج البلاغة يتعلق بموقف علي عليه السلام من نصارى العرب، وإن مجمل ما ورد في النهج يتعلق بأهل الذمة والمعاهدين وكل ذلك يندرج تحت وصاياه، بالرأفة بهم وتجنب تكليفهم بما لا يطيقون إلى غير ذلك من وصايا إنسانية[1] إلا أننا لا نعدم نصوصاً في المصادر الأخرى تضع أقدامنا على الطريق، في مجال التعرف على موقف علي عليه السلام من أولئك العرب. فإذا كان علي عاملهم معاملة إنسانية أساسها العطف والرحمة، فإن ذلك لا يعني أنه قد ترك لهم الحبل على الغارب يعملون ما يشاؤون، فقد جعلهم تحت بصره وسمعه، لأنه يدرك بحدسه العربي، ما يصطرع في نفوس أولئك العرب من قهر وضيم وصغار لوقوعهم تحت طائلة القانون الذي يحرمهم من مزاولة الكثير من عاداتهم وتقاليدهم، ولا يسمح بها إليهم إلا في حدود ما عوهدوا عليه في سبيل إبقائهم على نصرانيتهم[2]. ونفسية العربي عادة ما يراودها التمرد، مما

= وكان بها وقعة لأمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام مع الخوارج مشهودة ـ معجم البلدان ٥/ ٣٢٤، ١٣٢٥.

(١) راجع رسائل ـ ٥١ و٥٣ فقرة ٤

(٢) بشأن الشروط المفروضة على أهل الذمة راجع ـ ابن القيم ـ أحكام أهل الذمة ٢/ ٦٥٧ وما بعدها.

جُبِلَ عليه من إباء وشيم ينفرانه من الخضوع والإستكانة، وأولئك النصارى مثلهم مثل القبائل العربية الأخرى لكونهم أبناء بيئة واحدة، فتمردهم على السلطة لابد أن يكون حتميا، وإن اتخذ أساليب مختلفة تنأى بهم عن الغزو والسبي، خاصة وأنهم وجدوا أن علياً لم يكن دون غيره من الخلفاء الراشدين في حزمه تجاههم، فقد شاهدوه وهو يحرق بيده قرية مسيحية في سواد الكوفة اشتهرت بصناعة الخمر وهو بعمله ذاك ينفذ شريعة الإسلام على اعتبار «إن الخبيث يأكل بعضه بعضاً»[١]، فكما يبدو أن نصارى تغلب قد أحسوا بانشغال المسلمين ببعضهم البعض بفتنة عثمان وبحرب الجمل وبالمشادات الكلامية ومن ثم العسكرية بين علي عليه السلام ومعاوية ففسخوا ما عاهدوا عليه عمر بن الخطاب، بأن يدفعوا ضعف الزكاة بدلاً من دفعهم الجزية شريطة ألا ينصروا أولادهم، لأن علياً قد كان منشغلاً عنهم، ولن يطالهم عقابه، ولكنه كان على علم بنقضهم العهد إذ أثر عنه بشأن نصارى تغلب قوله «لَئِنْ تَفَرَّغْتُ لِبَنِي تَغْلُبِ لَيَكُونَنَّ لِي فِيهِمْ رَأْيٌ: لأَقْتُلَنَّ مُقَاتِلَتَهُم، وَلأَسْبِيَنَّ ذراريرهم، فَقَدْ نَقَضُوا العَهْدَ وبرئت منهم الذمة حين نصروا أولادهم»[٢] فلما أحسوا بموقف علي عليه السلام منهم، أخذوا يكيدون له في الخفاء، بالوقوف بجانب معاوية كيلا يمكنوه من التفرغ لهم، فعمل الكثير منهم جواسيس لمعاوية في الكوفة، من ذلك أن مصقلة بن هبيرة الشيباني[٣]، لما هرب من علي عليه السلام ولجأ إلى معاوية كتب لأخيه نعيم بن

---

(١) السابق ٢/ ٧٢٩.

(٢) أبوعبيد: الأموال ص٢٤ وجاء مثله في أحكام أهل الذمة ١/ ٧٩.

(٣) مصقلة بن هبيرة الشيباني: كان من رجال علي ابن أبي طالب عليه السلام ثم هرب إلى معاوية بعد أن اشترى سبي بني ناجية من عامل علي عليه السلام وأعتقه، فلما طالبه علي عليه السلام ببقية=

هبيرة[١] «مع رجل من نصارى تغلب. . . : أما بعد، فإني كلمت معاوية فيك فوعدك بالكرمة، وهناك بالإمارة فاقبل ساعة تلقي رسولي»[٢] فأطلع نعيم علياً على الكتاب وخبر الرسول التغلبي، فكانت نهاية ذلك الرسول الهلاك بعد أن قطع علي عليه السلام يده جزاء فعلته تلك وعلى العموم فقد نال نصارى تغلب حظوة عند الأمويين فيما بعد مكافأة على مواقفهم السابقة، فأباحوا لهم كل ما عوهدوا على تحريمه[٣] من قبل الخلفاء الراشدين من قبل.

= المال بعد أن دفع قسطاً منه، لم يتمكن من سداده ففر إلى معاوية وكان في صفين، قتل ومعظم جيشه في فتح طبرستان ـ راجع نسب وخبره مع بني ناجية عند ابن أبي الحديد ٣/ ١٢٧. أما ترجمته فراجعها عند ـ الزركلي ـ الإعلام ٧/ ٢٤٩.

(١) نعيم بن هبيرة الشيباني: من أهل بيت وعدة في الجاهلية والإسلام ـ راجع بشأن نسبه: جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي ص٣٢١ ـ كان شيعيا ولعلي عليه السلام مناصحاً، وهو ممن شاركوا في ثورة المختار للثأر من قتلة الحسين عليه السلام، قتل سنة ست وستين في معركة دارت في الكوفة بين أصحاب المختار وبين شيعة الأمويين، وكان قائداً لتلك المعركة، راجع: تاريخ الطبري٥/ ١٣٠ و٦/ ٢٤، ٢٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣/ ١٤٦.

(٣) بشأن انحياز بعض نصارى تغلب إلى معاوية ضد علي عليه السلام راجع ـ البلاذري ـ أنساب الأشراف ٢/ ٤٦٩. ويروى أن الأخطل التغلبي يجاهر بطلب شرب الخمر في مجلس عبدالملك بن مروان فلا يناله أي عقاب ثم أنه يمدح عبدالملك وهو سكران فيغدق عليه الخليفة الأموي ويزيد في جائزته ـ وفي ذلك مثال على تساهل الأمويين مع التغلبيين النصارى، راجع الأغاني ٨/ ٢٩٣ ويشجع الأمويون غير المسلمين على البقاء في دياناتهم بفرض الجزية عليهم وإن دخلوا في الإسلام وهذا بطبيعة الحال ساعد أولئك النصارى على تنصير أولادهم وهو ما يتنافى وشروط عمر بن الخطاب على التغلبيين ـ راجع ـ أحكام أهل الذمة ١/ ٥٩ وص٢٦٣ من هذا البحث.

أما نصارى نجران فلم يكن لهم من الحقوق مثل ما كان لنصارى تغلب، فقد كانوا يدفعون الجزية مثل بقية أهل الذمة إلا أن الذي بقي أثره في نفوسهم، ولم يستطيعوا نسيانه، قيام عمر بإجلائهم عن موطنهم نجران اليمن فأخذوا يتحينون الفرصة للعودة إلى بلادهم، فظنوا أنها مؤاتية بتولي علي عليه السلام الخلافة، وكأنهم بذلك يريدون ـ بدهاء وخبث ـ أن يرد عليّ على عمر ذاك بالسماح لهم بالعودة، فطلبوا منه أن يكتب لهم عهداً بذلك شاكين إليه تصرف عمر، فبادر علي عليه السلام إلى زعيمهم بالقول «وَيْحُكَ إِنَّ عُمَرَ كَانَ سَدِيْدَ الأَمْرِ وَلَنْ أُغَيِّرَ شَيْئًا صَنَعَهُ عُمَرُ»[1]. فالنصارى العرب وإن لم يرد لهم ذكر في نهج البلاغة إلا أن دورهم ـ فيما يبدو ـ كان منحصراً في الكيد للإسلام في الخفاء، وانتهاز الفرص لنقض العهود مما أدى بعلي عليه السلام إلى موافقتهم لمنعهم عما يرمون إليه.

ذلك إذن موقف علي عليه السلام من الفئات التي تكون مجتمع الكوفة منها، وهو ـ كما رأينا ـ مجتمع متباين في عاداته وفي تقاليده مختلف الديانات، غير منسجم في العلاقات بين أفراده. وقد عاشه علي عليه السلام بكل إحساساته فبذل كل ما في وسعه من جهد لإعادة بنيته المتداعية، التي شبهها بالثوب البالي، الذي كلما خيط من ناحية تهزع وتمزق من ناحية أخرى[2]، فكان وصفه لحالة ذلك المجتمع وليد معاناته في تقويم ما انتابه من اعوجاج، أو بالأحرى محاولة مستميتة وصبورة لإعادة بنائه بفضح عيوبه لإطلاع الناس عليها وتبصرهم بخطورتها.

---

(١) أبويوسف ـ الخراج ص٧٤، وقد أضفنا إلى الخبر جملة اجتزأناها من أحكام أهل الذمة ٢/ ٦٦٤.

(٢) راجع: خطب ـ ٦٨.

حالة المجتمع كما تبدو في فكر علي عليه السلام

عايش علي عليه السلام مجتمع الكوفة بكل فئاته لإحساسه التام بمسؤوليته كحاكم، من الواجب عليه أن يلم بجميع المشاكل ويضع لها الحلول المناسبة. ومن خلال احتكاكه المباشر أمكنه التعرف على حالة المجتمع من جميع جوانبها، كما مكنه ذلك من الدخول في نفوس الناس وسبر أغوارهم إزاء تيار المادة الجارف، الذي أدى بكل فرد ـ من ذلك المجتمع ـ إلى النظرة للحياة من الزاوية التي يرى فيها مصلحته بغض النظر ـ في معظم الأحيان ـ عن القيم والأخلاق، فشاع في جنبات ذلك المجتمع الإستغلال والفساد والقهر والمغالبة، فأحال ذلك الوضع المزري الناس كما يرى علي عليه السلام إلى «كِلاَبٍ عَاوِيَةٍ، وَسِبَاعٍ ضَارِيَةٍ، يَهِرُّ بَعْضُهَا عَلى البَعْضِ، وَيَأْكُلُ عَزِيْزُهَا ذَلِيْلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيْرُهَا صَغِيْرَهَا، نَعَمٌ مُعْقَّلَةٌ، وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا، وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا، سُرُوحُ عَاهَةٍ، بِوَادٍ عَثٍّ، لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقَيْمُهَا وَلاَ مُيَسِّمٌ يسِيمهَا»(١) فالصورة التي رسمها علي عليه السلام لحالة المجتمع الإسلامي في عصره تبدو قاتمة، ولكنها واقعية ـ

---

(١) رسائل ـ ٣١ ـ الفقرة ١٩. وضارية مولعة بالافتراس، يهر ـ بكسر الهاء أو بضمها: أي يمقت ويكره، ومعقله ـ بتشديد القاف: ـ مشدودة بالعقال، وهو حبل يربط به رجلا الناقة الأماميتان للحد من سرعتها أثناء السفر عليها، وكنى على الابل المعقلة عن الضعفاء من أبناء المجتمع الذين لا حول لهم ولا قوة، والمهملة: المطلق سراحها، وهي كناية عن الأقوياء الجبابرة، وأضلت عقولها: أضاعت عقولها وتخبطت في الطريق المجهول، والسروح ـ بضم السين جمع سرح بفتح فسكون: وهو المال، السائم من ابل وحيوان وعاهة: آفة ومرض، أي أنهم يسرحون برعي المتاعب، والوعث: الرخو اللين الذي يصعب السير فيه.

على الأقل ـ من وجهة النظر المثالية التي تبناها علي عليه السلام، وسار على هديها للقضاء على الفساد الإجتماعي وليس أدل على ذلك من مقارنته بين ماضي الإسلام المفعم بالحب والإخلاص للمبادئ، وبين الواقع المؤلم المليء بالرزايا والمحن وانعدام الأخلاق. فرجال الأمس في صدقهم لم يكونوا كرجال اليوم في كذبهم ونفاقهم، يقول علي عليه السلام بأسلوب ملؤه الأسى والتحسر «أَيْنَ خِيَارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكم، وَأَيْنَ أَحْرَارُكُمْ وَسُمَحَاؤُكُمْ، وَأَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ الْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِم، أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيْعاً... وَهَلْ خُلِّفْتُمْ إِلاّ فِيْ حُثَالَةٍ لاَ تَلْتَقِيْ بِذِمّهِمْ الشّفَتَانِ اسْتِصْغَاراً لِقَدْرِهِمْ وَذِهَاباً عَنْ ذِكْرِهِمْ»[1]. فامتزاج الأسى بالإزدراء لم يتولد في نفس علي عليه السلام لولا حبه غير المحدود للإنسانية، وإيمانه الصادق المتين بقيم الإسلام الأخلاقية، فما فعله من كشف لعيوب المجتمع وسلبياته، ووصفه ما آلت إليه حاله من تدهور، لم يكن يقصد من ورائه سوى النقد البناء، بفضح ما يعتور الطبقات الإجتماعية من عيوب، وعادات هدامة، وليس ثمة سبيل للقضاء عليها إلا بإشهارها، وتبصير الناس بما يكتنفها من أخطار لعلهم يعون وينظرون فيها نظرة واقعية، ويعرفون على ضوء كل ذلك السبيل القويم الذي أراده الإسلام للمجتمع. لقد استمر علي عليه السلام في نقده العنيف للمجتمع وكشف عيوبه بإصرار دؤوب ليس له حدود، ونعتقد أن ذلك النقد قد انبنى على خمسة محاور، كل محور منها نتيجة للذي قبله وهي:

١ ـ استفحال الجهل والإستبداد بالرأي:

الجل عاهة اجتماعية مزمنة وخطيرة فإذا ما طبقت على مجتمع ما،

---

(١) خطب ـ ١٢٩، والحثالة ـ بضم الحاء الردئ من كل شيء.

فنهايته الحتمية الزوال والإندثار، لكون كل فرد من أفراد ذلك المجتمع ـ وبسبب جهله ـ يركب رأيه ويتخبط في ضلاله بجانب تخبط الآخرين من أبناء مجتمعه، في ظلمة دامسة وذلك يؤدي، بطبيعة الحال، إلى التقوقع داخل الذات والتشبث بالرأي محافظة على الكيان الفردي. ومعظم فئات مجتمع علي من ذلك النوع الجاهل بعواقب الأمور، مما أدى إلى تشعب الطرق بينه وبينهم، فانعدمت مقدرته على التفاهم مع جهلهم لأنهم «يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ وَيَسِيْرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، الْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا، مَفْزَعَهُمْ فِي الْمُعْضِلاَتِ أَنْفُسُهُمْ، وَتَعْوِيْلُهُمْ فِي الْمُبْهَمَاتِ عَلَى آرَائِهِمْ، وَكَانَّ كُلَّ امْرِئٍ إِمَامُ نَفْسِهِ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيْمَا يَرَى بِعُرَىً ثِقَاتٍ، وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَةٍ»[1] والإستجابة لشهوات النفس والنزول على رغباتها من أكبر معاول الهدم لكيان الفرد ركيزة المجتمع الأساسية، فإذا ما افتقد الفرد توازنه، انعكس ذلك الإختلال على المجتمع بقدر دوره وفاعليته، ما يؤدي في نهاية الأمر إلى شيوع الفوضى وانعدام رابطة التعاون.

٢ ـ شيوع الفوضى وانعدام رابطة التعاون:

النظام من أهم عوامل الحضارة، وشيوعه في مجتمع ما يحتارج إلى مستوى ثقافي معين، والتزام خلقي يجعل من كل إنسان نغمة متجانسة في جوقة المجتمع بكل فئاته، فالفردية وإن كانت تلزم صاحبها بالإحساس بكيانه وتفرده، إلا أنها في الجانب الآخر يجب أن تذوب في كيان المجتمع وتتفاعل معه بالأخذ والعطاء، ولا يتأتى ذلك لمجتمع جاهل، لأن الجهل

---

(١) خطب ٨٧، والمعضلات: الشدائد المغلقة، والتعويل: الفزع والاعتماد.

ضد النظام، لذلك فقد صور علي عليه السلام مجتمعه الجاهل بانفلاته من النظام «كَالإِبِلِ ضَلَّ رُعَاتُهَا، فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ إِنْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ»[1] فالإبل هم عامة الناس الذين يجهلون مصائرهم بانقيادهم إلى زعاماتهم بالتعصب لهم ولآرائهم عن جهل لأن أولئك الزعماء، والقادة الذين يجرون وراء مطامعهم الشخصية، إنما يقودونهم لتحقيق مآربهم الشخصية، فالمجتمع بفئاته المتفككة الأوصال في صوب، والقيادة المستنيرة في صوب آخر، والمداراة والتؤدة في معالجة الأوضاع من لدن تلك القيادة لا تجديان نفعاً، ولا تعودان بفائدة في مجتمع لا تكاد نظرة جل أفراده أن تتخطى ذواتهم في نطاق دائرة الإنتماء الضيقة التي حصروا فيها نفوسهم، مما جعل رابطة التعاون بين الفئات المختلفة، مبنية على أسس من المصالح الذاتية البحتة التي في معظمها لا تراعي القيم، ولا تأخذ من النظم إلا ما يتناسب وهواها، فتستحيل تلك النظم والقيم إلى أساليب جوفاء مائعة باعماد تفسيرها من قبل أفراد المجتمع تفسيراً معكوساً، ومخالفاً عما تنطوي عليه من معان سامية هدفها سعادة الجميع.

٣ ـ تقهقر المثل وانقلاب أوضاعها:

إن التراجع في مُثُلِ المجتمع وتحويرها لتلائم فئة معينة، ما هي في الحقيقة إلا نتيجة حتمية لشيوع الفوضى وانعدام روح التعاون في بنيته، لأن غلبة الذاتية تجعل كل فرد ينظر إلى القيم الإجتماعية من الزاوية التي تتمشى ومصلحته، فإذا تعذر عليه الوصول إلى غايته، وحالت النظم الإجتماعية

---

(١) خطب ٣٤.

بينه وبين تحقيق رغباته، فإنه يلجأ إلى لَيِّ تلك النظم وتمويه الحقيقة[١] بما يكسب أفعاله الشرعية، على الأقل من الوجهة الخارجية، بإلباس الحق ثوباً شفافاً من الباطل، والمزج بين القيم الإنسانية والأفعال اللاإنسانية، فيلتبس الأمر على عامة الناس من الجهال فينقلب الحق باطلاً، والباطل حقاً، وقد عانت حكومة علي عليه السلام من استفحال هذه الظاهرة في المجتمع الإسلامي، فعبر عنها بقوله «إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِيْ دَهْرٍ عَنُودٍ، وَزَمَنٍ كَنُودٍ، يُعَدُّ فِيْهِ المُحْسِنُ مُسِيئاً، وَيَزْدَادُ فِيْهِ الظَّالِمُ عُتُوًّا، لاَ نَنْتَفِعُ بِمَا عُلِّمْنَا، وَلاَ نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا، وَلاَ نَتَخَوَّفُ مِنْ قَارِعَةٍ حَتَّى تَحِلَّ بِنَا»[٢] فالإنقياد الأعمى والإصرار على الجهل، ما هو إلا قلب لموازين القيم، وعدم تدبر العواقب والحساب لها، فإذا ما وقعت فجأة، قام الناس وقعدوا في محاولة منهم لمصانعتها والإحتيال عليها، هروباً من حلها حلاً جذرياً يلزم كل فرد بنظام معين أساسه التعاون والصدق ووضع الحق في نصابه، مما لا يتلاءم والمصالح الفردية التي لا يمكن أن تتحقق إلا في ظل التفكك الإجتماعي للنفاق فيه مكان الصدارة فتتهزّع القيم وتضيع الحقوق.

٤ ـ غلبة النفاق وبروز ظاهرة العصيان وانعدام الرحمة:

ونتيجة لتقهقر القيم فلقد غلب على المجتمع الإسلامي ـ في عهد علي عليه السلام ـ النفاق والخضوع الكاذب، والتملق للزعماء ذوي العصبية

---

(١) راجع ـ خطب ٤١.

(٢) خطب ٣٢ ـ الفقرة الأولى، والعنود ـ الجائر، والكنود ـ الكفور، والقارعة ـ الخطب والمصيبة.

القبلية، المتظاهرين بالإصلاح، كأصحاب الجمل[(١)]، ومعاوية ومن شايعه من المؤلفة قلوبهم[(٢)] الذين ألبوا الناس على العصيان وألبسوا على المسلمين أمورهم ـ كل ذلك رغبة في الوصول إلى قلوبهم، وتحقيق المطامع المادية من السير في ركابهم، والنفاق كظاهرة اجتماعية سيئة ممجوجة، تقود الفرد إلى التعامل مع مجتمعه بشخصيتين متناقضتين، لأن ما يعبر اللسان عنه، يختلف تماما عما يضمره في داخله، فيكون الكذب هو أساس المعاملة بين مختلف فئات المجتمع، فتنعدم روح الإخلاص فيما بينهم، أما لرهبة، أو لرغبة، فيترتب على ذلك غربة المصلحين وضياع جهودهم، بغلبة الرياء والمداهنة، وقد اكتوى علي عليه السلام بذلك فجسّده نقداً عنيفاً في قوله «إِعْلَمُوا ـ رَحِمَكُمُ الله ـ أَنَّكُمْ فِيْ زَمَانٍ، القَائِلُ فِيْهِ بِالحَقِّ قَلِيْلٌ، واللِّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ كَلِيْلٌ، وَاللاَّزِمُ لِلْحَقِّ قَلِيْلٌ، أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى العِصْيَانِ، مُصْطَلِحُونَ عَلَى الإدْهَانِ فَتَاهُمْ عَارِمٌ، وَشَائِبُهُمْ آثِمٌ، وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ، وَقَارِئُهم مُعَاذِقٌ، لاَ يُعَظِّمُ صَغِيْرُهُمْ كَبِيْرَهُمْ، وَلاَ يَعُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيْرَهُمْ»[(٣)] ومجتمع بمثل تلك الصفات، جبل أفراده على الأعمال السيئة، والصفات الرديئة، يفتقر إلى الحب والإحترام والتعاون وتُبنى العلاقات فيه على المداهنة والغش والبغض لابد أن يكون خلوا من روح التكافل الإجتماعي.

---

(١) راجع ص٢٥٩ وما بعدها من هذا البحث.

(٢) راجع ص٢٧٣ وما بعدها من هذا البحث.

(٣) خطب ٢٣ ـ الفقرة الثانية ـ وكليل ـ ضعيف غير قاطع، معتكفون ـ مداومون ومستمرون، الإدهان ـ الغش، وإظهار الشيء على غير حقيقته، العارم ـ الخبيث الشرير، معاذق ـ غشاش ومذق اللبن خلطه بالماء، يَعُول ـ يطعم ويكسي.

٥ ـ انعدام روح التكافل الإجتماعي:

الأخوة في الإسلام تعني السلام والحب بأوسع معانيهما، والتكافل في جميع ميادين الحياة بين مختلف الفئات الإجتماعية، فأساس قوة المجتمع من وجهة نظر الإسلام التعاون على فعل الخير، ونبذ الشر طبقا لقوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[1] وهي دعوة صريحة لا لبس فيها يهدف الإسلام منها تماسك البنية الإجتماعية بشد بعضها البعض، ولكن المجتمع الذي عاش علي عليه السلام ضمنه ـ فيما يبدو ـ لم يعرف أكثر أفراده من الإسلام إلا اسمه[2]، فأصبحت النفوس تنضح بالخبث، واستكنّ السوء والشر والإستغلال في ضمائر الأقوياء، فانعدمت بسبب ذلك مقومات التكافل الإجتماعي المبني على حاجة الناس لبعضهم البعض، لكون طبيعة العمران تقتضي ذلك التعاون[3]، مما يعني ضمنا أن الترابط الإجتماعي ظاهرة فطرية في الإنسان، ولا يستطيع معرفة مدى قوتها أو ضعفها إلا من خلال ممارسة الفرد لها داخل البناء الإجتماعي الذي يؤثر فيها سلباً وإيجاباً، ويعتبر التجانس[4] من أهم العناصر التي تؤكد التكافل الإجتماعي في الفرد، ولما كان التجانس أنواع من حيث القومية ومن حيث اللغة، ومن حيث الطبقة الإجتماعية، فقد تصور علي عليه السلام ـ كما يبدو لنا ـ إن أنواع التجانس تلك كلها جانبية إزاء

---

(١) المائدة / ٢.

(٢) راجع خطب ـ ٢٤٠ فقرة ٢٠.

(٣) راجع ص٣٦٢ وما بعدها من هذا البحث.

(٤) راجع المواطنة في مفهوم علي عليه السلام ص٣١٧ من هذا البحث.

مفهوم الإسلام للتجانس الوارد في الآية الثالثة عشرة من سورة الحجرات، فالآية الكريمة تقر في مضمونها بأنواع التجانس، ولكنها تضعه كمقياس للرابطة الإجتماعية، لأن التعاون الذي هو أساس التكافل الإجتماعي هو القاعدة التي يرتكز عليها الإسلام في بناء المجتمع ويؤيد ما ذهب إليه من تفسير سياق الآية في قوله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[(١)] . وإذا ما نحن تحولنا بفكرتنا تلك، لنسبر على ضوئها فكر علي عليه السلام إزاء الأسباب التي أدت إلى فصم عرى التكافل في مجتمعه، فسنجد أن ذلك يكمن في التناقض بين معرفة الأخوة الإسلامية وبين تطبيقها على صعيد الواقع، خاصة بالنسبة لأولئك العرب الذين يرون أنفسهم أفضل من غيرهم، ويمكننا استخلاص ذلك من قوله «إِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِيْنِ الله، مَا فَرَّقَ بَيْنَكُم إلاّ خُبْثُ السَّرَائِرِ، وَسُوءُ الضَّمَائِرِ، فَلاَ تَوَازَرُونَ، وَلاَ تَنَاصَحُونَ وَلا تَبَاذَلُونَ وَلا تَوَادُّونَ»[(٢)] فأولئك الناس الذين يتحدث علي عليه السلام إليهم، يعرفون حقيقة الإسلام الإجتماعية، ولكنهم لا يعملون بتعاليمه، لأنها ـ كما يتهيأ لهم ـ تنقص من مصالحتهم، وتحد من طموحاتهم، ولا تمكنهم من فرض نفوسهم كأسياد كل حسب منزلته الإجتماعية[(٣)] .

لقد ولد ذلك التفتت في بنية المجتمع الإسلامي ـ في عهد علي عليه السلام ـ ظواهر اجتماعية خطيرة من ظلم وجوع وفقر واستبداد، فانجر عن تفشي

---

(١) الحجرات / ١٣ .

(٢) خطب ١١٢، الفقرة الثانية ـ وتوازرون ـ بفتح التاء والواو ـ تتعاونون، وتباذلون ـ بفتح التاء والباء، تنفقون الأموال في الله على بعضكم البعض.

(٣) راجع ـ تصنيف الناس في فكر علي عليه السلام وطريقة تفكير كل صنف، خطب ٣٢ الفقرة الثانية والثالثة.

تلك الظواهر بروز طبقة عريضة من عامة الناس الذين أسماهم علي عليه السلام بالهمج الرعاع لأنهم «أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيْلُونَ مَعَ كُلِّ رِيْحٍ»[١] وأولئك الناس يشكلون البنية التحتية للمجتمع من عمال وفلاحين وصناع وبنائين وخبازين ونساجين، وتوفير الفراغ لأولئك وعدم مراقبتهم في أعمالهم فيه مضرة للمجتمع، وهدم أركانه بنقص احتياجاته لأنهم كما يرى علي عليه السلام «إِذَا اجْتَمَعُوا ضَرّوا»[٢] لما يحدثوه باجتماعهم من فوضى تتسبب في زعزعة الأمن، واختلال النظام، وتعطيل الخدمات العامة، وحتى نجنب المجتمع ما ينجم عن اجتماعهم من مضرة، يتحتم على الحكومة تفريقهم لأنهم إذا تفرقوا نفعوا، لرجوع كل منهم إلى مهنته «فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ»[٣]. ولكن ذلك لا يعني أن علياً عليه السلام برأيه ذاك يريد أن يجعل من أولئك طبقة دنيا همها الوحيد تهيئة احتياجات الطبقات العليا والسهر على مصالحها فهو لا يقصد من تفريقهم تفتيت الرابطة الإجتماعية، والقضاء على روح التعاون بين الفئات المختلفة، ولكنه يرمي من وراء ذلك التفريق إشغال كل فرد بتأدية واجبه تجاه غيره في مجتمع يصون الحقوق، ويحافظ على مصالح الجميع دون استثناء ولا تفضيل، وعلى ذلك فإن النظام الطبقي بمفهومه التمايزي، يختلف اختلافاً جذرياً عن المفهوم الإنساني للطبقات الإجتماعية عند علي عليه السلام.

---

(١) حكم ـ ١٤٥.
(٢) حكم ـ ١٩٧.
(٣) حكم ـ ١٩٧.

الفصل الثاني

القيم الخلقية كما تبدو في فكر علي عليه السلام

إذا ما أردنا الدخول في فكر علي عليه السلام الأخلاقي ـ كما ورد في نهج البلاغة ـ يجب أن نضع جانباً التعريفات والنظريات الفلسفية لعلم الأخلاق لأننا لن نجد فيما أثر عن علي عليه السلام أي تعريف فلسفي، لكون النهج يعرض علينا من خلال نصوصه، ما أثر عن علي عليه السلام من مأثورات تتعلق مباشرة بالقيم الخلقية التي يجب أن تمارس على أرض الواقع في المجتمع، فإذا كان الفلاسفة والأخلاقيون قد حاولوا تعريف القيمة فإن علياً عليه السلام قد باشر، من خلال مسؤولياته كقائد إصلاح، في وضع القيمة موضع التنفيذ، بحيث يتعذر علينا فهم أبعادها وآثارها إلا من خلال الممارسة التطبيقية لها لا من خلال دراستها دراسة نظرية[1] بمقارنتها

---

(١) يقسّم الأخلاقيون علم الأخلاق إلى قسمين: نظري وعملي، والأخلاق النظرية ـ كما أعتقد ـ هي تعريف فلسفي للفضائل وعلاقتها بعضها ببعض ودراسة تاريخها من حيث أزليتها، ووصف آثارها في النفس الإنسانية وهي كما نلاحظ دراسة فلسفية محضة=

بمثيلاتها أو بما يقابلها من أفعال، وهنا يجدر التنبيه بأن فلاسفة الأخلاق أنفسهم، يدركون تماماً بأن دراساتهم ونظرياتهم لن تجدي نفعاً ولن تؤتي ثمارها إلا إذا طبقت، يقول أرسطو «في الشؤون العملية ليس الغرض الحقيقي هو العلم نظرياً بالقواعد، بل هو تطبيقها، ففيما يتعلق بالفضيلة، لا يكفي أن نعلم ما هي، بل يلزم زيادة على ذلك رياضة النفس على

= المراد منها التعرف على القيم بوصفها وصفاً خارجياً عن طريق التعريفات النظرية. مع الإدراك بأن هذه التعريفات لا تعلم الإنسانَ الأخلاق، ما لم يباشر الفضائل مباشرة عملية، راجع على سبيل المثال معاني العادة والخير في الباب الأول والثاني والثالث من الكتاب الأول من (علم الأخلاق لأرسطو) وبصدد الفصل بين الأخلاق النظرية والأخلاق العملية يقول (امانويل كانت) في كتابه (تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق) ص٩ (اما والقانون الخلقي في نقائه وأصالته ـ وعلى هذين يعول السلوك العملي ـ يمكن البحث عنه في غير فلسفة نقية خالصة فلابد لهذه الميتافيزيقية أن تسبقه وتتقدم عليه، وبغيرها لن تقوم لفلسفة أخلاقية وجود، بل إن الفلسفة التي تخلط تلك المبادئ الخالصة بالمبادئ التجريبية لا تستحق أن تسمى فلسفة «فالمقولة تعول على الدراسة في أصل القانون الخلقي دراسة ما ورائية، ومن ثم فإنها تفصل بين المبادئ الخالصة ـ التي أعتقد أنها المثال الذي يبحث الإنسان عنه ويتوق إليه، والمبادئ التجريبية التي تنتج عن دراسة الأخلاق كما تلحظ من مباشرة الإنسان لها مع ملاحظة أن (كانت) في تسميته للأخلاق العملية بالتجريبية لأنها «لا تتناول بالبحث فكرة ومبادئ إرادة خالصة ممكنة» بل «تتناول أفعال وشروط فعل الأرادة الإنسانية بوجه عام» ص١١ وهذا في حد ذاته فصل بين الأخلاق النظرية المتمثلة في الفلسفة، والأخلاق العملية كواقع محسوس في حياتنا العملية، ومن الذين قسموا الأخلاق إلى هذين القسمين محمد عبدالله دراز في كتابه (دستور الأخلاق في القرآن)، فقد أفرد باباً للأخلاق العملية، اقتصر فيه على نصوص من القرآن الكريم ـ من ص٧٢٥ حتى ص٧٧١. وبشأن تقسيم الأخلاق إلى نظري وعملي ـ راجع أيضاً ـ منصور رجب ـ تأملات في فلسفة الأخلاق ص٣٨ وما بعدها.

حيازتها»[١] وفي نفس المساق يأتي قول علي «العِلْمُ يَهْتِفُ بِالعَمَلِ فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلاّ ارْتَحَلْ»[٢] فالعلم النظري في فكر علي عليه السلام ليس بذي قيمة ولا تأثير إذا لم يقرن بالتطبيق، ومن هذا المنظور كان يباشر بتطبيق ما يقوله مبتدئا بنفسه لأنه القدوة والرائد طبقا لقوله «إِنّي والله لاَ أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلاّ وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا، وَلاَ أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلاَّ وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا»[٣]. وهذا يعني أننا في دراستنا للجوانب الأخلاقية في فكر علي عليه السلام ـ كما بثها في مأثوراته ـ سنتناولها بالبحث باعتبارها أخلاقا عملية محاطة بسياج متين من الدين، مع دراسة لظروف تحصيلها من حيث الغريزة والإكتساب، ومن ثم نوعية اختصاصها بالفرد وبالمجتمع وبالتالي المرتكزات الأساسية لتلك القيم ومدى ملاءمتها لواقع الإنسان.

١ ـ العلاقة بين الأخلاق والدين في فكر علي عليه السلام:

يكاد الكثير من علماء الأخلاق أن يميزوا بين الأخلاق الدينية وبين الأخلاق في القانون الوضعي[٤]، ولكنا بدراستنا للأخلاق الإسلامية لا نجد «ثمة تمييز بين القانون والواجب الخلقي[٥]. فإذا كان أولئك ينظرون إلى الدين نظرة تجريدية، فإن بنظرتهم تلك لا يمكن تطبيقها على الإسلام لأنه «على العكس من ذلك، ظاهرة مجسدة تماماً وينبغي أن يدرك بكليته

---

(١) علم الأخلاق ١/ ١٠.

(٢) حكم ـ ٣٧٢.

(٣) خطب ١٧٧ ـ فقرة ٣.

(٤) للاطلاع على تلك الآراء كاملة من الناحيتين التاريخية والفلسفية راجع ـ وليام ليلي ـ المدخل إلى علم الأخلاق ص٤٤٥ وما بعدها ـ ترجمة ـ علي عبدالمعطي أحمد.

(٥) مارسيل بوازار ـ إنسانية الإسلام ص١٨، ٣٨.

وخارج حدود الزمان»[١]. فالقيمة الأخلاقية من المرتكزات التي انبنت عليها دعائم الإسلام منذ بداية ظهوره وانتشاره، فحين سأل نجاشي الحبشة الذين لجأوا إلى بلاده من المهاجرين الأولين عن دينهم الذي فروا به من اضطهاد قريش، أجابه جعفر بن أبي طالب[٢] بالقول «كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام. . . حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله نوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار، والكف عن المحارم، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات. . .»[٣] فالعقائد والعبادات ليست مجرد طقوس آليه يمارسها المسلم، إذ يجب أن تدرك معانيها وأن تطبق تطبيقاً عملياً كيلا تكون معان مجردة، فمعنى الإيمان كما يقول علي عليه السلام: «مَعْرِفَةٌ بِالقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسانِ، وعَمَلٌ بِالأَرْكَانِ»[٤] فهناك تلازم تام بين

---

(١) مارسيل بوازار ـ إنسانية الإسلام ص١٨، ٣٨.

(٢) جعفر ابن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وأخو علي ابن أبي طالب عليه السلام لأبويه، وهو جعفر الطيار، كان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خَلقاً وخُلقاً، أسلم بعد إسلام أخيه علي عليه السلام بقليل، روي أن أبا طالب رأى النبي صلى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام يصليان، وعلي عليه السلام عن يمينه، فقال لجعفر: صِلْ جناح ابن عمك وَصَلِّ عن يساره، وله هجرتان: هجرة إلى الحبشة، وهجرة إلى المدينة، استشهد في غزوة مؤتة سنة ثمان هجرية ـ راجع: أسد الغابة ١/ ٣٤١ وما بعدها.

(٣) ابن هشام ـ السيرة ١/ ٣٥٩، ٣٦٠.

(٤) حكم ـ ٢٢٥ وراجع أيضاً الحكمة ١٢٢.

المعرفة والقول والعمل، فقول علي عليه السلام على سبيل المثال للإنسان «لاَ تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ الله حُرّاً»[١] مبنية على مضمون عملي يكمن في العبادات المتمثل في قول المسلم في صلواته الخمس يوميا «الله أكبر، ومعناه أن العقل الفاعل إذا تفكر في عمق المقولة سيجد نفسه قد أوصد الباب في وجه كل عبودية. . . وأنه أعلن نفسه وحقق ذاته حراً بشكل أساس[٢] وهذه الحرية المؤمنة تعطي الإنسان إحساساً بالأمان فيندفع إلى الإصلاح والبناء داخل المجتمع بنفس مطمئنة دون رهبة من أية قُوَّة مهما عظمت، ومن خلال ذلك الإعتقاد الحر ينبني اقتناعه على «أَنَّ الأَمْرَ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ خُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ الله وأَنَّهُمَا لاَ يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ وَلاَ يُنْقِصَانِ مِنْ رِزْقٍ»[٣] لاعتقاده القوي الراسخ بأن المحيي والرزاق هو الله سبحانه. فالقاعدة الأخلاقية الإسلامية كما نستخلصها من فكر علي عليه السلام مشيدة على «معيار إلهي وعقلي وتنطلق منه إلى التطبيق العملي»[٤] فالشيء يوصف بأنه خلقي أو غير خلقي، ويعطي قيمته من هذه الناحية أو تلك، من خلال ممارسته كواقع، ويشمل ذلك ـ كما يرى علي عليه السلام ـ كل ما نص عليه السلام من عقائد وعبارات وأوامر ونواهي، ويمكن استنتاج ذلك من قوله «فَرَضَ الله الإِيْمَانَ تَطْهِيْراً مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلاَةَ تَنْزِيْهًا عَنِ الكِبَرِ، والزَّكَاةَ تَسَبُّباً للرِّزْقِ، وَالصِّيَامَ ابْتِلاءً لإِخْلاصِ الخَلْقِ، والحَجَّ تَقْرِبَةً للدِّيْنِ، والجِهَادَ عِزًّا للإِسْلاَمِ، والأَمْرَ بِالمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً للْعَوَامِ،

---

(١) رسائل ـ ٣١ ـ فقرة ٢١.

(٢) إنسانية الإسلام السابق ص١١٦.

(٣) خطب ١٥٦ ـ الفقرة ٥٠.

(٤) محمد جواد مغنية ـ فلسفة الأخلاق في الإسلام ص٢١.

وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ رَدْعاً للسُّفَهَاءِ، وَصِلَةَ الرَّحْم منماة لِلْعَدَدِ، وَالقَصَاصَ حَقْناً للدِّمَاءِ، وَإِقَامَةِ الحُدُودِ إِعْظَامًا للمَحَارِمِ، وَتَرْكَ شُرْبِ الخَمْرِ تَحْصِيْناً للعَقْلِ، وَمُجَانَبَةَ السَّرِقَةِ إِيْجَاباً للعِفَّةِ، وَتَرْكَ الزِّنَا تَحْصِيْناً للنَّسَبِ، وَتَرْكَ اللِّوَاطِ تَكْثِيْراً للنَّسْلِ، وَالشَّهَادَةَ اسْتِظْهَاراً على المُجَاحَدَاتِ، وَتَرْكَ الكَذِبِ تَشْرِيْفاً للصِّدْقِ والسَّلام أَمَاناً مِنَ المَخَاوِفِ، وَالأَمَانَاتِ نِظَامًا للأُمَّةِ، وَالطَّاعَةَ تَعْظِيْمًا للإِمَامَةِ»[1] فشمولية النص قائمة على نظام محكم من التلازمات الدينية ونتائجها الإجتماعية بحيث لا يمكن بأية حال من الأحوال تجزئة المضمون إلى وحدات دينية وأخرى أخلاقية، وهذا يوصلنا ـ كما نعتقد ـ إلى نتيجة مفادها، أن فكر علي عليه السلام الأخلاقي بما حواه من شمولية وثراء نابع في الأساس ـ من معتقد ديني راسخ على قواعد متينة مرتكزاتها أن «لا تمييز في العقيدة الإسلامية بين الواجب القانوني والواجب الخلقي»[2] وقد توحي كلمة واجب في السياق على الإلزام الآلي اللاواعي بالنسبة للأخلاق، مما يحيل القيم إلى قوانين قسرية، لا دخل للإرادة الواعية في رفضها لكونها نابعة من إرادة إلهية، فإلى أي مدى يصدق ذلك على فكر علي عليه السلام الأخلاقي؟

٢ ـ الإلزام الأخلاقي كما يبدو في فكر علي عليه السلام :

من خلال دراستنا للأخلاق الإسلامية كما وردت في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، يمكن أن نخلص إلى أن مباشرة المسلم لها والسير على هديها ينبع من اقتناع داخلي يلزمه بالتقيد بالقيم ويفرض عليه احترام

---

(١) حكم ـ ٢٥١.

(٢) إنسانية الإسلام السابق ص١٨.

الأخلاق بحيث يجعل من نفسه خصماً وحكماً في نفس الوقت، فقول الرسول صلى الله عليه وآله «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَاعِظًا مِنْ نَفْسِهِ يَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ»[١] يعني بأن الإنسان مزود بقدرات ربانية خفية تتحكم في سلوكه، وتبصره بالطريق السوي دون أي توجيه خارجي قسري، بناء على الحرية المستنيرة التي وهبها الله للإنسان، وهي التي تحدد له واجبه الذي في مقدوره مباشرته أو غير مباشرته بمحض إرادته أما قول القائل: صار واجباً بالإيجاب، حديث محض، فإن ما لا غرض لنا آجلاً وعاجلاً في فعله وتركه، فلا معنى لانشغالنا به، أوجبه علينا غيرنا أو لم يوجبه»[٢]. ولو رجعنا إلى نظرة علي عليه السلام إلى معنى الإلزام الأخلاقي، لوجدناه لا يحيد عن النظرة السابقة، فالإنسان هو الذي يلزم نفسه، وبإرادته الحرة ـ باختيار السبيل السليم و«مَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ»[٣] فالمراقبة مستمرة في كل وقت وكل مكان، منعقدة بكامل أعضائها أنى سلكت بنا السبل، كما نفهمه من قوله «اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللهِ فِيْ الخَلَوَاتِ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الحَاكِمُ»[٤]. فالمسؤلية الأخلاقية هي التي تؤدي بحكم الفاعل على نفسه حيث يستحيل إلى سائل ومسؤول في آن واحد، ويمكن استخلاص ذلك من قول علي عليه السلام «الكَلامُ فِيْ وِثَاقِكَ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ فِيْ وِثَاقِهِ»[٥]، فالإلزام الخلقي ـ في فكر علي عليه السلام ـ

---

(١) المتقي الهندي ـ كنز العمال ـ ١١/ ٩٥.

(٢) الغزالي ـ احياء علوم الدين ٤/ ٤.

(٣) حكم ـ ٨٧، ٣٣٢.

(٤) حكم ـ ٨٧، ٣٣٢.

(٥) حكم ـ تنسق الحكم ٣٨٧، ٧٦.

يكمن ـ إن صح التعبير ـ في الوجوب الإختياري، بمعنى أن النهج السوي المؤدي إلى السعادة يمكن للإنسان تمييزه واختياره، فالأوامر الإلهية لا تتسم بالإلزامية القسرية، فالخالق جل شأنه قد «أَمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيراً، وَنَهَاهُمْ تَحْذِيرًا»[1]، وعلى هذا الأساس الأخلاقي المبني على الإقتناع الفكري، لم يلزم علي عليه السلام أحداً بالبقاء في جانبه، لا عن طريق الإرهاب، ولا عن طريق الإغراءات المادية وقد ترك لكل فرد في حكومته أن يختار طريقه بحرية بناء على الوازع الأخلاقي الكامن في أعماقه، ورسالته إلى واليه على المدينة سهل بن حنيف، حين أعلمه بتسلل بعض، رجاله خفية إلى معاوية، خير مثال لما نحن بصدده[2]، مما يرمي إليه علي عليه السلام من وراء الغرض الوارد في صدر النص.

ولما كان الأمر والنهي الأخلاقيان نابعين من اختيار الفرد واقتناعه فلابد لنا من معرفة المنابع التي تستقي منها الأفراد والجماعات قِيَمَهَا، كما ورد في فكر علي عليه السلام.

٣ ـ منابع القيم الخلقية في فكر علي عليه السلام كما تبدو في نهج البلاغة:

لكي نتمكن من معرفة القيم الأخلاقية في فكر علي عليه السلام، فلابد لنا ـ أولاً أن نقرر ما إذ كانت الأخلاق من وجهة نظر علي عليه السلام نظرية أم مكتسبة[3]، وهنا تستوقفنا الآراء الإسلامية فيما يتعلق بذلك الشأن، فقد

---

(١) حكم ـ تنسق الحكم ٣٨٧، ٧٦.

(٢) راجع رسالة رقم ٧٠.

(٣) للأخلاقيين آراء متضاربة حول القول بفطرية الأخلاق واكتسابها يمكن الاطلاع عليها=

ورد في الذكر الحكيم ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[١]. وتفسير أهل السنة للآية ـ كما يبدو ـ يتفق والنظرة القائلة، بِأنْ الأخلاق فطرية في الإنسان، وعلى ذلك يجمع المفسرون بأن «الله تعالى خلق في المؤمن تقواه وفي الكافر فجوره»[٢]، أما الشيعة فيرون أن الأخلاق اكتساب على أساس التفسير القائل بأن الله تعالى عرف النفس «طريق الفجور والتقوى وإن أحدهما قبيح والآخر حسن، ومكنها من اختيار ما شاء منهما»[٣] فالقدرة على الإختيار متساوية في كلا الإتجاهين «وانه خلق سبحانه في نفس الإنسان الإستعداد للفجور والتقوى معاً لأن الإنسان إنما يكون إنساناً بحريته وإرادته»[٤] ويكاد المعتزلة يتفقون مع الشيعة في الإكتساب، مع فارق في تحديد معنى الإرادة عند الإنسان[٥]، أما إذا ما تركنا التفسير القرآني جانباً، لنستقرئ فكر الأخلاقيين المسلمين فسنجد مسكويه يقسم الأخلاق إلى قسمين: طبيعي ومكتسب[٦]، إلا أننا نعتقد بأن وجهة نظره تتمثل في أن الإكتساب هو الجانب الرئيسي في عملية اقتناء

= عند: مسكويه ـ تهذيب الأخلاق ص٥١ وما بعدها، ومحمد بيضار ـ العقيدة والأخلاق ص٢٢٦ وما بعدها.

(١) الشمس / ٧، ٨.

(٢) تفسير الرازي ٣١/ ٩٣/ وراجع أيضاً تفسير القرطبي ٢٠/ ٧٥، ٧٦، وتفسير ابن كثير ٦/ ٤٢٠.

(٣) الطبرسي ـ جوامع الجامع ٢/ ٨٥٠.

(٤) محمد جواد مغنية ـ التفسير الكاشف ٧/ ٥٧١.

(٥) راجع ص١٧٥ وما بعدها من هذا البحث وراجع معنى اللطف الذي يعول عليه الشيعة ص١٩٣ من هذا البحث.

(٦) راجع تهذيب الأخلاق ص٥١.

الأخلاق لأننا بمقارنتنا بين تعريف الغزالي للأخلاق وبين تعريف مسكويه لها نجد أن التعريفين يتفقان بأن الأخلاق «هيئة في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة من غير حاجة إلى فكر ولا رؤية»[١] ويعرفها مسكويه بأنها «حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا رؤية»[٢] ولو حاولنا فهم فحوى التعريفين من وجهة نظر الغزالي فسنجد أن قوله «هيئة في النفس راسخة» تعني أن النفس الإنسانية مزودة بجهاز غامض يمكنها من التقبل والإكتساب، وليس أدل على ذلك من تقسيمه هيئة الإنسان في اقتناء الأخلاق إلى أربعة أقسام:

«الأول ـ فعل الجميل والقبيح (معاً).

الثاني ـ القدرة عليهما (معاً).

الثالث ـ المعرفة بهما.

الرابع ـ هيئة النفس بها تميل إلى أحد الجانبين»[٣].

فالشروط الأربعة بحسب ترتيبها تدل على القدرة والإختيار وهما عنصرا الإكتساب. أما ما ورد في التعريفين من قول بأن الأفعال «تصدر من غير حاجة إلى روّية أو فكر» فليس المقصود منها ـ كما نعتقد العمل الآلي غير المدبر، وإنما يقصد بها التلقائية المتعلقة، لكون الإنسان في نظر الغزالي يستطيع التظاهر بالكرم وهو غير كريم، فالتظاهر هنا مدبر عن غير اقتناع، أما الكرم التلقائي فهو المدبر باقتناع ويصدر من الإنسان دون أي

---

(١) احياء علوم الدين ٣/ ٥٢.

(٢) تهذيب الأخلاق ص٥١.

(٣) احياء علوم الدين ٣/ ٥٢.

تعقيد أو ربط بالمظاهر الخارجية المقصود منها تبيان أثر الفعل[١]، وعليه فإن أغلب الأخلاقيين المسلمين يقولون بالإكتساب الأخلاقي، ثم أن للرسول من الأحاديث الشريفة ما يؤيد القول باكتساب الأخلاق ـ من ذلك ما روي عنه ﷺ «مَثَلُ الجَلِيْسِ الصَّالِحِ والجَلِيْسِ السُّوْءِ مَثَلُ صَاحِبِ المِسْكِ، وَكِيْرِ الحَدَّادِ، لاَ يَعْدِمُكَ مِنْ صَاحِبِ المِسْكِ، إِمَّا تَشْتَرِيَهُ أَوْ تَجِدُ رِيْحَهُ، وَكِيْرُ الحَدَّادِ يَحْرِقُ بَيْتَكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدَ مِنْهُ رِيْحًا خَبِيْثَةً»[٢] ورحم الله البوصيري حيث يقول (بسيط) :

وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرَّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ[٣]

فالأخلاق ممارسة واكتساب، وهو ما يمكن استخلاصه من فكر علي عليه السلام، ليس في نهج البلاغة فحسب، فقد ورد عند ابن عبد البر القرطبي «قال علي رضي الله عنه في قوله عز وجل «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا». . . علموهم وأدبوهم»[٤] فالوقاية من النار في فكر علي عليه السلام لا تكون إلا عن طريق التعليم والتأديب، والتعليم عملية اكتساب كما يفهم من سياق الأمر في تعليقه على الآية الكريمة، ثم أن قوله «إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيْمًا فَتَحَلَّمْ»[٥] يعني أن التخلق هو البداية في طريق اكتساب الأخلاق، بمحاولة تدريب النفس على تقبلها بإيمان وإخلاص. ولكون

---

(١) راجع السابق.
(٢) كنز العمال ٩/ ٩.
(٣) ديوان البوصيرى ص١٩١.
(٤) بهجة المجالس ١/ ١١٢.
(٥) حكم ـ ٢٠٥، ٧٧، ٧٨.

«الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُؤْمِنِ»[١] في فكر عليعليه السلام، فإنه يحض على اصطيادها والإفادة منها عن أيّ طريق ومن أيّ شخص حتّى وإنْ كان منافقاً «فَإِنَّ الحِكْمَةَ تَكُونُ فِيْ صَدْرِ المُنَافِقِ فَتَلَجْلَجُ فِيْ صَدْرِهِ، حَتَّى تَخْرُجَ فَتَسْكُنَ إلى صَوَاحِبِهَا فِيْ صَدْرِ المُؤْمِنِ»[٢]. ومصادر اكتساب الأخلاق متعددة وأهمها:

أ ـ الوراثة والبيئة:

تعرف الوراثة علمياً بأنها «انتقال صفات مميزة للفرد من جيل إلى جيل»[٣]، ويقسمها علم النفس إلى نوعين:

١ ـ بيولوجية: وهي «ما تنتقل من الوالدين إلى المواليد بواسطة المورِّثات»[٤].

٢ ـ اجتماعية: وهي «انتقال العادات والأفكار عن طريق الإحتكاك الحضاري»[٥].

وعلى ذلك فإن الإكتساب هو العنصر الرئيسي في كلا النوعين، وقد ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ما يؤيد الإكتساب الوراثي، إذ

---

(١) حكم ـ ٢٠٥، ٧٧، ٧٨.

(٢) حكم ـ ٢٠٥، ٧٧، ٧٨.

(٣) يوسف خياط ـ معجم المصطلحات العلمية ص٧١٥.

(٤) فاخر عاقل ـ معجم علم النفس ص٥٢. والبيولوجية، Biologic هي الاحيائية ومشتقة من علم الأحياء المصطلح على تسميته Biology.

(٥) فاخر عاقل ـ معجم علم النفس ص٥٢. والبيولوجية، Biologic هي الاحيائية ومشتقة من علم الأحياء المصطلح على تسميته Biology.

يمكن استخلاص فكرة الإكتساب البيولوجي من قول الرسول صلى الله عليه وآله «تَزَوَّجُوا فِي الحُجْزِ الصَّالِحِ، فَإِنَّ العُرْقَ دَسَّاسٌ»(١) وروي عنه أيضاً صلى الله عليه وآله قوله «اخْتَارُوا لِنُطَفِكُمْ»(٢). كما يمكن استخلاص الإكتساب بالوراثة الإجتماعية من قوله تعالى «إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ»(٣) فالسير على طريق الأجداد وانتهاج سبيل الآباء في الأخلاق والعادات من الموروثات الإجتماعية.

وإذا ما استفتينا فكر علي عليه السلام في نهج البلاغة، فلن نجد أثراً للمورث البيولوجي، لا لأن علياً عليه السلام ـ كما نعتقد ـ لم يتحدث في ذلك، ولكن اختيار نصوص النهج على أسس بلاغية، جعل جامعه يغفل الكثير من النصوص التي لا تدخل ضمن منهجه(٤). على أننا لا نعدم النصوص الكثيرة التي تقول بأثر المجتمع في تشكيل عادات الفرد وأخلاقه. فالشر كخلق سَيِّءَ يتولد في نفس الفرد جَرّاء احتكاكه بالأشرار، فكما يقول ضمن نصيحة له «إِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الفُسَّاقِ فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ»(٥). فالعادات والتقاليد والأخلاق مورثات اجتماعية تنتقل بين الأفراد مثلها مثل الوراثة المادية، كما يتبين من قول علي عليه السلام بأن «الضَغَائِنُ تُوْرَثُ كَمَا تُوْرَثُ الأَمْوَالَ»(٦) أي تنتقل بين الأبناء جيلاً بعد جيل، فالبيئة الإجتماعية من

---

(١) المتقي الهندي ـ كنز العمال ١٦/ ٢٩٦.

(٢) الكليني: فروع الكافي ٥/ ٣٣٢.

(٣) الزخرف / ٢٢.

(٤) راجع ص٣٦ و٣٧ و١٢٩ وما بعدها من هذا البحث.

(٥) رسائل ـ ٦٩ ـ المقطع الأخير.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٢٠/ ٣٠٢، ٣٣٩.

العوامل الهامة التي تشكل أخلاق الفرد، وهي وإن لم تستطع التشكيل الكلي، فقد تترك أثرها البالغ «فَإِذَا أَحْسَسْتَ مِنْ رَأْيِكَ بِإِكْدَادٍ وَمِنْ تَصَوُّرِكَ بِفَسَادٍ فَاتَّهِمْ نَفْسَكَ بِمُجَالَسَتِكَ العَامِيَّ أَوْ السَّيِءِ الفِكْرِ، وَتَدَارَكْ إِصْلاحَ مِزَاجِ تَخَيُّلِكَ بِمُكَاثَرَةِ أَهْلِ الحِكْمَةِ، وَمُجَالَسَةِ ذَوِيْ السَّدَادِ، فَإِنَّ مُفَاوَضَتَهُمْ تُرِيْحُ الرَّأْيَ المَكْدُودِ، وَتَردُّ ضَالَّةَ الصَّوَابِ المَفْقُودِ»[1] فمن المقولة نخرج بنتيجتين هما:

١ ـ إن الإنسان ـ في فكر علي عليه السلام ـ يكتسب الكثير من العادات والخلق ممن يخالطهم من أبناء مجتمعه.

٢ ـ انه يمكنه التحكم في تلك المكتسبات بقبول الصالح ولفظ الطالح بإعمال الفكر.

وإذا كان للوراثة الإجتماعية أثرها البيّن في أخلاق الفرد فإن للبيئة الطبيعية أثرها أيضاً على سلوكه وتصرفاته.

والبيئة أو المحيط كمصطلح علمي «يشمل كل الحوادث الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية والإجتماعية التي تؤثر من الخارج على العضويات»[2] والذي نرمي إليه هنا البيئة الطبيعية (الفيزيولوجية). إذ يرى علماء الإجتماع والأخلاق العرب أن تلك البيئة أثرها في ترقيق الأخلاق وخشونتها[3]. ومن الطريق في هذا المجال أن الشاعر علياً بن

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠/ ٣٠٢، ٣٣٩.

(٢) معجم علم النفس ص٤٠.

(٣) راجع على سبيل المثال: رسائل أخوان الصفا ١/ ٣٠٢، مقدمة ابن خلدون ص١٠٩ وما بعدها.

الجهم[١] قدم من البادية إلى بغداد لمدح الخليفة المتوكل العباسي[٢]، قال فيه متمثلاً صور البادية وأخلاقها: (حفيف)

أَنْتَ كَالكَلْبِ فِيْ حفَاظِكَ لِلْوِدِّ وَكَالتَّيْسِ فِيْ قِرَاعِ الخُطُوْبِ
أَنْتَ كَالدَّلْوِ لاَ عَدِمْنَاكَ دَلْواً مِنْ كِبَارِ الدِّلاَ كَثِيْرَ الذُّنُوبِ[٣]

وقد أنكر عليه الحضور ذلك، ولكن الخليفة أدرك أن إمامه شاعراً جيداً يحتاج إلى صقل حضاري فهيأ له كل أسباب البيئة الحضرية من نعيم وخضرة وزهور، واختلاط بالطبقات الرفيعة، وبعد ستة أشهر من ذلك أنشد الخليفة قصيدته المشهورة (طويل)

---

(١) علي بن الجهم: من شعراء العصر العباسي المجيدين، له اختصاص بالخليفة العباسي جعفر المتوكل (ت ٢٤٧) اشتهر بانحرافه عن علي بن أبي طالب، كان من ناقلة خراسان إلى العراق، ثم نفاه المتوكل إلى خراسان سنة اثنين وثلاثين ومائتين لأنه هجاه، ثم رجع إلى العراق ثم خرج إلى الشام، وحاول العودة إلى العراق بعد أن بارح حلب، فخرجت عليه جماعة من بني كلب وقتلته في شعبان سنة تسع وأربعين ومئتين ـ راجع ـ ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ٣/ ٣٥٥.

(٢) جعفر بن المعتصم الملقب بالمتوكل عاشر خلفاء بني العباس، تولى الخلافة بعد أخيه هارون بن المعتصم الملقب الواثق في سنة ثلاث وثلاثين ومئتين، وكان شديد الانحراف عن آل علي عليه السلام . . . وقال من يعتذر له، أنه كان كأخيه المأمون في الميل إلى بني علي عليه السلام ، وإنما كان حوله جماعة منحرفون عن أهل البيت عليهم السلام فكانوا دائماً يحملونه على الوقيعة بهم. كان بينه وبين ابنه محمد الملقب بالمنتصر ـ مباينة وكان كل منهما يكره الأخر، فتآمر الابن مع جماعة من الأمراء على قتل المتوكل وكبير أمرائه الفتح بن خاقان، فهجموا عليهما في مجلس شراب وفتكوا بهما وأشاعوا أن الفتح بن خاقان قد قتل الخليفة، فقتلوه به وذلك في سنة سبع وأربعين ومئتين. راجع ترجمته في السابق ١/ ٣٥٠.

(٣) راجع بشأن الأبيات والحكاية بتمامها ابن عربي ـ محاضرات الأبرار ٢/ ٨.

عُيُونُ المَهَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالجِسْرِ
جَلَبْنَ الهَوَى مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلاَ أَدْرِي[١]

وفي ذلك من الدلالات على أثر البيئة في أخلاق الفرد وتصرفاته وأسلوب تعامله. والقرآن الكريم ـ كما نعتقد ـ يشير إلى ذلك ففي قوله تعالى ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا﴾[٢] ما يوضح ما نحن بصدد تبيانه، دون تحميل النص القرآني على النظريات الحديثة، إذ نلاحظ من خلال التفسير المأثور أنَّ معنى الآية عبارة عن تمثيل لقب المؤمن والكافر والبر والفاجر بالأرض التي خلق الجميع منها»[٣] مما يعني أن البيئة لها دخل في تشكل خلق الفرد، وفي مأثورات الرسول صلى الله عليه وآله ما يشير إلى ذلك في قوله صلى الله عليه وآله «إِنَّ الله خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيْعِ الأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الأَرْضِ، جَاءَ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ والأَبْيَضُ والأَسْوَدُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ، والسَّهْلُ وَالحَزِنُ، والخَبِيْثُ وَالطَّيِّبُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ»[٤]، فكما يبدو من الحديث الشريف أن للوراثة والبيئة أثرهما في الشكل الخارجي للإنسان بالإضافة إلى تأثيرهما في

---

(١) راجع بشأن الأبيات والحكاية بتمامها ابن عربي ـ محاضرات الأبرار ٢/ ٨.

(٢) الأعراف / ٥٨.

(٣) محمد جواد مغنية ـ التفسير الكاشف ٣/ ٣٤٣، وقد أورد خلاصة ما في التفاسير المأثورة ـ راجع على سبيل المثال: القرطبي ـ الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٢٣١، الطبري ـ مجمع البيان ٧/ ٨٤ وراجع أيضاً ـ محمد رشيد رضا ـ تفسير المنار ٨/ ٤٨٢ فقد علق على الآية الكريمة بأنها تشير إلى الوراثة، وهو ـ بحسب رأيه ـ ما قال به علماء الاجتماع والفلاسفة العرب وما أثبتته التجارب من بعد.

(٤) المتقي الهندي ـ كنز العمال ٦/ ١٢٨.

تصرفاته وأخلاقه، على اعتبار أن التربية هي الأصل وأن «جميع الأرض» مختلف البيئات الطبيعية. وذلك بطبيعة الحال احتمال يمكننا على ضوئه الدخول في فكر علي عليه السلام، لمعرفة موقفه من ذات الموضوع الذي نحن بصدده، فلقد أورد جامع نهج البلاغة نصاً يكاد يستلهم معانيه مما ورد في الحديث الشريف السابق، مما يعني أن علياً عليه السلام قد كان ينهل من معين الرسالة النبوية، فقوله «إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُم مَبَادِئُ طِينِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فلقة مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذْبِهَا، وَحَزْنِ تُرْبَةٍ وَسَهْلِهَا، فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُون، وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلافِهَا يَتَفَاوَتُونَ. . .»[1] ما هو إلا تفصيل وتوضيح لمجمل ما ورد في السنة النبوية الشريفة، مما يحدو بنا إلى الإعتقاد، بقول علي عليه السلام بتأثير البيئة الطبيعية ممتزجة بالوراثة الكامنة في الطينة الأصلية التي شكل الله سبحانه وتعالى منها الإنسان.

ب ـ ترويض النفس:

إن الحرية التي أودعها الله سبحانه، الإنسان، تمده بطاقات عظيمة، تمكنه من أقلمة حياته في أية بيئة ينتقل إليها، مهما كانت مميزاتها الطبيعية والقانونية والأخلاقية، وقد يجد في نفسه ـ في البداية ـ بعض الصعوبات التي تعيقه عن تحمل الجديد، ولكنه سرعان ما يجد نفسه قد انقادت إلى ما تعاقدت عليه الجماعة سواء أبت أم رضيت، مما يعني أن بإمكان الفرد أن يتحكم في إرادته ويعود نفسه على نمط معين من العيش إذا ما أراد ذلك، بترويضها، وجعل ما تشتهيه، أو ما تسول به له، تحت سلطان العقل، الذي هو بمثابة الكابح والمنظم لكل الشهوات كي تتناسب والقانون

---

(١) خطب ـ ٢٣١.

الإجتماعي للوسط الذي يعيش فيه، وقد جاء في الذكر الحكيم من الآيات التي تؤيد القول بمقدرة الإنسان على ترويض نفسه والتحكم في الحد من شهواتها[١]، كما في قوله تعالى ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾[٢]. فالغيظ وهو «درجة متعاظمة من الغضب»[٣] يمكن للإنسان إذا ما غلب عقله على عاطفته أن يطفئ ثائرته ويقبرها داخل نفسه بردعها وتصبيرها وتهوين الوقع عليها، لذلك فإن قوة الإنسان الحقيقية ـ من وجهة نظر الإسلام ـ أن يتمكن من التصدي لرغباته، وجعلها في المستوى المعقول الذي أراده الله لها فإن «خير الأمور أوسطها»[٤]. ويفهم مما أثر عن الرسولﷺ، أن ليست الشجاعة في قوة الجسم والبطش، ولكن الشجاعة الحقة تكمن في القدرة الفائقة على التحكم في النفس وكبح جماحها[٥] لترضخ لنداء العقل وتستجيب للوازع الأخلاقي الذي يهيء لها جو التعايش ضمن المجتمع باتزان. وبشأن ترويض النفس ـ كما يبدو في فكر عليعليه السلام ـ يقف سائلاً إياها «مَتَى أُشْفِيْ غَيْظِي إِذَا غَضِبْتُ؟ أَحِيْنَ أَعْجِزُ عَنِ الإنْتِقَامِ فَيُقَالُ لِيْ: لَوْ صَبَرْتَ؟ أَمْ حِيْنَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ فَيُقَالُ لِيْ: لَوْ عَفَوْتَ؟»[٦] وهنا تنتابنا فكرة الصبر الإجباري، والعفو الإختياري، إذ في

---

(١) كما في قوله تعالى «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى» ونهي النفس ردعها وترويضها، النازعات/ ٤٠، ٤١.

(٢) الكهف/ ٢٨.

(٣) معجم علم النفس ص٩٤.

(٤) من حديث شريف رواه الراغب الأصفهاني ـ محاضرات الأدباء ١/ ٤٤٩.

(٥) راجع قول الرسولﷺ «ليس الشديد. . . الحديث» كنز العمال ٣/ ٥٢١.

(٦) حكم ـ ١٩٢.

كلا الموقفين يتجلى صراع العاطفة والعقل، وفي كلا الموقفين يتضح الترويض النفسي، ولكن الترويض في حالة الإجبار والقسرة لا يكون انتصاراً ولكنه انكسار ينكبت في الأعماق، ويتحول إلى شهوة في الإنتقام حال الشعور بالقوة، أما في حالة العفو الإختياري، فيشعر الإنسان بالراحة والطمأنينة بنزع شهوة الإنتقام من النفس تلقائياً لا عن طريق الضغط الخارجي وبهذا يتمكن الإنسان من تعويد نفسه على ما يطابق الخير والواقع في آن واحد. وقد تبنى علي عليه السلام، ومن منطلق قوة الإختيار الثاني، فهو الخليفة الذي تجرى بين يديه ثروات الدولة الإسلامية يقول مُقْسِماً «وَأَيْمُ الله ـ يَمِيْنًا أَسْتَثْنِنِي فِيْهَا بِمَشِيْئَةِ الله ـ لأُرَوِّضَنَّ نَفْي رِيَاضَةً تَهُشُّ مَعَهَا إِلَى القُرْص، إِذَا قَدَرَتْ عَلِيْهِ مَطْعُومًا، وَتَقْنَعُ بِالمِلْحِ مَأْدُومًا، وَلأَدَعَنَّ مُقْلَتِيْ كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ مَعِينهما»[1] وهو حين يعاهد نفسه على ترويضها، لا يقصد تجويعها أو إيذاءها، ولكن الرياضة في مثل موقفه ذاك مسؤولية تجاه من ولي أمرهم من الفقراء والمستضعفين، حين يرى أن من الواجب عليه أن لا يقنع بالمنصب دون أن يشارك جميع طبقات الأمة آلامهم، فالجوع هنا جانب من الجوانب الخلقية التي ارتضاها لنفسه في محاولة منه لترويض نفوس الطبقات الفقيرة حتى يتمكن من تعديل حالهم، لذلك نجده في

---

(١) رسائل ٤٥ فقرة ٥. وتهش: أي تنبسط وتفرح من شدة الحرمان، ومطعوماً حال من القرص أي مأكولاً، ومأدوماً، حال من الملح: أي ما يؤدم به القرص، لأدعنّ مقلتي كعين ماء نضب معينها: أي لأتركن عيني مثل عين غار معينها أي ماؤها الجاري، ويقول محمد عبده: «أي أبكي حتى لا تبقى دمع» شرح النهج ص٥٠٩ الأندلسي ـ ونحن لا نتفق معه في ذلك لعدم اتفاق السياق مع ما رمى إليه، ونعتقد أن علياً عليه السلام قد أراد بالقول: استفراغ كلما في العين من نظرات الطمع والقناعة بأقل القليل.

الكثير من وصاياه، وحكمه[١]، يحض على الترويض النفسي، منه قوله «مَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ، كَانَ عَلَيْهِ مِن الله حَافظٌ»[٢] فالواعظ المنطلق من داخل النفس ذاتها يجنبها كل المداحض والمزالق، وضمن وصيته لابنه الحسن يقول «آحْيِ قَلْبَكَ بِالمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِاليَقِيْنِ، وَنَوِّرْهُ بِالحِكْمَةِ. . . وَمَرَارَةُ اليَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ مِنَ النَّاسِ، وَالحِرْفَةُ مَعَ العِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الغِنَى مَعَ الفُجُوْرِ. . . »[٣] فالخير كامن في أعماق الإنسان وإثارته فيه لا يكفي مالم تروض النفس عليه بإظهاره كفعل وتصرف، وإن احتاج إلى مشقة وجهد، فبالتكرار يستحيل إلى عادة وينغرس كجبلة، يتوق الإنسان إلى مزاولتها كلما عاش نشوة مردودها في نفسه وفي الناس، فيستحيل الفعل إلى قدرة يتمثلها الناس في تصرفاتهم وأفعالهم.

جـ ـ القدوة الحسنة:

القدوة هو المثال أو النموذج والإقتداء، هو النظر في أقوال وأفعال ذوي الأخلاق الفاضلة والأعمال الحميدة، والأخذ بأحسنها، فلكل إنسان، مهما عظم شأنه، قدوة، حتى النبيصلى الله عليه وآله، فقد جاء في قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾[٤] فالآية الكريمة، أمر من الله سبحانه إلى رسوله، بأن يأخذ بمسلك من سبقه من الرسل، والسير على

---

(١) راجع خطب ٧٥، ٨٢ فقرة ٨، ٨٦ الفقرة الأولى، وأيضاً شرح ابن أبي الحديد ٢٠/ ٢٥٨ حكمة رقم ٢٥، وص٢٩٦ حكمة رقم ٣٨٢.

(٢) حكم ـ ٩٧.

(٣) رسائل ٣١ فقرة ٤، ٢٢.

(٤) الأنعام / ٩٠.

نهجهم، والإسلام يلزم الفرد المسلم بالإقتداء بالنبي ﷺ، في أقواله وأفعاله وأخلاقه، فقد أثر عن الرسول ﷺ قوله «فَمَنْ اقْتَدَى بِي فَهُوَ مِنِّيْ وَمَنْ رَغِبَ عنِّيْ فَلَيْسَ مِنِّيْ»[1]، لذلك فقد اتبع علي عليه السلام الرسول ﷺ «اتِّبَاعَ الفَصِيْلِ أَثَرَ أُمِّهِ»[2]. فكان ﷺ قدوته ومثله الأعلىٰ الذي لم يحد عن سنته كما في قوله إلى طلحة والزبير ضمن حوار بينه وبينهما بعد توليه الخلافة «لَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ، نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ الله وَمَا وَضَعَ لَنَا وَأَمَرَنَا بِالحُكْمِ بِهِ فاتَّبَعْتَهُ، وَمَا اسْتَنَّ النَّبِيُّ فَاقْتَدَيْتَهُ»[3]. ولقد كان من أهم أهدافه أن يسير بالأمة على الدرب الواضح الذي اختطه الرسول ﷺ، فما أثر عنه في ذلك قوله «اقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الهُدَى، وَاسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ»[4]. فمن خلال معايشته للنبي ﷺ وممارسته العملية لأخلاقه والإرتواء من معينها الصافي الثر، تكوّن لديه اقتناع تام بتاثير القدوة في تصرفات الفرد، ويبدو ذلك ضمن وصيته لابنه الحسن بقوله «وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي، تَقْوَى الله والإقْتِصَارِ عَلَى مَا فَرَضَهُ الله عَلَيْكَ، وَالأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ، وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ»[5] فالإقتداء بالمثال الجيد يمد الأخلاق بشمولية واتساع، مثلها في ذلك مثل الإستفادة من تجارب الآخرين يتأملها بإمعان ومن ثم إضافة خلاصتها إلى التجربة الخاصة، فتصير أكثر عمقاً، وأشد إحكاماً

---

(١) مسند الإمام أحمد ٥/ ٤٠٩.

(٢) خطب ـ ٢٤٠ ـ الفقرة ـ ٢٦.

(٣) خطب ـ ١٩٩.

(٤) خطب ـ ١٠٩.

(٥) رسائل ـ ٣١ الفقرة ٧.

لذلك فلابد أن يكون «لِكُلِّ إِمَامٍ مَأْمُومٍ يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِهِ»[١] فمن الأجدى أن يختار الفرد قدوته الصالحة التي تستطيع أن تمده بروافد غنية من مخزونها الأخلاقي الذي يعود عليه بالسعادة ويجعله منسجماً مع أفراد مجتمعه.

جماع القيم الخلقية في فكر علي عليه السلام

علاوة على ذلك، يتضمن النهج أيضاً أساليب أخرى يمكن اعتبارها من المصادر الهامة في اكتساب الأخلاق، كالنظر في سير الماضين والإتعاظ بما حدث لهم إذ يعتبر علي عليه السلام العيش بالروح والفكر مع أولئك الماضين جزء هام من تجاربه الحياتية الخصبة. ويمكن استخلاص ذلك من قوله ضمن وصيته لابنه الحسن «أَيْ بُنَيّ، إنّي، وإِنْ لَمْ أَكُنْ عَمَّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِيْ، فَقَدْ نَظَرْتُ فِيْ أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِيْ أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِيْ آثَارِهِمْ، حَتَّى غَدَوْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنّيْ بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عَمَّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إلى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ وَنَفْعِهِ مِنْ ضَرَرِهِ»[٢]. وبتبصره ذاك، وعمق نظرته في ماجريات الحوادث، يرى أن من اللازم على الإنسان المتدبر في أمور الحياة، أن يجول بعقله في التاريخ، ليتعظ بحوادثه ويتأملها برويّة وعمق، لأنه يستمد منها الكثير من الخبرات والقيم الإنسانية التي تكون له زاداً فكرياً يُعوّل عليه في مسيرة حياته، فمن منطلق تجربته يقول لابنه الحسن «آخِ قَلْبَكَ بِالمَوْعِظَةِ...

---

(١) رسائل ـ ٤٥ ـ فقرة ٢.
(٢) رسائل ٣١ ـ الفقرات ـ ٦، ٤.

وَاَعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ المَاضِيْنَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلِيْنَ، وَسِرْ فِيْ دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ، فَانْظُرْ فِيْمَا فَعَلُوا، وَعَمَّا انْتَقَلُوا، وَأَيْنَ رَحَلُوا وَنَزَلُوا، فَإِنَّكَ تَجِدَهُمْ قَدْ انْتَقَلُوا عَنِ الأَحِبَّةِ، وَحَلُّوا دِيَارَ الغُرْبَةِ وَكَأَنَّكَ عَنْ قَرِيْبٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ»(١) فالتأمل في التاريخ ـ كما يفهم من كلام علي عليه السلام ـ يمنح الفرد دفعات من الإيمان المتأني، الذي يكسبه حب الخير للناس، والتفاني في خدمتهم لأن تشبع روحه بالإيمان يجعله يدرك أنه لا يملك مما تحت يديه شيئاً إلا ما كتب له التصرف فيه، حتى حياته. فخلاصة العبرة تأمل استبطاني عميق في مجريات الحوادث لكسب الخبرة العملية التي هي بمثابة الزاد العقلي والروحي الذي يغذي روح الإنسان، ويحافظ على اتزانها إزاء مغريات الحياة، وينحو بها إلى التعايش في المجتمع بما يتناسب والمثل العليا التي يطمح علي عليه السلام إلى إرسالها. ثم أن هناك الإكتساب الخلقي عن طريق النصيحة المباشرة التي يحتاجها جل الناس، ولكن لا يعيها من وجهة نظر علي عليه السلام إلا العقلاء، أما «البَهَائِم لاَ تَتَّعِظُ إِلاّ بِالضَّرْبِ»(٢).

تلك إذن هي أهم المصادر التي يكتسب منها الفرد قيمه الخلقية، كما يبدو في فكر علي عليه السلام، وهذا ينقلنا بدوره إلى تأمل تلك القيم. والحقيقة التي يجب أن توضح في هذا المجال أن ما ورد في النهج من نصوص قد بني على دعائم أخلاقية هدفها كرامة الإنسان وتوفير السعادة له، بحيث لا يمكن لدراستنا الإلمام ببحث كل تلك القيم، فمن مكارم الأخلاق التي

---

(١) رسائل ٣١ ـ الفقرات ـ ٦، ٤.

(٢) رسائل ٣١ ـ الفقرة ٢٤.

عرض لها النهج «السَّخَاءُ، والحَيَاءُ، والصَّدْقُ، والأَمَانَةُ، والتَّوَاضُعُ، وَالغِيْرَةُ، والشَّجَاعَةُ، والحُلْمُ، وَالصَّبْرُ، والشُّكْرُ»[1] ويتحدث علي عليه السلام عن أهمية بعض القيم الخلقية فيقول «الجُوْدُ حَارِسُ الأَعْرَاضِ، وَالعِلْمُ فِدَامُ السَّفِيْهِ، وَالعَفْوُ زَكَاةُ الظَّفَرِ، والسُّلُوُّ عِوَضُكَ عَمَّنْ غَدَرَ، وَالإِسْتِشَارَةُ عَيْنُ الهِدَايَةِ. . . وَالصَّبْرُ يُنَاضِلُ الحَدَثَانِ، وَالجَزَعُ مِنْ أَعْوَانِ الزَّمَانِ، وَأَشْرَفُ الغِنَى تَرْكُ المُنَى. . . وَمِنَ التَّوْفِيْقِ حِفْظُ التَّجْرِبَةِ، وَالمَوَدَّةُ قَرَابَةٌ مُسْتَفَادَةٌ، وَلاَ تَأْمَنَنَّ مَلُوْلاً»[2] فتلك إذن بعض القيم الخلقية التي نجدها مبثوثة في تضاعيف نصوص النهج القصيرة والطويلة، خطب كانت أم رسائل أم وصايا أم حكم، وهي تارة ما تكون موجهة إلى فرد بعينه، وتارة أخرى نجدها موجهة إلى جميع أفراد الأمة، ولكن بتأملنا في تلك القيم الخلقية مجتمعة يمكننا إجمالها ـ كما يتهيأ لنا ـ في ثلاث هي: العدل، والحق، والتقوى.

١ ـ العدل:

يعتبر حكماء اليونان العدل من الفضائل الأربع الرئيسية[3]، والثلاث الباقية عندهم هي: الحكمة، والشجاعة، والعفة ويعرفه أرسطو (ت ٣٢٢ ق. م) على أنه «ذلك الكيف الأخلاقي الذي يحمل الناس على إتيان أشياء عادلة والذي هو العلة في فعلها وفي إرادة فعلها»[4] فالعدل عند أرسطو ـ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠/ ٣٧٥.

(٢) حكم ـ ٢٠٩.

(٣) راجع ـ خياط ـ معجم المصطلحات العلمية والفنية ص٤٣٤.

(٤) علم الأخلاق ٢/ ٥٥.

على ما يبدو ـ ليس ملكة فطرية لأنه حالة أو كيف، يمكن إدراكه من الأمور المضادة له، أي من الظلم، وهو على كل حال تعريف فلسفي، يكاد يقترب في مفهومه من التعريف اللغوي القائل بأن العدل «هو ما قام في النفوس أنه مستقيم وهو ضد الجور»[١] فهو إذاً إحساس أو حالة داخلية، وقد عرّفه المعجم بما يقابله في اللغة، ولم يحاول أن يبين لنا أنواع العدل، أما التعريف الكلامي فلا يمت إلى دراستنا عن العدل الأخلاقي بأية صلة، لأن العدل عند المتكلمين يبحث «في العلوم المتعلقة يتنـزه الباري عن فعل القبيح والإخلال بالواجب»[٢]، ولكن من خلال تعريفهم يمكن أن نخلص إلى أن العادل هو الذي يحاول تجنب فعل القبيح، وينأى بنفسه عن الإخلال بالواجب[٣]، إلا أننا مازلنا ندور في فلك التعريف الفلسفي للعدل، والتقصير على التنظير، علاوة على ذلك فإننا لم نتمكن من معرفة الميادين الأخلاقية التي توصلنا إلى إدراك مفهوم العدل كقيمة خلقية، مما يلجئنا إلى الإستعانة بالتعريف الشرعي، فقد يكون أكثر تحديداً ووضوحاً بقوله إن العدل «عبارة عن الإستقامة على طريق الحق بالإختيار عما هو محظور ديناً»[٤] فالعدل من وجهة نظر إسلامية قيمة خلقية ذات أهمية كبيرة جداً بالنسبة للفرد والمجتمع على السواء، حتى لنكاد نتصور استحالة الحياة في مجتمع يفتقر إلى أبسط قواعد العدل، وهو

---

(١) لسان العرب ـ مادة عدل.

(٢) الطريحي ـ مجمع البحرين ٥/ ٤٢٠، ٤٢١.

(٣) راجع ـ الشريف المرتضى ـ رسائل الشريف المرتضى ٣/ ١٢، القاضي عبدالجبار ـ فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص٣٤٨.

(٤) مارسيل بوزار ـ إنسانية الإسلامية ص١٣٠.

على ما يبدو من خلال ممارسته «نوعان: نوع يوصف به الفرد فيقال إنسان عادل، ونوع يوصف به المجتمع والحكومة»[١]. وقد أمرنا القرآن الكريم بمباشرة العدل في جميع مجالات الحياة، نظراً لقيمته الأخلاقية الهامة والكامنة أولاً وقبل كل شيء في تفاهم الفرد مع نفسه كما في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾[٢] ويبرز العدل أيضاً كمنظم للمجتمع في مجال العلاقات الأسرية، حيث يرى الإسلام استحالة تحقيقه، إذا ما تفرعت الميول وتعددت الإتجاهات ففي مجال تعدد الزوجات جاء في الذكر الحكيم قوله تعالى ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾[٣]. فاستحالة تحقيق العدل في العلاقات الأسرية ينتج، كما يبدو من فهمنا للآية الكريمة، من تحكيم العاطفة وتغليبها على العقل، لذلك جاء الأمر بالعدل حتى في الأقوال مهما كانت النتائج المترتبة على ذلك دون وضع أي اعتبار لأية صلة في قوله تعالى ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾[٤]، وإذا ما تركنا العدل الأخلاقي في نطاقه الإجتماعي الضيق المحصور في الأسرة، فإن الإسلام يوسع من دائرته ليجعله يشمل جميع العلاقات الإنسانية بأوسع معانيها، ففي مجال القضاء والحكم يقول عز وجل ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾[٥]، ولم يقصر الإسلام طلب العدل على القضاة وحدهم، بل جعله من

---

(١) أحمد أمين ـ كتاب الأخلاق ٢٢٠.

(٢) النساء / ١٣٥.

(٣) النساء / ١٢٩.

(٤) الأنعام / ١٥٢.

(٥) النساء / ٥٨.

مسؤولية الشهود أيضاً كما ورد في الذكر الحكيم «وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ»(١). ثم أن العدل يجب أن يكون العنصر الأساسي في المعاملات بين الناس، بضبطها ضبطاً محكماً، تحت إشراف عدول لا يزيغ بهم الهوى كما في قوله تعالى ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾(٢). والكتابة هنا تشمل ـ كما نعتقد جميع المعاملات التجارية والصناعية والإقتصادية وحتى الإتفاقيات السياسية، وكل ما يربط الإنسان بأخيه الإنسان من علاقات ومعاملات. والعدل السياسي في الإسلام يقتضي أيضاً التصدي للمعتدى وإن كان مسلماً، وردعه بالوقف في صف العدل، دونما تحيز لفئة لإرضاء فئة أخرى كما في قوله تعالى ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾(٣). ولكن ليس معنى هذا إن الإسلام يقصر العدل على المسلمين دون المشركين، لأن العدل في المفهوم الإسلامي «حق طبيعي للإنسان يستمده بمقتضى كونه إنساناً لا بمقتضى أنه مسلم، وينظر فيه إلى الحق الإنساني العام من غير نظر إلى لون أو جنس أو دين»(٤). فالحكم بمقتضى الشريعة الإسلامية ينص على أن العدل ليس قصراً على فئة اجتماعية معينة، فقوله تعالى ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾(٥)

---

(١) الطلاق / ٢.

(٢) البقرة / ٢٨٢.

(٣) الحجرات / ٩.

(٤) محمد أبوزهرة ـ المجتمع الإنساني في ظل الإسلام ص٢٠١.

(٥) النساء / ٥٨.

شامل لجميع الناس، وإذا كان أفلاطون قد اعتبر أن «الفضيلة في النفس هي العدالة»[١] فإن الإسلام قد أحكم العمل بتلك الفضيلة، فقد ورد العدل في القرآن الكريم في معظم الحالات بصيغة الأمر مما يعني في حد ذاته وجوب العمل به في كل الأحوال وعلى جميع المستويات، لذلك رفض النبي صلى الله عليه وآله وسلم رفضاً قاطعاً توسط أسامة بن زيد في شأن المرأة المخزومية التي سرقت[٢]، لكونها شريفة جاعلاً العدل يأخذ مجراه.

وإذا ما استفتينا فكر علي بن أبي طالب بشأن فضيلة العدل، فسنجد أنها قيمة أخلاقية تتسع لتشمل جميع النواحي الإنسانية، وهو في هذا المجال يسير في ظل النص القرآني وعلى نهج السنة النبوية الشريفة، مع محاولاته في إعطاء المفهوم قيمته الإنسانية المتناسبة وعصره، لذلك لم يأت العدل في قوالب الأمر لسن تشريعات، ولكنه ورد ضمن النصوص التطبيقية لتلك التشريعات، ويبدو لنا من النصوص التي بين أيدينا أن علياً عليه السلام يعتبر العدل من الدعامات الأخلاقية الهامة التي يقوم المجتمع عليها، فإذا ما اختلت تلك الدعامة أو تضعضعت «كَثُرَ الإِدْغَالُ فِي الدِّيْنِ، وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ، وَفُعِلَ بِالهَوَى، وَعُطِّلَتِ الأَحْكَامُ وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلاَ يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيْمِ حَقٍّ عُطِّلْ، وَلاَ لِعَظِيْمِ بَاطِلٍ فُعِلْ، فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الأَبْرَارُ وَتَعِزُّ الأَشْرَارُ»[٣] لذلك فقد باشر بتنفيذ العدل منذ الوهلة الأولى التي تسلم فيها مقاليد الخلافة غير آبه بما سيجره ذلك عليه من فتن

---

(١) جمهورية أفلاطون ٩.

(٢) راجع الخبر في: سنن النسائي ٨/ ٧٢ وما بعدها، سنن ابن ماجه ٢/ ٨٥١.

(٣) خطب ـ ٢١٠ فقرة ٢.

قد تزعزع السلطة من تحت رجليه، فرد إلى بيت مال المسلمين كل القطائع التي اقتطعها عثمان لبني أمية وغيرهم قائلاً بكلّ حزم «واللَّهِ لَوْ وَجَدْتَهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النِّسَاءَ وَمَلَكَ بِهِ الإِمَاءَ، لَرَدَدْتُهُ، فَإِنَّ فِيْ العَدْلِ سِعَةٍ، وَمَنْ ضَاقَ عَلِيْهِ العَدْلُ فَالجَورُ أَضْيَقُ»[1] فمفهوم العدل ـ في فكر علي عليه السلام ـ لا يمكن إدراكه ـ كما نعتقد ـ إلا من خلال مباشرته العملية له قولاً وفعلاً، لأنه جزء لا يتجزأ من تصرفاته الحياتية سار معه رحلته الطويلة منذ مقتبل العمر حين زاول القضاء على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى آخر ساعة في حياته وهو يوصي بالتعامل مع قاتله بالعدل[2]، لذلك فنظرته الثاقبة إلى العدل تتمثل في قوله «العَدْلُ صُوْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَالجَوْرُ صُوَرٌ، لِهَذَا سَهُلَ ارْتِكَابُ الجَوْرَ، وَصَعُبَ تَحَرِّي العَدْلَ، وَهُمَا يَشْبَهَانِ الإِصَابَةَ فِيْ الرِّمَايَةِ وَالخَطَأِ فِيْهَا، وَأَنَّ الإِصَابَةَ تَحْتَاجُ إلى ارْتِيَاضٍ وتَعَهُّدٍ، وَالخَطَأُ لاَ يَحْتَاجُ إلى شَيءٍ مِنْ ذَلِكَ»[3] فالعمل بالعدل ـ في فكر علي عليه السلام ـ صعب والسير في طريقه شاق، لأنه يحتاج إلى ترويض النفس على نبذ شهواتها، وتبصيرها الطريق القويم، وحثها على السير فيه، بعكس الجور الذي لا يحتاج فعله إلى أيّ مجهود فطرقه كثيرة وسهلة ومحببة إلى النفوس في الغالب. لذلك فإن تحري العدل في مجتمع ذي طرق متشعبة وأساليب ملتوية يغدو ضرباً في المخاطرة، فلا نستغرب إذن من «تبني الفكر الشيعي مفهوم العدل الإجتماعي، وارتكازه على العقلانية»[4] لأن ذلك الفكر ـ على ما نعتقد ـ

---

(١) خطب ـ ١٥.

(٢) راجع رسائل ٤٧ فقرة ٨، ٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢٠ / ٢٧٦.

(٤) محمود إسماعيل ـ سوسيولوجيا الفكر الإسلامي ١/ ١٤١.

منبثق «من فهم صحيح للروح الإسلامية»[١]، التي تميز آل البيت وعلى رأسهم علي عليه السلام الذي نجد للعدل في فكره ميداناً واسعاً منه:

١ ـ العدل مع النفس: ويقصد منه المصالحة مع النفس بالنحو بها منحاً مستقيماً يوازن علاقاتها بالآخرين بحيث لا تأخذ أكثر مما تستحق ولا تفرط في حقوقها على سبيل إرضاء الغير فقوله لابنه الحسن عليه السلام «إِجْعَلْ نَفْسَكَ مِيْزَانًا فِيْمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الآخَرِيْنَ»[٢] يعني بناء النفس من الداخل على أسس موضوعية تتقبل العطاء بنفس الروح التي ترغب بها في الأخذ، فتؤدي ما عليها وتاخذ ما إليها بكل رحابة صدر، فالعدل في المصالحة مع الذات ـ كما نفهمه من خلال فكر علي عليه السلام ـ ينطوي على كل القيم الخلقية من صدق، وأمانة وإخلاص، ووفاء، وشجاعة، لأن الإنسان العادل هو الذي يمكنه أن يوازن بين حق نفسه وبين حقوق الآخرين من حوله وفق معايير أخلاقية ثابتة قوامها الخير والحب للجميع.

٢ ـ العدل الإجتماعي: العدل في فكر علي عليه السلام ـ كما سبق صورة واحدة[٣] ليس فيه ثمة تدرجات تفاضلية، لذلك لابد أن نشير هنا أن العدل الإجتماعي، ما هو إلا امتداد للخط المستقيم الذي تسير سياسته فيه، لأن العمل العادل هو الذي «يَضَعُ الأُمُوْرَ فِيْ مَوَاضِعِهَا»[٤] والأمور في السياق تعني الشمولية والإتساع لتجعل من «العدل سَائِسًا عَامًّا»[٥] يهدف إلى

---

(١) المصدر السابق.

(٢) رسائل ـ ٣١ فقرة ١٣.

(٣) راجع ص٤٥٤ من هذا البحث.

(٤) حكم ـ ٤٤٦.

(٥) حكم ـ ٤٤٦.

تحقيق السعادة والخير والحب لجميع الناس. والعدل الذي يتوق علي عليه السلام إلى تحقيقه، يشمل حتى الحيوان، فضمن وصيته إلى عمال الصدقات، فيمن يولونه مسؤولية حراسة ما يجبى من إبل ومواشي يشترط فيه «أَلاَّ يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَفَصِيْلَهَا، وَلاَ يُمَصِّرَ لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذَلِكَ بِوَلَدِهَا، وَلاَ يُجْهِدَهَا رُكُوبًا، وَلْيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبِهَا فِيْ ذَلِكَ»[1].

ويصل العدل ذروته في قوله «واللَّهِ لَوْ أُعْطِيْتُ الأَقَالِيْمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاَكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ الله فِيْ نَمْلَةٍ أَسْلِبُهَا جِلْبَ شَعِيْرَةٍ مَا فَعَلْتُ»[2] فالعدل قيمة أخلاقية واحدة في موطن من مواطن الحياة، لا يمكن تجزئتها، أو العمل بمضمونها حسب نسب متفاوتة وهي في فكر علي عليه السلام، كما نلاحظ في نصوص النهج ـ نابعة من اقتناع ذاتي وإيمان راسخ وتام لا يمكن زعزعته تحت أية ظروف، ويمثل ذلك قوله «واللَّهِ لأَنْ أَبِيْتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً، وَأُجَرَّ فِيْ الأَغْلاَلِ مُصَفَّداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى الله وَرَسُولَهُ يَومَ القِيَامَةِ ظَالِمًا لِبَعْضِ العِبَادِ»[3] لذلك فقد جاهد قولاً وفعلاً من أجل وضع فكره العادل موضع التنفيذ سواء في معاملاته

(١) رسائل ـ ٢٥، وفصيل الناقة: ولدها وهو رضيع، ويمصر: يقلل ـ يبالغ في حلبها حتى يقل اللبن في ضرعها.

(٢) خطب ـ ٢٢١ ـ الفقرة الثانية والفقرة الأولى، وجلب شعيرة: قشرتها وحسك السعدان: شوكه، والسعدان نبت صحراوي له شوك ترعاه الإبل، والسهاد: السهر، الأغلال: السلاسل توضع في الأعناق، المصفد: المقيد.

(٣) خطب ـ ٢٢١ ـ الفقرة الثانية والفقرة الأولى، وحسك السعدان: شوكه، والسعدان نبت صحراوي له شوك ترعاه الإبل، والسهاد: السهر، الأغلال: السلاسل توضع في الأعناق، المصفد: المقيد.

الخاصة أو العامة أو على مستوى الحكم في الأقاليم الإسلامية.

* أ ـ فعلى المستوى القضائي، فقد وضع شروطاً متناهية في دقتها فيمن يرشح لمنصب القضاء(١)، ثم أنه جعل المراقبة دائمة ومستمرة(٢)، كما أنه باشر القضاء بنفسه إبان خلافته في كثير من المواطن، انطلاقاً من اقتناعه التام بأن العدل يجب أن يأخذ مجراه مهما كانت الظروف(٣).

* ب ـ وعلى المستوى الإجتماعي العام فقد باشر بإقامة العدل مبتدئاً بالأسواق المحك الحقيقي لشرائح المجتمع والميزان الذي تتنافس الأطماع فيه، لامتلاك زمام المادة على حساب الكاد حين والمستضعفين، فقد كان يجوب الأسواق بنفسه(٤)، لمراقبة الأسعار وفض الخصومات من أجل إرساء دعائم العدل، كما كان يتشدد في تنبيه ولاته على القيام بذلك كما في قوله للأشتر «وَلْيَكُنِ البَيْعُ سَمْحًا بِمَوَازِيْنِ عَدْلٍ»(٥). واهتمام علي عليه السلام بالعدل في الأسواق لأنها الأماكن التي تتواجد فيها كل الطبقات الإجتماعية للتعامل فيما بينها بالأخذ والعطاء، ولا يتأتى ذلك إلا في جو يتميز بالأمن والطمأنينة والثقة، والعدل هو الذي يمنح تلك الميزات للمتعاملين، لأن

---

(١) راجع ص٣٤٦ وما بعدها من هذا البحث.

(٢) راجع السابق.

(٣) راجع حكايته مع المرأة التي أتته متظلمة من قسوة زوجها وموقفه من ذلك عند: ابن شهر آشوب مناقب آل أبي طالب ١/ ٣٧٤، وراجع أيضاً قوله في عهده للأشتر بأن إفساح المجال للضعفاء للتظلم عنده مباشرة، من دون أية مراقبة أو حجاب ـ رسائل ٥٣ ـ الفقرة ـ ٢٦.

(٤) راجع البلاذري ـ أنساب الأشراف ٢/ ١٢٩.

(٥) رسائل ـ ٥٣ ـ الفقرة ٢٤.

تطبيقه يكسبهم الراحة النفسية، وعدم الشعور بالغبن أثناء المعاملات والمبادلات.

٣ ـ العدل في ميدان السياسة: من العسير علينا ونحن نبحث في فكر علي عليه السلام الأخلاقي، أن نقول بوجود عدل اجتماعي وآخر سياسي، لأن سياسة علي عليه السلام في الأصل سياسة اجتماعية، تضع مصلحة عامة الناس من الطبقات الفقيرة في مقدمة الأولويات[١]، حتى لنكاد نشعر بالصعوبة إذا ما حاولنا الفصل بين عنصر السياسة وعنصر الإجتماع في ميدان الأخلاق إلا أن ذلك لا يحول بيننا وبين تسليط الضوء على الفكر الأخلاقي العادل الذي يغلب الطابع السياسي عليه. فمن أهم ما يجب أن يتميز به الحاكم العادل في سياسته للرعية ـ أن يعمل بالعدل في كل صغيرة وكبيرة من أفعاله، حتى في النظر إلى رعيته، فلا يميل به الهوى إلى النظر بازدراء إلى الفقير لفقره، والبشاشة والترحاب بالغني لكثرة أمواله وعلو منزلته، إذ يجب أن تكون نظرته لكلا الطرفين متماثلة، يقول لمحمد بن أبي بكر في عهده إليه حين ولاه مصر «إِخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَابْسِطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ والنَّظرَةِ، حَتَّى لاَ يَطْمَعَ العُظَمَاءُ فِيْ حَيْفِكَ لَهُمْ، وَلاَ يَيْأَسَ الضُّعَفَاءَ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ»[٢] فالسياسة العادلة ـ في مبدأ علي عليه السلام ـ أن لكل المواطنين أمام القانون سواء، مسلمين وغير مسلمين وعدم دخول هؤلاء الإسلام لا يفقدهم حقوقهم الإنسانية[٣]،

---

(١) راجع السابق ـ الفقرة ٧.

(٢) رسائل ـ ٢٧ ـ الفقرة الأولى.

(٣) راجع رسائل ـ ١٩.

فالناس كما يقول علي عليه السلام ضمن عهده للأشتر: صنفان «إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّيْنِ أَوْ شَبِيْهٌ لَكَ فِي الخَلْقِ»[1]. فالحكومة الحقيقية هي التي تقدس العدل[2]، وتختار لحكمها رجالاً يعرفون طريقه ويسيرون على نهجه. ولن يتأتى لهم ذلك ـ كما يرى علي عليه السلام ـ إلا إذا عرفوا أن يأخذوا لعدل من نفوسهم، ومن خاصة أهلهم وأقاربهم[3] لله ولجميع الناس، ومن لم يؤد ذلك تاماً فقد ظلم نفسه وظلم عباد الله «وَكَانَ لله حَرْبًا حَتّى يَنْزَعَ أَوْ يَتُوبَ»[4]. فعلي عليه السلام حين يأمر واليه بالعدل بين رعيته، يكلم فيه الضمير ويحرك داخله الوازع النفسي مصدر القيم الخلقية، فهو لم يتهدده بالعقاب المادي المتمثل في العزل وفي المصادرة، لا بل يلجأ إلى الترهيب النفسي المتمثل في قدرة الله سبحانه بإنزال العقاب الدائم المستمر على الجور والجائر[5]، فالعدل ـ في فكر علي عليه السلام ـ ميزان الأخلاق، الذي يعدل كل مائل في المجتمع سواء أكان مادياً أم معنوياً، وهو على سعة ميادينه، فإن منبعه الإيمان بقدرة الإنسان على تمييز الصواب من الخطأ، والسير في طريق الصواب المتضمن كل القيم الأخلاقية، وهو في جوهره توأم الحق.

---

(١) رسائل ـ ٥٣ ـ الفقرة ٤.

(٢) راجع السابق ـ الفقرة ٢٦.

(٣) راجع السابق ـ الفقرة ٦.

(٤) السابق ـ فقرة ٤ وفقرة ٦.

(٥) يناسب ذلك قوله «اذكر عند الظلم عدل الله فيك، وعند القدرة قدرة الله عليك» شرح ابن أبي الحديد ٢٠ / ٣٢٨.

٢ ـ الحق:

الحق من أسماء الله الحسنى ويعني «الموجود المتحقق من وجوده والهيته»[١] وللحق معان متعددة يمكن معرفتها من خلال السياقات التي ترد فيها، فعلم القانون ـ على سبيل المثال ـ يعرف الحق «بأنه مصلحة ذات قيمة مالية يحميها القانون»[٢]، فهو يحصره في النواحي المادية، ويربطه بالقانون سواء أكان وضعي أم تشريعي وقد يعرف «فلسفياً ما طابق الذهن والواقع ويقابل الباطل»[٣] و«حقائق الإيمان، أركانه وهو التصديق بوجود الله تعالى وبوحدانيته واعتبار أسمائه الحسنى»[٤]، ويأتي أيضاً بمعنى المطابقة والموافقة والثبوت[٥]، ويطلق الحق أيضاً «على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب»[٦] على أساس أنها تتضمن ذلك، «والحقيقة في مصطلح العلماء ما قابل المجاز»[٧]، ويأتي الحق أيضاً بمعنى العدل كما في قوله تعالى ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾[٨]، ويأتي أيضاً بمعنى الصدق كما في قوله تعالى ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾[٩]، ويأتي الحق

---

(١) الطريحي ـ مجمع البحرين ٥ / ١٤٨.

(٢) عبدالرزاق السنهوري ـ مصادر الحق في الفقه الإسلامي ١/ ٩.

(٣) يوسف خياط ـ معجم المصطلحات العلمية والفنية ص١٧١.

(٤) الطريحي، السابق ٥/ ١٤٨.

(٥) راجع: أحمد رضا ـ معجم متن اللغة ٢/ ١٣٢.

(٦) منصور رجب ـ تأملات في فلسفة الأخلاق ص٣٤٢.

(٧) الطريحي، السابق ٥/ ١٤٨.

(٨) ص/ ٢٦.

(٩) الأعراف/ ١٠٥.

بمعنى المنزلة والقيمة المعنوية كما في قوله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾(١).

فالحق كقيمة خلقية يكون جماع من الصدق، والعدل، والرضاء، والنأى بالنفس عن الأنانية، وتجنب الشح، فمرونته تجعل معانيه تتضمن الأخذ والعطاء. وإذا كان العدل يهدف إلى إرساء الطمأنينة في النفس فإن الحق بشموليته على العدل وتضمنه معاني التبادل الذاتي، هو العامل المحرك للفرد والمجتمع في طريق التفاهم والبناء، إذ لا يمكن لأي فرد أو أية فئة أن تطالب بحقوق معينه، إلا في مقابل تأديتها لواجبات تترتب على تلك الحقوق.

وهذا التبادل بمفهومه العملي، هو ما يرمي إليه علي عليه السلام من مفهومه للحق، فقوله «الحَقُّ أَوْسَعُ الأَشْيَاءِ في التَوَاصُفِ وَأَضْيَقُهَا فِيْ التَنَاصُفِ»(٢) يعني أن الحق كنظرية متمثلة في الوصف القولي، هو من الإتساع بحيث لا يقاس ولا يحيد، ولكن سرعان ما يضيق وتُنْكَرُ كل صفاته إذا ما أريد له أن يوجد في حيز التطبيق. ويريد علي عليه السلام من وراء تبيانه لتلك الخاصية، الحق العملي البعيد كل البعد عن الأقوال كما في قوله بأن الحق «لاَ يَجْرِيْ لأَحَدٍ إِلاّ جَرَى عَلَيْهِ، وَلاَ يَجْرِيْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَرَى لَهُ»(٣) فهو أخذ وعطاء مستمران باستمرارية الحياة، وبين جميع البشر، وعلى جميع المستويات الإجتماعية لأنه دستور حياة، ولا يمكن لأي فرد مهما علت منزلته

---

(١) الزمر/ ٦٧.
(٢) خطب ـ ٢١٠ ـ الفقرة الأولى.
(٣) خطب ـ ٢١٠ ـ الفقرة الأولى.

وسمت مكانته، أن تكون له حقوق، دون أن تكون عليه واجبات تسمى حقوقاً بالنسبة للغير، و«لَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلاَ يَجْرِي عَلَيْهِ، لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دُونَ خَلْقِهِ لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَلِعَدْلِهِ فِيْ كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ»[1] وهو ما لم يلزم به الله عباده ليتدبروا معنى الحق في علاقاتهم ومع نفوسهم لذلك «جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى العِبَادِ أَنْ يُطِيْعُوهُ، وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ»[2] فالحق ـ كما يبدو لنا في فكر علي عليه السلام ـ ليس مجرد ألفاظ جوفاء أو معنى خال من مضمونه العملي، لذلك فهو لا يُعرف بالرجال كما يتراءى للبعض ـ من خلال منطقهم أو ما يحدثنا به التاريخ من سيرهم، ولكن الرجال يُعرفون بالحق[3] أثناء مباشرتهم له، وفهمهم أبعاده، ونزولهم عند حدوده، بإيمان وصدق عزيمة لأنه «ثَقِيْلٌ مَرِيءٌ»[4] ثقيل لأن النفس تأباه إذا تعارض مع مصالحها ولكنه حسن العاقبة، لأنه يكبح من جماح شهواتها، ويحد من تمردها، ويجعلها تحت سلطان العقل، لذلك فعلى سبيل الجدل تجنباً للرذيلة يقول علي عليه السلام «أَلاَ وَإِنَّهُ مَنْ لاَ يَنْفَعْهُ الحَقُّ يَضُرُّهُ البَاطِلُ»[5] ولا مراء فإن الباطل وإنْ حسن مظهره، فإن مباشرته لابدّ وَأنْ تؤدي إلى مضرة، وفي المقابل لا يعني أن العمل بالحق لا يعود بالنفع على مباشريه، لأن الحق في حد ذاته غايته الخير بمعناه الواسع. وبتتبعنا للحق كمنبع من منابع القيم الخلقية ـ في فكر

---

(١) السابق.

(٢) السابق.

(٣) راجع حكم ـ ٢٧٠.

(٤) حكم ـ ٣٨٢.

(٥) خطب ـ ٢٨.

عليعليه السلام ـ سنجد أنه بمثابة الحزم الضوئية المنبعثة من مصدر واحد يلم في داخله كل ما أمكنه من المعاني الخيرة التي تهدف إلى بناء الإنسان وسعادته بتكوينه تكويناً متوازناً مع نفسه ومتسقاً في علاقاته بالآخرين . والحقوق التي يتعين على الفرد مزاولتها لتكتمل سعادته ـ كما يرى عليعليه السلام ـ متعددة منها :

أ ـ حق الله :

يتجلى الرب على عباده في جميع نواحي الحياة المتعلقة بمعيشتهم على الأرض، وقد عرض عليعليه السلام في نهج البلاغة إلى كثير من هذه الحقوق التي منها : حقه سبحانه وتعالى على عباده في التعرّف على ذاته وقد أوكل عليعليه السلام تلك المعرفة إلى القرآن الكريم وإلى السنة النبوية الشريفة، يقول لمن سأله عن وصف الرب سبحانه «فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ، فَمَا دَلَّكَ القُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَأْتَمَّ بِهِ واسْتَضِئ بِنُوْرِهِ، وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضَهُ، وَلاَ فِيْ سُنَّةِ النَّبِيِّصلى الله عليه وآله وَأَئِمَّةِ الهُدَى أَثَرَهُ، فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللهِ عَلَيْكَ»[1] فمن حق المسلم أن يفكر في الذات الإلهية، ولكن في حدود ما رسمه الدين بمصدريه الرئيسيين، وذلك حسماً للخلاف وتجنباً من المروق، فمن حق الله عليك حتى تعبده حق عبادته أن تعرفه. وإذا كان ذلك حقه سبحانه نحو ذاته القدسية فإنّ من حقوقه على العباد نحو أنفسهم، مراعاة بعضهم البعض، بالتناصح فيما بينهم، وبذل العون إلى محتاجهم وضعيفهم،

(١) خطب ـ ٩٠ ـ الفقرة ٢ .

والعمل بما سنّه الله من حقوق دون الإخلال بشيء منها[١] ومن حقوقه سبحانه، ما فرضه على عباده من نصيب فيما رزقهم من مال، وهو حق من الأهمية بمكان، لأن صيانة المجتمع من الإنزلاق في هاوية الشح والفوضى والتسلط والحسد تتوقف على أدائه فهو في أساسه تطهير للنفس بالنسبة للمعطي والسمو بها عن التكالب الدؤوب على شهوات الدنيا، وهو في ذات الوقت طمأنة لنفس الفقير بتحسيسه بأن هناك ثمة من يعطف عليه ويحاول التخفيف من محنة الفقر التي يعيشها، وبهذا الحق الإلهي يزول الحقد والحسد، باستجابة النفس لنداء الواجب والحب فيأمن الغني على ماله ويطمئن الفقير على حاله، لذلك نجد علياً عليه السلام ومن منطق اسلامي سمى الزكاة (حق الله)، فضمن وصيته لعماله على الصدقات، يأمر كل منهم إذا وصل إلى مكان عمله وتجمع الناس حوله بالقول «أَرْسَلَنِيْ إِلَيْكُمْ وَلِيُّ الله وَخَلِيْفَتُهُ، لِآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ الله فِيْ أَمْوَالِكُمْ، فَهَلْ لله فِيْ أَمْوَالِكُمْ حَقٌّ فَتُؤَدُّونَهُ»[٢] والسؤال في السياق يدل كما يبدو، أن الزكاة في فكر علي عليه السلام، وإن كانت واجبة على كل مسلم في ماله نصاب يستحق إخراجها، إلا أنها لا تؤخذ منه كرهاً، لأنّ في إخراجها بطريق الإكراه ما يفقدها قيمتها الأخلاقية، فالإقتناع الداخلي من لدن الإنسان بأنها حقّ إلهي هو المحرك لقيمتها الأخلاقية، فحق الله سبحانه على الإنسان، يجب أن ينبع من فكر الإنسان، واقتناعه الذاتي بذلك الحق دون أي تأثير خارجي

---

(١) يمكن استخلاص كل ذلك من ـ الخطب ٩٨ فقرة ٩، ١٧٨ فقرة ٥، ١٩٢ فقرة ٣، ٢١٠ فقرة ٣، ٢١١ فقرة ١، ٢٣٩ فقرة ٣، والحكمة رقم ٢٤٣.

(٢) رسائل ـ ٢٥.

كما يرى علي عليه السلام وهو القائل «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ»[(١)].

ب ـ حق النفس:

النفس الإنسانية، منبع كل خير وحكمة وعلم وهي في نفس الوقت «مثار الجهل والضلال والشقاء والشر»[(٢)] والقائد المحرك لكلا المتقابلين فيها، إحساس الفرد الداخلي بالمسؤولية، وهذا الإحساس هو مصدر الحق الذي خوله الله سبحانه وتعالى الإنسان، فإذا ما أراد التعايش في مجتمع تحكمه الأخلاق فعليه أولاً أنْ يبدأ بنفسه لأنّ «مُعَلِّمَ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبَهَا أَحَقُّ بِالإِجْلاَلِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ»[(٣)] فالحقّ الأوّلي والرئيسي البدء بالنفس، وقد أجمل علي بن الحسين زين العابدين حقوق النفس في قوله «وأَمَّا حَقُّ نَفْسِكَ عَلَيْكَ، فَأَنْ تَسْتَوْفِيَهَا فِيْ طَاعَةِ الله، فَتُؤَدِّي إِلَى لِسَانَكَ حَقَّهُ، وَإِلَى رِجْلِكَ حَقَّهَا، وَإِلى بَطْنِكَ حَقَّهُ، وَإِلَى فَرْجِكَ حَقَّهُ، وَتَسْتَعِيْنَ بالله عَلَى ذَلِكَ»[(٤)]. فالملاحظ هنا أنّ حق النفس يشمل كل ما يصدر عن الإنسان من قول أو فعل أو تصرف، وحتى التفكير الذي يسبق الإقدام على عمل ما، هو حق من حقوق النفس، فتجنب الغرور والزهو من حقوقها «لأَنَّ الشَّيءَ الّذي لاَ يُحْسَنُ أَنْ يُقَالَ وَإِنْ كَانَ حَقًّا مَدْحُ الإنسان نَفْسَهُ»[(٥)]، وحفظ اللسان في جميع المواطن حق من حقوقها لأنه «مَا شَيْ أَحَقُّ بِطُولِ

---

(١) ابن أبي الحديد ٢٠/ ٢٩٢.

(٢) حسن السيد علي القبانجي ـ شرح رسالة الحقوق ١/ ٧٢.

(٣) حكم ـ ٧١.

(٤) ابن شعبة الحراني ـ تحف العقول ص١٨٥.

(٥) ابن أبي الحديد ٢٠/ ٢٩٧.

سِجْنٍ مِنْ لِسَانٍ»[١] كما يقول علي عليه السلام، لأن سجن اللسان فيه صيانة للنفس من التلف، وتجنب الكوارث، وحفظ الأعراض، فرب «قَوْلٍ أَنْفَذُ مِنْ صَوْلٍ»[٢]. ولكل الحواس أهميتها في ضبط حقوق النفس، فإذا كان لكبح جماح اللسان قيمته الأخلاقية فإن للسمع والرؤية ـ كما يرى علي عليه السلام ـ قيمتها في التفريق بين ما هو حق وما هو باطل، من ذلك قوله «إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ إِلاّ أَرْبَعُ أَصَابعٍ، البَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ، وَالحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ»[٣]. وكما نلاحظ فإن المقولة تحوي صورة من أروع الصور الحسية القريبة من تصور كل إنسان، إذ بوضع أصابع الكف الأربع على الخد بين الأذن والعين يعرف الحق من الباطل، فالرؤية في مجال الشهادة حق، أما السماع فباطل. ففكر علي عليه السلام تجاه حق النفس ينطلق ـ كما نعتقد ـ من كون الإنسان فرد في مجتمع تؤثر علاقاته مع نفسه على علاقاته بالآخرين سلباً وإيجاباً بمدى معرفته لنفسه وما عليه من حقوق نحوها.

ج ـ حق الوالد وحق الولد:

إذا تمكن الإنسان من إيفاء نفسه حقها بإنزالها المنـزلة التي تستحقها، استطاع أيضاً من إيفاء حق الآخرين عليه ابتداء بمحيطه الأسري. فمن الحقوق الأخلاقية الواجبة على الإنسان تجاه أسرته، حق الولد على الوالد، ولا نعني بالحق هنا تهيئة الملبس والمسكن، فتلك حقوق مفروغ

---

(١) السابق ٢٠/ ٢٦٣.

(٢) حكم ـ ٤٠٢.

(٣) خطب ـ ١٤١.

من تأديتها تجاه من نعولهم، ولكن ثمة حقوق أخلاقية الهدف من ورائها إعداد الفرد ليتحمل مسؤوليته في المجتمع، وهي الحقوق التي يرمي علي عليه السلام إلى توضيحها من خلال فكره الأخلاقي حين يقول «حَقُّ الوَلَدِ عَلَى الوَالِدِ أَنْ يُحَسِّنَ اسْمَهُ وَيُحَسِّنَ أَدَبَهُ وَيُعَلِّمَهُ القُرآنَ»[1]. فحقوق الإبن على أبيه تتمثل في إعداده للحياة، وتهيئة نفسه تهيئة سوية. فتحسين الاسم يعني في مضمونه تجنيبه الإنفعالات النفسية، من مضايقات الناس، الذين يجنحون إلى كل ما هو حسن وجميل، وينفرون من كل ما هو قبيح في منظره وفي تسميته، ثم أن الأدب المتضمن جميع القيم الخلقية والمعاملات الإنسانية، يكسب الإنسان القبول والإحترام في مجتمعه، أما العلم فهو السلاح الذي يستطيع به دفع غائلة الزمن بتخطي صعوبات الحياة، ويلاحظ أن علياً عليه السلام قد قصر واجب الأب على التعليم الأساسي ابتداء بالقرآن الكريم، لكون ذلك التعليم الإبتدائي يأتي من الإكتساب المفروض والمقرون بالمراقبة، لأن سن المتعلم تتطلب ذلك، أما اكتساب التعليم التالي لتلك المرحلة فينبع من ذات الفرد، وإقناعه الفكري بتوجيه نفسه بنفسه. وفي المقابل أيضاً فإن للوالد على الولد حقوقاً يجب أن يستوفيها كاملة من أهمها، في فكر علي عليه السلام، الطاعة، «فِيْ كُلِّ شَيءٍ إِلاَّ فِيْ مَعْصِيَةِ الله سُبْحَانَهُ»[2] وتأدية الطاعة بمفهومها الشامل لا تعني ـ كما نعتقد ـ رد الجميل على ما بذله الوالد تجاه ولده، لأن ما أعطاه الأب لابنه، هو في جوهره حق من حقوقه الإنسانية، وأما ما يقوم به الإبن تجاه

---

(١) حكم ـ ٤٠٧.

(٢) حكم ـ ٤٠٧.

أبيه من طاعة فهو حق من حقوق الأب الطبيعية، لأن الأب في أوامره ونواهيه، إنما يضع مصلحة الإبن فوق مصلحته الذاتية، وتتمثل القيمة الحقيقية للابن في نفس الأب في قول علي عليه السلام لابنه الحسن ضمن وصيته له» . . . وَجَدْتُكَ بَعْضِيْ، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّيْ، حَتّى كَأَنَّ شَيْئاً لَو أَصَابَكَ أَصَابَنِي وَكَأَنَّ المَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي»[1] فالحقوق التي يعنيها علي عليه السلام ويوجب على الإبن تأديتها، إنّما يعني قبوله للنصح وتمثله للأخلاق، علاوة على ذلك البر به وبأمه واحترام التقاليد الأسرية، فمتى صار التجاوب بين الأطراف داخل المجتمع الصغير منسجماً، بتأدية حقوق كل لكل، فإنه لا محالة من انعكاس ذلك التجاوب على جميع محاور المجتمع الكبير ابتداء بالأصدقاء.

د ـ حق الصديق:

الصداقة من العلاقات المقدسة التي حضّ الإسلام على التمسك بها وتعهدها ورعايتها[2]، وقد أولاها آل البيت أهمية كبيرة وجعلوا لها من الحقوق ما يصعب حصره ويثقل تحمله إلا على أولي العزم من المخلصين في إيمانهم، الذين يتحلون بأعلى درجات الكمال الأخلاقي، فمما يؤثر عن جعفر الصادق قوله في حق الصديق «أَنْ تُحِبَّ لَهُ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَتَكْرَهَ لَهُ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ. . . وَأَنْ تَتَجَنَّبَ سُخْطَهُ وَتَتَّبِعْ مَرْضَاتَهُ وَتُطِيْعَ أَمْرَهُ. . . وَأَنْ تُعِيْنَهُ بِنَفْسِكَ وَمَالِكَ وَلِسَانِكَ وَيَدِكَ وَرِجْلِكَ. . . وَأَنْ تَكُونَ

---

(١) رسائل ـ ٣١ فقرة ٢.

(٢) للأهمية التي أولاها الإسلام للصداقة، فقد اعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن من بر الابن بوالديه في حياتهما ومماتهما إكرام أصدقائهما ـ راجع مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/ ٤٩٨.

عَيْنَهُ وَدَلِيْلَهُ وَمِرْآتَهُ... أَنْ لاَ تَشْبَعَ وَيَجُوعُ، وَلاَ تَرْوَى وَيَظْمَأُ، وَلاَ تَلْبَسْ وَيَعْرَى... أَنْ يَكُونَ لَكَ خَادِمٌ وَلَيْسَ لِأَخِيْكَ خَادِمٌ، فَوَاجِبٌ أَنْ تَبْعَثَ خَادِمَكَ فَيَغْسِلَ ثِيَابَهُ وَيَصْنَعَ طَعَامَهُ وَيُمَهِّدَ فِرَاشَهُ... أَنْ تَبِرَّ قَسَمَهُ، وَتُجِيْبَ دَعْوَتَهُ وَتَعُودَ مَرِيْضَهُ، وَتَشْهَدَ جَنَازَتَهُ، وَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ لَهُ حَاجَةً تُبَادِرُهُ إِلَى قَضَائِهَا وَلاَ تُلْجِئْهُ أَنْ يَسْأَلَكَهَا، وَلَكِنْ تُبَادِرُهُ مُبَادَرَةً»[1]. وقد تكون تلك الحقوق فوق طاقة الإنسان العادي، إلا أنها تهدف إلى إرساء دعائم مجتمع قوي متضامن لو أخذ بمعظمها، وفكر جعفر الصادق عليه السلام تجاه الصديق لم يكن سوى رافد من روافد فكر جده علي عليه السلام في تقديسه للصداقة[2] التي أجمل حقوقها في قوله «لاَ يَكُونُ الصَّدِيْقُ صَدِيْقًا حَتّى يَحْفَظَ أَخَاهُ فِيْ ثَلاَثٍ: فِيْ نَكْبَتِهِ، وَغَيْبَتِهِ، وَوَفَاتِهِ»[3] فالحقوق التي ذكرها علي عليه السلام تحوي جميع القيم الخلقية التي يحتاجها الفرد في بناء علاقات قوية ومتينة يشعر من ممارسته لها بإنسانية، فيعمل بتلقائية ورحابة صدر على تعميق جذورها، فتمتد لتشمل جميع الناس، في مجتمع مثالي يرتكز على الحب والخير والصلاح، فلا أنانية، ولا استئثار يضيع الحقوق اتكالاً على ما بين الأصدقاء من علاقات[4].

فالصداقة إذا ما بنيت على دعامة أخلاقية راسخة وقوية فستبقى ثابتة تحت أية ظروف. والصديق الذي يتوخاه علي عليه السلام لنفسه، ويريد من

---

(١) الكليني ـ أصول الكافي ٢/ ١٦٩.

(٢) راجع ص٥١٠ من هذا البحث.

(٣) حكم ـ ١٣٢.

(٤) راجع رسائل ٣١ ـ الفقرة ٢٣.

جميع الناس أن يكونوه، هو الذي بادر برسمه وعدد مزاياه في نص متكامل أراد من خلاله أن يجسد صورة الصديق المثالي الذي يتوخاه[(١)]، فحقوق الصداقة في جوهرها حقوق أخلاقية، حاول علي عليه السلام جاهداً ترسيخها في نفوس الناس، توقاً لبناء مجتمع سليم تحكمه الأخلاق وتقيده القيم.

هـ ـ حق المجتمع:

تتكون العلاقات الإجتماعية السليمة من توازن الفرد مع نفسه ومن ثم مع محيطه الأسري فمعارفه وصداقاته، فينعكس ذلك التوازن على المجتمع، لأن الإنسان، وفي خضم اختلاطه وتعامله يدرك بما لديه من خلفيات أخلاقية مكتسبة، حقوق الآخرين عليه، ومن ثم يعرف أن مركزه الإجتماعي يجب أن يتولد من دوره داخل المجتمع، فلا يرضى بالوساطة أو المحسوبية للوصول إلى المركز، لأن لكل فرد حق، وحقه هو أن يأخذ نصيبه وافياً شريطة أن لا يكون على حساب حقوق الآخرين لأن «بُلُوغَ أَعْلَى المَنَازِلِ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ أَكْبَرُ أَسْبَابِ الهُلْكَةِ»[(٢)]. والهلكة التي يرمي علي عليه السلام إليها ـ كما نعتقد ـ هي الإنهيار الأخلاقي الذي سيصيب المجتمع بتفشي الرشوة والتفسخ الأخلاقي، وشيوع الفوضى والجهل بين من انيطت بهم مسؤوليات بناء المجتمع لافتقارهم إلى الكفاءة التي تؤهلهم للقيام بمهامهم، ولاتقاء ذلك يرى علي عليه السلام أن من حق المجتمع عليك أن تدقق في الأمور وأن تضع كل شيء في موضعه المناسب بالأخذ والعطاء المتكافئين طبقاً للإمكانات المتاحة من علم وخبرة وإدراك واطلاع، بحيث

---

(١) راجع حكم ـ ٢٩٧.
(٢) ابن أبي الحديد ـ ٢٠/ ٢٨٧، ٣٢١.

يكون الدافع الداخلي هو المحرك لكل فرد في معرفة قدراته دون الميل إلى هوى النفس وذلك هو المؤهل الإجتماعي الحقيقي، كما نفهمه من قول علي عليه السلام «أُنْظُرْ مَا عِنْدَكَ فَلا تَضَعْهُ إلاّ فِيْ حَقِّهِ، وَمَا عِنْدَ غَيْرِكَ فَلاَ تَأْخُذْهُ إلاّ بِحَقِّهِ»[١] فقوله (عندك وعند غيرك) يعني العلاقة الإجتماعية الترابطية بين الفرد والمجتمع المتمثل في الغير، وهذه العلاقة ـ كما يتهيأ لنا من المقولة ـ لا تقتصر على النواحي المادية، بل تتعداها إلى جميع الحقوق الإجتماعية والأخلاقية. والحقوق الإجتماعية والأخلاقية في فكر علي عليه السلام كما هي مبثوثة في النهج ـ متنوعة بتنوع أساليب الحياة. ومنها:

و ـ حق العلم:

العلم ـ في فكر علي عليه السلام ـ من الأمور العقلية التي تحتاج إلى ممارسة ومران دائمين، ومن حقه على الفرد صيانته من التدنيس، ورفعه فوق مستوى المادة، وعدم استخدامه في مضرّة الآخرين، أو حتى إتاحته للذين يجهلون قيمته ولا يعرفون مدى خطورته، فيتخذونه سلّماً للوصول إلى غاياتهم الدنيئة ويمكننا إدراك ذلك من قوله «لاَ تُحَدِّثْ بِالعِلْمِ السُّفَهَاءَ فَيُكَذِّبُونَكَ، وَلاَ الجُهَّالَ فَيَسْتَثْقِلُونَكَ، وَلَكِنْ حَدِّثْ بِهِ مَنْ يَتَلَقَّاهُ مِنْ أَهْلِهِ بِقَبُولٍ مَعَهُمْ. . . فَإِنَّ لِعِلْمِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، كَمَا أَنَّ فِيْ مَالِكَ عَلَيْكَ حَقّاً»[٢]، فالعلم بالنسبة للعالم، كالمال بالنسبة لأي إنسان يمتلكه، يجب أن يراعيه بصيانته ووضعه في مواضعه السليمة التي لا تجلب للناس المضرة والشر. ومن حقوق العلم الأخلاقية أيضاً، حق العالم على المتعلم، وكما يبدو في

---

(١) ابن أبي الحديد ـ ٢٠/ ٢٨٧، ٣٢١.

(٢) السابق.

فكر علي عليه السلام، فإنّ ذلك الحق يجب أنْ ينبع من ذات المتعلم باقتناعه بأهميته في عملية التحصيل فالتحصيل العلمي الخالص لوجه العلم - يجدر بطالبه أن يراعي حق من يأخذ عنه «بِأَلاَّ يُكْثِرَ عَلَيْهِ السُّؤَالَ، وَلاَ يُعَنِّتْهُ فِيْ الجَوَابِ، وَلاَ يَغْتَابَ عِنْدَهُ أَحَدًا، وَلاَ يَطْلِبَ عَثْرَتَهُ. . .»[1] بالإضافة إلى تعظيمه وتوقيره، طالما صان ذلك العالم علمه وراعى فيه حدود الله.

حق الأمة وحق الوالي

لكن الحياة لا تستقر، والإنسان لا يطمئن، والأعراض لا تصان والعلم لا ينتشر إلا إذا ضمنت الحكومة حقوق الناس، وضمن الناس حقوق الحكومة، وتبدو هذه الحقوق المتبادلة من أهم الحقوق الأخلاقية في فكر علي بن أبي طالب، ويمكن استخلاص ذلك من قوله «وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الحُقُوْقِ حَقُّ الوَالِيْ عَلَى الرَّعِيَّةِ وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الوَالِي، فَرِيْضَةٌ فَرَضَهَا الله - سُبْحَانَهُ - لِكُلٍّ عَلى كُلٍّ، فَجَعَلَهَا نِظَاماً لإِلْفَتِهِمْ وَعِزّاً لِدِيْنِهِمْ. . . فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الوَالِيْ حَقَّهُ، وَأَدَّى الوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّيْنِ وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ العَدْلِ. . . فَصَلُحَ بِذلِكَ الزَّمَانُ»[2] فالعمل بالدين، وانتشار العدل وصلاح المجتمع كلها عناصر خلقية، تعتمد في الدرجة الأولى على تبادل حقوق التزامية تفرضها طبيعة الحياة على كلا الطرفين لأنهما يكملان بعضهما

---

(١) السابق ٢٠/ ٢٧٣، ٢٦٩.

(٢) خطب - ٢١٠ فقرة ٢ وراجع أيضاً ضمن الخطبة ما سيؤول إليه المجتمع من انهيار في حالة تضييع الوالي لحق الرعية وتضييع الرعية لحق الوالي في نفس الفقرة.

البعض ابتغاء الخير والسعادة للإنسان والإنسانية، وهذه الحقوق ـ كما يراها علي عليه السلام ـ هي:

أولاً ـ حق الأمة على الوالي:

لن نعرض هنا إلا للحقوق المتصلة اتصالاً مباشراً بالجانب الأخلاقي[١]، المتمثل ـ أولاً وقبل كل شيء ـ في وجوب تواضع الحاكم للمحكومين، وعدم الترفع عليهم وازدرائهم بالنظر إليهم من عمل بحكم مركزه السياسي، يقول علي عليه السلام بشأن الحقوق المفروضة على الوالي «أَنْ لا يُغَيِّرَهُ عَلَى رَعِيَّتِهِ فَضْلٌ نَالَهُ وَلاَ طَوْلٌ خُصَّ بِهِ، وَأَنْ يَزِيْدَهُ مَا قَسَمَ الله لَهُ مِنْ نِعْمَةٍ دُنُوّاً مِنْ عِبَادِهِ وَعَطْفًا عَلَى إِخْوَانِهِ»[٢] ويترتب على ذلك رفع الظلم عن كاهل المستضعفين برد الحقوق وإنصاف المظلوم والإنتصاف من الظالم[٣]، دون اعتبار لقرابة أو صداقة أو محسوبية بإلزام «الحَقُّ مَنْ لَزِمَهُ مِنْ قَرِيْبٍ أَوْ بَعِيْدٍ»[٤] بالإضافة إلى ذلك فمن حق الأمة على الوالي إرشادهم بالنصيحة الخالصة، وإزالة الجهل من نفوسهم، وزرع الفضيلة ونشرها فيما بينهم[٥] باللين والعطف أو بالقوة إن اقتضت الضرورة لذلك فإذا ما تأكدت تلك الحقوق من قبل الحكومة تجاه المحكومين، وجب على المحكومين في المقابل تأدية ما عليهم من الحقوق تجاه الحكومة.

---

(١) لأننا عرضنا للحقوق من الناحية السياسية في ص٣٨٢ وما بعدها من هذا البحث.

(٢) رسائل ـ ٥٠.

(٣) راجع الخطبة ـ ١٣٦.

(٤) رسائل ـ ٥٣ الفقرة ٣١.

(٥) راجع الحقوق التي فرضها علي عليه السلام لرعيته على نفسه ضمن الخطبة ٣٤، الفقرة ٢.

ثانياً ـ حق الوالي أو الحكومة على الأمة:

ويكمن ذلك الحق ـ كما يبدو في فكر علي عليه السلام ـ في ثلاثة بنود يجمعها قوله «الوَفَاءُ بِالبَيْعَةِ، والنَّصِيْحَةُ فِيْ المَشْهَدِ وَالمَغِيْبِ وَالإِجَابَةُ حِيْنَ (يُدْعَوْنَ) وَالطَّاعَةُ حِيْنَ (يُؤْمَرُونَ)»[1] ذلك على أساس أن الحكومة قد أدت حقوقها وقامت بالتزاماتها تجاه الأمة.

فالحق بمعناه الخلقي في فكر علي عليه السلام ـ كما يبدو في نهج البلاغة ـ واسع وعميق ومتعدد الميادين التي يصول الإنسان فيها ويجول، آخذاً في طريقه بجميع القيم الإنسانية التي يحتاجها الفرد كزاد يغذي الروح لتتمكن من الثبات بإحكام في مواجهة مغريات الحياة، متفاعلة مع مجتمعها تفاعلاً إيجابياً يعود بالخير العميم على كل الشرائح الإجتماعية. ولكن لن يتأتى للعدل والحق أن يصانا إلا إذا جعلا من التقوى سياجاً لهما.

ثالثاً ـ التقوى:

يفسر المعجم اللغوي التقوى بالحذر والخوف[2]، وهو بذلك لا يعطي للمعنى بعده الأخلاقي، أما المعنى الشرعي للتقوى فهو «حِفْظُ النَّفْسِ مِمَّا يُؤْثِمُ بِتَرْكِ المَحْظُوْرِ»[3] وهو تعريف يتفق مع التعريف الأخلاقي الحديث لهما، والمتمثل في القول بأنها «سُلْطَةٌ تُطَالِبُ مِنْ أَعْمَاقِ القَلْبِ، بِتَقْدِيْمِ حِسَابَاتٍ، وَيَقُومُ أَسَاسُهَا الأَوَّلُ ذُو الجَوْهَرِ الدِّيْنِيْ فِي النَّفْسِ

---

(١) خطبة ٣٤ الفقرة ٢.

(٢) راجع لسان العرب المحيط ٣/ ٩٧١، المعجم الوسيطة ٢/ ١٠٥٢.

(٣) الراغب الأصفهاني ـ المفردات في غريب القرآن ص٨٣٣.

الإنسانيَّةِ التي لاَ تَنفَكُّ تُنَفِّذُ وَتُرَاقِبُ»[1] فالتقوى على هذا الأساس شعور داخلي تكمن فيه «قوة من غريب أمرها أنها تجمع بين هذه السلطات الثلاث: السلطة التشريعية، والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية»[2] فعن طريق هذا الشعور تُمَيَّز بين الخير والشر، وبها أيضاً تنـزع إلى طريق الصواب، فبالتقوى يتمكن الفرد من الحكم على صحة الطريق الذي يسلكه في معاملاته وتصرفاته، فهي تعاقب عقاباً معنوياً قوامه وخز الضمير، وتثيب ثواباً معنوياً أساسه الإطمئنان وراحة الضمير. فالتقوى بمفهومها هذا، أصل الأخلاق، فلو تصورنا أن القيم الخلقية مجموعة من الفروع والأغصان المورقة المغدقة، فإن التقوى ستكون لا محالة الجذع الذي تنبثق من أصوله تلك الأغصان وتتغذى منه، فهي الشريان الحيوي الذي يمد الأخلاق بالنبض ويجعلها في كفاح دائم ومستمر ضد كل أساليب الحياة الملتوية، في كل زمان، وفي أي مكان، لأنها «عبارة عن ترك جميع الذنوب والمعاصي، وفعل ما يستطاع من الطاعات... واتقاء الأسباب الدنيوية المانعة من الكمال وسعادة الدارين بحسب سنن القوم»[3] فهي على ذلك ضابطة ومنظمة لحياة الإنسان في جميع نواحي الحياة الدنيوية، وإعداده لثواب الآخرة بتبصيره بالموبقات في الحياة الدنيا، وليس أدل على ذلك من قوله تعالى ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى

---

(١) مارسيل بوازار ـ إنسانية الإسلام ص٦٠.

(٢) منصور رجب ـ تأملات في فلسفة الأخلاق ٢٢٨.

(٣) محمد رشيد رضا ـ الوحي المحمدي ص٢١٣.

﴿الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[1]. فالتقوى، كما عدد القرآن الكريم مناحيها ـ إيمان صادق وتضحية بلا حدود، وقيم أخلاقية شاملة، فهي شعور مختلط يكمن فيه الدين بجميع أبعاده وقيمه. لذلك اعتبرها علي عليه السلام، هي والورع «مُخُّ الإِيْمَانِ... وَهُمَا مِنْ أَفْعَالِ القُلُوْبِ»[2] لأنهما ينبعان من ذات الإنسان، وبهما يتمكن من موازنة حياته مع نفسه ومع الجماعة من حوله.

لقد ركز علي عليه السلام على التقوى كأساس لكل المعاملات الإنسانية والعلاقات الإجتماعية، حتى غدت من السعة والإنتشار في نصوص النهج بحيث نشعر بنبضها ونحس حيويتها في كل تعبير أخلاقي حاول علي عليه السلام بثه في رعيته، وحض ولاته على الأمصار من خلاله، فوردت التقوى بصيغة الأمر المفرد والجمع، وبوصف قيمتها ومردودها الأخلاقي فيما يقارب من ثمانية وثمانين موضعاً[3]. وهو وإن لم يصف التقوى بالهيئة

---

(١) البقرة / ١٧٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٠/ ٣٤٧.

(٣) راجع الخطب: ٣ الفقرة ٢، ١٦ الفقرة الأولى في موضعين، والفقرة الثانية، ٢٤، ٢٧ الفقرة الأولى، ٣٢ الفقرة الثالثة، ٤٠ الفقرة الأخيرة، ٤١، ٦٣ في موضعين، ٧٩، ٨٢ الفقرة الثانية والسادسة في موضعين والثامنة والتاسعة والعاشرة، ٩٣، ٩٧، ١٠٩ الفقرة الأولى والثانية، ١١٠، ١١٣ الفقرة الثانية والثالثة والرابعة، ١١٥ الفقرة الأولى، ١١٩، ١٣٠، ١٣٢ الفقرة الثانية، ١٤٤ الفقرة الثالثة، ١٤٥ الثانية، ١٥١ الثانية والثالثة، ١٥٨ الثالثة في موضعين، ١٦٢ الثانية، ١٦٨ الرابعة، ١٧٥ الثالثة، ١٧٨ السادسة، ١٨٤ الخامسة، ١٨٥ الثالثة في ثلاثة مواضع، ١٨٧ صدر الكلام في=

التي وصفها القرآن الكريم بها، إلا أنه قد اعتبرها علاجاً للقلب وللروح والجسد والنفس كما في قوله «فَإِنَّ تَقْوَى اللهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوْبِكُمْ وَبَصَرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ وَشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ، وَصَلاَحُ فَسَادِ صُدُوْرِكُمْ، وَطَهُوْرُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ وَجَلاَءُ عَشَاءِ أَبْصَارِكُمْ، وَأَمْنُ فَزَعِ جَاشِكُمْ وضِيَاءُ سَوَادِ ظِلْمَتِكُمْ»[1] فباستيعاب دقيق وشامل قد ضمن التقوى في المعاني الإنسانية التي يحتاجها الفرد والمجتمع كزاد روحي هدفه السعادة والخير ونكران الذات، بتجنب الأنانية والبغضاء والحسد على اعتبار إنها علاج كل داء أخلاقي فردي كان أم اجتماعي، أما تركه لوصف فروع التقوى، وتركيزه على مفعولها فلانه ـ كما نعتقد ـ يدرك أن من يستمعون إليه، يفترض فيهم معرفة معاني القرآن الكريم، لأنهم مسلمون، لذلك ترك أمر التفصيلات داخل التقوى إلى القرآن مركزاً على آثارها الأخلاقية. فالتقوى هي «الفضيلة الأم التي تتكاثف فيها كل الوصايا»[2] الأخلاقية، كما تبدو في فكر علي عليه السلام، وهي أيضاً الأساس الذي يربط الإنسان بمختلف علاقاته الإجتماعية كما في قوله «لاَ يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سَنْخُ أَصْلٍ ـ وَلاَ يَظْمَأُ عَلَيْهَا

= موضعين، ١٨٨ الثانية ١٨٩ الرابعة، ١٩٠ الثانية، ١٩٢ الثانية في ثلاثة مواضع والثالثة، ١٩٣ الثانية، ١٩٨، ٢٢٥، ٢٢٧ الأولى: ٢٣٦ الأولى، ٢٣٨ الثالثة، ٢٣٩ الثالثة في ثلاثة مواضع ٢٤٠ الثانية. ورسائل: ١٢، ٢٥، ٢٦، ٢٧ الثانية، ٣٠، ٣١ الثالثة والسابعة، ٣٢، ٤١، ٤٥ الثانية والسابعة، ٤٧ الأولى والثانية، ٥٣ الثانية، ٥٥، ٥٦. حكم: ٩٣، ١١١، ٢٠١، ٢٠٨، ٢٤١، ٢٦٨، ٣٥٠، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٩٥، ٤١٨.

(١) خطب ـ ١٩٢ ـ فقرة ٢، جلا ـ كشف وإظهار ـ عشاء، يعشو، عشوا، ساء بصره ليلاً أو نهاراً، جأشكم ـ خوفكم.

(٢) محمد دراز ـ دستور الأخلاق في القرآن ص٦٨١.

زَرْعُ قَوْمٍ»[١] فهي منبع كل حقيقة أخلاقية، وهي المعول عليها في فكر علي عليه السلام، لبقاء شجرة القيم في ورائها وأصالتها، تظلل الإنسانية بفيئها، وتعتمد على عمقها في النفس لتثبيت كل ما هو خير، لذلك فإن انطماس معالمها في نفوس الناس، ينجر عنه تفشي النفاق، والضلال والزلل، والتلون والفتنة والكيد والحسد، فيحل الدمار والدموع والظلم والباطل بأساليبه المختلفة[٢] وذاك هو الإنهيار الحقيقي الذي ليس بعده قائمة، لأن «التُّقَى رَئِيسُ الأَخْلاَقِ»[٣] والموجّه لها والمتحكّم في زمامها.

لقد عرض علي عليه السلام في خطبه ورسائله ووصاياه وحكمه لجميع القيم الخلقية من شجاعة، وصدق وأمانة ووفاء وكرم وتواضع وحلم. . . إلا أنه قد جمع تلك القيم في العدل والحق اللذين يرتضعان من أم الأخلاق التقوى فجمعا معها كل المعاني الإنسانية والقيم الخلقية التي تهدف في الأساس إلى تنشئة الإنسان وتربيته تربية مثالية.

---

(١) خطب ١٦ فقرة ٢ ـ والنسخ الأصل والمثبت لكل شيء.

(٢) راجع خطب ١١٨ فقرة ٢.

(٣) حكم ـ ٤١٨.

الفصل الثالث

التربية في فكر علي بن أبي طالب كما تبدو في نهج البلاغة

التربية ومراميها الأساسية

التربية عملية معقدة تتداخل ضمنها عدة علوم إنسانية ترمي «إلى مساعدة الطفل والمراهق والبالغ على تكوين شخصيتهم وتنميتها»[(١)] من حيث العقل والسلوك والوجدان والعلاقات الإجتماعية، وهي من وجهة نظر إسلامية، موازنة الفرد نفسه بين المطالب الدنيوية والمطالب الأخروية طبقاً لقوله تعالى ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾[(٢)]. وذلك التوازن الدقيق يقتضي، بطبيعة الحال، تدريب ومران، على يد عدة جهات، إذ لا يتأتى للفرد أن يعلم نفسه بنفسه، ولابد

---

(١) يوسف خياط ـ معجم المصطلحات العلمية ص٢٦١.

(٢) القصص / ٧٧.

له ـ على الأقل ـ في البداية من يأخذ بيده ويضعه على الطريق، وذلك العمل من أولويات الواجبات التي تُناط بالأسرة في الإسلام، فمن واجب الآباء أن يراعوا أبناءهم في كل مرحلة من مراحل نموهم، ويغذوهم بما يحتاجونه من زاد ثقافي وأخلاقي بما يتناسب وكل مرحلة، فبصدد مراحل النمو وعلاقتها بالتربية يقول جعفر الصادق عليه السلام «يَثْغَرُ الغُلاَمُ لِسَبْعٍ، وَيُؤْمَرُ بِالصَّلاَةِ لِتِسْعٍ، ويُفَرَّقُ بَيْنَهُمْ فِيْ المَضَاجِعِ لِعَشْرٍ، وَيَحْتَلِمُ لأَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةٍ، وَمُنْتَهَى طَوْلِهِ لاثْنَتَيْنِ وَعِشْرِيْنَ سَنَةٍ، وَمُنْتَهَى عَقْلِهِ لِثَمَانٍ وَعِشْرِيْنَ سَنَةٍ إِلاّ التَّجَارِبَ»[1] فالتربية كما نلاحظ متمشية مع نمو الفرد، بحيث لا تنفك عن مراقبته منذ طفولته الأولى حتى سن المراهقة، ومن ثم تزويده بالخبرات التي تمكنه من العيش في محيطه الذي ينشأ فيه، ذلك من ناحية السلوك الإجتماعي وعلاقته بتطور السن، إلا أن السلوك لا يكون كافياً ما لم يكن مقروناً بالثقافة ومرحلية توصيلها، وهنا أيضاً يستوقفنا قول جعفر الصادق عليه السلام «الغُلاَمُ يَلْعَبُ سَبْعَ سِنِيْنٍ، وَيَتَعَلَّمُ الكِتَابَ سَبْعَ سِنِيْنٍ، وَيَتَعَلَّمُ الحَلاَلَ وَالحَرَامَ سَبْعَ سِنِيْنٍ»[2] وقد يبدو العلم في المقولة مقصوراً على العلوم الدينية، إلا أننا بتوسعنا في الكلام عن التربية سنجد أن جده علي بن أبي طالب قد كان يعني بالعلم في مقولاته المتعددة جميع المعارف الدينية والدنيوية، فقوله «تَعَلَّمُوا العِلْمَ، وَلَوْ لِغَيْرِ الله فَإِنَّهُ سَيَصِيْرُ للَّهِ»[3] يعني به ـ كما نعتقد ـ جميع أصناف العلوم العقلية والنقلية، والتي إذا ما استخدمت لمصلحة الإنسان فهي لله سبحانه وتعالى. فالأهداف الأساسية في التربية

---

(١)،(٢) الكليني ـ فروع الكافي ٦/ ٤٦، ٤٧، ويثغر ـ تسقط أسنانه لتنبت مكانها أسنان أخرى.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢٠/ ٢٦٧.

الإسلامية تنشئة فرد متزن السلوك حسن الخلق صحيح الجسم سليم العقل مثقف، وفي مجال عمله على وجه الخصوص، وهذه المسؤولية الخطيرة ـ كما تبدو في فكر علي عليه السلام ـ ليست قصراً على الأسرة وحدها، لأنه يرى ـ كما نعتقد ـ إن تهيئة الحياة السعيدة وإزالة الجهل من النفوس، والمحافظة على القيم، هي من حقوق الأمة التي يجب أن تلتزم بها الحكومة، ففي تبيانه الحقوق الملزم بأدائها تجاه من يحكمهم يقول «أَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيْحَةُ لَكُمْ، وَتَوْفِيْرُ فَيْئِكُمْ، وَتَعْلِيْمُكُمْ كَيْلاَ تَجْهَلُوا، وَتَأْدِيْبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا»[١] فالتوجيه والتعليم والتأديب هي ركائز التربية التي ألزم بها نفسه كحقوق واجب عليه: الوفاء بها نحو الأمة، وللاهتمام البالغ الذي أولاه للتربية، فقد اعتبرها أنبل الصناعات، على اعتبار أن «لِكُلِّ شَيْءٍ صِنَاعَةٌ، وَحُسْنُ الإخْتِيَارِ صِنَاعَةُ العَقْلِ»[٢] أي تنشئة الإنسان بتنمية مداركه، وتقويم أخلاقه، منذ نعومة أظافره. ويمكن دراسة الجوانب التربوية ـ كما تبدو في نهج البلاغة ـ في عنصرين متكاملين، يهدفان إلى نتيجة واحدة غايتها الإنسان وسعادته.

العنصر الأول: وينصب على تنمية شخصية الفرد

بهدف بنائها بناء تكاملياً يتناسب وظروف العصر الذي يعيش الفرد فيه، انطلاقاً من قوله إلى الآباء «لاَ تُقْسِرُوا أَوْلاَدَكُمْ عَلَى آدَابِكُمْ فإِنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ لِزَمَانٍ غَيْرِ زَمَانِكُمْ»[٣] وهو لا يعني بمقولته أن يترك الحبل على

---

(١) خطب ـ ٣٤ ـ الفقرة ٢.

(٢) شرح بن أبي الحديد ٢٠/ ٣٣٤، ٢٦٧.

(٣) شرح بن أبي الحديد ٢٠/ ٣٣٤، ٢٦٧.

الغارب للأبناء كما يشاؤون متنكرين لأصالتهم، نابذين تقاليدهم، فالهدف الذي يرمي إليه عليعليه السلام من المقولة ـ كما نعتقد ـ هو محاولة الآباء التفاهم مع العصر الذي يعيشه الأبناء بما يتمشى والتطورات العصرية التي تحدث فيه، شريطة عدم التنكر للأصالة، فإيمانه بمزايا تطور العصر في تربية الأبناء، لم يحجب رؤاه الفكرية عن أن «مِنْ كَرَمِ المَرْءِ بُكَاؤُهُ عَلَى مَا مَضَى مِنْ زَمَانِهِ، وَحَنِيْنُهُ إِلى أَوْطَانِه، وَحِفْظُ قَدِيْمِ إِخْوَانِهِ»[1] فالتطور ـ كما يبدو في فكر عليعليه السلام ـ يجب أن يكون نابعاً من الداخل مع الإرتباط بالجذور، التي تمنح الإنسان هويته المتميزة من حيث التفرد بخصائص معينة تمنحه الإستقلالية، في نفس الوقت الذي تمده فيه بميزات مشتركة مع بقية أبناء مجتمعه، تجعل منه فرداً عاملاً. فانسجام التمايزات الفردية مع الخصائص الإجتماعية العامة تجعل الفرد متوازناً من حيث متطلباته الفردية وضروراته الإجتماعية، إلا أن نصوص نهج البلاغة لا تمدنا بنظريات مباشرة ومحددة في مجال التربية المتخصصة بتنمية الشخصية، وإعدادها للحياة، ولكن بتتبعنا لما ورد ضمن تلك النصوص من نصائح عملية تتصل بمسؤوليته كولي أمر لجميع عامة المسلمين، يمكن أن نستنتج كثيراً من المتطلبات التربوية التي تهدف إلى تنمية الشخصية تنمية متزنة، وأهم ما أمكننا التوصل إليه في ذلك الشأن يتمثل في أربعة محاور:

الأول ـ التربية البدنية:

يعطي الإسلام أهمية كبيرة جداً، لسلامة جسم الفرد، ويعتبرها من المميزات الرئيسية فيمن يناط به أي عمل، لاعتباره سلامة الأعضاء،

---

(١) السابق ٢٠/ ٢٧٤.

وصحة الجسم، أحد عنصري الكفاءة والقيادة، وفي قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾[1] ما يوحي، بِأَنّ المؤهل لخدمة الناس يجب أن يتمتع بالكفاءة العلمية بمعناها الشامل بالإضافة إلى صحة الجسم وسلامة الأعضاء، لذلك فقد حرص الرسول ﷺ على إقران التربية البدنية بالتربية العلمية كما جاء في قوله ﷺ «حَقُّ الوَلَدِ عَلَى وَالِدِهِ أَنْ يُعَلِّمَهُ الكِتَابَةَ والسِّبَاحَةَ وَالرِّمَايَةَ»[2] ويعتبر الفقهاء المسلمون سلامة أعضاء الجسم وحواسه من الشروط الرئيسية التي يجب أن تتوفر فيمن يرشح لمنصب الخلافة[3]. وإذا ما رجعنا إلى نهج البلاغة لنستفتيه بشأن التربية البدنية، فسنجد أن كل ما ورد فيه من نصوص تكاد تعالج الموضوع من نواح ثلاث هي:

أ ـ ناحية وقائية: يرمي علي عليه السلام من ورائها إلى تبصير الناس بكيفية المحافظة على اجسامهم من تقلبات الجو كما في قوله «تَوَقُّوا البَرْدَ فِيْ أَوَّلِهِ، وَتَلَقُّوهُ فِيْ آخِرِهِ، فَإِنَّهُ يَفْعَلُ فِيْ الأَبْدَانِ كَفِعْلِهِ فِيْ الأَشْجَارِ، أَوَّلُهُ يُحْرِقُ وَآخِرُهُ يُورِقُ»[4] وقد بنى استنتاجه ذاك ـ كما يتهيأ لنا ـ من خلال تأملاته الطبيعية أثناء مباشرته العمل في زراعة الأرض، ورؤيته عن كثب اثر التقلبات الجوية في الطبيعة.

ب ـ ناحية نفسية: وتعالج ما أصاب المجتمع من هزات عنيفة جراء

---

(١) البقرة / ٢٤٧.

(٢) المتقي الهندي ـ كنز العمال ٦/ ٤٤٣.

(٣) راجع ص١٨٠ من هذا البحث.

(٤) حكم ـ ١٢٦.

تدفق الثروات، والتي أدت بالفرد إلى التكالب على الدنيا باقتناء الضياع وجمع الأموال»[١] والنظر إلى ما في أيدي غيره من الناس[٢]، مما أشاع الجشع والحسد والحقد كأمراض نفسية تزعزع كيان الفرد وتحطم معنوياته من الداخل، لعدم قدرته على نيل ما يتمناه، مما يحيل حياته إلى جحيم دائم، وعذاب مستمر، لابد من تأثيره على صحته وتصرفاته بتفشي السرقة[٣] والرشوة، وأرجع علي عليه السلام كل ذلك إلى الحسد الذي نبه إلى خطورته في مواضع متعددة من النهج من ذلك قوله «العَجَبُ لِغَفْلَةِ الحُسَّادِ عِنْ سَلاَمَةِ الأَجْسَادِ»[٤] وهو يرى في موضع آخر من النهج أن «صِحَّةَ الجَسَدِ مِنْ قِلَّةِ الحَسَدِ»[٥].

ج ـ **ناحية عسكرية**: وتتمثل وجهة نظر علي عليه السلام تلك، من تصور عميق لحالة الإنهيار التي أشرف المجتمع عليها، جراء تمرغ أفراده في النعيم، ونبذهم الحياة الجادة وراء ظهورهم، بالتكالب على اقتناص الملذات، والجلوس حول الموائد المليئة بما لذ وطاب من المأكولات[٦] والتهرب بكل الوسائل من الدفاع عن البلاد في حالة الدعوة لذلك[٧]، وفي نهج البلاغة الكثير من الأمثلة التي حاول علي عليه السلام من خلالها علاج هذه

---

(١) راجع ص١٠٨ وما بعدها من هذا البحث.

(٢) راجع خطب ـ ٢٣ ـ فقرة ١.

(٣) راجع رسائل ـ ٤٠، ٤١، ٤٣.

(٤) حكم ـ ٢٢٣، ٢٥٥.

(٥) حكم ـ ٢٢٣، ٢٥٥.

(٦) راجع رسائل ـ ٤٥ ـ الفقرة ١.

(٧) راجع على سبيل المثال خطب ـ ٢٩.

المشكلة بإثارة النخوة الإسلامية[١] وإرجاع روح الفروسية العربية إلى نفوس شغلها حب الحياة عن أداء الواجب. وأوضح نص تربوي يبين فكر علي عليه السلام العسكري، المبني على تربية الأجسام على الخشونة وتعويدها حياة القوة المقرونة بجشوبة العيش قوله لمن عاب عليه أسلوبه في المأكل والملبس «أَلاَ وَإِنَّ الشَّجَرَةَ البَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوْدًا، وَالرَّوَائِعَ الخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُوْداً، والنَّبَاتَاتِ البَدَوِيَّةَ أَقْوَى وُقُوْدًا، وَأَبْطَأُ خُمُوْدًا»[٢] فالصورة تعني تعويد الأبدان الخشونة حتى تتمكن من التأقلم مع كل وضع، وتستطيع مواجهة غائلات الزمن بكل رحابة صدر وتتصدى لإغراءات المادة بكل حزم، أما النعيم والترف فيحيل الأجسام إلى الليونة والترف، فتميل إلى الدعة والإتكالية «فتذهب خشونة البداوة، وتضعف العصبية والبسالة»[٣] فتكون النهاية الحتمية التي كان علي عليه السلام يحاول تجنيبها الأمة، بتربية الأجيال تربية تعتمد البساطة أسلوباً، وهو وإن لم يستطع التصدي للتيار الجارف، فقد ترك فكراً يمكننا اعتباره زاداً تربوياً تنبني عليه أفكار الأجيال اللاحقة بما يتناسب وتطور الحياة.

الثاني - تربية عقلية:

شرف الله سبحانه العقل وأعلى من شأنه، وجعله من أعظم ما خلق من الأشياء، من ذلك ما رواه الكليني من حديث قدسي عن جعفر الصادق عن الرسول صلى الله عليه وآله قال «لَمَّا خَلَقَ اللهُ العَقْلَ اسْتَنْطَقَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ، فَأَقْبَلَ،

---

(١) راجع على سبيل المثال ـ خطب ٢٧، ٣٤، ٩٦، ١٠٩.

(٢) رسائل ـ ٤٥ ـ الفقرة ٣.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص١٧٦.

ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْبِرْ، فَأَدْبَرَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: وَعِزَّتِيْ وَجَلالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ، وَلاَ أَكْمَلْتُكَ إِلاَّ فِيْمَنْ أُحِبُّ، أَمَا إِنِّيْ إِيّاكَ آمُرُ، وَإِيّاكَ أَنْهَى، وَإِيّاكَ أُعَاقِبُ، وَإِيّاكَ أُثِيْبُ»[١] لذلك فقد أمرنا الله سبحانه بإعمال العقل للوصول إلى الإيمان به، كما ورد في قوله تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾[٢]، كما حثنا سبحانه بالرجوع إلى العقل كما في قوله ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٣]، ويرى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن قيمة الإنسان تكمن في حسن تصرفه وصلاح عقله كما في قوله «إِذَا بَلَغَكُمْ عَنْ رَجُلٍ حُسْنُ حَالٍ فَانْظُرُوا فِيْ حُسْنِ عَقْلِهِ، فَإِنَّمَا يُجَازَى بِعَقْلِهِ»[٤] لذلك اهتم آل البيت عليهم السلام بتربية العقل، على رأسهم علي بن أبي طالب، فمن مأثوراته التي بين فيها صفات العاقل ما رواه الكليني «أَنَّ مِنْ عَلاَمَةِ العَاقِلِ أَنْ يَكُوْنَ فِيْهِ ثَلاَثُ خِصَالٍ: يُجِيْبُ إِذَا سُئِلَ وَيَنْطِقُ إِذَا عَجِزَ القَوْمُ عَنِ الكَلاَمِ، وَيُشِيْرُ بِالرَّأْيِ الّذِي يَكُونُ فِيْهِ صَلاَحُ أَهْلِهِ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِيْهِ مِنْ هَذِهِ الخِصَالُ الثَّلاَثُ شَيءٌ، فَهُوَ أَحْمَقٌ»[٥] فالعاقل على ذلك الأساس هو من يتمكن من العمل بجميع المزايا الإنسانية والأخلاقية ويتمكن أيضاً من تأدية التزاماته تجاه ربه وتجاه نفسه، وتجاه مجتمعه بصدق وإخلاص، والعقل بكل ما أودعه الله فيه من طاقات وملكات لا

---

(١) الكليني ـ أصول الكافي ١/ ١٠.

(٢) العنكبوت/ ٢٠.

(٣) الروم/ ٢٨.

(٤) الكليني ـ أصول الكافي ١/ ١٢ ـ أي يجازى بأعماله بقدر عقله، فكل من كان عقله أكمل، كان ثوابه أجزل.

(٥) السابق ١/ ١٩.

حدود لها، فإنه يستطيع أن يمد الإنسان بالإرادة على فعل كل ما فيه مصلحته ومصلحة من حوله، شريطة أن يراعي بالتنمية وبالتوجيه السليم الذي يعود على الفرد وعلى المجتمع بالصلاح والسداد، لذلك فقد جعل علي عليه السلام للتربية العقلية مكانة في فكره التربوي، من ذلك أنه اعتبر العقل ـ وبطريقة عملية ـ الموجه الحقيقي الصادق لكل تصرفات الإنسان المتعلقة بوجوده وبجميع شؤون حياته. فالعقل ـ في فكر علي عليه السلام ـ موجه عادل ومتزن فهو «لاَ يَغِشُّ مَنِ اسْتَنْصَحَهُ»[١] وَبِالتَّالِيْ فَإِنَّ العَقْلاَنِيَّةَ هِيَ السمة التي تميز الإنسان عن سائر الحيوانات، لأن العقل يتعلم ويتعظ بالآداب «وَالبَهَائِمُ لاَ تَتَّعِظُ إِلاَّ بِالضَّرْبِ»[٢] فالتهذيب والتعليم بالكلام وبالممارسة يجديان فيمن يعمل عقله ويتأمل في الأشياء ومردوداتها، فيكون تعامله معها مبني على أسس موضوعية قوامها التفكير المتأني المتعقل، فالعقل كما يراه علي عليه السلام، هاد ودليل[٣] يمكن الإعتماد عليه في جميع مسالك الحياة، فهو يؤدي إلى الإيمان القوي الراسخ بالخالق سبحانه، فيما لو أعمل الإنسان عقله، وتأمل فيما حوله، واستبطن ذاته، وتفكّر في نشأته، ونشأة الكون من حوله، وقد استخدم علي عليه السلام في الكثير من نصوص نهج البلاغة، الأساليب المثيرة للتفكير والداعية للتأمل[٤]، كوسيلة من وسائل التربية المؤدية إلى الإيمان من ذلك قوله في نشأة الإنسان «أَيُّهَا المَخْلُوقُ السَّوِيُّ، وَالمُنْشَأُ المَرْعِيُّ فِيْ ظُلُمَاتِ الأَرْحَامِ، وَمُضَاعَفَاتِ الأَسْتَارِ، بُدِئْتَ

---

(١) حكم ـ ٢٨٩.

(٢) رسائل ـ ٣١ ـ الفقرة ٢٤.

(٣) راجع على سبيل المثال: رسائل ٧٨، حكم ٣٨، ٩٦، ٢٨٩.

(٤) راجع على سبيل المثال خطبة ـ ٢٢٠ ـ وما تضمنته من أسئلة تأملية.

مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِيْنٍ، وَوُضِعْتَ فِيْ قَرَارٍ مَكِيْنٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ... فَمَنْ هَدَاكَ لاجْتِرَاءِ الغَذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ؟ وَعَرَّفَكَ عِنْدَ الحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ...»[١] والإجابة عن الأسئلة تقتضي التفكير الموصل لا محالة إلى وجود خالق مدبر، يجدر بالإنسان شكره وطاعته والإيمان به، وهي زاوية من زوايا التربية العقلية في فكر علي عليه السلام.

ونظرة الإنسان إلى نفسه بعين العقل والتفكير، قبل الإقدام على أي عمل، والوقوف عند المجهول دون حيرة أو تردد[٢]، كل ذلك يجعل من الفرد قوة دافعة تكبح الشهوات، وتنأى بالنفس عن المزالق، فمن مستلزمات إنسانية الإنسان أن يحذر في كل تصرف إزاء نفسه وإزاء غيره «حَذَرَ الغَالِبِ لِنَفْسِهِ، المَانِعِ لِشَهْوَتِهِ، النَّاظِرِ بِعَقْلِهِ»[٣] لأن الإستجابة لنداء النفس شهوة، والشهوة نوع من أنواع العشق «وَمَنْ عَشَقَ شَيْئاً أَعْشَى بَصَرَهُ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيْحَةٍ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيْعَةٍ، قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ»[٤] وحتى يتفادى الإنسان ما تجلبه النفس من وبال الشهوات، عليه أن يقمعها، ولن يتأتى ذلك ـ كما يبدو لنا في فكر علي عليه السلام التربوي ـ إلا بالإعتماد على هدي العقل، إذ يقول «كَفَاكَ مِنْ عَقْلِكَ مَا أَوْضَحَ لَكَ سَبِيْلَ غَيِّكَ مِنْ رُشْدِكَ»[٥].

---

(١) خطب ـ ١٦٤ ـ فقرة ٣.

(٢) راجع رسائل ٣١ ـ الفقرة ـ ٤، ٧.

(٣) خطب ـ ١٦٢ ـ فقرة ٣.

(٤) خطب ـ ١٠٨ ـ فقرة ٣.

(٥) حكم ـ ٤٢٩.

ومعيارية العقل في فكر علي عليه السلام التربوي، ترى أن بإمكان الفرد أن يتفاعل مع مجتمعه ويعيش مع جميع فئاته عيشة يسودها الحب والإحترام إذا ما عول على فكره في تكوين علاقاته، واضعاً في اعتباره إمكانية التعامل مع كل فرد بحسب مستواه العقلي، وتتمثل وجهة نظر علي عليه السلام حول تلك الفكرة في أن «التَوَدُّدُ نِصْفُ العَقْلِ»(١).

وواقع الحياة ـ كما يبدو في فكر علي عليه السلام ـ سعي إنساني دؤوب من أجل العيش الكريم، في ظل علاقات متكاملة بين المخلوق وربه، وبين الفرد ونفسه، وبين الفرد ومجتمعه، ثم أن الفرد محتاج ـ أثناء رحلته الحياتية الشاقة ـ إلى جانب من الراحة الجسمية والعقلية، لدفع الملل والسأم والرتابة عن حياته، ويمكن للإنسان تهيئة متطلباته تلك تهيئة سليمة وعادلة بإعمال العقل، ونستطيع استخلاص ذلك من قوله «لَيْسَ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ شَاخِصًا إِلاّ فِيْ ثَلاَثٍ، مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ، أَوْ خُطْوَةٍ فِيْ مَعَادٍ، أَوْ لَذَّةٍ فِيْ غَيْرِ إِثْمٍ»(٢).

وخلاصة التربية العقلية ـ كما تبدو في فكر علي عليه السلام ـ أن على الإنسان أن يحرص على استغلال كل طاقاته الفكرية للتفاعل مع مجتمعه بالمساهمة البناءة والإستفادة من تجارب الآخرين استفادة عملية، لأنه يرى أن «العَقْلَ حِفْظُ التَّجَارِبِ، وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ»(٣) أي ما استفدت منه، فالعقل العالم العامل، هو الحريص على الإفادة من كل ما اكتسبه من

---

(١) حكم ـ ١٤٠.

(٢) حكم ـ ٣٩٦ ـ المقطع الثاني.

(٣) رسائل ـ ٣١ ـ فقرة ٢٢.

الحياة من تجارب و«الشَّقِيُّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ العَقْلِ وَالتَّجْرِبَةِ»[١].
فالتربية الجسمية والتربية العقلية هما العنصران الرئيسيان لبناء الشخصية ـ كما يبدو لنا ـ في فكر عليعليه السلام التربوي لأن العقل السليم في الجسم السليم، وإذا ما أتيح للعقل أن يعمل فإنه سيكون أرضاً خصبة للتربية العلمية.

الثالث ـ تربية علمية:

يضع الإسلام العلم في منـزلة سامقة، لما له من أهمية في حياة الأفراد والأمم، وتتجلى هذه الأهمية في أن أول آية نزلت من السماء، قد أسندت العملية التعليمية إلى الله سبحانه وتعالى في قوله «اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإنسان مَا لَمْ يَعْلَمْ»[٢]. ولأهمية العلم في حياة البشر فقد كرم الله العلماء، ورفع من مكانتهم لقوله تعالى ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[٣]. وهذه الدرجات جعلت مقارنتهم بغيرهم من بقية الناس في غير مكانها لقوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤] وبطبيعة الحال فإن الإستفهام في الآية يتضمن نوعاً من التهكم، مما يعني ضمنا تعذر المقارنة بين منـزلة العالم وغيره من بقية الناس، لأن المسؤولية المناطة بالعلماء جد خطيرة في جميع مجالات الحياة، لكونهم العقل المدبر الذي يخطط لجميع ميادين الحياة، بحيث يمكن اعتبارهم

---

(١) رسائل ـ ٧٨.
(٢) العلق/ ٣، ٤، ٥.
(٣) المجادلة/ ١١.
(٤) الزمر / ٩.

صناع الحضارة والقادة الحقيقيين للبشرية وبناة العقول الذين يعول على علمهم في انتشال العقول من براثن الجهل ووضع الإنسانية على الطريق الصحيح، لذلك فقد اعتبرهم الرسول ﷺ «وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ»[(١)] والوراثة العلمية أغلى وأندر من جميع الموروثات المادية الآيلة إلى الزوال حتماً مهما طال مكثها وبقي أثرها، وبسبب اهتمام الإسلام بالعملية التعليمية، فقد حاول العلماء المسلمون وضع الخطوط الرئيسية للمزايا والشروط التي يجب أن تتوفر في شخصية العالم الحق، مستلهمين ذلك من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وما أثر عن الصحابة والتابعين من أقوال وأفعال، وأهم هذه الشروط هي:

١ ـ النأي بالنفس عن حب الظهور، وتجنب الإطراء «إذ ينبغي أن يكون تعليمه لوجه الله تعالى، لا يريد بذلك رياء ولا رسماً ولا عادة ولا زيادة ولاجاه»[(٢)].

٢ ـ نبذ التكبر عامة وتجاه المتعلمين على وجه الخصوص «بإجراء المتعلم منه مجرى بنيه»[(٣)].

٣ ـ عدم الجري وراء المادة والتكالب على حب المال «بقطع الطمع عن المتعلمين والرفق بهم في التعليم والتواضع لهم والعطف عليهم وتقريب الفقير لفقره»[(٤)].

---

(١) سنن ابن ماجة ١/ ٨١.

(٢) طاش كبرى زادة ـ مفتاح السعادة ١/ ٣٩، ٤٠.

(٣) طاش كبرى زادة ـ مفتاح السعادة ١/ ٣٩، ٤٠.

(٤) السابق ص٤١، ٤٢.

٤ ـ الإخلاص في التعليم بأن «لا يدخر نصحه عن المتعلم، وزجره عن الأخلاق الردية بالتعريض أو التصريح، ومنعه أن يتشوف إلى رتبة فوق استحقاقه»[١].

٥ ـ اطّلاعه الواسع في أساليب التربية والعمل بكل أسلوب في موضعه، فلا يقيم أسلوب التصريح مقام أسلوب التعريض، ولا الفعل موضع القول إذا كان القول يجدي، ويأتي بالثمرة: المطلوبة[٢].

٦ ـ مراعاة متطلبات الوضع وحاجة المجتمع، إذ ينبغي من العالم أن يكون مُلمّاً بحاجات العصر، فيوجه المتعلمين الوجهة الصحيحة، بالأساليب المقنعة مع الوضع في اعتباره «ما يهم الطالب في الحال أما معاشه أو معاده، ويعين له ما يليق بطبعه من العلوم»[٣].

٧ ـ الإلمام التام بأساليب العملية التعليمية من حيث التدرج في توصيل المعلومات بحسب السن، وبحسب المستوى الثقافي، والتقبل الفكري[٤].

٨ ـ الإتزان الشخصي بعدم مخالفة القول للفعل، لأن العالم قدوة لذلك يجب أن تكون «عنايته بتزكية أعماله أكثر منه بتحسين علمه ونشره»[٥].

---

(١) السابق ص٤١، ٤٢.
(٢) راجع السابق ص٤٢.
(٣) السابق ص٤٣.
(٤) راجع السابق ص٤٤.
(٥) السابق ١/ ٤٨.

٩ ـ ضبط النفس وكظم الغيظ، وتجمل خرق المتعلمين، ومحاولة توصيل المعلومات لهم بالإعادة والشرح، مع مراعاة مستوياتهم الإدراكية[١].

تلك إذن هي خلاصة الشروط التي يجب أن تتوفر في المتصدر لتعليم الناس في الفكر الإسلامي. وإذا ما حاولنا استفتاء فكر علي عليه السلام بشأنها، فلن نجد في نصوص نهج البلاغة ما يوضح ذلك مباشرة، لأن علياً عليه السلام قد تلكم عن التعليم بخطوط عريضة ترسم لنا فكره الذي يمكننا من خلاله استنتاج، أن سياسته التربوية ما هي إلا جزء لا يتجزأ من سياسته العامة في إدارة شؤون الدولة، بحيث لا يمكن الفصل بين أقواله وبين المجتمع الذي قيلت فيه، لتوحد شخصيته، واندماجها في ذلك المجتمع ومعايشتها مشاكله بكل أبعادها، لذلك فإن شخصية العالم في فكر علي عليه السلام ـ كما تبدو في نهج البلاغة ـ يمكن إدراك ملامحها وتكوين فكرة شبه متكاملة عنها من خلال وصفه لإيجابيات عصره وسلبياته.

فمن حديثه عن صفات المتقين الذين يعول عليهم في هداية الناس وتبصرهم بشؤونهم الدينية والدنيوية يقول «فَمِنْ عَلاَمَةِ أَحَدِهِمْ، أَنَّكَ تَرَى لَهُ قوة في دين، وحزماً في لين، وإيماناً في يَقِيْنٍ، وَحِرْصًا فِيْ عِلْمٍ، وَعِلْمًا فِيْ حِلْمٍ»[٢] ومن الملاحظ أن قوة الدين تجعل الفرد تقياً ورعاً، يبذل علمه لكل من يطلبه دون الجري وراء شهرة، ثم أن الحزم المشوب باللين يجعل تربيته للمتعلمين متوازنة لا هي إلى الإفراط تميل ولا إلى التفريط ترجح، والإيمان اليقيني بقدرته تجعله في موضع حصين عن النقد والتجريح، لأنه

---

(١) راجع السابق ص٥١ وما بعدها.

(٢) خطب ـ ١٨٧ ـ فقرة ٣.

سيعتمد على تلك القدرة المؤمنة في التوصيل، دونما تحميل نفسه فوق طاقتها، وجعلها موضع اتهام وازدراء المتعلمين، كما أن الإيمان بمحدودية طاقة النفس يشعرها دائماً بالنقص، مما يؤدي بها إلى الحرص الدائم على الجري نحو الكمال في طلب العلم، والجري وراء الإستزادة شعور بالنقص، مما يؤدي بدوره إلى التواضع، وهنا تستوقفنا مقولة لعلي عليه السلام تتعلق بشخصيات العلماء وعلاقتها من حيث التكبر والتواضع بالإنتماء الإجتماعي وهي أن «السَّفَلَةَ إِذَا تَعَلَّمُوا تَكَبَّرُوا. . . وَالعِلْيَةَ إِذَا تَعَلَّمُوا تَوَاضَعُوا»[١] وهو لا يقصد بالسفلة والعلية ـ كما نعتقد ـ أنه يضع سلماً اجتماعياً يُصَنِّف به الناس إلى درجات تفاضلية، لأن السفلة في السياق تعني (الانتهازيين)، ذوي النفوس المريضة، والإيمان المتزعزع، الذين يجعلون من العلم وسيلة يركبونها للوصول إلى مآربهم الشخصية، وغاياتهم الدنيئة، وهؤلاء من وجهة نظر علي عليه السلام ليسوا بعلماء إلا في مفهوم أشباه الناس[٢]، وهم أولئك الذين لا يفقهون معنى العلم، ولا يدركون أبعاده وخطورته، لأنهم ينبهرون بالتشدق بالعبارات الرنانة الغامضة، التي تبلغ بالفرد المدعي من الغرور غاية لا «يَرَى مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مَذْهَبًا لِغَيْرِهِ، فَإِنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرٌ اكْتَتَمَ بِهِ، لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ»[٣] فالغرور والإصرار على الخطأ ـ كما يقول علي عليه السلام ـ يجعلان من «العَالِمِ المُتَعَسِّفِ شَبِيْهِ بِالجَاهِلِ المُتَعَنِّتِ»[٤] والتعنت جماع من مساوي الأخلاق،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠/ ٢٩٠.

(٢) راجع ـ خطبة ١٧ ـ الفقرة الثانية.

(٣) السابق نفس الفقرة.

(٤) حكم ـ ٣٢٨.

المتمثلة في التكبر، والتسلط، والإصرار على الخطأ والتمادي في طريقه، وعدم الشعور بالنقص للاستزادة، وكل تلك المساوي تجعل المتعلم ينبذ العالم وعلمه.

والتعويل على العالم وعلمه في فكر علي عليه السلام من المهمات الأساسية في الحياة الإنسانية، إذ يستطيع العالم إذا ما أخلص لعلمه، أن يجعل منه منقذاً وهادياً في مجال تخصصه، أما زلته فيعتبرها «كَانْكِسَارِ السَّفِيْنَةِ تَغْرَقُ وَيَغْرَقُ مَعَهَا خَلْقٌ»[١] فالعالم واستعماله علمه استعمالاً قوياً ـ مع إدراك تام منه بمسؤولية العملية التعليمية ـ في اعتبار علي عليه السلام، من أولويات مقومات الدين والدنيا الأربعة، ويمثل ذلك قوله «قِوَامُ الدِّيْنِ وَالدُّنْيَا بِأَرْبَعَةٍ: عَالِمٍ مُسْتَعْمِلٍ عِلْمَهُ، وَجَاهِلٍ لاَ يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ، وَجَوَادٍ لاَ يَبْخَلُ بِمَعْرُوفِهِ، وَفَقِيْرٍ لاَ يَبِيْعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ. فَإِذَا ضَيَّعَ العَالِمُ عِلْمَهُ، اسْتَنْكَفَ الجَاهِلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ، وَإِذَا بَخُلَ الغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ، بَاعَ الفَقِيْرُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ»[٢]. وتضييع العالم لعلمه، يتمثل في بذله لمن لا يستحقه، وتمريغه على أعتاب السلاطين جرياً وراء الشهرة والمال، والبخل به على محتاجيه من بقية الناس، واستغلاله في تدمير الإنسانية، وتلك الصفات هي التي غلبت على علماء عصره وشكلت خطراً مخيفاً على المجتمع[٣] فخوف علي عليه السلام على الأمة في عصره لم يكن مما أعلن عن أعدائه ووضع سيفه

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠/ ٣٤٣.

(٢) حكم ـ ٣٧٨.

(٣) ذكر ابن أبي الحديد في شرحه ٤/ ٦٣ بعضاً ممن باعوا علمهم على معاوية من الصحابة والتابعين.

على عاتقه جرياً وراء المركز والمادة، فإن مثل ذلك عدو ظاهر لا تخشى غائلته ويمكن صدّه، ولكن الذي يخاف منه ولا يمكن معرفته بسهولة ورد كيده في الحال هو «كُلُّ مُنَافِقِ الجِنَانِ عَالِمُ اللِّسَانِ»[١] مما يعني أن شخصية العالم هي التي توجه العلم وترسم طريقه، ونعتقد أن لعنصر المادة دوره الكبير في تشكيل أخلاق العلماء، في عصر علي عليه السلام، مما حدا به إلى عقد مقارنه بين قيمة العلم، وبين قيمة المال، وكأنه يريد من وراء تلك المقارنة، أن يطهّر شخصية العالم من دون المادة ولينأى بعلمه عن كل منزلق لا أخلاقي، وضمن هذه المقارنة يقول «العِلْمُ خَيْرٌ مِنَ المَالِ، العِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ المَالَ، وَالمَالُ تُنْقِصُهُ النَّفَقَةُ، وَالعِلْمُ يَزْكُو بِالإِنْفَاقِ، وَصَنِيْعُ المَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ»[٢] فالمال في فكر علي عليه السلام ـ كما يظهر ـ مقود، والعلم هو القائد، لأن المال عادة ما يكون بيد مالكه، يمكنه صرفه حيث يشاء وكيف يشاء، بالإضافة إلى أنه عرض زائل لا يمكن للإنسان المحافظة عليه أو صيانته مهما بلغ حذره، أما العلم الحقيقي، فهو الذي يخلق صاحبه، ويبنيه بناء داخلياً يجعل منه إنساناً يستطيع أن يخلق ويبتكر، فيضفي على الإنسانية الحياة، فكلما كان استغلاله لعلمه قوياً كلما اتسع افقه، فنشر العلم وبذله يزيده نماء بلا حدود.

ويضع علي عليه السلام سلطان العلم في مواجهة سلطان المال ويعقد مقارنة بينهما يبين من خلالها أثر كل منها في تشكيل شخصية الفرد فيقول «مَعْرِفَةُ العِلْمِ دِيْنٌ يُدَانُ بِهِ، يُكْسِبُ الإنسان الطَّاعَةَ فِيْ حَيَاتِهِ، .وَجَمِيْلَ الأُحْدُوثَةَ

---

(١) رسائل ـ ٢٧.

(٢) حكم ١٤٥ الفقرات ٢، ٣، ٤، ٥.

بَعدَ وَفَاتِهِ، وَالعِلْمُ حَاكِمٌ، وَالمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ... هَلَكَ خُزَّانُ الأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ، أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي القُلُوبِ مَوْجُودَةٌ»(١) فاعتباره العلم دين، يقتضي من العالم أن يجمع في شخصه كل ما يعنيه الدين من معان سامية خاصة وأن «فَضْلُ العِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ العِبَادَةِ»(٢) كما يقول رسول الله ﷺ مما يعني أن العالم بمكانته في المجتمع وتأثيره في حياة الناس، أفضل من المتعبد القابع في زاوية، همه طلب النجاة لنفسه بالصيام والقيام، فمكانة العالم وشخصيته تكمنان في علمه، وهو الذي يحدد قيمته ومركزه الإجتماعي الذي يبقى فيه مادام مخلصاً لعلمه، وتدوم استمراريته بعد وفاته فيما ترك من فكر مُصَانٍ بالأخلاق ومحاط بالرعاية ممن يحملونه عنه فيستمر في الزكاء بالتنقل في الزمن بين الأجيال. فالمقارنة بين الفكر والمادة ـ عند علي عليه السلام ـ متولدة من حاجة ماسة إلى علماء يستطيعون أداء واجباتهم التعليمية بإخلاص، وذلك بعد أن قاست نفسه آلام الغربة في مجتمع لم يضع معظم علمائه القيمة الحقيقة للعلم، ولم يحاولوا صيانته، فعلى سبيل المثال باع بعض العلماء والمحدثين فتاواهم(٣)، وسخّروا علمهم إلى من يريده بالقدر الذي

---

(١) حكم ١٤٥ الفقرات ٢، ٣، ٤، ٥.

(٢) الماوردي ـ أدب الدنيا والدين ص٣٨.

(٣) من ذلك ما روي، أن معاوية بن أبي سفيان قد «بذل لسمرة بن جندب مئة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام «وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ الله عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ، وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ» البقرة/ ٢٠٤، ٢٠٥، وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم، وهي قوله تعالى «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ=

يناولونه من أمواله.

ومن أهم مميزات شخصية العالم ـ في فكر علي عليه السلام ـ أن يكون عاملاً بعمله، لأن العلم والعمل ـ من وجهة نظره ـ قرينان متلازمان، إذ لا جدوى من علم لا يستفاد منه، فالعلم كما يراه علي عليه السلام «يَهْتِفُ بِالعَمَلِ فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلاّ ارْتَحَلْ»[1] إذ لا جدوى ولا طائل من كون العالم حافظاً للتجارب، عارفاً بتفاصيلها، ملماً بدقائقها، وإنما العالم الحقيقي من استفاد وأفاد، وانتفع ونفع، وتمكن من تطبيق علمه، ويمكن استخلاص ذلك ـ حسب فهمنا ـ من قول علي عليه السلام «وَنَاظِرُ قَلْبِ اللَّبِيْبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ، وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ»[2]. ويرى علي عليه السلام أيضاً، أنه لا جدوى على الإطلاق من عمل بغير علم، وتتمثل وجهة نظره تلك في أن «العَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيْقٍ، فَلاَ يَزِيْدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيْقِ الوَاضِحِ إِلاَّ بُعْدًا عَنْ حَاجَتِهِ، وَالعَامِلَ بِالعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيْقِ الوَاضِحِ»[3].

فالتربية العلمية في فكر علي عليه السلام تهدف إلى جعل العالم والمتعلم مثالاً متكاملاً من حيث العطاء والأخذ في جميع ميادين الحياة العملية والأخلاقية والإنسانية، على أساس أن العلم هو المحور الذي به تستقيم

= ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ»... البقرة/ ٢٠٧، فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف فقبل، وروي ذلك ـ شرح ابن أبي الحديد ٤/ ٧٣.

(١) حكم ـ ٣٧٢.

(٢) خطب ١٥٤ ـ فقرة ـ ١، ٣.

(٣) خطب ١٥٤ ـ فقرة ـ ١، ٣.

الحياة وتنمو ولا يمكن أن يتطور ويثمر إلا إذا صانته أيد أمينة ووجهته نحو خير البشرية، لذلك فقد كان حريصاً كل الحرص على تعليم الناس، وحثهم على سؤاله في كل وقت فلم يكن «أحد من الناس يقول سلوني غير علي ابن أبي طالب»[١] وقد كان دائماً يطلب المزيد، فحين سأله بعض الصحابة عن السبب في غزارة علمه قال «كُنْتُ إِذَا سَأَلْتُ أُعْطِيْتُ، وَإِذَا سَكَتُّ ابْتُدِيْتُ، وَبَيْنَ الجَوَانِحِ عِلْمٌ جَمٌّ فَاسْأَلُونِي»[٢] فقد كان مثال شخصية العالم والمتعلم الذي يريد من العلماء الإحتذاء حذوه بإثراء العقل وتزويده بالعلوم والخبرات على الدوام، وبذل العلم في كل وقت لمن طلبه وسار نحوه.

الرابع ـ تربية إنسانية:

نعني بالتربية الإنسانية، كل العناصر التربوية التي تهدف لانتشال الإنسان من مهاوي الخوف والسمو بالنفس وصيانة الكرامة والتبصير بأساليب الحق، والتربية الإنسانية ـ في فكر علي‌عليه‌السلام ـ بمفهومها الذي نهدف إلى تسليط الضوء عليه، هي في الحقيقة جانب من جوانب فكره الأخلاقي المتوحد، مع نظرته المؤمنة بقيمة الإنسان كمخلوق حر، محفوظ الكرامة مصان الحقوق، سواء أكان مسلماً أم كافراً، عربياً أم أعجمياً، قرشياً أم غير قرشي، وقد ركز علي‌عليه‌السلام تركيزاً بالغاً على هذا الجانب التربوي، كل ذلك في محاولة منه لكسر حاجز الخوف، الذي

---

(١) ابن عبد البر ـ جامع بيان العلم وفضله ١/ ١١٤.

(٢) تفسير الفخر الرازي ٣١/ ٢٢١.

فرضته قريش على بقية العرب[١] بتسلطها واستئثارها، ومن ثم امتهان العرب واحتقارهم للأجناس غير العربية الأخرى[٢]، على اعتبار فضلهم في نشر الإسلام، وفي طرف ثالث تسلط المسلمين على غير المسلمين[٣] من الأجناس الأخرى واعتبارهم رقيق أرض فاستحال المجتمع إلى نظام هرمي، تتسلط فيه كل فئة على الأخرى، مما ولد التكبر والإزدراء والإحتقار والإستغلال في مقابل الخضوع والإستكانة والخوف، فالعلاقات الإنسانية لم تعد مبنية على أسس من المساواة والحب، بل على الإستبداد والإستغلال التدرجي كل حسب منزلته الإجتماعية، فامتهنت كرامة الإنسان، وضاعت حقوقه، وأخذت المبادئ الإسلامية في التراجع، لتحل محلها الرغبات الذاتية. عاش علي عليه السلام هذه المشاكل بكل إحاسيسه، وكان يشعر في قرارة نفسه أنه لابد من مواجهة التيار إذا ما أريد أن تعود للإسلام نصاعته، بتنبيه الأمة إلى الخطر المحدق بها، ومحاولة الرفع من المعنويات وبث روح النخوة والحماس، وقد أكثر من مثل تلك الأساليب في خطبه الجهادية،[٤] وما تقريعه المستمر لأصحابه بسبب تقاعسهم عن صد غارات معاوية[٥] وتنصلهم من القيام بواجب الجهاد، إلا صورة من صور التربية

---

(١)،(٢)،(٣) بشأن حالة العناصر المكونة للمجتمع في عصر علي عليه السلام وعلاقتها بعضها ببعض راجع هذا البحث ص٣٨٩ وما بعدها.

(٤) راجع على سبيل المثال ـ الخطب: ٢٥، ٢٧، ٢٩، ٣٤، ٥١، ٥٥، ٦٨...

(٥) هي حروب خاطفة شنها معاوية على أطراف البلاد الخاضعة لحكم علي عليه السلام، وكان ذلك بعد القفول من صفين واختلاف الحكمين، وكان قصد معاوية من ورائها بث الرعب والفزع في أصحاب علي عليه السلام وشغلهم عن الالتفاف حوله حتى لا يعود لمحاربته مرة ثانية، وبشأن هذه الغارات وما أحدثه فيها أصحاب معاوية من قتل ونهب=

الإنسانية التي كان المجتمع في مسيس الحاجة إليها في عصره، إذ يمكننا من خلال تعمقنا في فهم مضامين هذه الخطب أن نعيش آلام علي عليه السلام النفسية بسبب ما أصاب المجتمع من تخاذل وجبن واتكالية، فمن باب التقريع واللوم بقصد إثارة الحمية وبث الحماس، والتبصير بقيمة الإنسان الحقيقية يقول «أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الحَقِّ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِيْنِ البَاطِلِ، لَمْ يَطْمَعْ فِيْكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ»[1] فكما يرى علي عليه السلام، فإنّ انهزامية نفوس أصحابه لم تتولد عن قوة العدو المقابل، لأن ذلك العدو لم يكن في قوتهم، ولكنها متولدة من تراجع النفوس عن قيمتها الأصلية في معرفة الحق والتصدي للباطل ـ فخلاصة التعبير أن علياً عليه السلام كان يريد أن يعيد إلى أصحابه الثقة في أنفسهم ببنائها بناءً إنسانياً يقتضي معرفة الإنسان لقيمته الذاتية دون الإعتماد على الغير في تقييمها حسب معايير اجتماعية متميزة، تتناسب والمصلحة الشخصية لذلك الغير، ومحاولة بناء شخصية الإنسان، وتربيته تربية أخلاقية تقوم على المبادئ والقيم، في العصر الذي استخلف علي عليه السلام فيه، هي من أعسر الأمور التربوية وأصعبها، لا لكون القيم الإنسانية التي نادى علي عليه السلام بها غريبة على مجتمعه أو جديدة عليه، ولكنها في مجملها تتعارض والتطلعات المادية التي جلبتها الفتوح، فركن الإنسان إلى الدعة وانطفأت في نفسه جذوة الفروسية، ولم يعد يعبأ بالجهاد الذي اعتبره الإسلام من أوجب واجبات الإنسان المسلم، فالمادة قد هدمت ما بناه

= ودمار، راجع: البلاذري ـ أنساب الأشراف ـ ٢/ ٤٣٧ وما بعدها.

(١) خطب ـ ١٦٧ ـ فقرة ٣.

الإسلام، ومنطق العقل يرى أن الهدم أيسر وأسرع من البناء، خاصة إذا كان ذلك البناء يتعارض وتطلعات الإنسان الذاتية، فإنسان عصر علي عليه السلام، يدرك تماماً أن ما يرمي إليه علي عليه السلام من إصلاح هو الصواب، ولكن ذلك الإدراك لا يعدو أن يكون ومضات سريعة، يعدو بعدها إلى الإنجذاب نحو بريق المادة والركون إلى حياة الدعة والراحة، مما يحيل القيم الأخلاقية إلى عبء ثقيل، وهذا بدوره يجعل محاولة إعادة بناء تلك القيم وزرعها في النفوس عسيراً جداً، ويفهم ذلك من التوبيخ الحاد الذي طالما وجهه علي عليه السلام لأصحابه كما في قوله «قُبْحًا لَكُمْ وَتَرْحًا حِيْنَ صِرْتُمْ غَرَضًا يُرْمَى، يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلا تُغِيْرُون، وَتُغْزَوْنَ وَلاَ تَغْزُونَ، وَيُعْصَى الله وَتَرْضَوْنَ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِيْ أَيَّام الحَرِّ، قُلْتُمْ: هَذِهِ حَمَارَّةُ القَيْظِ، أَمْهِلْنَا يُسَبِّخُ عَنَّا الحَرُّ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِيْ الشِّتَاءِ قُلْتُمْ: هَذِهِ صَبَارَّةُ القَرِّ، أَمْهِلْنَا حَتَّى يَنْسَلِخَ عَنَّا البَرْدُ، كُلُّ هَذَا فِرَارًا مِنْ الحَرِّ وَالقَرِّ، فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الحَرِّ والقَرِّ تَفِرُّونَ، فَأَنْتُمْ، واللَّهِ، مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ»(١) فعلى عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإبان الفتوحات الإسلامية على عهد أبي بكر وعمر، لم تكن العوامل الطبيعية لتحول بين الفرد المسلم والجهاد، ولكن الركون إلى الدعة هو الذي أدى به إلى ذلك الإتجاه، فلم يعد يعرف معنى الكرامة التي تدفعه للذود عن حياضه وصيانة مبادئه، مما أحال الكثير من أساليب التربية الإنسانية ـ عند علي عليه السلام ـ إلى ضربات عنيفة، حاول بها

---

(١) خطب ٢٧ ـ فقرة ٢. ترحاً ـ بالتحريك ـ أي همّا وحزناً، والغرض ـ ما ينصب ليرمى بالسهام ونحوها، ويعصى الله ـ إشارة إلى ما كان يفعله جيش معاوية من نهب وسبل وقتل في المسلمين والمعاهدين، حمّارة القيظ ـ بتشديد الراء ـ شدة الحر، يسبخ ـ بالخاء المعجمة يخف، صبارة الشتاء ـ بتشديد الراء ـ شدة برده، والقر ـ البرد.

استنهاض الفرد بإثارة مشاعره، ومحاولة تحسيسه بقيمته كإنسان[١]، مع تجنبه الكثير من السلبيات التي ـ قد يعتبرها ـ بعض ساسة عصره من أساسيات البناء، فعليعليه السلام لم يرض لنفسه بأن تكون أساليبه التربوية مُشَادَةً على التناقضات والزيف، لأنه يتعامل مع الواقع بشخصية واحدة ترمي إلى إقناع الإنسان بإنسانيته من داخل نفسه، بدون تغذيتها بأية عناصر خارجية تضفى عليها نوعاً من الطلاء الخارجي الزائف. على اعتبار أن البناء الحقيقي للفكر الإنساني الحر لا يمكن أن يكون في اتجاهين متضادين، وبمعنى أوضح، فإن الإصلاح لا يمكن أن ينبثق من نفس فاسدة، إلا إذا كان زيفاً، من ذلك قوله لأصحابه «إِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَيُقِيْمُ أَوَدَكُمْ، وَلَكِنِّيْ لاَ أَرَى إِصْلاَحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِيْ»[٢]. وإذا ما تركنا جانباً التربية الإنسانية في خطب عليعليه السلام الجهادية، وبحثنا عنها في مأثوراته الأخرى في نهج البلاغة فسنجد أنها في مجملها تنبني على قاعدتين:

أ ـ نظرة الإنسان إلى نفسه من الداخل والوقوف عند الموقف الذي يصونها ويحسسها بقيمتها في الوسط الإجتماعي الذي تعيش فيه وذلك من عدة جوانب أهمها:

ـ تحسيس الإنسان بكرامته، بنبذه للذل والجبن: فتربية النفس على الأنفة والإباء من الأسس التربوية التي أنبنى عليها فكر عليعليه السلام كما في

---

(١) راجع على سبيل المثال الفقرة الثالثة من الخطب السابقة، ومدى ما فيها من تقريع حاد المراد به الاستنهاض وإثارة الحمية.

(٢) خطب ـ ٦٨.

قوله «لاَ تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ الله حُرّاً»(١) والحرية التي يعنيها علي عليه السلام هي كرامة الإنسان وحفظ ماء وجهه ونأيه بها عن كل ما يهينها، بإكرام نفسه ورفعها عن الدنايا مهما كانت المغريات، وبذلك يشعر في قرارته بالعزة والإباء فلا يقبل اي امتهان، لأنه «لاَ يَمْنَعُ الضَّيْمَ الذَّلِيْلُ»(٢) فالشعور بعزة النفس يطلق الإنسان من سجن ذاته، ويكسر جدار الخوف، ويتفاعل مع بقية أفراده مجتمعه كندٍّ، لا كخادم ذليل، فيقدم على اقتحام صعاب الحياة بثقة مؤمنة غير جامحة.

ـ فلا تلجئه الحاجة إلى الخضوع، ولا الثراء إلى احتقار الناس، فمن أقبح الصفات التي تثلم شخصية الإنسان «الخُضُوعُ عِنْدَ الحَاجَةِ، وَالجَفَاءُ عِنْدَ الغِنَى»(٣).

ـ ولا يركبن في سبيل الوصول إلى غايته طرق النفاق والتلون والزيف لأن «نِفَاقُ المَرْءِ ذِلَّةٌ»(٤) والذل يعني المهانة وفقدان الإنسان أعظم نعمة منحها الله له وهي الحرية خاصة وأن «عَبْدَ الشَّهْوَةِ أَذَلُّ مِنْ عَبْدِ الرِّقِّ»(٥) في فكر علي عليه السلام.

ـ والوفاء بالعهد من أهم مزايا التربية الإنسانية في فكر علي عليه السلام، لأنه يرى أن من واجب الإنسان حتى يصون عرضه ويحفظ مكانته في مجتمعه

---

(١) رسائل ـ ٣١ ـ فقرة ٢١.
(٢) خطب ـ ٢٩.
(٣) رسائل ـ ٣١ ـ فقرة ٢٤.
(٤) ميثم البحراني ـ شرح المئة المختارة للجاحظ ص١١٢، ١١٧، ١٥٢.
(٥) السابق.

أن لا يعد بشيء لا يستطيع الإيفاء به فإن «المَسْؤولَ حُرٌّ حَتّى يَعِدَ»[١] مما يعني أن حريته المعنوية وحريته الأخلاقية مرتبطتان كل الإرتباط بفكره ولسانه فما دام قد وعد بشيء فقد صار رهناً لما وعد به، ولا يستطيع الفكاك من أسره إلا بعد أن يفي به.

ـ وحتى لا يتورط أو يقع فيما ليس في مقدوره الوفاء به، بالإضافة إلى تجنبه كل ما يمس ذاته فعليه أن يراقب نفسه، ولا يخطو بها خطوة إلا بعد أن يعرف موضع قدميه بغض النظر عما يفعله الآخرون، لأن كل فرد معني بذاته تجاه تصرفاته وأخلاقه، ويمكن استخلاص ذلك من قول علي «حَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ، فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ»[٢].

ـ ثم أن مجالسة الفرد لبعض من الناس، قد يشعره بأنه دونهم في السمو فتسول له نفسه، مقاربتهم للوصول إلى نفوسهم باستصغار نفسه، محاولاً ابتداع الحكايات اللافتة للانتباه والقيام بتصرفات تحط من القدر، وتلافياً لذلك يقول علي عليه السلام «إِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ مِنَ الكَلاَمِ مَا يَكُونُ مُضْحِكًا وَإِنْ حَكَيْتَ عَنْ غَيْرِكَ»[٣] فإن قيمة المرء تكمن في احترامه لنفسه.

ـ واحترام النفس هو محاولة النأي بها عما يجلب لها الدمار جراء الإرهاب الفكري، الذي يحيل الإنسان إلى تناقضات تدمر حياته، لأن ذلك يجبره على التخلي عن فكره من أجل الحفاظ على نفسه، لذلك يرى علي عليه السلام إن من واجب الفرد، عند عزمه على إبداء وجهة نظره، أو نشره

---

(١) السابق.

(٢) خطب ـ ٢١٩ ـ فقرة ٢.

(٣) رسائل ـ ٣١ ـ فقرة ٢٤.

لفكر ما، مراعاة جو التقبل، وليكن على حذر من التفوه بشيء من ذلك «فِيْ مَجَالِسِ الخَوْفِ فَإِنَّ الخَوْفَ يُذْهِلُ العَقْلَ الّذِي مِنْهُ نَسْتَمِدُّ، وَيُشْغِلُهُ بِحِرَاسَةِ النَّفْسِ عَنْ حِرَاسَةِ المَذْهَبِ الّذي تَرُومُ نُصْرَتَهُ»[١] فالفكر الحر لا يمكن له أن يترعرع وينتشر في بيئة يسودها الخوف.

ـ والإنسان في فكر علي عليه السلام طاقات من العمل المرتبط بوقت محدد لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه، فالتربية الإنسانية، إيمان راسخ بقيمة الوقت، ويمكن أن نستنتج ذلك من قوله «أَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيْهِ»[٢].

فإذا شعر الإنسان بقيمة نفسه، وصانها عن كل الدنايا وحافظ على كرامته بالإنفلات من ربقة الذل وكسر حواجز الجبن والخوف، وحافظ على كلمته ووفى بوعده، وأدى عمله بصدق وإخلاص ونزاهة في وقته. فقد استطاع ـ كما يبدو لنا في فكر علي عليه السلام ـ أن يحقق إنسانيته بتصالح ذاته مع ذاته.

ولكنه أيضاً محتاج إلى خصائص تربوية أخرى تحقق وجوده ضمن مجتمعه بإقامة علاقات سويّة ومتوازية بالتعاضد السّوي مع محيطه.

ب ـ نظرة الإنسان إلى نفسه ضمن مجتمعه: ونقصد من وراء هذا المحور تبيان فكر علي عليه السلام لتربية الإنسان من خلال علاقاته الإنسانية ضمن الجماعة التي يعيش فيها، وما يجب عليه نحو هذه الجماعة من

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠/ ٢٨١.

(٢) رسائل ـ ٥٣ ـ فقرة ٢٧.

أخلاقيات روحية لا تمت للمادة بأية صلة، فلا دخل لها في رابطة ولا الإحتياج لأننا بصدد الفكر المنصب على تربية النفس، بتعويدها التوازن السوي الممكّن لها من التصالح مع محيطها بتحقيق علاقات تحفظ لكل فرد في المجتمع مكانة مهما كانت منـزلته الإجتماعية من المنظورات المادية، أو العرقية أو القبلية أو حتى الدينية، ويمكن استخلاص هذا الجانب التربوي من قوله لابنه الحسن عليه السلام «يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيْزَانًا فِيْمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحِبَّ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَه لَهُ مَا تَكْرَه لَهَا، وَلاَ تَظْلِمْ كَمَا لاَ تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ»[١] فلقد وضع علي بتصويره لميزان العلاقات البشرية الخطوط الرئيسية للتربية الإنسانية من وجهها الثاني المتمثل في علاقة الفرد بالجماعة. ومن خلال تتبعنا لنصوص نهج البلاغة المتعلقة بالمحور التربوي الذي نحن بصدده نخلص إلى أنه ينبني على علاقات ثلاث:

الأولى ـ علاقات أسرية: وترمي إلى جعل الأسرة ـ نواة المجتمع ـ بيئة يشيع في جنباتها الحب، حيث يكون رب الأسرة باراً بها، معينا لأفرادها على تحمل أعباء الحياة، موسعاً عليهم بقدر استطاعته، موزعاً حبه على الجميع بعدل وإنصاف، نائياً بنفسه عن كل بغض وحقد وكراهية، وقد ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي»[٢] والخير في سياق الحديث الشريف يعني ـ كما يبدو لنا ـ جماع معاني التربية الأسرية، وقد جاء النهي في قول علي عليه السلام «لاَ

---

(١) رسائل ـ ٣١ ـ فقرة ١٣.

(٢) المتقي الهندي ـ كنز العمال ١٦/ ٣٧١.

يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى الخَلْقِ بِكَ»[١] ليلقي ضوءاً على ما حواه الحديث الشريف من معان بعيدة الأثر في بلورة علاقات الفرد، لأن الإنسان الذي لا يتمكن من تكوين علاقات منسجمة مع أهله ـ أقرب الناس إليه ـ لا يمكنه على الإطلاق من إقامة علاقات متوازنة مع محيطه خارج نطاق أسرته.

الثانية ـ علاقات تحكمها الصداقة: حظيت الصداقة بمكانة عظيمة في فكر علي عليه السلام التربوي، حتى أن المتتبع لموضوعها في النهج وفي غيره من النصوص التي أثرت عن علي عليه السلام، يكاد يشعر بأنه يضعها في مرتبة أعلى من مرتبة الأخوة الحقيقية حين يقول «الصَّدِيْقُ نَسِيْبُ الرُّوْحِ وَالأَخُ نَسِيْبُ الجِسْمِ»[٢] والعلاقات الروحية عادة ما تكون أوثق وأقوى من رابطة الدم، لما تشتمل عليه من تبادل في العواطف وتوافق في الأفكار، وانسجام في التصرفات، والصداقة بمعناها الحقيقي الذي يريده علي عليه السلام، توق جَسَّده في نص متكامل، نحت فيه بفكره الصِّفات الحقيقية التي كان يطلبها في الصديق[٣]، إلا أن تلك الصفات قد تبدو نادرة إن لم تكن مستحيلة التحقيق، إلا أن الواقعية التي يتميز بها فكر علي عليه السلام عامة والتربوي على وجه الخصوص، قد مكنته من التعامل مع واقعه في بلورة الهيكل التربوي الذي يجب أن تنبني عليه علاقة الصداقة كمطلب اجتماعي ملح بالنسبة للإنسان لقوله «أعجز الناس من عجز عن اكتساب الأخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم»[٤] فاعتباره عدم القدرة على تكوين الصداقة عجزاً،

---

(١) رسائل ـ ٣١ ـ فقرة ٢٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ـ ٢٠/ ٣٠٠.

(٣) راجع حكم ـ ٢٩٧.

(٤) حكم ـ ١٢.

وتضييعها بعد اكتسابها أعجز العجز، يوحي بضرورتها وأهميتها بالنسبة للإنسان السوي المتزن، القادر على التفاعل مع محيطه بأسلوب يمكنه من إذابة الهواجس والشكوك، وتغليب النية الحسنة في علاقة الصداقة قولاً وفعلاً فمن المفروض على من يعرف معنى الصداقة الحق، ويحرص على استدامتها أن لا يتعجل باتخاذ القرارات التي تثلم من قيمتها الروحية، إلا بعد أن يتيقن بأن الطرف المقابل ليس في مستوى تلك العلاقة السامية، بحيث يكون حرصه على التواصل امتن وأقوى وأوكد من القطيعة، يقول علي عليه السلام «ضَعْ أَمْرَ أَخِيْكَ عَلَى أَحْسَنَهُ، حَتَّى يَأْتِيْكَ مَا يَغْلِبُكَ مِنْهُ، وَلاَ تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَخِيْكَ سُوءًا، وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِيْ الخَيْرِ مَحْمَلاً»[١] أي كن ذا نفس سمحة وجد المبررات الخيرة لكل تصرف منه، مهما كان وقعه على نفسك، حتى تتأكد مما يقصده، ومن ثم اتخذ موقفك المتعقل المناسب تجاهه، كما أَنَّ من حقِّ الصداقة إيجاد المخرج السليم لحديث الصديق وتأويله تأويلاً خيراً، فلا يعطي الإنسان للنميمة والوشاية أية طريق للحط من قيمة الصداقة لأنّ «مَنْ أَطَاعَ الوَاشِي ضَيَّعَ الصَّدِيْقَ»[٢].

لقد وضع علي عليه السلام دستوراً متكاملاً لعلاقة الصداقة ضمن الوصية التي كتبها لابنه الحسن عليه السلام ويمكن بلورته وتوضيحه في النقاط التالية:

*** ١ ـ يجدر بالصديق من أجل المحافظة على الصداقة والوفاء لعهدها ـ أن يراعي صديقه في كل الأحوال، وأن يجد له من المبررات والأعذار ما يبقي على حبل الود متصلاً مهما كانت الظروف وفي هذا القول «احْمِلْ**

(١) الكليني ـ أصول الكافي ٢/ ٢٦٢.

(٢) حكم ـ ٢٣٨.

نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصِّلَةِ، وعِنْدَ صُدُوْرِهِ عَلَى اللُّطْفِ وَالمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُوْدِهِ عَلَى البَذْلِ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللِّيْنِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى العُذْرِ حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ ذُوْ نِعْمَةٍ عَلَيْكَ»[1] شريطة أن يكون مثل ذلك الصديق ممن يعرف قيمة الصداقة، ويصون حقوقها، ويلتزم بمبادئها، ولا يستغلها في تحقيق مآرب شخصية، وفي هذا يقول علي عليه السلام «إِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِيْ غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ»[2].

* ٢ ـ اجتناب صداقة من يَكُنُّ البغض والعداوة لأحد الأصدقاء المخلصين حتى لا تسوء نفسه، وتكون موضع تهمته، أو قد تسمع من ذلك الشانئ من السعاية ما يوغر صدرك أو يفت من قوة صداقتك وذلك يقول «لاَ تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيْقِكَ صَدِيْقًا فَتُعَادِيْ صَدِيْقَكَ»[3].

* ٣ ـ استعمال الصراحة والصدق في بذل النصيحة دون أدنى تحفظ أو مجاملة، مهما كان وقعها على نفسه، لأنه إذا كان صديقاً حقيقياً، فستكشف له بصيرته مدى حبك له وخوفك عليه ويكمن ذلك في قول علي عليه السلام «امْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيْحَةَ حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيْحَةً»[4].

* ٤ ـ صيانة حقوق الصديق المادية والمعنوية، وعدم التفريط في شيء منها اعتماداً على متانة العلاقة، لأنه «لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مِنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ»[5].

---

(١) رسائل ٣١ فقرة ٢٣.

(٢) رسائل ٣١ فقرة ٢٣.

(٣) رسائل ٣١ فقرة ٢٣.

(٤) رسائل ٣١ فقرة ٢٣.

(٥) السابق.

*** ٥ ـ عدم البدء بقطيعة الصديق مهما كانت الظروف، مع محاولة بذل كل جهد لإبقاء العلاقة متواصلة، بتحمل الإساءة منه ومحاولة مقابلتها بالإحسان إبقاء على الود، وتمكينا لدوامها متينة وقوية، وفي حالة الإضطرار إلى قطعها، فليبق على بعض الود ما يمكن من خلاله عودتها إلى حالها يوماً ما[(١)].**

*** ٦ ـ والصداقة إخلاص في المغيب والمحضر، ورعايتها تتطلب من الفرد أن يحافظ عليها في مال الصديق وعرضه وعهده لأن «الصَّدِيقَ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ»[(٢)].**

فالصداقة كجانب من جوانب التربية الإنسانية ـ في فكر علي عليه السلام ـ هي ـ كما نلاحظ ـ باب مشرع على مصراعيه نحو المجتمع، فإذا ما استطاع الفرد استلهام مبادئها وتشبعت روحه بمثلها فأحاط نفسه بصداقات متينة ومتنوعة استطاع أن ينفتح بروحه نحو المجتمع، وأن يتفاعل مع بقية أفراده بروح مشبعة بالعزم والثقة والإطمئنان.

الثالثة ـ تربية إنسانية تحكمها العلاقات الإجتماعية: السلطة في فكر علي عليه السلام نموذج للتربية الإنسانية التي تجسد العلاقات الإجتماعية على أسس من التكافل ونبذ شهوة التسلط وعدم استغلال المركز الوظيفي استغلالاً سلطوياً يسيء إلى كرامة الإنسان، بإشعاره أنه في منزلة لا تتناسب وما فرضه الله له من حقوق. ففي منصرفه إلى صفين استقبله في الطريق

---

(١) راجع السابق.

(٢) السابق.

دهاقين الأنبار[١]، فترجلوا له خاشعين مسرعين، فسألهم باستغراب «مَا هَذَا الّذِي صَنَعْتُمُوه؟ فَقَالُوا: خُلُقٌ مِنَّا نُعَظِّمُ بِهِ أُمَرَاءَنَا، فقال: والله مَا يَنْتَفِعُ بِهَذَا أُمَرَاؤُكُمْ، وَإِنَّكُمْ لَتُشِقُّونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فِيْ دُنْيَاكُمْ، وَتُشْقُونَ بِهِ فِي آخِرَتِكُمْ، وَمَا أَخْسَرَ المَشَقَّةَ وَرَاءَهَا العِقَابُ، وَأَرْبَحَ الدَّعَةَ مَعَهَا الأَمَانُ مِنَ النَّارِ»[٢] فتعظيم غير الله مذلة تحط من قيمة الإنسان في الدنيا لاستصغار نفسه، وتورده العقاب في الآخرة، ولا تزيد في قيمة الشخص المعظم، ولا ترفع من قدره، لذلك فقد نهاهم عما لا يجدي نفعاً، ولا يزيد من مكانته، في نفس الوقت الذي يؤدي بهم إلى المذلة وازدراء النفس والحط من قيمتها.

وبذات الأسلوب يتعامل علي عليه السلام مع (حرب بن شرحبيل الشبامي)[٣] حين ترجل يتبعه وهو راكب، فقد قال له «إِرْجِعْ فَإِنَّ مَشْيَ مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِي فِتْنَةٌ لِلْوَالِي وَمَذَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ»[٤] لأن ذلك الفعل من أحد سادات العرب وأشرافهم يشعر الراكب بالزهو والخيلاء والغرور، ويشعر المترجل بين يديه بالمهانة والإستصغار، وهذا يتعارض وأساليب التربية

---

(١) الأنبار ـ مدينة على الفرات في غربي بغداد ـ راجع معجم البلدان ١/ ٢٥٧.

(٢) حكم ـ ٣٧.

(٣) حرب بن شرحبيل الشامي ـ بكسر الشين المعجمة وفتح الباء بعدها ـ نسبة إلى شبام موضع باليمن ـ راجع معجم البلدان ٣/ ٣١٨، لم أعثر له على ترجمة، اعتبره الأمين في أعيان الشيعة ٤/ ٦١١ من شيعة علي عليه السلام، على اعتبار أن الشباميين قد كانوا يتشيعون لعلي عليه السلام.

(٤) حكم ـ ٣٣٠.

التي ينبني فكر علي عليها، وبذلك الأسلوب كان يوصي عماله في تعاملهم مع كل الناس، من ذلك قوله ضمن عهده لبعض عماله على الصدقات «آمُرُهُ أَنْ لاَ يَجْبَهَهُمْ، وَلاَ يَعْضَهَهُمْ، وَلاَ يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلاً بِالإِمَارَةِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمْ الإِخْوَانُ فِي الدِّيْنِ وَالأَعْوَانُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الحُقُوقِ»[١].

فالمكانة مهما سمت وعظمت، فإنها لا تعطي لصاحبها الحق في امتهان كرامة غيره والحط من قدره، لأن الناس في الحق سواء، وإن التكبر والنظر إلى الناس من عل من مركبات النقص التي يحاول بها الشخص مواراة عيوبه كما يقول علي أنه «لَمَّا عَرَفَ أَهْلُ النَّقْصِ حَالَهُمْ عِنْدَ أَهْلِ الكَمَالِ، اسْتَعَانُوا بِالكِبَرَ، لِيُعَظَّمَ صَغِيْرًا، وَيُرْفَعَ حَقِيْرًا، وَلَيْسَ بِفَاعِلٍ»[٢].

فالإنسان السوي ـ من وجهة نظر علي ـ هو المقتدر على التعامل مع مجتمعه على أسس أخلاقية تصون مكانته كإنسان من خلال احترامه لنفسه بمحافظته على كرامة غيره، على أساس أن التربية الإنسانية هي محاولة انسجام دائم ومستمر بين كل الناس وفي كل الأوقات لقوله «خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً، إنْ مُتّمُ مَعَهَا بَكُوا عَلَيْكُمْ، وَإنْ عِشْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ»[٣] وهو عين ما قاله فيه أصحابه المخلصين بعد أن افتقدوه إذ يصف

---

(١) رسائل ـ ٢٦ فقرة ٣، وجبهه ـ ضرب جبهته إذلالاً وازدراء، وعضهه: عامله يخشونه، ولا يرغب عنهم ـ لا يتجافى عليهم ويتكبر.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ـ ٢٠/ ٣٢٧.

(٣) حكم ـ ٩.

ضرار الضابيء[١] علاقة عليّ عليه السلام بأصحابه فيقول «كَانَ فِيْنَا كَأَحَدِنَا، يُجِيْبُنَا إِذَا سَأَلْنَاهُ، وَيُنْبِئُنَا إِذَا اسْتَنْبَأْنَاهُ، وَنَحْنُ مَعَ تَقْرِيْبِهِ إِيَّانَا وَقُرْبِهِ مِنَّا، لاَ نَكَادُ نُكَلِّمُهُ لِهَيْبَتِهِ، وَلاَ نَبْتَدِئُهُ لِعَظَمَتِهِ، يُعَظِّمُ أَهْلَ الدِّيْنِ وَيُحِبُّ المَسَاكِيْنَ، لاَ يَطْمَعُ القَوِيُّ فِيْ بَاطِلِهِ، وَلاَ يَيْأَسُ الضَّعِيْفُ مِنْ عَدْلِهِ»[٢].

العنصر الثاني ـ الأساليب التربوية كما تبدو في فكر علي عليه السلام:

يحتوي نهج البلاغة على بعض النصوص التي تمكن الدارس من التعرف على الكثير من الأساليب التربوية كما تبدو في فكر علي عليه السلام وذلك إذا ما أضفنا إليها بعضاً من مأثوراته التي حفظتها لنا المصادر الأخرى، ويمكن تقسيم تلك الأساليب إلى قسمين:

القسم الأول: أساليب تربوية تختص بالمعاملة:

وقد ابتدأنا بها لأنها في اعتقادنا الأساس الأول في العملية التربوية، لأنها تختص بتشكيل شخصية المتعلم، وإعداده لتقبل العلم. وتتحدد مسؤوليتها كما نستخلصها من فكر علي عليه السلام، في الأسرة أولاً، وفي المعلم من ناحية ثانية، فبالنسبة للأسرة يرى علي عليه السلام ـ كما نفهم مما لدينا من نصوص ـ أن توصيل العلم والأخلاق للحدث في نطاق الأسرة يحتاج

---

(١) ضرار بن ضمرة الضبائي أو الضابيء ـ لم نعثر له على ترجمة، قال عنه المسعودي، في مروج الذهب ٢/ ٤٣٣ أنه «كان من خواص علي عليه السلام» كما أشار عبدالزهراء الحسيني في مصادر: نهج البلاغة ١/ ٥٠ الهامش أنه «مولى أم هاني بنت أبي طالب».

(٢) الحصري القيرواني ـ زهر الآداب ١/ ٤١، وراجع النص أيضاً في مروج الذهب السابق.

إلى مستوى معين من الثقافة التربوية التي تتطلب من ولي الأمر أو الأب، أن يجعل من نفسه طفلاً في مرحلة ما وصديقاً وصاحباً في مرحلة أخرى، حسب أعمار أبنائه الذين يقوم بتربيتهم، فقوله «مِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ صَبَا»(١) أي نزل إلى مستواه، وتحدث إليه بمقدار فهمه حتى يتمكن من كسب ثقته وحبه، والتعرف على مشاكله عن كثب، ومحاولة حلها معه بالتوجيه السليم والأخلاق الحميدة. وتصابي الأب لابنه يحتم عليه أن يعيش عصره، وينظر بمنظار زمان ذلك الإبن، ويفكر بعقليته، أي لا يكون جباراً مستبداً بفرض أفكاره، إذ يجب عليه أن يضع في اعتباره أن الأفكار التي يتبناها ويعتقدها قد لا تتناسب مع عصر أبنائه فالأبناء ـ كما يبدو في فكر علي عليه السلام ـ ليسوا صوره طبق الأصل مكررة من الآباء حتى يتقبلوا منهم كل أفكارهم، فكما أن الإنسان يتطور من حيث السن والإدراك والعقل، فإن العصر أيضاً يتطور، فما كان بالأمس مقبولاً في عرف الآباء، فليس بالضرورة قبوله اليوم في عرف الأبناء، لذلك يرى علي عليه السلام أنه من الضروري أن لا يقسر الآباء أبناءهم على عاداتهم لأنهم «مَخْلُوقُونَ لِزَمَانٍ غير زمانهم»(٢)، فالإنسان بفكره وروحه ابن عصره الذي يعيش فيه لأنّ «النَّاسَ بِزَمَانِهِمْ أَشْبَهَ مِنْهُمْ بِآبَائِهِمْ»(٣) أي «أن نفوسهم أكثر انفعالاً وأطوع لأخلاق زمانهم وعاداتهم وزيهم وحالاتهم منها لعادات الآباء

---

(١) الكليني ـ الفروع من الكافي ٦/ ٥٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٠/ ٢٦٧.

(٣) ميثم البحراني ـ شروح المئة كلمة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من جمع الجاحظ ص٩٤.

وحالاتهم»[١]. وكما يولي علي عليه السلام أهمية لدور الأسرة والأب على وجه الخصوص في العملية التربوية، فإنه يعطي للمعلمين دوراً، يكاد لا يقل عن دور الأب ويسلط الضوء في هذه الناحية على أساليب العقاب سواء كان بالضرب أم بالكلام، فقوله «لاَ تَسْتَعْمِلِ الفِعْلَ حَيْثُ يَنْجَحُ القَوْلُ»[٢] يعني عدم استخدام العقاب البدني كأسلوب في التربية، إلا بعد استنفاذ كل أساليب النصح والإقناع مع المتعلم، فإذا ما انصاع المتعلم لأمر معلمه بالكلام فلا داعي بعد ذلك للوم والتقريع فما «عَفَا عَنِ الذَّنْبِ مَنْ قَرَّعَ بِهِ»[٣]. والعقاب كرادع تأديبي يرجى من ورائه الإصلاح، يجب أن لا يعمل به إلا بعد أن يستنفذ المؤدب كل وسائل التفاهم، التي بينها، إعطاء المذنب فرصة للتفكير والمراجعة، وفي هذا المجال يقول علي عليه السلام «لاَ تَتْبَعِ الذَّنْبَ بِالعُقُوبَةِ وَاجْعَلْ بَيْنَهُمَا وَقْتاً لِلاعْتِذَارِ»[٤] ثم أن أساليب المعاملة في فكر علي عليه السلام درجات متفاوتة، يجب على المربي أن يكون على دراية تامة بها، كما يجب أن يكون عارفاً بنفوس من يتصدّر لتهذيبهم واضعاً في اعتباره أنهم نماذج بشرية مختلفة الأمزجة والطباع، فمنهم الخيّر الذي قد لا يستحق من العقاب إلا ما هو في حدود التلميح، وفي حالات نادرة جداً، ومنهم من لا يجدي معه إلا أسلوب الترغيب والترهيب، ومنهم من لا يردعه سوى العقاب الصارم، ومن خصائص الوظيفة التربوية ـ كما يرى

---

(١) السابق.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٠/ ٢٧٨، ٣٤٢.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢٠/ ٣٢٨، ٣١١.

(٤) السابق.

علي عليه السلام - أن يعامل «الأَحْرَارَ بِالكَرَامَةِ المَحْضَةِ، وَالأَوْسَاطَ بِالرَّغْبَةِ والرَّهْبَةِ، وَالسَّفَلَةَ بِالهَوَانِ»(١) إلا أن ذلك لا يعني التمادي في الشدة إلى أقصى غاياتها، إذ من واجب العربي أن يكون متعقلاً في عقابه متزناً في عتابه، لأن التمادي في العقاب قد يخرج المعاقب عن اتزانه، فيتمادى في خطئه بإصرار وعناد، لذلك يقول علي عليه السلام للمربي «إذا عَاتَبْتَ الحَدَثَ، فَاتْرُكْ لَهُ مَوْضِعًا مِنْ ذَنْبِهِ، لِئَلاّ يَحْمِلَهُ الإِخْرَاجُ عَلَى المُكَابَرَةِ»(٢). ثم أن العفو عن المذنب والتغاضي عن هفواته يجب أن يكونا نافذين، حال العمل بهما، وعلى هذا يجدر بالمربي أن لا يعاود المعاتبة على ذنب مضى وصدر عفو فيه، لأنه «مَا عَفَا عَنِ الذَّنْبِ مَنْ قَرَّعَ بِهِ»(٣) وإذا أراد المعلم تبصير المتعلم بأخطائه، وتوجيه النصح له وإرشاده، فمن الأجدى أن يختار الوقت المناسب والمكان المناسب، فلا يحاول إعطاء نفسه قيمة بإظهار سلطته في توجيه المواعظ والكشف عن عيوب المتعلم في ملأٍ من النّاس لأنّ «النُّصْحَ بَيْنَ المَلأِ تَقْرِيعٌ»(٤) كما يقول علي عليه السلام، فخلاصة فكر علي عليه السلام في هذا الجانب التربوي هو إلمام المربي بأساليب المعاملة قبل أن يكون عالماً حتى يتمكن من التقرب من المتعلمين ليوصل إليهم علمه.

القسم الثاني - أساليب تربوية تختص بالعملية التعليمية:

العملية التعليمية جانب هام من جوانب التربية في فكر علي عليه السلام، فهو يرى أن أجدى التعليم وأثبته وأقواه ما بُدئ به في الصغر، لأن «قَلْبُ

---

(١)، (٢)، (٣) شرح ابن أبي الحديد ٢٠/ ٣٣٣، ٣٤٢.

(٤) ميثم البحراني - شرح المئة كلمة ص١٥٠.

الحَدَثِ كَالأَرْضِ الخَالِيَةِ، مَا أُلْقِيَ فِيْهَا مِنْ شَيءٍ قَبِلَتْهُ»[(١)] وعليه يجب على المربين المبادرة بحرث هذه الأرض وزرعها بالمجدي من العلوم، ونعتقد أن لدى علي عليه السلام اقتناع تام بأهمية التعليم منذ الصغر، فإذا كان قد شبه قلب الطفل بالأرض البكر، فإنه قد شبه الطفل أيضاً بالطينة الطبيعية التي يمكن للصانع تشكيلها ونقش ما شاء فيها، وشبهه بالغصن اللدن الذي يقبل الماء والتربة، فيمد جذوره وتورق براعمه، ويتجلى ذلك ضمن قوله «إطْبَعِ الطِّيْنَ مَادَامَ رَطِبًا، وَاغْرُسِ العُوْدَ مَادَامَ لَدِنًا»[(٢)]. ونستطيع أن نستخلص مما ورد في نهج البلاغة بشأن العملية التعليمية، بأنها يجب أن تكون متناسبة وحاجة الوضع القائم بالإبتداء بتعليم ما هو ضروري للحياة، وما يتناسب ومقتضى الحال كما في قوله ضمن وصيته لابنه الحسن عليه السلام «رَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِيْ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِيْ الوَالِدُ الشَّفِيْقُ وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ العُمُرِ، وَمُقْتَبَلِ الدَّهْرِ، ذُوْ نِيَّةٍ سَلِيْمَةٍ، وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ، وَأَنْ أَبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيْمِ كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَتَأْوِيْلَهُ، وَشَرَائِعَ الإِسْلاَمِ وَأَحْكَامَهُ، وَحَلاَلَهُ وَحَرَامَهُ، لاَ أُجَاوِز ذلِكَ بِكَ إلى غَيْرِهِ، ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيْهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ مِثْلَ الَّذِي الْتَبَسَ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتُ مِنْ تَنْبِيْهِكَ إِلَيْهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلاَمِكَ إلى أَمْرٍ لاَ آمَنَ عَلَيْكَ بِهِ الهُلْكَةَ»[(٣)] فالذي يمكن استنتاجه ـ حسب فهمنا للنص ـ إن الظروف وحاجة المجتمع هما اللذان يقرران نوعية

---

(١) رسائل ـ ٣١ فقرة ٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٠/ ٣١٥.

(٣) رسائل ـ ٣١ فقرة ٦.

التعليم، ويجب على المربين مراعاة ذلك أثناء وضع خططهم ورسم مناهجهم، فتخصيص علي عليه السلام العلوم الدينية بتقديم الأهم على المهم ليس إلا أنه يراعي حاجة العصر، لذلك فنحن لا نتفق مع الشيخ محمد جواد مغنية في قوله بأن «الإمام يوصي بوجه عام أن يلقن الطفل أولاً أصول الإسلام الضرورية، ويمرن على السلوك الشرعي حتى إذا تقدمت به السن تعلم القرآن والشريعة»[(١)] لأن ما اعتبره تلقينا للطفل من علوم، لا يمكن أن تكون في مستوى سهولة تَعَلُّم القرآن، وقد نص كثير من المفكرين المسلمين ممن اهتموا بالتربية على الإبتداء بتعليم الطفل القرآن كأساس لجميع العلوم الدينية[(٢)]، وكما يبدو من المقولة، فقد أراد علي عليه السلام ذلك بالفعل إلا أنه قد رجع عن إرادته تلك آخذاً بتعليم ابنه من العلوم التي تمكنه من التعايش بين الناس في مجتمعه. ولكن ذلك لا يعني - في فكر علي عليه السلام - إكراه المتعلم على الأخذ بنمط من التعليم يتعارض مع ميوله، فبجانب احتياجات العصر يجب أن يضع المربون في اعتبارهم استعدادات المتعلم وميوله فإن «لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً، وَإِقْبَالاً وَإِدْبَاراً فَأْتُوهَا مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا، فَإِنَّ القَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ»[(٣)]. علاوة على ذلك فإن هناك الكثير من الملاحظات التربوية الجديرة باهتمام المربين منها:

محاولة تحبيب العلم وتقريبه إلى نفوس المتعلمين بالمراوحة بين ما هو مفيد وبين ما هو طريف ومحبب إلى النفوس، لأن الجد المتواصل، يكد الفكر

---

(١) في ظلال نهج البلاغة ٣/ ٤٩٣.

(٢) راجع مقدمة ابن خلدون ص٤٧٠.

(٣) ١٩١، ٨٩.

ويتعب النفس، فيتنابها الملل والسأم، فتأبى التقبل، فالأذهان تحتاج إلى الراحة كما تحتاج إلى ذلك الأبدان وهو ما يمكن استخلاصه من قول علي عليه السلام «إِنَّ هَذِهِ القُلُوْبُ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الأَبْدَانُ، فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الحِكْمَةِ»[١].

ويجب على المربين أن يعرفوا ـ كما يبدو في فكر علي عليه السلام ـ أن العلم لا يتمثل في الحشو الكثير، والمطولات المملة أو المختصرات المخلة، بل يجب أن تكون قواعده في أساليب واضحة، ومحددة، لا تشتت ذهن المتعلم لأنه «إِذَا ازْدَحَمَ الجَوَابُ خَفِيَ الصَّوَابُ»[٢] أي أنه كلما كانت الإجابات على المسألة والقضية العلمية متعددة الجوانب متشعبة الطرق كلما خفيت الحقيقة المرجوة منها.

ومما يجب على المربي أن يأخذ به ـ كما يبدو في فكر علي عليه السلام ـ تعويد المتعلمين على المناظرة بإزالة عقد الخوف والخجل من نفوسهم، فلسان المرء كما يقول علي عليه السلام ـ بضعة منه «لاَ يُسْعِدُهُ القَوْلُ إذا امْتَنَعَ، وَلاَ يُمْهِلْهُ النُّطْقُ إذا اتَّسَعَ»[٣] ومرجع ذلك الإمتناع أو الإتساع إلى العادة التي يُربى الإنسان عليها منذ بداية حياته في مراحل التعليم الأولى، حين يحتاج إلى توضيح ما يبهم عليه بطريق السؤال والمناقشة، وحتى يستطيعوا ذلك، فإن عَلِيّاً يحبذ تعويدهم منذ حداثة سنهم على «المِرَاءِ وَالجَدَلَ»[٤] كي تنفك عقدة ألسنتهم.

---

(١) ١٩١، ٨٩.

(٢) حكم ـ ٢٤٢.

(٣) خطب ـ ٣٢٠ الفقرة الأولى.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢٠/ ٣٨٥.

ومن المهام المناطة بالمربي ـ كما يبدو في فكر علي عليه السلام ـ أيضاً ـ تعويد المتعلم على البحث فيما هو مكلف به ومسؤول عنه، بمعرفة كل ما يحيط به من سلبيات وايجابيات، وتحديد كل ذلك في إطاره السليم، والقيام بأدائه كاملاً بثقة وصدق وإخلاص وذلك ما يمكن استخلاصه من قوله لابنه الحسن عليه السلام «إعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِيْ تَقْوَى الله وَالإقْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ الله عَلَيْكَ»[1] أي ما أنت مسؤول عنه ومكلّف بأدائه من واجبات مقرونة بجماع الأخلاق المتمثلة في التقوى.

تلك إذن هي بعض الملامح التربوية التي أمكن استقصاؤها من فكر علي عليه السلام كما بدت لنا وهي ـ كما نعتقد ـ لم تكن مقولات نظرية لآراء خيالة من مضمونها العملي، لأن عَليّاً قد باشر في تطبيقها. ويمكن ملاحظة ذلك من السياقات التي وردت فيها تلك المقولات مع الأخذ بعين الإعتبار مناسباتها.

فنظرة علي عليه السلام إلى المجتمع ـ كما نتصورها ـ نظرة شاملة وعميقة في ذات الوقت وملتحمة أيضاً التحاماً تاماً بسياسته العامة التي تهدف إلى السعادة والحياة الأفضل، فالإنسان الذي يمكننا نتصوره من خلال نهج البلاغة «كائن مصانة حقوقه... مطمئن إلى أن حكومته لا تجفو فتقطعه عنها وعن المجتمع بهذا الجفاء، وهو مطمئن إلى أنه مساو لجميع المواطنين... وهو واثق بأن حقوقه صغيرها وكبيرها، قليلها وكثيرها لن تذهب عنه إلى سواه»[2] إلا أن ذلك المجتمع المتكامل الذي أراد له

---

(١) رسائل ـ ٣١ فقرة ٧.

(٢) جورج جرداق ـ علي عليه السلام صوت العدالة الإنسانية ٢/ ٢٧٨.

عليعليه السلام الوجود، لم يتسن له تحقيقه ليس لأن سياسته الإجتماعية جديدة بالنسبة للمجتمع، لأن الرسولصلى الله عليه وآله وسلم قد باشر في تطبيقها وعمل على تدعيم قواعدها إلا أن إرهاصات التغيير المتمثل في تهيئة العرب إلى تقبل تحويل الخلافة الإسلامية إلى ملك عضوض، يعتمد على سياسة بذل المال في غير حقوقه بسخاء كان أقوى وأشد من أن تقف المبادئ في وجهه لصده. ولكن ذلك لا يعني فشل سياسة عليعليه السلام الإجتماعية لأن مقياس الفشل والنجاح بالنسبة للأفكار مرهون بخلودها في انتظار تطبيقها.

الباب الرابع

القضايا الكلامية والتأملات الكونية كما تبدو في نهج البلاغة

ـ الفصل الأول: القضايا الكلامية المتعلقة بالعقيدة.

ـ الفصل الثاني: التأمل وتداعي الأفكار والغيبيات كما تبدو في فكر علي عليه السلام.

ـ الفصل الثالث: نظرة علي عليه السلام إلى الحياة كما تبدو في نهج البلاغة.

إن تأمل علي عليه السلام العميق في معاني القرآن، واستلهامه الدقيق لجوانب كثيرة من تاريخ البشرية، أمدّا ما ورثه عن رسول الله صلى الله عليه وآله من علم بروافد ثرة في مجال ما سمي فيما بعد بالقضايا الكلامية المتعلقة بالعقيدة، علاوة على أثرها الجلي فيما أثر عنه من وصف الطبيعة وتأملات كونية. على أن هذه الموضوعات الفكرية، لم يتناولها علي عليه السلام لمجرد التنظير، أو لطرح قضايا من أجل الجدل، فليس ثمة ما يدعوه إلى ذلك وهو المشغول إلى أخمص قدميه بأعباء السياسة والحكم وتجهيز الجيوش، وإعادة بناء المجتمع، ولكن حاجة العصر الملحةَ للكلام في مثل هذه القضايا، وتوضيح ما أبهم على المسلمين منها، هو ما حتم عليه القول فيها بكثرة لاقتناعه بأهمية العصر لها، فلقد كانت تلك القضايا، وخاصة ما يتعلق بالعقيدة منها، شغله الشاغل، والهاجس الذي ظل يلح عليه حتى آخر لحظة من حياته، وأول هذه القضايا التي أولاها علي عليه السلام جانباً كبيراً من اهتماماته، القضايا المتعلقة بالعقيدة.

الفصل الأول

القضايا الكلامية المتعلقة بالعقيدة الخالق ـ الملائكة ـ الرسل ـ الإنسان

الكلام في الإصطلاح الفلسفي، هو كل صياغة لغوية تنبني على أسس منطقية أو جدلية، ويختص في أغلب الأحيان بمعالجة المسائل الإعتقادية[١]، ويعزو الشيعة والمعتزلة أصول هذا العلم إلى علي بن أبي طالب، فالتوحيد والعدل وغيرهما من الأصول الإعتقادية ما عرفت ـ كما يرى كل من الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ)[٢] وابن أبي الحديد (ت ٦٥٥ هـ)[٣] ـ إلا عند علي عليه السلام دون غيره من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، وبشأن ذلك يقول العقاد أيضاً «عنه أخذ الحكماء الذين شرّعوا علم الكلام قبل أن يتطرق إليه علم فارس أو علم يونان»[٤]. لكن تلك الأقوال لا تعني

---

(١) راجع ـ دي بور ـ تاريخ الفلسفة في الإسلام ص٩٥ وما بعدها.

(٢) راجع أمالي المرتضى ١/ ١٤٨ وما بعدها.

(٣) راجع شرح النهج ٦/ ٣٤٦.

(٤) عبقرية الإمام علي عليه السلام ص٣١.

أن علياً عليه السلام بتطرقه في خطبه إلى أمور العقيدة، يعتبر من المتكلمين بالمعنى الإصطلاحي الذي تحمله الكلمة في جوانبها المنطقية أو الفلسفية، لأن كلامه في العقيدة ـ كما نعتقد ـ ما هو إلا امتداد لفكره الشامل لقضايا السياسة والإجتماع والأخلاق والتربية، لكون ذلك الفكر نابعاً من الدين، ويسير في ظلاله، وقضايا العقيدة هي أصل الدين، مما يحتم على كل مسلم الإلمام بها بالقدر الذي يستوعبه عقله من فهم يؤدي به إلى الإيمان الصحيح وهو ما كان علي عليه السلام يرمي إليه من النصوص التي أثرت عنه بشأن قضايا الخالق، والملائكة والرسل والإنسان، وعلي عليه السلام من خلال هذه النصوص، يحاول أن يتحدث مع العقل ليقنعه بالتمسك بطريق الإيمان بالله، فكيف عالج تلك القضايا الأربع: الخالق ـ الملائكة ـ الرسل ـ الإنسان.

أولاً ـ الخالق

تتفق جميع الفرق الإسلامية على أن معرفة الله سبحانه وتعالى، هي ركن الإيمان الأساسي والأول، فالفرق بين المسلم والكافر شهادة «أن لا إله إلا الله» وتقتضي تلك الشهادة معرفة حقيقية بالخالق. وعلى الرغم من أن هذه المعرفة من الأمور التي يمكن للإنسان الإهتداء إليها بفطرته من خلال تأملاته فيما حوله من إبداعات كونية، إلا أنها قد تزعزع إيمانه وتؤدي به إلى مهاوي الكفر والإلحاد، فيما لو حاول قياس ما اهتدى إليه من معرفة، بنفسه ككائن مقتدر له من الصفات والمزايا والطاقات ما يشعره بالتفرد وتقديس الذات، مما يجعله يلغي من ذاكرته وجود إلاه قادر، وقد يؤدي به فكره إلى المقارنة بين الموجودات وموجودها إما عن جهل، وإمّا

عن مكابرة لشعور بتضخم الذات، وفي كلتا الحالتين يطلق على الله سبحانه وتعالى أوصافاً حسية، وقد عرض علي عليه السلام إلى قضية الصفات ضمن الكثير من نصوص النهج يمكننا من خلالها استخلاص فكره في هذا الجانب.

صفات الخالق في فكر علي عليه السلام:

يبدو أن علياً عليه السلام قد سلك نهجاً فكرياً واحداً فحواه نفي كل الصفات التي تخطر على بال العبد، أثناء تصوره للخالق جل شأنه، لقوله أن «كَمَالُ الإِخْلاَصِ (الله) نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ»[1] وينبني فكره ذاك على أن الصفات المتخيلة لا يمكن أن تكون إلا للأعراض التي تمكن الناظر إليها من مقارنتها بما حوله من مرئيات، فالتصدي لوصف ذات الخالق سبحانه يعني مقارنتها بتصورات مشابهة لها، فتبني على ذلك نتائج خطيرة تنفي فكرة التوحيد أساس العقيدة الأول، وفي هذا المجال يقول علي عليه السلام «فَمَنْ وَصَفَ الله سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ، فَقَدْ ثَنَّاهُ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ، وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ»[2] فالملاحظ أن المقولة مبنية على أسباب تؤدي إلى نتائج فكرية طبيعية بسيطة، مصوغة في قوالب بعيدة عن أية تعقيدات فلسفية، لأنها تأخذ من واقع المستمع إليها أمثلة للبرهنة عليها، مع وضع الثقافة الدينية للمتلقي في الإعتبار، وهي في نهايتها تقول بالتوحيد.

---

(١)،(٢) خطب ـ ١ ـ فقرة ١.

التوحيد كما يمكن إدراكه من فكر عليعليه السلام :

تتفق جميع الفرق الإسلامية على أن التوحيد، هو الركن الأول في العقيدة الإسلامية، بشهادة قول رسول اللهﷺ «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسَةٍ. عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ الله، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ وَصِيَامِ رَمَضَانَ وَالحَجِّ»[1] ويرى الشيعة الإمامية أن قول كلمة التوحيد بإخلاص وصدق تدخل الجنة، ويَرْوُوْن في ذلك عدة أحاديث نبوية منها قولهﷺ «مَنْ قَالَ لاَ إِلَه إِلاّ الله مُخْلِصًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَإِخْلاَصُهُ أَنْ تَحْجِزَهُ لاَ إِلَه إِلاّ الله عَمَّا حَرَّمَ الله عَزَّ وَجَلَّ»[2]. وقد وضعت بعض فرق المرجئة التوحيد في مرتبة سامقة جعلته كل الإيمان ومنتهاه «وَأَنَّ العَبْدَ إِذَا مَاتَ عَلَى تَوْحِيْدِهِ، لاَ يَضُرُّهُ مَا اقْتَرَفَ مِنَ الآثَامِ وَاجْتَرَحَ مِنَ السَّيِّئَاتِ»[3]. وفي اعتقادنا أن علياًعليه السلام هو أول من فصّل القول في التوحيد بعد أن كان مجملاً في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، إذ كان معناه مقصوراً على الشهادة بالوحدانية، وعدم الشرك بالله.

وبالتمعن فيما أثر عن عليعليه السلام من نصوص، نجد أن فكره قد امتد ليبرز لمسلمي عصره جل ما ينطوي عليه التوحيد من معان فكرية تؤدي إلى الإقتناع الخالص المتين به وفي محاولة منا لفهم ذلك، تمكنا من الإهتداء إلى مقاصد ثلاثة للتوحيد في فكر عليعليه السلام :

---

(١) صحيح مسلم ـ ١/ ٤٥.

(٢) الصدوق ـ التوحيد ـ ص٢٨.

(٣) الشهرستاني ـ الملل والنحل ١/ ١٤٠.

الأول ـ توحيد الذات:

ينفي عليﷺ عن الله سبحانه العددية لقوله «الأَحَدُ بِلاَ تَأْوِيلِ عَدَدٍ»[١] لأن العددية تعني في مضمونها ـ كما يرى عليﷺ ـ القلة والكثرة والتجزئة فالواحد بطبيعة الحال أول الأعداد وهو أقل من الإثنين، ويمكن تجزئته، وهو ما يستحيل تطبيقه على الله سبحانه.

ثم أن توحيد الذات يعني، أن لا شريك لله ولا مثيل له ولا يتصور شبهه كما في قوله «أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَه إِلاّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، الأَوَّلُ لاَ شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالآخِرُ لاَ غَايَةَ لَهُ»[٢]، فاعتبار أولويته ونهايته مطلقة تقتضي بذاته الدوام الأبدي، لأنه سبحانه «لَوْ سَبَقَهُ العَدَمُ وَانْتَهَى إِلَيْهِ لَكَانَ حَادِثًا، وَلاَبُدَّ لِوُجُودِ الحَادِثِ مِنْ سَبَبٍ»[٣] فإذا لم يكن سبب وجوده ذاتياً، فلابد من احتياجه إلى غيره، ولابد لغيره أن يحتاج في وجوده إلى غيره... وهكذا إلى أن ننتهي إلى سبب الأسباب المتمثل في الذات التي تؤثر ولا تتأثر، وهو ما يمكننا استخلاصه من قول عليﷺ «الأَوَّلُ لاَ شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالآخِرُ لاَ غَايَةَ لَهُ»[٤].

الثاني ـ توحيد الصفات:

يطلق العقل الإنساني على الله سبحانه صفات متعددة كالعدل، والقدرة، والحلم، والعلم، والقوة... وتعداد هذه الصفات لا يعني

---

(١) خطب ١٥٢ ـ فقرة ١.
(٢) خطب ـ ٨٤ ـ فقرة ١.
(٣) محمد جواد مغنية ـ في ظلال النهج ١/ ٤١٩.
(٤) خطب ـ ٨٤ ـ فقرة ١.

وجود كل صفة في ذات الله منفردة، إذ لو كانت كذلك لتباينت في ضعفها وقوتها ولظهر أثر ذلك التباين على ما في الكون من مخلوقات، لذلك يرى علي عليه السلام أن هذه الصفات إنما هي في حقيقتها صفات ذهنية من ابتكار العقل الإنساني، لذلك فإن كل الصفات مهما تناهت في التعداد والمثالية فهي متوحدة في ذاته سبحانه، لأن «التعدد إنما هو نوع من أنواع الكمال لا في ذات الكامل المطلق الذي هو المبدأ الأول لكل كمال»[(١)] ويمكن فهم ذلك من قول علي عليه السلام، بأن «كُلُّ عَزِيْزٍ غَيْرَهُ ذَلِيْلٌ، وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرَهُ ضَعِيْفٌ، وَكُلُّ مَالِكٍ غَيْرَهُ مَمْلُوْكٌ، وَكُلُّ عَالِمٍ غَيْرَهُ مُتَعَلِّمٌ، وَكُلُّ قَادِرٍ غَيْرَهُ يَقْدِرُ وَيَعْجَزُ»[(٢)]. مما يعني أن كل تلك الصفات عين ذاته لا تناقض بينها ولا تعددية فيها، فقولنا: الله سبحانه، نعني به القوي العزيز الجبار المتكبر...

الثالث ـ توحيد الأفعال:

ونقصد به تأثير الله سبحانه في الوجود، فهو سبحانه الذي خلق الإنسان وألهمه خاصية التفكير، وأقدره على الإختيار، وخلق النار ومنحها خاصية الإحتراق، وخلق الشمس والقمر، ومنحها خاصية الإنارة، فالأفعال وعللها نابعة من توحد ذاته سبحانه وتعالى فهو وحده الذي لا يفتقر إلى معونة أحد، ونخلص إلى ذلك من قول علي عليه السلام «المُنْشِئُ أَصْنَافَ الأَشْيَاءِ بِلاَ رَوِيَّةِ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا... فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ، وَأَجَابَ إلى دَعْوَتِهِ، لَمْ يَعْتَرِضْ دَوْنَهُ رَيْثُ المُبْطِئِ، وَلاَ أَنَاةُ المُتَلَكِّئِ، فَأَقَامَ مِنَ الأَشْيَاءِ أَوَدَهَا... وَفَرَّقَهَا أَجْنَاسٍ مُخْتَلِفَاتٍ فِي الحُدُوْدِ وَالأَقْدَارِ

---

(١) محمد جواد مغنية ـ فلسفة التوحيد والولاية ص٤٩.

(٢) خطب ـ ٦٤.

وَالغَرَائِزِ وَالهَيْئَاتِ»[١]. مما يعني توحد الأفعال في القدرة الإلهية من جميع جوانبها وبدقائق تفاصيلها.

وقد يبدو الفكر متناقضاً، بين قول علي عليه السلام بحرية الإنسان في اختيار أفعاله فيما سبق[٢] وبصنع الله سبحانه وتعالى أفعال العبد هنا مما يوحي بالإلجاء المؤدي إلى فكرة القضاء والقدر اللازمين على الفرد، ولإزالة هذا اللبس، يجب أن ندرك أن توحيد الأفعال بالنسبة للإنسان، لا يعني أنه سبحانه قد ألجأ الإنسان إلى انتهاج طريق محدد في أفعاله، فخلق الأفعال هنا يعني أن الله سبحانه قد خلق أفعال العبد وأقدره على اختيار الأصلح منها بالتمييز بينها، والأخذ بما شاء منها، مما يعني أن القدر ليس لازماً، وإلا بطل الثواب والعقاب وهو ما يمكن إدراكه من قول علي عليه السلام لمن سأله «أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدر»[٣] فأجابه علي عليه السلام بالإنعام على سؤاله «فَقَالَ الشَّيْخُ، عِنْدَ الله أَحْتَسِبُ عَنَائِيْ، مَالِيَ أَجْرٌ»[٤] أي أنني كنت مرغماً على ذلك وليس بمحض اختياري، فبادره علي عليه السلام بما يزيل لبسه ويطمئن نفسه، بما في معناه، أن القدر الذي يعنيه ليس بلازم للعبد،[٥] لأنه لو كان كذلك لما كان أي معنى للعقاب والثواب، إذ لا جدوى من المحاسبة مادمنا مرغمين بالسير في طريق مرسوم معين فالله

---

(١) خطب ـ ٩٠ فقرة ٣.

(٢) راجع ص٢١٥ من هذا البحث.

(٣)،(٤) أمالي المرتضى ١/ ١٥٠، السكوني ـ عيون المناضرات ـ ص١٧٧.

(٥) راجع حكم ـ ٧٦. وقد اقتصر الرضي على الجزء الذي أوضحنا معناه، أما بقية الرواية فيمكن مراجعتها في المصدرين السابقين.

سبحانه وتعالى خلق الأفعال وخلق لها الأسباب وأودع في الإنسان مقدرة التمييز والإختيار، وبموجب ذلك الإختيار يحاسب، أي بمعنى أن أفعال العباد وأسبابها مقدرة، خالقها واحد هو الله. هذا بالنسبة للإنسان، أما بالنسبة للظواهر الطبيعية الأخرى فقد خلقها الله وأودعها خواصها المتمايزة عن غيرها، إذ لا يمكن الفصل بين الجسم، وخاصيته، وتتضح تلك الفكرة من قول علي عليه السلام «جَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا، وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا وَأَجْرَاهُمَا فِيْ مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا وَقَدَّرَ سَيْرَهُمَا فِيْ مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»[١].

ولو تأملنا في مقاصد التوحيد الثلاثة التي استنبطناها من مأثورات النهج، لوجدنا أنها كلها في حقيقتها ترمي إلى هدف واحد كان علي عليه السلام يلح على تثبيته في النفوس، وهو تنـزيه الله سبحانه وتعالى عن الصفات ويجمل ذلك كله في قوله «التَّوْحِيْدُ أَنْ لاَ تَتَوَهَّمَهُ»[٢] أي لا تطلق عليه من الصفات المتخلية المستوحاة من التصورات الإنسانية، وتأكيداً لفكرة التوحيد تلك، فقد عالج قضية نفي الصفات من جميع وجوهها.

نفي الصفات عن الخالق جل شأنه:

إن نفي الصفات عن الله سبحانه وتعالى يقتضي ـ أولاً إزالة ما تنطوي عليه العقول من أوهام وتصورات تجعل منه شكلاً معيناً، وفي هذا يقول علي عليه السلام «لاَ تَنْعَقِدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ»[٣] لأن الكيف أو الشكل هما

---

(١) خطب ـ ٩٠ ـ فقرة ٤.

(٢) حكم ـ ٤٧٩.

(٣) خطب ـ ٨٤ ـ فقرة ١.

«هيئة قارّة في محلّ»[١] مما يعني إمكانية تجزئتها وتحديد مكانها، وهذا لا يجوز على الله سبحانه، فهو تعالى، بعيد عن الأوهام التي لا تدرك إلا ما كان ذا وضع معين، أو مادة مشكلة، والباري، كما يقول علي عليه السلام «لاَ تَقَعُ الأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ»[٢] لأنه مجرد عن كل الصفات الزائدة التي تتصف بها الأوضاع المادية. فوجوده ليس محدثاً لكون المحدث هو ما يتولد عن العدم، والله كما يقول علي عليه السلام «كَائِنٌ لاَ عَنْ حَدَثٍ، مَوْجُودٌ لاَ عَنْ عَدَمٍ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لاَ بِمُقَارَنَةٍ، وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لاَ بِمُزَايَلَةٍ»[٣] فهو واجب الوجود بالذات، ووجوب وجود ذاته تقتضي أن يكون في كل مكان ومع كل شيء، فقول علي عليه السلام في دعائه «اللَّهُمَّ أَنتَ الصَّاحِبُ فِيْ السَّفَرِ، وَأَنْتَ الخَلِيْفَةُ فِيْ الأَهْلِ لاَ يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ...»[٤] هو تعبير عن فكرة نفي الحيِّز من جسميةٍ وجهةٍ عن الخالق. لأن جَمْعَ عليٍّ بين حكمي الخلافة والإستصحاب ينـزهان الله عن الجهة والجسمية، وقد بنى فكرته تلك على نوع من البرهان العقلي البسيط، خلاصته عدم إمكانية الإنسان من أن يكون موجوداً في مكان ما ومصاحباً للآخرين في مكان آخر في وقت واحد[٥]، وهذا يقتضي أن يدرك الإنسان أن قدرة الله فوق كل قدرة، فهو «الأَوَّلُ الَّذِيْ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَالآخِرُ الَّذِيْ لَمْ يَكُنْ لَهُ بَعْدٌ فَيَكُونَ

---

(١) الخوئي ـ منهاج البراعة ـ ٦/ ١١٦.
(٢) خطب ـ ٨٤ ـ فقرة ١.
(٣) خطب ـ ١ ـ فقرة ١. ض
(٤) خطب ـ ٤٦.
(٥) راجع السابق.

شَيْءٌ بَعْدَهُ»[١] . فالزمانية التي نتصورها في الظرفين (قبل، بعد) ما هي إلا معان ابتكرها العقل الإنساني لوصف الزمن المتعلق بحياته، ولا يمكن أن يوصف بهما الله الذي «مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ الحَالُ، وَلاَ كَانَ فِيْ مَكَانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ الإنْتِقَالُ»[٢] أي إن وجود الله أعظم من أن يقرن بالدهر أو يوصف بالزمانية، مما يعني الثبات في دوامه، والإتحاد في مكانه.

ونفي الجسمية والزمانية والمكانية عن الخالق يقتضي أن «لاَ يُوْصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الأَجْزَاءِ وَلاَ بِالجَوَارِحِ وَالأَعْضَاءِ وَلاَ بِعَرَضٍ مِنَ الأَعْرَاضِ»[٣] والمقولة واضحة بحيث لا تحتاج إلى تحميلها أبعاداً فلسفية أو وضعها ضمن براهين منطقية، فهي في مجملها تعني أن الله منزه عن كل ما يتصف به الإنسان من أعضاء وحواس مضمرة تقتضي التفكير والتخطيط والحركة للشروع في أي عمل يريد إنشاءه، إذ يقول علي عليه السلام أنه سبحانه قد «خَلَقَ الخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ، إذْ كَانَتِ الرَّوِيَّاتِ لاَ تَلِيْقُ إلاّ بِذَوِي الضَّمَائِرِ، وَلَيْسَ بِذِي ضَمِيْرٍ فِيْ نَفْسِهِ»[٤] فالإضمار يعني التفكير والإجالة، وذلك من طبيعة المخلوق، وعلي عليه السلام هنا يريد أن ينفي عن الله سبحانه كل صفة أودعها خلقه. فهو سبحانه لا يجري عليه الإعياء كما يجري على ذوي الأوصال والأعضاء من الحيوانات، لأنه سبحانه ليس بذي جسم حتى يجهده العمل، وفي هذا يقول علي عليه السلام «لَمْ يَؤُدْهُ خَلْقٌ مَا ابْتَدَأَ وَلاَ تَدْبِيرُ مَا ذَرَأَ»[٥] .

---

(١)،(٢) خطب ـ ٩٠ ـ فقرة ١ .

(٣) خطب ـ ٢٣٤ ـ فقرة ١ .

(٤) خطب ـ ١٠٧ ـ فقرة ١ .

(٥) خطب ـ ٦٤ .

ثم أن إبلاغه سبحانه أوامره ونواهيه إلى مخلوقاته، لا تتكون من أصوات ولا ألفاظ لأنه سبحانه ليس بذي لسان، فالخالق كما يقول علي عليه السلام «يُخْبِرُ لاَ بِلِسَانٍ وَلَهَوَاتٍ وَيَقُولُ لاَ بِلَفْظٍ»[1] فالكلام المكون من أصوات مسموعة ذات حروف ملفوظة لا يصدق في حق الله لانتفاء آلية الكلام المتكونة من لسان ولهوات عنه جلت قدرته.

فقدرته سبحانه لا تحدها حدود، وصفته بعيدة كل البعد عن تصورات عقولنا الكليلة وعمله ليس له أمد ولا نهاية، إذ يقول علي عليه السلام في ذلك «قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ، وَخَبَرَ الضَّمَائِرَ، لَهُ الإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ»[2] فعلمه بالأشياء عند حدوثها هو عين علمه بها قبل حدوثها، لأنه سبحانه قد خلقها وقدّر لها ذلك فهو سبحانه «الأَوَّلُ الَّذِيْ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ وَالآخِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ بَعْدَهُ»[3] فهو كما نلاحظ قد وظف فعل الكينونة توظيفاً استمرارياً بصياغته في المضارعة وتكراره بالإيجاب والسلب حتى يتمكن من خلال تلك الصياغة من التعبير عن فكرته التي تعني أزلية الخالق وتنـزيهه عن أية اعتبارات إضافية تحدثها العقول.

فالإستدلال عليه وعلى وجوده ـ سبحانه ـ لا يمكن تقديره إلا من خلال التأمل في الوجود وما يحويه من آيات عظيمة تدل عليه فندرك بقلوبنا

---

(١) خطب ـ ٢٣٤ ـ فقرة ١، واللهوات ـ جمع لهاة بفتح اللام: اللحمة المشرفة على الحلق وتساعد على النطق.

(٢) خطب ـ ٨٥ ـ فقرة ـ ١.

(٣) خطب ـ ٩٠ ـ فقرة ١.

عظمته ونهتدي بعقولنا إلى قدرته، فقد «دَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلاَمُ الظُّهُورِ»[(١)].

فعلي عليه السلام لا يحاول إخضاع الخالق ـ جلت قدرته ـ للعقل بتحويله إلى مادة جدلية، كما هو عند المتكلمين والفلاسفة، لأن هدفه الأساسي من كل ما ذكره من أفكار بشأن الخالق، هو توعية مسلمي عصره إلى حقيقة الإيمان، وذلك بعد أن أخذت الهواجس تنتاب النفوس، والشكوك تتلاعب بها، فوجد لزاماً عليه محاولة إزالة تلك الحيرة[(٢)] بتوضيح السبيل إلى الإيمان الروحي التام بالقدرة الإلهية، التي تنحسر العقول وترتد عنها خاسئة، إذا ما حاولت البحث في كنهها، وهو في كل ذلك يستقي معاني النص القرآني الذي يجمع كل تلك الأفكار في قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[(٣)].

---

(١) خطب ـ ٤٩.

(٢) يمكن استخلاص انشغال علي عليه السلام بقضية الإيمان بالخالق من قوله في وصيته لابنه الحسن «رأيت حيث عناني من أمرك... أن أبتدئك بتعليم كتاب الله... لا أجاوزك إلى غيره ثم أشفقت أن يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم الذي التبس فكان احكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له أحب إلي من إسلامك إلى أمر لا آمن عليك به الهلكة»، رسائل ٣١ ـ فقرة ٦.

(٣) الشورى/ ١١.

ثانياً ـ الملائكة:

الإيمان بالملائكة من صلب العقيدة الإسلامية لقوله تعالى ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[1] علماً بأنه لا سبيل إلى معرفة حقيقتهم إلا عن طريق القرآن الكريم، فمن يؤمن بما جاء به القرآن الكريم من أخبار يتحتم عليه الإيمان بالملائكة. وقد أشار علي عليه السلام إلى عجز الإنسان عن وصف الملائكة، وذلك على سبيل تحدي قدرته ضمن قوله «إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَيُّهَا الْمُكَلَّفُ لِوَصْفِ رَبِّكَ، فَصِفْ جِبْرِيْلَ، وَمِيْكَائِيلَ... وَالمَلائِكَةَ المُقَرَّبِيْنَ»[2]، لذلك لم يؤثر عنه وصف أشكالهم وهيئاتهم، إلا في حدود ما أورده القرآن الكريم عنهم.

فعن خلقهم فقد جعل زمنه سابقاً لخلق آدم، وهو ما يتناسب وما ورد في قوله تعالى ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾[3] فالأمر صادر من الله إلى ملائكته بالسجود لآدم، وذلك يقتضي عقلاً أن يكونوا قد خلقوا قبله، ثم أن علياً عليه السلام قد نفى عنهم الصفات الإنسانية في تكاثرهم «فَلَمْ يَسْكُنُوا الأَصْلاَبَ، وَلَمْ يُضَمَّنُوا الأَرْحَامَ، وَلَمْ يُخْلَقُوا (مِنْ مَاءٍ مَهِيْنٍ) وَلَمْ يَتَشَعَّبَهُمْ (رَيْبُ المَنُونِ)»[4] وكل ذلك مستنبط من آيات متعددة تنفي

---

(١) البقرة/ ٢٨٥.

(٢) خطب ـ ١٨٤ ـ فقرة ٤.

(٣) الحجر/ ٢٩.

(٤) خطب ـ ١٠٨ ـ فقرة ٢.

في مجملها صفات الإنسان عن الملائكة[(١)]. وقد قسمهم من حيث اختصاصهم بالله سبحانه إلى أربعة أقسام هي:

١ ـ المختصون بعبادة الله سبحانه وتسبيحه وذلك في قوله: «مِنْهُمْ سُجُودٌ لاَ يَرْكَعُونَ وَرُكُوعٌ لاَ يَنْتَصِبُونَ، وَصَافُّونَ لاَ يَتَزَايَلُونَ، وَمُسَبِّحُونَ لاَ يَسْأَمُونَ، وَلاَ يَغْشَاهُمْ نَوْمُ العَيْنِ، وَلاَ سَهْوُ العُقُولِ...»[(٢)].

٢ ـ القائمون بأمر الوحي وتبليغ الرسالات، وقد وصفهم بقوله «وَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ وَحْيِهِ، وَأَلْسِنَةُ رُسُلِهِ»[(٣)].

٣ ـ القائمون بحفظ العباد من المخاطر والمهالك، والمراقبون لأعمالهم، وخدم الجنة وقد قال فيهم «وَمِنْهُمْ الحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ، وَالسَّدَنَةُ لأَبْوَابِ جِنَانِهِ»[(٤)].

وقد تضمن المقولة من القرآن الكريم، وحسب ترتيب الورود في السياق: السجدة/ ٨، الطور/ ٣٠.

(١) راجع: الأنعام/ ٩، الإسراء/ ٤٠، ٩٥، الزخرف/ ١٩.

(٢) خطب ـ ١ ـ فقرة ٣ وصافون: قائمون صفوفاً، لا يتزايلون: لا يتفارقون.

(٣) خطب ـ ١ ـ فقرة ٣.

يرى محمد عبده في شرحه للنهج ص٢٨ الإحالة إن هؤلاء هم الأمناء على وحي الله لأنبيائه، وإنهم الألسنة الناطقة في أفواه رسله، والمختلفون بالأقضية إلى العباد، وبهم يقضي الله على من يشاء بما يشاء.

(٤) المرجع السابق. ويرى محمد عبده إن هذه الفئة من الملائكة هم حفظة العباد كأنهم قوى مودعة في أبدان البشر ونفوسهم، يحفظ الله الموصولين بها من المهالك والمعاطب، ولولاهم لكان العطب ألصق بالإنسان من السلامة، كما أنهم من خدمة الجنة، يحفظون ما عهد إليهم، ويقومون على خدمته.

٤ ـ **القائمون بحمل العرش**: كأنهم القوة العامة التي أفاضها الله في العالم الكلي، فهي الماسكة له الحافظة لكل جزء منه»[1] وقد ورد ذكرهم في قوله «وَمِنْهُمْ الثَّابِتَةُ فِي الأَرَضِيْنِ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ، وَالمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ العُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ وَالخَارِجَةُ مِنَ الأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ وَالمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ العَرْشِ أَكْتَافُهُمْ»[2].

والتقسيمات الأربعة السابقة لا تعدو كونها تفصيلاً لمجمل ما ورد في القرآن الكريم، صاغه علي عليه السلام بأسلوب تصويري يهدف منه إيقاظ الإيمان في النفوس، دون اللجوء إلى الماروائيات البعيدة عن روح الدين. أما قضية المفاضلة بين الملائكة وآدم، التي أثارت جدلاً واسعاً في أوساط الفقهاء والمتكلمين المسلمين»[3]، فلم نجد لها أي صدى فيما أقر عن علي عليه السلام من نصوص في النهج.

---

(١) محمد عبده ـ شرح النهج ص٢٨ ط ـ الأندلس.

(٢) خطب ـ ١ ـ فقرة ٣، والعرش بحسب التأويل كناية «عن العز والسلطان. . . وعرش الله ما لا يعلمه البشر على الحقيقة إلا بالاسم، وليس كما تذهب إليه أوهام العامة فإنه لو كان كذلك لكان حاملاً له تعالى عن ذلك لا محمولا. . . وقوله تعالى (ذو العرش المجيد. . . البروج/ ١٥). . . وما يجري مجراها ـ قيل هو إشارة إلى ملكه وسلطانه»، الراغب الاصبهاني ـ المفردات في غريب القرآن ص٤٩٣ ـ ٤٩٤ ـ وعلى هذا المحمل يمكن تأويل العرش عند علي عليه السلام ـ لأنه ينفي عن الله كل الصفات مكانية وزمانية ويمكن استخلاص ذلك مما ورد عند الكليني في أصول الكافي ١/ ١٢٩ وما بعدها.

(٣) بشأن الملائكة واختلاف الأقوال فيهم وفي خلقهم يراجع ـ تفسير الرازي ٢/ ١٧٤ وما بعدها، وقد تطرق إلى الموضوع أيضاً ـ محمد جواد مغنية في تفسير الكاشف ١/ ٨٢.

ثالثاً ـ الرسل والأنبياء

عرض علي عليه السلام في الكثير من خطبه إلى الرسل والرسالات وقد استحوذ النبي محمد صلى الله عليه وآله على النصيب الأوفى من فكره، وقد ركز على عدة جوانب اعتقادية يمكن حصرها في أربعة هي:

الأولى: أهمية الرسل والمهام المناطة بهم:

يستنتج من كلام علي عليه السلام الذي تناول فيه واجبات الرسل، أن الله سبحانه وتعالى حين خلق الإنسان، وأسند إليه خلافة الأرض، أخذ عليه وعلى ذريته ميثاقاً بتوحيده، والإيمان به، بفطرته التي فطره الله عليها دون حاجة إلى هاد يرشده، وقد أودع الله ذلك الميثاق عقل الإنسان بهدايته إلى التأمل فيما حوله من آيات وأمثال وعلامات تدل على عظمة الخالق وقدرته والفكرة ـ كما نعتقد ـ تتسق وما ورد في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾[1]. وقد استجاب الإنسان في بداية أمره لذلك الميثاق الإلهي، إلا أنه سرعان ما استحكمت الشهوات بنفسه، وملكت عليه ملذات الدنيا لبه، فأدار ظهره لذلك الميثاق فنسيه بمرور الأزمان وتعاقب الأجيال، فكان لابدّ من تذكيره، وإقامة الحجة عليه قبل محاسبته، وإيقاع العقاب عليه، ومن أجل ذلك كما يقول علي عليه السلام «بَعَثَ (اللَّهُ) فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ العُقُولِ، وَيُرُوهُمُ الآيَاتِ المُقَدَّرَةَ...»[2] فأهمية الرسل

---

(١) الأعراف/ ١٧٢.

(٢) خطب ـ فقرة ٥ ـ ويستأدوهم ـ يطلبوا منهم أداء الميثاق الذي أخذه الله على آدم من قبل.

تكمن في تبصير الناس وتذكيرهم بواجباتهم نحو خالقهم سبحانه، فهم هُدَاةُ البشرية، ينتشلون النفوس من براثن الجهل ويأخذون بالأيدي إلى الخير والصلاح والعدل، ويبصرون الناس سبيل الفلاح بإثارة العقل والتأمل في خلق الله.

ولأهمية دور الرسل بالنسبة لهداية الإنسانية في أحقابها المختلفة يرى عليعليه السلام أن الله سبحانه «لَمْ يُخْلِ... خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لاَزِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ»[1] فاستمرارية تواتر الرسل في فترات مختلفة لحاجة البشرية إليهم كهداة، من الدعامات الرئيسية التي انبنى عليها فكر عليعليه السلام الإعتقادي، ولأهمية مكانتهم، فقد تطرق عليعليه السلام إلى قضية تنزيههم.

الثاني: تنزيه الأنبياء والرسل:

أسبغ عليعليه السلام على الأنبياء صفات أخلاقية هي الغاية في مثاليتها ـ لكونهم كما يرى، القدوة المحتذاة، فاختيارهم كهداة للبشرية من لدن الله سبحانه وتعالى، جعله يتعهدهم برعايته ويحيطهم بعنايته، منذ نشأتهم الأولى، وفي ذلك يقول عليعليه السلام «اسْتَوْدَعَهُمْ فِيْ أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ، وَأَقَرَّهُمْ فِيْ خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ، تَتَنَاسَخُهُمْ كَرَائِمُ الأَصْلاَبِ، إلى مُطَهَّرَاتِ الأَرْحَامِ، كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ، قَامَ مِنْهُمْ بِدِيْنِ الله خَلَفٌ»[2] فهم على هذا الحال، منزهون عن كل الدنايا التي تسيء إلى

---

(١) المصدر السابق.

(٢) خطب ـ ٩٣ ـ فقرة ٢.

أصولهم، محاطون برعاية الأهميّة في مختلف أطوار حياتهم التكوينية، فأصولهم معرقة في الكرم وطيب العنصر، يتنقلون في الأجيال حتى يبعثهم الله سبحانه، وتستمر رعايته لهم في الدنيا منذ يوم ولادة كل واحد منهم فيزودهم بآداب إلهية، وأخلاق قدسية، تقوم الملائكة برعايتها، وتعهدها، وفي ذلك يقول علي عليه السلام بشأن رعاية الله للرسول صلى الله عليه وآله «لَقَدْ قَرَنَ الله بِهِ صلى الله عليه وآله مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيْمًا، أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلائِكَتِهِ، يَسْلُكُ بِهِ طَرِيْقَ المَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلاقِ العَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ»[1]، وهو ما يمكن أن نطلق عليه تجوزاً معنى العصمة، لأن التربية المرعية من قبل الملائكة لابد أن تحيط صاحبها بسياج من الأخلاق التي تحول بينه وبين مواقعة الخطأ منذ نشأته الأولى وعلى ذلك السبيل يمكن الإعتقاد بقول علي عليه السلام بتنزيه الأنبياء.

الثالث ـ علاقة الزهد بالنبوة:

إن الأخلاق المتناهية في سموها ومثاليتها، تردع نفوس أولئك النخبة من البشر عن الرضوخ إلى الأهواء والجري وراء اللذات، فالزهد في كل ما هو زائل من نعيم الدنيا من أبرز سمات الأنبياء الأخلاقية كما يرى علي عليه السلام، فموسى عليه السلام «كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الأَرْضِ، وَلَقَدْ كَانَتْ خَضْرَةُ البَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيْفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ لِهُزَالِهِ وَتَشَذُّبِ لَحْمِهِ»[2] كما

---

(١) خطب ـ ٢٤٠ ـ فقرة ٢٦.

(٢) خطب ـ ١١ ـ فقرة ٦، ٧، ٨، ٩، الصِفاق ـ على وزن كتاب: هو الغشاء الرقيق الذي تحت الجلد، والتشذب، التفرق.

بلغ الزهد بنبي الله دَاوُدَ إلى درجة أنه «كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الخُوْصِ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِيْنِي بَيْعَهَا وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيْرِ مِنْ ثَمَنِهَا»[١] أَمَّا عِيْسَى عليه السلام فَقَدْ «كَانَ يَتَوَسَّدُ الحَجَرَ، وَيَلْبَسُ الخَشِنَ وَيَأْكُلُ الجَشِبَ»[٢] أما الرسول ﷺ فقد «قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا، وَلَمْ يَعِرْهَا طَرْفًا، أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحًا، وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا»[٣]. وهذا التناهي في الزهد لم يكن ـ كما يرى علي عليه السلام ـ تسليماً لأمر واقع، لأنه اختيار فيه تثبيت لحقيقة رسالاتهم، وصدق إخلاصهم، لأنه «لَوْ أَرَادَ الله سُبْحَانَهُ لأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ، أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوْزَ الذُّهْبَانِ وَمَعَادِنَ العِقْيَانِ، وَمَغَارِسَ الجِنَانِ لَفَعَلَ»[٤] ولو أنه سبحانه هيأ لهم كل ذلك النعيم الدنيوي، ومنحهم السلطة والهيمنة على الناس، لبطل الثواب والعقاب، لأنهم سيستخدمون الرهبة والرغبة في تثبيت دعائم رسالاتهم، وهذا يتنافى وجوهر الإيمان الفطري المبني على الإقتناع الذاتي، البعيد عن أية تأثيرات خارجية. فالزهد والقناعة وقوة الإرادة، كل ذلك من دلائل النبوة، كما يرى علي عليه السلام، وفي ذلك يقول أن «اللَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِيْ عَزَائِمِهِمْ، وَضَعَفَةٍ فِيْمَا تَرَى

---

(١) السابق، والسفائف جمع سفيفة: منسوجات الخوص.

(٢) السابق، والجَشِب بكسر الشين: الغليظ الخشن.

(٣) السابق، ويقضم يأكل على أطراف أسنانه، أي لم يملأ منها فمه، وأهضم على وزن أفعل من الهضم، وهو خمص البطن أي خلوها وانطباقها، والكشح، ما بين الخاصرتين إلى الضلع الخلفي، وأخمصهم: أخواهم وأخلاهم.

(٤) خطب ـ ٢٤٠ ـ فقرة ١١.

الأَعْيُنُ مِنْ حَالاَتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلأُ القُلُوبَ وَالعُيُونَ غِنًى، وَخَصَاصَةٍ تَمْلأُ الأَبْصَارَ وَالأَسْمَاعَ أَذًى»[١].

الرابع ـ المعجزات وأهميتها بالنسبة للرسل:

زود الله سبحانه وتعالى رسله بالإضافة إلى قوة إيمانهم ومتانة أخلاقهم وقدرتهم الخارقة على تحمل المشاق ـ بالقدرة على الإتيان بأعمال خارقة للعادة، متعذر على الإنسان العادي القيام بمثلها، مهما كانت قوته العقلية، والغاية منها إدهاش النفوس وإثارة العقول تأكيداً لنبوة أولئك الرسل، وهي وإن ظهرت على أيدي أولئك فإنها خارجة عن حكم طباعهم الإنسانية لأنها مستوحاة من قدرة الله، مما ينأى بها عن معاني السحر وغيرها من أمور الشعوذة، فالفرق بين المعجزة على حقيقتها، والسحر بما يغلفه من كذب وزيف ينحصر في وجهين، كما يرى الماوردي[٢].

الأول: أن الشعبذة كذب وزيف وتضليل يمكن للعقلاء كشفه وإظهار زيفه ولا يمكن أن ينطلي إلا «على الغر والجهول، فتخالف المعجزة التي تذهل لها العقول».

الثاني: أن الشعبذة والسحر يمكن اكتسابهما بالتعلم والممارسة والمران و«المعجزة مبتكرة لا يتعاطاها غير صاحبها ولا يعارضها أحد بمثلها».

وإذا ما عدنا لفكر علي عليه السلام لنستفتيه في المعجزة، كدليل من دلائل

---

(١) المصدر السابق.

(٢) يراجع ـ أعلام النبوة ص٢١، ٢٢.

النبوة، فسنجد أنه قد عرض لها بجميع تفاصيلها السابقة، لا على أساس البحث في فحواها، ولكن على أساس، روايتها كشاهد لا كفقيه أو متكلم. فبالإضافة إلى معجزة القرآن التي زود الله بها رسولهﷺ في مواجهته لتحدي الكفار، فقد ظهرت على يديه معاجز طبيعية وأخرى على شكل تنبوءات مستقبلية شاهد عليعليه السلام قسماً منها، ورواها بدقائق تفصيلاتها في مجال حديثه عن علاقته برسول اللهﷺ وتصديقه برسالته، كمعجزة الشجرة واستجابتها لأمر الرسولﷺ بالإنقلاع والإنشطار والتحرك[1] وذلك بناء على طلب الرهط من قريش، تدعيماً للقول بنبوته، وكان قبل قولهﷺ لهم متنبئاً بمآلهم، وبما سيقومون به تجاه رسالته من أعمال عدائية «أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالحَقِّ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي سَأُرِيْكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لاَ تَفِيْئُونَ إلى خَيْرٍ، وَإِنَّ فِيْكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِيْ القَلِيْبِ وَمَنْ يُحَزِّبُ الأَحْزَابَ»[2].

فالرسل والرسالات من القضايا التي استحوذت على جانب هام من فكر عليعليه السلام الإعتقادي، إلا أنه لم يفلسف تلك القضايا في قوالب كلامية لمجرد الجدل، فهو قد أدمج كل ما يتعلق بالأنبياء والرسل من أفكار ضمن خطبه ووصاياه، للتذكير بجلائل أعمالهم والحض على الأخذ بمنهاجهم والإقتداء بسيرهم. وقد يكون فعله ذاك دافعاً لاستنباط بعض الجوانب الفلسفية والأخرى الكلامية المتعلقة بالرسل والرسالات.

---

(١)،(٢) راجع خطب ـ ٢٤٠ فقرة ٢٧، ويطرح في القليب ـ أي يقتل في بدر (٢ هـ)، ويعني بالقليب ـ بئر بدر، ويحزّب الأحزاب ـ أي يحرض أعداء الإسلام ويمدهم بالقوة والمال سعياً في إخماده ويعني بذلك غزوة الأحزاب (٥ هـ).

رابعاً ـ الإنسان

استوعبت قضايا خلق الإنسان ونشأته، ووصف انفعالاته ومصيره، على جزء كبير من فكر عليعليه السلام ، وقد عالجها من منظور إسلامي بحت، وذلك تمشياً مع منهجه الإرشادي كقائد ومرشد، ويمكن استنتاج هذا الجانب من فكره بتتبعنا النقاط التالية:

أ ـ خلق الإنسان[1]:

لا يكاد فكر عليعليه السلام يخرج عن المنهج الذي رسمه القرآن الكريم لخلق الإنسان، إلا في بعض التفاصيل التي يمكن اعتبارها تفسيرات وتوضيحات لجوانب أجملها القرآن الكريم، منها أنه جعل خلق الأرض أسبق من خلق الإنسان كما في قوله «ثُمَّ جَمَعَ مِنْ حَزَنِ الأَرْضِ وَسَهْلِهَا وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا تُرْبَةً سَنَّهَا بِالمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ، وَلاَطَهَا بِالبَلَّةِ حَتَّى لَزُبَتْ، فَجَعَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَوُصُولٍ وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولٍ، أَجْمَدَها حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ، وَأَمَدٍ مَعْلُومٍ. ثُمَّ نَفَخَ فِيْهَا مِنْ رُوْحِهِ، فَتَمَثَّلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانٍ يُجِيْلُهَا، وَفِكْرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا، وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَةٍ يُفَرِّقُ بِهَا بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ»[2] فعليعليه السلام قد اقتبس كل أفكاره من الذكر الحكيم كما استعار أيضاً بعض ألفاظه، كما في قوله «سنها بالماء حتى خلصت، ولاطها بالبلة حتى

---

(١) حول قضية ابتداء خلق البشر في رأي فلاسفة المسلمين القدامى وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى يمكن مراجعة ـ شرح ابن أبي الحديد ١/ ٣٠ وما بعدها.

(٢) خطب ـ ١ ـ فقرة ـ ٤.

لزبت»[١] فكثير من ألفاظه مستعار من قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾[٢] وقوله تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ﴾[٣] ويمكن الإستنتاج من تقديم علي عليه السلام لخلق الأرض على خلق الإنسان عدة معان، منها ما هو مبني على اختلاط أنواع التربة التي خلق الله منها الإنسان وقد بينا جانباً من ذلك فيما سبق[٤]. ومنها ما هو مستخلص من قوله بألوان التربة التي عجنت منها طينة الإنسان[٥]، وهو السبب في تباين ألوان الجنس البشري. ومنها ما هو مبني على فكرة خلق الله سبحانه وتعالى البيئة الملائمة لكل مخلوق من مخلوقاته، فالبيئة الصالحة لعيش الإنسان، هي الأرض التي عجن من طينها.

ب ـ أصل العصبية:

إن قصة سجود الملائكة لآدم، بناء على أمر الله، وتمرد إبليس على ذلك الأمر، قد ذكرها القرآن بتفاصيلها، وقد عزا إبليس عدم امتثاله لأمر السجود، إلى أنه مخلوق من نار، فهو أفضل من آدم المخلوق من طين، مع أن الله سبحانه لم يقل بالتفريق في حكمه بين خلقه كما يقول علي عليه السلام، فإن «حُكْمَهُ فِيْ أَهْلِ السَّمَاءِ، وَأَهْلِ الأَرْضِ لَوَاحِدٌ»[٦] لذلك

---

(١) خطب ـ ١ ـ فقرة ـ ٤.

(٢) الحجر/ ٢٦.

(٣) الصافات/ ١١.

(٤) راجع ص٤٤٣ من هذا البحث.

(٥) راجع المعنى في: خطب ١ ـ فقرة ٤.

(٦) خطب ـ ٢٤٠ ـ فقرة ٥، ٢.

اعتبر قول إبليس بالمفاضلة هو مصدر العصبية وأصل الحمية التي يمقتها الرب، فإبليس في فكر عليعليه السلام هو «إِمَامُ المُتَعَصِّبِيْنَ، وَسَلَفُ المُسْتَكْبِرِيْنَ، الذي وَضَعَ أَسَاسَ العَصَبِيَّةِ»[1] ـ وتعصبه ذاك جعله يمقت آدم، ويحقد عليه منزلته عند الله، فأغواه وزين له المعصية فالعناصر الرئيسية للقصة موجودة في القرآن الكريم، إلا أن علياً قد وظفها توظيفاً فكرياً فحواه أن العصبية للجنس خارجة عن طبيعة الإنسان الخيرة وقد اكتسبها من جريه وراء أهوائه المتمثلة في إبليس.

ج ـ اهباط آدم إلى الأرض:

إن ما يمكن استنتاجه من فكر عليعليه السلام، هو إن أمر الله آدم بالنزول إلى الأرض، لم يكن جزاء الزلة التي اقترفها بمعصيته لله سبحانه، لأنه سبحانه قد تاب عليه قبل أمره بالنزول، وهذا ما يمكن فهمه من قوله «ثُمَّ بَسَطَ الله سُبْحَانَهُ لَهُ فِيْ تَوْبَتِهِ، وَلَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ، ووعده المَرَدَّ إلى جَنَّتِهِ، وَأَهْبَطَهُ إلى دَارِ البَلِيَّةِ وَتَنَاسُلِ الذُرِّيَّةِ»[2]، وهو التفسير المنطقي السليم لما ورد بشأن ذلك في القرآن الكريم ـ كما نعتقد ـ لا كما قال ابن أبي الحديد «أن ذلك أحد قولي المفسرين»[3] لأنه قد اعتبر الأمر الأول بالإهباط في قوله تعالى ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾[4] أنه قد حدث قبل التوبة، ولكن الآية الكريمة في سياقها التام، بضمها إلى ما قبلها

---

(١) المصدر السابق.

(٢) خطب ـ ١ ـ فقرة ٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١/ ١٠٢.

(٤) البقرة/ ٣٦، ٣٧، ٣٨.

توحي بأن لا تناقض بينهما وبين غيرها من الآيات التي قالت بحدوث التوبة قبل الأمر بالإهباط بدليل قوله تعالى ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ﴾[(١)] وهو على تأويل الفخر الرازي «إن آدم وحواء، لما أتيا الزلة، أُمِرا بالهبوط فتابا بعد الأمر بالهبوط. فأعاد الله تعالى الأمر بالهبوط مرة ثانية، ليعلما أن الأمر بالهبوط ما كان جزاء على ارتكاب الزلة... بل الأمر بالهبوط باق بعد التوبة، لأن الأمر كان تحقيقاً للوعد المتقدم عليه في قوله ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾[(٢)]. وعلى هذا فاهباط آدم إلى الأرض ـ كما يبدو في فكر علي عليه السلام ـ هو متسق مع فكرته القائلة بخلق الإنسان من مختلف تربة الأرض، لتلائم عيشه في كل بيئاتها المتخلفة، هذا بالإضافة إلى أن نظرة علي عليه السلام المؤمنة لا تتسق والقول: بأن الإهباط إلى الأرض هو لمجرد العقاب، لأن العقاب لا يستحقه إلا المذنب ذاته، ولا دخل لذريته ممن لم يرتكب إثماً لتشملهم نتيجة الذنب، لأن ذلك يتنافى وعدل الباري الذي مثله قول علي عليه السلام «ارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ»[(٣)].

د ـ مميزات الإنسان:

يتميز الإنسان في فكر علي عليه السلام بظاهرتين متقابلتين هما القوة والضعف. فهو من ناحية أولى، يعتبره من أقوى مخلوقات الله على وجه الأرض، إذا ما قورنت إمكاناته العقلية والجسدية بكل ما في الوجود من

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تفسير الفخر الرازي ٣/ ٢٨ والآية ضمن المقولة: البقرة/ ٣٠.

(٣) خطب ـ ٣٣ ـ فقرة ـ ١.

خلق، بما في ذلك قوى الطبيعة، ويمكن استخلاص ذلك من قوله «أَشَدُّ الأَشْيَاءِ الإنسان، لأَنَّ أَشَدَّهَا ـ فِيْمَا يُرَى ـ الجَبَلُ والحَدِيْدُ يَنْحَتُ الجَبَلَ، وَالنَّارُ تَأْكُلُ الحَدِيْدَ، وَالمَاءُ يُطْفِئُ النَّارَ، وَالسَّحَابُ يَحْمِلُ المَاءَ، وَالرِّيْحُ تُفَرِّقُ السَّحَابَ، وَالإنسان يَتَّقِيْ الرِّيْحَ»[1] أي بِإِمْكَانِهِ السَيْطَرَةَ عَلَى كل شيء في الطبيعة، وتسخيره لحاجته، وذلك بقوة عقله، ولولا ذلك ما استطاع أن يحافظ على بقائه عبر العصور المختلفة، ولكان مصيره الإنقراض، فالقوة بمعناها العام كما نستخلصها من مقولة علي عليه السلام هي حاجة غريزية وضرورية، لإثبات الوجود والمحافظة على بقاء النوع، والتدرج في مراقي الكمال.

وفي مقابل هذه القوة، فإن الإنسان من الضعف بحيث لا يمكنه دفع غائلة الموت عن نفسه، وليس أدل على ذلك من أن أتفه الأشياء وأحقرها تؤثر فيه، وقد تقضي عليه، وفي هذا يقول علي عليه السلام «مِسْكِيْنٌ ابْنُ آدَمَ، مَكْتُومُ الأَجَلِ، مَكْنُونُ العِلَلِ، مَحْفُوْظُ العَمَلِ، تُؤْلِمُهُ البَقَّةُ وَتَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ وَتُنْتِنُهُ العَرْقَةُ»[2].

وهذا التقابل بين القوة والضعف، ليس خارجاً عن طبيعة الإنسان لأنه ـ كما يرى علي عليه السلام ـ قد خلق وجوانحه تنطوي على أنواع مختلفة من التضاد العجيب، لأن النفس الإنسانية لا تستقر على حال ولا يرضيها نمط معين من العيش، ويعبر علي عليه السلام عن فكره ذاك بقوله «لَقَدْ عُلِّقَ بِنِيَاطِ هَذَا الإنسان بَضْعَةٌ هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيْهِ، وَذَلِكَ القَلْبُ، وَلَهُ مَوَادُّ مِنَ الحِكْمَةِ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠/ ٢٨٠.

(٢) حكم ـ ٤٢٧.

وَأَضْدَادٌ مِنْ خِلاَفِهَا فَإِنْ سَنَحَ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ، وَإِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَع أَهْلَكَهُ الحِرْصُ، وَإِنْ مَلَكَهُ اليَأْسُ قَتَلَهُ الأَسَى وَإِنْ عَرَضَ لَهُ الغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الغَيْظُ، وَإِنْ أَسْعَدَهُ الرِّضَى نَسِيَ التَحَفُّظَ. . .»[١] وهكذا، فالنفس الإنسانية في شغل دائم، وجهد مستمر بين أمل ورجاء وحزن وفرح، مع محاولة حثيثة لمعرفة المصير، والجري وراءه في ذهول أو محاولة التهرب منه بالتغافل عنه ولكن لابد من موافاته، لأنه القدر الحتمي كما نستخلص ذلك من فكر علي عليه السلام .

هـ ـ المصير:

يقول علي عليه السلام ضمن وصيته لابنه الحسن «إعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيْقًا ذَا مَسَافَةٍ بَعِيْدَةٍ، وَمَشَقَّةٍ شَدِيْدَةٍ، وَأَنَّهُ لاَ غِنَى بِكَ فِيْهِ عَنْ حُسْنِ الإِرْتِيَادِ، وَقَدْرِ بَلاَغِكَ مِنَ الزَّادِ مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ، فَلاَ تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، فَيَكُونَ ثِقْلُ ذَلِكَ وَبَالاً عَلَيْكِ»[٢] فالدنيا ـ كما تبدو في المقولة ـ معبر مفروض على الإنسان اجتيازه، وَتَحَمّل مَشاقه، ولكي يعبره الإنسان دون عناء، ولا مشقة فمن الواجب عليه أن لا يُحَمّل نفسه فوق طاقتها، وأن يتزود من ذلك الطريق بما يقيم أوده، ويصلح عيشه، تاركاً لغيره أن يعيش، فالنهاية حتمية والفرار منها موافاتها وفي ذلك يقول علي عليه السلام «كُلُّ امْرِئٍ لاَقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِيْ فِرَارِهِ وَالأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ، والهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ»[٣] .

---

(١) حكم ـ ١٠٧ .

(٢) رسائل ـ ٣١ ـ فقرة ١٥ .

(٣) خطب ـ ١٤٩ فقرة ١ .

ومعرفة حقيقة الموت بعيدة المنال عن فكر الإنسان العاجز عن معرفة حقيقة ذاته، فلا مجال إطلاقاً للبحث فيها، لأن ذلك لن يوصل إلى أيَّة غاية، ويجسد فكرته تلك في قوله عن نفسه «كَمْ أَطْرَدْتُ الأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هَذَا الأَمْرِ، فَأَبَى الله، إِلاَّ إِخْفَاءَهُ! هَيْهَاتَ عِلْمٌ مَخْزُونٌ»[١] فالأمر الذي حاول علي عليه السلام معرفته هو سر الموت، ولكن فكره بما اشتمل عليه من طاقات علمية عميقة لا حدود لها، قد وقف كليلاً إزاء هذا السر الإلهي، لذا فإن أقل ما يمكن أن يستفيده المرء من تجربة الموت في حياته هو النظر في الموت ذاته من خلال غيره، وفي ذلك أكبر العظات وأعظمها لو تأمل فيها الإنسان، وتعبيراً عن تلك الفكرة يقول علي عليه السلام وهو في النزع الأخير قبيل وفاته «إِنَّمَا كُنْتُ جَارًا جَاوَرَكُمْ بَدَنِيْ أَيَّامًا، وَسَتَعْقِبُونَ مِنِّي جُثَّ خَلاَءً، سَاكِنَةً بَعْدَ حِرَاكٍ وَصَامِتَةً بَعْدَ نُطْقٍ، لِيَعِظَكُمْ هُدُوئِي، وَخُفُوتُ إِطْرَاقِيْ، وَسُكُوتُ أَطْرَافِيْ، فَإِنَّهُ أَوْعَظَ لِلْمُعْتَبِرِيْنَ مِنَ النُّطْقِ البَلِيْغِ وَالقَوْلِ المَسْمُوعِ»[٢]. فإمعان الفكر والتأمل الواعي هو سبيل الإنسان للوصول إلى الإيمان، وهو ما يمكننا تلمسه في الفصل التالي.

---

(١)، (٢) خطب ـ ١٤٩ فقرة ١، ٢.

الفصل الثاني

التأمل، وتداعي الأفكار، والغيبيات، كما تبدو في فكر علي عليه السلام

إن قضية الإيمان بالله وتوحيده من أهم المحاور التي دارت حولها الأفكار في النهج، حتى أننا نكاد نلمحها في كل نص من نصوصه، فمن النادر جداً، أن نجد نصاً تخلو مقدمته من تمجيد لله، والحض على شكره ببيان نعمه وأفضاله، إلا أن هناك نصوصاً قائمة بذاتها قد اختصت بمعالجة قضية الإيمان، أودعها علي الكثير من طاقاته الفكرية التي يرمي من ورائها إلى إبقاء جذوة الإيمان متفقدة، بعد أن كادت تخمد في النفوس جراء انفتاح الإسلام على أفكار الأمم الأخرى، والإنشغال بالمادة، والركون إلى البذخ، والإبتعاد، في كثير من الأحيان، عن روح النص القرآني، بمحاولة البحث في ذات الله بالجدل، إلى غير ذلك من عوامل استحدثتها ظروف النقلة المفاجئة، وأدت بإيمان الفرد إلى التقهقر. فانبثق لدى علي عليه السلام اقتناع بمعالجة القضية من جذورها بشتى وسائل الإقناع، من ذلك طرح قضية الإيمان من خلال الحديث المباشر عن الخالق، ونفي الصفات عنه

وخلق الملائكة والكون، وأهمية الرسل، وقد عرضنا لذلك فيما سبق، ومن وسائل المعالجة أيضاً التي أخذ بها، أسلوب إثارة الحواس والفكر نحو التأمل، بإجمال فكرة التوحيد في مقولات عامة، ثم محاولة تقريبها إلى الأذهان بتوظيفها في أمثلة تأملية تقربها من ذهن المسلم، فكانت الأوصاف الطبيعية إحدى تلك الوسائل.

أ ـ الأوصاف الطبيعية والغاية منها في فكر عليعليه السلام

إن عنونة الشريف الرضي لبعض خطب النهج بعناوين موضوعات الوصف التي عرض إليها عليعليه السلام لا يعني على الإطلاق، أن علياً قد أورد ذلك الوصف كغاية في حد ذاته، بمعنى آخر أن موضوعات الوصف تلك لا تشكل نصوصاً قائمة بذاتها من حيث بنائها الفني، فهي مدرجة ضمن نصوص دينية الغاية منها التوعية وترسيخ العقيدة، فاقتطاع تلك الأوصاف من سياقاتها، يفقدها وظائفها التأملية، لأنها ـ كما نعتقد ـ أمثلة عملية تطبيقية الغاية منها تقريب ما أجملته مطالع الخطب التي وردت فيها، من أقوال في التوحيد، إلى أذهان المستمعين، ليتسنى الإقتناع بها، والتأثر بما ورد فيها، باستثارة العقل، فموضوع وصف الطبيعة وبعض الكائنات، من العناصر الهامة لتقريب قضية الإيمان، وهو في النهج من جنس المثل في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة[1]. فمن خلال ملاحظتنا للبناء

---

(١) مما جاء في القرآن الكريم من وصف للجنة قوله تعالى ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ محمد / ١٥، =

المحكم الذي تميزت به نصوص النهج ـ رغم الحذف الذي أجراه الرضى على الكثير منها نرى أن نسيجه الأسلوبي من الترابط بحيث لا يمكن فصل هذا الجانب التأملي من فكر علي عليه السلام، عن البناء العام لفكره، فما انساب في تلك النصوص من أوصاف جمالية، مرتبطة في سياقه العام بالفكر الإجتماعي المتبلور في أحد جوانبه بمعالجته لظاهرة تَغَلُّب الطابع المادي على الطابع الروحي، الذي على أساسه قاس علي عليه السلام إيمان أفراد المجتمع حين قسمهم من حيث العبادة إلى ثلاثة أقسام ضمنها قوله «إِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا الله رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا الله رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ العَبِيْدِ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا الله شُكْرًا فَتِلْكَ عِبَادَةُ الأَحْرَارِ»[1] فالتقسيم في المقولة يعكس من أحد جوانبه الحالة الإجتماعية وعلاقتها بالتطلعات المادية، وهذا ما يمكن تطبيقه ـ من وجهة نظرنا ـ على ما ورد من أوصاف جمالية ضمن نصوصها التي وردت في سياقاتها، الغاية من ورائها التأمل في أقرب الأشياء، وأحقر الأشياء، وأعجب الأشياء، ليصل العقل في النهاية إلى إدراك الخالق العظيم من خلالها. فالثلاث الفئات التي ذكرها علي عليه السلام في مقولته تعبد الله ولكن بتفاوت، تحكمه ظروف المستمع النفسية التي ترجع في الأساس إلى الطبيعة التي جبل عليها كل فرد، ولابد من التحدث إليه ضمن الفئة التي ينتمي إليها بالأسلوب الذي يناسبه وإلا فلا جدوى من التحدث إليه، فقد عالج علي عليه السلام قضية الإيمان من أجدى

= كما أن أوصاف الجنة في الأحاديث المروية عن الرسول كثيرة يمكن إدراكها من قوله صلى الله عليه وآله: «قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِيْنَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» صحيح مسلم ٤/ ٢١٧٤.

(١) حكم ـ ٢٣٦.

زواياها بأسلوب التوصيل الذي يصلح لإقناع كل فئة على حدة، ويمكن إدراك أساليبه تلك من تتبعنا لما عرض إليه من أوصاف جمالية في سياقاتها:

أولاً ـ أسلوب الترغيب (عبادة التجار):

جبلت النفس الإنسانية على حب الذات والجري وراء كل ما فيه متعة ولذة وجمال فهي عادة ما تنبسط وتستجيب إذا ما أحست بما يدفعها نحو راحتها ويثير فيها كوامن الحوافز نحو هدفها، وكلما نجحت في الحصول على ما تشتهي سعى بها ذلك إلى طلب المزيد، ومن ورائها الدافع المنطوي على المغريات يحثها فالترغيب في الشيء البعيد المنال هو حافز طبيعي للإنسان يجري وراءه، ويثابر في الحصول عليه، لذلك ورد مثل ذلك الأسلوب الترغيبي ضمن آيات كثيرة في القرآن الكريم بتصوير الجنة: وما يحف بها من حدائق غناء تجرى خلالها أنهار من خمر وعسل ولبن[١]، إلى غير ذلك من مغريات مادية تجعل الفرد يستجيب لنداء ربه عن طريق الترغيب، وقد ورد مثل ذلك أيضاً ضمن الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة وقد انعكس هذا الأسلوب الترغيبي على ما أثر عن علي عليه السلام من خطب، فمن أبرز النصوص التي تجلى فيها عنصر الترغيب، الخطبة التي ضمنها وصف الطيور عامة، والطاووس منها على وجه الخصوص لما في خلقه من إبداعات تجتذب النفوس وتحير العقول، وفي اعتقادنا، أن اختيار علي عليه السلام الطاووس كمثال دون غيره من الطيور ذوات الألوان الزاهية، هو غاية في التوفيق، خاصة أنه ركز على الناحية الجمالية

---

(١) انظر في القرآن الكريم ـ محمد / ١٥.

فيه، بوصف ألوانه وصفاً رائعاً ودقيقاً من أجل تهيئة النفوس، وإعداد العقول لموضوع الإيمان الذي من أجله أورد علي عليه السلام ذلك الوصف، الذي استفرغ فيه كل ما أمكنه من طاقات لغوية، مستلهماً معاني القرآن الكريم مستنجداً بأساليبه ليستجيب ذلك المثل لما يرمي إليه من أهداف دينية. مع ملاحظة أن الخطبة التي نحن بصددها ليست بكاملة، لأنها لم تبدأ بالتحميد والصلاة على الرسول صلى الله عليه وآله، حيث ابتدأت بالوصف مباشرة إذ جاء في مطلعها «إِبْتَدَعَهُمْ خَلْقًا جَدِيْدًا مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ، وَسَاكِنٍ وَذِيْ حَرَكَاتٍ، وَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ البَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيْفِ صَنْعَتِهِ وَعَظِيْمِ قُدْرَتِهِ»[1] فمطلع النص ناقص من حيث استيحائه للفكرة القائم عليها، والتي تبدو ومعالمها من خلال السياق الترغيبي المتمثل في أسلوب الإستدراج المرحلي، من وصف عام للطيور مع تركيز على أشكالها، وعجيب ألوانها بأسلوب يدعو إلى التأمل كما في قوله «وَنَعَقَتْ فِيْ أَسْمَاعِنَا دَلاَئِلُهُ عَلَى وِحْدَانِيَّتِهِ وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلَفِ صُوَرِ الأَطْيَارِ التي أَسْكَنَهَا أَخَادِيْدَ الأَرْضِ وَخُرُوْقِ فِجَاجِهَا، وَرَوَاسِي أَعْلاَمِهَا، مِنْ ذَوَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ. . . كَوَّنَهَا بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُنْ فِيْ عَجَائِبِ صُوَرٍ ظَاهِرَةٍ. . . وَنَسَّقَهَا عَلَى اخْتِلاَفِهَا فِي الأَصَابِيْغِ بِلَطِيْفِ قُدْرَتِهِ، وَدَقِيْقِ صُنْعَتِهِ، فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِيْ قَالَبِ لَوْنٍ لاَ يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ مَا غُمِسَ فِيْهِ. . .»[2] ثم يمضي في أسلوب

---

(١) خطب ـ ١٦٦ ـ الفقرة ١

(٢) السابق، وذرأ: خلق، والأخاديد ـ جمع أخدود: الشق في الأرض، والخروق: الأرض الواسعة تخترق فيها الرياح، والفجاج ـ جمع فج: الطريق الواسع، والأعلام: جمع علم وهو الجبل، ونسقها: رتبها، والأصابيغ، مفرده صبغ وهو اللون وما يصبغ به.

الإستدراج بعد الوصف العام إلى تخصيص الوصف في الطاووس مركزاً على عجيب شكله، وجمال ألوانه مفتتحاً ذلك الوصف بقوله «وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقًا الطَّاوُوسُ، الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْسَنِ تَعْدِيْلٍ، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِيْ أَحْسَنِ تَنْضِيْدٍ بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ، وَذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ، إذا دَرَجَ إِلى الأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ، وَسَمَا مُطِلاً بِهِ عَلَى رَأْسِهِ»[1] ويمضي في وصف حركاته، وإبداع الخالق في تنسيق ألوانه، مستلهماً البيئة في تشبيهاته، حتى إذا أحس بانشداد مستمعه إليه بعد أن أخذه في رحلة تأملية عاد به إلى الواقع المرجو من كل ذلك الوصف في قوله «فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ العُقُولَ عَنْ وَصْفِ خلق جلاه للعيون، فأدركته محدود وَمُؤَلَّفاً مُلَوَّنًا، وَأَعْجَزَ الأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيْصِ صِفَتِهِ، وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ»[2] ثم يستطرد في تسبيحه مستعرضاً في عجالة خاطفة خلق أصناف أنواع أخرى من الحيوان، حتى إذا أحس من مستمعه الإقتناع الممزوج بالتأمل، دخل به إلى غرضه الرئيسي، وهو الإيمان عن طريق الترغيب بعد أن هيأ نفسه إلى ما يريد بثه فيها متابعاً نهجه الإستدراجي التأملي وذلك بالإنتقال إلى وصف الجنة في قوله «فَلَو رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا، لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أَخْرَجَ إِلى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا وَزَخَارِفِهَا، وَلَذَهِلَتْ بِالفِكْرِ فِيْ اصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِيْ كُثْبَانِ المِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا، وَفِيْ تَعْلِيْقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِيْ عَسَالِيْجِهَا وَأَفْنَانِهَا، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِيْ غُلُفِ

---

(١)، (٢) السابق، نضد: نظم ورتب، واشرح قصبه، أي داخل بين آحاده ونظمها على اختلافها في الطول والقصر، إذا درج إلى أنثاه: إذا مشى إليها نشر ذلك الذنب بعد أن كان مطوياً يسحبه لطوله، بهر العقول: قهرها وردها، جلاله ـ بتشديد اللام وفتحها: كشفه.

أَكْمَامِهَا. . . »[١] كل ذلك أعده الله سبحانه كما يقول علي عليه السلام: لقَوم «لَمْ تَزَلِ الكَرَامَةُ تَتَمَادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ القَرَارِ، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ الأَسْفَارِ، فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا المُسْتَمِعُ بِالوُصُولِ إِلى مَا يَهْجُمْ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ المَنَاظِرِ المُؤْنِقَةِ، لَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقًا إِلَيْهَا، ولَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِيْ هَذا إلى مُحَاوَرَةِ أَهْلِ القُبُورِ اسْتِعْجَالاً بِهَا. جَعَلَنَا الله وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَسْعَى بِقَلْبِهِ إلى مَنَازِلِ الأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ»[٢] فالرحلة التأميلية التي أخذ علي عليه السلام بلب مستمعه إليها جذابة ومغرية، والوصف كان محوراها والنفس الطامعة في نعيم الله كانت الجائلة في ربوعها، ونعيم الفردوس هو جزاء تلك النفس على إيمانها بالله.

ثانياً ـ أسلوب الترهيب (عبادة العبيد):

استنار علي عليه السلام بهدي القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة في توظيفه وصف بعض مخلوقات الله كأمثلة ضمن أساليب الترهيب التي حاول من خلالها دحض مزاعم من أنكر وجود الخالق، وكفر بنعمه العميمة، وقد تجلى ذلك بوضوح في خطبته التي ضمنها وصف النملة والجرادة ومخلوقات أخرى، وقد وظف ذلك الوصف ـ لغرضه الترهيبي ـ توظيفاً محكماً، يتعذر معه فصله عن سياقه، وتشريحه كجزء منفرد، بتركيز

---

(١)،(٢) السابق ـ فقرة ٥ ـ وعزفت: نبذت وكرهت، اصطفاقي الأشجار: حفيفها، والكثبان ـ جمع كثيب: التل، عساليجها ـ جمع تكسير مفرده عسلج بضم فسكون فضم، أو عسلوج: وهو الغصن اللدن الناعم، أفنانها ـ جمع تكسير مفرده فنن: الغصن، وغلف ـ بضمتين جمع غلاف ـ هو الوعاء النباتي الذي يحفظ طلع النخلة فيها، والأكمام ـ جمع كم بكسر الكاف ـ وهو غطاء النوار، والمؤنقة: المعجبة.

الضوء على ما فيه من دقة متناهية، لأن هذا الوصف لم يكن مقصوداً لذاته، ثم أن تميزه بالجمال والشمولية، يمنح السياق الذي أُدرِجَ فيه بعداً تأملياً، القصد منه هز النفوس بجعلها تجنح إلى التفكر في المصير من خلال إمعان النظر فيما أودعه الخالق في هذا الكون من إبداع يحار منه العقل وتذهل له النفس، فساق في جادة الإيمان متحاشية العذاب، ومقرة بالربوبية.

فبعد تحميد الله، وتنـزيه ذاته عن كل الصفات العقلية المتخيلة، وبعد الصلاة على الرسول صلى الله عليه وآله، وذكر بعض فضائله، يدخل علي عليه السلام في موضوع الوصف، بعد أن يقدم له بمقدمة مقتضبة، يمكن اعتبارها اللحمة الرابطة بين فكرة التوحيد التي وردت في الصدر، وبين الوصف التالي لها إذ يكمن ما أجمله سابقاً ويريد عرضه لاحقاً بضرب الأمثلة التي تثبت صحة فكره وتعضده من الناحية الإقناعية، فيقول «وَلَوْ فَكَّرُوا فِيْ عَظِيْمِ القُدْرَةِ، وَجَمِيْمِ النَّعْمَةِ لَرَجَعُوا إِلى الطَّرِيْقِ، وَخَافُوا عَذَابَ الحَرِيْقِ، وَلَكِنَّ القُلُوبَ عَلِيْلَةٌ، وَالبَصَائِرَ مَدْخُولَةٌ، إلا يَنْظُرُونَ إلى صَغِيْرِ مَا خَلَقَ»[1] ثم يباشر بالدخول في وصف جسم النملة واستشعاراتها، وحركتها في جريها وراء تحصيل رزقها في أوقات تدرك بقدرة من الله أوانها، فتعمل جاهدة في جمع قوتها وادخاره لفصول يتعذر فيها العمل[2]، ثم ينتقل إلى مقارنة سريعة بين النملة في صغر حجمها وبين النخلة في كبر حجمها وهيئتها وشكلها، دون الدخول في تفاصيل جزئية، لأنه يرمي من وراء ذلك إطلاق

(١) خطب ـ ٢٣٣ فقرة ٣ ومدخولة ـ معيبة.

(٢) راجع السابق ـ نفس الفقرة.

العقل لتأمل التفاصيل وكشفها بمفرده، وفي ذلك يقول «وَلَوْ ضَرَبْتَ فِيْ مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ، مَا دَلَّتْكَ الدَّلاَلَةُ إلاّ عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ لِدَقِيْقِ تَفْصِيْلِ كُلِّ شَيْءٍ، وَغَامِضِ اخْتِلاَفِ كُلِّ حَيٍّ، وَمَا الجَلِيْلُ وَاللَّطِيْفُ، وَالثَّقِيْلُ، وَالخَفِيْفُ، وَالقَوِيُّ وَالضَّعِيْفُ فِيْ خَلْقِهِ إلاّ سَوَاءٌ»(١).

إلا أن الإضطراب سرعان ما يسود فقرات الوصف، حين يتقدم وصف الكون على وصف الجرادة، مع ملاحظة أن الترتيب المنطقي للأفكار يحتم الإنتقال من العام إلى الخاص، كما عهدنا ذلك في الخطبة التي حوت وصف الطاووس، أو من الصغير إلى الكبير بالتدرج، ونعتقد أن هذا التقديم والتأخير في ترتيب الأفكار ضمن كثير من نصوص النهج لم يكن من فعل علي عليه السلام لأنه لا يتناسب والتسلسل الفكري الذي عهدناه فيما وصلنا عنه من خطب ورسائل ووصايا متكاملة البناء(٢)، مع ترجيحنا أن ذلك من فعل جامع النهج، الذي أشار في مقدمته إلى مثل ذلك الأسلوب في تنسيق المادة(٣) لتتفق ومنهجه الإنتقائي.

فالجرادة هي المثل الثاني الذي عرض علي عليه السلام إلى وصفه للتدليل على قدرة الله وعظمته، وقد ضمنه ـ فيما نعتقد ـ نوعاً من عقاب الله المبطن في وصفه لما تحدثه الجرادة في الزرع من دمار، ووقوف الإنسانية إزاء ذلك المخلوق الصغير مكتوفة الأيدي، وهو مجرد اعتبار وتأمل، في

---

(١) راجع السابق.

(٢) راجع على سبيل المثال ـ خطب ٣، ٢٤٠ ورسائل ـ ٣١، ٥٣.

(٣) راجع ص٣٧ و١٢٩ وما بعدها من هذا البحث، فقد عرضنا لذلك بالتفصيل.

نوعية العذاب الذي يمكن لله صبه على من يجحد نعمه، مهيئاً لذلك أتفه الأسباب وأحقرها، ويمكن استخلاص ذلك من قوله «يَرْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ، لاَ يَسْتَطِيْعُونَ ذَبَّهَا وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ، تَرِدُ الحَرْثَ فِيْ نَزَوَاتِهَا وَتَقْضِي مِنْهُ شَهَوَاتَهَا، وَخَلْقُهَا كُلُّهُ لاَ يَكَوِّنُ إِصْبَعًا مُسْتَدَقَّةً»(١).

ويلي وصف الجرادة والحديث عنها، حديثه عن السماء والكون وذلك في عجالة تأملية غايته منها بث الرهبة والخوف في نفوس مستمعيه من غضب الله وعذابه ونقمته بانياً حديثه على قاعدة متينة من الإيمان العقلي الممزوج بما يناسب المخاطب من تهديد ووعيد، لإنكاره وجود الخالق، مع أن الشواهد الكونية من حوله لو تأملها بعين عقله، واستلهم مكوناتها ببصيرته دون أية مكابرة لتوصل إلى فكرة الخالق الواحد، وفي ذلك يقول علي عليه السلام «فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ المُقَدِّرَ، وَجَحَدَ المُدَبِّرَ، زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ، وَلاَ لاخْتِلاَفِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ، وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى حُجَّةٍ فِيْمَا ادَّعُوا، وَلاَ تَحْقِيْقٍ لِمَا أَوْعُوا. وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ، أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ»(٢) وبهذا يصل علي عليه السلام بالوصف إلى غايته المطلوبة، بزرع الخشية في النفوس لتجنيبها مغبة الإنزلاق في مهاوي الكفر بكفرانها الخالق وجحود نعمه.

ثالثاً ـ أسلوب الإقناع الذاتي (عبادة الأحرار):

من ناحية ثالثة، وفي سياق التوعية إلى وجود الخالق سبحانه، ونفي

---

(١)،(٢) خطب ـ ٢٣٣ ـ فقرة ٥، ٤، وذبها: دفعها، ونزواتها ـ وثباها ونزا على الشيء وثب عليه، ولم يلجأوا: لم يستندوا، وأوعوا: حفظوا.

الصفات عنه وتوحيده، اتبع علي عليه السلام أسلوب الوصف كعامل إيقاظ للفكر بتأمل الكون، ولكنه لم يقرن ذلك الوصف بأيّ عامل ترغيبي أو ترهيبي، لأنه في هذا الجانب يتحدث إلى عقول تواقة إلى المعرفة من أجل المعرفة لذاتها، فالتأمل في مثل حالات أولئك يحتاج إلى المثير العقلي الذي يدهش، وهو في نفس الوقت قريب من تناول الفكر، وقد وجد علي عليه السلام في توظيف وصف الخفاش لمثل تلك الشريحة الإنسانية بغيته، لأن خلقه يدعو إلى التأمل ويثير الإستغراب، فتصرفاته تختلف في شكلها وطبيعتها عن بقية مخلوقات الله الأخرى الموجودة في الكون وتحت نظر المخاطبين.

فبعد الحمد له والقول بعجز العقول عن وصفه، وإدراك كنهه ينتقل علي عليه السلام إلى فقرة ثانية يسترسل فيها بالحديث عن عظمته جل شأنه، يبدؤها بقوله «هُوَ الله الحَقُّ المُبِيْنُ، أَحَقُّ وَأَبْيَنُ مِمَّا تَرَى العُيُونُ، لَمْ تَبْلُغْهُ العُقُولُ بِتَحْدِيْدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهًا، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الأَوْهَامُ بِتَقْدِيْرٍ فَيَكُونَ ممثلاً»[1] ويمضي في أساليب التنـزيه تلك حتى يبلغ الغاية في شد الأفكار إليه بالتأمل في فحوى المعاني القدسية المطلقة، إلى أن يصل إلى قضية الخلق، ذلك المشكل الذي استعصى على العقل البشري إدراكه ومعرفة سره، مدمجاً إياه في البناء الفكري لموضوع التوحيد، مبنياً ضمن ذلك القدرة الربانية في خلق الأشياء بلا نماذج تماثلها، دون استعانة بفكر يتأملها ولا معاونة من شريك يقاسم الخالق في فطرتها «فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ، وَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِعْ، وانْقَادَ وَلَمْ يُنَازِعْ»[2].

---

(١) خطب ـ ١٥٥ ـ فقرة ٢.

(٢) خطب ـ ١٥٥ ـ الفقرات ـ ٢، ٣.

وَحَثّاً للعقول نحو التأمل، ينـزل علي عليه السلام بمستمعه من المطلق إلى الواقع متخذاً من عجائب خلق الخفاش مثالاً على القدرة الربانية، وتتمثل جوانب الإستثارة والإستغراب في خلق هذه الحيوانات كما يرى عليٌّ:

١ ـ أنها لا تتمكن من الطيران والسعي وراء رزقها إلا في المساء عند غروب الشمس، بعكس مخلوقات الله الأخرى خاتماً بهذه الفكرة بقوله «فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيلَ لَهَا نَهَارًا وَمَعَاشًا وَالنَّهَارَ سَكَنًا وَقَرَارًا»[1].

٢ ـ وأن هذه الخفافيش يمكنها الطيران مثلها في ذلك مثل بقية خلق الله من الطيور ولكن أجنحتها كما يصفها علي «مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الحَاجَةِ إِلَى الطَّيَرَانِ كَأَنَّهَا شَظَايَا الآذَانِ»[2] فهي ليست برقيقة ولا غليظة ومترابطة فيما بينها بعروق رقيقة، وهي ليست مكونة من ريش، فهي لا تحتاج في طيرانها إلى قوادم وخواف.

٣ ـ ومن العجيب في خلقتها أيضاً كما يقول علي عليه السلام أنها «تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لاَصِقٌ بِهَا، لاَجِئٌ إِلَيْهَا، يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ، وَيَرْتَفِعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ، لاَ يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ، وَيَحْمِلَهُ لِلنُّهُوضِ عَلَى جَنَاحِهِ، وَيَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ»[3].

وبعد رحلة التأمل تلك من خلال وصف عجيب خلق الخفاش، يعود علي عليه السلام بمستمعه إلى موضوع الإيمان الذي هو بصدد محاورة العقول في فحواه، وكأنه يريد أن يقول لمستمعه من خلال ما عرض له من وصف،

---

(١)، (٢) المصدر السابق.

(٣) خطب ـ ١٥٥ ـ الفقرات ـ ٢، ٣.

إنك متى أنعمت النظر فيما حولك، وتأملت بقلب واع الكون وما فيه من كائنات، فلابد أن تصل إلى الإيمان الفطري بعظمة الخالق وتوحيده.

فالإيمان هو القضية الكبرى التي عالجها علي عليه السلام بمختلف الأساليب الفكرية، فكان الوصف والتأمل أحد تلك الأساليب.

فقضية الإيمان كجانب فكري رئيسي يجب أن ينظر إليها في النهج في إطارها المتكامل، والوصف جزء متمم لها، أو بعبارة أوضح، موظف توظيفاً محكماً لإضاءة الجوانب الفكرية في النص. هذا بالإضافة إلى جانب ثان يتمثل في تداعي الأفكار في تفسير الآيات القرآنية الذي يمكن اعتباره رافد فكري آخر من روافد معالجة قضية الإيمان في فكر علي عليه السلام.

ب ـ تداعي الأفكار في تفسير آيات القرآن الكريم المتعلقة بمعاني الحياة والموت والإيمان

تكاد معظم كتب الرجال التي ترجمت لعلي عليه السلام تجمع على القول بغزارة علمية في مجال الفقه والفرائض والقضاء والتفسير[(١)]، فما يروي عن ابن عباس في ذلك قوله «قُسّم علم الناس خمسة أجزاء فكان لعلي عليه السلام منها أربعة أجزاء ولسائر الناس جزء وشاركهم علي عليه السلام في الجزء فكان أعلمهم»[(٢)] وفي مجال علوم القرآن يقول علي عليه السلام عن نفسه

---

(١) راجع: سبط بن الجوزي ـ تذكرة الخواص ص٥١ ـ الحافظ الكنجي ـ كفاية الطالب ص١٧٩ المحب الطبري ـ ذخائر العقبى ص٧٧.

(٢) ابن عساكر ـ ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ دمشق ٣/ ٤٥ ـ بتحقيق محمد باقر المحمودي.

«والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت وأين أنزلت»[١]، كما يرى الشيعة أنه أول من صنف في التفسير[٢]، وقد حفظ لنا منهج البلاغة ثلاثة نصوص في التفسير هي:

١ ـ ما قاله بعد تلاوته: «أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ»[٣].

٢ ـ ما قاله عند تلاوته: «يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ»[٤].

٣ ـ ما قاله عند تلاوته: «يَا أَيُّهَا الإنسان مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ»[٥].

ويمكن اعتبار استرسال علي عليه السلام في التعليق على تلك الآيات، نموذجاً من نماذج تفسيره للآيات المتعلقة بالجانب التأملي المنطوي على معاني الإيمان والحياة والموت، والمبني في أساسه على الأساليب البيانية التي تعمد إلى تفتيق المعاني، وتجسيدها في صور تطلق للفكر العنان لينساح في سبحات دينية تتناسب وما يكمن في الآيات المفسرة من تعبيرات عميقة. وعلي عليه السلام حين يتناول هذا الجانب القرآني بالتحليل لا يقف عند حدود المعاني القاموسية بل يضرب بفكره في أعماق الكلمة، متأملاً طاقاتها شاحذاً إياها كي تستجيب للمعاني التي يريد من خلالها تجسيد كل

---

(١) أبونعيم الحافظ ـ حلية الأولياء ١/ ٦٨ وجاء مثله عند ابن عبدالبر ـ الاستيعاب بهامش الإصابة ٣/ ٤٣.

(٢) راجع: حسن الصدر ـ تأسيس الشيعة لفنون الإسلام ص٣١٦ وما بعدها.

(٣) خطب ـ ٢١٨ ـ والآية من سورة التكاثر/ ١، ٢.

(٤) خطب ـ ٢١٩ والآية من سورة النور/ ٣٦، ٣٧.

(٥) خطب ـ ٢٢٠ ـ والآية من سورة الانفطار/ ٦.

ما يهز الأعماق ويثير الإحساس ويطلق للعقل عنان التفكير فيما وراء المحسوس ويكفي أن نأخذ الآية الأولى كنموذج لذلك النوع من التفسير التأملي.

فكلمة المقابر وعلاقتها بالبشر في قوله تعالى ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾﴾[1] لم تقتصر على المعنى الظاهر للموت، بل سلكت إيحاءاتها تأملاً عميقاً في معنى الحياة، واستبطاناً في فحوى الموت، لتجسد ما تزخر به الآية الكريمة من طاقات معنوية تسلك طريقها إلى النفوس، وتوقظ الأحاسيس بسيطرة أساليب الإنشاء على النص التفسيري، حين ورد التعجب في صدره ليلقي بالمستمع في بحر متلاطم من الإستغراب الذي يشد الإنتباه، ويجذب الأسماع ويطلق للعقول عنان التأمل كما في قوله بعد عرض الآية على الأسماع مباشرة «يَا لَهُ مَرْماً مَا أَبْعَدَهُ وَزَوْرًا مَا أَغْفَلَهَ، وَخَطْوًا مَا أَفْظَعَهُ، لَقَد اسْتَخلُوا مِنْهُمْ أَيَّ مُدَّكِرٍ، وَتَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيْدٍ»[2]، فقد بنى علي عليه السلام السياق الفكري لمطلع التفسير على مقولة فحواها عدم جدوى فخر الأحياء بأسلافهم من الموتى، والتخلي عما استطعموه من أفعال وآثار خلفوها وراءهم، والأجدى لأولئك الأحياء التأمل في حالهم ومآل

---

(١) التكاثر/ ١، ٢.

(٢) خطب ـ ٢١٨ ـ فقرة ـ ١.

والمرام: الطلب بمعنى المطلوب، والزور ـ بفتح فسكون ـ الزائرون الذين يبغون نيل الشرف بالانتساب لمن تقدمهم من الموتى بتغافلهم عن قيمة الشرف الحقيقية في الحياة. واستخلوا منهم: وجدوهم خالين.

مصيرهم، بالإتخاذ من حال أولئك الموتى في مقرهم الأبدي عظات وعبر، وتمكنهم من تلافي ما فرط منهم من أعمال لا يرضاها الله قبل مباغتة الموت لهم.

فالتقريع على تفريط الفرد فيما وهبه الله من نعم مقابل الإيمان، والتباهي بعصبية الأنساب والأصول هو المعنى العام للآية، إلا أن علياً عليه السلام لا يكتفي بذلك المعنى حين يقرر بأسلوب تأملي مناسب، أن لا جدوى من التفاخر بالأنساب من خلال أولئك الموتى، ولا طائل من التباهي بما خلفوه من آثار تركوها بعد فراقهم، لأن الأجدى من وجهة نظره «لأنْ يَكُونُوا عِبَرًا مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَرًا»[(١)].

ومن خلال عبارات تأملية تتداعى أفكار علي عليه السلام لتأخذ بألباب مستمعيه في رحلة استبطانه عبر المقابر ليستنطقها حال أولئك المفتخر بهم من الموتى وعلاقتهم الحقيقية بأولئك الذين يفتخرون بهم، فتجيب قائلة «ذَهَبُوا فِيْ الأَرْضِ ضُلاَّلاً، وَذَهَبْتُمْ فِيْ أَعْقَابِهِمْ جُهَّالاً، تَطَأُونَ فِيْ هَامِهِمْ، وَتَستَثْبِتُون مِنْ أَجْسَامِهِمْ، وَتَرْتَعُونَ فِيْمَا لَفَظُوا، وَتَسْكُنُونَ فِيْمَا خَرَّبُوا، وَإِنَّمَا الأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَائِحٍ»[(٢)] فالتصاعد الأسلوبي يصل بالتأمل

---

(١) راجع السابق.

(٢) خطب ـ ٢١٨ ـ فقرة ـ ١.

والضُلاَّل ـ بضم الضاد وتشديد اللام وفتحها ـ جمع ضال ـ أي ضائع وتائه غير مهتد. وتطأون هامهم: تدرسون وتمشون عن رؤوسهم، والهام ـ جمع هامة أعلى الرأس، وتستثبتون من أجسادهم أي تبنون وتنشؤون من تراب أجسادهم، وترتعون فيما لفظوا: أي تأكلوه وتتلذذون بما طرحوه وخلفوه.

إلى ذروته حين ينتقل علي عليه السلام بفكره من استنطاق الجماد إلى تصوير رحلة الموت الرهيبة في بطن الأرض، حيث تعبث الدود في أجساد لتوّها قد أودعت التراب، وأخرى محا معالمها التراب، وهتكها البلى، بتقادم العهد عليها، بحيث يعجز الفكر عن شرح معاني الموت في رحلته التأملية الطويلة كما صورها فكر علي عليه السلام.

على أن علياً عليه السلام لا يترك مستمعه وحيداً في خضم تأملاته العميقة تلك دون أن يشركه في تصوره للموتى في قبورهم في قوله «فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ، أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الغِطَاءِ لَكَ، وَقَدْ ارْتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِالهَوَامِ فَاسْتَكَّتْ، وَاكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُم بِالتُّرابِ فَخُسِفَتْ، وَتَقَطَّعَتْ الأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلاَقَتِهَا. . . لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ، وَأَقْذَاءَ عُيُونٍ، لَهُمْ فِي كُلِّ فَظَاعَةٍ صِفَةُ حَالٍ لاَ تَنْتَقِلُ، وَغَمْرَةٌ لاَ تَنْجَلِي، فَكَمْ أَكَلَتْ الأَرْضُ مِنْ عَزِيْزِ جَسَدٍ، وَأَنِيْقِ لَونٍ. . .»[(١)] فالحال قد تبدل، والسعي الدؤوب وراء مقتنيات الدنيا قد توقف، والجمال قد تشوّه، وقد ران الهدوء الأبدي على كل شيء من حولهم، فلم تعد العواطف توقظهم ولا تغيز الأجواء يململهم من سباتهم العميق، فلا جديد يغير من حالاتهم في مقامهم الأبدي حتى يوم يبعثون.

على أن استرسال علي عليه السلام في تصور حال الموتى في قبورهم من خلال تداعي معاني الآية الكريمة، هو امتداد لدورة الحياة المستمرة كما

---

(١) السابق ـ فقرة ـ ٤ ـ وارتسخت، مبالغة في الرسخ أي نضوب مستودع قوة السمع، وذهاب مادته بفعل عوث الديدان والهوام فيه، واستكّت الإذن: صمخت، وخسفت العين: أي انفقأت وتشوهت بفعل التراب وذلاقة الألسن: قوة نطقها.

تصورها فكره، فالبداية والنهاية متعاقبتان في دورة مستمرة لا تتوقف، ويمكن للمتأمل أن ينظر إليهما في تعاقبهما من أية زاوية يشاء، لذلك لم يتقيد في عرضه للحياة والموت، بالترتيب العقلي المتصور، حين بدأ تفسيره بأسلوب التقريع عن طريق إثارة مستمعه من خلال أساليب التعجب التأملية المتعاقبة تلا ذلك باستنطاق الأرض عن حالها إزاء الموتى، ثم بوصف الموتى في أجداثهم، وأثناء عبورهم البرزخ[1]، خاتماً تأملاته الفكرية في معاني الآية الكريمة بوصف بداية نهاية الإنسان وما يعتبر من أوصاب وعلل ونكسات صحية تتلوها سكرات الموت ومن ثم الفراق الأبدي فيقول في خاتمة ذلك «فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا، وَتَرْكِ الأَحِبَّةِ، إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ، فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ، وَيَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ، فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فعيي عَنْ رَدِّهِ وَدُعَاءٍ مُؤْلِمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ! مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظِّمُهُ أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ»[2].

---

(١) وردت كلمة البرزخ عند علي عليه السلام ضمن التفسير في قوله عن الموتى أنهم «سلكوا في بطون البرزخ سبيلاً سلطت الأرض عليهم فيه» وقد فسر ابن أبي الحديد البرزخ بتفسيرين: بمعنى القبر، وما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث شرح النهج ١١/ ١٤٥، أما ميثم فقد أخذ بالمعنى الثاني المتمثل فيما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث ـ شرح ميثم ٤/ ٥٩ ورجح المعنى الثاني أيضاً ـ الخوئي في منهاج البراعة ١٤/ ٢١٧، ٢١٨. وأخذ كل من محمد عبده في شرحه ص٤١٦ ط الأندلس، ومحمد جواد مغنية ـ في ظلال النهج ٣/ ٢٨٩ المعنى الأول المتمثل في القبور، ونحن نرجح أن معنى البرزخ هو ما أخذ به كل من ميثم والخوئي وهو المدة الزمنية التي يقطعها الميت بين وفاته حتى يوم بعثه على اعتبار قوله علي عليه السلام سلكوا والسلوك معناه المشيء، ولو أنه عنى القبر لقال سلكوا بطون البرازخ بصيغة الجمع ليتفق مع الفعل سلكوا.

(٢) خطب ـ ٢١٨ ـ فقرة ٤ في نهايتها، ونوافذ فطنته: أفكاره الصائبة وعي: عجز.

فتفسير علي عليه السلام لمثل هذه الجوانب الماورائية وربطها بالواقع، لم يعد مجرد توضيح لمعاني من خلال شرح مقتضب، فقد استحال إلى طاقات من المعاني الإيحائية الموجهة توجيهاً فكرياً عمقياً وواعياً، الهدف منها إيقاظ حس الإنسان بالتحدث إلى نفسه لزرع الإيمان والخشية في أعماقها، والأخذ بيده إلى الصلاح والخير عن طواعية واقتناع. ولو تأملنا في تفسيره للآيتين الأخريين لوجدنا أنهما لا تبتعدان في منهجهما الفكري عما أورده فيما عرضنا له إلا بالقدر المؤدي إلى الغاية الأساسية التي يتوجه بها النص القرآني من معانٍ إيحائية، حيث تكون الآية هي المنطلق للتعبير الفكري عن معاني الإيمان والحياة والموت والعقيدة وغير ذلك من موضوعات تأملية أخرى. هذا وقد عرضت نصوص النهج ـ من ناحية ثالثة ـ إلى عدة قضايا غيبية، كالحديث عن مصير الخوارج مستقبلاً[(١)] والفتنة التي سيحدثها الأمويون[(٢)]، وما ستصير إليه البصرة[(٣)]، وما سيؤول إليه الوضع الإسلامي على أيدي الترك وغيرهم[(٤)]، إلى غير ذلك من تنبؤات، يجدر الوقوف على حقيقتها من وجهة نظر علي عليه السلام.

ج ـ القضايا الغيبية في فكر علي عليه السلام

إن الإيمان بالغيب هو من صلب العقيدة الإسلامية وهو من المسلمات التي لا تقبل الجدل كما في قوله تعالى في وصف المؤمنين حقيقة ﴿ٱلَّذِينَ

---

(١) راجع خطب ـ ٣٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩.
(٢) راجع خطب ـ ٩٢ فقرة ٢.
(٣) راجع خطب ـ ١٣ وفي تنبئه بما سيحصل بالكوفة مستقبلاً راجع خطب ٤٧.
(٤) راجع خطب ـ ١٢٨.

﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾﴾(١). والمقصود بالغيب، كما نفهمه هو كل ما لا يمكن للحواس معرفته، ولا للتجارب الوصول إلى غايته، «فالإيمان بالغيب هو الإعتقاد بموجود وراء المحسوس»(٢) وعلم الغيب بمعناه الماورائي من اختصاص الخالق سبحانه دون غيره من المخلوقات مهما تسامت مكانتها وذلك بناء على قوله تعالى ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾(٣) وعلى ذلك فإن جميع الرسل والأنبياء لا يعلمون الغيب، وفي قوله تعالى لرسوله ﷺ ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾(٤) ما يؤكد عدم إحاطة الأنبياء بعلم الغيب، لأن فحوى الآية يؤكد عدم إطلاع الرسول ﷺ على خبايا المنافقين في المدينة من حوله رغم أنهم أقرب الناس إليه، كما ورد في القرآن ما مفاده أن قريشاً قد طلبت من الرسول ﷺ أن يعلمها ـ إذا كان رسولاً حقاً ـ بأوقات الرخص والغلاء، والخصب والإجذاب، فكان رد النبي ﷺ على طلبهم من خلال قوله تعالى ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾(٥). إلا أن ذلك لا ينفي أن يطلع الله سبحانه أنبياءه على بعض الجزئيات الغيبية، كبراهين تعضد صدق رسالاتهم كما في قوله تعالى ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ

---

(١) البقرة / ٣.

(٢) تفسير المنار ١ / ١٢٧.

(٣) النمل / ٦٥.

(٤) التوبة / ١٠١.

(٥) الأعراف / ١٨٨ وراجع سبب نزول الآية عند: الطبري ـ مجمع البيان ٩/ ٧٨.

خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾[(١)] فالرسول ﷺ قد كان يعرف بعض الجزئيات الغيبية بإيحاء من الله سبحانه مما يعني أن معرفته تلك مكتسبة، وقد ذكر الماوردي جانباً من المعرفة المكتسبة تلك[(٢)]، التي يمكن من خلالها الدخول إلى موضوع الغيبيات في فكر علي عليه السلام.

لقد حاول بعض الدارسين لشخصية علي عليه السلام، تحليل بعض جوانبها النفسية لتعليل القضايا الغيبية التي صدرت عنه[(٣)]، كما حاول فريق آخر منهم إلغاء ذلك الجانب الغيبي فيما أثر عن علي عليه السلام من نصوص لاعتقادهم بأنه مدسوس عليه[(٤)]، إلا أننا نرجح صحة ذلك الجانب من الأقوال المنسوبة إليه، أو على الأقل الجزء الأكبر منها، ويؤيد ترجيحنا ذاك قرائن منها:

أولاً ـ تأليه علي عليه السلام:

إذ تكاد الكثير من كتب السير التي ترجمت لعلي عليه السلام تذكر أنه قد أحرق قوماً ألّهوه[(٥)]، وقد بقيت عقيدة تأليهه في فرق بعد مماته ذكرها

---

(١) الجن / ٢٦، ٢٧.

(٢) راجع أعلام النبوة ص١٠٦ وما بعدها.

(٣) راجع بشأن ذلك ما قاله في علي عليه السلام عبد الفتاح عبد المقصود ـ الإمام علي عليه السلام ١/ ٩٤ وراجع ما قاله بشأن تحليل علم علي عليه السلام بالمغيبات ـ الخوئي ـ منهاج البراعة ٣/ ١٤٠، ومغنية ـ في ظلال النهج ١/ ١٠٩، ويؤيد ذلك ويعضده ما قاله ابن خلدون ـ في كرامات أهل البيت في مقدمته ص٤١٦.

(٤) راجع بشأن ذلك ـ العقاد ـ عبقرية الإمام علي عليه السلام ص١٤٠، وأحمد الحوفي ـ بلاغة الإمام علي عليه السلام ص٩٨.

(٥) راجع ابن عساكر ـ ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق ٣/ ١٧٩ بتحقيق المحمودي.

الشهرستاني[١]، وتقديس الفرد بجعله في مرتبة الإله لا يتولد عند الناس من فراغ، ولولا مشاهداتهم لصدق بعض نبوءاته، وظهور بعض الخوارق في أفعاله وأقواله لما غلوا فيه، ولا نظن أن قوله «سَيَهْلَكُ فِيَّ صِنْفَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الحُبُّ إلى غَيْرِ الحَقِّ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ البُغْضُ إلى غَيْرِ الحَقِّ، وَخَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالاً النَمَطُ الأَوْسَطُ فَالْزَمُوهُ»[٢] إلا وليد استنتاجاته مما يدور حول شخصه من حب بلغ التقديس وبغض بلغ حد الكراهية والحقد.

ثانياً: تكرار دفع تهمة الكذب عن نفسه:

إن تكرار دفع تهمة الكذب[٣] عن نفسه في عدة مواضع من النهج لم ترد عرضاً ودونما أسباب، فلولا إحساسه بذلك الإتهام الموجه إلى شخصه، لما حاول تفنيد كل مقولة تمس بمصداقية أقواله، التي لم تصل عقول الكثير منهم إلى مرتبة إدراك أبعادها في ظل فهمهم لظواهر القضايا، دون التعمق فيها بأفكارهم للاطلاع على ما يكتنف خلفياتها من أخطار مستقبلية تتهددهم، ويمكن إدراك ذلك من قوله موبخاً من كَذَّبَهُ من أهل العراق «لَقَدْ بَلَغَنِيْ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عَلِيٌّ يَكْذِبُ، قَاتَلَكُمْ الله تَعَالَى فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ؟ أَعَلَى الله؟ فَأَنَا أول من آمن به أم على نبيه؟ فَأَنَا أَوّلُ مَنْ صَدَّقَهُ كَلاّ والله وَلَكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا، وَلَمْ تَكُونُوا أَهْلَهَا»[٤] فاللهجة التي غاب عنها

---

(١) راجع ـ الملل والنحل ١/ ١٧٥ وما بعدها.

(٢) خطب ـ ١٢٧ ـ فقرة ١.

(٣) راجع على سبيل المثال ـ خطب ـ ١٦ ـ فقرة ١ وخطب ـ ٣٧، وحكم ـ ١٥٥.

(٤) خطب ـ ٧٠.

أولئك، هي بعض قضايا الغيب التي كان يحدثهم بها وهي التي أدت بجزء منهم إلى تكذيبه لعدم استيعاب عقولهم لها.

ثالثاً ـ معنى الغيب في فكر علي عليه السلام:

عرض علي عليه السلام في أحد أحاديثه لأصحابه إلى ما سيحدث بالبصرة من فتن دموية جراء الإضطهاد والظلم الذي سيقع على الفقراء والمستضعفين من سكانها، كما تحدث عن فتن سيحدثها جنس من الأتراك في فترة من فترات الإسلام، فقال له رجل كلبي من أصحابه «لَقَدْ أُعْطِيْتَ يَا أَمِيْرَ المُؤمِنِيْنَ عِلْمَ الغَيْبِ، فَضَحِكَ عليه السلام، وَقَالَ لِلرَّجُلِ يَا أَخَا كَلْبٍ، لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ، وَإِنّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِيْ عِلْم، إنَّمَا عِلْمُ الغَيْبِ، عِلْمُ السَّاعَةِ، وَمَا عَدَّدَهُ الله سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ (إنَّ الله عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ) مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى، وَقَبِيْحٍ وَجَمِيْلٍ، وَسَخِيٍّ وَبَخِيْلٍ وَشَقيٍّ وَسَعِيْدٍ... فَهَذَا عِلْمُ الغَيْبِ الّذِي لاَ يَعْلَمُهُ إلاّ الله، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ الله نَبِيَّهُ، فَعَلّمَنِيْهِ، وَدَعَالِيَ بَأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي، وَتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي»[(١)] فعلم الغيب كما يبدو من قول علي عليه السلام، هو العلم بالكليات دون الإستعانة بمعلم، أي أنه ذاتي، ولا يجوز العلم الذاتي إلا في الله سبحانه، لأن كل عالم غيره متعلم فعلي عليه السلام يقر بأن علمه مكتسب، والعلم المستفاد من الغير لا يجوز أن يسمى غيباً «وإن كان إطلاقاً على أمر غيبي لا يتأهل للاطلاع عليه كل الناس»[(٢)] وإقرار علي عليه السلام بصحة اكتسابه تؤيده نصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، من ذلك ما جاء

---

(١) خطب ـ ١٢٨ والآية من سورة لقمان / ٣٤.

(٢) ميثم البحراني ـ شرح النهج ١/ ٨٤.

في تفسير قوله تعالى ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾[١] فقد قال جُلُّ المفسرين، أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ «سَأَلْتُ الله أَنْ يَجْعَلَهَا أُذُنَكَ يَا عَلِيُّ، قال علي عليه السلام: فَمَا نَسِيتُ شَيْئاً بَعْدَ ذَلِكَ، وَمَا كَانَ لِيْ أَنْ أَنسى»[٢] كما ورد على لسان عليٍّ في نهج البلاغة قول رسول الله ﷺ له «إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إلاَّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ»[٣]، فالذي نَفْهَمُهُ مِمَّا ورد بشأن الغيبيات في فكر علي عليه السلام، أن اكتساب بعض الجزئيات الغيبية عن طريق التعلم من متلقي الوحي ﷺ، لا يكسب المتعلم صفة عالم الغيب. فهو على هذا لم يقل بعلمه الغيب، إلا أنه حاول توظيف ما تلقاه عن الرسول ﷺ من علم، في قضية التوعية إلى ما سيؤول إليه مصير المجتمع فيما لو أنحاز أبناؤه عن جادة الحق بظلم بعضهم البعض، وميلهم به عن أصحابه والمؤهلين له، ومنهم شخصه كوارث لعلم النبي ﷺ وحكمته، وقد ورد الشيء الكثير من ذلك في حق نفسه خاصة، وآل بيته على وجه العموم[٤]، ومن ذلك ما ورد بشأن المهدي المنتظر عليه السلام.

د ـ المهدي المنتظر عليه السلام كما يبدو في فكر علي عليه السلام

من ضمن قضايا التنبؤ بالمستقبليات التي عرض إليها علي عليه السلام في

(١) الحاقة / ١٢.

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ١٠٧ وجاء مثله عند: القرطبي ـ الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٦٤ وعند ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم ٦/ ٢٥٥.

(٣) خطب ـ ٢٤٠ ـ فقرة ٢٧.

(٤) يمكن ملاحظة ذلك في ـ خطب ـ ٢ فقرة ٢، و٨٦ فقرة، ٣، ٤، و٩٢ فقرة ـ ١.

النهج، وصف مصلح يظهر بعد فتن تنشب في كل مكان يستغيث الناس من شرورها، حيث تسفك الدماء، وينبذ القرآن، ويعمل بالرأي، ويتبدد المسلمون هلعاً وخوفاً في أقاصي البلاد، من ذلك قوله «يَعْطِفُ الهَوَى عَلَى الهُدَى، إذَا عَطَفُوا الهُدَى عَلَى الهَوَى وَيَعْطِفُ الرَّأيَ عَلَى القُرآنِ إذا عَطَفُوا القُرآنَ عَلَى الرَّأيِ، حَتّى تَقُومَ الحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ، بَادِياً نَوَاجِذُهَا، مَمْلُوءةً أَخْلاَفُهَا، حُلْواً رَضَاعُهَا، عَلْقَماً عاقِبَتُهَا، أَلاَ وَفِيْ غَدٍ ـ وَسَيَأتِي غَدٌ بِمَا لاَ تَعْرِفُونَ ـ يَأخُذُ الوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا، وَتُخْرِجُ لَهُ الأَرْضُ أَفَالِيْذَ كَبِدَهَا، وَتُلْقِي إلَيْهِ سِلْماً مَقَالِيْدَهَا، فَيُرِيَكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السِّيْرَةِ وَيُحْيَ مَيِّتِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ»(١). فكل من تناول فحوى المقولة من شرّاح النهج متفق على أن علياً عليه السلام يقصد منها، وصف إمام منتظر، أو قائم ينادي بالعمل بالقرآن، وإحياء السُنَّة(٢) إلاّ أن وجهة نظر الشيعة حول ظهور ذلك القائم تختلف عنها عند المعتزلة الذين يرون كما يقول ابن أبي الحديد «أن في ذلك إشارة إلى إمام يخلقه الله تعالى في

---

(١) خطب ـ ١٣٨ ـ فقرة ١، ٢، ويعطف الهوى على الهدى يقهر الهوى وهو العمل بالرأي ويثنيه ويجعله منقاداً إلى العمل بهدي القرآن والسنة وكذلك قوله: يعطف الرأي على القرآن ـ أي يقهره بتغليب حكم القرآن عليه، والساق الشدة، والنواجد أقصى الأضراس، وهو كناية عن بلوغ الحرب شدتها، ومملوءة أخلافها، والأخلاف جمع خلف: حلمات ضرع الناقة، وهو كناية عن اشتداد الفتن، وعلقم عاقبتها: أي مرة نهايتها والعاقبة هي النهاية، وقوله «يأخذ الوالي. . . أعمالها» أي أن الإمام المنتظر يأخذ العمال والأمراء على سوء أعمالهم ويعاقبهم بها، والأفاليذ جمع فلذ، وهو كناية عن الكنوز التي تظهر للقائم.

(٢) راجع ـ الراوندي ـ منهاج البراعة ٢/ ٦٢، شرح ابن أبي الحديد ٩/ ٤٠، شرح ميثم البحراني ٣/ ١٦٨ ـ محمد عبده ـ شرح النهج هامش ٢٤٩ ط الأندلس.

آخر الزمان»[١]، بينما يرى الشيعة الإمامية أنه قد عنى بذلك الإمام المنتظر فحسب، وهو عندهم الثاني عشر الغائب، والموجود بين ظهراني الناس[٢]، والذي لابد من أن يعلن عن نفسه يوماً ما ليملأ الدنيا عدلاً، بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، فالمهدية كعقيدة، موجودة في فكر علي عليه السلام كما نعتقد، خاصة أنه يرى أن الأئمة المصلحين موجودون في كل عصر، بهدف تبصير الناس بأمور دينهم ودنياهم، حتى لا تكون للناس حجة على الله، من ذلك قوله، «اللّهُمَ بَلَى لاَ تَخْلُوا الأرْضُ مِنْ قَائِمٍ بِحُجَّةٍ، إمّا ظَاهِراً مَشْهُوراً، أَو خائفاً مَغْمُوراً»[٣]، ومهما يكن أولئك الذين يعينهم علي عليه السلام، سواء أكانوا الأئمة عند الشيعة، أو أنهم «الأبدال الذين وردت الأخبار النبوية عنهم، إنهم في الأرض سائحون، فمنهم من يعرف ومنهم من لا يعرف»[٤] كما يرى المعتزلة حسب تفسير ابن أبي الحديد، فإن الفكرة تتضمن تصريح بوجوب الإمامة في كل زمان حتى قيام الساعة، فإذا ما أخذنا مأثورات علي عليه السلام في المهدية، كلها في سياق واحد، ونظرنا إليها من خلال بنائها الفكري سنجد أن هذه النصوص تتبلور في عناصر أهمها:

١ ـ إن الله سبحانه وتعالى لا يخلي الأرض من قائم مطلع بأمور الدين في أي زمان، وأي مكان، إذ لابد من وجود ذلك المصلح الظاهر المعلن

---

(١) شرح النهج ٩/ ٤٠.

(٢) للاطلاع على عقيدة الإمامية في المهدي المنتظر عليه السلام، راجع ـ رسائل الشريف المرتضى ٢/ ٢٩٣ حتى ٢٩٧.

(٣) حكم ـ ١٤٥ ـ فقرة ٦.

(٤) شرح النهج ١٨/ ٣٥١.

عن نفسه في حالة شعوره بالأمان[١] أو الداعي إلى شريعة السماء في السر في حالة سيطرة الجبابرة والطغاة على مقاليد الأمور وهيمنتهم على مصائر الناس بالقوة والقهر والظلم.

٢ ـ أنه إذا عرف الإنسان إمام وقته، فلابد له من محاولة الرجوع إليه لأخذ أمور دينه عنه، والإستجابة لتلبية ندائه في حال الحاجة لمواجهة أعداء الدين والظالمين من الأمراء والسلاطين، ويمكن الوصول إلى فكرته تلك من قوله «وَالهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الأوَّلِ، مَا كَانَ الله فِي أَهْلِ الأَرْضِ حَاجَةً مِنْ مُسْتَسَرِّ الأُمَّةِ، وَمُعْلِنَهَا. وَلاَ يَقَعُ إسْمُ الهِجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ، إلاَّ بِمَعْرِفَةِ الحُجَّةِ فِي الأَرْضِ، فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ[٢] مع ملاحظة أن علياً قد أشار إلى ضرورة الهجرة، وهو لا يعني بها الهجرة من مكة إلى المدينة، لأن تلك الهجرة قد بطلت بعد الفتح، بناء على قول الرسول‌صلى الله عليه وآله «لاَ هُجْرَةَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ»[٣] ولكنه يعني بالهجرة إلى إمام الوقت كأساس تجمعي كان هو في حاجة إليه، للوقوف في وجه الخارجين عن سلطته، على اعتبار نفسه وآل بيته هم الذين أوكل الله إليهم حماية الدين بعد الرسول‌صلى الله عليه وآله[٤].

إنه برغم الإضطهاد والظلم اللذين وقعا على آل البيت‌عليهم السلام، فإنّ الله سبحانه سيعيدهم إلى المكانة التي بوأهم إيّاها بفضل إيمانهم وصبرهم،

---

(١) راجع حكم ـ ١٤٥ ـ فقرة ٦.

(٢) خطب ـ ٢٣٧ ـ فقرة ٢ والامة ـ بكسر الهمزة ـ الحالة.

(٣) سنن النسائي ٧/ ١٤٦.

(٤) راجع الخطبة ٨٦ ـ فقرة ـ ٣، ٤.

ويفهم ذلك من قوله «لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا، عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا»[١] وتلا عقب ذلك «وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ»[٢]. فالمهدي المنتظرعليه السلام المبشر به، كما يبدو لنا في فكر عليعليه السلام من آل البيتعليهم السلام، وهو ما تضمنه قوله «يَا قَوْمِ هذا تضمنه مِنَّا إِبَّانُ وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ، وَدُنُوُّ طَلْعَةِ مَالاَ تَعْرِفُونَ، أَلاَ وَإِنَّ مِنَّا أَدْرَكَهَا مِنَّا يَرَى فِيْهَا بِسِرَاجٍ مُنِيْرٍ، وَيَحْذُو فِيْهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِيْنَ، لِيَحُلَّ فِيْهَا رِبْقاً، وَيَعْتِقَ فِيْهَا رِقّاً، وَيَصْدَعَ شَعْباً، وَيَشْعَبَ صَدْعاً فِيْ سُتْرَةٍ عَنِ النّاسِ، لاَ يُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثَرَهُ، وَلَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ»[٣].

٤ ـ إنه لن يكون ظهوره إلا بعد فتن ناتجة عن ظلم العباد واستحرار القتل فيهم، وسيكون ظهوره نهاية ذلك الظلم[٤] واستتاب الأمن والرجوع إلى الدين على أصوله الأولى التي جاءت بها رسالة محمدصلى الله عليه وآله، فيعم الرخاء جراء ذلك كل أرجاء المعمورة.

---

(١) حكم ـ ٢٠٧ ـ الشماس ـ بكسر الشين، امتناع ظهر الدابة عن الركوب، والضروس ـ بفتح فضم ـ الناقة السيئة الخلق التي تعصى حالبها.

(٢) القصص / ٥.

(٣) خطب ـ ١٥٠ ـ فقرة ١ ـ إبّان ـ بكسر فتشديد ـ وقت، ودنو ـ قرب، ومِنّا ـ يعني بالضمير فيه من آل البيت وهو المهدي المنتظرعليه السلام، ليحل ربقاً ـ يفك الناس من أسر الاستغلال والرِبْق ـ بكسر الراء وسكون الباء، هو حبل فيه عدة عرق يوضع في رقاب العبيد، ويصدع شعباً ويشعب صدعاً، يفرق جمع الضلال ويجمع متفرق الحق، القائف الخبير بمعرفة الإثارة، والقيافة ـ علم تتبع إثارة المشاة من إنسان وحيوان في الصحراء وهو من أشهر علوم العرب.

(٤) راجع خطب ـ ١٣٨ ـ فقرة ٢.

فعقيدة المهدي المنتظر عليه السلام ـ كما نتصورها من خلال فكر علي عليه السلام ـ لا تكاد تبتعد في مفهومها عما بشر به القرآن الكريم من مستقبل سعيد للإنسانية في ظل الإيمان. كما في قوله تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾[١] وعما جاء بشأنها في السنة النبوية المطهرة، كما في قوله صلى الله عليه وآله «أُبَشْرُكُمْ بِالمَهْدِي يُبْعَثُ عَلَى اخْتِلاَفٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلاَزِلٍ فَيَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْرَا، وَظُلْمَا، يَرْضَى عَنْه سَاكِنُ السَّماءِ وَسَاكِنُ الأَرْض. . . »[٢] إلا أن علياً عليه السلام لم يذكر ضمن نصوص النهج التي جاءت في المهدي، لا صفاته ولا شكله[٣] كما هو موجود فيما أثر عن الرسول صلى الله عليه وآله من حديث[٤].

تلك هي إذن أهم القضايا الغيبية والأخرى الماورائية التي استخلصناها من فكر علي عليه السلام، وهي على ما تبدو لم تكن لمجرد الجنوح إلى استعراض فلسفة ما أو لأخذ الفكر الإنساني نحو اتجاه جدلي معين من

---

(١) النور / ٥٥.

(٢) الهيثمي ـ مجمع الزوائد ٧/ ٣١٦، رواه الترمذي وغيره باختصار كثير، ورواه أحمد بأسانيد، وأبو يعلى باختصار كثير ورجالهما ثقات.

(٣) إن عدم ورود نصوص تتحدث عن صفات المهدي في نهج البلاغة لا يعني أن علياً عليه السلام لم يتطرق إلى ذلك، فنهج البلاغة لم يجمع كل ما أثر عن علي عليه السلام من أقوال، ففي أصول الكافي ١/ ٣٣٩ وما بعدها ـ أحد مصادر الحديث عند الشيعة الإمامية ـ أحاديث وخطب لعلي عليه السلام، يذكر فيها صفات المهدي وكيفية ظهوره.

(٤) راجع المقدسي ـ عقد الدر في أخبار المنتظر ص١٦، ٢٤.

أجل مناصرة فرقة معينة، لأنها ـ كما نتصورها ـ دعوة صادقة إلى التمسك بالدين والرجوع إلى طريق الإيمان، في كل الأحوال، وتحت كل الظروف، لأن العاقبة ـ كما يراها علي عليه السلام ـ لابد أن تكون في صالح المتقين المؤمنين الذين ينظرون إلى الدنيا نظرة تختلف في مفهومها عما ينظر إليها غيرهم من الناس.

الفصل الثالث

نظرة علي عليه السلام إلى الحياة كما تبدو في نهج البلاغة

إذا ما أردنا سبر غور فكر علي عليه السلام في محاولة للاطلاع على تصوره للحياة يجدر الوقوف عند ثلاث نقاط هي:

١ ـ مفهوم الدنيا في فكر علي عليه السلام.

٢ ـ فكر علي عليه السلام بين التصوف والزهد.

٣ ـ الأسلوب الحكمي كما يبدو في فكر علي عليه السلام.

مع ملاحظة أن النقاط الثلاث من الترابط بحيث لا يمكن فصل بعضها عن بعض، لأنها تشكل في مجموعها نظرة علي عليه السلام المتوحدة إلى الحياة، فمفهوم الدنيا على اتساعه وشموليته وعمقه، هو واسطة العقد بين تقييمه للحياة وبين أسلوبه الحكمي المتولد من نظرته إلى الدنيا بمفهومها الواسع من ناحية، وتجاربه الحياتية من ناحية ثانية، تلك التجارب التي استوعبت معايشته، بكل إحساساته، الدعوة الإسلامية منذ بداية بزوغها،

حتى الوقت الذي بدأت فيه تتفتح على الحضارات الأخرى، وما أحدثه ذلك التفتح من نقلات خطيرة في الفكر العربي الإسلامي بالإتجاه نحو التكالب على المادة، والتمتع بما في الحياة من ملذات إلى أقصى حد ممكن، مما جعل التركيبة الفكرية للفرد المسلم ترجّح كفة الجانب المادي على الجانب الروحي، فتأثرت جراء ذلك بنية الإسلام كدين ثوري، إذ بدأت جذوة الجهاد تخمد في النفوس، بركون العربي المسلم إلى الدعة، وحب الحياة، فأخذ يتهرب من واجب الجهاد بشتى الحجج الواهية، تارة بتقلبات الطقس(١)، وأخرى بالنأي بالنفس عن الفتنة، لتفادي سل السيف في وجه أخيه المسلم(٢)، وثالثة لتلافي النقص في العدة والعتاد(٣)، إلى غير ذلك من أعذار واهية جمعها عليعليه السلام في حب الدنيا والإنبهار بزخرفها والتشبث بها(٤)، فاستحالت الدنيا في فكر عليعليه السلام إلى رمز يمثل الشر في معظم جوانبه، مع تمثيله للخير بالنسبة للذين يفهمون الدنيا على حقيقتها، ومن خلال ذلك المفهوم ببعديه الخير والشرير يمكننا التعرف على الدنيا في فكر عليعليه السلام .

---

(١) راجع الخطبة ٢٧ نهاية الفقرة الثانية.

(٢) راجع في شأن ذلك ما قاله أبو موسى الأشعري لأهل الكوفة عند الدينوري ـ الأخبار الطوال ص١٤٥.

(٣) راجع رد أصحابه على دعوته إلى العودة لقتال أهل الشام بعد انتهائهم من حرب الخوارج ـ أبو حنفية الدينوري ـ الأخبار الطوال ـ صـ ٢١١.

(٤) راجع تعليله للفتن التي نشبت في خلافته ـ الخطبة الثالثة، فقرة ـ ٣. مطلع الخطبة ٣٤.

١ ـ الدنيا في فكر علي عليه السلام

وردت كلمة (دنيا) مفردة ومضافة في نهج البلاغة في مئتين وثمانية وعشرين موضعاً تقريباً، هذا عدا الضمائر التي تعود عليها[١]، ومن خلال تتبعنا لانتشارها الواسع ذاك، وجدنا أنها تحمل الكثير من المعاني التي يمكن حصرها في ثلاث مجموعات متجانسة حاول علي عليه السلام من خلالها تسليط الضوء على جميع جوانبها الإيجابية والسلبية بنظرة ملؤها الإيمان المفعم بحب الإنسانية. فالناظر بإمعان في معاني المجموعات الثلاث كما وردت في النهج، يتصورها ذات وجوه مختلفة، ومعان متباينة، وأوصاف متداخلة، تغلب العتمة والتيئيس على معظمها، إلا أنها ترد في مواضع قليلة جداً، حاملة في طياتها معاني الحب والإيمان، وهي في ناحية ثالثة، ذات صور متباينة لا تستقر على حال، لأنها جوهر زائل تنقصه الديمومة، ويمكن ملاحقة تلك المعاني من خلال الحزم الثلاث التالية:

الأولى ـ الدنيا المكانية:

والمقصود بها كل الكون الذي خلقه الله وفي مقدمته الأرض، التي أهبط الله إليها الإنسان لتكون مقراً لإبتلائه، فالدنيا بهذا المعنى الواسع

---

(١) من إحصائية قسمنا بها في النهج رصدنا خلالها كلمة (دنيا) وجدنا أنها قد وردت مفردة أو مضافة فيما يقارب من مئتين وثمانية وعشرين (٢٢٨) موصفاً، كما تكررت أيضاً بصيغة ضمير الغائبة فيما يقارب من ستمئة وواحد وعشرين (٦٢١) موضعاً، هذا بالإضافة إلى تكرر ما يشير إليها من أسماء، ومعان مثل: دار العبرة، دار البلية، باحة الاحتشاد... وهو ما يستشف منه اهتمام علي عليه السلام البالغ بهذا الجانب الخطير، الذي حاول عن طريق الحديث المتكرر فيه كشف عيوب الجانب المادي ـ الذي استفحلت شروره وبانت تأثيراته السلبية في روح المحارب المسلم. بإخلاده إلى الدعة.

تشمل كل ما يتعلق بالحياة الطبيعية للإنسان من مسكن ومأكل وشراب ولباس، وهواء، وشمس وقمر وكواكب، وكل ما في الطبيعة مما يحتاجه الإنسان ليتأقلم وحياته التي يريدها الله له، ويمكن تتبع هذه المعاني بكل اتساع وشمولية في فكر عليعليه السلام من خلال موضوع خلق الكون، كما ورد في النهج[١]، وهو ما يمكن تسميته بالجانب التأملي المصور لقدرة الله تعالى، ويهدف عليعليه السلام من ورائه ـ كما تتصور ـ تمكين العقل إلى الوصول من تلقاء نفسه إلى فكره التوحيد، بالنظر في إبداعاته المتوحدة التي تستعصي في استجابتها وتكوينها على أي فكر إنساني مهما تناهت قدرته، وتسامت عبقريته.

ولكن هناك جانباً إيمانياً آخر عالجه عليعليه السلام عن طريق خلق الدنيا كمكان، ويتمثل في العلاقة الترابطية بين ذلك المكان الدنيوي وبين الإنسان الذي من أجله خلقت تلك الدنيا، إذ ليس يكفي أن يعرف الإنسان قصة الدنيا، بل يجب أن يعرف أيضاً أن الله سبحانه وتعالى، كما يقول عليعليه السلام «هُو الّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ»[٢] مما يعني أن أولئك الخلق هم من ضمن ذلك الكون الموحد، المكمِّل لبعضه البعض، والمخلوق بقدرته سبحانه، إذ لا مجال للشك على الإطلاق، بأن الخلق، وكل ما يتعلق بهم من أشياء حياتية هي من تدبير الله وأحكامه ويتضح ذلك من قول عليعليه السلام «خَلَقَ الخَلْقَ. . . وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ»[٣] أي هيأ لهم المواضع

---

(١) يمكن مراجعة ذلك في: الخطبة رقم ـ ١، والخطبة رقم ٩٠ ـ المسماة بخطبة الأشباح.
(٢) خطب ـ ١٨٥ ـ فقرة ١.
(٣) خطب ـ ١٨٧ ـ فقرة ١.

المناسبة التي تمكنهم من التأقلم مع محيطهم بقدرته التي طالت كل شيء في الوجود، من جامد ومتحرك وموات وذي روح، ويمكن استخلاص ذلك من قول علي عليه السلام «إنْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ بِأَزِمَّتِهَا»(١) وعلي عليه السلام حين يركز على ذلك الجانب يريد أن يصل بنا إلى نقطة ذات أهمية كبرى تكاد تكون مرتكزه الفكري بالنسبة لاعتبار المعنى المكاني للدنيا. فإذا كان المكان في الفكر الإنساني المحدود، يعني الإستقرار المقرون بالديمومة والراحة والإطمئنان فإنه يعطي الدنيا بعداً مكانياً لا يقرنه بأية استمرارية بتعبيره عن ذلك بقوله «إنّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ»(٢) لأنّها من وجهة نظره «دَارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ»(٣) ويستحيل استمراريتها على نمط معين فمكانيتها لا تعني الثبات والديمومة، فهي من هذه الناحية «دَارُ دُوَلٍ»(٤)، لذلك يجب على من يعيش على أديمها أن يضع في اعتباره، أن الركون إلى مغرياتها والجري وراء ملذاتها والتكالب على مقتنياتها في ظل فكرة الخلود التي تراوده، ما هي إلا حلم بعيد المنال، لأنها كما يقول علي عليه السلام «دَارٌ لاَ يُسْلَمُ مِنْهَا إلاّ فِيْهَا»(٥) وبإمكان الإنسان إدراك ذلك بمجرد تفكيره في خلق الكون من حوله، فقد يستبعد عقله المحدود فكرة فناء هذا الكون المحكم الذي يستعصي انحلاله أو تفكيكه، أو حتى تغيير توازنه، لكنه لو أمعن النظر، ومد ببصيرته إلى ما وراء المجردات لتوصل من خلال ذلك ـ كما يقول علي عليه السلام ـ إلى أن «لَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إنْشَائِهَا

---

(١) خطب ـ ١٣٣ ـ فقرة ١.

(٢) خطب ـ ١٣٢ ـ فقرة ٢.

(٣) رسائل ـ ٧٢.

(٤)،(٥) خطب ـ ٦٢ ـ المطلع.

وَاخْتِرَاعِهَا»[١] لأن الله سبحانه قد حدد لكل خلق خَلْقَهُ وقتاً لا يمكننه تعديه، إذ لا أزلية ولا دوام إلا له سبحانه وتعالى، فكما يقول علي عليه السلام، فإنَ الفناء في نهاية الأمر يعم كل شيء «وإن الله سُبْحَانَهُ يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَلاَ شَيءَ مَعَهُ»[٢]. والفكرة ببعدها المكاني المتضمن قضية الخلق المؤقتة زمانياً ليست من ابتداع علي عليه السلام، لأنها مطابقة لمعاني القرآن الكريم المتمثلة في قوله تعالى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[٣] أما الغاية التي من أجلها كان تركيز علي عليه السلام على فكرة الدنيا المكانية وزوالها فهي: أنه ما دام مآل الدنيا إلى الزوال، وما دام الإنسان غير مستقر عليها فعليه أن يقوم بواجبه تجاهها، في حدود ما فرضه الله عليه، ولا يتمادى في التكالب عليها، والركون إلى مغرياتها لتمثّلِ زوالها أمامه من خلال قصور شُيِّدت ثم هُجِرَتْ فأصابها البلى، ومقتنيات استمات أصحابها في جمعها فبددها ورّاثهم من بعدهم؛ وجبابرة تسلطت فكان مصيرهم الفناء[٤]، فمبلغ مستقر الإنسان في هذه الدنيا، أن يأخذ ويعطي بما يتناسب ومكانته الإنسانية، متمثلاً دوره عليها في حدود ما رسمه الله له، ومن خلال هذا المعنى، تدخل الآخرة في مقابل الدنيا باعتبارها دار خلود متصلة في جوهرها بعمل الدنيا، والمسافة الفاصلة بينهما مسافة زمانية يقطعها الإنسان بعمره المقدر، فيتعانق المكان بالزمان ليشكلا مصير الإنسان الأبدي بعد دنياه الفانية.

---

(١) خطب ـ ٢٣٤ ـ فقرة ٣.

(٢) السابق ـ فقرة ـ ٤.

(٣) الرحمن / ٢٦، ٢٧.

(٤) راجع على سبيل المثال ـ خطبة ـ ٨٢ ـ الفقرة ٧ ـ ورسالة ـ ٣ فقرة ٢.

الثانية ـ الدنيا الزمانية:

الزمن عنصر أساسي في فكر علي عليه السلام، لأنه كما يرى مرتبط ارتباطاً محكماً بحياة الإنسان من جميع جوانبها، فالصلاة وهي ركن تعبدي في الإسلام، إلا أنها تعني عند علي عليه السلام مقياساً يمكن من خلاله معرفة مدى التزام الفرد بالوقت المحدد لكل عمل يناط به، فإذا كان الفرد ملتزماً بصلواته في أوقاتها المحددة، من دون تقديم ولا تأخير، فهو بلا شك يقدر قيمة الوقت فيباشر أعماله في إبّانها، ويمكن استخلاص ذلك من قوله ضمن وصيته لمحمد بن أبي بكر حين ولاه مصر «صَلِّ الصَّلاَةَ لِوَقْتِهَا المُؤَقَّتِ لَهَا، وَلاَ تَعْجَلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغٍ، وَلاَ تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لاِشْتِغَالٍ، وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلاَتِكَ»(١) فالزمن على هذا الأساس مقياس لصدق الفرد مع ربه ومع نفسه ومع غيره من الناس، ولأهمية الزمن العظيمة في فكر علي عليه السلام اعتبر الإنسان ذاته وقتاً في قوله «إِنَّمَا النَّاسُ فِيْ نَفَسٍ مَعْدُودٍ، وَأَمَلٍ مَمْدُودٍ، وَأَجَلٍ مَحْدُودٍ فَلاَبُدَّ لِأَجَلٍ أَنْ يَتَنَاهَى، وَلِلنَّفَسِ أَنْ يُحْصَى وَلِأَمَلٍ أَنْ يَنْقَضِيَ»(٢). فكل شيء في الوجود مقرون بزمن له بداية ونهاية، حتى الوجود ذاته، فإنه يمثل في أحد جوانبه زمناً كما يرى علي عليه السلام، ويمكننا استنتاج ذلك من تتبعنا إلى التقابل بين الدنيا والآخرة فيما أثر عنه من نصوص في النهج، فعدم استمرارية الدنيا، والتقلب في أحوالها، يعني ـ كما يظهر لنا ـ استحواذ الزمانية على شمولية الدنيا المكانية، على أساس اعتبارها دار مجاز، في مقابل الثبات المكاني

---

(١) رسائل ـ ٢٧ فقرة ٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ـ ٢٠/ ٢٨١.

الكامن في الآخرة كما في قوله «أَيُّها النَّاسُ، إِنَّما الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ، وَالآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِسَفَرِكُمْ»[١]، فالمجاز بإبعاده المعنوية يعني الحركة ضمن المكان، والحركة تعني الزمن، فالدنيا تعني الزمن الذي يقطعه الإنسان دون العودة إليه، ولما كان ذلك الزمن لا يمكن أن يعود بالنسبة للإنسان، فيجب عليه أن يستغله استغلالاً حسناً في إبانه كما يرى علي عليه السلام، وفي ذلك يقول «إِنَّ السُّعَدَاءَ بِالدُّنْيَا غَداً، هُمُ الهَارِبُونَ مِنْهَا اليَوْمَ»[٢] فالسعادة الأبدية مرتبطة بالمستقبل المتمثل في الغد المتعلق بنتائج ماضي الدنيا الآنية بالهروب منها في وقتها الآني، فالزمن الدنيوي ببعديه الآني والمستقبلي في تداخل وتمازج ولكن النتائج بينهما في تقابل أبدي أيضاً، لأنهما يمثلان الدنيا والآخرة فهما «عَدُوَّانِ مُتَفَاوِتَانِ وَسَبِيْلاَنِ مُخْتَلِفَانِ، فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَتَوَلاَّهَا، أَبْغَضَ الآخِرَةَ وَعَادَاهَا، وَهُمَا بِمَنْزِلَةِ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ»[٣] والتفاوت والإختلاف فيما بينهما بالنسبة للإنسان يكمن أساساً في حركة العمل الإنساني عبر الدنيا الزمانية التي تتحول الحياة عبرها إلى سباق مع الزمن الكامن فيها، فالحرص على الإمساك بالزمن وإيقاف دوران عجلته من الأمور المستحيلة، لأنه لو حدث فإنه يعني تغيير نظام الكون بإيقاف عجلة الدنيا المستمرة في دورانها، إلا أن سعي الإنسان نحو ذلك الهدف لا يتوقف، لأنه يمثل حقيقة الإنسان في حاجة المستمر في طلب المزيد من ذلك الوقت الدنيوي، والذي عادة ما يكون في مقابلة

---

(١) خطب ـ ١٩٧ ـ المطلع.

(٢) خطب ـ ٢٢٠ ـ فقرة ٢ ـ آخرها.

(٣) حكم ـ ١٠٢.

دائمة مع ذلك السعي كما يصوره قول علي عليه السلام «مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا طَلَبَهُ المَوْتُ حَتَّى يُخْرِجَهُ عَنْهَا، وَمَنْ طَلَبَ الآخِرَة، طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفِي رِزْقَهُ مِنْهَا»[١]. لذلك فمن الأجدى للإنسان في دنياه هذه، أن يدرك تماماً، إن الزمن الدنيوي بما ينطوي عليه من إغراءات، هو في جوهره خسارة مؤقتة في مقابل، ربح أبدي. وفي هذا المعنى يقول «إعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي الآخرةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا»[٢] على اعتبار أن الدنيا كزمان هي في الواقع عمر الإنسان منذ يوم ولادته حتى يوم وفاته، إذ أنّه بموته كما يقول علي عليه السلام «تُخْتَمُ الدُّنْيَا، وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الآخِرَةُ»[٣] فالدنيا الزمانية على هذا المعنى باقية ما بقي وجود الإنسان مستمراً لأنها دنياه.

الثالثة ـ الدنيا وصف:

لم تكن الدنيا مجرد زمان أو مكان في فكر علي عليه السلام، لأنه من ناحية ثالثة أضفى عليها أوصافاً حسية ومعنوية، فهي تارة ذات طعم لذيذ يستسيغه المتذوق، ولون بهيج يروق للناظر، فيسلم لها قياده دون أن يعلم أن ذلك الطعم السائغ واللون الرائق، ما هو في حقيقته إلا مظهرها الخارجي الزائف، الذي سرعان ما تتبدى عيوبه وتتكشف مساوئه ففي معرض تحذير الناس منها يقول «إنِّي أُحَذِّرُكُم لدُّنْيَا، فَإنّها حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ وَتَحَبَّبَتْ بِالعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ بِالقَلِيْلِ، وَتَحَلَّتْ بِالآمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ

---

(١) حكم ـ ٤٤٠.
(٢) خطب ـ ١١٣ ـ فقرة ٤.
(٣) خطب ـ ٥٦. فقرة ـ ٣.

بِالغُرُورِ»(١). وهي تارة ثانية متشكلة في أوصاف شتى، طبيعية مرئية، ومسموعة وذات حركة. وهي في أوصافها تلك، ينقصها الثبات، وتفتقر إلى الحقيقة والصدق، والموضوعية. فصفاتها مختلطة وممتزجة بحيث يتعذر تصنيفها، فهي طبيعية كونية من ناحية، وإنسانية آخذة بزي محارب همه الإعتداء والسلب والنهب تارة ثانية، أو متشكلة في زي امرأة ذات طبيعة مغرية، وهي من ناحية ثالثة حيوان شرس لا يمكن ترويضه. والخلاصة أنها جملة من السيئات التي تحاول غواية الإنسان وصدّه عن كل ما فيه مصلحته وسعادته فهي كما يراها علي عليه السلام «بَرْقُهَا خَالِبٌ، وَمنطْقُهَا كَاذِبٌ، وأموالها محروبة، وأعلاقها مَسْلُوبَةٌ... وَهْيَ المُتَصَدِّيَةُ العَنُونُ، وَالجَامِحَةُ الحَرُونُ، وَالمَائِقَةُ الخَوُونُ والجَحُودُ الكَنُودُ، وَالعَنُوْدُ الصّدُودُ، وَالحَيُوْدُ المَيُوْدُ، حَالُهَا إلى انْتِقَالٍ، وَوَطأَتُها زِلْزَالٌ، وَعِزُّهَا ذِلٌّ، وَجِدُّهَا هَزْلٌ، وَعُلُوُّهَا سُفْلٌ، دَارُ حَرْبٍ وَسَلْبٍ وَنَهْبٍ، وَعَطَبٍ»(٢).

وتلازم النظرة الغاضبة المقرونة بالحذر والحيطة جل مأثورات علي عليه السلام في الدنيا، لأنها كما يراها «مِثْلُ الحَيَّةِ، لَيِّنٌ مَسُّهَا، قاتل

(١) خطب ـ ١١٠ ـ فقرة ـ ١.

(٢) خطب ـ ٢٣٩ ـ فقرة ـ ٣، وخالب ـ خادع، ومحروبة ـ منهوبة، وأعلاقها ـ مقتنياتها، والمتصدية ـ المرأة التي تتعرض للرجال لإغرائهم، والعنون ـ بفتح فضم ـ صيغة مبالغة من الفعل عَنّ أَي اعتراض، والعنون الدائمة الاعتراض، والجامحة ـ الدابة الصعبة التي يستعصي ركوبها، والحرون ـ الدابة التي إذ طلبت منها السير وقفت معاندة، والمائقة ـ الكاذبة، والخؤون ـ المبالغة في خيانتها، والجحود ـ المنكرة للنعمة، والكنود الكافرة بالنعمة، والعنود ـ الدائمة العناد، والميود ـ مبالغة من مَادَ، الدائمة الاضطراب التي لا تستقر على حال.

سَمُّهَا»[١]، لذلك كان يتمنى لو استطاع التمكّن منها، لَخَلّصَ الإنسانية من أذاها، ولفك الناس من ربقة ذلها، ولجنبهم الوقوع في حبائلها، وتتجلى أمنيته تلك في قوله «وَاللَّهِ لَوْ كُنْتِ شَخْصاً مَرْئِيّاً، وَقَالَباً حِسّيّاً، لَأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَ الله فِي عِبَادٍ غَرَرْتِهِمْ بِالأَمَانِي، وَأُمَمٍ أَلْقَتهِمْ فِي المَهَاوِي، وَمُلُوكٍ أَسْلَمْتِهِمْ إلى التَّلَفِ»[٢].

فكما يبدو في النهج فإن علياً قد قبر داخل نفسه كل شهوة دنيوية، مهما تناهت في الإغراء، فلقد تصورها في شكل فتاة في ريعان الشباب، تلاحقه عارضة نفسها عليه، محاولة إيقاعه في حبائلها بشتى الوسائل المغرية، ولكنه حسم أمره معها حين خاطبها قائلاً «يَا دُنْيَا، يَا دُنْيَا، إِلَيْكِ عَنّي، أبي تَعَرَّضْتِ؟ أَمْ إليَّ تَشَوَّقْتِ، لاَ حَانَ حِيْنُكِ، هَيْهَاتَ، غُرِّي غَيْرِي، لاَ حَاجَةَ لِيْ فِيْكِ، قَدْ طَلّقْتُكِ ثَلاثاً لاَ رَجْعَةَ فِيْهَا»[٣] فهو في طلاقه للدنيا، ومحاولته إقامة حدود الله عليها، من المثالية بحيث يريد أن يقيم كل أود في الحياة من حوله مع وضعه في الإعتبار أن الإنسان العادي، لا يمكنه الزهد في الدنيا والنأي بنفسه عن لذاتها لأنه يرى أن «النّاسُ أبْنَاءُ الدُّنْيَا وَ لاَ يُلامُ الرَّجُلُ عَلَى حُبِّ أُمِّهِ»[٤] فلو استطاع الإنسان نبذ الدنيا التي خلق من أديمها، لأمكنه الإستغناء عن حُبِّه لأمه التي أنجبته ورضع لبنها وذاك مستحيل، وقد تبدو الفكرة متناقضة، خاصة حين نرى علياً عليه السلام

---

(١) رسائل ـ ٦٨.

(٢) رسائل ـ ٤٥ ـ فقرة ٤.

(٣) حكم ـ ٧٥.

(٤) حكم ـ ٣١١.

يمنح الدنيا أوصافاً ناصعة بهية، تتناقض تماماً مع ما أطلقه عليها من أوصاف تزهيدية لا تقيم لها وزناً ولا تجعل لها أية قيمة، فمن أوصافه المشرقة للدنيا قوله «الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا وَدَارُ غِنَىً لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا، وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنْ إتَّعَظَ بِهَا، مَسْجِدُ أَحِبّاءِ الله، وَمُصَلّى مَلائِكَةِ الله، وَمَهْبِطُ وَحْيِّ الله، وَمَتْجَرُ أولياءِ الله»[1]، لكن بتأملنا في النصوص التي أثرت عن علي عليه السلام في الدنيا مجتمعة، نعتقد أنه لا تناقض في أفكارها، خاصة إذا وضعنا في الإعتبار، أن الدنيا التي يمدحها علي عليه السلام ويذمها هي دنيا الإنسان، أي زمن بقائه من يوم ولادته حتى يوم وفاته، وأن المطلوب منه في دنياه الزمانية تلك أن يفهمها على حقيقتها، بفهم دوره فيها، والفهم هنا يعني، تحكيم العقل، وكبح جماح الشهوة، دون مغالبة أو تسلط، أو جشع، أو حشد، ويمكن ملاحظة ذلك في فكر علي عليه السلام، بالعودة إلى النص السابق، والتأمل في الإيجابيات التي أسبغها على الدنيا بقوله عنها أنها (دار صدق، دار عافية، دار غنى، دار موعظة) لمن أعمل فكره بصدق في كل تلك الصفات وفهمها فهماً حقيقياً، بنظرة محايدة بعيدة عن كل إغراء يحيلها حية سامة أو حيوان جموح، فتطليق الدنيا بالنسبة إليه شخصياً عزوف عنها وعن ملذاتها، أما بالنسبة إلى غيره من عامة الناس فيعني فهمها على حقيقتها والأخذ منها بما يضفي على النفس السعادة والطمأنينة، بجانب راحة الضمير وعمل حساب النفس بالتوازن بين المادة والروح طبقاً لقوله تعالى ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾[2].

---

(١) حكم - ١٢٩.

(٢) القصص / ٧٧.

وهو ما يمكن استخلاصه من فهمنا للدنيا كما وردت في فكر علي عليه السلام، الذي يرى أن الذين فهموا الدنيا فهماً عميقاً هم أولئك الذين «ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا، وَآجِلِ الآخِرَةِ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ، سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ، فَحَظوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ الْمُتْرَفُونَ... ثُمَّ انْقَلَبُوا مِنْهَا بِالزَّادِ الْمُبَلِّغِ وَالْمَتْجَرِ الرَّابِحِ»(١). تلك هي الدنيا في فكر علي عليه السلام ليس في نظرته إليها ثمة تشاؤم ولا هروب، شريطة أن ننظر إليها من خلال ما قاله فيها مجتمعاً دون تجزئة تحيل البنية الفكرية إلى عناصر متفككة لا تمثل الحقيقة إلا من إحدى جوانبها، مما ينأى بها، عن التكامل والوضوح، ومن خلال ذلك الفهم الواضح للدنيا كما بدت في فكر علي عليه السلام يمكننا التعرض إلى ما ورد عنده من أفكار زهدية كانت أم صوفية.

٢ ـ فكر علي عليه السلام بين التصوف والزهد:

يبدو أن فكر علي عليه السلام من الثراء والشمولية والعمق بحيث حاولت كل فرقة من الفرق الإسلامية أن تنسب إليه أسلوبها الفكري بالنهل من ثرواته بما يتناسب ومنهجها، وقد حدثنا ابن أبي الحديد عن ذلك بالتفصيل(٢)، وبصدد علم التصوف يقول فيه «اعلم أن الكلام في العرفان، لم يأخذه أهل الملة الإسلامية إلا من هذا الرجل (يعني علياً) ولعمري لقد بلغ منه أقصى

---

(١) رسائل ـ ٢٧ ـ الفقرة ٢.

(٢) راجع شرح النهج ١/ ١٧ وما بعدها.

الغايات، وأبعد النهايات»[1] وابن أبي الحديد حين يتبنى تلك الفكرة، لم تتولد عنده من فراغ، لأننا لو رجعنا إلى ما أثر عن الصوفية من أقوال، فسنجد أنهم يعتبرون علياً عليه السلام، قطبهم الذي أخذوا عنه علمهم إذ يرى ابن الفارض[2] (ت ٦٣٢) أن علياً عليه السلام قد تصدى لإيضاح مشكل تأويل القرآن بعلمه الذي تلقاه عن النبي صلى الله عليه وآله بوصية منه كما في قوله (طويل)

وَأَوْضَحَ بِالتَّأْوِيلِ مَا كَانَ مُشْكِلاً   عَلِيٌّ، بِعِلْمٍ نَالَهُ بِالْوَصِيَّةِ[3]

وعلم التأويل الذي يعنيه ابن الفارض، هو ما يوافق في اصطلاح الصوفية (علم الحقيقة) الذي يختص به العارفون منهم، على أساس تقسيمهم الناس بحسب معرفتهم الله سبحانه، إلى ثلاثة أقسام[4]، كما ورد عند ابن عطاء الإسكندري الشاذلي[5] (ت ٧٠٩) وهو مستوحى، على ما نعتقد، من تقسيم علي عليه السلام للناس من ناحية المعرفة إلى ثلاث أقسام «عَالِمٌ رَبّانِيْ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيْلِ النَّجَاةِ، وَهَمَجٌ رُعَاعٌ»[6] ولمنزلة علي عليه السلام العلمية في الفكر الصوفي، فقد اعتبروه «النبأ العظيم، وفلك نوح، أي: الجمع والتفصيل، باعتبار الحقيقة والشريعة، لكونه جامعاً لهما»[7].

---

(١) شرح النهج ١١/ ٧٢.

(٢) راجع ترجمته ـ عند عباس القمي ـ الكنى والألقاب ١/ ٣٦٣.

(٣) ديوانه ص١٠٥ ـ صادر.

(٤) راجع ذلك التقسيم عند: أبي بكر محمد الكلاباذي ـ التعرف لمذاهب أهل التصوف ص٦٤.

(٥) راجع ترجمته عند: عباس القمي ـ الكني والألقاب ١/ ٣٤٥.

(٦) حكم ـ ١٤٥ ـ فقرة ٢.

(٧) تفسير ابن عربي ٢/ ٧٥٥.

لذا فقد تركت مأثورات علي عليه السلام بصماتها واضحة فيما رواه المتصوفة من أقوال في الزهد والتقشف ونبذ الدنيا، منها على سبيل المثال، ما رواه الشريف المرتضى من أن جل مأثورات الحسن البصري (ت ١١٠) «في المواعظ وذم الدنيا... مأخوذ لفظاً ومعنى أو معنى دون لفظ من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام»[(١)]، وقد أورد من كلام الإثنين نماذج تؤكد ذلك، ومنه أيضاً ما روي عن مالك بن دينار[(٢)] (ت ١٣٠ هـ) قوله لرغيف خبز اشتهاه «أَشْتَهِيْكَ مُنْذُ أَرْبِعِيْنَ سَنَةً فَغَلَبْتُكَ، حَتَّى كَانَ الْيَوْمُ وَتُرِيْدُ أَنْ تَغْلِبَنِيْ، إِلَيْكَ عَنِّي»[(٣)] وهو مستوحى من كلام علي عليه السلام «لَأَرُوِّضَنَّ نَفْسِيْ رِيَاضَةً تَهُشُّ مَعَهَاإلى الْقُرْصِ إِذَا قَدِرَتْ عَلَيْهِ مَطْعُوماً، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً»[(٤)].

وممن أخذ بقسط وافر من معاني علي عليه السلام، المتصوفة الزاهدة، رابعة العدوية[(٥)] (ت١٨٠هـ) من ذلك ما روي عنها «مَنْ أَحَبَّ شَيْئاً أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ»[(٦)] وهو متأثر بقول علي عليه السلام «مَنْ عَشَقَ شَيْئاً أَعْشَى بَصَرَهُ وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ»[(٧)]، ومنه قولها أيضاً «إِنَّ السَّلاَمَةَ مِنَ الدُّنْيَا تَرْكُ مَا فِيْهَا»[(٨)] وهو

---

(١) أمالي المرتضى ١/ ١٥٣.

(٢) راجع ترجمته في سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٦٢.

(٣) أبو نعيم الحافظ ـ حلية الأولياء ٢/ ٣٦٢.

(٤) رسائل ـ ٤٥ فقرة ٥.

(٥) راجع ترجمتها في سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٤١.

(٦) السابق.

(٧) خطب ـ ١٠٨ فقرة ٣.

(٨) ابن الجوزي ـ صفة الصفوة ـ ٤/ ٢٩.

مأخوذ من قول علي عليه السلام «أَلاَ وَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لاَ يُسْلَمُ مِنْهَا إلاّ فِيْهَا»[١].

ولذي النون المصري[٢] (ت ٢٤٠) الكثير من الأقوال المتأثرة في معانيها بما يروى عن علي عليه السلام أيضاً: من ذلك ما قاله في سبب نصب العباد وضناهم في هذه الدنيا «ذِكْرُ المَقَامِ، وَقِلَّةُ الزَّادِ وَبُعْدُ السَّفَرِ»[٣] ويكاد يكون تأثره بمعاني علي عليه السلام بينا، في ذكره لصفات المؤمنين، وإن كان بين أسلوبي التناول بون شاسع تكاد معاني ذي النون تتضاءل إزاء معاني علي عليه السلام[٤].

إضافة إلى ذلك فلقد حاول معظم المتصوفة التزييّ بمثل ما كان علي عليه السلام يلبس «حتى أنهم لما أسندوا إلباس خرقة التصوف ليجعلوه أصلاً لطريقتهم وتحلتهم وقفوه على علي رضي الله عنه»[٥] وكأنهم استلهموا ذلك من تصرفه الكامن في قوله «وَاللَّهِ لَقَدْ رَقَعْتُ مِدْرَعَتِي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا، وَلَقَدْ قَالَ لِيْ قَائِلٌ: أَلاَ تَنْبِذهَا عَنْكَ؟ فَقُلْتُ: اغْرُبْ عَنِّي، فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمِدُ القَوْمُ السُّرَى»[٦].

ومحاولة لتوكيد نسبة التصوف لعلي عليه السلام، فلقد تناول بعض شراح

---

(١) خطب ـ ٦٢.

(٢) راجع ترجمته في سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٣٢.

(٣) أبو نعيم السابق ٩/ ٣٤٦. وقارن القول بما ورد بنفس المعنى عند علي عليه السلام حكم ـ ٧٥.

(٤) يمكن المقارنة بين القولين بمراجعة مقولة ذي النون في حلية الأولياء ٩/ ٣٤٦، ٣٤٩ بما ورد من صفات ضمن الخطبة ١٨٧.

(٥) مقدمة ابن خلدون ص٦٣٠.

(٦) خطب ـ ١٦١ ـ فقرة ٢.

نهج البلاغة نصوصاً منه، بتحليل معانيها تحليلاً صوفياً، متأولين بعض تعبيرات علي عليه السلام على أنها مصطلحات صوفية قد ابتكرها للغرض ذاك.

يتناول ابن أبي الحديد النص السادس والثمانين من باب الخطب بالتحليل والشرح، سالكاً في ذلك أسلوب المتصوفة في تأويل المعاني معلقاً على النص بقوله «واعلم أن هذا الكلام منه أخذ أصحاب علم الطريقة والحقيقة علمهم، وهو تصريح بحال العارف ومكانته من الله تعالى[١] وتبلغ تأويلات المتصوفة ذروتها في شرح النص عند ميثم البحراني، حيث تتكرر تعبيرات الصوفية ومصطلحاتهم مثل (شروق المعارف الإلهية على مرآة سره، استكثر من ذكره حتى صار الذكر ملكة له، وتجلى المذكور في أطوار ذكره، الكمالات النفسية التي تفاض على العارف، الوصول إلى مراحل عزّة الله، وتوجيه سره إلى مطالعة أنواره واستشراقها، قد وقف عليها العارفون، ودخلوا منها إلى حضرة جلال الله...»[٢] إلى غير ذلك من مصطلحات صوفية (كالعارف والسالك، والإشراق)[٣] بحيث استحال النص إلى معرض للفكر الصوفي.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٦/ ٣٦٥ وللاطلاع على الشرح كاملاً من ص٣٦٧ حتى ٣٧٢.

(٢) شرح ميثم البحراني ٢/ ٢٩١، ٢٩٢.

(٣) العارف ـ من المعرفة التي يقسمها الصوفية إلى قسمين:

أ ـ معرفة استلالية، وهي معرفة الخالق سبحانه بالاستدلال بالآيات على خالقها، وهي درجة الراسخين في العلم.

ب ـ معرفة شهودية ومبناها الاستدلال بالله سبحانه على الآيات التي خلقها، وهي درجة الصديقين أصحاب المشاهدة، وهم العارفون عند الصوفية. راجع: التهانوي ـ كشاف اصطلاحات الفنون ٢/ ٩٩٥ ـ ٩٩٦. والسالك: في المفهوم الصوفي، هو الذي =

لكن لو تأملنا النص بنظرة محايدة، خالية من كل أفكار مسبقة، بعيدة عن أية تأويلات لمعاني مفرداته وعباراته، سنجد أنه لا يغدو كونه وصفاً مثالياً لعباد الله المتقين، الذين كان يتمناهم علي عليه السلام فيمن حوله من رجال. بعد أن عايش نماذج منهم في واقع الحياة ممثلين في صحابة الرسول صلى الله عليه وآله، ممن عمر الإيمان قلوبهم، فاستحال الإسلام في نفوسهم إلى علم مقرون بعمل، وتركوا الحياة ولم يرزأوا من حطام الدنيا شيئاً، فإيمانهم لم يكن سلبياً استبطانياً مقصوراً على التأمل والرحلات الروحية، فالواحد منهم كما يصفه علي عليه السلام «مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ كَشَّافُ عَشَوَاتٍ مِفْتَاحَ مُبْهَمَاتٍ، دَفَّاعُ مُعْضِلاَتٍ، دَلِيْلُ فَلَوَاتٍ»[1] أي أنه بجانب إيمانه العميق وتورعه عن المحظورات، فإنه متفاعل مع مجتمعه تفاعلاً تاماً بحيث لا يترك مجالاً للمشاركة في إصلاح أو بناء إلا أمَّه، ويتجلى ذلك المعنى من خلال صيغ المبالغة «كشّاف، مفتاح، دفّاع» أي أنه في تواصل تام ومستمر مع الناس في كل طريق يؤدي إلى الخير والسعادة، وتفاعله ذاك، جعله كما يقول علي عليه السلام يلزم نفسه «العَدْلَ، فَكَانَ أَوّلُ عَدْلِهِ نَفْيُ الهَوَى عَنْ نَفْسِهِ يَصِفُ الحَقَّ ويَعْمَلُ بِهِ، وَلاَ يَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إلاّ أَمَّهَا، وَلاَ مَظْنَّةً إلا قَصَدَهَا»[2]

= يطهر نفسه من جميع الدنايا الدنيوية بسلوك الطريق الأقوم، وهو الانتقال من منزل عبادة بالمعنى وانتقال بالصورة من عمل مشروع على طريق القربة من الله إلى عمل مشروع بطريق القربة إلى الله بفعل وترك.... وانتقال من مقام إلى مقام ومن اسم إلا هي إلى اسم، ومن تجل إلى تجل، ومن نفس إلى نفس ـ التهانوي السابق ١/ ٦٨٦، وسعاد الحكم ـ المعجم الصوفي ص٥٨٥.

(١) خطب ـ ٨٦ ـ فقرة ـ ١.

(٢) خطب ـ ٨٦ ـ فقرة ـ ١.

وكل تلك الصفات تنفي عنه السلبية التي تقبع الإنسان داخل ذاته، ففكرة النص كما نتصورها، بعيدة عن الفكر الصوفي المحبوس داخل التأمل الروحي والمقصور على الزهد السلبي، وليس أدل على ذلك بأن الفكرة الثانية من النص المتممة له تعمد إلى وصف حال الجهال بحقيقة الإيمان في شخص من «تَسَمَّى عالماً»[1] فمضمون النص هو كشف لحقيقة العالم وفهمه للحياة من منظور إسلامي، وقد تناوله علي عليه السلام بالعلاج من زاويتيه الإيجابية والسلبية، في محاولة منه لتبصير أصحابه بالعالم العارف بقيمة الحياة المتزن في معاملاته وفي أسلوب عيشه بما يرضي ربه ويعود بالنفع على مجتمعه.

واستكمالاً لما قيل عن فكر علي التصوفي، نعرج على قوله «قَدْ أَحيَى عَقْلَهُ، وَأَمَاتَ نَفْسَهُ حَتَّى دَقَّ جَلِيْلُهُ، وَلَطُفَ غَلِيْظُهُ، وَبَرَقَ لَهُ لاَمِعٌ كَثِيْرُ البَرْقِ، فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيْقَ، وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيْلَ، وَتَدَافَعَتْهُ الأَبْوَابُ إلىَ بَابِ السَّلاَمَةِ، وَدَارِ الإِقَامَةِ، وَثَبَتَتْ رِجْلاَهُ بِطَمَأْنِيْنَةٍ فِيْ دَارِ القَرَارِ وَالأَمْنِ وَالرَّاحَةِ، بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ، وَأَرْضَى رَبَّهُ»[2]. فلقد أوردنا النص كاملاً، كما ذكره الشريف الرضي، وهو على ما يبدو مجتزأ من خطبة أو موعظة، أو رسالة، لأن سياقه يشعرنا أنه مفصول عن كلام سابق عليه، كان بودنا لو عثرنا عليه، لِنكوّن صورة كاملة عن فكرة النص، نستطيع على ضوئها معرفة مراد علي عليه السلام من وصفه ذاك، ومن هو المعني بتلك الصفات، وعلى كل فالنص بشكله الذي بين أيدينا، قابل للتأويل بحسب وجهة نظر

---

(١) السابق ـ فقرة ٢.

(٢) خطب ـ ٢١٦.

قارئه والمتأمل في عباراته، فابن أبي الحديد قد وجه معانيه توجيهاً صوفياً خالصاً، حين ألْحَقَ به فصلاً في مجاهدة النفس(١) وثان في الرياضة النفسية(٢) وثالث في تأثير الجوع في صفاء النفس(٣)، ورابع في المكاشفات الناشئة عن الرياضة النفسية(٤)، وكلها تتعلق بفلسفة التصوف، وفي ظل تلك الفصول الأربعة قام بشرح النص، فاستحال من وجهة نظره إلى صفات (العارف) في المفهوم الصوفي، في سلوكه الطريق للوصول إلى ذات الله، بأعمال العقل ومجاهدة النفس بالجوع والعطش وحرمانها ملاذ الحياة، والتدافع في رحلة النفس من باب إلى باب، بعد إشراق نور الإيمان في قرارة النفس بعد ترويضها، فاستجابت وثبتت بطمأنينة وراحة على أعتاب الذات القدسية، فالبرق اللامع ضمن النص كما يراه ابن الحديد «هو حقيقة مذهب الحكماء وحقيقة قول الصوفية أصحاب الطريقة والحقيقة»(٥) والتدافع من خلال الأبواب هو «من مقام من مقامات القوم إلى مقام فوقه»(٦) وهو ما يطلق عليه الصوفية عبارة (الرحلة الروحية)(٧).

وبنفس الأسلوب يتناول ميثم البحراني شرح النص بالتمهيد له بالقول «هذا فصل من أجلّ كلام له في وصف السالك المحقق إلى الله، وفي كيفية سلوكه، وأفضل أموره»(٨).

---

(١)،(٤) راجع شرح النهج ١١/ ١٢٧، ١٣٤، ١٣٧.

(٥)،(٦) شرح ابن أبي الحديد ١١/ ١٣٧، ١٤١.

(٧) الرحلة ـ راجع سالك ص٦٠١ إحالة (٣) من هذا البحث، هامش ـ ب ـ فانتقال السالك من مقام إلى مقام، هو ما يسمى بالرحلة عند المتصوفة.

(٨) شرح ميثم ٤/ ٥٣.

ونحن لا نتفق مع الشارحَين فيما ذهبا إليه من تأويل، ذلك أن قول علي عليه السلام، بإحياء العقل، من وجهة نظرنا، هو إعماله في التدبر، وتغليب حكمه في التصرفات الإنسانية على وساوس النفس بكبتها وهو ما كنى عنه بالقول (وأمات نفسه) أي زجرها وصدها، أما قوله (حتى دق جليله ولطف غليظه) فليس يعني به مجاهدة النفس «بالجوع والعطش والسهر والصبر على مشاق السفر والسياحة»[1] بل المقصود به صفاء فكره، وتواضع نفسه، فاستطاع أن يشق طريقه في الحياة باستنارة عقله، بمأمن عن كل ما يُسِيءُ إليه وَيُزِلُّ قدمه، فكانت راحته بإرضاء ضميره في تعامله مع الناس، وسلامة نفسه بسلوكه الطريق التي ترضي ربه، فالنص في أساسه مبني على فكرة علي عليه السلام في تعامل الفرد مع المجتمع من حوله، بحيث يمكننا اعتبار فكرة النص، تتمثل في توجيه تربوي للفرد ضمن الجماعة، من خلال إعمال العقل في التصرفات الفردية وتلافي السقوط في مهاوي الشهوة، والنأي بالنفس عن الأنانية وحب السيطرة في التعامل مع الحياة، وهو ما نتفق فيه مع ما ورد عند محمد جواد مغنية: بأن غرض علي عليه السلام من النص «أن يكون كل مسلم صورة مثلى للإسلام على طراز»[2] ذلك المسلم الذي وصفه.

ثم أن قول علي عليه السلام «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً»[3] لا يحمل في مضمونه أي بعد صوفي حتى لو حاولنا تعسف تأويله، لأن

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١/ ١٣٧.

(٢) في ظلال نهج البلاغة ٣/ ٢٨٤.

(٣) شرح ميثم للمئة المختارة ص٥٢.

الحرف (لو) يحول دون ذلك التأويل على أساس أن معرفة ما وراء المحسوسات هو من المستحيلات فعلي عليه السلام يقصد من المقولة، أن إيمانه بالله سبحانه وتعالى قد بلغ من القوة والمتانة والأحكام، مما لا يحتاج معه إلى مزيد من البراهين الماورائية التي تقوي من دعائم ذلك الإيمان.

أما قول علي عليه السلام بترقيع مدرعته[١]، فهو تعبير عن زهد في زخارف الدنيا مختص بشخصه أي أنه سلوك ذاتي قصره عليٌّ عَلَى نفسه من منطلق مسؤوليته كإمام قدوة لجميع الناس، والذين أغلبهم من الفقراء والمعدمين، والفكرة نابعة من اقتناعه المتمثل في قوله «إنّ الله تَعَالَى، فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الحَقِّ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ، كَيْلاَ يَتَبَيَّغَ لفقير فقره»[٢] فتصرف علي عليه السلام كما يبدو من المقولة هو تعبير فكري لما يجب أن يعمل به أو لو الأمر تجاه رعاياهم بحسب مقتضيات العصر، وبحسب الظروف التي يعيشها الناس، ويمكن استخلاص ما يؤيد مقولتنا من خلال مناقشة جرت بين رجل وبين جعفر الصادق عليه السلام حفيد علي عليه السلام، فحواها قول الرجل للصادق «أصلحك الله، ذكرت أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان يلبس الخشن، ويلبس القميص بأربعة دراهم، وما أشبه ذلك، ونرى عليك اللباس الجيد؟... فقال له: إن علي بن أبي طالب عليه السلام كان يلبس ذلك في زمان لا ينكر، ولو لبس مثل ذلك اليوم لشهر به، فخير لباس كل زمان لباس أهله»[٣].

---

(١) راجع المقولة في ص٦٠٠ من هذا البحث.

(٢) خطب ـ ٢٠٣ ويتبيغ ـ يهيج.

(٣) الكليني ـ الكافي ٦/ ٤٤٤.

وبعد أن نفينا التصوف عن فكر علي عليه السلام يمكننا الدخول في فكره الزهدي من خلال فهمنا لفلسفة الزهد عند آل البيت في ضوء مقولة الصادق تلك.

استوعب الوعظ بالزهد وذم الدنيا مساحة واسعة في نهج البلاغة[1]، وقد بلغت تلك النصوص ـ مع كثرتها ـ الذروة في توظيف المعاني، حتى ليكاد المتأمل فيها يحس داخل قرارة نفسه أنها صادرة عن «من لاحظ له في غير الزهادة، ولا شغل له بغير العبادة، وقد قبع في كسر بيت، أو انقطع إلى سفح جبل، لا يسمع إلا حسه ولا يرى إلا نفسه»[2] وللدقة في المباني التي بلغتها الكثير من تلك النصوص في تناول علي عليه السلام لمعاني الزهد، ووصف الدنيا، ومآل الإنسان، فقد علق ابن أبي الحديد على واحد منها بقوله «من أراد أن يعظ ويخوف ويقرع صفاة القلب، ويعرف الناس قدر الدنيا، وتصرفها بأهلها، فليأت بمثل هذه الموعظة، في مثل هذا الكلام الفصيح وإلا فليمسك... وأقسم بمن تقسم الأمم كلها به، لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة وإلى الآن أكثر من ألف مرة، ما قرأتها قط إلا وأحدثت عندي روعة وخوفاً وعظة، وأثرت في قلبي وجيباً، وفي أعضائي رعدة»[3] مما يعني أن كثرة النصوص من حيث الكم، لم تخل بمضامينها من حيث الكيف، وهذا بطبيعة الحال، ما جعل الزهاد والمتصوفة ينهلون منها ما يتفق وأفكارهم، جاعلين من علي عليه السلام قدوتهم من خلال ما أثر عنه

---

(١) راجع على سبيل المثال لا الحصر: خطب ـ ٦٣، ٨٠، ٨١، ٨٢، ١٠٢، ١١٠، ١٦١.

(٢) الشريف الرضي ـ مقدمة نهج البلاغة ـ ص٢٠ ـ ط ـ الأندلسي.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١١/ ١٥٢، ١٥٣.

من أقوال، دون قرنها بتصرفاته وأفعاله، إذ من المفروض على المقتدي أن يأخذ بأفكار المقتدى به متكاملة من حيث القول المقرون بالعمل، لذلك لابد لنا من الوقوف على بعض الجوانب الخاصة من سيرة علي عليه السلام، والتي تمثل مفهومه للتفاعل مع محيطه من خلال نظرته للجانب المادي كطرف مقابل للجانب الروحي الذي يمثل الزهد أهم أركانه.

لقد استطاع علي عليه السلام بكدِّه وعمل يده ـ أن يمتلك ضياعاً، خارج المدينة وفي ينبع[١] وكانت هذه الضياع تدر عليه ـ حسب ما يرويه هو بنفسه ـ أربعين ألف درهم في العام[٢]، ولكنه لم يكن يأخذ منها إلا مبلغ الكفاف، حتى أنه لما تولى الخلافة، وانتقل إلى الكوفة، كان لا يأخذ من أموال المسلمين شيئاً، فقد كان ينفق على نفسه وعلى عياله مما تدره عليه ضياعه في المدينة، وذلك بالقدر الذي يكاد يقيم أوده ومن معه من أهله، موقفاً بقية أمواله على فقراء المدينة ومساكينها[٣]، وهذا التصرف من قِبَلِ علي عليه السلام، نابع من إيمانه بقيمة المال من وجهة نظر إسلامية، متمشية مع قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لقيس بن عاصم بشأن المال الذي يجوز للمسلم امتلاكه «نَعْمَ المَالُ أَرْبَعُونَ وَالكُثْرُ سِتُّونَ، وَوَيْلٌ لِأَصْحَابِ لمَئِيْنِ، إلاّ مَنْ أَعْطَى الكَرِيْمَةَ، وَمَنَحَ العَزِيْزَةَ، وَنَحَرَ السَّمِيْنَةَ، فَأَكَلَ وَأَطْعَمَ القَانِعَ وَالمُعْتَرَّ»[٤]. فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يحرِّم الثراء حين قصر التملك على ستين ناقة، ولكنه توعد

---

(١) راجع ص١٧١ من هذا البحث وأيضاً مقولته عمّا تدره عليه ضياعه من أموال ص١٠٥.

(٢) راجع: أحمد بن حنبل ـ كتاب الزهد ص٥١.

(٣) راجع رسائل ـ ٢٤.

(٤) أمالي المرتضى ـ ١/ ١٠٧ ويمكن مراجعة الخبر بتوسع هناك أيضاً، والمعتر: الفقر المتعرض للمعروف دون أن يسأل.

بعذاب الله أولئك الذين لا يستغلون ثرواتهم في صالح المجتمع، ومساعدة المحتاجين طبقاً لقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1] وهو ما يمكن استخلاصه من فكر علي عليه السلام حين عاد أحد أصحابه بالبصرة في مرض ألم به فوجد اتساع داره، فقال له «مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسِعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِيَ الدُّنْيَا؟ وَأَنْتَ إِلَيْهَا فِي الآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ؟ بَلَى إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ، تَقْرِي فِيهَا الرَّحِمَ، وَتُطْلِعُ مِنْهَا الحُقُوقَ مَطَالِعَهَا، فَإِذا أَنْتَ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ»[2] فالدار باتساعها المبالغ فيه تمثل ـ من وجهة نظر علي عليه السلام ـ بذخاً مبالغ فيه، إذا استغلت في الصالح العام، إلا أن ذلك لا يعني أن علياً يرى أن من واجب كل إنسان، أن يعيش عيشة الكفاف، ويضيق على نفسه وعلى أهله بسكنى الدور الضيقة، وهو القائل «الدار الضيقة العمى الأصغر»[3] فالمقولة تفند القول بعدم توسيع الإنسان على نفسه. ثم أن علياً من ناحية ثانية، ينهى عن الرهبنة والإنقطاع إلى العبادة، والزهد في ملذات الحياة. فحين سمع بأن أحد أصحابه قد لبس العباءة وتخلى عن ملذات الدنيا، قال له «يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكَ الخَبِيْثُ، أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ.أَتَرَى الله أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا، أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى الله مِنْ ذَلِكَ»[4]. لمانزع الزهدي في فكر علي عليه السلام مبني على فهم حقيقي للحياة على أساسه حاول علي عليه السلام الأخذ بيد أبناء مجتمعه للرجوع بهم إلى جادة الإيمان، فهو

---

(١) التوبة / ٣٤.

(٢) خطب ـ ٢٠٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢٠/ ٣٤١.

(٤) خطب ـ ٢٠٣.

نتيجة لتطور الظروف الإجتماعية إثر تدفق الثروات على العرب المسلمين من ناحية، واختلال التوازن في بنية المجتمع في صالح فئة معينة من ناحية أخرى، وهو ما عبر عنه علي عليه السلام بقوله «إِضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاس فَهَلْ تَرَى إلاَّ فَقِيْراً يُكَابِدُ فَقْراً، أَوْ غَنِيّاً بَدَّلَ نِعْمَةَ الله كُفْراً»(١) أي أن المجتمع قد بلغ ذروة التناقض الخطير بانتشار الفقر والجوع بين عامة الناس في مقابل استئثار فئة قليلة من الأغنياء، بالمال وإنفاقه على ملذاتها وتدعيم مصالحها الذاتية غير مكترثة بمعاناة الفقراء وحرمانهم.

ففكرة الزهد المنتشرة في النهج، تعني الإعتدال في الإنفاق كيلا تختل إحدى كفتي الميزان لصالح فئة اجتماعية على حساب الفئات الأخرى، وبتعبير آخر أن الإستمتاع المفرط في مقتنيات الحياة من قبل شريحة من شرائح المجتمع، لابد وأن يكون على حساب شرائح أخرى محرومة من أمس ما تحتاجه، وهو ما عبر عنه علي عليه السلام في قوله «مَا جَاعَ فَقِيْرٌ، إلاَّ بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ»(٢) أي أن التخمة لا يمكن أن تكون إلا على حساب الجوع ـ فالدنيا التي يُزهِّد علي الناس فيها «هي دنيا المتخمين من أكل الحرام والمنغمسين في الرذائل والآثام»(٣) والجديرة بأن تنبذ لضآلة الجانب الروحي فيها أو انعدامه منها.

فالزهد ـ كما يصوره فكر علي عليه السلام ـ ليس هروبياً بترك الدنيا والتفرغ للعبادة خوفاً من الحساب، ولا هو تصوف غايته صفاء النفس بانفصالها عن

---

(١) خطب ـ ١٢٩.

(٢) حكم ـ ٣٣٦.

(٣) محمد جواد مغنية ـ في ظلال نهج البلاغة ٢/ ١٤٧.

عالم المادة للوصول إلى رحاب الله من خلال شطحات لا تتناسب والمسؤولية التي أناطها الله بالإنسان في تعمير الأرض، وقد مر بنا مقولته التي فحواها استطاعة المؤمن الإستمتاع بما في الدنيا بأحسن ما يستمتع به غيره، وفوزه بالآخرة دون ذلك الغير، فاستطاع الفوز بالدنيا والآخرة، لأنه قد عرف كيف يتعامل مع الدنيا[(١)] وذلك التعامل هو أحد جانبي الزهد الذي يرمي علي عليه السلام إليه ضمن قوله «الزَّهَادَةُ قِصَرُ الأَمَلِ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النِعَمِ، وَالتَّوَرّعُ عَنِ المَحَارِمِ»[(٢)] أي عدم التهالك على الدنيا واجتناب كل مايسيء إلى الإنسانية سواء على الصعيد الفردي في شخص الزاهد، أم على الصعيد الإجتماعي في تعالي الأفراد مع بعضهم البعض، انطلاقاً من المفهوم الإسلامي المتمثل في ربط الإنسان بواقعه «ليؤثر فيه ويحوله إلى واقع يتأجج فيه الخير والعمل الصالح»[(٣)].

أما الجانب الثاني من التفكير الزهدي في حد ذاته ضرب من الجهاد الداخلي في محاولة لموازنة النفس بين المادة والروح وذلك كما يتبين لنا من تعريف علي عليه السلام له بقوله «الزُّهْدُ كَلِمَةٌ بِيْنَ كَلمَتَيْنِ فِي القُرآنِ الكَرِيْمِ، قَالَ سُبْحَانَهُ «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ»وَمَنْ لَمْ يَأَسَ عَلَى المَاضِي، وَلَمْ يَفْرَحْ بِالآتِيْ، فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ»[(٤)]. فالزهد بحسب ما يبدو في المقولة، تعامل مع واقع الحياة، يوازن النفس من

---

(١) ذكرت المقولة ص٥٩٧ من هذا البحث.

(٢) خطب ـ ٨٠.

(٣) بسام مرتضى ـ فلسفات إسلامية ص٣٧.

(٤) حكم ـ ٤٤٨ ـ والآية من سورة الحديد / ٢٣.

الداخل بحيث لا تجنح إلى اليأس إذا ما خسرت أو منيت بالفشل، فتصاب بالإحباط والسقوط، ثم أنها لا تتمادى في السرور والفرح لمجرد حصولها على نجاح جزئي، فتصاب بالغرور، فتنسى في خضنم سرورها متابعة الطريق مكتفية بما وصلت إليه، فالنجاح والإخفاق أمران محتملان وكلاهما يعادل الآخر في احتمال وقوعه، لذا يجب على الإنسان في هذه الحالة أن يكون واقعياً في تعامله مع الحياة دون إفراط ولا تفريط فإن استطاع ذلك، فقد تمكن من الأخذ بطرفي الزهد.

ويمكن استخلاص مفهوم آخر للجانب الجهادي لمعنى الزهد في فكر علي عليه السلام، وهو الداعي إلى بذل الروح في سبيل نصرة الدين، والذود عن المبادئ السامية، والدفاع عن حياض الوطن، على اعتبار أن الحياة نفق يعبره الإنسان بأعماله للوصول إلى الحياة الحقيقية والأبدية، والجهاد بالنفس من أقْوَمِ السبل وأعظمها للوصول إلى تلك الحياة الخالدة من وجهة نظر الإسلام، على اعتبار أن الجهاد عملية تجارية مردودها الربح الخالد العائد على العبد من قبل خالقه كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[1]. وعلى ذلك فقد تدافع المسلمون الأوائل في طريق الجهاد، بإيمان ليس له حدود وحماس منقطع النظير ببذل النفوس في سبيل الإستشهاد، لكون أكثرهم من الفقراء والمستضعفين الذين سحقتهم الحياة، وذاقوا مرارة العيش، فتاقوا إلى حياة أفضل، فاستفاد الدين أيما فائدة من حماسهم ذاك، إذ انتشر في فترة وجيزة في بقعة من المعمورة شملت أملاك أعظم إمبراطوريتين شرقيتين. ولكن

---

(١) التوبة / ١١١.

سرعان ما خبا ذلك الحماس، وضعفت روح المقاومة حين ذاق أولئك المحاربون حلاوة الحياة، فبخلوا بنفوسهم، فوجد علي عليه السلام نفسه بين رجال متخاذلين يتهربون من الجهاد بشتى الوسائل والحجج[1]، لذلك كان التزهيد في الدنيا ومقتنياتها وتكراره في خطبه ورسائله ووصاياه، محاولة لإعادة جذوة الحماس إلى النفوس، وحثها على الجهاد بالترغيب في الآخرة ونعيمها، تذكيراً بما ورد في القرآن الكريم بشأن ذلك وأسوة بالمسلمين الأوائل الذين وصفهم في معرض المقارنة بمن حوله من الرجال بقوله «لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، فَمَا أَرَى أَحَداً يَشْبَهُهُمْ مِنْكُمْ لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُوَن شُعْثاً غُبْراً، وَقَدْ بَاتُوا سُجَّداً وَقِيَاماً، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَخُدُوْدِهِمْ، وَيَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ الجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ...»[2] فالوصف هنا ـ بما يحويه من معان زهدية عميقة، في مقابلته بحال أصحابه في تقاعسهم عن الجهاد بخلاً بأنفسهم وركونهم للحياة بما يكتنفها من ذل وهوان في حقيقته دعوة من خلال التقريع للزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة للتحلي بزهد رجال الرسول صلى الله عليه وآله، الذين باعوا أرواحهم لله في سبيل الحصول على الحياة الأبدية، بعكس رجاله الذين رضوا «بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ عِوَضاً، وَبِالذُّلِّ مِنَ العِزِّ خَلَفاً»[3].

فالزهد في فكر علي عليه السلام هو محاولة لربط الإنسان بواقعه بعرى متينة من الإيمان الواعي القائم على دعائم روحية ومادية متعادلة

---

(١) راجع خطب ٢٧، فقرة ٢ وقد عرضنا لها في ص٥٠٤ من هذا البحث.

(٢) خطب ـ ٩٦ ـ فقرة ـ ٤.

(٣) خطب ـ ٣٤ ـ فقرة ١.

ومتمازجة في آن واحد. أما أسلوبه الزهدي الصارم في مأكله وملبسه، فلم يكن يعني به أيه صورة من صور التصوفِ، ولم تصدر منه أية دعوة لأصحابه باحتذاء أسلوبه المتقشف في الحياة، اللهم إلا لولاته على الأقاليم، بهدف تذكيرهم، حتى لا ينسوا، في خضم تدفق المال، عامة الناس من الفقراء والمحتاجين على أساس أنه لا يحس بألم الفقير إلا الفقير فالدعوة الزاهدة في النهج مبنية على علم مقرون بعمل، غايته سعادة الفرد في ظل مجتمع يضع المادة في مكانتها التي ترقى بإنسانيته أثناء تصرفه فيها مهما كان حجمها، فيكون مستعداً للبذل والعطاء تحت أية ظروف، سواء أكان ذلك بالروح أم بالمال على أساس إيمانه بفناء كليهما ـ وهذا الإيمان المتفاعل مع قيم الحياة الواقعية ينأى بمفهوم الزهد الذي يدعو عليعليه السلام إليه عن معنى التصوف الذي يحيل الحياة إلى نوع من التّعبّد الروحي الخالص، مما يتنافى وجوهر الإسلام على عدم الفصل إطلاقاً بين المادي والروحي، لأنهما «درجتان من درجات الموجود»[1] وذلك الفهم الواعي لطبيعة الحياة هو الذي جعل للحكمة قيمتها الفكرية في النهج.

٣ ـ الأسلوب الحكمي كما يبدو في فكر عليعليه السلام

بلغت الحكم المنسوبة إلى عليعليه السلام ذروتها من حيث الكم والإنتشار، حتى لا نكاد نجد كتاباً من كتب التراث العربي، سواء أكان

---

(١) محمد باقر الصدر ـ فلسفتنا ص٣٣٦.

موضوعه «الأدب[١]، أو السياسة[٢]، أو الأخلاق[٣]، أو الفلسفة[٤]، . . . يخلو من قول مأثور منسوب إلى علي عليه السلام، إضافة إلى تلك الكتب[٥] التي تنافست فيما بينها لجمع أكبر قدرٍ ممكن من تلك المأثورات الحكمية. على أن ذلك الكم من الحكم والتي يرجح نسبة معظمه إلى علي عليه السلام، لم

---

(١)،(٤) راجع الحصري القيرواني ـ زهر الآداب ١/ ٤٣، الماوردي ـ تسهيل النظر وتعجيل الظفر ـ ص٤٠، ٩٠، نصير الدين الطوسي ـ أخلاق محتشمي ص٣٦ بالإضافة إلى معظم أبواب الكتاب، مسكويه ـ الحكمة الخالدة ص١١٠ وما بعدها.

(٥) من القدماء الذين اهتموا بجمع حكم الإمام علي عليه السلام: الجاحظ (ت٢٢٥ هـ) في كتابه (المئة الكلمة المختارة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام) وقد قام بشرح مختارات الجاحظ الكثير من الأدباء نذكر منهم: ميثم البحراني (ت٦٧٩هـ) في كتابه: شرح المائة كلمة ـ طبع في إيران ـ وقد عني بنشره ميرجلال الدين الحسيني سنة ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠م) مع شرحين آخرين للمئة كلمة، أحدهما لمؤلف مجهول الوفاة اسمه كما ذكر في نهاية الشرح عبدالوهاب ولد خوجة أمير ادنه، وهو إبراهيم بن يسير باشا، أما الكتاب الثالث ضمن المجموعة فهو: مطلوب كل طالب من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، بشرح (الوطواط) محمد بن محمد رشيد الدين (ت٥٧٣). وضم كتاب الآمدي (ت٥٥٥) (غرر الحكم ودور الكلم) ما يقارب من أحد عشر ألف ومئة وثمان وسبعين حكمة ومقولة منسوبة لعلي عليه السلام، ومعظمها توزيع للخطب والوصايا المأثورة عن علي عليه السلام في شكل جمل وعبارات قصيرة مرتبة على حروف المعجم وكان غرض المؤلف من تأليف الكتاب فيما يبدو من مقدمته تبيان قصور باع الجاحظ والكتاب في نشرته الأخيرة من توزيع دار القارئ ـ بيروت ١٩٨٧ هذا وقد ختم ابن أبي الحديد (ت٦٥٣) شرحه للنهج بألف عبارة قصيرة لعلي عليه السلام اختارها بنفسه ضمّنها حكماً وأدعية. وفي العصر الحديث، جمع علي النجدي وزميلاه: ألفاً وثمانمئة وثلاثين حكمة ضمن كتابهم (سجع الحَمَام في حكم الإمام) من طبع دار القلم ـ بيروت ـ د.ت. ويبدو من مقدمة الكتاب أن طبعته الأولى قد صدرت عام ١٩٦٧. تلك بعض المؤلفات التي اعتنت بجمع حكمة الإمام علي عليه السلام.

يكن في أكثره سوى خطب، ووصايا[(١)]، جزَّأها أولئك المؤلفون في جمل وعبارات اختاروا منها بغيتهم، وما يتناسب ومناهجهم التأليفية، مما يوصلنا إلى نتيجة مفادها أن معظم تلك الأقوال الحكمية المنثورة في طيات الكتب، أو المجموعة في شكل جمل وعبارات متفرقة، هي فيَ الأصل عبارات مفصولة عن سياقاتها العملية، بحيث يمكن النظر في مضامينها من بعدين:

فمن خلال السياق الذي وردت العبارة فيه، يمكن إدراك مدى فاعليتها لحظة قولها، وتأثيرها في الوقت المرتبط بمناسبتها.

أما في حالة قراءتها كوحدة منفصلة عن سياقها ومناسبتها فيمنحها بعداً إنسانياً آخر، يتضمن معنى حياتياً تأملياً يحاول المتطلع فيه، فهم واقعه في ضوء ذلك التعبير المنسجم مع ما يصطرع بداخله.

فقول عليّ عليه السلام «مَا غُزِيَ قَوْمٌ فِيْ عَقْرِ دَارِهِمْ إلاّ ذُلُّوا»[(٢)] قد ورد عند علي عليه السلام ضمن خطبه بغرض توبيخ أصحابه لتواكلهم وتخاذلهم عن دفع الغارات عن أطراف بلادهم، مما جعلهم غرضاً لطمع الأعداء في كل وقت، فاستحالت حياتهم إلى رعب وذل وخوف، فالعبارة من حيث سياقها العملي ضمن النص وصف لتحصيل حاصل يراد به إثارة النخوة

---

(١) راجع على سبيل المثال ـ القاضي القضاعي (ت ٤٥٤) ـ دستور معالم الحكم ـ ط دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٨١ ـ ما ورد من حكم في الباب الرابع من ص٥٩ حتى ص٦٦، وقارن ذلك بما ورد من حكم ضمن الرسالة (٣١) في النهج، فسنجد أن مؤلف الكتاب قد قام بتوزيع الوصيّة في كتابه بحسب المنهج الذي رسمه لنفسه.

(٢) خطب ـ ٢٧ ـ فقرة ـ ٢.

وبث الحماس. أما العبارة في سياقها التأملي مقطوعة عن مناسبتها، فتفتق في ذهن المتأمل فيها أبعاداً معنوية يمكن الإستفادة منها كأسلوب عسكري يحاول من خلاله القادة والمسؤولون تجنيب أوطانهم الدمار والذل بنقل الحرب إلى أرض الأعداء بأية وسيلة ممكنة. فصدق التجربة ولد في أرجائها الحرارة والحماس في مناسبتها من ناحية، وأتاح لها الخلود كعبارة منفردة من ناحية أخرى لصلاحية مضمونها في كل زمان. كما أن قوله «سل تفقهاً ولا تسأل تعنتاً»[1] هو تعبير عن تبرمه ممن كان يسأله لمجرد المكابرة والتصيد لا بقصد التعلم، فكانت المقولة تعبيراً عن ضيق علي عليه السلام بأسلوب السائل المبني على الإثارة، وقد بقيت العبارة حاملة تلك الإثارة الكامنة في كلمة (تعنتاً) بحيث يمكن قولها إلى كل لجوج، يرمي من وراء أسئلته الإثارة وتصيد الأخطاء.

فالحكمة على هذا الأساس عملية من كلا جانبيها: الواقعي، المتمثل في مناسبتها والتأملي، المتمثل في ممارستها بالأخذ بفحواها في المناسبة المشابهة لها أثناء التعامل مع الحياة، وانسيابها المنسجم ضمن مناسبتها ينأى بها عن الصياغة المرتجلة المنتقاة الخالية من أي مضمون عملي، لأنها تعبير صادق عن خلاصة تجربة ناضجة وعميقة، قد تبدو في كثير من الأحيان، أقدم من قائلها لما تحويه من أبعاد زمانية ضاربة في أعماق تاريخ الإنسانية، مما يعني أن تجربة قائلها الحياتية أكبر من سنة المعاش، وعلي عليه السلام في تصوره لحجم تجربته وعمقها، على وعي تام، وفي ذلك يقول «إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عَمَّرْتُ عُمْرَ مَنْ كَانَ قَبلي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِيْ أَعْمَالِهِمْ

---

(١) حكم ـ ٣٢٨.

وَفَكَّرْتُ فِيْ أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِيْ آثَارِهِمْ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّيْ بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عَمَّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إلى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفْعِهِ مِنْ ضَرَرِهِ»[1]، فنظرة علي عليه السلام إلى الحياة ـ كما يبدو من المقولة ـ لم تكن محددة ببعدها الآني، وتجربة لم تكن محصورة في النطاق الضيق لحياته كإنسان، فهي مزيج من الممارسة المعاشة من خلال التعامل مع الواقع، والتأمل العميق في تجارب الأقدمين، ومن خلال تلك التجربة تولدت أساليبه الحكمية النابضة بالحياة، فالكثرة من حيث الكم، لا تعني عنده رصف الكلمات، وتدبيج العبارات لمجرد الوعظ السلبي، والداعي إلى الوضوح والإستكانة والتسليم بالأمر الواقع، شأنها شأن أية عبارة تصدر عن فيلسوف أو حكيم، لأنها في جُلِّهَا لا تعتمد على الأحلام والتخيّل في تصورها للحياة، لانطلاقها من واقع الحياة في حركتها ضمن جميع الإتجاهات الزمانية والمكانية وهي ليست فئوية موجهة لطبقة معينة، ولا فردية يقصد بها شخص ما لذاته، لأنها بالنسبة لقائلها ذات أبعاد فكرية منسجمة مع نظرته المتوحدة للحياة، ويمكن تتبع أبعادها، وتأثيراتها النفسية في نقاط ثلاث:

الأولى ـ الحكمة السياسية:

والمقصود بها العبارات الحكمية التي تتضمن جوانب من فكر علي عليه السلام السياسي أثناء مزاولته الحكم في مختلف ميادينه، فمن ذلك ما هو متعلق بالشؤون الإدارية، المتمثلة في توجيه ولاته، باتباع السياسة

---

(١) رسائل ـ ٣١ ـ فقرة ٦.

الحكيمة والصائبة أثناء ممارستهم الحكم في ولاياتهم على الصعيدين الداخلي تجاه مواطنيهم والخارجي تجاه الأعداء، كالتحرز في إبرام المعاهدات معهم، كما في قوله «اعْتَصِمُوا بِالذِّمَمِ فِيْ أَوْتَادِهَا»[(١)] أي لا تتعاهدوا إلا مع من تشقون في وفائه والتزامه وصدقه.

والمشاورة وتقليب الأمور قبل الإقدام عليها من أهم العناصر التي يجب أن تأخذ بها القيادة الحكيمة كوسيلة من وسائل الإشراك في الحكم، ولبذل الجهد في تلافي الأخطاء بأنجع الأساليب، وفي ذلك يقول علي عليه السلام «مَنْ اسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الخَطَأِ»[(٢)] أيّ أنّ من يضع نصب عينيه آراء متعددة من أجل حلّ معضل ما، فلابد من وصوله إلى بغيته من خلال مشاوراته.

والرضوخ إلى الحق مهما كانت مرارته، من أهم الدعائم التي تنبني عليها الحكومة الصالحة إذ يرى علي عليه السلام «أنَّ الحَقَّ ثَقِيْلٌ مَرِيءٌ وَالبَاطِلَ خَفِيْفٌ وَبِيءٌ»[(٣)] مما يعني عنده، عدم المكابرة إذا ما عرف الإنسان جانب الحق لقوله «مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ»[(٤)] أَيْ مَنْ حَاوَلَ إنكار الحق والتصدي له بعد تأكده منه كان مصيره السقوط مهما أبدى من مقاومة. مع

---

(١) حكم ـ ١٥٩ ـ راجع مناسبة هذه الحكمة عند ابن أبي الحديد ١٨/ ٣٧٢. ط إحياء التراث.

(٢) حكم ـ ١٧٧.

(٣) حكم ـ ٣٨٢ ـ ومريء ـ هنيء حميد العاقبة، وبيء ـ من الوباء، أي المرض، أي وخيم العاقبة.

(٤) خطب ـ ١٦ ـ فقرة ـ ٢، وحكم ـ ١٥٨ ـ من أبدى صفحته للحق ـ أي من كاشف الحق مصارحاً له بالعداوة.......

ملاحظة أنّ تخصيصنا الحكمة لميدان معين هو السياسة، لا يحصرها في ذلك المجال بالذات لأنها كمقولة عملية صالحة للتعامل بها في جميع ميادين الحياة بما يتطابق ومناسباتها على المستويين الفردي والإجتماعي.

وقد يبدو على الحكمة في بعض جوانبها نوع من المقاومة السلبية التي تجعل الفرد خانعاً مستسلماً، ولكن هذه الفكرة سرعان ما تتبدد، إذا ما وجدناها في الجانب الآخر تدعو إلى القوة المتعلقة، المتمثلة في الحزم، فالتعامل بأسلوب أخلاقي متحضر، لا يمنع الإنسان من الدفاع عن نفسه ومواجهة الشر بمثله إذا لم يجد وسيلة أخرى لدرء الخطر عن نفسه، وهو عين ما يمكن استنتاجه من قول علي عليه السلام «رُدُّوا الحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ، فَإِنَّ الشَّرَّ لاَ يَدْفَعُهُ إلاّ الشَّرُّ»[1]، وعليّ عليه السلام هنا لا يدعو إلى ما يسمى في العصر الحديث بالعنف، لأن قوله ذاك نابع من فكر إسلامي واضح يمثله قوله تعالى ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[2] ذلك هو جانب من جوانب السياسة في مأثورات علي عليه السلام الحكمية.

ويتمثل الجانب الثاني في أسلوب تعامل الحاكم مع المحكوم من وجهة نظر علي عليه السلام وهي مبنية في جوهرها على ما انتهينا إليه عند استعراضنا لفكر علي عليه السلام السياسي[3] بحيث يمكننا القول إن الحكمة في هذا الجانب، لا تعدو كونها خلاصة لذلك الفكر المقرون بالممارسة الميدانية للحكم، والمتمثلة في احترام الإنسان وصيانة حقوقه، ونأي

---

(١) حكم ـ ٣٢٢.

(٢) البقرة/ ١٩٤.

(٣) راجع ص١٤٦ وما بعدها من هذا البحث.

الحاكم بنفسه عن كل ما يترتب عليه من هدم في بنية المجتمع، فالخلاصة التي توصل إليها علي عليه السلام من خلال ممارسته للحكم، أنّه إذا ما أريد لِأيّة دولة البقاء قوية من حيث اقتصادها وأمنها، يجب أولاً وقبل كل شيء احترام حقوق الناس وقد أودع علي عليه السلام فكرته تلك في قوله «إنّ العَسْفَ يَعُودُ بِالجَلَاءِ، وَالحَيْفَ يَدْعُو إلى السَّيْفِ»[1] فالحكمة ذات المضمون السياسي، في النهج ـ منسجمة تماماً مع فكر علي عليه السلام السياسي، سواء أكانت مقولته متعلقة بشخصه ذاتياً أم كانت مطلقة تعني الحكم بمعناه الواسع في جميع ميادينه الإقتصادية أو الإدارية أو العسكرية.

الثانية ـ الحكمة الإجتماعية:

وهي التي ترمي إلى توضيح الأسس التي ينبغي أنْ تنبني عليها العلاقات بين الناس، بمعرفة كل فرد حقوقه وواجباته كي ينتظم المجتمع، ويسود التعاون والمحبة والوئام مختلف فئاته، والمستخلص من فكر علي عليه السلام في هذا الجانب، أنّ توفير الطمأنينة للمواطنين من أهم العوامل المهيئة لخلق ذلك المجتمع، ولا يمكن الوصول إلى ذلك إلا بإزالة الغربة من النفوس، لأنّها من أهم عوائق البناء، وليس ثمة غربة للمواطن في وطنه كما يرى علي عليه السلام مثل الفقر وفي ذلك يقول «الغِنَى فِي الغُرْبَةِ وَطَنٌ، وَالفَقْرُ فِي الوَطَنِ غُرْبَةٌ»[2] فتوفير العيش الكريم للمواطن مِنْ أهم دعائم المواطنة، ويرى عليّ عليه السلام أنّ للإنسان دوره أيضاً في إسعاد نفسه وإسعاد الناس من حوله إذا ما توفر له العيش الكريم، وذلك إذا ما استطاع الإنفاق

---

(١) حكم ـ ٤٨٥.

(٢) حكم ـ ٥٤.

بتعقّل وحكمة، فبصدد ذلك يقول «كُنْ سَمْحاً وَلاَ تَكُنْ مُبَذِّراً وَكُنْ مُقَدِّراً وَلاَ تَكُنْ مُقَتِّراً»[١].

ولأهمية المال البالغة في بناء العلاقات الإجتماعية يرى علي عليه السلام وجوب سياسته بالعلم، حتى لا يستحيل إلى وبال على المجتمع، وفي هذا يقول «مَنْ إتَّجَرَ بِغَيْرِ فِقْهٍ فَقَدْ إرْتَطَمَ بِالرِّبَا»[٢] أي استحال إلى مستغل همه الربح والجمع على حساب الناس، مع الملاحظ أنّ الطابع الإجتماعي العام، هو الذي يحكم الأسلوب الحكمي المعالج للناحية المادية ـ على أن هناك طابعاً فردياً يحاول علي عليه السلام من خلاله إبراز فكرة إدماج الفرد في المجتمع من حيث التعامل بأسلوب فعال يجنّبه العزلة، ويحتم عليه التعاون. فمفهوم الصداقة في فكر علي عليه السلام الحكمي، يعني التعاون التام وفي كلّ الظروف، ومن حكمته في الصداقة قوله «لاَ يَكُونُ الصَّدِيْقُ صَدِيْقاً حَتَّى يَحْفَظَ أَخَاهُ فِي ثَلاَثٍ: فِي نَكْبَتِهِ، وَغَيْبَتِهِ، وَوَفَاتِهِ»[٣].

ويرى علي عليه السلام أيضاً أنه لا يمكن تفاعل الفرد في المجتمع، تفاعلاً إيجابياً، إلاّ بالإقدام على العمل بثقة في النفس، وإصرار، وعزيمة، لأن الفشل والنجاح مقرونان بعمل دؤوب يحرك الإنسان استخلاصاً من قوله «قُرِنَتْ الهَيْبَةُ بِالخَيْبَةِ، وَالحَيَاءُ بِالحِرْمَانِ»[٤].

والدين كأسلوب حياة متكامل الجوانب، استأثر بمكانة سامقة في فكر

---

(١) حكم ـ ٣٣.

(٢) حكم ـ ٤٥٦.

(٣) حكم ـ ١٣٢.

(٤) حكم ـ ٢١.

علي عليه السلام إذْ يرى أن على الفرد إذا ما أراد أن يعيش في انسجام تام مع بقية أفراد مجتمعه، أنْ يعرف الإسلام على حقيقته من خلال فهمه لأصل الإيمان المنبثق من حكمته القائلة «اَلإيْمَانُ أَنْ تُؤْثِرَ الصِّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ عَلَى الكَذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ، وَأَنْ لاَ يَكُونَ فِيْ حَدِيْثِكَ فَضْلٌ عَنْ عَمَلِكَ، وَأَنْ تَتَّقِيَ الله فِيْ حَدِيْثِ غَيْرِكَ»[1] وهو بهذا يضع مفهوماً للإيمان يختلف في أسلوبه عما يتصور أنه مجرد طقوس خالية من كل مضمون اجتماعي أخلاقي لأنه يرى فيه معرفة يقينية مقترنة بعمل مثمر وجاد يمثله قوله «كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إلاّ الجُوعُ وَالظَّمَأُ وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ مِنْ قِيَامِهِ إلا السهرِ والعناء حَبَّذَا نَوْمُ الأَكْيَاسِ وَإِفْطَارِهِمْ»[2] وَالأكياسِ هم العقلاء العالمون العاملون، فالفاعلية الإيمانية في فكر علي عليه السلام تكمن في العمل بالعلم. ولو تتبعنا الحكمة الإجتماعية باتجاهاتها المتعددة المتنوعة في النهج فسنجدها في مجملها تصوراً لواقع اجتماعي، الهدف منه التعاون المنسجم بين كل الطبقات الإنسانية، من خلال جعل المادة وسيلة بناء والعمل غاية للتطور.

الثالثة ـ الحكمة الأخلاقية:

قد يتبادر إلى الذهن هنا أن المقصود بالحكمة الأخلاقية هو الوعظ المصوغ في قوالب تعبيرية بديعة، ولكن بتتبعنا لمختارات الرضي الحكمية في النهج نجد أن مثل تلك الحكم الأخلاقية المبنية على النصح المباشر تشكل نسبة ضئيلة إذا ما قورنت بالحكمة الأخلاقية في سياقها العملي،

---

(١) حكم ـ ٤٦٧.
(٢) حكم ـ ١٤٣.

المبني على ما يمكن اعتباره دراسة للنفس الإنسانية أثناء احتكاكها بالحياة، فمحاولة انصهار الإنسان في المجتمع، تحتم عليه إتباع أسلوب معين من أهم مزاياه التحكم في الأعصاب وضبط النفس، وإذا لم يتمكن من ذلك، فسيكون مآله الإنتهاء والفشل لأنه سيدمر حياته من الداخل وقد أوجز عليعليه السلام ذلك في قوله «الحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الجُنُونِ، لأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ، فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكِمٌ»(١)، لذا فالأجدر بالفرد أن لا ينفعل، ولا يكابر، ولا يتعصب لرأيه، أو لعلمه، دونما استناده إلى حجة مقنعة وهو ما عبر عنه عليعليه السلام بقوله «اللَّجَاجَةُ تَسُلُّ الرَّأْيَ»(٢) أي أنّ الخصومة تعصباً لغير الحق تشتت الفكر وتنأى به عن الصواب.

والنجاح في الحياة بالنسبة لأيِّ فرد، مرتبط بالعمل الدؤوب المقرون بالصبر وقوة الإحتمال، وسعة الصدر، ولكن قد لا ينال الإنسان بعزيمته الصادقة وإيمانه المتين كل ما يطمح إليه من أهداف، إلا أنّه لابُدّ أنْ يحقق جزءاً من طموحاته تلك، وهي حقيقة يجب على كل فرد عامل أن يتدبرها، بنظرته إلى الحياة بواقعية، وعليّ قد عرف تلك الحقيقة من واقع احتكاكه بالحياة، فجاءت حكمه مطابقة في مضمونها حقيقة ارتبطت بالإنسان مذ عرف الحياة، وذاق طعم النجاح والفشل، وستبقى ملازمة إياه ما بقي الوجود، وهي المعاني التي صاغها في قوله «مَنْ طَلَبَ شَيْئًا نَالَهُ أَوْ بَعْضَهُ»(٣) والطلب هنا لا يعني الإستجداء، بل يعني المثابرة والإصرار والجد.

---

(١) حكم ـ ٢٥٤.
(٢) حكم ـ ١٨٣.
(٣) حكم ـ ٣٩٣.

وإيمان علي عليه السلام بالإنسان وكرامته، تجعل من حكمته، ومضات مضيئة في ظلام الإمتهان والإستغلال والزيف، لذا فهي تهون على الفرد الفشل المادي الذي يجره إلى إهدار كرامته، وسفح ماء وجهه عند من لا يقيم للإنسانية أي وزن، انطلاقاً من مقولته «فَوْتُ الحَاجَةِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِهَا إلى غَيْرِ أَهْلِهَا»[1].

إن الثراء في تجربة علي عليه السلام الحياتية والثقافية والدينية أسبغ على أقواله الحكمية خصائص منها:

أ ـ الحكمة لم تعد قولاً فلسفياً مصوغاً في قوالب لغوية جاهزة، لأنها قبل أن تنبثق إلى الوجود كمقولة، هي تصرّف حكيم، عاشه علي عليه السلام بكل إحساساته، ومن بلورة في مقولة نابعة من تأمل عميق في أثر الحدث المناسب لها.

ب ـ إن انبثاق الحكمة من تجربة عايشها علي عليه السلام، جعل لها بعدين دلاليين:

الأول منهما آني حاول علي عليه السلام من خلاله بث الحيوية في الكلمة إبان مناسبتها بغرض إثارة نفس المتلقي، لجعله ينفعه معه بالموقف الذي يعيشه، فيضمن استجابته، لما تتضمنه المقولة من حفز واستنهاض.

أما الثاني فيكمن في خلود النبض والحيوية ضمن المقولة، فتستحيل إلى حكمة ذات تأثير دائم ومستمر، خاصة بالنسبة للمواقف المشابهة لمناسبتها في كل زمان ومكان.

---

(١) حكم ـ ٦٤.

جـ ـ أنّها تتميز بالعفوية والبعد عن التكلف، مما يجعل قابلية التأثر بها والتجاوب معها يسيراً وسهلاً.

فحكمة علي عليه السلام مجموعة من القيم الإنسانية، للوصول بالإنسان إلى مراقي الحق والعدل والتقوى في ظل مجتمع آمن، فهي في أبعادها السياسية والإجتماعية والأخلاقية تمثل الإنسجام التام لفكره، بحيث لا يمكن فصلها عنه، لأنها خلاصة ذلك الفكر المثالي الشامل الممثل لنظرته لمعظم نواحي الحياة قولاً وعملاً والمنطلق من مقولته «الدّاعِيْ بِلاَ عَمَلٍ، كَالرَّامِيْ بِلاَ وَتَرٍ»(١) وهو ما يجعلنا في نهاية المطاف، وبعد جولتنا في الكثير من نواحي ذلك الفكر، نتساءل عن الأساليب التي صاغه علي عليه السلام فيها، ومدى ملائمة تلك الصياغة لحمل مضامينه والتعبير عن مشاعر صاحبه، وهو ما سنعرض إليه في دراستنا للأساليب التعبيرية في نهج البلاغة.

---

(١) حكم ـ ٣٤٤.

الباب الخامس

الأساليب التعبيرية في نهج البلاغة

* الفصل الأول: الأنواع الأدبية وخصائصها التعبيرية
* الفصل الثاني: أبرز الخصائص الأسلوبية في النهج
* الفصل الثالث: أبرز الخصائص الفنية في النهج

الفصل الأول

الأنواع الأدبية في النهج وخصائصها التعبيرية

نعني بالأنواع الأدبية في مجال دراستنا لنهج البلاغة، كل ما ورد بين دفتيه من نصوص نثرية سواء كانت خطباً، أو عهوداً، أو رسائل، أو وصايا أو حكماً. فإن لكل نوع من هذه الأنواع خصائصه المتميّزة التي تقتضي منّا تناولها بالدراسة استكمالاً لدراستنا فكر علي عليه السلام، على اعتبار أن الكلمة بوتقة الفكر، والأسلوب روح المفكر والأديب.

أ ـ الخطابة

تعتبر الخطابة في نهج البلاغة من أهم المصادر التي يعوّل عليها في دراسة فكر علي عليه السلام كما لاحظنا ضمن الأبواب السابقة، فهي الوعاء الذي صان جانباً كبيراً من ذلك الفكر الذي صبّه علي عليه السلام في قوالب تعبيرية يمكن اعتبارها غاية في الروعة والإبداع لاعتقاده القوي بأن «الكلمة إذا

خرجت من القلب وقعت في القلب»[١]. لذلك فقد شحذ طاقات الكلمة بإيداعها أفكاره مغلفة بروحه وإحساساته، لتصل إلى مستمعه بصدق وأمانة من خلال خطبه المتناسقة في عناصرها المتنوعة في موضوعاتها، المتدفقة في عطائها.

أ ـ العناصر التي تتكون منها الخطبة عند علي عليه السلام:

بنى ميثم البحراني شرحه لمعظم خطب نهج البلاغة على منهج منطقي[٢]، قوامه المقدمات والأقيسة والنتائج على اعتبار أن الخطابة «جزء من صناعة المنطق»[٣]. وبعيداً عن تلك التعقيدات، فإن الخطبة كفن مسموع تتكون من عناصر أربعة هي:

ـ الأول: المقدمة:

وعادة ما يودع الخطيب فيها الملامح العامة للقضية التي يريد طرحها على مسامع الجماهير، ويعمد إلى إحاطتها بنوع من التشويق والترقب لجذب الإنتباه وشدّ النفوس. والمقدمة في أغلب الأحيان تكون قصيرة، مكثفة في عبارات موحية، ومشحونة بانفعالات الخطيب وحماسه لقضيته، فكلما كان تأثيرها بالغاً استطاع الخطيب استقطاب انتباه المستمعين إليه، لأن العبارة إذا ما انطلقت على سجيّتها، محددة لمقصد الخطيب منها

---

(١) شرح بن أبي الحديد ٢٠/ ٢٨٧. وقد نسبها الجاحظ في البيان والتبيين ١/ ٨٣ إلى عامر بن قيس.

(٢) يمكن ملاحظة ذلك في شرح ميثم لأية خطبة، خاصة الخطب الطويلة المتكاملة.

(٣) ابن رشد ـ تلخيص الخطابة ص١٨.

ومنسجمة مع تفكيره مصوغة بانفعالاته النفسية، فإن ذلك يمنح الثراء لإيحاءاتها ويرسخ من تأثيرها في النفوس. ولو تأملنا في مقدمة الخطيب التي وردت في النهج لوجدنا أنها متفقة مع موضوعاتها تمام الإتفاق، وعلاوة على ذلك، فإنه برغم تقادم العهد على تلك الخطب كنصوص مسموعة، إلاّ أن النبض والحيوية ما يزالان يعملان تأثيرهما في نفس القارئ، بحيث ينتابه شعور الإنفعال الذي كان الخطيب يعيشه أثناء الأداء في محاولة منه للسيطرة على النفوس، وجذبهم نحوه ليتأتى له إبلاغ أفكاره والإقناع بقضيته بشدّه الإنتباه إليه منذ الوهلة الأولى من خلال مقدمات مقتضبة وموحية ومناسبة في إثارتها لموضوع الخطبة الخاصة بها.

فمن مقدمات خطب علي عليه السلام «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلى الأَرْضِ، كَقَطَرَاتِ المَطَرِ، إِلى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قَسَّمَ الله لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، فَإِنْ رَأى أَحَدُكُمْ لأَخِيْهِ، غَفِيْرَةً فِيْ أَهْلٍ أَوْ مَالٍ، فَلاَ تَكُوْنَنَّ لَهُ فِتْنَةً»[1]، فالربط في المقدمة بين كلمة (أمر)، وبين صورة المطر في نزوله، كصورة محسوسة في تباينها بين الكثرة والتوسط والقلة من حيث نزوله على بقاع من الأرض دون أخرى، يوحي لا محالة أن موضوع الخطبة هو التفاوت في توزيع الله سبحانه وتعالى لأرزاق العباد، وعلاقة ذلك بتهذيب النفوس بالعمل، والرضى بما قسّمه الله لكل فرد، والتعاون والتآزر بين أفراد المجتمع والنأي بالنفوس عن الحقد والضغينة والحسد. فالمقدمة بسلاستها وانسياب عباراتها، هي مدخل هادئ لتهيئة نفس مطمئنة راضية تقبل التعايش مع غيرها في حب وتعاون وسلام، وهو ما كانت

(١) خطب ـ ٢٣ ـ وغفيرة: كثرة أو زيادة.

الخطبة ترمي إليه في موضوعها الأساسي.

إلاّ أن الهدوء يتلاشى ويحل مكانه الغضب المفعم بالأسى في مقدمة خطبة أخرى، حيث يقول «مَا هِيَ إلاَّ الكُوفَةُ، أَقْبِضُهَا وَأَبْسِطُهَا، إنْ لَمْ تَكُونِيْ إِلاَّ أَنْتِ، تَهُبُّ أَعَاصِيْرُكَ فَقَبَّحَكِ الله»[١]، فالكلمات تكاد تنفجر بالغضب في الدعاء، على أهل الكوفة بالقبح، والملاحظ أن علياًعليه السلام قد استخدم المجاز للتعبير عن تبرمه وسخطه في قوله «ما هي إلاّ الكوفة»ويعني بذلك رجالها، ولتشخيص المعاني وبث الحياة فيها، لجأ إلى الإلتفات[٢] بتحويله دفة الخطاب من الكلام عن الغائب، وتوجيه الحديث إلى المخاطب المتمثل في الكوفة بقوله «إن لم تكوني. . .»، والأسلوب بما ينطوي عليه من مجاز وتجسيد يوحي بعجز القائد عن التصرف بما تحت يده من سلطان واسع، إلاّ في حدود لا تكاد تتعدى مساحتها قبضة اليد مقارنة باتساع ذلك السلطان، ويعود سبب ذلك إلى عدم تجاوب أصحابه معه وعدم إطاعتهم لأوامره.

وفي مقدمة لخطبة ثالثة يقول «الحَمْدُ لله وإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالخَطْبِ الفَادِحِ وَالحَدَثِ الجَلِيْلِ. . .»[٣]، فالإفتتاحية هادئة يسري الحزن في

---

(١) خطب ـ ٢٥ ـ فقرة (١).

(٢) الالتفات هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الاخبار وعن الاخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك. . . ابن المعتز ـ البديع ص٥٨.

(٣) خطب ـ ٣٥ ـ فقرة (١). والخطب الفادح: الأمر العظيم المهبط، والحدث ـ بفتح الحاء والدّال ـ الحادث، ويقصد بكل ذلك ما وقع من أمر الحكمين، والشاهد من مقدمة خطب قالها عليعليه السلام بعد استخباره بنتيجة التحكيم.

عباراتها، وتتضمن التسليم بقضاء الله وقدره في كل الأحوال، وتوحي بأن ثمة حادثة خطيرة قد وقعت، وأن الخطيب يمهد لها بنفس مؤمنة مطمئنة، لتصل إلى مستمعه بهدوء بعيد عن أي انفعال، لما تتضمنه من حض على الصبر وتمسك بعرى الإيمان تحت أي ظرف.

فللمقدمة من الدقة في تحديد الهدف، وجذب الإنتباه، وشدّ الأسماع ما يجعلها توحي ـ للمتأمل فيها ـ بالمواقف والمناسبات التي من أجلها صيغت وذلك لصدق عباراتها، وما تنطوي عليه من إيحاءات تجسد إيمان قائلها.

ولكن المقدمة قد لا تكون ضرورية بالنسبة لعلي عليه السلام، خاصة في خطبه التي يعلم مستمعه بفحوى أفكارها. أو إذا كانت ضرورة المناسبة تقتضي الدخول في الموضوع مباشرة.

ـ الثاني : الموضوع:

وهو العنصر الأساسي للخطبة لأن بداخله يعرض الخطيب العناصر الفكرية للقضية التي يريد طرحها على مستمعه، ويستخدم لذلك وسائل اقناعية متنوعة تتناسب ومستوى المستمع الثقافي، مع صبغ تلك الأفكار بانفعالاته وإحساساته، باثًا في الكلمات قبسات من روحه، فكلما كان الخطيب صادقاً فيما يقوله مؤمناً به، فإن ذلك الصدق والإيمان ينعكسان على مستمعه، فيتحقق التجاوب والإنسجام بين الطرفين ويؤدي ذلك بالمستمع إلى الإستجابة باقتناع وطواعية. ولا يتأتى للخطيب ذلك إلاّ إذا تمكن من إيصال أفكاره إلى مستمعه بالتدرج المستساغ، مع ربط بين الأفكار من حيث الأسباب والنتائج وتفادي أية فجوات تحدث تشتتاً،

كالإستطراد، أو الإسهاب في شرح فكره على حساب أفكار أخرى، أو حتى الفتور في أساليب التوصيل والتعبير لسبب طارئ.

فمن تأملنا في موضوع تلك الخطب، نجد أنها لا تطرح الموضوع بكل ثقله الفكري جملة واحدة على المستمعين، وإنما تأخذ بأساليب التدرج المترابط ممّا يعني أن علياًعليه السلام في خطابته ـ رغم ارتجاله لها ـ لا يجعل من نفسه أسيراً لعاطفته، بل من القوة ورباطة الجأش واليقظة بحيث يجعل من عقله حكماً في موازنة تلك العاطفة، ممّا يؤدي بالموضوع إلى الإنسجام التام بين الفكر والعاطفة. فلو أنعمنا النظر في خطبته المسماة «القاصعة»[1] التي فحواها نبذ العصبية وما تنطوي عليه من أخلاق ذميمة وأخطار مدمّرة، وربط سياقها الموضوعي بمناسبتها، فسنجد تلاحماً قوياً بين عناصرها، بحيث يستعصي علينا دراستها مجزأة. فالخطبة على الرغم من طولها مترابطة العناصر، متسلسلة الأفكار، بناها عليعليه السلام على ستة عشر عنصراً متفاوتة الحجم، وذلك بعد مقدمة موجزة وموحية بفحوى الموضوع جاء في مطلعها «الحَمْدُ لله الّذِيْ لَبِسَ العِزَّ وَالكِبْرِيَاءَ، وَاخْتَارَهُمَا

---

(١) خطب ـ ٤٢٠ ـ. ويقول ابن أبي الحديد بشأن تسميتها بـ (القاصعة): من قولهم: قصعت الناقة بجرّتها، وهو أن تردها في جوفها، أو تخرجها من جوفها فتملأ فاها، فلمّا كانت الزواجر والمواعظ في هذه الخطبة مرددة من أولها إلى آخرها شبّهها بالناقة التي تقصع الجرّة ويجوز أن تسمى بالقاصعة، لأنها كالقاتلة لإبليس وأتباعه من أهل العصبية، من قولهم: قصعت القملة، إذ هشمتها وقتلتها، ويجوز أن تسمى القاصعة، لأن المستمع لها، المعتبر بها يذهب كبره، ونخوته فيكون من قولهم: قصع الماء عطشه، أي أذهبه وسكّنه. شرح النهج ١٣/ ١٢٨ وتكاد المعاني الثلاثة تكون صائبة، إلا أن أقربها لروح الخطبة المعنى الثاني.

لِنَفْسِهِ دُوْنَ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُمَا حِمًى وَحَرَمًا عَلَى غَيْرِهِ، وَاصْطَفَاهَا لِجَلالِهِ»[١]، وقد جاء هذا التكثيف في عبارات المقدمة متفقاً في معالجته لمشكلة العصبية وخطورتها ضمن العناصر التالية:

* ١ ـ اعتبار إبليس رأس العصيان وأصل العصبية.
* ٢ ـ ابتلاء الله خلقه وامتحانه لمدى قدرتهم على مقاومة النزوات وعلاقة ذلك بالعصبية.
* ٣ ـ النتيجة المترتبة على تعزز المخلوقين وتكبرهم.
* ٤ ـ التحذير من مغبة الوقوع في حبائل الشيطان لأنه أصل العصبية وأن عصبيته وليدة حقده على الإنسان.
* ٥ ـ التحذير من التكبر والغطرسة والإفساد في الأرض.
* ٦ ـ حض الناس على عدم الإستجابة للداعين إلى العصبية من زعماء السوء.
* ٧ ـ الإعتبار بما أصاب الماضين من ويلات ومحن جرّاء التعصب والتكبر.
* ٨ ـ تواضع الأنبياء والرسل وأثر ذلك في نفوس الزعماء والملوك الذين يستمدون سلطانهم من قهر الناس واستعبادهم.
* ٩ ـ قيمة الكعبة المشرفة وأهميتها لا يكمن في موضعها ولا في شكل هندستها، ولكن قدسيتها تكمن في أنها موضع أمن وطمأنينة وتجمع للإنسانية.

---

(١) خطب ٢٤٠ ـ الفقرة الأولى.

* ١٠ ـ التحذير من ظلم العباد والتكبر عليهم واستلابهم حقوقهم.
* ١١ ـ القيمة الكامنة في الفرائض، من كسر لشهوات النفس وكبح لجماحها.
* ١٢ ـ تقدير المال كعنصر من عناصر العصبية، ومآله الحقيقي.
* ١٣ ـ مصائر الأمم الماضية حين أحلت العصبية في تعاملها محل الإيمان.
* ١٤ ـ التفكر في النعمة التي أنعمها الله على العرب برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بانتشاله إياهم من مهاوي العصبية، وما صاروا إليه من نعم جرّاء ذلك.
* ١٥ ـ لوم وتوبيخ المنغمسين في العصبية من عرب الكوفة واعتمادهم عليها كمصدر قوة.
* ١٦ ـ دوره في إطفاء ثائرة العصبية، وعلاقته بذلك منذ بزوغ نور الإسلام.

على أن ذلك الطول لم يفقد موضوع الخطبة تماسكها ولا حيويتها المتدفقة حماساً.

فاندماج علي عليه السلام التام في الموضوع أحال الخطبة ـ رغم تقادم عهدها ـ إلى نصّ متجدد في معانيه ومبناه. فالتوحد بين عناصرها والتسلسل المترابط بين أفكارها، والتدرج إلى النتائج في سلاسة، يكاد ينجر على معظم ما ورد في نهج البلاغة من خطب، والسبب هو معايشة علي عليه السلام لموضوعاتها معايشة تامة بالإحتكاك المباشر بالأحداث المسببة لقولها، ممّا جعل نتائج تلك الخطب وخواتمها ماثلة في فكره من خلال التأمل العميق

الواعي في الأحداث، وهو ما يمكن استخلاصه من خواتم خطب النهج.

ـ **الثالث: الخاتمة:**

تتميّز خواتم خطب علي عليه السلام بالتنوع في أساليبها، فمنها ما كان يلخص آراءه فيه، كما يرد عادة في خطبه ذات الموضوعات التأملية: من ذلك خطبته التي ختمها بقوله «فَتَبَارَكَ الله الَّذِيْ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِيْ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا، وَيُعَفِّرُ لَهُ خَدًّا وَوَجْهًا، وَيُلْقِيْ إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْمًا وَضَعْفًا، وَيُعْطِيْ لَهُ القِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفًا، فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لأَمْرِهِ، أَحْصَى عَدَدَ الرِّيْشِ مِنْهَا وَالنَّفْسِ، فَهَذَا غُرَابٌ، وَهَذَا عُقَابٌ، وَهَذَا حَمَامٌ وَهَذَا نَعَامٌ...»[1]. فالمتتبع لموضوع الخطبة التي وردت فيها تلك الخاتمة، يجد أن علياً قد كان يرمي من ورائها الإبقاء على جذوة التأمل ماثلة في النفوس، لأنه قد أجمل معاني الخطبة بتركيز دقيق بعد أن عرض إلى التفاصيل في صلب الموضوع.

وقد تكون الخطبة وعظية زجرية يرمي علي عليه السلام منها بثّ الرهبة من عذاب الله في نفس مستمعه، وقدرة علي عليه السلام في هذا الصدد تفوق كل تصوّر، لإيمانه العميق الصادق، وامتلاكه ناصية أساليب اللغة، والتصرف فيها، ومقدرته على صبغها بإحساساته وعاطفته، ففي خطبة متكاملة موضوعها تفسير قوله تعالى ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾[2] قد جسّد تدرج خطوات سريان الموت في الإنسان خطوة خطوة، ملاحقاً إياه في تأملاته وتصرفاته وتطلعاته أثناء المرض حتى لحظات الإحتضار

---

(١) خطب ٢٣٣ ـ الفقرة الأخيرة.

(٢) التكاثر/ ١، ٢، وراجع معالجة علي عليه السلام لتفسيرها في الخطبة ـ ٢١٨.

الأخير، وكأنه قد عاش التجربة بكل أهوالها وما يكتنفها من مجهول، فأعاد تصويرها بأسلوب تقشعر منه الأبدان، وبعد أن وصل بمستمعه إلى الذروة، لم يتركه دون أن يبقي الصورة مجسّدة في أعماقه من خلال خاتمة خاطفة مليئة بالومضات السريعة في قوله «وَإِنَّ لِلْمَوتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا»[1].

وقد تكون خاتمة الخطبة نتيجة تصويرية منتزعة من واقع تأملات المستمع خاصة إذا كان موضوع الخطبة يتعلق بمحاولة كشف علاقة الفرد بمجتمعه وأثر البيئة في تلك العلاقة ومثال ذلك قوله في خاتمة خطبة موضوعها مفهوم الطاعة من خلال علاقة الفرد بالمجتمع «وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتًا، وَأَنَّ كُلَّ نَبَاتٍ لاَ غِنَى بِهِ عَنِ المَاءِ، وَالمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ، فَمَا طَابَ سَقْيُهُ طَابَ غَرْسُهُ، وَحَلَتْ ثَمَرَتُهُ، وَمَا خَبُثَ سَقْيُهُ، خَبُثَ غَرْسُهُ، وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ»[2] فالنتائج التي أجملتها الخاتمة، قد تكون ماثلة أمام عين ناظرها ولكنه لا يعيرها اهتمامه إلاّ إذا استثير عقله نحوها، وهذا ما فعله علي عليه السلام في خاتمة خطبته.

وقد تكون الخاتمة مباشرة تعمد إلى الحض على الإستجابة من خلال الأمر إلاّ أنها رغم مباشرتها فإن علياً عليه السلام يجنبها التقريرية بصياغتها في قالب تأملي بتسخير العبارات الإيحائية ويكثر ذلك في خواتم خطب الزهد التي تعمد موضوعاتها إلى التهوين من قيمة المادة كعرض زائل: ففي خاتمة لخطبة زهدية يقول علي عليه السلام «أَلاَ فَاذْكُرُوا هَادِمَ اللذَّاتِ، وَمُنَغِّصَ

---

(١) السابق ـ الخاتمة.

(٢) خطب ـ ١٥٤ ـ الخاتمة.

الشَّهَوَاتِ، وَقَاطِعَ الأُمْنِيَاتِ، عِنْدَ المُسَاوَرَةِ للأَعْمَالِ القَبِيْحَةِ، وَاسْتَعِيْنُوا باللهِ عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ وَمَا لاَ يُحْصَى مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ»[1]، فكان باستطاعة علي عليه السلام أن يقول مختصراً «ألا فاذكروا الموت. . .»، إلاّ أن إحساس علي عليه السلام بأثر الكلمة في مستمعه اقتضى منه التماس بغيته في الأسلوب الكنائي، كي يبقي أثر الوعظ في نفوس المستمعين أطول مدة ممكنة بعد الإنتهاء من الخطبة. فأهم ما تتميّز به خاتمات خطب علي عليه السلام من خصائص هي:

١ ـ تكثيف عناصر موضوع الخطبة وإجمالها في عبارات مصوغة صياغة دقيقة وخاطفة بقصد إسعاف مستمعه على الإلمام بفحواها، واستيعاب أفكارها والتجاوب معها بإبقائها عالقة في ذهنه مدة طويلة.

٢ ـ التنويع في أنماطها وأساليبها بما يتناسب وموضوعات الخطب ممّا ينأى بها عن جمود القوالب التعبيرية الجاهزة، فهي أبداً متجددة مهما تكرر موضوع الخطبة، لأن التناول في كل مرة يختلف باختلاف الموقف والمناسبة لاعتماد علي عليه السلام على الإرتجال في جلّ خطبه على اعتبار أنها وليدة ساعتها وبنت مناسبتها في إبّانها، فتارة تكون بسبب حادث خطير ألمّ بأطراف الدولة، وتارة أخرى بسبب استجابته لبعض من أصحابه للتعرف على قضية ما، كوصف الخالق، أو صفات المتقين، أو بسبب استفحال عيوب خطيرة في المجتمع يجب معالجتها في حينها دون تأخير. هذا إلى غير ذلك من مناسبات أخرى كالأعياد وخطب الجمع، والإستسقاء، وتفسير الآيات والوعظ،

---

(١) خطب ـ ٩٨ ـ الخاتمة. والمساورة: المواثبة.

وبطبيعة الحال فإن التنوع في موضوعات الخطب وأساليبها أتاح التنوع أيضاً في أساليب خاتماتها فهي تارة عبارة عن تلخيص مركز لأفكار الخطبة، وتارة أخرى نتائج مستخلصة من أفكار الخطب، وتارة ثالثة على شكل تحذير بأساليب موحية ومقنعة في آن واحد، فهي على الدوام ذات وقع في النفس لنأي علي عليه السلام بها عن الجفاف العقلي بإضفاء قبس من مشاعره ونفحات من روحه المؤمنة على تعبيراتها، ممّا يجعل انسيابها في النفس مستساغاً مهما بلغت حدّتها وقسوتها.

٣ ـ الإبتعاد بها عن أساليب الجدل مع مستمعه، سواء أكان جدلاً مباشراً أم جدلاً مع النفس غير مباشر، باكساء آرائه ثوباً من الجاذبية المثيرة لعقل مستمعه، وتوجيه الخاتمة توجيهاً دقيقاً نحو تلك الآراء، دون الزج بفكر المستمع في متاهات تؤدي به إلى توجيه فكره نحو أمور جانبية تبعده عن لبّ الموضوع.

فمن خلال تأملنا في خطب علي عليه السلام التي وردت في النهج كاملة من حيث البناء الفني نجد أنها مهما طالت، مترابطة العناصر، متسلسلة الأفكار، متينة اللغة، واضحة المعاني هذا بالإضافة إلى سريان العاطفة فيها بتؤدة واتزان وتعقل، يجنب الأفكار الجفاف، وينأى بها عن الإسراف بالوقوع تحت طائلة الخيال المجنح والأحلام الكاذبة، فقبول النفس لأفكار الخطب عن طواعية، لا يعني وقوعها تحت تأثير الكلمة، لأن بريق الكلمة في خطب علي عليه السلام يأتي في مرتبة أخيرة، بعد الحقيقة التي يعتقدها ويريد من مستمعه مشاركته ذلك الإعتقاد، فهو لا يعمد إلى العبارة الإنفعالية الآنية التي تبهر الأسماع ولكن سرعان ما تفقد بريقها بعد الخروج من تأثيرها، ولكن فكره يحيل المعاني في سياقاتها التعبيرية إلى طاقات متدفقة من معاني الوفاء،

والحب والحق والخير والإيمان كما يعتقدها هو في قرارة نفسه ويتمثلها في أسلوب حياته، فتنبثق من أعماقه متوهجة في سياقها التعبيري المتوائم ومناسبتها فتستجيب لها النفس المؤمنة عن طواعية. وهذا التألق في امتلاك زمام اللغة للتعبير عن أفكاره هو ما أتاح له التنويع والإجادة في كل المواقف والمناسبات التي اقتضت منه أن يخطب فيها، ممّا يحتّم علينا إلقاء نظرة فاحصة على أنواع الخطب التي جال فيها بفكره ولهج بها لسانه.

ب ـ أنواع الخطب التي وردت في نهج البلاغة:

أن التنوع في موضوعات نهج البلاغة يمثل حياة علي عليه السلام في مختلف أدوارها، ونعتقد أننا لا نجانب الصواب إذا قلنا أن تلك الموضوعات بتنوعها، يمكن اعتبارها مذكرات شخصية صاغها صاحبها مستلهماً وقائعها من تمرسه بالمسؤولية كقائد له وزنه الكبير وأهميته العظمى في نشر الدين ومن ثم في توجيه سياسة عصره من وجهة نظر دينية، وقد تمحورت تلك المذكرات والوثائق ـ إذا جاز لنا تسميتها بذلك ـ في خطب ورسائل ووصايا وحكم، اقتضتها مناسباتها، والحاجة إليها كمرتكزات فكرية توضح وجهة نظر القيادة في تعاملها مع الأمة. ولما كانت الخطب من أهم الوسائل الإعلامية التي تربط الحكومة بالأمة وتقرب بينهما، فإن موضوعاتها قد تنوعت في النهج بتنوع الحاجة والظرف والمناسبة، مع تميّز كل نوع من أنواع تلك الخطب بخصائص نابعة من طبيعة موضوعاتها، ومن أنواع تلك الخطب.

١ ـ الخطب الجهادية:

وهي التي كان علي عليه السلام يلقيها في مسامع أصحابه، لحضهم على

الجهاد، للقضاء على الفتن التي ظهرت في أرجاء الدولة، أو لبث الحماس في النفوس، قبل بدء المعركة وفي أثنائها، أو لغرض التوبيخ واللوم بسبب التقاعس عن الجهاد، أو بسبب فشل وانهزام في أثناء المعركة، والسبب في كثرة الخطب الجهادية عند علي عليه السلام يعود إلى عوامل أربعة هي:

١ ـ الإنقسام الخطير الذي حدث في الصف الإسلامي الذي نجم عنه تردّد الكثير من المسلمين في محاربة بعضهم البعض اثر ثورة الأمصار التي نتج عنها مقتل الخليفة الثالث ومحاولة علي عليه السلام اقناع الجميع بالوقوف إلى جانبه، لإعادة توحيد الصف الإسلامي على أسس قوامها العدل والمساواة بين المسلمين كافة، ممّا حدا بعلي عليه السلام إلى توجيه خطبه الجهادية في اتجاهين:

* أحدهما: اقناع المترددين من المسلمين بالوقوف إلى جانبه.

* والثاني: حض من هم تحت أمرته والمطيعين له على المبادرة بالتجمع حوله للقضاء على فتنة الذين يحاولون نكث بيعته، ابتغاء عرض الدنيا.

٢ ـ نشوب الفتن التي أشعل معاوية أوارها في أرجاء الدولة الإسلامية وما خلّفته تلك الفتن من انتقاض في الكثير من ولايات علي عليه السلام، علاوة على ذلك ظهور الخوارج، ممّا استوجب استخدام الخطب الجهادية لحث الناس على المبادرة للقضاء على تلك الفتن وإعادة الأمن والنظام في أطراف الدولة.

٣ ـ محاولات علي عليه السلام المتكررة في حث أصحابه على الجهاد، وبث النخوة والحماس في النفوس بعد أن هدها الوهن، ودبّ فيها الخور

والضعف، وأقعدها التقاعس، والركون إلى حياة الدعة، والقبول بالذل في سبيل ذلك.

٤ ـ حاجة علي عليه السلام إلى الكلمة الملتهبة بالحماس للرفع من المعنويات وإزالة الخوف والرهبة من النفوس قبل بدء المعركة وفي أثنائها، أتاح له القاء جملة من الخطب سجل لنا نهج البلاغة جانباً منها، وبطبيعة الحال فإن هذه العوامل قد ميّزت الخطب الجهادية بخصائص فكرية معينة هي:

ـ الخصائص الفكرية لخطب علي عليه السلام الجهادية:

إن هيمنة الدين على الجانب السياسي في فكر علي عليه السلام تحتم عليه اتخاذ مواقف دينية بحتة إزاء جميع الأحداث السياسية، فالمصدران الأساسيان لسياسته هما القرآن والسنة، ولو تأملنا في فحوى خطبه الجهادية كجانب من جوانب فكره السياسي لرأينا أن الدين هو المستحوذ على الأفكار فيها، على اعتبار إنه القائد والإمام المنفذ لأحكام الدين، ورجل السياسة في آن واحد، فقوله في مطلع خطبة جهادية «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، فَتَحَهُ الله لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ...»[1] هو تعبير عن فكر ديني نابع من إيمان متين وعقيدة صادقة بوجوب الجهاد كمطلب ديني مفروض على كل مؤمن قادر، لكونه الدرع الحامي لحياض الإسلام، واعتباره أحد الأبواب المشرعة إلى الجنة عند استشهاد المجاهد، طبقاً لقوله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[2]. أما في حالة النصر فتكون النتيجة المغانم والعيش في ظل

---

(١) خطب ٢٧ ـ الفقرة الأولى.

(٢) آل عمران / ١٦٩.

حياة كريمة خالية من كل قهر واستعباد لما في الجهاد من قمع للمفسدين من أئمة الباطل والمتجبرين.

ومن خلال موقفه الديني من الجهاد فإنه يرى أن الحرب تحت أمرته هي من لب الجهاد انطلاقاً من مكانته الدينية المتصلة اتضالاً روحياً مباشراً برسول اللهصلى الله عليه وآله كما في قوله ضمن خطبة جهادية «وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ الله وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ الله»[1]. وهو ما يعني أن في مكانته تلك ما يضمن للمقاتلين في صفه الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة كما جاء في قوله «فَاتَّقُوا الله عِبَادَ الله، وَفِرُّوا إلى الله مِنَ الله، وَامْضُوا فِي الَّذِيْ نَهَجَهُ لَكُمْ، وَقُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ فَعَلِيٌّ ضَامِنٌ لِفَلَجِكُمْ آجِلاً، إنْ لَمْ تَمْنَحُوهُ عَاجِلاً»[2]، فالنبرة الدينية الخالية من أية اغراءات مادية هي الركيزة التي يتكيء عليها فكر عليعليه السلام في خطبه الجهادية ولكن ذلك لا يعني اقتصارها على الجوانب التشريعية وخلوها من الجوانب العاطفية الوجدانية التي تضفي على أساليبها الحيوية، لأن الخصيصة التشريعية التي تنبني عليها خطبة الجهاد عادة ما تكون ممتزجة بوجدان عليعليه السلام، تغترف معانيها من فكره الصافي ممتزجة بعاطفته الجيّاشة فتستحيل تعبيراتها إلى غذاء فكري ممزوج بنفحات روحية، إلاّ أن عنصر الوجدان في خطب عليعليه السلام الجهادية يسير في اتجاهين متقابلين تفرضهما طبيعة الأداء:

الإتجاه الأول: ويتمثل في انطلاق عليعليه السلام من ذاته إلى الموضوع العام: ويمكن ملاحظة ذلك في خطب الجهاد التي عادة ما يلقيها في الناس

(١) خطب ـ ٥٦.
(٢) خطب ـ ٢٤.

لحثهم على الجهاد أو لتقريعهم بسبب التواكل، وهو يرمي في الناحيتين إلى تهيئة النفوس للبذل والإستشهاد، دونما تردّد، وهو في هذا الإتجاه يعمد إلى تناول عناصر الجهاد الدينية كحقائق ثابتة يعرفها المستمع، لكنها لا تثير في نفسه الحماس المطلوب المؤدي إلى الإستجابة لتعوّد أذنه على سماعها، فيسبغ عليها من ذاته ما يعيد إليها قيمتها التأثيرية، فقوله على سبيل المثال «وَاللَّهُ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ، وَمُوَرِّثُكُمْ أَمْرَهُ، وَمُمْهِلُكُمْ فِيْ مِضْمَارٍ مَحْدُودٍ لِتَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ، فَشِدُّوا عُقَدَ المَآزِرِ وَاطْوُوا فُضُولَ الخَوَاصِر، وَلاَ تَجْتَمِعُ عَزِيْمَةٌ وَوَلِيْمَةٌ، مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَومِ، وَأَمْحَى الظُّلَمَ لِتَذَاكِيْرِ الْهِمَمْ»[1]، يحوي حقائق دينية فحواها وجوب شكر العبد ربّه، ليكثر من نعمه وأفضاله عليه، ويبوئه المكانة السامقة التي يتوق إليها في دنياه المؤقتة، التي شبهها بحلبة السباق، التي يتبارى فيها الخيرون في التسابق نحو الغاية المتمثلة في حياة الخلود، والفائز في هذا المضمار من يجاهد

---

(١) خطب ـ ٢١٧ ـ ومستأديكم شكره، طالب منكم أداء شكره، وأمره: سلطانه، ممهلكم في مضمار محدود: أي معطيكم مهلة في مضمار الحياة المحدودة، شدّوا عقد المآزر: أي اربطوا مآزركم ربطاً محكماً، وهو كناية عن الجد والتشمير، لأن من أحكم ربط مئزره آمن انحلاله، واطووا فضول الخواصر: من ما فضل من مآزركم، قد يعيقكم بالتفافها على أقدامكم، فاطووها حتى تتمكنوا من الإسراع في عملكم، ولا تجتمع عزيمة ووليمة: والعزيمة الجدّ والإخلاص في العمل، والوليمة مأدبة الطعام، والمقصود من القول: لا يجتمع طلب المعالي مع الركون إلى اللذائذ، ما أنقض: ما تعجبية، أي ما أشد نقض النوم لعزائم النهار بالنسبة للسائر الذي يعزم على قطع جزء من الليل في السير، فإذا حلّ الليل حلّ عليه النوم فنقض عزيمته، وأمحى: فعل تعجب معطوف على أنقض، والظلم: جمع ظلمة، ومتى حلّ الظلام محى من ذاكرة السائر ما عزم عليه بالنهار من مواصلة العمل أو السير.

في سبيل الله، ويضحي بنفسه من أجل إحياء كلمة الله، وتوالي الأمثلة كرابط بين العمل وبين الجهاد من أجل حياة أفضل، في مقابل التردّد والخوف والركون إلى الدعة تعبّر عن نفحات روحية صادرة من أعماق علي عليه السلام لتضفي على معاني الجهاد النبض الحيّ المتسامي، وتعيد نصاعتها في النفوس بعد أن كادت تضمحل أو تتلاشى، نع ملاحظة أن مثل هذا الإتجاه الصادر من الذات إلى الموضوع لا يمكن تتبعه إلاّ في خطب الجهاد المبينة أساليبها على الحض، أو عند التقاعس عن الإستجابة حيث تغدو الحقائق الدينية والقيم الأخلاقية هي المحاور التي يسبغ عليها من ذاته ما يعيد إليها تمثلها في النفوس، فتفاعل علي عليه السلام مع الكلمة واندماجه التام في موضوع الخطبة، هو من الصعوبة والعسر بما لا يمكن وصفه أو التعبير عنه لكونه إحساس نابض يجري في الكلمة كالتيّار الكهربائي الذي نحسّه. فالحقيقة بكل أبعادها متجسّدة في قول علي عليه السلام «وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله، نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا، فَمَا يَزِيْدُنَا ذَلِكَ إلا إِيْمَانًا وَتَسْلِيْمًا وَمُضِيًّا عَلى اللَّقَمِ، وَصَبْرًا عَلى مَضَضِ الأَلَمِ، وَجِدًّا فِيْ جِهَادِ العَدُوِّ، فَلَمَّا رَأَى الله صِدْقَنَا، أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الكَبْتَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الإِسْلاَمُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ، مُتَبَوِّئًا أَوْطَانَهُ، وَلَعَمْرِيْ، لَوْ كُنَّا نَأْتِيْ بِمَا أَتَيْتُمْ، مَا قَامَ لِلدِّيْنِ عَمُودٌ وَلاَ اخْضَرَّ لِلإِيْمَانِ عُوْدٌ، وَأَيْمُ الله لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَمًا، وَلَتُتْبِعُنَّهَا نَدَمًا»[1]. فالخطبة كوثيقة تاريخية، مبنية على

---

(١) خطب ـ ٥٥ ـ اللّقم ـ بفتح اللام والقاف: جادة الطريق، ومضض الألم ـ شدته وبرحاؤه. والكبت: الذل والهوان والخذلان. والجران ـ بكسر الجيم ـ: مقدم عنق البعير، والقاء الجران كناية عن التمكن.

حقائق لا يتطرق إليها الشك، ويكاد يعرفها معظم من كان يستمع إلى عليﷺ آنذاك، ولكن الجديد والمؤثر لا يكمن في الحقائق ذاتها، إنّما يكمن في أسلوب صياغتها في تعابير تجسد الماضي الحافل بالبطولات والفداء المقرونة بصدق العزيمة والإيمان المتين، والحاضر بما يكتنفه من ألم وتخاذل وخور يندى له الجبين خجلاً ومستقبل ينطوي على توقعات رهيبة مقرونة بالمذلة والهوان، وقد يخوننا التعبير إذا حاولنا تمثل المعاني دون أن نعيش انفعالات عليﷺ المتصارعة بداخله أثناء خطبته في قوم كلّت أسماعهم وماتت قلوبهم، وفتر حماسهم ودبّ الفشل في نفوسهم. فالمقصود بالذات هنا نفحات من الإيمان والأمل والحزن والسرور والخوف والإقدام، تنطلق من النفس بحرارة وصدق لتضفي على حقائق موضوع الجهاد من الحيوية ما يبعدها عن الرتابة، ويقرّبها إلى النفس سعياً وراء الإستجابة الطوعية ترغيباً أو ترهيباً.

الإتجاه الثاني: الإنطلاق من الموضوع العام إلى الذات: أي أن الموضوع بتفاعلاته هو المحرك للذات، وبمعنى أدق أن علياًﷺ في هذا الإتجاه، لا يعمد إلى حقائق موضوعية يحاول اضاءة جُوانبها بوجدانه، بقدر ما يعمد إلى مشاهد يستمد منها موضوع خطبته، فتنعكس هذه المشاهد على ذاته، فتحيل نفسه إلى ترجيحات متقابلة ومتابعة بين فشل ونجاح وأمل ويأس، على اعتبار أن الموضوع العام في مثل هذه الخطب هو المعركة بكل أبعادها القتالية والخطبة هي تصوير حقيقي وَحَيٌّ لانفعالات عليﷺ، لأنه يعيش المعركة بكل إحساساته، فالتأمل العقلي بالإتكاء على القواعد والقوانين والوعظ، يتلاشى تقريباً وتحلّ محله الذات

التي يتوجه إليها موضوع الخطبة، لتكون هي محور الكلمة والأداة الفاعلة في تغذية المعاني ويمكن رصد هذا الجانب بكل ما ينطوي عليه من انفعالاته في خطب علي عليه السلام القصيرة التي يلقيها في مسامع جنده أثناء المعركة، عند شعوره بانهزام جيشه.

فحين استولى جيش الشام على شريعة الماء في بدايات حرب صفين وشاهد علي عليه السلام ما لحق بجيشه من هزيمة، قد تؤدي به إلى التشتت والنكوص، بادر جنده بالقول «قَدْ اسْتَطْعَمُوكُمُ القِتَالَ فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ، أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ، تُرْوُوا مِنَ المَاءِ، فَالمَوْتُ فِيْ حَيَاتِكُمْ مَقْهُوْرِيْنَ، وَالحَيَاةُ فِيْ مَوْتِكُمْ قَاهِرِيْنَ»[1]. فالموضوع المتمثل في الهزيمة استحال في وجدان علي عليه السلام إلى تفاعلات مؤلمة ذات طعم مرّ، ممّا جعل العبارات تنوء بحمل توجهاته النفسية، استحالت الحقيقة فيها إلى تفاعلات متقابلة تتعلق بذات الجندي ومصيره في ميدان القتال فحواها: أن يكون أو لا يكون، ممّا يحتم عليه المواصلة حتى النهاية بغض النظر عن القيمة الدينية أو المادية للجهاد، لذلك فإن الإستجابة للكلمة في مثل هذه المواقف سريعة لا تحتاج إلى تفكير أو تأمل، إذ سرعان ما نظم جنده صفوفهم واستعادوا رباطة جأشهم بتمثلهم مصيرهم لو حاقت بهم الهزيمة، فاستعادوا بذلك مواقعهم على شريعة الماء بعد معركة حامية الوطيس ألحقوا فيها بجيش العدو هزيمة منكرة.

وقد تكرر الموقف بصورة أكثر خطورة حين تراخت ميمنة جيش علي عليه السلام في إحدى المعارك الحاسمة بصفين، وكادت المعركة تحسم

---

(١) خطب ـ ٥١.

لصالح معاوية، وذلك بسبب تخاذل أحد قادته لتواطئه مع معاوية[1]، ولكن سرعان ما كشف التوطؤ، فاستعادت الميمنة مواقعها، ممّا أعاد للجيش توازنه. فكان الموضوع هو محور الذات والمعبّر عنها بها كما في قوله «وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ وَانْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوْفِكُمْ، تَحُوزُكُمُ الجُفَاةُ الطُّغَامُ، وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّام، وَأَنْتُمْ لَهَامِيْمُ العَرَبِ، وَيَآفِيْخُ الشَّرَفِ، وَالأَنْفُ المُقَدَّمُ، وَالسَّنَامُ الأَعْظَمُ، وَقَدْ شَفَى وَحَاوِحَ صَدْرِي أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِآخِرَةٍ تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ، وَتُزِيْلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِعِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ، حَسّاً بِالنِّضَالِ، وَشَجْرًا بِالرِّمَاحِ، تَرْكَبُ أُوْلاَهُمْ أُخْرَاهُمْ، كَالإِبِلِ الهِيْمِ المَطْرُودَةِ تُرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا وَتُذَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا»[2]. فمشاهد انكسار الميمنة أثناء المعركة منطلقة كالسهام المتابعة إلى أعمق أعماق علي عليه السلام، مرتجعة ثانية وبنفس القوة على شكل ايماضات محمّلة بألم الإنهزام، ومن ثم توجهها إلى النفس بحرارة وحماس اثر تفادي الهزيمة ورجوعها على شكل اشعاعات سعيدة مكلّلة بالنصر، ممثلة بالفخر والحماس. فالذات في مثل هذه المواقف تستحيل إلى بوتقة تتشكل فيها عناصر الموضوع المنطلق إليها مباشرة من خلال التعايش معه والإحساس بعناصره، ممّا يجعل جانب

---

(١) راجع ص٢٨٨ وما بعدها من هذا البحث.

(٢) خطب ـ ١٠٦ ـ. والطغّام ـ بفتح الطاء ـ: أوغاد الناس. واللهاميم: جمع لهميم، وهو السابق الجواد من الخيل والناس. ويآفيخ: جمع يأفوخ، وهو من الرأس حيث يلتقي عظم مقدمه مع مؤخره. ووَحَاوِح: جمع وحوحة، صوت معه بحح يصدر عن المتألم، والمراد به احتدام الغيظ في النفس. والحَس: ـ بالفتح ـ القتل. والنضال: المباراة في الرمي. والشجر: ـ بفتح الشين وسكون الجيم ـ الطعن. والهيم ـ بكسر الهاء ـ العطش. وتذاد: تدفع وتمنع.

الإستجابة، هو المالك لزمام الموقف، لعدم اتاحة الفرصة للتأمل، فالتأثر بالكلمة انفعالي فوري، أما في حالة الجانب الأول المتمثل في انطلاق الذات إلى الموضوع، فإن جانب التأمل الفكري في توازن مع الجانب العاطفي، إن لم يكن مسيطراً، بحيث ينتاب الإستجابة نوع من التروي قد ينـزع بالإنسان إلى الإحجام والتردّد لأن تمازج العقل بالعاطفة في فحوى التراكيب مهما كان قوياً ومقنعاً، فلن تبلغ الإستجابة فيه مبلغ التعابير الكامنة في موضوع اتخذّ من العاطفة مرتكزاً أثناء تفاعل النفس مع الواقع العملي للقتال على أرض المعركة، حيث يكون المصير ماثلاً للمحارب من جانبيه القتالي والخطابي، المتمثل في إحساسات علي عليه السلام التي عادة ما تعكس الواقع من زاويتيه المتمثلتين في الحياة مع الذل، والموت مع الكرامة.

٢ ـ الخطب التأميلة:

وهي التي يعمد علي عليه السلام في مضامينها إلى إطلاق عنان الفكر في تأمل إبداعات الكون للوصول به في النهاية إلى الإيمان بعظمة المبدع وبقدرته المطلقة، وتستمد الخطبة عناصرها من تركيز علي عليه السلام الدقيق فيما يحيط بالإنسان من مشاهد ومخلوقات، بتسليط الضوء عليها، وتوضيح جوانب الإبداع التي قد لا يراها الإنسان العادي، ولا يحسّ بها إلاّ إذا استثير انتباهه نحوها، لاعتياده على رؤية المشاهد دون تأملها، وبهذه الإستشارة التي يعمد علي عليه السلام إليها من خلال الكلمة، تختلف نظرة مستمعه إلى الأشياء، فتتضح لعقله جوانب الحقيقة، فيقف عليها مندهشاً متأملاً، وهو الغرض الأساسي الذي يرمي إليه عليّ عليه السلام من تلك الخطبة في مناسباتها.

ومن أهم خصائص هذا النوع من الخطب أنها تعمد إلى اقناع العقل بانتزاع أمثلتها من الواقع المحسوس، كوصف الجرادة، أو النملة، أو الخفاش، أو الطاووس، أو خلق الإنسان أو خلق السماء والأرض والكواكب إلى غير ذلك من مشاهد عينية أو إدراكية معرفية.

صياغة الحقائق المعرفية المراد تأملها في تعبيرات ملائمة وما يهدف إليه من استثارة عقلية وهو في هذا السبيل «لا يستخدم لفظاً إلاّ في هذا اللفظ ما يدعوك لأن تتأمل وتمعن التأمل، ولا عبارة إلاّ وهي تفتح أمامك آفاقاً وراءها آفاق من النظر الجليل»[1]، من ذلك أنه قد يخطر ببال من انتاب إيمانه بخالق الوجود بعض الشك، أو نوعاً من الفتور بتصوره أن لا قوة يمكن لها افناء هذا الكون المحكم، مقارناً ذلك بقدرته وتضاؤل قوته أمام الكثير من ظواهر الوجود، ولاستقراء علي عليه السلام ما في تلك النفوس من ضعف إيمان يجيب عن تساؤلاتها ويزيل حيرتها ضمن خطبة تأملية بقوله «وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَاخْتِرَاعِهَا، وَكَيْفَ وَلَوِ اجْتَمَعَ جَمِيْعُ حَيَوَانَاتِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا وَمَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا وَسَائِمِهَا، وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا وَأَجْنَاسِهَا، وَمُتَبَلِّدَةِ أُمَمِهَا وَأَكْيَاسِهَا عَلى إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ، مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا وَلاَ عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيْلُ إلى إِيْجَادِهَا، وَلَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِيْ عِلْمِ ذَلِكَ وَتَاهَتْ، وَعَجَزَتْ قِوَاهَا وَتَنَاهَتْ، وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيْرَةً، عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ، مُقِرَّةً بِالعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا»[2]، فللألفاظ من

(١) جورج جرداق ـ الإمام علي عليه السلام صوت العدالة ٣/ ١٨٥.

(٢) خطب ـ ٢٣٤ ـ الفقرة ـ ٣ ـ. ومراحها: ـ بضم الميم ـ اسم مفعول من أراح الإبل أي ردّها إلى المأوى. والسائم: الراعي من الإبل. والأسناخ: الأصول والأنواع. =

الدقة والإستقصاء ما يمكن من خلالها استقراء ما في النفوس والإجابة على تساؤلاتها الحائرة بمنطق تأملي يعيد إليها توازنها من خلال مقارنة بين النشأة والفناء بملاحظة الإنسان بذاته، إذ بامكانه أن يبني ثم أنه بامكانه أيضاً إزالة ما بنى، إلاّ أن امكاناته لا ترقى إلى إبداع الروح واختراعها مهما تناهت في صغر الحجم، فالمقارنة بين قدرة الخالق، وقدرة المخلوق، لا مجال لها عقلاً بالتأمل في الخلق.

ومن خصائص خطبه التأملية الداعية في مضامينها إلى التوحيد استخدام الأساليب المبنية على المسببات والنتائج، وهو ما ينحو إليه عند تعرّضه لنفي الصفات عن الخالق سبحانه وتعالى[1].

ومن أهم ما يميّز خطب علي عليه السلام التأملية أيضاً، الهدوء والإنسياب، فعلي عليه السلام في مثل تلك الخطب شاعر أكثر منه خطيباً، يسيح بفكره في ملكوت الله، متغنياً بفضائله وجميم نعمه لاهجاً بشكره في عبارات مجللة بالإيمان العميق والحب الصادق، فالخطبة التأملية من حيث بنائها النفسي تختلف اختلافاً جذرياً عنها في خطب علي عليه السلام الجهادية، التي يغلب عليها الطابع الثوري المشحون بالحزن واللوعة والألم، لأن حماسةُ العظيم للجهاد لا يتناسب واستجابة أصحابه. أمّا هنا في خطبه التأملية، فهو يتغنى جَذِلاً بعبارات هادئة وبنفس مطمئنة، تتخير من الألفاظ ما يعبّر عن انسجامها التام في الموضوع بحيث تبقى الخطبة في مستوى نفسه الجَذِ لَةِ

= الأكياس: ـ جمع كيّس ـ بتشديد الياء ـ العاقل الحاذق. وخاسئة: ذليلة. وحسيرة:

(١) يمكن ملاحظة ذلك في الخطبة رقم ١ و٢٣٤ جميع الخطب المعالجة لموضوع التوحيد ونفي الصفات التي وردت في نهج البلاغة.

منذ بدايتها حتى خاتمتها، التي أكثر ما تكون على شكل دعاء وتبتل صادر من أعماقه كما في قوله في خاتمة خطبة تأملية محورها التوحيد «اللهُمَّ وَهَذَا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيْدِ الَّذِيْ هُوَ لَكَ، وَلَمْ يَرَ مُسْتَحَقّاً لِهَذِهِ المَحَامِدِ وَالمَمَادِحِ غَيْرَكَ، وَبِيْ فَاقَةٌ إِلَيْكَ لاَ يَجْبِرُ مَسْكَنَتَهَا إِلاّ فَضْلُكَ، وَلاَ يُنْعِشُ مِنْ خِلَّتِهَا إِلاّ مَنُّكَ وَجُوْدُكَ، فَهَبْ لَنَا فِيْ هَذَا المَقَامِ رِضَاكَ، وَاغْنِنَا عَنْ مَدِّ الأَيْدِيْ إلى سِوَاكَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيْرٍ»[1].

٣ ـ الخطب الوعظية:

يكاد الوعظ والإرشاد والحض على التمسك بالأخلاق الحميدة ينتشر في جلّ ما أثر عن علي عليه السلام من خطب، إلاّ أن هناك جانباً هاماً من خطبه خصّه علي عليه السلام بالوعظ كموضوع مستقل فرضته طبيعة الحياة الإجتماعية جراء أخذ الكثير من أبناء مجتمعه ما يرونه من الدين ملائماً ومصالحهم الدنيوية الذاتية، وهو ما عبّر عنه بقوله لعمّار بن ياسر حين وجده يناقش الأشعث ابن قيس في بعض شؤونه الخاصة «دَعْهُ يَا عَمَّارُ فَإِنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ مِنَ الدِّيْنِ إلاّ مَا قَارَبَهُ مِنَ الدُّنْيَا»[2]، والأشعث بن قيس هذا يمثل شريحة كبيرة من المجتمع الذي كان علي عليه السلام يحكمه، ممّا حتم عليه وعظ أولئك وتبصيرهم بالمعاني الحقيقية للدنيا من وجهة نظر الدين، هذا بالإضافة إلى أن كثيراً من المناسبات الدينية، كالأعياد وشهر رمضان والجمع تقتضي الوعظ أيضاً، كما أن تصدي علي عليه السلام إلى تفسير بعض آيات القرآن الكريم المتضمنة التحذير من التمادي فهي اللهو والتكالب على اقتناء الأموال

---

(١) خطب ـ ٩٠ ـ الخاتمة. والخلّة ـ بفتح الخاء ـ: الفقرة.

(٢) حكم ـ ٤١٣.

والتمرغ في الملذات الدنيوية، تقتضي بدورها الوعظ، ممّا أتاح لعلي عليه السلام الإكثار من القول في هذا الجانب.

ومن أهم ما تتميّز به خطب علي عليه السلام الوعظية، امتزاج العامل الديني بالعامل النفسي، مع تجنب الوعظ المباشر المبني على الأمر والنهي، ومقدرة فائقة على اعداد نفس المستمع وتهيئتها للانجذاب نحو الموضوع الوعظي بكل حواسها، من ذلك قوله في مقدمة خطبة وعظية «فإِنَّهُ والله الجَدُّ لاَ اللَّعِبُ، وَالحَقُّ لاَ الكَذِبُ. وَمَا هُوَ إلاّ المَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيَهُ، وَأَعْجَلَ حَادِيَهُ فَلاَ يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ، وَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ المَالَ، وَحَذِرَ الإقْلاَلَ»[1]، فمدخل الخطبة، بما تضمنه من توكيد وقسم، يشد الإنتباه إلى ما يكتنف معاني الجدّ التي يرمي إليها أسلوب الوعظ، الذي يجعل المستمع يتتبعه في لهفة وانشداد فتأتي النصائح ضمن الخطبة على شكل دفعات تنساب إلى النفس في تلقائية وعفوية، فتتقبلها طواعية، فالزجر عن المعاصي، لا يحمل في طياته معنى الزجر القسري الذي تأباه النفس مكابرة ولكنه يأتي على شكل أساليب تخشع لها وتقع تحت تأثير سلطانها بسبب تجاوب نفس المستمع مع معانيها. ولعلي عليه السلام في هذا المجال مقدرة أسلوبية فائقة في بث خطب الوعظ معاني الترغيب والترهيب دون اللجوء إلى المباشرة والتقريرية.

ففي مجال وعظه الترغيبي تجتذب كلماته مستمعه إلى آفاق رحبة من السعادة في حياة دنيوية نظيفة ناصعة، وخلود أبدي في ظل الأمن والطمأنينة والسرور في حياته الثانية بعد الموت، كما في قوله مصوّراً حياة

---

(١) خطب ـ ١٣٢ ـ فقرة ٢.

المؤمنين الخالدة بعد الحساب «فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِيْ مَقَاوِمِهِمُ المَحْمُودَةِ، وَمَجَالِسِهِمُ المَشْهُودَةِ، وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِيْنَ أَعْمَالِهِمْ، وَفَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَنْ كُلِّ صَغِيْرَةٍ وَكَبِيْرَةٍ أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا عَنْهَا، أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيْهَا، وَحَمَّلُوا ثِقْلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ، فَضَعَفُوا عَنْ الإسْتِقْلاَلِ بِهَا، فَنَشَجُوا نَشِيْجًا وَتَجَاوَبُوا نَحِيْبًا، يَعِجُّونَ إلى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ، لَرَأَيْتَ أَعْلاَمَ هُدىً، وَمَصَابِيْحَ دُجىً، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ المَلاَئِكَةُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِيْنَةُ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الكَرَامَاتِ. . . »(١)، فالعبارات الوعظية قد تلفعت بنسائم التشويق وتألقت في سبحات روحية يكتنفها الخوف والخشوع.

وإذا كان سبيل علي عليه السلام إلى التشويق من خلال الوعظ ـ وإن قلّ ـ قد بلغ غايته في اجتلاب المعاني التي تشمل النفوس، وتتيه الأرواح المؤمنة في نفحاتها توقا إلى حياة الخلود والنعيم الأبدي، فإن قدرة علي عليه السلام على اجتلاب معاني الترهيب قد بلغت الذروة، فإيمانه العميق وحسّه المرهف وعقليته الوقادة، وعلمه التام بدقائق اللغة قد مكّنه من شحذ طاقات الكلمة لتستجيب لمعاني الوعظ الترهيبي الذي تقشعر له نفس المستمع ويشتد وجيب قلبه منه هلعاً بالإضافة إلى الطاقات التعبيرية التي يبثها في الكلمة أثناء الأداء ويمكن تمثل ذلك كله من قوله واعظاً محذراً «أَيُّهَا اليَقَنُ الكَبِيْرُ، الَّذِيْ لَهَزَهُ القَتِيْرُ، كَيْفَ أَنْتَ إذا الْتَحَمَتْ أَطْوَاقُ النَّارِ بِعِظَامِ الأَعْنَاقِ، وَنَشِبَتِ الجَوَامِعُ حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ، فالله الله مَعْشَرَ العِبَادِ، وَأَنْتُمْ

---

(١) خطب ـ ٢١٩ ـ فقرة ٢.

سَالِمُونَ فِي الصِّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ وَفِيْ الفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيْقِ...»[١]. ويبلغ الوعظ الترهيبي أقصى غاياته، حين يتوقف علي عليه السلام عند وصف الموت، حيث تستطيع كلمته أن تدخل الرعب في قلب أي إنسان مهما بلغ من رباطة الجأش وقوة الجنان، ومهما أظهر من تماسك ويكفي أن نقول في هذا المجال أن احدى خطبه الوعظية التي خصها في وصف المتقين قد تسببت في موت أحد أصحابه عند سماعها[٢]، كما تحدثنا مصادرها.

٤ ـ الجدل الخطابي:

ضمّ نهج البلاغة، ضمن المختارات من خطب علي عليه السلام مجموعة من المحاورات الخطابية، وهي في كثير من مقوماتها الخارجية تشبه إلى حد ما المنافرات الجاهلية التي تعتمد على التفاخر بالأنساب والنبش في المثالب، وتكون ذلاقة اللسان وقوّة البيان من أهم عناصرها، إلاّ أن المحاورات الخطابية التي في النهج تبتعد تماماً في بنائها الفكري عن مضامين المنافرات الجاهلية، وتتفق معها، في متانة اللغة والصياغة القوية والبيان المحكم، أما الإختلاف الموضوعي فيتمثل في نواح متعددة منها:

أ ـ إن المحاورات الواردة في النهج لا تتخذ من العصبية القبلية عنصراً من عناصر بنائها الفكري، بينما تنحو المنافرات الجاهلية نحو العصبية القبلية كمصدر من مصادر الغلبة والإنتصار.

---

(١) خطب ـ ١٨٥ ـ فقرة ٥. واليفن: ـ بفتح الياء والقاف ـ الشيخ الكبير السن. ولهزه: خالطه. والقتير: الشيب. والجوامع: ـ جمع جامعة ـ الأغلال لأنها تجمع الأيدي إلى الأعناق.

(٢) راجع الخطبة ١٨٣ ومناسبتها وما آلت إليه نهايتها كما ذكرها الرضي.

ب ـ تعمد المنافرات الجاهلية إلى البحث عن مثالب الخصم بالبحث في تاريخه للدخول منها إليه في محاولة إلجامه والحطّ من قيمته الإجتماعية، بينما يعمد الجدل الخطابي في النهج إلى منطق العقل مبتعداً عن الأساليب التي تنال من قيمة الأفراد أو تحطّ من قيمتهم.

جـ ـ تسيطر الحجة الدينية المشبعة بالإيمان على الجدل الخطابي المأثور عن علي عليه السلام بينما تكون الذات المتمثلة في الشخص أو القبيلة هي مصدر المنافرة الجاهلية أو التي تنحو منحاً جاهلياً.

د ـ الحجة المقنعة هي الحكم في الجدل الخطابي المأثور عن علي عليه السلام، إذ يكون اللفظ بكل طاقاته موظفاً لتبيان جوانب الحجة، أمّا بتأييد النصوص الدينية أو بتصوير الواقع تصويراً صائباً وصادقاً ليعوّل عليه في إقامة الدليل لإلجام الخصم، أمّا في المنافرات الجاهلية فقد تكون ذلاقة اللسان عنصراً من عناصر الإنتصار والغلبة.

مع ملاحظة أن المنافرة تعمد إلى المقابلة بين طرفين يحاول كل طرف منهما الإنتصار على الآخر، بينما الجدل الخطابي في النهج هو في حقيقته محاولة من علي عليه السلام لتوضيح موقف معين في مناسبة ما، أو إماطة اللثام عن شبهة وقع فيها بعض أصحابه وجادلوه فيها، ونكاد نسمع صوت علي عليه السلام منفرداً في تفنيده دعاوى مجادليه، كما في قوله لبعض الخوارج ردّاً على بعض مزاعمهم «فَإِنْ أَبَيْتُمْ إلاّ أَنْ تَزْعَمُوا أَنّيْ أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ، فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بِضَلاَلِيْ وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَئِيْ، وَتُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِيْ. . . وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله رَجَمَ الزَّانِيَ المُحْصَنَ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ وَوَرَّثَهُ أَهْلَهُ وَقَتَلَ القَاتِلَ

وَوَرَّثَ مِيْرَاثَهُ أَهْلَهُ. . .»[١]، فصوت علي عليه السلام هو البارز خلال المقولة السابقة، وقد اجتزأها الرضي ـ كما نظن ـ من جدل حام دار بين علي عليه السلام وبين الخوارج، لأننا نستطيع من خلالها معرفة آراء أولئك الموجهة اليهم، فقد سألوه عن تصرفه في قضايا فقهية كثيرة لم يذكرها الرضي، منها المعاملة التي اتخذها تجاه أصحاب الجمل حين أباح قتلهم، ولم يبح سبيهم واسترقاقهم[٢]. والملاحظ أن علياً عليه السلام يعمد في مثل هذا الجدل إلى النص الديني في الردّ على خصومه، ويعمد في ردوده إلى أساليب تكاد تكون تقريرية مباشرة ولكنها ذات حيوية نابعة من قدرته الفائقة على الإستماع والردّ بصدر رحب، وفكر متقد، وبديهة لمّاحة، هذا بالإضافة إلى ثقافة واسعة، خاصة في الجانب الديني المرتكز الأساسي الذي يعتمد عليه ذلك الحوار، ولكنه قد يعمد أحياناً في حواره على أساليب الإستيحاء المبني على التصوير، من ذلك ما دار بينه وبين الرجل البصري الذي جاءه ليستطلع رأيه بشأن بيعته، وموقف طلحة والزبير فيها وذلك أثناء توجهه اليهما[٣].

٥ ـ الخطب الدينية:

وهي التي يعمد علي عليه السلام فيها إلى تعليم الناس العبادات من صوم وصلاة وزكاة وحج، وغير ذلك من الشعائر الواجبة على كل مسلم وهو في مثل هذه الخطب يكتفي بعرض القضايا بأسلوب بسيط، وبألفاظ مناسبة

---

(١) خطب ـ ١٢٧ ـ الفقرة ١.

(٢) أورد السكوني في عيون المناظرات ص١٧٢ وما بعدها جانباً من ذلك الجدل.

(٣) أوردناها في ص١٧٩ من هذا البحث وهي الخطبة ـ ١٧١.

ومحددة تكاد تكون قريبة من فهم الجميع، مع محاولته الجمع بين مزايا الشعائر التي يتحدث عنها من ناحيتي الدنيا والدين[١].

تلك هي أذن أنواع الخطب التي أثرت عن علي عليه السلام، وأبرز الخصائص الموضوعية والفكرية لكل نوع منها، وهي خصائص اقتضتها طبيعة كل نوع من أنواع تلك الخطب، إلاّ أن هناك خصائص عامة تكاد تكون مشتركة بين جميع أنواع الخطب منها:

١ ـ الوحدة العضوية:

وتمثل التزام علي عليه السلام بموضوع محصور في نقاط معيّنة ومترابطة فكرياً، مهما كان طول الخطبة، فخطبه خالية من الإستطراد والحشو، متسلسلة الأفكار مترابطة العناصر، بحيث لا يمكن فصل الفقرات، أو التقديم والتأخير في مواضعها، لذلك كثيراً ما يصاب الدارس في النهج بالحيرة إزاء نظرته في الفقرات التي اجتزأها الرضي من خطب، اضافة إلى ما أجراه في مواضع فقرات بعض الخطب الأخرى من تقديم أو تأخير، وقد أشرنا إلى ذلك في موضعه[٢].

٢ ـ التنويع في أساليب الخطاب:

فمن مزايا أسلوب علي عليه السلام الخطابي التنويع في أشكال الخطاب بانسجام تام، لا يشعر المستمع بأية نقلة تقطع الفكرة أو تحدّ من التأمل، من ذلك قوله ضمن خطبة وعظية «فَاتَّقُوا الله عَبَادَ الله وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ

---

(١) راجع الخطبة رقم ١٩٣.

(٢) راجع ص١٢٩ وما بعدها من هذا البحث.

بِأَعْمَالِكُمْ. . . وإنَّ غَايَةً تَنقِصُهَا اللَّحْظَةُ وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ لَجَدِيْرَةٌ بِقِصَرِ المُدَّةِ، وَإِنَّ غَائِبًا يَحْدُوهُ الجَدِيْدَان اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ الأَوْبَةِ. . . فَتَزَوَّدُوا فِيْ الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا. . . فَاتَّقَى عَبْدٌ رَبَّهُ، نَصَحَ نَفْسَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ. . . نَسْأَلُ الله أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لاَ تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ»(١). فقد توجه في مطلع الخطبة بالحديث إلى جمع المستمعين، ثم تحوّل بانسياب وسهولة إلى وصف قصر الحياة على وجه الأرض، ثم تحوّل بالحديث إلى المفرد الغائب، وعاد في خاتمة الخطبة إلى المستمعين ليشرك نفسه معهم في الإستغفار.

ومن الأساليب التي يعمد علي عليه السلام إليها أيضاً صيغ القول كمصدر من مصار الإتصال النفسي كما في قوله ضمن خطبة يصف فيها الموقف غير المستقر لأولئك الذين حالوا بينه وبين حقّه في الخلافة «فَإِنْ أَقُلْ، يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى المُلْكِ، وَإِنْ أَسْكُتْ، يَقُولُوا: جَزِعَ مِنَ المَوْتِ هيهات بعد اللتيا والتي، والله لابْنُ أَبِيْ طَالِبٍ آنَسُ بِالمَوتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ، بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ، لَوْ بُحْتُ بِهِ لاضْطَرَبْتُمُ اضْطِرَابَ الأَرْشِيَةِ فِيْ الطَّوِيِّ البَعِيْدَةِ»(٢)، فهو ضمن الفقرة السابقة

---

(١) خطب ـ ٦٣ ـ. وبادروا آجالكم بأعمالكم، أي استكملوا أعمالكم قبل حلول آجالكم. والمبادرة: المسابقة، والغاية في الخطبة هي الأجل. والغائب: هو الموت. ويحدوه: يسوقه.

(٢) خطب ـ ٥ ـ. هيهات بعد اللتيا والتي: مثل يقال في الشدائد والمصاعب صغيرها وكبيرها ويعني به علي عليه السلام: أن الذي يرميه بالجوع والخوف بعد ركوبه الأخطار والشدائد وقاسى المخاطر صغيرها وكبيرها، قد بعد عن جادة الحق. ويمكن مراجعة المثل وقصته عند: الميداني: مجمع الأمثال ١/ ١٥٩ المثل رقم ٤٤٠.

يحاول استقراء نفوس أولئك الذين منعوه حقه، بتبيان تناقض نفوسهم، ثم يعيد تمثل ذلك الإستقراء بأسلوب حواري، يحاول من خلاله إشراك المستمع في الموقف الخطابي، ومن ثم بنقل الخطاب بطريق غير مباشر إلى الحديث عن نفسه مكتفياً بذكر اسمه في قوله «والله لابن أبي طالب. . .»ثم ينتقل إلى الحديث عن علمه متوجهاً بذلك إلى مستمعه إلاّ أن للحديث هنا وجهاً آخر غير مباشر ـ هو كما نعتقد ـ يتضمن الردّ على أولئك الذين يرون في مطالبته طمعاً وفي سكوته جبناً، ويمكن ملاحظة مثل هذا الأسلوب القولي أو ما يقرب منه ضمن خطبته في الخوارج بعد أن تكشفت لهم خدعة التحكيم(١).

ومن أساليب شدّ الأذهان وجلب انتباه المستمعين، التي يستخدمها علي عليه السلام في خطابته وصف ما ينتاب النفس من وجل وخوف وصراع أثناء المواقف المصيرية الحسّاسة، من ذلك قوله في مجال الوعظ مستقرئاً نفس الإنسان في النـزع الأخير «وَإِنَّهُ بَيْنَ أَهْلِهِ، يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ، وَبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ، يُفَكِّرُ فِيْمَ أَفْنَى عُمُرَهُ، وَفِيْمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ، وَيَذْكُرُ أَمْوَالاً جَمَعَهَا، أَغْمَضَ فِيْ مَطَالِبِهَا. . . فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ المَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَزْهَدُ فِيْمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيْهِ أَيَّامَ عُمُرِهِ، وَيَتَمَنَّى أَنَّ الّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا وَيَحْسِدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُوْنَهُ»(٢)، فالخطبة لا تقتصر على مجرد الوصف لحالة الموت فعباراتها تنقلنا إلى أعمق أعماق

---

(١) راجع الخطب ـ ١٢١ ـ.

(٢) خطب ـ ١٠٨ ـ فقرة ٣. وأغمض: أي تعامى ولم يفرّق بين حلال وحرام. وأصحر له: ظهر له وتكشف.

نفس المحتضر لنعيش معه تفكيره وأمنياته وانفعالاته تجاه من ينظرون إليه، مستعرضاً في شريط طويل، حياته وكيف تصرّف فيها، وعليعليه السلام بأسلوبه هذا يجذب إليه المستمع بكل إحساساته، مهما كانت قدرة ذاك المستمع على الإنفلات من تأثير الكلمة.

ومن العناصر البيّنة التي تتميّز بها خطب عليعليه السلام، أن قارئها يستطيع من خلال تأمله في المعاني استقراء نفسية عليعليه السلام، وسبره لمدى سعادتها وتبرمها، لأن علياً يحشد في تعبيراتها كل إحساساته الصادقة العميقة تجاه الموضوع الذي هو بصدد التحدث فيه، خاصة وأن معظم خطبه لا يعدها إعداداً مسبقاً من أجل المناسبة، وإنما الظرف والمناسبة هما اللذان يفرضان عليه ارتجال الخطبة في حينها، لحاجة ملحّة تفرضها الأحداث المتتالية غير المتوقعة، هذا إذا ما استثنينا بعضاً من خطبه الدينية والأخرى الوعظية، التي وإن لم يعدها كتابة، فقد يكون استعدّ لها نفسياً.

٢ ـ العهود:

وهي من الأدب المقروء لأنها شروط تكتب لمن تناط به مهمة رسمية ويجب عليه التقيّد بفحوى العهد في نطاق ما كلّف به «لأن الشرط عهد في الحقيقة»[(١)]، ومن خلال ما أورده الرضي من نصوص سياسية في النهج، يبدو أن علياًعليه السلام قد كان يزّود كل من ينيط به عملاً عهداً[(٢)] يحدّد فيه مسؤولياته، ويرسم له الطريق الذي يجب أن يأخذ به في تعامله مع أولئك

(١) تاج العروس ٨/ ٤٥٩.
(٢) راجع رسائل: ٢٦، ٢٧، ٥٣.

الذين يتعلق ذلك العمل بشؤونهم، ومن أشهر العهود التي أثرت عن علي عليه السلام وأكملها: عهدان يتعلقان بادارة حكم الولايات.

* الأول: زوّد به محمد بن أبي بكر حين ولاّه مصر[١].

* والثاني: كتبه لمالك الأشتر حين ولاّه مصر أيضاً، بعد أن اضطربت أوضاعها على محمد بن أبي بكر بفعل دسائس معاوية[٢].

وإذا كان عهده لمحمد بن أبي بكر قد اقتصر على الخطوط الرئيسية في النواحي الإدراية والسياسية والإجتماعية، دون الدخول في التفصيلات، فإن عهده للأشتر قد بلغ من الشمولية ما جعله يستقصي فيه كل النواحي المتعلقة بشؤون الحكم من سياسة وادارة واقتصاد ونواحي عسكرية وأخرى اجتماعية، وقد بلغ هذا العهد من الطول ما أثار حوله الشك[٣]، ممّا جعل أستاذنا المرحوم محمد خلف الله يتصدى لدفع ذلك الشك بذكر بعض القرائن في هامش دراسته للعهد[٤].

وعهد علي عليه السلام للأشتر بما يحويه من تفصيل للقضايا، ودقة في التعبير عنها، يجعله يفوق بأسلوبه وسحر بيانه، وإحاطته بكل ما يحتاجه الحاكم من تعليمات وتوجيهات، كل ما أثر في هذا الجانب من عهود ورسائل تصوّر بلاغة الكتابة العربية في عصرها الذهبي ونعتقد أن القول

---

(١) راجع السابق.

(٢) راجع رسائل: ٢٦، ٢٧، ٥٣.

(٣) راجع: في العروبة وآدابها ص٢٨. الهامش.

(٤) السابق.

«بدئت الكتابة بعبد الحميد، وختمت بابن العميد»[١] فيه تجن على الأدب العربي، وهو مبني على توافق السجعتين وليس على وصف واقع ابتداء الكتابة الفنية حقيقة، فما أثر عن علي عليه السلام من رسائل وعهود يفند القول بأن «أوّل من أطال الرسائل عبد الحميد الكاتب وهو فارسي الأصل»[٢]، وكَأَنَّ النثر الفني العربي بأصوله وقواعده هو من ابتكار الأعاجم وليس للعقلية العربية أي دور فيه، مع أن عبد الحميد نفسه يعترف بأخذه هذا الفن عن علي[٣]، ممّا يرجح ما نعتقده بأن ما يسمي بالعصر الذهبي للكتابة العربية قد بدأ في فترة مبكرة زمن الخلفاء الراشدين[٤]، وبلغ ذروته في عصر الخليفة الرابع منهم علي بن أبي طالب، وأن أصوله عربية خالصة، وإن تأثر فيما بعد بالزخرفة الأجنبية، بسبب تفاعل الثقافة العربية مع الثقافات الأجنبية الأخرى.

فبالمقارنة بين رسالة عبدالحميد في نصيحة ولي العهد[٥]، وبين ما جاء عند علي عليه السلام في وصيته لابنه الحسن، وعهده للأشتر، سنجد أن رسالة عبد الحميد تلك قد اقتبست معظم ما تضمنته من أفكار، ممّا جاء ضمن وصيّة علي عليه السلام وعهده، علاوة على ذلك تأثر عبدالحميد البيّن بأسلوب علي عليه السلام وتعابيره في الكثير من مواضع رسالته، مع ملاحظة البون الشاسع بين صفاء الأسلوب وسلاسة التعبير وانتظام الأفكار عند

---

(١) الثعالبي ـ يتيمة الدهر ٣/ ١١٤.

(٢) احسان النص ـ الخطابة العربية في عصرها الذهبي ص١٤.

(٣) راجع ص؟؟؟ إحالة ٢ من هذا البحث. فقد ذكرنا مقولة عبدالحميد في شأن تأثره بعلي عليه السلام هناك.

(٤) راجع على سبيل المثال كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري في القضاء ـ الجاحظ: البيان والتبيين ٢/ ٤٩.

(٥) أوردها محمد كرد علي ضمن مختاراته ـ رسائل البلغاء ص١٧٣ وما بعدها.

عليعليه السلام لأنه يمتح من اللغة على سجيته، وبين ما ورد في رسالة عبدالحميد من تعقيد في اجتلاب المعاني بسبب كدّ الفكر لتوليد المعنى المناسب. فرغم براعة عبدالحميد الفنّية، فإنها تتضاءل إزاء بلاغة عليعليه السلام. وعلى كل فقد بلغ تأثر عبدالحميد بعليعليه السلام ذروته حتى في العبارات القصيرة، وإن حاول اخفاء ذلك إذ يؤثرعن عبدالحميد قوله لمن وجده يكتب بخط رديء «أَطِلْ جِلْفَةَ قَلَمِكَ، وَأَسْمِنْهَا وَحَرِّفْ قَطَّتَكَ وَأَيْمِنْهَا»[١]، وهو مأخوذ بتحريف من قول عليعليه السلام لكاتبه عبدالله بن أبي رافع «أَلْقِ دَوَاتِكَ، وَأَطِلْ جِلْفَةَ قَلَمِكَ، وَفَرِّجْ بَيْنَ السُّطُورِ، وَقَرْمِطْ بَيْنَ الحُرُوفِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْدَرُ بِصَبَاحَةِ الخَطِّ»[٢]. تلك إذن نبذة قصيرة حاولنا فيها القاء الضوء على أثر بلاغة عليعليه السلام وأدبه في بلاغة وأدب رائد النثر الفني في عصره الذهبي اقتضتها مناسبة الدراسة فيما أثر.

أما بالنسبة لشمولية العهد كوثيقة يعوّل الولاة عليها في حكم ولاياتهم فإننا لا نتفق مع ابن خلدون في اعتباره كتاب طاهر بن الحسين لابنه عبدالله من أحسن الكتب التي عنت بما يحتاجه الوالي «في دولته وسلطانه من الآداب الدينية والخلقية والسياسية والشرعية والملوكية. وحثّه على مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم ممّا لا يستغني عنه ملك ولا سوقه»[٣] لأن ذلك يعني ضمنا أن العرب لم يعرفوا علم السياسة وإدارة الحكم، إلاّ بعد أن

---

(١) الجهشياري ـ الوزراء والكتاب ص٨٢. وقطتك ـ بفتح القاف أو كسرها: صحيفتك.

(٢) حكم ـ ٣٢٣ ـ. وألق دواتك: أصلح مدادها، أي إجبرها، ولاق الحبر بالورق، يلق أي التصق به. والجلفة: ـ بكسر الجيم ـ فتح القلم التي يستمد بها المداد. وفرّج بين السطور: باعد بينها. وقرمط بين الحروف: قارب بينها.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص٣٧٨، وقد ذكر رسالة طاهر بن الحسين بتمامها مباشرة بعدما نقلناه عنه من شاهد.

اختلطوا بالأعاجم الذين يرجع الفضل إليهم في تبصير العرب بتلك العلوم، لكون طاهر بن الحسين[١] ـ كاتب العهد ـ من أصول فارسية. وهو ما يتفق ومقولة ابن خلدون «أن العرب أبعد الأمم عن سياسة الملك»[٢]. فمن المعتقد أن ابن خلدون لم يطلع على عهد علي عليه السلام للأشتر. فبمقارنة سريعة بين ما حواه كلا العهدين من عناصر يتضح للدارس أثر أحدهما في الآخر من حيث تسلسل العناصر وشموليتها الفكرية، وبنائها الفني، فقد تضمن كلاهما العناصر التالية:

عهد علي بن أبي طالب	عهد طاهر بن الحسين
* ١ ـ بدأ علي عليه السلام عهده للأشتر بتبيان المهمات التي عهد إليه وحصرها في: جباية الخراج، جهاد الأعداء، استصلاح أهل مصر، عمارة الأرض، مع التزام التقوى والعمل بكتاب الله في كل ذلك.	* ١ ـ بدأ طاهر بن الحسين عهده لابنه بتعداد الصفات والفضائل الواجب توفرها في الوالي من مداومة على الصلاة، والتمسك بسنّة الرسول صلى الله عليه وآله والإقتداء بالسلف الصالح، والتفقه في الدين، والتمسك بكتاب الله، والمداومة على مجالسة الفقهاء ومشاورتهم، والأخذ بآراء أهل التجربة من العقلاء والحكماء وكل ما تضمنه هذا العنصر من أفكار تكاد تكون ملحقة بعناصرها المناسبة لها في عهد علي عليه السلام.

---

(١) راجع ترجمة طاهر بن الحسين عند ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ٢/ ٥١٧.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص١٨٩.

* ٢ ـ تلا ذلك بالحديث عن أهم مميّزات الوالي من حيث السلوك، والعلاقات بالناس على اختلاف أجناسهم وأديانهم، مع تبيانه للطريقة المثلى في التعامل معهم.

* ٣ ـ بيان الفئات التي يتكون منها المجتمع وهم: الجند، والموظفون من كتّاب العامة والخاصة، والقضاة، والمكلفون بجباية الخراج والفلاحون من أهل جزية وخراج من ذميين ومسلمين، والتجار، والصناع، والطبقة السفلى من فقراء ومحتاجين ومساكين، وقد فصّل القول في أهمية كل فئة ودورها في بناء المجتمع وأثرها في الفئات الأخرى والمسؤولية الملقاة على عاتق الوالي تجاه كل فئة من حيث الحقوق والواجبات، والطريقة المثلى في التعامل مع كل فئة بما يصلحها.

* ٢ ـ الطريقة المثلى في تعامل الوالي مع خاصته ممن يتولون الأعمال له، وذلك بالإلتصاق بهم، وبث الثقة في نفوسهم، وعدم اتهامهم على الظنة، ما لم يكن لديه الأدلة الكافية والقوية التي تتيح له إيقاع العقاب بهم، وهذا العنصر بكامل أفكاره يكاد يكون جزءاً ممّا أورده علي عليه السلام في عهده بشأن اختيار القضاة والكتّاب والجباة وغيرهم ممن له علاقة مباشرة بشؤون الدولة من الموظفين الإداريين.

* ٣ ـ السلوك بالرعية مسلك الدين في أداء حقوقهم، وإقامة الحدود، والتمسك بالعهود والمواثيق، والتغاضي عمّا ستر من عيوب الناس، وقبول التوبة، وتجنب الخداع والكذب في التعامل مع الرعية، والإيقاع بالسعاة والنمّامين، واجتناب كل ما يسيء إلى الدولة من جور وظلم واضطهاد مع الإعتذار إلى الرعية إذا وقع مثل ذلك من الوالي عن غير قصد. وعدم التغاضي عن أي ذنب يلحق الأذى بعامة الناس، أو ينقص من هيبة الدين والدولة. وقمع المفسدين

	والإحسان إلى المساكين والمحتاجين، وعدم ردّ السائلين. وهذا العنصر أيضاً مكوّن من أفكار ملتقطة من عناصر عهد علي عليه السلام مع إعادة صياغتها بأسلوب مختلف.
* ٤ ـ تلا ذلك بتفصيل الحديث في العوامل الإدارية والسياسية الهامة التي تساعد الوالي على النجاح في مهمته ومنها: المبادرة باصدار حاجات الناس في وقتها المحدد دون تأخير، عدم الإطالة في الإحتجاب عن الناس، افساح المجال لسماع شكاوي العامة والضعفاء في جو يسوده الأمن والإطمئنان، العمل بكل حزم على تفادي انحراف البطانة بالإستئثار لما للناس من حقوق، مكاشفة الرعية والإعتذار اليهم إذا ظنوا به حيفاً أو جوراً، أن لا يدفع صلحاً دعاه اليه عدّوه فيه صلاح الأمة، أن يأخذ كل احتياطاته بدراسة جوانب أي صلح قبل ابرامه مع العدو حتى لا يقع في شرك الخديعة والمكر، أن يلتزم التزاماً تاماً بما ربط به نفسه من عهود وإن اكتشف فيما بعد أن في تلك	* ٤ ـ الطريقة المثلى التي يجب على الوالي اتباعها لاصلاح أموال ولايته، سواء أكان ذلك في تحصيلها وجبايتها، أو في سبل انفاقها، وظاهر في أسلوبه هذا يقتفي ما تضمنته وصيّة علي عليه السلام لعماله على الخراج «رسائل رقم ٥١» بالإضافة إلى ما ورد بشأن ذلك في عهد علي عليه السلام عند تعرّضه إلى الفلاحين وأهميتهم بالنسبة للأمة.

العهود جوراً على نفسه، وأن ينبذ الإطراء، ويتحاشى المنّ على رعيته بما يبديه لهم من احسان وأياد بيضاء، وأن لا يستعجل الأمور قبل أوانها، وأن لا يلجأ إلى العقاب إلاّ بعد أن تنفذ كل ما لديه من أساليب الرفق واللين المشروعة، وأن يضع في اعتباره دائماً أن قوة الله وقدرته فوق كل قوة وقدرة، حتى ترتدع نفسه وتتواضع بتفادي التكبر والتجبر.

وقد تضمن العهد الكثير من الوصايا الجوهرية الأخلاقية والأخرى الإنسانية بما لا يتسع لذكرها ويمكن الإطلاع عليها ضمن تلك الوثيقة القيّمة.

* ٥ ـ نصائح وتوجيهات متفرقة، تتصل بعلاقة الوالي بموظفيه وعماله وما يحتاجونه من متابعة ومراقبة، والكيفية التي يجب أن يكونوا عليها أثناء تعاملهم مع الرعية، بالإنصات إلى شكاواهم والتعرف على مشاكلهم، إلى غير ذلك من نصائح وارشادات تكاد تكون مقتبسة بمعانيها من عهد علي عليه السلام أيضاً.

فمن خلال مقارنة بين فحوى العهدين نظهر بنتيجة مفادها اشتراكهما في معظم الخصائص الإدارية والسياسية إن لم تكن كلّها «حتى ليغلب الظن أن ـ طاهراً ـ حذا في رسالته حذو الإمام في رسالته»[1]، مع ملاحظة الفارق الكبير بين العهدين من حيث ترتيب العناصر وتناسق الأفكار فيهما، ومن حيث بلاغة الأسلوب أيضاً، إذا لم يستطع طاهر بن الحسين أن يبلغ بأفكاره وأسلوبه ما بلغه علي عليه السلام، الذي شرب روح الإسلام من مصادره الأساسية دون وساطة ومن ثم استلهم روح التاريخ وتجارب الأمم بفكره المتوقد الوهّاج، ثم إنه في صياغته للأساليب نهل من معين لغة الجاهلية الصافي ومازجه ببلاغة القرآن، فاستطاع أن يصوغ من ذلك المزيج اللغوي المتجانس في ذروة تعبيراته، والفكر الإنساني الفذ المتمثل في الإسلام في أوج فتوته وعطائه، وثيقة لو أتيحت لها الدراسات المنصفة والبعيدة عن كل تعصب لتبوأت القمة في النثر العربي كشاهد من شواهد الريادة الأصلية لآداب العربية منذ بواكيرها الأولى، هذا بالإضافة إلى اعتبار مضمونها الفكري كوثيقة أصيلة وكاملة لحقوق الإنسان تتحدى بفحواها كل ما كتب في شأن ذلك على امتداد عصور الإنسانية، وأهم ما يميّز هذا العهد هو:

* **١ ـ التزامه نهج الإسلام وتعاليمه في الحكم والإدارة بنظرته الإنسانية الواسعة التي لا تقصر الحقوق على فئة معيّنة ومميّزة لأن المواطنين كما ينص العهد متساوون في الحق سواء المسلم وغير المسلم. فهو بتعاليمه يمثل ما أثر عن علي عليه السلام من فكر ضمنه خطبه وأقواله وطبّقه في واقع أفعاله.**

---

(١) في العروبة وآدابها ـ السابق ص٣١.

* ٢ ـ الترتيب المتقن والتناسق التام بين العناصر التي تكوّن العهد الذي يبيّن من خلاله حرص عليﷺ التام على «أن يفتح عين ولاته على الصغير والكبير من شؤون الحكم وصلات الحاكم بالناس»(١).

* ٣ ـ اختيار الألفاظ والأساليب اختياراً دقيقاً ومحكماً كي تتناسب والعناصر الفكرية التي صيغت من أجلها، مع بعد عن التكليف وسهولة في مخارج الحروف، واتسام بالإنسجام والمصالحة مع روح وعقل من كُتِب العهد إليه من الولاة.

* ٤ ـ استمرارية في بقاء الأسلوب على قوّة بنائه ومتانة تماسكه وترابط أفكاره وانسجامها من بداية العهد حتى نهايته دون أن يتخلله فتور في تعبيراته، أو انحلال في أفكاره رغم طوله الذي بلغ «أكثر من ألفين ومائتين كلمة»(٢).

* ٥ ـ الإحاطة الشاملة التامة بأبعاد كل فكرة وردت فيه باشباعها دراسة وتمحيصاً وتبيان ايجابياتها وما يعتورها من سلبيات يمكن للوالي أن يتلافاها كي لا يقع في الخطأ الذي ينتج عنه الإرباك، ويمكن تطبيق هذه المميزات على الجوانب الفكرية التي عرض إليها عليﷺ في عهده لمحمد بن أبي بكر حين ولاه مصر أيضاً.

٣ ـ الرسائل:

وهي القسم الثاني من الأدب المكتوب المأثور عن عليﷺ،

---

(١) في العروبة وآدابها ص٣٥، ٢٩.

(٢) في العروبة وآدابها ص٣٥، ٢٩.

وعددها في النهج ستون رسالة مختلفة، من جملة تسعة وسبعين نصاً ذكرها الرضي في الباب الذي أفرده للرسائل والعهود والوصايا. وتنقسم هذه الرسائل من حيث مضامينها إلى قسمين:

ـ الأول: الرسائل العامة:

وهي الرسائل التي كتبها علي عليه السلام لتقرأ على عامة النّاس في الولايات، ويكلف الوالي أو من يقوم مقامه بأدائها، وتشبه في مضامينها ومقومات وأساليبها الخطبة، إلاّ أنها في كثير من الأحيان تمتاز بالإيجاز والتركيز وتتناول في العادة موضوعات هامة وتتطلب انجازاً سريعاً، كالأخبار عن تولية عامل جديد تتطلبه الظروف الحرجة التي تعيشها الولاية(١)، أو كالأخبار عن نتائج معركة ما اضطرت الحكومة المركزية إلى خوضها(٢) أو التعرض لشرح قضية ما اختلفت آراء الناس حولها في مختلف ولايات الدولة(٣). وتتميّز هذه الرسائل بايرادها الحقائق في صيغ اخبارية واضحة وصريحة وصادقة ومباشرة، مثال ذلك كتابه إلى أهل الكوفة الذي يستحثهم فيه على القدوم إليه، عند مسيره إلى البصرة للقضاء على فتنة أصحاب الجمل «مِنْ عَبْدِ الله عَلِيٍّ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ، إِلى أَهْلِ الكُوْفَةِ، جَبْهَةِ الأَنْصَارِ وَسَنَامِ العَرَبِ، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعَيَانِهِ، إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ، فَكُنْتُ رَجُلاً مِنَ المُهَاجِرِيْنَ، أُكْثِرُ اسْتِعْتَابَهُ، وَأُقِلُّ عِتَابَهُ، وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا

---

(١) راجع رسائل ـ ٣٨، ٥٧، ٥٨.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

فِيْهِ الوَجِيْفُ، وأَرْفُقُ حِذَائِهِمَا العَنِيْفُ، وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيْهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ، فَأُتِيْحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ، وَبَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِيْنَ وَلاَ مُجْبَرِيْنَ، بَلْ طَائِعِيْنَ مُخَيَّرِيْنَ، وَاعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الهِجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا، وَجَاشَتْ جَيْشَ المِرْجَلِ، وَقَامَتِ الفِتْنَةُ عَلَى القُطْبِ، فَأَسْرِعُوا إِلَى أَمِيْرِكُمْ وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ إِنْ شِاءَ الله تَعَالَى»[1]، فلقد لخّص علي عليه السلام أحداث الفتنة التي أدّت إلى قتل الخليفة الثالث، وبيّن ضمنها دور الخارجين عليه من أصحاب الجمل في اشعال نارها وذلك بلمحات تصويرية مقتضبة، ماراً بسرعة على وصف بيعة الناس له باختصار شديد، تلاه تصويره لما حدث في المدينة من فتنة، ثم طلب منهم الإسراع بالإلتحاق به للقضاء على الفتنة القائمة في وجه الخلافة. فالرسالة من الوضوح والإختصار بحيث لا يمكن الإستغناء عن أي عبارة فيها، لاعتمادها على التركيز والتعابير التصويرية الموحية وخلوها من الفضول والزيادات.

ـ الثاني: الرسائل الخاصة:

وهي التي يكتبها إلى أشخاص معينين وتنقسم بدورها إلى أقسام ثلاثة:

* ١ ـ **رسائل ادارية**: وهي نوع من الرسائل التي عادة ما يكتبها علي عليه السلام لولاته في الشؤون المتعلقة بهم وبأعمالهم، كتنبيه أحدهم إلى

---

(١) رسائل ـ ١. وشبههم بالجبهة من حيث الكرم وبالسنام من حيث الرفقة. وعيانه: رؤيته. واستعتابه: استرضاؤه. وعتابه: لومه. والوجيف: نوع من سير الإبل يمتاز بالسرعة. والحداء: الغناء للإبل من أجل سوقها والعبارة في مجملها كناية عن إسراعهما في إثارة الفتنة على عثمان. ودار الهجرة: المدينة. وقلع المكان بأهله: لم يصلح لاستيطانهم. وجاشت: غلت. والمرجل: بكسر فسكون: القدر.

قسوته التي يأخذ بها سكان ولايته[(١)]، أو حضّه أخر على القيام بأعمال معينة أو مشاريع محددة يجدها هامة وضرورية بالنسبة إلى الولاية[(٢)]، أو التبكيت واللوم لمن يفرّط منهم في أمر هام مقابل قيامه بعمل يقل في أهميته وخطورته من العمل الذي فرّط فيه[(٣)]، أو الإيعاز لبعضهم ممن يشك في اختلاساتهم برفع حسابات ولاياتهم[(٤)]، أو نصح من يخبر عن تبذيره بعدم التمادي في أو الملذات واعطاء الهبات من الأموال العامة المكلف بصيانتها والحفاظ عليها[(٥)] أو العزل بسبب سوء التدبير في بعض الأحيان[(٦)] إلى غير ذلك من موضوعات وقضايا إدارية تتصل اتصالاً مباشراً بعمل الوالي أو من ينوب عنه.

ويمتاز أسلوب ذلك النوع من الرسائل بالاختصار والصرامة والتحديد الدقيق والمباشر للموضوع، مثال ذلك كتابه إلى عمر بن سلمة المخزومي[(٧)] عامله على البحرين والذي جاء فيه «أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّيْ قَدْ وَلَّيْتُ نُعْمَانَ بْنَ عَجْلاَنَ الزُّرَقِيَّ عَلَى البَحْرَيْنِ، وَنَزَعْتُ يَدَكَ بِلاَ ذَمٍّ وَلاَ تَثْرِيْبٍ عَلِيْكَ، فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الوِلاَيَةَ، وَأَدَّيْتَ الأَمَانَةَ، فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِيْنٍ وَلاَ مَلُومٍ وَلاَ مُتَّهَمٍ، وَلاَ مَأْثُومٍ، فَلَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَسِيْرَ إلى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِي فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ العَدُوِّ، وَإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّيْنِ، إنْ شَاءَ الله»[(٨)]، فالرسالة إدارية بحتة، حتى المدح الذي تضمنته هو بمثابة

---

(١)،(٤) راجع ـ رسائل: ١٨، ١٩، ٦٧، ٦١، ٤٠، ٤٣، ٦٣.

(٥) راجع السابق.

(٦) راجع ـ السابق.

(٧) راجع ترجمته عند ابن الأثير ـ أسد الغابة ٤/ ١٨٣.

(٨) رسائل ـ ٤٢ ـ والنعمان بن عجلان الزُرقي ـ بضم الزاي وفتح الراء ـ من الأنصار، كان=

اخلاء ذمة وإزالة لأي لبس يدخل في روع الوالي المعزول، ودقة تعبيرها لا يدع مجالاً للشك في أن العزل لم يكن إلاّ من أجل الغرض الذي ذكره علي عليه السلام، وتلك هي ميزة جميع الكتب الإدارية المأثورة عن علي عليه السلام في النهج.

* ٢ ـ رسائل عسكرية: وهي الرسائل التي يكتبها علي عليه السلام إلى قادة جيوشه، وتتضمن أوامر بالسلوك بالجند في طريق ما، أو اتحاد بعض الجيوش تحت امرة قائد يقع اختياره من قبله إلى غير ذلك من أمور عسكرية تقتضيها خطط الحرب وأسلوب علي عليه السلام في هذا النوع من الرسائل هو ذات أسلوبه في رسائله الإدارية، من اختصار ومباشرة وتحديد للمعاني، مثال ذلك ما كتبه إلى أميرين من أمراء جيوشه بعد أن أرسلهما كمقدمة لَمَّا عزم على التوجّه إلى صفين «قَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُمَا وَعَلَى مَنْ فِيْ حَيِّزِكُمَا، مَالِكَ بْنَ الحَارِثِ الأَشْتَرَ، فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيْعَا وَاجْعَلاهُ دِرْعًا وَمِجَنًا، فَإِنَّهُ مِمَّنْ لاَ يُخَافُ وَهْنُهُ وَلاَ سَقْطُهُ وَلاَ بُطْؤُهُ عَمَّا الإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ وَلاَ إِسْرَاعُهُ إِلى مَا البُطْءُ عَنْهُ أَمْثَلُ»(١)، فالصفات المقتضبة التي أسبغها على قائده المؤمر هي من الإستحقاق ما تجعله جديراً بأن يطاع، وعبارات الرسالة رغم قلّتها فإنها توحي بجل المعاني التي يجب أن تتوفر في قادة الجيوش.

* ٣ ـ رسائل سياسية: وهي التي كتبها علي عليه السلام لأولئك الذين ناوؤه وحاولوا نكث بيعته من أمثال طلحة والزبير أو امتنعوا عنها من أمثال معاوية ومن شايعه من الأمويين وأهالي الشام. وهذه الرسائل في مجملها صنفان:

= شاعراً فصيحاً وسيداً في قومه. راجع ترجمته في أسد الغابة ـ السابق ٥/ ٣٣٤.

(١) رسائل ـ ١٣ ـ.

ـ الأول: الكتب المرسلة من علي عليه السلام لأولئك الخارجين عن طاعته، ويعمد فيها إلى شرح موقفه إزاء دعاواهم مباشرة، متكئاً في تفنيد مزاعمهم على الحجة والمنطق واستمالتهم بأسلوب العقل والموعظة الحسنة، ولكن دون تهاون أو تنازل، فالحلول الوسط لا تعرف إلى رسائله سبيلاً، ويمكن أخذ كتابه الذي بعثه إلى طلحة والزبير[١] مثلاً، فقد حاول ضمن الكتاب صدّهما عمّا عزما عليه من نكث بيعته وقد بناه على العناصر التالية:

١ ـ البيعة له بالخلافة وكيف تمت.

٢ ـ مبايعة الأثنين له بين الإعلان والإضمار والطاعة والإكراه.

٣ ـ مقتل عثمان بينه وبين الإثنين بشهادة من حضره من أهل المدينة.

وقد أجملت الرسالة تلك العناصر باحكام ودقة لا تمكن من أرسلت إليه من أية فرصة للافلات من حججها وقوة منطقها، مع اقتضاب في العبارة وتركيز في اختيار المعاني المناسبة.

ويمكن تمثل تلك الخصائص المعنوية أيضاً في كتابه الذي بعثه إلى جرير بن عبدالله البجلي[٢] حين استبطأ مكوثه بالشام لما أرسله لأخذ بيعة معاوية ونصّه «أَمَّا بَعْدَ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِيْ هَذَا، فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الفَصْلِ، وَخُذْهُ بِالأَمْرِ الحَزْمِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ أَوْ سِلْمٍ مُخْزِيَّةٍ، فَإِنِ اخْتَارَ الحَرْبَ، فَانْبِذْ إِلَيْهِ، وَإِنِ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ والسَّلاَمْ»[٣] فأسلوب

---

(١) راجع ـ رسائل ـ ٥٤ ـ.

(٢) جرير بن عبدالله البجلي ـ من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله. راجع ترجمته عند الذهبي ـ سير النبلاء ٢/ ٥٣٠.

(٣) رسائل ـ ٨ ـ.

الرسالة من الحزم والجدّية بحيث لا يترك مجالاً للتردد بين اختيارين لا ثالث لهما وعبارات الرسالة لا تعطي مجالاً للتأويل، ولا توحي بالمراوغة والمساومة، فهي قاطعة ومحددة.

ـ الثاني: وهي الكتب التي عادة ما تكون ردوداً على رسائل وردت إلى علي عليه السلام من مناوئيه، وكل ما ورد في هذا الباب من ردود كانت على رسائل لمعاوية، كان مراده منها المساومة والخداع للوصول إلى مأربه في البقاء في ولاية الشام، وقد اتّبع من أجل ذلك أساليب متنوعة منها حجّته بأن البيعة لعلي عليه السلام لم تلزمه لأنه وأهل الشام لم يبايعوا أصلاً[1] ومنها مطالبته بالثأر من قتلة عثمان الذين انضووا تحت امرة علي عليه السلام[2]، ومنها اتهام علي عليه السلام بمحاولة نكث بيعة الشيخين[3]، ومنها ـ وهو الحقيقة ـ طلب اقراره على ولاية الشام دون أي التزام ببيعة علي عليه السلام، إلى غير ذلك من أساليب يمكن استخلاصها من جوابات علي عليه السلام على تلك الرسائل، وما يميّز تلك الجوابات:

أ ـ الردّ على فحوى الرسالة نقطة تلو الأخرى، مبتدئاً ردّه باجمال مضمون كل نقطة وردت في الرسالة الأصل، ضمن الردّ عليها، من ذلك قوله ضمن ردّه على احدى رسائل معاوية «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا كُنَّا وَأَنْتُمْ عَلَى مَا ذَكَرْتَ مِنَ الأُلْفَةِ وَالجَمَاعَةِ، فَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَمْسِ أَنَّا آمَنَّا وَكَفَرْتُمْ، وَاليَوْمَ أَنَّا اسْتَقَمْنَا وَفُتِنْتُمْ. . . وَذَكَرْتَ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَشَرَّدْتُ بِعَائِشَةَ، وَنَزَلْتُ المِصْرَيْنِ، وَذَلِكَ أَمْرٌ غِبْتَ عَنْهُ، فَلاَ عَلَيْكَ، وَلاَ العُذْرُ فِيهِ

---

(١)،(٣) يمكن استنتاج كل ذلك من الرسائل: ٦، ١٩ الفقرة الأخيرة، ٢٨ الفقرة الرابعة، ١٧ مطلع النص.

إِلَيْكَ»[١]. إذ يتضح من ردّ علي عليه السلام أن رسالة معاوية ترتكز على تذكير علي عليه السلام، بألفة المسلمين ونصحه إياه بالإبقاء على تلك الألفة، ومن ثم اتهامه ايّاه بفك أواصر الوحدة الإسلامية، بقتله طلحة والزبير، وتشريده بزوج النبي صلى الله عليه وآله، وبتركه المدينة عاصمة الإسلام ونزوله بالبصرة ثم الكوفة، فعناصر ردّ علي عليه السلام مبنية كما نلاحظ على عناصر رسالة معاوية دون زيادة أو نقصان، وعادة ما يبدأ علي عليه السلام ردّه على كل عنصر بتوجيه الحديث إلى معاوية بـ (أمّا) الشرطية التفصيلية.

ب ـ مقابلة التهديدات والإنذارات بالسخرية اللاذعة المستقاة مضامينها من وقائع التاريخ، من ذلك قوله لمعاوية ضمن ردّه السابق أيضاً «وَذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِيْ فِيْ الْمُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ، وَقَدْ انْقَطَعَتِ الهِجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوْكَ، فَإِنْ كَانَ فِيْهِ عَجَلٌ فَاسْتَرْفِه، فَإِنِّيْ إِنْ أَزُرْكَ فَذَلِكَ جَدِيْرٌ أَنْ يَكُونَ الله إِنَّمَا بَعَثَنِيْ إِلَيْكَ لِلنِّقْمَةِ مِنْكَ، فَإِنْ تَزُرْنِيْ فَكَمَا قَالَ أَخُوْ بَنِيْ أَسَدٍ:

بسيط

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَاحَ الصَّيفِ تَضْرِبُهُمْ   بِحَاصِبٍ بَيْنَ أَغْوَارٍ وَجُلْمُودِ»[٢]

---

(١) رسائل ـ ٦٤ ـ فقرة ٢.

(٢) رسائل ـ ٦٤ ـ فقرة ٣.

وأخو بني أسد هو بشر بن أبي خازم، عمرو بن عوف الأسدي شاعر جاهلي فحل، وقد عزا علي عليه السلام البيت إليه، إلا أن ابن أبي الحديد في شرحه ١٧/ ١٩ يقول: «كنت أسمع قديماً أن هذا البيت من شعر بشر بن أبي خازم الأسدي، والآن قد تصفحت شعره فلم أجده ولا وقعت بعد على قائله» ويمكن الرجوع إلى ترجمة الشاعر في: أعلام الزركلي ٢/ ٥٤.

وريح حاصب: تحمل الحصباء وهي صغار الحصى. والأغوار: ما سفل من =

فالسخرية تكمن في قول علي عليه السلام «قد انقطعت الهجرة يوم أسر أخوك» ويعني يزيد بن أبي سفيان الذي أسر يوم الفتح وما يريده علي عليه السلام من ذلك أن «أكثر من كان معك ـ يا معاوية ـ . . . هم من أبناء الطلقاء ومن أسلم بعد الفتح»[1]، ممّا يعني أنك نفسك لست في عداد المهاجرين فكيف يتسنى لك قيادتهم، واستمراراً في الرد على تهديد معاوية بأسلوب تنطوي عباراته على نوع من الإزدراء، ما قاله من تهوين من اندفاعه، فاللقاء بين الإثنين لا محالة واقع، سواء أكان هو البادىء أم معاوية وفي كلتا الحالتين سيرى معاوية أيهما أصبر جلداً. ومن الردود المتضمنة السخرية أيضاً الإستفهام الإنكاري في قوله «وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةُ لِلرَّعِيَّةِ، وُوُلاَةَ أَمْرِ الأُمَّةِ؟ بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ، وَلاَ شَرَفٍ بَاسِقٍ»، وقوله في ردّ ثالث «أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِيْ كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيْهِ اصْطِفَاءَ الله مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وَتَأْيِيْدِهِ إِيَّاهُ بِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَقَدْ خَبَّأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَبًا، إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلاَءِ الله تَعَالَى عِنْدَنَا وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِيْ نَبِيِّنَا، فَكُنْتَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلى هَجَرٍ[2]،

= الأرض. والجلمود: الصخور الصماء.

وقد تمثل علي عليه السلام بالبيت ليبيّن لمعاوية مدى المشقة التي ستواجهه في حالة مبادرته بالحرب، ممّا يعني أنه في كلتا الحالتين سيكون ضحية غروره.

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧/ ٢٥٦.

(٢) رسائل ـ ١٠، ٢٨ ـ. وهجر: مدينة بالبحرين كثيرة النخل، وهي الإحساء حالياً إحدى مدن المنطقة الشرقية من المملكة السعودية، وقوله «كناقل التمر إلى هجر» صوره من المثل القديم «كمستبضع التمر إلى هجر»، مجمع الأمثال للميداني ٣/ ٣٩، يضرب مثلاً للرجل يعلم من هو أعلم منه.

أَوْ دَاعِيَ مُسَدِّدِهِ إلى النِّضَالِ»[١].

جـ ـ الحذر الشديد والحيطة المتناهية غي استخدام العبارات: فقد كان معاوية يرمي من الرسائل الكثيرة إلى علي عليه السلام، تصيّد الفلتات التعبيرية التي تمكنه من إثارة الرأي العام ضد علي عليه السلام. وقد كان علي عليه السلام واعياً لأساليبه تلك. فمن أساليب الإستدراج التي أراد بها معاوية إيقاع علي عليه السلام، محاولة استثارته تجاه خلافة الشيخين، لما كان يعلمه من قوله باستئثارهما بحقه، ففي ردّ لعلي عليه السلام على احدى رسائل معاوية يقول «وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِيْ الإِسْلاَمِ، فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ، فَذَكَرْتَ أَمْرًا إنْ تَمَّ اعْتَزَ لَكَ كُلُّهُ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ وَمَا أَنْتَ وَالفَاضِلَ وَالمَفْضُولَ وَالسَّائِسَ وَالمَسُوسَ، وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ المُهَاجِرِيْنَ الأَوَّلِيْنَ وَتَرْتِيْبَ دَرَجَاتِهِمْ، وَتَعْرِيْفَ طَبَقَاتِهِمْ»[٢]. فلقد كان معاوية ـ كما نظن ـ يرمي من اثارته لقضية الفاضل والمفضول إلى جرّ علي عليه السلام للقول بأفضليته على الشيخين ولكن علي عليه السلام قد فوّت عليه الفرصة حين وجه الردّ إلى السخرية منه والتشهير به وبمنزلته إزاء القضية التي جعل من نفسه حكماً فيها، وهو أبعد ما يكون تأهيلاً، لأن بني عبد شمس عشيرة معاوية لم يكونوا من المهاجرين ولم يسلموا إلاّ بعد أن وجدوا أن لا مفر من ذلك.

وفي موضع آخر من نفس الردّ يقول علي عليه السلام «وَزَعَمْتَ أَنِّيْ لِكُلِّ

---

(١) راجع السابق، وقوله «داعي مسدهه إلى النضال» أي معلم معلمه الرمي، وهو إشارة إلى قول القائل: (وافر)

أُعَلِّمُهُ الرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ ... وَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

شرح ابن أبي الحديد ١٥/ ١٨٨

(٢) رسائل ـ ٢٨ ـ الفقرة ١، ٤، ٥، وفلان وفلان، أبوبكر وعمر.

الخُلَفَاءِ حَسَدْتُ، وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ، فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَلَيْسَ الجِنَايَةُ عَلَيْكَ، فَيَكُونَ العِذْرُ لَكَ: (طويل)

وَتِـلْـكَ شَـكَـاةٌ ظَـاهِـرٌ عَـنْـكَ عَـارُهَـا

وَقُلْتَ أَنِّيْ كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ الجَمَلُ المَخْشُوشُ حَتَّى أُبَايِعَ، ولعمر الله لقد أردت أن تذمّ فمدحت وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ، وَمَا عَلَى المُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ أَنْ يَكُونَ مَظْلُومًا، مَا لَمْ يُكُنْ شَاكًا فِيْ دِيْنِهِ، وَلاَ مُرْتَابًا بِيَقِيْنِهِ، وَهَذِهِ حُجَّتِيْ إلى غَيْرِكَ قَصْدُهَا، وَلَكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سنح من ذكرها»[1]. فمعاوية على ما يبدو من ردّ علي عليه السلام على رسالته، قد كان يلح إلحاحاً شديداً في استدراج علي عليه السلام إلى النيل من خلافة الشيخين، ولكن يقظة علي عليه السلام قد فوتت عليه الفرصة حتى أن إيحاءه بحقه ضمن الردّ جعل من معاوية شاهد اثبات على مشروعية ذلك الحق ممّا تعذر معه على معاوية استخدامه كدليل على موقف علي عليه السلام المعارض من خلافة أبي بكر التي أومأ إلى اكراه علي عليه السلام على قبولها كما يبدو من ردّ علي عليه السلام.

٤ ـ الوصايا

الوصية جنس من الأدب العربي القديم، أفرزته الحاجة التي حتّمت على العربي من خلال مكانته في أسرته وبين قومه أن يفضي لهم بخلاصة تجاربه الحياتية متى أزمع الرحيل عنهم في سفر طويل أو عند احساسه بدنو الأجل.

---

(١) راجع السابق. والجمل المخشوش: الذي يجعل في أنفه الخشاش لينقاد، والخشاش: خشب يدخل في عظم أنف البعير. والتضمين عجز بيت لأبي ذؤيب الهذلي:

وعيّرها الواشون أني أحبها ـ محمد عبده ـ هامش نهج البلاغة ـ ص٤٧٠ ـ ط. دار الأندلس. والجمل المخشوش: الذي يجعل في أنفه الخشاش لينقاد. والخشاش: خشب يدخل في عظم أنف البعير.

والوصية بشكل عام عبارة عن نصائح وتوجيهات، مقترنة بأخبار وحكم، هي في جوهرها خلاصة تجارب الموصي ومحورها الذي ترتكز عليه نظرته إلى شؤون الدنيا وكيفية التعامل مع أحداثها، إذ يمكن من خلال التأمل في عناصرها استقراء نفسية الموصي ومعرفة أفكاره، لأنها عبارة عن حالة من التجلي الذي يعتري الإنسان أثناء الفراق بكل أشكاله فهي على هذا الأساس تعبير ذاتي، وإن حاول الموصي صبغه بطابع إنساني بمحاولته إيداعه التجارب الإنسانية التي عاشها ضمن نسيج الوصية، ولكن بصبغها بنفحة من روحه، وبالتعبير عنها من وجهة نظره، وهي في العادة ـ وكما يبدو لنا ممّا بين أيدينا من وصايا ـ فورية يلقيها الموصي ارتجالاً في مناسبتها، دون أداء مسبق، فالمناسبة والموقف هما اللذان ينظمان العناصر والأفكار بحسب اقتضاء المناسبة وانسجامه معها، وتلك المميزات بطابعها الذاتي العام تمثل شكلاً من أشكال الوصايا التي أثرت عن علي عليه السلام في النهج كما في قوله لأصحابه عند احساسه بدنو الأجل «أَيُّهَا النَّاسُ، كُلُّ امْرِئٍ لاَقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِيْ فِرَارِهِ، وَالأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ، والهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتِهِ، كَمْ أَطْرَدْتُ الأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هَذَا الأَمْرِ، فَأَبَى الله إِلاَّ إِخْفَاءَهُ. هَيْهَات! عِلْمٌ مَخْزُونٌ. أَمَّا وَصِيَّتِيْ: فالله لاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَمُحَمَّداً صلى الله عليه وآله فَلا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ، أَقِيْمُوا هَذَيْنِ العَمُوْدَيْنِ، وَأَوْقِدُوا هَذَيْنِ المِصْبَاحَيْنِ، وَخَلاَكُمْ ذَمٌّ مَا لَمْ تَشْرُدُوا، حُمِّلَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ، وَخُفِّفَ عَنِ الجَهَلَةِ، رَبٌّ رَحِيْمٌ، وَدِيْنٌ قَوِيْمٌ، وَإِمَامٌ عَلِيْمٌ. أَنَا بِالأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَأَنَا اليَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَدًا مُفَارِقُكُمْ، غَفَرَ الله لِيْ وَلَكُمْ...»(١). فعبارات الوصية بتمامها تترجم احساسات روح عامرة

---

(١) خطب ـ ١٤٩ ـ. ومساق النفس: تسوقها إليه أطوار الحياة حتى توافيه. وخلاكم ذم =

بالإيمان في حالة احتضار، ولكن ذلك الموقف الرهيب لم يمنعها من الإفضاء بما في داخلها من شوق للوصول إلى معرفة الحقيقة التي بقيت بعيدة المنال، ولكنها أكيدة وتأكيدها هي معايشتها في لحظاتها الأخيرة التي غطت على ألم الإحتضار، مع بروز الإسلام والخوف عليه والنصح على التمسك به كعامل فكري ما فتأت نفس عليﷺ تكافح من أجله حتى النزع الأخير، فالذاتية بالحديث عن النفس هي وصف لحالة التجلي التي يشعر بها عليﷺ، محاولاً اطلاع مستمعه على جوهرها من خلال احساسه بها بكل توجهاتها الفكرية التي يعتقدها، مع محاولة منه في توجيه من يحيطون به إلى الأخذ بها، بناء على ما يتضمنه ذلك الفكر من خير ومحبة ورحمة كخلاصة لتجربة عايشها، وكافح من أجلها ومات في سبيلها، مع ملاحظة أن ومضات الفكر تلك عبارة من انقداح لتفاعلات داخلية وليدة مناسبتها، ممّا جعلها تنساب في الأسلوب على شكل همسات حزينة مثقلة بالألم، ومشبعة بالإيمان، ومتسمة باحساسات الفراق الأبدي الممثلَ في إبّانِهِ للزمن بأبعاده الثلاثة في سبر كنهها واستلهام فحواها، ممّا يتعذر معه الإعداد المسبق حتى ولو فكرياً.

ومن تلك الوصايا الذاتية ما يعمد عليﷺ إلى كتابته، قادحاً فيه زناد فكره، مضمنا اياه خلاصة تجربته، كوصيته الطويلة الشاملة التي كتبها إلى ابنه الحسنﷺ(١)، وهو قافل من صفين إلى الكوفة، وقد استوعبت هذه

= ما لم تشردوا: أي برئتم من الذم ما لم تميلوا عن الحق وتنفروا منه.

(١) راجع ـ رسائل ـ ٣١ ـ.

الوصية جلّ تجارب علي عليه السلام الحياتية، فمدة الرحلة التي كتبت فيها الوصيّة قد أتاحت لعلي عليه السلام التأمل والتركيز، ممّا فتح له مجال الحديث في معظم ما يحتاجه ابنه من نصائح دنيوية ودينية من عبادات ومعاملات وعلاقات، وفكر وثقافة فهي ليست كسابقتها ذات خطوط عامة مجملة ومركزة، محددة الوقت، والعنصر العاطفي وإن بدا قوياً فيها، إلاّ أنه لا يبلغ من التكثيف والحرارة في مثل سابقتها أيضاً، التي قد خالط تعبيراتها الإنفعال للشعور بدنو الأجل وقرب الرحيل، فالتركيز والعقلانية عنصران من أهمّ العناصر التي تميزت بها الوصية المكتوبة التي لم يعد يتخللها مجال للحزن، مع اتساع رحب في مساحة التأمل، تولد عنه كميّة كبيرة من الحكم العملية المستخلصة من تجارب الموصي المرتبطة بجل شؤون الحياة والمنسجمة مع واقعها.

أمّا أهم ما وحدّ بين الوصيتين الذاتيتين المرتجلة والمكتوبة فهو المجرى النفسي في كلتيهما، والمتمثل في حرارة الإيمان، وصدق العاطفة والحب العظيم للإنسانية بصياغات لغوية متينة.

وهناك أيضاً وجه ثان يختص بالوصية المكتوبة تحتمه طبيعة الإسلام الذي يلزم كل مؤمن به أن يترك وصية بما يعمل بتركته بعد وفاته امتثالاً لقوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾[1]، فالوصية المعنية في الآية الكريمة هي نص، أمّا أن يكون مكتوباً، أو شفوياً بحضور شاهدين عدلين، وفي كلتا الحالتين الكتابية والشفاهية تكون الوصية ملزمة التنفيذ شريطة أن توافق ما نص عليه القرآن

---

(١) البقرة/ ١٨٠.

الكريم، وفصّله الشرع الإسلامي في خصوص المواريث. والعبارات في مثل هذا النوع من الوصايا تكون محددة تحديداً علمياً دقيقاً لا يقبل التأويل. ومن أمثلة تلك الوصايا في النهج، الوصية التي كتبها علي عليه السلام بعد رجوعه من صفين ضمّنها ما يعمل في أمواله بعد وفاته[١]، فعباراتها محدّدة في موضوع الأموال، ومستحقات الورثة، دون تجاوز منه إلى غير ذلك.

وإذا ما تركنا الوصايا الذاتية المتعلقة بشخص علي عليه السلام وشؤونه، فإن هناك أيضاً نوعاً من والوصايا الإدارية[٢] والأخرى العسكرية[٣]، منها ما يعمد علي عليه السلام إلى كتابته ومنها ما يرتجله في مناسبته على شكل نصائح وارشادات يتوجه بها علي عليه السلام إلى قادة جيوشه وولاته على الأمصار أثناء توديعهم للالتحاق بأعمالهم ومزاولة مهامهم، وأما كتابته إليهم أثناء مزاولتهم لتلك المهام إذا ما اقتضت الضرورة ذلك، وهذا النوع من الوصايا عادة ما يكون مبنياً على عناصر محدّدة تتجه مضامينها إلى اتجاهين متكاملين:

* **أولهما**: يتعلق بشخص المتوجه إليه بالوصية كمسؤول يفترض فيه شروط معينة تؤهلة للمهمّة المناطة به.

* **وثانيهما**: ويتعلق بأسلوب تعامله مع من أنيطت به مهمة رعايته من جند ومواطنين.

---

(١) راجع رسائل ـ ٢٤ ـ.

(٢) راجع على سبيل المثال: رسائل ٢٥، ٧٦، ١١، ١٢.

(٣) راجع السابق.

ومثل هذا الجنس من الوصايا يتسّم بالدقة والتحديد في عباراته بما ينأى بها عن التأويل، إذ يمكن للدارس أن يستخلص منها جوانب كثيرة من أساليب عليعليه السلام الإدارية والساسية والعسكرية والإجتماعية وما تنطوي عليه من قيم أخلاقية ومضامين إنسانية، وفي كلتا حالتي الإرتجال أو الكتابة فإنها تتميز بالإعداد الفكري المسبق[١].

٥ ـ الحكمة

لقد عرضنا لفحوى حكم عليعليه السلام في موضع سابق من هذا البحث وتحدثنا هناك عن قيمتها ضمن النص الذي ترد فيه، وعن اشعاعاتها الفكرية إذا ما اجتزئت مشكّلة معنى مستقلاً[٢] ممّا يعني أن الكثير من حكم عليعليه السلام قد ورد ضمن نصوص إمّا مسموعة كالخطب والوصايا التي يلقيها ارتجالاً، وإمّا مكتوبة ضمن رسائله وعهوده ووصاياه التي يكتبها إلى عامة الناس لتقرأ عليهم أو لأشخاص معينين تكون المادة المكتوبة إليهم حصيلة فكرية يريد عليعليه السلام ابلاغها لهم لقربهم من نفسه أو لطلبهم ذلك منه كزاد فكري ينتفعون به.

وحكم عليعليه السلام سواء ما ورد الينا منها مكتوباً ضمن نصوص أو مرتجلاً ضمن خطب هي خلاصة تفكيره المجسّد لعمق تجربته والمعبّر عن مدى خبرته الطويلة بالحياة والناس، لذلك فإنه لمن العسير جدّاً محاولة التفريق بين ما ورد مكتوباً وما ورد مسموعاً من حيث البناء الفكري،

---

(١) يمكن ملاحظة ذلك في وصيته بما يعمل في أمواله. رسائل ٢٤، ووصيته على الصدقات. رسائل ٢٥.

(٢) راجع ص٦١٤ وما بعدها من هذا البحث.

والسياق المعنوي، لانطلاق كلا الحكمتين من معين واحد بأسلوب يكاد يكون واحداً من حيث التعابير والألفاظ. فالبعد الخطابي ضمن الخطبة، أو الكتابي ضمن الرسالة يكمن في طريقة الإبلاغ في كلا الإتجاهين، ممّا يصبغه بالحماسة والتدفق في الخطابة، والتأمل والتفكير في أسلوب الكتابة، ولكن ذلك لا يغيّر من القيمة الفكرية لمضمون الحكمة، رغم اعتقادنا بأن ثمة فرقاً دقيقاً ـ بين الحكمتين المسموعة والمكتوبة ـ لا يمكن ملاحظته إلاّ بعد طول تأمل، وفي جانب معين، مع وضع المناسبة في الإعتبار كي يكون بالإمكان الإحساس بالفارق، على أساس أن حكمة علي عليه السلام عملية، إذ هي في صياغتها تريد من قارئها أو مستمعها النزوع من مرحلة القراءة أو السماع إلى مرحلة الفعل والتطبيق، ممّا يصبغها بالأمر الممزوج بالثورية ضمن سياقها الخطابي المسموع، فقوله «مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ»[1] ضمن خطبة له، بعد أن بايعه الناس في المدينة، وشعر ببوادر النكث، يجعل من الحق، كقيمة إنسانية، موضع مجابهة وهلاك لمن يحاول تجاهله وانكاره، رغم وضوح سبيله، وطبيعة المناسبة هي التي أوحت بمعاني المواجهة للحق ضمن الحكمة المبلورة لفكر علي عليه السلام تجاه الأحداث الدامية التي عاشتها المدينة جرّاء ما حدث بين الخليفة المقتول من جهة وثوّار الأمصار من جهة أخرى، ممّا يعطي للحكمة مع استمراريتها كمقولة خالدة، بعدين اثنين: يتمثل الأول في الصراع على الحق بين الخليفة عثمان والثوار من ناحية، ويتمثل الثاني في تحميل الحكمة إنذاراً مبطناً لأولئك الذين يريدون نكث البيعة التي تمت له وبمباركتهم، تحت شعار الحق. ممّا صبغ المقولة بالثورية في كل

---

(١) خطب ـ ١٦ ـ فقرة ٢.

اتجاهاتها بصوغها بلاغياً في كناية تعني شرائح إنسانية، أضرب عليعليه السلام عن ذكرها لحساسية الموقف الذي تطلب منه ذلك، أما في قوله «مَنْ تَعَدَّى الحَقَّ ضَاقَ عَلَيْهِ مَذْهَبُهُ»(١) والوارد ضمن وصيته المكتوبة لابنه الحسنعليه السلام، فيمثل وجهة نظر تأملية هادئة قوامها الإلتزام بالحق وعدم التعدي عليه، فكلا الحكمتين تدعوان إلى التمسك بالخق كقيمة إنسانية، ويكمن الإختلاف في كلتا المقولتين في طريقة التعامل لفهم الحق، فالصياغة التعبيرية في كلتا الحكمتين واحدة من حيث المبنى ولكنها مختلفة من حيث التعامل معه كقيمة ثابتة مهما تباينت الآراء واختلفت المواقف.

إن مضمون حكمة عليعليه السلام من العمق والإتساع بحيث يمكن معه اعتبارها دستور حياة متكامل الجوانب، معينه التجربة الصادقة، والفكر الحر، وزاده جلّ الفكر الإنساني الذي عاشه عليعليه السلام في حياته أمّا ممارسة أو تأملاً واطلاعاً، وقوامه الدين والأخلاق بكل ما يحويانه من معان وقيم، وبوتقته الإيجاز الواضح بلغة متينة وأسلوب سهل، تنساب الحقيقة فيه صادقة وحارة.

فالمفردة اللغوية ـ في أدب عليعليه السلام ـ وإن اختلفت توجهاتها، باختلاف استخداماتها ضمن السياقات الأدبية المختلفة المضامين، إلاّ أنها في كل الحالات تبقى قوية موحية، تنم في رصفها عن ذوق أدبي رفيع وخبرة عميقة بدقائق اللغة، وتلك الميزات جعلت لأدب عليعليه السلام بجانب التزامه، خصائص أسلوبية يتميز بها وهي ما نطمح إلى دراسة أبرزها في الفصل التالي.

---

(١) رسائل ـ ٣١ ـ فقرة ٢٤.

الفصل الثاني

أبرز خصائص النهج الأسلوبية

تشكّل نصوص نهج البلاغة ـ في مجملها ـ من حيث المضمون الفكري كلاً متكاملاً ومتجانساً إذ لا يبدو عليها من هذه الناحية ثمة تناقض أو تعارض، فهي تستقي من معين الإسلام الصافي كل توجهاتها الفكرية، وكل عناصرها الإنسانية. وكما لاحظنا في الفصل السابق، فقد صيغت موضوعاتها المتعددة الجوانب بأساليب أدبية مختلفة، تميّزت بخصائص تناسبها من حيث الأداء والإستخدام اللغوي، إلاّ أن التراكيب التي صيغت بها تلك النصوص ظلت في جانب كبير منها، متسمة بطابع خاص، تجلت فيه شخصية مبدعها بأسلوبه الخاص المميّز. وقد تمكنا من استخراج ـ ما يمكن اعتباره على الأقل من وجهة نظرنا ـ من أبرز المميزات الأسلوبية التي تميزت بها نصوص نهج البلاغة بشكل عام، ونعرض لدراستها في التالي:

أ ـ الجملة وخصائصها التركيبية

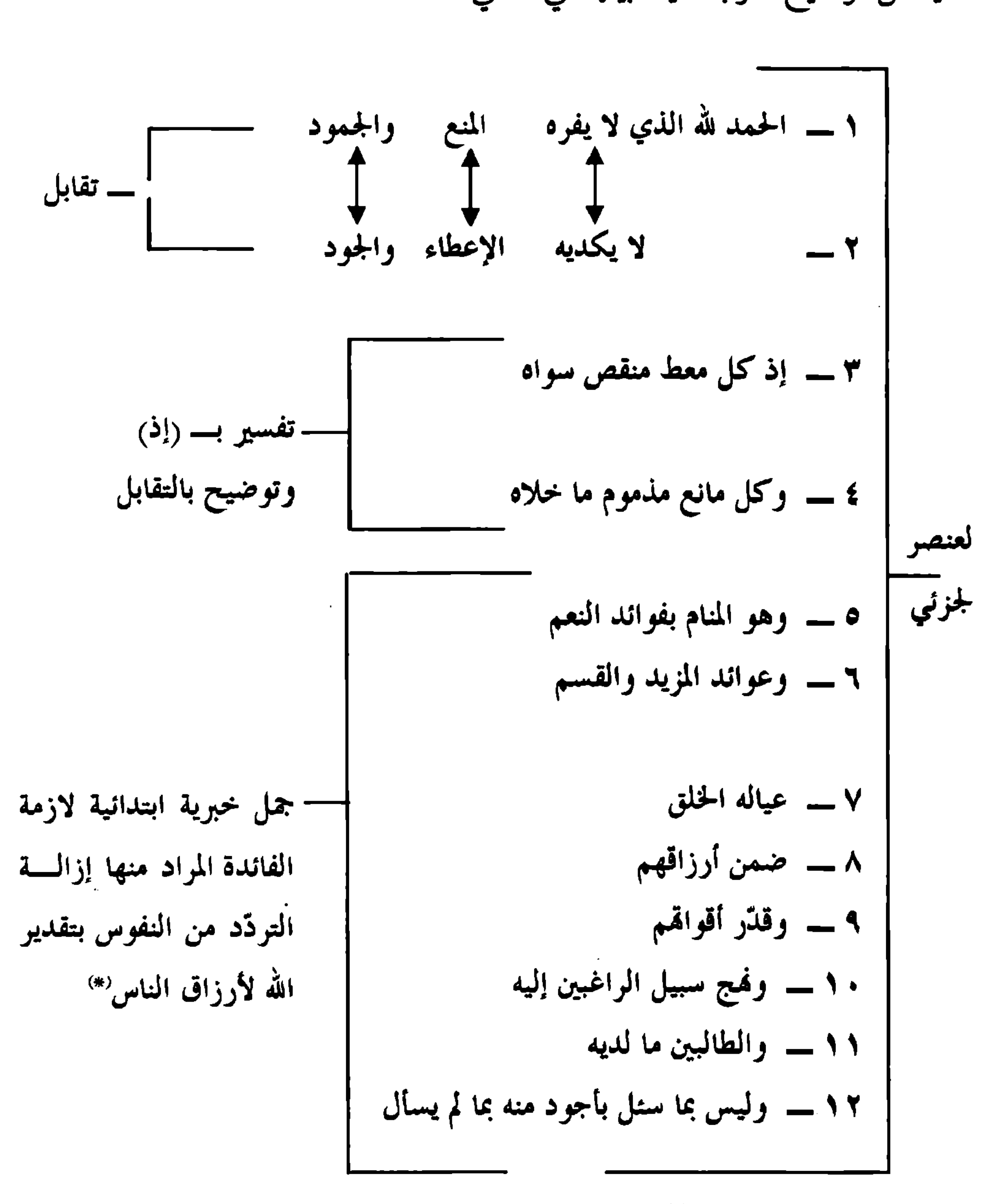
والجملة كوحدة أساسية في صياغة أفكار علي عليه السلام، تمتاز في أغلب الأحيان بالتركيز والإندماج، بحيث يتعذر النظر في فحواها على اعتبار تمام

معناها منفصلة عن سياقها الفكري، لأنها جزء من نسيجه المقوّم لمضمونه، فهي بما تتضمنه من فكرة جزئية، بمثابة الخيط الدقيق الصادر من حزمة ضوئية محكمة الربط، متكاملة البناء، ممّا يصعب معه فصلها ودراستها منفردة، إلاّ من ناحية نحوية، فعلى سبيل المثال، فإن خطبته المسماة بخطبة (الأشباح) وموضوعها: شكر الله ونفي الصفات عنه، تتكون من ستة عناصر أساسية ويحتوي كل عنصر من تلك العناصر على عناصر أخرى متكونة من عدة جمل، فلو قسّمنا العنصر الأول من تلك الخطبة، والمتضمن وصف الله سبحانه، لوجدنا إنه يتكون من العناصر الجزئية الأربعة التالية:

* ١ ـ شكر الله سبحانه وذكر جميم عطائه.
* ٢ ـ معنى وحدانيته.
* ٣ ـ نفي الصفات الزمانية والمكانية والجسدية عنه سبحانه.
* ٤ ـ عدم إحاطة العقل الإنساني بتصوّر قدرته التي لا نهاية لها في الملك والعطاء والمنح.

وإن كل عنصر جزئي من العناصر السابقة يتكون أيضاً من وحدات صغرى هي الجمل التي وإن كانت واحدة منها تؤدي معنى مفيداً، فهي بتمامها منفردة، لا تشكل تصوّراً ذهنياً لمعنى العنصر المنسلة منه، إلاّ إذا أدمجت فيه مع بقية الوحدات الصغرى في السياق. لا على أساس ارتباطها بغيرها بحروف العطف أو غير ذلك من أدوات ربط، ولكن لتواشج الجملة مع غيرها بالتتابع الفكري المتدرج لتوضيح المعنى الجزئي الذي مثلناه بالحزمة الضوئية ذات الخيوط المتجانسة والمرتبطة بالحزم الأخرى ارتباطاً عضوياً غايته تسليط الضوء على جانب معين من جوانب النص، فالعنصر الجزئي الأول من النص السابق والذي يتضمن فكرة شكر الله سبحانه لِمَا أسبغه على عباده من نعم، مكّون من اثنتي عشرة جملة، أو وحدة معنوية

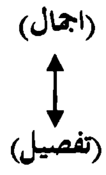
يمكن توضيح الترابط فيما بينها في التالي:



(*) خطب ٩٠، الفقرة ١. ولا يفره (بكسر الفاء، وضم الراء): لا يزيده ما عنده البخل. والجمود: البخل الشديد. ولا يكديه: لا يفقره.

إن الجمل في العنصر السابق قد تكاثفت لإبراز المعنى الجزئي بالتركيز على التقابل والتفسير والتوضيح والأخبار، مع اعتبار اختلاف أساليب التوصيل باختلاف طبيعة الموضوع، فالموضوع هنا في هذه الفكرة الجزئية، قد تميّز بتتابع الجمل الخبرية، دون اللجوء إلى التوكيد إلا في النادر، ومن الضرب الإبتدائي، لأن علياً عليه السلام يتحدث هنا عن بديهات يؤمن بها إيماناً يقيناً، كما أن من المفترض في المستمع إليه أن يكون مؤمناً بها، لذلك لم يكن في حاجة إلى استخدام أساليب التوكيد بقدر حاجته إلى استشارة انتباه مستمعه بأضرب من الأخبار الإبتدائية المتمثلة في غلبة الجملة الإسمية لأنها أوفق لتثبيت الحقائق وإصدار الأحكام لأنها غير مقيّدة بزمن كالجمل الفعلية، ولكنه قد يعمد، وبنفس النسق الذي بيّنّاه أو ما يقارب منه إلى التوكيد، وإلى التنقل بين الإنشاء والخبر إذا ما تطلبت طبيعة الموضوع لمثل ذلك.

وقد يعمد علي عليه السلام من خلال العناصر الجزئية إلى إبراز المعنى أو إيضاح الفكرة التي يريد إبلاغها، بطريقتي الإجمال والتفصيل، فيكثف الفكرة في جملة واحدة، ومن ثم يعود إلى تفصيلها واستقصاء دقائقها في جمل، من ذلك ما ورد ضمن وصيته لابنه الحسن:



«يَا بُنَيَّ اجْعَلْ مِنْ نَفْسِكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ
فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا
وَلا تَظْلِمْ كَمَا لاَ تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ
وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحسَنَ إِلَيْكَ

وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ
وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ مِنْ نَفْسِكَ
وَلاَ تَقُلْ مَا لاَ تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ
وَلاَ تَقُلْ مَا لاَ تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ»(١)

فقد طوى قوله «اجعل من نفسك ميزاناً»في مطلع الفكرة، كل المعاني الأخلاقية التي وردت ضمن الفكرة، في جمل قصيرة ذات تعبيرين متقابلين، مثلهما في ذلك مثل كفتي الميزان في تعادلهما.

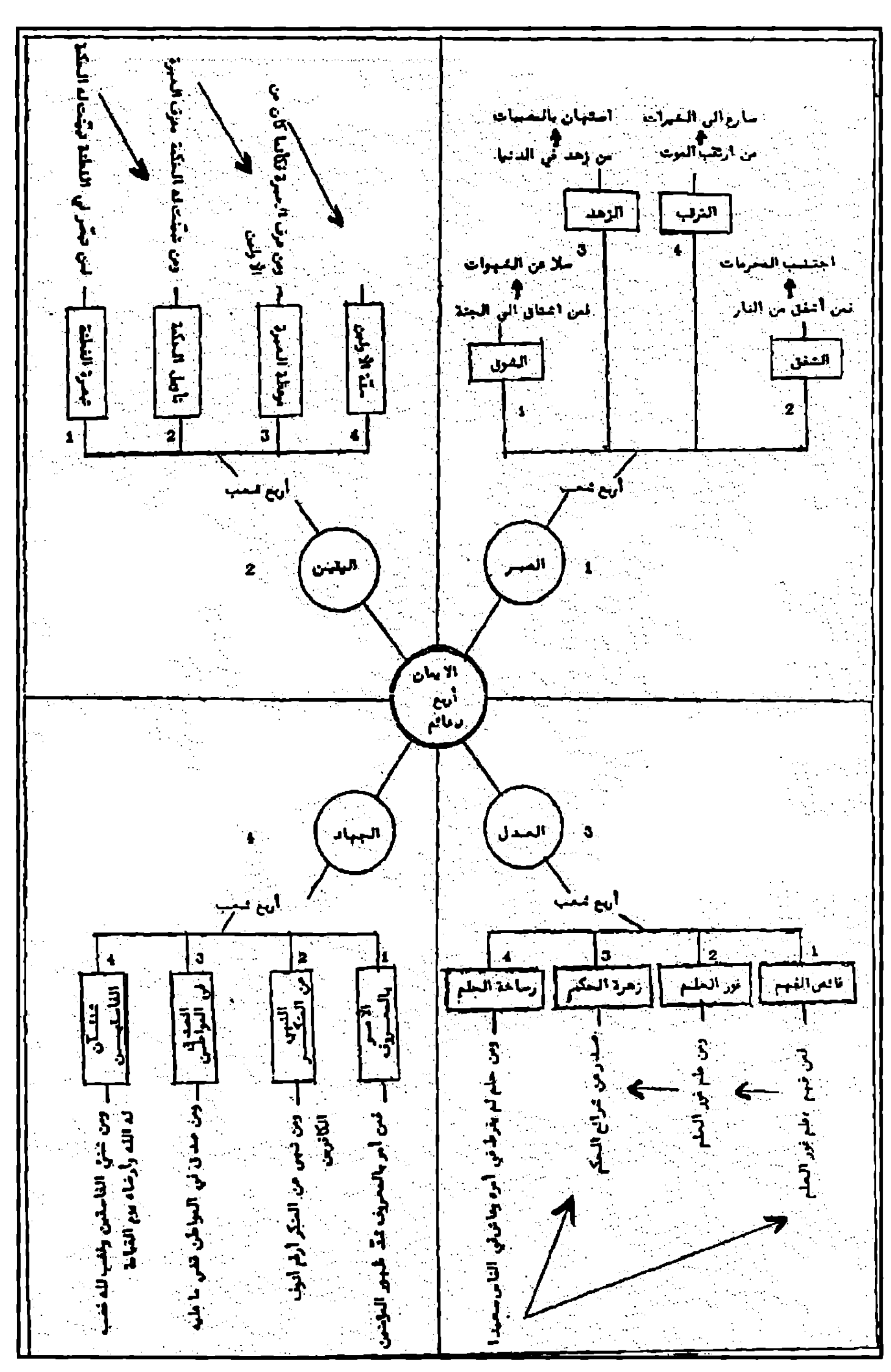
وعنصر الإجمال والتفصيل ذاك من العناصر الأساسية التي يعوّل عليها أي مفكر أو معلم في إبلاغ وجهة نظره، وتوصيل أفكاره، بتفتيقها إلى أجزاء يسهل الإلمام بها وفهم مضامينها، فهو تجزئة غير محددة ممّا يعني أن أسلوب التقسيم بما ينطوي عليه من محدودية، هو في حقيقته رافد من روافد الإجمال والتفصيل.

١ ـ خصائص التقسيم في النهج:

التقسيم هو تفصيل ما تنطوي عليه العبارة المجملة إلى أجزاء معدودة ومحددة في رقم يرد في صدر العبارة المجملة، ويراد به في الغالب التعليم، ولما كان الفكر في نهج البلاغة يعمد ـ في الأساس ـ إلى التعليم والتبليغ، فقد تألق التقسيم في نصوصه، من ذلك ما ورد في وصف الإيمان، كما يتضح من التالي:

---

(١) رسائل ـ ٣١ ـ فقرة ١٣.


الايمان
أربع
دعائم
الصبر 1
اليقين 2
العدل 3
الجهاد 4
أربع شعب
الشوق
الشفق
الزهد
الترقب
لمن اشتاق الى الجنة
سلا عن الشهوات
من أشفق من النار
اجتنب المحرمات
من زهد في الدنيا
استهان بالمصيبات
من ارتقب الموت
سارع الى الخيرات
غائص الفهم
نور العلم
زهرة الحكم
رساخة الحلم

(راجع: حكم — ٣١)

فالنص كما نلاحظ، قد بني على أربعة عناصر رئيسية وتضمن كل عنصر أربع وحدات جزئية، تركبت كل وحدة من أسلوب شرط تضمّن سبباً ونتيجة قائمة بذاتها، أو مرتبطة بالشرط التالي لها في سياق النص، ممّا أسبغ على الهيكل العام للنص ترابطاً فكرياً ومنطقياً فالتقسيم الرباعي من الدقة والإحكام بحيث صار مستقصياً لكل المعاني الجزئية التي أراد علي عليه السلام ابلاغها من خلاله.

وأسلوب التقسيم عند علي عليه السلام، لا يعتمد على تعداد المفردات للبلوغ بذلك غاية جمالية لأن الغاية البلاغية الجمالية، وان تجلت في روعة وبهاء، من خلال الأساليب، فإنها تأتي في مرتبة ثانية على اعتبار أن ما يرمي إليه علي عليه السلام، أبداً، هو توصيل المعاني تامة بكل شحناتها التعبيرية، فإذا كان علي عليه السلام قد استطاع ـ بعقليته الرياضية[1] ـ البلوغ بالتقسيم ضمن الجمل، الغاية في تقصي الأفكار، وجمع شتاتها، فإنه أيضاً قد تمكن من البلوغ به الدقة من حيث أداء المعنى أيضاً كما في قوله «يَا أَهْلَ الكُوْفَةِ، مُنِيْتُ مِنكُمْ بِثَلاَثٍ وَاثْنَتَيْنِ: صُمٌّ ذَوُوْ أَسْمَاعٍ، وَبُكْمٌ ذَوُوْ كَلاَمٍ، وَعُمْيٌ ذَوُوْ أَبْصَارٍ، لاَ أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلاَ إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ

(١) قد تحدثت كثير من المصادر من عقلية علي عليه السلام الرياضية وسرعة بديهته في الإجابة على مسائل حسابية تتعلق بالتقسيم العادل وبالإرث. راجع على سبيل المثال: الكليني ـ فروع الكافي ٧/ ٤٢٧، سبط بن الجوزي ـ تذكرة خواص الأمة ص١١٥ ضمن الخطبة المعروفة بالمنبرية، كما ذكر محمد تقي التستري في كتابه: قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ص١٧٥، الكثير من القضايا الرياضية التي أجاب علي عليه السلام عليها مشفعاً ذلك بذكر المصادر والأسانيد.

البَلاَءِ»[١]. فقد كان بامكانه أن يقول: منيت منكم بخمس، بدلاً من قوله (بثلاث واثنتين)، إلاّ أنه عدل عن ذلك، ليس لأمر بلاغي جمالي، ولكن ـ كما يتهيأ لنا من خلال فهمنا للنص ـ لغرض التوبيخ والتبكيت، والتفريق بين المعاني الخَلْقِيّةِ والمعاني الخُلُقِيّةِ من خلال التقسيم، فالثلاث الأول تضمنت معان خَلْقِيّةٍ، والإثنتان تضمنتا صفتين خُلقِيَّتَيْنِ، فالنظرة المتأملة في المعاني ساعة انبثاقها قد أتاح لها خصوصية التقسيم بما يناسبها.

ومن أبرز خصائص أسلوب التقسيم في النهج، إنه يمثل جانباً من الإنسجام الفكري الذي تتّسم به نصوصه بشكل عام، فبإمكان الدارس من خلال تتبعه لعناصر التقسيم ضمن نصوصها، أن يلّم بجوانب عديدة من ذلك الفكر العلوي. فأسلوب التقسيم الساخر، في قوله ضمن كتاب له لشريح القاضي». . . هَذا مَا اشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيْلٌ مِنْ عَبْدٍ قَدْ أُزْعِجَ لِلرّحِيْلِ اشْتَرَى مِنْهُ دَاراً. . . وَتَجْمَعُ هَذِهِ الدَّارَ حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ: الحَدُّ الأَوَّلُ يَنْتَهِي إلى دَوَاعِي الآفَاتِ وَالحَدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إلى دَوَاعِي المُصِيْبَاتِ، وَالحَدُّ الثَّالِثُ يَنْتَهِي إلى الهَوَى المُرْدِيْ، وَالحَدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إلى الشَّيْطَانِ المغْوِيْ»[٢]. هو تعبير عن الجانب الزهدي في فكره، كما أن أسلوب التقسيم في الشاهدين اللذين سبقا شاهدنا هذا، هو في الأول منهما تعبير عن مفهوم الإيمان وفي الثاني تعبير عن مفهوم حسن الطاعة والوفاء والصدق، بذكر المقابل. فالغاية الجمالية من التقسيم في أسلوب علي عليه السلام تنبثق عفوية في النصوص، لأن المعاني والأفكار ضمن الجمل هي غاية علي عليه السلام السياسية.

---

(١) خطب ـ ٩٦ ـ فقرة ٣.

(٢) رسائل ـ ٣ ـ فقرة ٣.

٢ ـ خصائص الإعتراض في النهج:

تتفق جلّ كتب النحو والبلاغة على تعريف الإعتراض بأنه «كلام في كلام لم يتمم معناه، ثم يعود إليه فيتممه»[(١)] . وهناك ثمة فروق بين نظرة النحوي وبين نظرة البلاغي إلى الإعتراض يمكن مراجعتها في مظانّها[(٢)]، على أن الذي يلفت النظر في وضع الإعتراض، اعتباره فرع من فروع علم البديع عند جلّ البلاغيين القدامى، واقتصار دراسة وضعه في الشعر باعتبار قيمته الجمالية[(٣)]، إلاّ أننا نعتقد أن القيمة الإيحائية للاعتراض هي التي تمنحه القيمة الجمالية، لأن الغاية الجمالية في النصوص النثرية الملتزمة تأتي في مرتبة تالية لفحواها الفكري، ممّا يحدو بنا إلى اعتبار الإعتراض، وان قلت نسبته، والتقسيم قبله، من خصائص علي عليه السلام ، لأن الجمل الإعتراضية ضمن سياقات نصوص النهج هي بمثابة الإشعاعات الكاشفة والمؤكدة لجوانب عديدة من فكر علي عليه السلام ، فالإعتراض في قوله ضمن جواب على رسالة من أخيه عقيل: «وَلاَ تَحْسَبَنَّ ابْنَ أَبِيْكَ/ وَلَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ/ مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً»[(٤)] قد أورده علي عليه السلام ضمن السياق ليحمله معاني الإصرار والثبات على المبدأ في كل الأحوال وتحت أية ظروف ممّا يتناسب تماماً ونهجه الفكري، لذلك فإن الإعتراض ضمن كثير من

---

(١) ابن المعتز ـ البديع ص٥٩. ويمكن مراجعة تعريف الاعتراض ووضعه وقيمته الجمالية عند كل من: ضياء الدين بن الأثير ـ المثل السائر ٣/ ٤٠. السلجماسي ـ المنزع البديع ص٤٤٩. نجم الدين بن الأثير ـ جوهر الكنز ص١٠٨.

(٢) راجع السابق.

(٣) السابق.

(٤) رسائل ـ ٣٦ ـ فقرة ٢.

النصوص لا يقتصر على مفردة أو جملة، إذ قد يستوعب من النص مساحة تقدر بعدة جمل، يحاول علي عليه السلام من خلال ادماجها في نسيج النص إلى ربط أجزاء الفكرة التي يتضمنها ذلك النص بغاية توضيح كل جوانبها، من غير أي اخلال ببنيته الفنية، من ذلك ما ورد من اعتراض بين القسم وجوابه في قوله: «فَوَ اللهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِيْنَ الوُلْهِ العِجَالِ / . . . / لَكَانَ قَلِيْلاً فِيْمَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ»(١)، فقد أدرج بينهما سبع جمل متعاطفة، بغاية تأكيد القسم وتوضيح جوانب الفكرة الكامنة فيه، والتي لا يمكن ادراكها إلاّ من خلاله، وإن كانت العبارة تامة من حيث البناء النحوي.

ومن ذلك أيضاً في مجال الربط بين الشرط وجوابه في قوله «هُوَ القَادِرُ الَّذِي إِذَا ارْتَمَتْ الأَوْهَامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ / . . . / رَدَعَهَا وَهْيَ تَجُوبُ مَهَاوِيَ سُدَفِ الغُيُوبِ»(٢)، فقد أدرج بينهما عبارة مركبة من أربع جمل ضمنها ما في وسعه من معاني عجز الإنسان عن معرفة كنه الخالق ومدى قدرته، ممّا جعل تلك الجمل ملتحمة من حيث أداء المعنى التحاماً تاماً ومتجانساً بالنص على أساس توكيد معانيه وايضاح ما غمض منها، بمحاولة تبصير المستمع بمحدودية قدرته إزاء قدرة خالقه، هذا علاوة على الإنسياب السهل والبسيط لتلك الجمل في نسيج النص، دون الشعور بأنها معترضة، إلاّ بعد تأمل في السياق، لأن اندماجها في البناء الفكري يزيل

---

(١) خطب ـ ٥٢ ـ فقرة ٢. ألوله: جمع واله، كل أنثى فقدت ولدها. والعجال: من الإبل التي فقدت ولدها.

(٢) خطب ـ ٩٠ ـ فقرة ٢. ارتمت الأوهام: انطلقت في خيالاتها. ومنقطع الشيء: منتهاه. وردعها: ردّها. والمهاوي: المهالك. والسدف: بضم السين وفتح الدال المهملة، جمع سدفة وهي القطعة من الليل المظلم.

عنها أية احساسات نفسية توحي بالإنتقال الفجائي أثناء القراءة أو السماع. فخاصية اندماج الجمل المتعاطفة في سياق الإعتراض من المميزات البارزة التي عوّل علي عليه السلام عليها لتوضيح فكره واجلاء الغموض عنه، ويرجع ذلك لإحساسه الدقيق بقيمة الإعتراض في توجيه المعاني الوجهة التأثيرية المناسبة، الأمر الذي جعل له ثراءه المعنوي في سياقاته المختلفة عنده.

فقد يرد الإعتراض في سياق النص متضمناً معنى الشرط المقرون فحواه بالتهديد إذا لم ينفذ، كما في قوله لأهل الشورى، بعد أن زويت عنه الخلافة بمبايعة عثمان «وَاللَّهِ لَأُسَلِّمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِيْنَ / مَا لَمْ يَكُنْ فِيْهَا جَوْرٌ إلاّ عَلَيَّ خَاصَّةً / إلْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ»[1] فقد ورد الإعتراض (ما لم يكن. . .) ليربط قبول علي عليه السلام وتسليمه بشرط بقاء حقوق كافة المسلمين مصانة وفي مأمن من الجور والظلم، ولو كان ذلك على حساب هضم حقّه الخاص كفرد، وسيبقى كافّاً يده ولسانه، ما بقيت تلك الحقوق مصانة.

كما قد يرد الإعتراض في سياقات نصوص النهج المختلفة متضمناً معنى الإستثناء والقصر، من ذلك «أَيُّها النَّاسُ، إيَّاكُمْ وَتَعَلُّمَ النُّجُوْمِ / إلاّ مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ / فَإِنَّهَا تَدْعُو إلى الكَهَانَةِ»[2]، فالإعتراض في (إلاّ ما يهتدى به. . .) قد ورد في السياق مستثنى من علوم النجوم الغيبية المعتمدة على الكذب والشعبذة، لكونه علماً له أصوله وقواعده الفكرية.

ويأتي الإعتراض ضمن نصوص النهج أيضاً تلافياً للبس قد يصيب

---

(١) خطب ـ ٧٣ ـ.

(٢) خطب ـ ٧٨ ـ فقرة ٢.

الجملة التي يرد فيها وهو ما يطلق عليه بعض البلاغيين مصطلح الإحتراز والإحتراس[١]، من ذلك ما ورد في قول علي عليه السلام ضمن تفنيده لزعم عمرو بن العاص بأنه ذو دعابة «لَقَدْ قَالَ بَاطِلاً، وَنَطَقَ آثِماً، أَمَا / وَشَرُّ القَوْلِ الكَذِبُ / إنّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، وَيَعِدُ فَيَخْلِفُ...»[٢]، فقد جاء الإعتراض (شر القول الكذب) ليكشف عن القيمة الحقيقية للكذب كعنصر من عناصر الرذيلة التي تمجها النفس الشريفة لأنها تثلم الخلق، وتنقص من مكانة الفرد، احترازاً من اعتباره دهاء وسياسة وحيلة يفتخر بها.

كما يورد علي عليه السلام أسلوب الإعتراض ضمن السياق محمّلاً اياه معنى التعليل، من ذلك قوله في رسالة لعامله على البصرة عثمان بن حنيف»... وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ وَيَقُودَنِي جَشَعِي إلى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ / وَلَعَلَّ بِالحِجَازِ أَوْ اليَمَامَةِ مِنْ لاَ طَمَعَ لَهُ فِي القُرْصِ، وَلاَ عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ / أَوْ أَبِيْتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِيَ بُطُونٌ غَرْثَى»[٣]، فبالإضافة إلى الدقة في ادماج أسلوب الإعتراض ضمن السياق التعبيري، وتعذر ملاحظته إلاّ بتأمل دقيق، فإنه قد ورد في نسيج النص ليبين السبب الذي يحول بين علي عليه السلام وبين تخيّره للأطعمة، وتمرغه في الملذات، مع قدرته على ذلك، وذاك بالطبع هو أسلوب تفكيره قولاً وعملاً.

وفي سياق تداعي الأفكار، قد يعمد علي عليه السلام إلى الإستدراك بالجملة

---

(١) راجع ـ جوهر الكنز ـ السابق ص١٢٨.

(٢) خطب ـ ٨٣ ـ.

(٣) رسائل ـ ٤٥ ـ فقرة ٢. والمبطان: المتخم، المملوء البطن. والغرثى: الجائعة، الخالية من الطعام.

الإعتراضية، مفصلاً اياه على الإستدراك بـ (لكن) لما في ذلك من قيمة تأثيرية في مجرى الأسلوب، فضمن تناوله لموضوع التجّار، وأهميتهم بالنسبة للمجتمع، في عهده الذي كتبه للأشتر، وبعد أو أوصاه خيراً بهم، يقول له متابعاً الكلام فيهم «وَاعْلَمْ / مَعَ ذَلِكَ / أَنَّ فِي الكَثِيرِ مِنْهُمْ، ضِيْقاً فَاحِشاً، وَشِحّاً قَبِيْحاً، وَاحْتِكَاراً لِلْمَنَافِعِ»[1]، فقد استدرك بشبه الجملة (مع ذلك) ما قبلها من كلام، حتى لا يأخذ الأشتر معاني مدح التجار على عواهنها فيترك لهم الحبل على غاربه.

فانبثاق الجملة الإعتراضية ضمن نسيج النهج ترد طواعية لحاجة ملحّة يفرضها البناء الفكري، ممّا يسمها بالثراء من حيث علاقتها بالمعاني والإندماج التام في نسيج النصوص من حيث البناء الأسلوبي، المعتمد على خصوصيات التكامل، والترابط والتفاعل، فيما بين التعابير وتسلسلها الفكري في توصيل المعاني، ممّا يحدو بنا إلى النظر في كيفية استخدام علي عليه السلام لعمليتي الفصل والوصل الأسلوبيين.

٣ ـ خصائص الفصل والوصل في أساليب نهج البلاغة:

يعتبر البلاغيون الفصل والوصل، أصل البلاغة[2] ويعرفونه بأنه «العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك

---

(١) رسائل ـ ٥٣ ـ فقرة ٢٤.

(٢) راجع: أبو هلال العسكري ـ كتاب الصناعتين ص٤٣٨. عبد القاهر الجرجاني ـ دلائل الإعجاز ص١٧٠، العلوي ـ الطراز ٢/ ٣٢. وقد اجتزأنا التعريف من كتاب عبد القاهر الجرجاني. نفس الصفحة.

العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد الأخرى»[١]، أي أنه سلوك المفكر والأديب للطريق الأمثل في التعبير عن الأفكار ونشرها، ممّا يجعل لكل متفرد فذ، سمات أسلوبية، فكما أن لكل إنسان أسلوبه المميّز في العيش والتعامل، فإن لكل متكلم طريقته الخاصة في التعبير عن آرائه ونمطاً معيناً يلتزمه في نظام تكوين جملة وترابط أطرافها. وبناء عليه فإن لاندماج الجملة في سياق نصوص نهج البلاغة خصائصها التي تميزها، وتطبعها من حيث الفصل والوصل بطابع يدل في مجمله، على توحد هندسة تنسيقها، لصدورها من مجرى نفسي واحد، ملتزم بنظام معين، يكاد يهيمن بإحكام متميّز على جلّ جمل النهج وتعبيراته في بنية نصوصه، مهما بلغ طولها، لاحساس مبدعها أثناء عملية الإبداع بمواضع تأثير العطف والقيمة النفسية والبلاغية للعدول عنه بالإستئناف، إذ يسعى علي عليه السلام في بنائه للجمل إلى التناسق النسبي فيما بينها أثناء أدائه للفكرة الجزئية التي عادة ما تكون ـ وفي كثير من الأحيان ـ متميّزة بالفصل، أي بالإستئناف، دون الإعتماد على حرف عطف بينما تتواصل جمل تلك الفكرة الجزئية فيما بينها بحروف العطف مبلورة اياها، مثال ذلك قوله «شُغِلَ مَنِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ أَمَامَهُ سَاعٍ سَرِيْعٌ نَجَا، وَطَالِبٌ بَطِيءٌ رَجَا، وَمُقَصِّرٌ فِي النَّارِ هوى اليَمِيْنُ وَالشِّمَالُ مَضَلَّةٌ، وَالطَّرِيْقُ الوُسْطَى هِيَ الجَادَّةُ، عَلَيْهَا بَاقِي الكِتَابُ، وَآثَارُ النُّبُوَّةِ، وَمِنْهَا مَنْفَذُ السُّنَّةِ، وَإِلَيْهَا مَصِيْرُ العَاقِبَةِ»[٢]، فمن الملاحظ أن الفقرة قد تكونت من فكرتين:

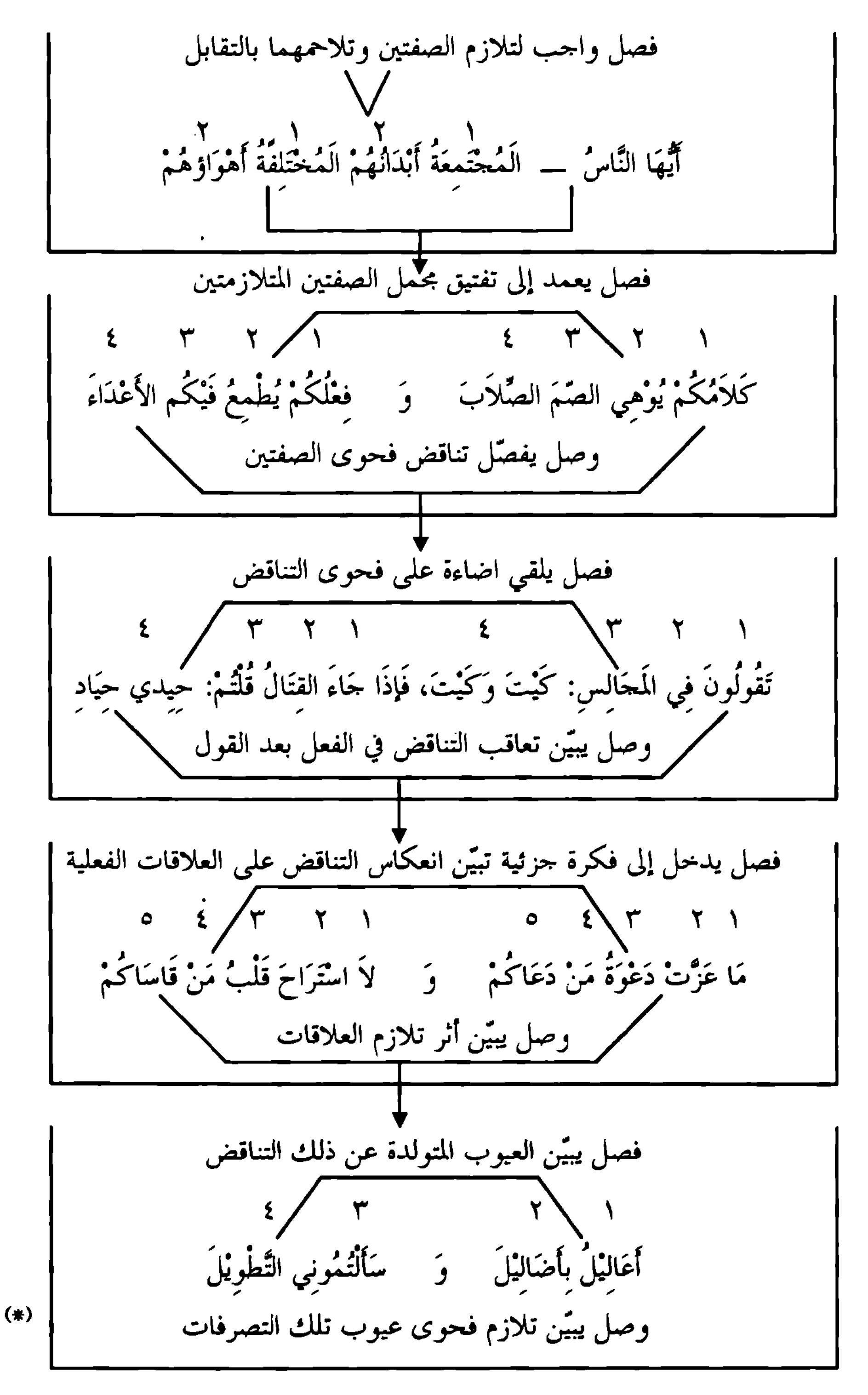
---

(١) راجع السابق.

(٢) خطب ـ ١٦ ـ فقرة ٢.

ـ الأولى: وفحواها تصنيف الناس بحسب عملهم الذي يوصلهم إلى الجنة، وقد ساقها علي عليه السلام ضمن نسيج الخطبة دونما عطف أو حتى استئناف، ثم إنه في بداية تفكيكها لتصنيف الناس من خلال جملها، جعل تلك الأصناف تنساب داخل الفكرة دون أن يشعرنا بالتقسيم لاعتماده على الإستيحاء المعنوي الكامن في فحوى الجملة الأمّ التي جاءت لتجمل الأصناف من خلال مصيرهم بين جنة ونار، ثم تجزأت إلى الأصناف التي تحتم عليه ربط بعضها البعض بواو العطف، لاشتراك الثلاثة بالإشتغال، بغض النظر عن المصير، فالفصل قد استوعب مطلع الفكرة ثم صدر تجزئتها، كما أن الوصل قد ربط جملها المتساوية نسبياً المبيّنة لاختلاف المصير.

ـ الثانية: فحواها طريق النجاة، وهي فكرة متممة لما تضمنته سابقتها من تصنيف للناس، لأنها تبيان للطريق الذي يجب أن يعرفه أولئك الأصناف الثلاثة ليؤدي بسالكه إلى النجاة، وهي المتمثلة في قوله «اليمين والشمال مضلّة، والطريق الوسطى هي الجادة»ومن الملاحظ أن علياً عليه السلام لم يربطها بسابقتها بحرف عطف، لأن استشعاره بدقة خصائص اللغة قد أتاح للفكرة الإرتباط من خلال المجرى النفسي دون اللجوء إلى استخدام الرابط اللغوي فالتصنيف الثلاثي في الفكرة الثانية مرتبط ومندمج ـ من حيث الغرض ـ مع تقسيم الفكرة الأولى ممّا جعلهما تتواشجان دون الحاجة إلى رابط لغوي، إلاّ أن التصنيف داخل الفكرة الثانية قد ورد مفصلاً باستخدام الوصل، لأن الجمل الجزئية قد سلك بها علي عليه السلام طابع التفريق من حيث البناء الأسلوبي في مطلع الفكرة فيما بين طريقي الضلال، وطريق الهدى المتوسط بينهما المرتبط بالمعاني الكامنة في حروف الجر (عليها، منها، إليها) ممّا حتم الوصل. فلو أردنا تحليل تراكيب معظم نصوص نهج البلاغة بقصد تتبع الفصل والوصل فيها لرأينا أنها تتخذ الشكل التالي:



(*) خطب ٢٩ ـــ فقرة ١

فإذا ما أخذنا تنسيق الجمل ضمن النص السابق كمثال لما عليه تنسيقها في معظم النصوص الواردة في نهج البلاغة، فسنجد أن تلك النصوص تعتمد في هيكلتها الداخلية على دعامات ثلاث أساسية هي:

* ١ ـ أن الأفكار الجزئية داخل تلك النصوص تترابط فيما بينها على الفصل في معظم الحالات، فلا يلجأ علي عليه السلام إلى الوصل باستخدام العطف في انتقاله من فكرة جزئية إلى فكرة جزئية أخرى إلاّ في القليل النادر، إذ يعمد في الربط بين الأفكار على العوامل النفسية كعنصر فعّال في جذب الأسماع وتوجيه العقول، بقصد التأثير فيها. وتوصيل أكبر قدر من شحنات الإقناع إليها.

* ٢ ـ التناسب في عدد الجمل ضمن الأفكار الجزئية المتفاصلة في أغلب الأحيان، فكما نلاحظ في المخطط السابق أن كل فصل أسلوبي قد احتوى على جملتين متواصلتين، وقد تزيد الجمل في العناصر الفكرية المتفاصلة، مع تساويها في العدد ضمن تتابع تلك العناصر في معظم الأحيان.

* ٣ ـ تناسب عدد كلمات الجمل المتواصلة فعطف الجمل على بعضها البعض ضمن الفكرة يمنحها خاصية التناسب في عدد المفردات.

وتكاد الخصائص الثلاث تلك تنجر على معظم ما ورد في النهج من خطب ونصوص أخرى تندرج في عداد الخطب، كالوصايا والأدعية وجانب كبير من رسائل الوعظ، إلاّ أن هناك نصوصاً قد تختلف في تناسق أفكارها من حيث تناسب عدد الجمل، مع ابقاء خاصة تناسب عدد المفردات في الجمل المتعاطفة، بقدر يمكننا اعتبارها معلماً أسلوبياً بارزاً يدل على التوحد

الأسلوبي في بنية نصوص نهج البلاغة بشكل عام، ويمكن ملاحظة تلك الخاصية، في الكثير من فقرات العهود والرسائل التي تعمد عادة إلى أسلوب تحليل الأفكار تحليلاً فكرياً يتطلب في كثير من المواضع فقرات طويلة، بجانب عبارات قصيرة، بسبب احتلال العاطفة مركزاً ثانوياً في مثل تلك النصوص، بينما يحتل العنصرالنفسي مركزاً رئيسياً في حفز الكلمة على التأثير في الخطب والوصايا، ممّا يتطلب التركيز في فحوى الجمل على التتابع السريع المؤثر، لتنطلق بشحناتها التأثيرية المتناسقة المتناغمة من أعماق الخطب مباشرة إلى أعماق قلب المستمع بمعان مؤثرة في كلتا حالتي الرضا والسخط والسرور والحزن. ولن يتأتى ذلك إلاّ من خلال معرفة أكيدة بأساليب اللغة والتحكم في توجهاتها الوجهة المناسبة وذلك ما نطمح إلى دراسته في التالي:

٤ ـ الأحكام في تنّوع الأساليب:

ان النظر في فحوى الجملة التأثيري ضمن سياق نهج البلاغة، ينطلق أساساً من تشكلها كأداة تعبير عمّا يصطرع بداخل علي عليه السلام من آمال وآلام، أثناء تعبيرها عن الفكرة الكامنة فيها بكل ملابساتها، أي أنها في ذات الوقت الذي تكون فيه بوتقة لتشكيل الفكرة واخراجها إلى حيز الواقع في كلمات، فإنها أيضاً تتضمن تعبيرات دقيقة عمّا يكتنف تلك الفكرة من جوانب تعبيرية نفسية تتعلق بالأداء في مختلف أشكاله. فالجملة بانسيابها في النص لا تعني ابلاغ معنى، أو شرح موقف فقط، بل تحاول من خلال سياقها النفسي الذي عادة ما يكون ممتزجاً بالسياق الأسلوبي، أن تعضد الإبلاغ ببثها في عناصره نفحات من الحرارة والصدق، متغلغلة في جزيئات

التعابير بتؤدة وهدوء تارة، وبتدفق وحماس تارة ثانية، وبانفعال وتبرم وغضب تارة ثالثة، وفي كل المواقف تبقى العبارات صامدة وقوية وأمينة في أدائها للمعاني، وتبليغها الأفكار، بالتنقل بها حسب ترددات النفس بين أمر واستفهام، ونداء وتعجب، وإنكار، وإخبار، يمكن للسامع أو القارئ أن يدرك مراميها ويتفاعل معها. فقول عليعليه السلام «إِنَّمَا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمْ بَدَنِي أَيَّاماً، وَسَتُعْقِبُونَ مِنِّي جُثَّةً خَلاَءً سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَاكٍ، وَصَامِتَةً بَعْدَ نُطْقٍ، لِيَعِظْكُمْ هُدُوئِي، وَخُفُوتُ إِطْرَاقِي، وَسُكُونُ أَطْرَافِي، فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ النُّطْقِ البَلِيْغِ وَالقَوْلِ المَسْمُوعِ، وَدَاعِي لَكُمْ وَدَاعَ امْرِئٍ مُرْصِدٍ لِلتَّلاَقِي، غَداً تَرَوْنَ أَيَّامِي، وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي، وَتَعرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوِّ مَكَانِي وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي»[1]، يسري فيه الهدوء المفعم بالأسى، فالفكرة ضمن جمل النص لم ترد لمجرد اخبار عن معاناة، ولكنها أيضاً تشيع في نفس السامع والقارئ تلك المعاناة بتركيب الجمل في سياقات تتفق وترددات القائل أثناء اندماجه في الموقف، فتداخل الزمن بين ماضٍ في (إنما كنت جاراً جاوركم بدني أياما) ومستقبل في (وستعقبون مني جثة خلاء ساكنة) هو في حقيقته إخبار عن لزوم الفائدة، بوصف الموت بكل أبعاده الزمنية والتركيز على ما يحويه من مضمون عملي مشاهد، قد يتعظ به المتأمل فيه، وقد وردت جملة الأمر في (ليعظكم هدوئي. . .) بمثابة النقلة النفسية والمتكأ الفكري الذي يرمي المحتضر إليه، ليتسنى له من خلال ذلك الوصول بمستمعه، لما كان عليه وجوده من قيمة لن يعرف أهميتها معاشره ومخالفة، إلاّ بعد فقده ولات حين ندم.

---

(١) خطب ـ ١٤٩ ـ فقرة ٢. وخلاء: خالية من الروح. والخفوت: السكون. والأطراف: الأيدي والرأس والأرجل. ومرصد: منتظر.

أمّا الهدوء المناسب في «اللّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِاليَسَارِ، وَلاَ تَبْذُلْ جَاهِي بِالإِقْتَارِ، فَاسْتَرْزِقَ طَالِبِي رِزْقِكَ، وَأَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ، وَأُبْتَلَى بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وافتتن بذم من منعني وأنت من وراء ذَلِكَ كُلِّهِ، وَلِيُّ الإِعْطَاءِ والمنع، إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيْرٍ»[1] هو تبتل فيه شموخ وكبرياء، وعزة نفس تأبى الخضوع وتصارع الخنوع إلاّ للخالق سبحانه، وقد ورد أسلوب الأمر في نسيج الدعاء معبراً عن خضوع نفس مؤمنة بخالقها، ترى السعادة في فضل عطائه، والنأي بالنفس من التذلل لغيره، ممّا أحال هدوء النص إلى ترنيمات أضفى عليها تمازج الإنشاء بالخبر نفحات مطمئنة، سعيدة في أحضان الرضا وفي كنف الإيمان الصادق الذي نحسّه من خلال العبارات.

أمّا التعبير في «الحَمْدُ للهِ وَإنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالخَطْبِ الفَادِحِ وَالحَدَثِ الجَلِيْلِ. . . أمّا بَعْدُ فَإنَ مَعْصِيَّةَ النَاصِحِ الشَّفِيْقِ العَالِمِ المُجَرَّبِ، تُورِثُ الحَسْرَةَ، وَتُعَقِبُ النَّدَامَةَ، وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الحُكُومَةِ أَمْرِي، وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُوْنَ رَأيْي، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لقصير أَمْرٌ»[2]، فبالإضافة إلى ما ينطوي عليه من لوم، فإنه مغلّف بهدوء مجلل بألم المؤمن الصابر في حالة الإخفاق فالعبارة وان انطوت على شعور بالخيبة، إلاّ أن بروز الجملة الدعائية في مطلعها، قد منحها بعداً ايحائياً ينطوي على معنى الصبر، واللوم بسبب العصيان في آن واحد والذي جسدته جملة التمثيل (لو كان

---

(١) خطب ـ ٢٢٢ ـ. وصُنْ وجهي: أحفظه من التعرض للسؤال. واليسار: الغنى. ولا تبذل جاهي: لا تسقط منزلتي من القلوب. الإقتار: الفقر.

(٢) خطب ـ ٣٥ ـ. الخطب الفادح: الأمر الشديد الثقيل. والحدث: ـ بفتح الحاء والدال المهملتين. الحادث: ويقصد به هنا ما أصدره الحكمان من حكم في دوبة الجندل.

يطاع لقصير أمر)، وقد أضفى عليها موقعها الإعتراضي بين جملتين خبريتين تلك المعاني المشبعة بالعتاب والتأسف لامتناع الكامن في لو المتصدرة جملة الإعتراض تلك.

أما قول علي عليه السلام في ردّه على أولئك الذين ناقشوه بشأن رفضه التحكيم في بداية الأمر والتمسك به بعد توقيع المعاهدة والمتمثل في «هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ العُقْدَةَ، أَمَا واللهِ لَوْ أَنِّي حِيْنَ أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى المَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللهُ فِيْهِ خَيْراً، فَإِنْ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ وَإِنْ اعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ، لَكَانَتِ الوُثْقَى، وَلَكِنْ بِمَنْ وَإِلى مَنْ، أُرِيْدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دِائِي، كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ؟، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ ضَلْعَهَا مَعَهَا، اللّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هَذَا الدَّوِيِّ، وَكَلَّتِ النَّزَعَةُ بِأَشْطَانِ الرَّكِيِّ، أَيْنَ القَوْمُ الَّذِيْنَ دُعُوا إلى الإِسْلاَمِ فَقَبِلُوهُ، وَقَرَأُوا القُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ؟»[1].

فتتراوح جملهُ في تعبيراتها، بين السخط والغيظ والأسى، فالأسف والندم

---

(١) خطب ـ ١٢٠ ـ. العقدة: ما حصل التعاقد عليه من محاربة الخارجين عند البيعة حتى يكون الظفر أو الهزيمة. والضلع: ـ بفتح الضاد المعجمة وتسكين اللام ـ الميل والقول مأخوذ من المثل العربي «لا تنقش الشوكة بمثلها، فإن ضلها معها» أي لا تستعن في حاجتك بمن هو للمطلوب منه الحاجة أنصح منه لك. الميداني ـ مجمع الأمثال ٣/ ١٨٢. ونقش الشوكة: إخراجها من العضو الداخلة فيه. والدوي: ـ بفتح فكسر ـ المؤلم الشديد، والأصل الداء الدوي وقد أقام الوصف مقام الموصوف. وكلّت: ضعفت. والنَّزَعَةُ: جمع نازع وهم الذين يغترفون من الآبار. والأشطان: جمع شطن وهو الجبل. والركي: مفرده ركية: البئر تحفر، وفسّر محمد عبده العبارة «أي ضعفت قوة النازعين لمياه المعونة من آبار هذه الهمم الغائضة الغائرة» شرح النهج ص٢٢٩، ط، الأندلس.

على عدم النـزوع إلى موقف حازم مستبد، قد ورد ضمن الأساليب الخبرية ضمن جمل الصدر، كما وردت الأساليب الإنشائية في السياق مجسّدة معاني الأسى والتعجب والإنكار الكامنة في أسلوب الإستفهام الذي حاول علي عليه السلام من خلاله تجسيد التناقض الفكري الذي يعيشه رجاله في مواقفهم من سياسته الدينية، ومن ثم التحوّل بمجرى الأسلوب إلى الإستغاثة والتبرم من واقع أولئك الذين يطارحهم المناقشة، ومحاولة الإنفلات من ذلك الواقع ببث الأسلوب شوقه من خلال الإستفهام الذي يحمل معاني المقارنة بين ما يتوق إليه من رجاله، وبين ما يعتصر قلبه من ألم سببه تماديهم في العناد والإصرار على الخطأ عن جهل. فسياق الجمل وان بدا عليه مظهر المناقشة بالأخذ والرد، إلاّ أنه ينطوي على معاناة لا متناهية، وصرخات مكبوتة ومشحونة بالغضب.

والتواشج بين الفكر وبث الحياة في التعبيرات، قد يصل إلى الذروة عند علي عليه السلام، بمزجه الأساليب الخبرية بالإنشائية مزجاً متلاحماً، تكاد ومضات الفكر تتلاشى فيه تحت وقع الإنفعال، إلاّ أن تمكن علي عليه السلام من الأخذ بزمام الكلمة، بسلس من قيادها، فتبقى نابضة بالفكرة مع ما يكتنفها من انفعال حاد، كما في قوله موبخاً أصحابه «مَا بَالُكُمْ؟ مَا دَوَاؤُكُمْ؟ مَا طِبُّكُمْ؟ القَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ. أَقَوْلاً بِغَيْرِ عِلْمٍ؟ وَغَفْلَةً مِنْ غِيْر وَرِعٍ؟وَطَمَعاً فِيْ غَيْرِ حَقٍّ»[1]. فأساليب الإستفهام الثلاثة الأولى المتتالية في السياق، تعني استحالة تقويمهم واستعصاء هدايتهم، ثم قوله (القوم رجال أمثالكم) توبيخ وتنبيه اكتسى صيغة الإستخبار بقصد الإستنهاض والتهوين من قيمة

---

(١) خطب ـ ٢٩ ـ.

العدو، تلاه عوده إلى استفهامات ثلاث انطوت على معاني الإنكار والتوبيخ، كل ذلك في سبيل بث الحمية في النفوس وارجاع الثقة إليها، فالفكرة وان غلب على تعبيراتها الإنفعالات النفسية فإنها أيضاً تنطوي على تأملات داخلية في حنايا النفس تحث على معرفة الذات وتقييم المقام. فالفكرة يتسلل في عباراتها على شكل ومضات نفسية تحفز المستمع على التجاوب المتزن.

وحين اقترح عليه بعض أصحابه العمل بالمفاضلة في توزيع المال من أجل كسب الرجال للبلوغ بهم إلى النصر، ردّ عليهم قائلاً «أَتَأْمُرُونِيْ أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالجَوْرِ فِيْمَنْ وُلِّيْتُ عَلَيْهِ؟ والله لاَ أَطُوُر بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيْرٌ، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً، لَوْ كَانَ المَالُ لِيْ لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وَالمَالُ مَالُ الله؟ أَلاَ وَإِنّ إِعْطَاءَ المَالِ فِيْ غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيْرٌ وَإِسْرَافٌ»[1]. فلقد كان في امكان علي عليه السلام أن يعبّر عن وجهة نظره الرافضة بأسلوب مباشر، ولكنه ترك ذلك حين بث الإستفهام معاني لاتعجب والإنكار إزاء ذلك الإقتراح المنطوي على اجحاف بحقوق الفقراء والضعفاء من الناس، تلا ذلك بقسم مؤكد، بقصد توضيح موقفه الفكري الثابت الذي لا يحيد عنه أبداً تحت أية ظروف، ومهما كان حجم المغريات التي سيجنيها لو تزحزح عنه قليلاً، ثم إن أسلوبي الخبر والإنشاء اللذان تليا القسم في السياق، قد أبانا نظرته الإنسانية إلى المال، بحيث يمكننا ملاحقة أساليب التعبير في الفكرة بتنقلها من استفهام إلى قسم، ثم إلى أسلوب خبري فاستفهام فخبر مؤكد، كل ذلك بغاية تجسيد الأفكار وصبغ تعبيراتها بالقيم الروحية حتى تتقبلها الذات في صيغة مبدأ أخلاقي ثابت ومقنع ومؤثر.

---

(١) خطب ـ ١٢٦ ـ. ولا أطور به: أي لا أمر به ولا أقاربه. وما سمر سمير: مدى الدهر.

وفي نقده المجتمع وكشف عيوبه يقول علي عليه السلام «اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ، فَهَلْ تُبْصِرُ إلاَّ فَقِيْراً، أَوْ غَنِيّاً بَدَّلَ نِعْمَةَ الله كُفْراً، أَوْ بَخِيْلاً اتَّخَذَ البُخْلَ بِحَقِّ الله وَفْراً، أَوْ مُتَمَرِّداً كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ المَوَاعِظِ وَقْراً؟ أَيْنَ خِيَارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ؟ وَأَيْنَ المُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ وَالْمُتَنَزِّهُونَ فِيْ مَذَاهِبِهِمْ؟ أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيْعاً عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ، وَالعَاجِلَةِ المُنَغِّصَةِ؟ وَهَلْ خُلِّفْتُمْ إلاَّ فِيْ حُثَالَةٍ لاَ تَلْتَقِي بِذَمِّهِمْ الشَّفَتَانِ اسْتِصْغَاراً لِقَدْرِهِمْ؟»[1]. فالملاحظ أن أساليب الإنشاء، وبخاصة الإستفهام منها قد أخذت بتلابيب الفكرة بأكملها إذ بدات بأسلوب الأمر (اضرب) بغاية التنبيه والكشف، ومن ثمّ ورد الإستفهام بقصد فضح العيوب الإجتماعية، ولفت النفوس إلى خطر استفحالها، تلاه استفهام ثان بـ (أين) بقصد الإستبعاد، واستفهام ثالث بـ (ليس)، الغرض منه الحنين والتأسي واستفهام رابع يحمل معاني التحقير والذم، إذ يمكن للمتأمل أن يكشف ضمن الفكرة النقدية تلك معاني التأمل والنصح والحنين والتبرم، ممّا أحال النقد ضمن النص إلى خلجات إنسانية متنوعة الإنفعالات متوحدة في صدورها من نبع فكري واحد غايته الإنسان وسعادته.

فبالنظر في فحوى نصوص نهج البلاغة، لن نعدم في كل نص منها نبضات روحية ممتزجة بالفكر، مضفية عليه الحيوية والتدفق، لأن كل تلك النصوص تحمل فكرة واحدة ثابتة محورها الإنسان وعلاقته بربه، وتفاعله في مجتمعه، وما ينطوي عليه ذلك التفاعل من حقوق وواجبات في ظل

---

(١) خطب ـ ١٢٩ ـ.

مجتمع آمن، فالفكرة بتنقلها في أساليب اللغة المختلفة ضمن نسيج النصوص، هي تعبير عن حال الإنسان في كل مراحله الحياتية، وعن علاقاته بمن حوله من حيث الأخذ والعطاء، فالذاتية التي صبغت الكثير من نصوص النهج، بتعبيرها عن آلام قائلها وقلقله وتبرمه وغضبه، ورضاه وسروره، ليست إلاّ تعبيرات موضوعية، غايتها الإنسان وهذه التعبيرات إذا ما نظرنا إلى فحواها الفكري مقروناً بالعوامل النفسية ضمن مناسباتها سنجد أنها في مجملها تشكل عنصراً من عناصر توحّد بنية النهج، كنص صادر عن أسلوب فكري واحد في مجرى نفسي واحد.

ب ـ الأحوال والجمل الحالية وخصائصها في نصوص النهج

تكاد كتب البلاغة العربية تفتقر إلى تعريف بلاغي للحال، كما أن التعريف النحوي لا يفي بالغرض في مجال دراستنا، لكونه توظيفاً للوضع التركيبي، ولكن بالإمكان استعارة التعريف الصوفي القائل بأن الحال «تركيب طبيعي معين فعّال، هو باطن في مقابل القول»[1]. إذ يمكننا تعريفه أدبياً على أنه تصوير لانفعالات داخلية، يمكن للأديب الفذ تجسيدها بالكلمة، ولما كانت جلّ نصوص نهج البلاغة تعالج جوانب إنسانية مختلفة لقد منحت الأحوال والجمل الحالية سياقاتها أبعاداً تأثيرية عميقة، ممّا أتاح لها أن تتبوأ مكانة بارزة في تلك النصوص، وفي باب الخطب والمواعظ خاصة، فقد تمكنا من احصاء ما يقارب من مئة وأحد

---

(١) المعجم الصوفي ـ ٣٣٤.

عشر حالاً وجملة حالية في ستة وثلاثين نصاً من باب الخطب[١]، وقد حوى أحد هذه النصوص ـ وهو طويل نسبياً ـ ما يقارب من أربعة وأربعين حالاً وجملة حالية[٢]، ونعتقد أن النـزوع لأساليب الحال بمثل هذه الكثرة يتناسب وموضوعات الخطب التي تعبر ـ بجانب مضامينها الفكرية ـ عن حالات نفسية مختلفة من خوف وسرور وتردّد وحزن ونكوص وتكبر وتواضع وهلع. ففي قول علي عليه السلام «عِبَادَ الله، الآنَ فَاعْمَلُوا، وَالأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، وَالأَبْدَانُ صَحِيْحَةٌ، وَالأَعْضَاءُ لَدِنَةٌ، وَالْمُنْقَلَبُ فَسِيْحٌ، وَالمَجَالُ عَرِيْضٌ»[٣] خمس جمل حالية، معطوفة على بعضها البعض بالواو، ممّا يعني المشاركة فيما بينها في معنى الإمكان وانتهاز الفرصة للعمل، وقد عمد الوعظ فيها على الإيحاءات النفسية الكامنة في تلك الآنية، التي قد لا يتمكن الإنسان من انتهازها حالة فواتها، فطلاقة الألسن، وصحة الأبدان، ولدانة الأعضاء، وسنوح الفرصة كلها حالات مرتبطة بحياة الإنسان الدنيوية

---

(١) راجع خطب ـ ١ ـ فقرة: ٢، ٥، ٦، ٧، ٨. وخطب ـ ٢ ـ فقرة ١ وخطب ٣ ـ فقرة ـ ا، ٢، ٣، وخطب ١٣، وخطب ١٨، وخطب ٢١، وخطب ٢٢ فقرة ٣، وخطب ٢٣ فقرة ٣، وخطب ٢٥ فقرة ١، وخطب ٢٦ فقرة ١، وخطب ٣٣ فقرة ٢، ٣، وخطب ٣٤ فقرة ١، وخطب ٣٦، وخطب ٣٧، وخطب ٣٩، وخطب ٤٠ وخطب ٤١، وخطب ٤٢، وخطب ٤٣ فقرة ١، وخطب ٤٥، وخطب ٤٧، وخطب ٤٨ فقرة ١، وخطب ٥٠ وخطب ٥١، وخطب ٥٢ فقرة ١، ٤، وخطب ٥٥، وخطب ٦٣، وخطب ٦٥، وخطب ٦٩، وخطب ٧٤، وخطب ٧٧، وخطب ٨٢ فقرة ١، ٤، ٥، ٧، ٨، ١٠، ١٢، وخطب ٨٣، وخطب ٨٥ فقرة ٢، وخطب ٨٦ فقرة ١، ٣، ٥، وخطب ٨٨.

(٢) راجع الخطبة ٨٢ ويمكنك استخراج أكثر ممّا استخرجنا منها من جمل حالية.

(٣) خطب ـ ١٩٠ ـ فقرة ٢.

المقترنة بزمن معين ومحدّد، ممّا يقتضي العمل الكامن في علاقة الإنسان بربه من ناحية، وعلاقته بالآخرين من حوله من ناحية أخرى. والعلاقات تلك قبل أن يمارسها الإنسان ممارسة عملية هي في حقيقتها مستكنة في ذاته، نابعة منها، وذلك ما تتمخض به الجمل الحالية من معان في تتابعها.

وقد يعتبر النحويون أن الأحوال مؤكدة في قول علي عليه السلام «وَاللَّهِ لأَنْ أَبِيْتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً، وَأُجَرُّ فِي الأَغْلاَلِ مُصَعَّداً، أحبّ اليّ من أن أَلْقَى الله وَرَسُولَهُ ﷺ يَوْمَ القِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ العِبَادِ»[1]، لأنها تنطوي على معاني الإلتزام، ولكن تأثيرها في سياق العبارة لا ينبع من توكيدها بقدر ما تنطوي عليه من شحنات نفسية متدفقة من أعماقه لتجسد صراعه مع الذات في سبيل المبدأ. فانسياب الأحوال والجمل الحالية في نهج البلاغة كمظهر عام من مظاهر أساليبه يعني ضمنا انتشار العناصر النفسية في جانب كبير من تلك النصوص الموجهة فكرياً للوعظ والإرشاد والإستنهاض ومقاومة الظلم، والحض على الخضوع لله وحده دون غيره من المخلوقات، لذلك كثرت الأحوال في الخطب، وقلّت في باب الرسائل والعهود بسبب غلبة الجانب العقلي على معظم أساليبها.

جـ ـ أسلوب الشرط وخصائصه في النهج

من مميّزات نهج البلاغة الأسلوبية أيضاً، شيوع الأساليب الشرطية في نصوصه بكثرة فقد ورد أسلوب الشرط في مئة وستة وأربعين نصاً من مجموع مئتين وأربعة وأربعين في باب الخطب، كما ورد في تسعة وأربعين

---

(١) خطب ـ ٢٢١ ـ. وحسك السعدان: شوك السعدان، والسعدان: نبت ترعاه الإبل له شوك. والمسهد ـ السهران.

نصاً من جملة تسعة وسبعين نصاً في باب الرسائل والعهود، وفي باب الحكم والكلمات القصار ورد الشرط في مئة واثنين وعشرين نصاً من جملة أربعمئة وتسعة وثمانين نصاً، وبلغ اجمالي الأساليب الشرطية في نسيج نصوص النهج تسعمائة وثلاثة وثلاثين جملة تقريباً، موزعة بسحب أدواتها كما هو مبيّن في الجدول التالي:

النصوص / الشرط	الخطب	الرسائل	الحكم
انْ	١٣٨	٨٦	٧٥
مَنْ	١١٤	٢٨	١٢٥
إذا	٧٣	٣٧	٩٩
لَوْ	٥١	١٣	١٤
مَا	١٦	٣	٧
لَوْلاَ	٥	٤	-
الأمر	٨	٧	١
إضمار	٧	١	-
لما	٣	-	-
كُلّما	١	-	٢
حيثما	٢	-	-
لا	-	٤	-
لن	٣	١	-
متى	١	١	٢
مهما	-	١	-

وهذا الكم الكبير من أساليب الشرط التي وردت ضمن نسيج النهج لعب دوراً أساسياً في إحكام نسيجه البلاغي، وفي قوة تعبيراته وعمقها الإبلاغي، فالشرط ضمن سياق المقولة «خَالِطُوا النَّاسَ مُخُالَطَةً، إنْ مُتُّمْ مَعَهَا بَكُوا عَلَيْكُمْ، وَإنْ عِشْتُمْ حَنُّوا إلَيْكُمْ»[1] لم يعد لمجرد الربط بين سببين ونتيجتين، بل ورد في السياق مفتقا فيه كل المعاني الإنسانية المفعمة بالحب في كل المراحل الحياتية الكامنة في الحنين إلى كل خير، وما بعد الموت الكامنة في الذكرى الطيبة التي تتأسى الإنسانية لفقدها وتتأسف، فالغاية الإبلاغية من خلال الذكرى والحنين، قد تجسدت في الصياغة البلاغية المبنية على المقابلة بين قيمة الإنسان الخيّر في حياته وبعد مماته، ممّا يعني خلود معاني الحب في كل الأحوال.

والمعرفة الحقيقية لقيمة الخير والحب، لا يمكن إدراكها بجلاء، إلاّ من خلال التمعن في مناقضها أو مقابلها، وهو ما يرمي علي عليه السلام اليه في أسلوب الشرط المضمن قوله «لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِيْ تَرَكَهُ، وَلَنْ تَأَخُذُوا بِمِيْثَاقِ الكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ وَلَنْ تَسْتَمْسِكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الّذِيْ نَبَذَهُ»[2] فالتقابل بين جزئي أساليب الشرط في العبارة هو توضيح بالتأمل في حقيقة المعرفة التي يريد علي عليه السلام تبصير أصحابه بها، وقد ورد الشرط في السياق موضحاً، ايّاها في عبارات تأملية مبنية على الفكر التعليمي الآخذ بنظرية التقابل في كشف الحقائق وتوصيل المعلومات، إذ إن وصف خصائص اللون الأبيض، لا يمكن أن يدركها

(١) حكم ـ ٩ ـ.

(٢) خطب ـ ١٤٧ ـ فقرة ٤.

المتعلم إدراكاً حسّيا، إلاّ بمقابلتها بخصائص اللون الأسود المقابل لها، فالشرط من الأساليب الأساسية التي اعتمدت عليها نصوص النهج في توصيل الأفكار، وقد تميّز في سياقاتها المختلفة بخصائص أربع، اثنتان تتعلقان بالمعنى، واثنتان تتعلقان بالشكل:

١ ـ التقابل:

فكثيراً ما يورد علي عليه السلام أسلوب الشرط مبنيا على التقابل الذي يرمي من ورائه إلى التعليم وكشف الحقيقة التي هو بصدد التحدث فيها، ويرد التقابل في جملة الشرط ضمن نصوص النهج على نمطين:

* **الأول**: التقابل في أسلوب شرطي واحد، بين الشرط وجوابه، كما جاء في وصف الدنيا «إنْ جَانِبٌ مِنْهَا اعْذَوْذَبَ وَاحْلَوْلَى، أَمَرَّ جَانِبٌ فَأَوْبَى»[(١)]، فقد ورد التقابل في العبارة بين (اعذوذب واحلولى) في الشرط، وبين (أمرّ جانب فأوبى) في الجواب. وعادة ما ترد مثل هذه المقابلات في أسلوب الشرط الواحد في النهج، لغرض توضيح الوجهين الحقيقين للشيء الواحد، فالدنيا التي عرض لها النص، لها وجه جميل قد يسعد الإنسان به ولكن لابدّ أن يعرف أيضاً أن للدنيا وجه آخر قبيح، ينطوي على الشقاء، والبؤس والعذاب وبمعرفة الإنسان للوجهين يدرك حقيقتها التي تمكنه من التأقلم مع كلا وجهيها.

* **الثاني**: التقابل بين جملتين شرطيتين متعاطفتين في سياق واحد، من ذلك ما جاء ضمن رسالة علي عليه السلام إلى أهل الكوفة يستحثهم على

---

(١) خطب ـ ١١٠ فقرة ١. وأوبى: صار كثير الوباء.

القدوم اليه عند مسيره إلى البصرة «وَإِنِّي أُذَكِّرُ الله مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ، فَإِنْ كُنْتُ مَحْسِناً أَعَانَنِي، وَإِنْ كُنْتُ مُسِيْئاً اسْتَعْتَبَنِي»[(١)] فقد قابل بين جملتي الشرط بغرض الموازنة العقلية بين مسلكين دون اللجوء إلى تحكيم العاطفة والجري وراء الهوى، ممّا يعني تضمين كل شرط ـ قائم بذاته ـ حكما مقابلا وهي خصيصة تكاد تكون شائعة في جلّ جمل الشرط المتعاقبة الواردة في نصوص النهج.

٢ ـ توظيف أساليب الشرط في النصوص

للتعبير عن خلجات النفس الإنسانية المختلفة من أسى وغيظ، كما في قوله ضمن تقريعه لأهل الكوفة «مَا هِيَ إِلاّ الكُوْفَةُ، أَقْبِضُهَا وَأَبْسِطُهَا إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلاّ أَنْتِ ـ تَهُبُّ أَعَاصِيْرُكِ، فَقَبَّحَكِ الله»[(٢)]، فأسلوب الشرط (ان لم تكوني. . .) قد عبّر عن حالة انفعالية غاضبة مشحونة بالأسى.

وهدوء مشوب بالحزن ضمن التنبؤات المستقبلية، كما في قوله ضمن إشادته بالرسول ﷺ وآل بيته «فَإِذَا أَنْتُمْ أَلَنْتُمْ لَهُ رِقَابِكُمْ، وَأَشَرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ، جَاءَهُ المَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ»[(٣)]، ممّا يعني أن الإستجابة للقائد، واتحاد الكلمة تحت إمرته ستأتي متأخرة وبعد فوات الأوان، وهو ما يحز في النفس ويجلب الحزن، وقد تضمن أسلوب الشرط (فإذا أنتم. . .) ذينك البعدين المعنوي والنفسي.

---

(١) رسائل ـ ٥٧ ـ. واستعتبني: طلب مني العتبى أي الرضا أي أن أرضيه بالخروج عن طاعتي.

(٢) خطب ـ ٢٥ ـ.

(٣) خطب ـ ٩٩ ـ.

وقد يورد علي عليه السلام أسلوب الشرط في السياق للشرح والتوضيح، كما في قوله المتعلق بالعمال ومراقبتهم ضمن عهده للأشتر «إِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إلى خِيَانَةٍ ـ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ ـ اكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِداً»(١)، فأسلوب الشرط (إن أحد. . .) ورد في السياق متضمنا الأسباب التي على أساسها يوقع الوالي بعماله الإداريين العقاب، وقد وردت الجملة الإعتراضية (اجتمعت. . .) ملتحمة تماما بالسياق الشرطي، خدمة للمعنى وتوضيح كل جوانبه.

تلك إذاً الميزتان المعنويتان لأسلوب الشرط في النهج، أمّا الميزتان الغالبتان على شكل أساليبه الشرطية فهما:

١ ـ التساوي في عدد مفردات الأساليب الشرطية المتعاقبة: فالكثير من أساليب الشرط الواردة في سياقات نصوص النهج متوالية، تتخذ طابع تساوي الكم التعبيري، من ذلك ما جاء في رسالة علي عليه السلام لعامله على البصرة، عثمان بن حنيف «لَوْ تظاهرت العَرَبُ عَلَى قِتَالِيْ، لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمْكَنَتِ الفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا»(٢)، فلقد وردت ألفاظ الجملتين الشرطيتين متساوية من حيث العدد باحتساب الضمير العائد على العرب في (رقابها) في الجملة الشرطية الثانية. ومن ذلك أيضاً قوله في ذم الدنيا «مَنْ وَطِئَ دَحْضَكِ زَلِقْ، وَمَنْ رَكِبَ لُجَجَكِ غَرِقْ، وَمَنْ آزْوَرَّ عَنْ حبائلك وُفِّقْ»(٣).

٢ ـ تقديم الجواب على شرطه: وهي من الظواهر التي تتكرر كثيراً في

---

(١) رسائل ـ ٥٣ ـ فقرة ٢١.

(٢)،(٣) رسائل ـ ٤٥ ـ فقرة ٣، ٤.

الأساليب الشرطية الواردة ضمن سياقات نصوص النهج، بغرض ابراز الأهمية الفكرية، هذا بالإضافة إلى القيمة التأثيرية التي يرجوها علي عليه السلام من وراء نزوعه لذلك، كما في قوله مقدما الفرع على الأصل، أو المهم على الأهم «لاَ قُرْبَةَ بِالنَّوَافِلِ، إذَا أَضَرَّتْ بِالفَرَائِضِ»[1] فقد قام جواب الشرط المتضمن النوافل أو الزوائد على الشرط المتضمن الفرائض والمقرون بـ (إذا) بغرض التهوين من قيمة مباشرة الإنسان الأعمال الفرعية على حساب أعماله الحياتية الأساسية. وكما في قوله ضمن التعبير عن ضيقه من مواقف أصحابه تجاه إمرته «مُنِيْتُ بِمَنْ لاَ يُطِيْعُ إذَا أَمَرْتُ، وَلاَ يُجِيْبُ إذَا دَعَوْتُ»[2]، فقد قدّم جوابي الشرط (لا يطيع ولا يجيب) على شرطيهما ليبيّن من خلالهما أن السبب في اخفاق سياسته وتألب الخارجين عليه، يرجع إلى عيب في المحيطين به من رجال غرس في نفوسهم العصيان والتمرد. كما وأن الفعل (منيت) قد بثّ في السياق معاني التبرم والضيق، ممّا زاوج بين ابراز الفكرة وما يكتنفها من تأثيرات نفسية.

وقد يستغني علي عليه السلام ـ في القليل من أساليبه الشرطية ـ عن ذكره الجواب، اعتماداً على فطنة السامع في استخلاصه كما في قوله لكميل بن زياد «إنَّ هَاهُنَا لَعِلْماً، لَوْ أَصَبْتُ له حمله»[3]، فقد استغنى عن ذكر جواب (لو) اعتماداً على السياق.

فأساليب الشرط بما تتضمنه من ثرائين بلاغي وابلاغي، يمكن

---

(١) حكم ـ ٤٩ ـ.
(٢) خطب ـ ٣٩.
(٣) حكم ـ ١٤٥ ـ فقرة ٥.

اعتبارها من الخصائص الأسلوبية الدالة على التوحد في بنية نهج البلاغة كنص فكري متكامل في صدوره من مجرى أسلوبي واحد.

د ـ التضمين في النهج وخصائصه

التضمين هو استنجاد بمقولات معروفة لدى السامعين، مقبولة عندهم لبلاغتها وجمالها، أو لشيوعها فيهم، فهو بالتالي وسيلة للاقناع والتأثير، لذلك عوّل علي عليه السلام عليه في الكثير من مأثوراته، ولكن بقدر الحاجة اليه كعنصر ذي أهمية في تفتيق المعاني ومنحها أبعادها التأثيرية أو التوضيحية. وقد أتاحت ثقافته الواسعة لتضميناته التنوع فأخذ الشعر بنصيبه الوافر منها، وتبوأ القرآن الكريم مكانة الصدارة، كما حظي المثل العربي بنصيبه أيضاً.

وقد تميز التضمين، بكل أنواعه، في مواضعه التي ورد فيها بميزتين:

الأولى: الإنسجام التام مع نسيج النص، بحيث لا يشعر السامع أو القارئ بأي اقحام أو أي تكلف في انسيابه ضمن السياق العام، سواء كان ذلك التضمين شعراً، كما في قوله لأصحابه ضمن سياق التمني «لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فِرَاس بْنِ غَنْمٍ (وافر)

هنالك لَوْ دَعَوْتَ أَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الحَمِيمِ»[1]

---

(١) خطب ٢٥ ـ فقرة ٢. وبنو فراس بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، حي مشهور بالشجاعة. راجع تاريخهم عند ابن أبي الحديد في شرحه للنهج ١/ ٣٤١ وما بعدها، والبيت لأبي جندب الهذلي، وورد ضمن ترجمته في الأغاني ٢١/ ٢٤٧ وما بعدها. وأرمية: جمع رمي وهو السحاب، والحميم في البيت، وقت الصيف، وإنما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لأنه أشدّ إسراعاً وارتحالاً.

فالبيت ملتحم تماما بسياقه التعبيري، منسجم مع معاني التمني، متمّم لها.

أو كان مثلاً عربياً مشهوراً، كما في قوله متهكما من معاوية «أَمّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذْكُرَ فِيْهِ اصْطِفَاءَ الله مُحَمَّداًﷺ وَتَأْيِيْدِهِ إِيَّاهُ بِمَنْ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَقَدْ خَبّأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً، إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرَنَا بِبَلاءِ الله تَعَالَى عِنْدَنَا، وَنَعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا، فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلى هَجَرٍ»[١]. فالمثل العربي «كناقل التمر إلى هَجَرٍ»[٢] باندماجه التام في السياق جاء بمثابة تفتيق واضاءة لمعاني الإستغراب والتهكم من معاوية لاخباره اياه ـ وهو ربيب الرسول ـ بمآثرهﷺ ومؤآزة أصحابهﷺ إياه في نشر الدين ومكانتهم منه.

ويبلغ التضمين بآي الذكر الحكيم ذروته في الأحكام والسلاسة وأداء المعنى، كما في قوله بشأن موقفه من الخارجين عليه من الأمويين وأشياعهم من أهل الشام «فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وَعَنْهُمْ مِحَنُ البَلْوَى، أَحْمِلْهُمْ مِنَ الحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ، وَإِنْ تَكُنْ الأُخْرَى (فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ، إِنْ الله عَلِيْمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)»[٣]، فقد أحكم عليعليه السلام تلاحم الآية الكريمة في السياق فأتت مندمجة فيه، ومكملة لفحوى أسلوب الشرط وما يرمي له

---

(١) رسائل ـ ٢٨ ـ فقرة ١.

(٢) الميداني ـ مجمع الأمثال ٣/ ٣٩. وهجر مدينة على ساحل الخليج العربي مشهورة بالنخيل فناقل التمر إليها للاتجار به خاسر، وقد ورد المثل عند الميداني «كمستبضع التمر إلى هَجر»

(٣) خطب ـ ١٦٣ ـ فقرة ٢. والآية من سورة فاطر / ٨.

من معاني التسليم بقضاء الله وقدره دون أسف أو ندم في حالة الإخفاق، شريطة التفاني في العمل والثبات على المبدأ حتى النهاية مهما كانت العاقبة.

الثانية: الثراء والتنوع في معاني التضمين: إذ لم يقتصر التضمين في نصوص نهج البلاغة على نواحي الإستشهاد وتعضيد المقولات الصادرة عن علي عليه السلام لتوكيد صحتها، أو اجلاء الغموض عنها، بل ورد في سياقات ذات الأغراض المختلفة حاملاً في طياته معاني متنوعة، تدل على مقدرة فائقة على تطويع العبارات المضمّنة، للاستجابة لما يراد منها من معان وايحاءات بادماجها بدقة متناهية في نسيج الفكرة، ممّا يتيح لها التعبير عن كل الأبعاد المعنوية والتأثيرية ضمنها، فتستحيل إلى تعبير ذي بعدين:

* **الأول**: البعد الحقيقي لعبارة التضمين والكامن في معناها الذي وضعت له أصلا.

* **الثاني**: بعدها الجديد المتولد من دمجها في سياق جديد يتناسب وما تحمله من معان وتأثيرات.

ويمكن ملاحظة ذينك البعدين لمعنى التضمين في قول علي عليه السلام للخوارج بعد اعلان النتيجة التي تمخض عنها التحكيم «قَدْ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الحُكُومَةِ أَمْرِي وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُوَن رَأْيِيَ (لَوْ كَانَ يُطَاعُ لَقَصِيْرٍ أَمْرٌ) فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إباءَ المُخَالِفِيْنَ الجُفَاةِ...»[1]. فقد ورد المثل العربي (لو كان يطاع

(١) خطب ـ ٣٥ ـ فقرة ٢. وأصل المثل «لا يطاع لقصير أمر» ـ الميداني ـ مجمع الأمثال ٣/ ١٩٨. وراجع قصة المثل عند الميداني أيضاً في: ١/ ٤١٣ وما بعدها. فيما جاء حول المثل «خطب يسير في خطب كبير».

لقصير أمر) ضمن نسيج النص حاملاً لمعناه الأصلي كمثل قديم مخصوص بحادثة معروفة تقال لمن لا يمتثل لنصح الناصح المجرب فيخفق، وبالإضافة إلى ذلك المعنى الأصلي فقد حمل في طياته ـ ضمن السياق الذي أورده فيه علي عليه السلام ـ معاني العتاب واللوم المقرونة بالحزن والأسى، وقد انضافت تلك المعاني إلى المعنى الأصلي لصلاحيته لذلك، ومقدرة علي عليه السلام الفائقة على استغلال تلك الصلاحية بادماج المثل في الموضع المناسب له. فتفاعل علي عليه السلام مع أساليب اللغة، واحساسه في توجيه تعبيراتها جعل التضمين في النصوص المأثورة عنه يستجيب لكل غرض بلاغي يرمي إلى التعبير به عن فكره، فمن أغراض التضمين التي أثرت عنه:

ـ أغراض التضمين في مأثورات علي عليه السلام:

* **التمثيل والتصوير**: كما في قوله ضمن توبيخ أصحابه على تقاعسهم عن القيام بواجب الجهاد«. . . فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الجَمَلِ الأَسَرِّ، وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النِّضْوِ الأَدْبَرِ ثُمَّ خَرَجَ إليَّ منكم جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ (كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إلى المَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ)»[1]، فقد وردت الآية الكريمة ضمن السياق لتضفي على التشبيه فيه أبعاداً مأساوية مؤلمة محزنة.

---

(١) خطب ـ ٣٩ ـ فقرة ١. والجرجرة: صوت يصدره البعير من حنجرته تعبيراً عن الألم أو احتجاجاً عند عسفه. والجمل الأسر: المصاب بداء السريرة، وهو وجع يأخذ البعير في مؤخؤة كركرته من دبره، أو قرح يكاد ينقب جوفه، والنضو المهزول من الإبل، والأدبر المصاب بالدبرة، قروح أو جروح في ظهر الجمل وسنامه. والآية من سورة الأنفال / ٦.

* **تبيان الحال**: كما في قوله ضمن تصوّره لصفات الملائكة «لاَ يَنْتَحِلُون مَا ظَهَرَ فِي الخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ، وَلا يَدَّعُون أَنَّهُمْ يَخْلِقُوَن شَيْئاً مَعَهُ مِمَّا انْفَرَدَ بِهِ، بَلْ عِبَادٌ مُكَرَّمُوْن (لاَ يَسْبِقُوْنَهُ بِالقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُوْنَ)»[1]، فالآية الكريمة ضمن السياق وصف لحال الملائكة تجاه الخالق سبحانه.

* **التذكير والتخويف ضمن الوعظ**: كما ورد عنده ضمن حديثه عن الدنيا «اتعظوا فيها بالذين قالوا (من أشدّ منّا قوة) حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركبانا، وانزلوا إلى الأجداث، فلا يدعون ضيفانا»[2].

* **التحديد ورفع اللبس**: من ذلك حديثه عن نفسه وآل بيته «بِنَا يُسْتَعْطَى الهُدَى، وَيُسْتَجْلَى العَمَى، إنَّ (الأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ) غُرِسُوا فِي هَذَا البَطْنِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، لاَ تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلاَ تَصْلُحُ الوُلاَةُ مِنْ غَيْرِهِمْ»[3] فقد أورد حديث الرسول صلى الله عليه وآله «الأئمة من قريش» ضمن السياق ليوضح من خلاله أن المعنيين بقريش في الحديث هو وآل بيته دون غيرهم من عامة قريش.

* **التحضيض والتحبيب**: كما في قوله ضمن وصيته لمّا ضربه ابن ملجم «إنْ أَعْفُ فَالعَفْوُ لِيْ قُرْبَةٌ، وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ، فَاعْفُوا (أَلاَ تُحِبُّونَ أَن

---

(١) خطب ٩٠ ـ فقرة ٥. ولا ينتحلون: أي لا يدّعون باطلاً، والآية من سورة الأنبياء / ٢١.

(٢) خطب ١١٠ ـ الفقرة الأخيرة، والآية من سورة فصلت / ١٥. ولا يدعون ركباناً: أي لا يقال لهم ركبان، جمع راكب، لأنهم أخذوا إلى قبورهم غير مختارين، والراكب عادة ما يكون مختاراً. والأجداث: جمع جدث: القبور.

(٣) خطب ـ ١٤٤ ـ فقرة ٢. راجع مصدر الحديث الشريف في ص١٨٧ من هذا البحث.

يَغْفِرَ الله لَكُمْ)، »(١). فقد أورد الآية الكريمة ضمن السياق تحبيباً للعفو وحضّا عليه.

* **الدعاء والتبتل**: إذ تكثر الأدعية المتضمنة طلب رضا الخالق وعفوه والإعتماد على منه وكرمه دون المخلوقين، وعادة ما يوظف علي عليه السلام كل طاقاته اللغوية المشحونة بالحب الصادق والإيمان المتين ضمن تلك الأدعية، مستنجداً بتضمينها بآيات قرآنية كما في قوله ضمن دعاء له كان يقوله كلما همّ بلقاء العدو «اللّهُمَّ إنّا نَشْكُو إلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا، وَتَشَتُّتَ أَهْوَائِنَا (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ)، »(٢)، فلقد وردت الآية الكريمة ضمن نسيج الدعاء لتنشر في جنباته مسحة من الإيمان فحواها الإستنجاد بالخالق في النزوع إلى الحق، وطلب معونته في سلوك جادته.

* **الإصرار على المبدأ والثبات عليه في كل الأحوال**: من ذلك ما كتبه لأخيه عقيل بن أبي طالب ضمن ردّه على رسالة يخبره فيها بتمالي قريش على افشال حكومته ويسأله عن موقفه منهم «وَلاَ تَحْسَبَنَّ ابْنَ أَبِيْكَ ـ وَلَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ ـ مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً وَلاَ مُقِرّاً لِلضَّيْمِ وَاهِناً، وَلاَ سَلِسَ الزِّمَامِ لِلْقَائِدِ، وَلاَ وَطِيءِ الظَّهْرِ للرَّاكِبِ الْمُتَعَقِّدِ، وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سَلِيْمٍ: (طويل)

فَإِنْ تَسْأَلِينِي كَيفَ أَنْتَ فَإِنَّنِي ... صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيبُ
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تُرَى بِي كَآبَةٌ ... فَيَشْمَتُ عَادٍ أَوْ يُسَاءُ حَبِيبُ»(٣)

---

(١) رسائل ـ ٢٣ ـ فقرة ٢. وقربة: تقرّباً إلى الله، والآية من سورة النور / ٢٢.

(٢) رسائل ـ ١٥ ـ والآية من سورة الأعراف / ٨٩.

(٣) رسال ـ ٣٦ ـ فقرة ٢. والبيتان منسوبان للعباس بن مرداس ـ شرح بن أبي الحديد =

فقد ورد البيتان في السياق لتعضيد معاني الإصرار والثبات على المواقف في كل الأحوال.

* **البرهنة ضمن الجدل**: من ذلك ما ذكره علي عليه السلام من آيات كريمة ضمن ردّه على كتاب ورد اليه من معاوية مدّعيا فيه عدم أحقية علي عليه السلام بالخلافة وأنه يحاول ابتزاز المسلمين أمرهم «وَكِتَابُ الله يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا وَهوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (وَأُولُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ الله)»وَقَوْلُهُ تَعَالَى «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ والله وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ»فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالقَرَابَةِ وَتَارَةً أَوْلَى بِالحَقِّ وَالطَّاعَةِ»[(١)]، فالآيتان الكريمتان قد وردتا في السياق للبرهنة على بطلان ما تضمنته رسالة معاوية من مزاعم في حقّه.

* **السخرية والتندّر**: منه ما جاء ضمن ردّه على كتاب معاوية الذي قال فيه بتفضيل أبي بكر وعمر وعثمان على علي عليه السلام «وَمَا أَنْتَ وَالفَاضِلَ وَالمَفْضُولَ وَالسَّائِسَ وَالمَسُوسَ وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ وَالتَّمْيِيْزَ بَيْنَ المُهَاجِرِيْنَ الأَوَّلِيْنَ وَتَرْتِيْبَ دَرَجَاتِهِمْ وَتَعْرِيْفَ طَبَقَاتِهِمْ، هَيْهَاتَ، (لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا)،»[(٢)]، فالتضمين بالمثل العربي «لقد حنّ. . .»قد ورد

= ١٦/ ١٥٣ وراجع ترجمة العباس بن مرداس عند: ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ٤/ ٢٧١، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٢/ ٦٣٢، ترجمة رقم ١٧٧، والسلس ـ بفتح السين وكسر اللام ـ السهل. والوطيء: الليّن. والمتقعد: الذي يتخذ ظهر الدّابة مقعداً يستعمله في كل حاجة. والصليب: الشديد.

(١) رسائل ٢٨ ـ فقرة ٣. والآيتان على التوالي ـ الأنفال / ٧٥، آل عمران / ٦٨.

(٢) السابق ـ فقرة ١. والمثل (حنّ قدح ليس منها) يضرب للرجل. . . يتمدح بما لا يوجد فيه ـ الميداني ـ مجمع الأمثال ١/ ٣٤١، وحنّ: سمع له صوت، والقدح ـ بكسر=

ضمن تذكير معاوية بمنـزلته في الإسلام كتعبير عن السخرية منه، لطرحه قضية هو غير مؤهل للخوض فيها، لأنه غريب عنها جاهل بحقيقتها.

* **بث الحماس واشاعة الطمأنينة في نفوس المحاربين**: كما ورد في قوله ضمن خطبة له في صفين «فَصَمْداً صَمْداً، حَتَّى يَنَجَلِّيَ لَكُمْ عَمُودُ الحَقِّ (وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ والله مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ)»[1]، فالتحام الآية الكريمة بالسياق قد منحه أبعاداً عميقة من معاني الحماس الصادق المتفجر بقيم الإيمان لما تزخر به من معاني العلو والأحقية والمؤآزرة .

كما يرد التضمين عند علي عليه السلام محمّلاً بمعاني التهديد والوعيد[2]، أو الندم جرّاء التفريط في الأمور الهامة[3]، أو لبيان أهمية الشيء وقيمته[4]، إلى غير ذلك من معان ثرّة تجلوها المناسبة، فتجعلها أبداً بيّنة ناصعة، لكونها موظفة توظيفاً محكماً في تعبيرات صادقة نابعة من تجربة واحدة بكل تفرّعاتها الحياتية.

وقد أبرز ذلك الإنسجام بين الفكر وبين الأساليب التعبيرية التي استوعبته خصائص فنية مميّزة نعرض لأبرزها في الفصل التالي.

= القاف المعجمة وسكون الدال المهملة ـ: السهم، وإذا كان السهم مختلف عن بقية السهام، كان له عند الرمي صوت يخالف أصواتها.

(١) خطب ٦٥ ـ والآية من سورة محمد / ٣٥. ولن يتركم ـ بفتح الياء وكسر التاء وفتح الراء: لن ينقصكم شيئاً من جزائها.

(٢)،(٤) راجع خطب ٧٠، وخطب ٩٠ فقرة ٢، وخطب ٨٦ فقرة ٣، ٤.

الفصل الثالث

أبرز الخصائص الفنية في نهج البلاغة

عرض شرّاح نهج البلاغة إلى الكثير من الخصائص الفنية والبلاغية التي تميّز بها أسلوبه؛ فابن أبي الحديد قد وقف ـ في شرحه المطول ـ عند الكثير من الظواهر الفنية البيانية والبديعية، مبديا رأيه فيهما، مستعينا في ذلك بذوقه الفني، بالإضافة إلى استعانته بآراء من سبقه من البلاغيين، إلاّ أنه لم يتناول إلاّ الجزئيات دون التعمق في تأثيرها داخل النصوص.

فمن حيث الخصائص البيانية[1] وقف عند الكثير من الإستعارات

---

(١) راجع شرح النهج ٦/ ٣٧٨ حول بلاغة علي عليه السلام. و١١/ ١٥٣ أثر كلام علي عليه السلام في نفس الشارح. ولقد أورد الشارح أيضاً فصولاً بلاغية كثيرة أثناء تعرضه لمعالجات مثيلاتها في نصوص النهج، من ذلك ما جاء في ٢/ ١٠٣ وما بعدها و١٧٠ وما بعدها و٤/ ١٥٣ وما بعدها و٥/ ١٥ وما بعدها و٧/ ١٨٤ وما بعدها و١٩٦ وما بعدها و٣١١ وما بعدها، و٨/ ٣٧٦ وما بعدها.

والتشبيهات والكنايات، مبيّناً من خلال كل ذلك قدرة علي عليه السلام الفائقة على صياغتها، إلاّ أنه لم يتطرق إلى أثرها في السياقات التي وردت فيها، لأنه لم يعالج تلك الظواهر الفنية إلاّ منفردة وكأنها وحدات أسلوبية قائمة بذاتها لا تمت إلى السياقات التي وردت فيها بأية صلة إلاّ من حيث تداعي الأفكار وترابط الأساليب، ذلك بالنسبة إلى الظواهر البيانية البارزة، أما بالنسبة إلى التصويرات الفنية المعتمدة على التأثيرات النفسية من خلال شحذ طاقات الكلمة فقد تحدث عن أثرها في نفسه[١] دون أن يدخل في الخصائص التي تمكنه من استجلاء المميزات التي جعلت تأثيرات تلك التعبيرات الفنية تبلغ المدى في هزّ أعماق متلقيها كما أنه قد بيّن الكثير من البديع المعنوي والآخر اللفظي الذي ورد في سياقات النهج[٢] ولكنه لم يحاول أيضاً تبيان تأثيراتها الإيحائية في معاني النصوص، وقد تبعه في ذلك أيضاً ميثم البحراني الذي أورد في شرحه الكثير من الظواهر البيانية والبديعية دون أن يستجلي تأثيراتها النفسية وخصائصها الإبداعية في نسيج ما وردت فيه من نصوص. ثم إن كلا الشارحين لم يحاولا توضيح الخصائص المميزة للتناول الفني في النهج كنص متوحد الأسلوب من حيث صدوره من مجرى نفسي واحد، لانصباب نظرتيهما أثناء شرح النصوص على أنها وحدات مجزأة، كل نص قائم بذاته، ولا يمت بصلة إلى النصوص الأخرى، إلاّ من حيث الإنتساب إلى علي عليه السلام، دون محاولة البحث في الصلات الفنية الداخلية التي ترابط بين تلك النصوص

---

(١) راجع السابق.

(٢) السابق.

من حيث البنية الدالة على انتمائها إلى قائل واحد. وهذا ما سنحاول دراسته أثناء تعرضنا لأبرز المميزات الفنية في النهج متعرضين إلى ذلك في محورين أساسيين هما:

* ـ الأول ـ أهم المميزات الخاصة بالصورة في النهج

* ـ الثاني ـ أهم المميزات الخاصة بالموسيقى في النهج

على أننا في دراستنا هذه لا نحاول الفصل بين الصورة والموسيقى كظاهرتين متباعدتين، لكونهما ـ في نظرنا ـ تشكلان معاً الخصائص الفنية التي حاول علي عليه السلام على أساسها صياغة فكره وإجلاء رؤاه والتعبير عمّا يعتقده ويؤمن به، ممّا يعني أن الفكر وصياغته الأسلوبية بشقيها المعنوي والفني، متلاحمان ومترابطان بحيث لا يمكن النظر في ناحية من نواحي النص أو خصيصة منفصلة، لكون النص بأفكاره ومعانيه وخصائصه الفنية نابعاً من معين واحد، فدراستنا للخصائص الفنية في النهج، قد تبدو عسيرة وصعبة إذا ما حاولنا النظر فيها كخصائص قائمة بذاتها، ثم أنها من ناحية ثانية واسعة جدّا إذا ما حاولنا تتبعها في بنية نهج البلاغة بأكمله، لذلك فسنقصر الدراسة على إبراز أهمّ الملامح الفنية، دون التعرض إلى الجزئيات التي عالجها الأقدمون من الشرّاح، ناظرين في ذلك إلى مجموع الخصائص الفنية بما يمتزج بها من انفعالات، على أساس أنها صور وموسيقى وإيقاع يكمن بداخلها التشبيه والإستعارة والمجاز، وجلّ المحسنات البديعية.

١ ـ أهم المميزات الخاصة بالصورة في النهج

ترد الصورة الفنية في نصوص نهج البلاغة مرتبطة ارتباطاً وثيقا

بمضامينها الفكرية، ذائبة في نسيجها، مضفية عليها الحيوية نائية بالأساليب فيها عن الجفاف والجمود الذي عادة ما ينتاب المعاني المجردة، وهذا لا يعني أن علياً عليه السلام يعمد إلى استجلاب الصورة بتكلف، ولكنها ترد في سياقات النصوص منسابة طيعة لتفرض وجودها من خلال الموقف، مضفية على المعاني الفكرية أبعاداً تأملية تبلغ بالفكر مداه في التألق.

يتحدث عن أسلوبه في العيش ضمن رسالة كتبها لواليه على البصرة، يؤنبه فيها على تصرف غير لائق بدر منه فيقول «وكأني بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: إِذَا كَانَ هَذَا قُوْتُ ابْنِ أَبِيْ طَالِبٍ، فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الأَقْرانِ وَمُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ، أَلاَ وإنّ الشَّجَرَةَ البَرِيَّةَ أَصْلَبُ عُوْداً وَالرَّوَائِعَ الخَضِرَة أَرَقُّ جُلُوداً، وَالنَّبَاتَاتِ البَدَوِيَّةِ أَقْوىَ وُقُوداً، وَأَبْطَأُ خُمُوداً»[1] فقد عمد إلى الأسلوب الكنائي، مبيّناً من خلاله قناعته بالقليل، في مقابل تهالك واليه على ما دعي له من لذيذ الطعام، مشبّها نفسه في صبره وجلده واحتماله بالشجرة البريّة التي تستطيع مقاومة العوامل الطبيعية تحت أية ظروف ومشبّها واليه في عدم قدرته على التماسك والإتزان إزاء مغريات الحياة من لذيذ الطعام بالشجرة الحضرية غير المذكورة في السياق، مع ملاحظة انبجاس الصورة بكل تعقيداتها ضمن السياق في عفوية تامة، آخذة بما يناسبها من إيقاعات تعبيرية ضمن المقارنة بالتقابل بين الصلابة والرّقة مع تناغم سلس في الفواصل المتقابلة (أصلب عوداً، أرق جلوداً، أقوى وقوداً، أبطأ خمودا). فتمازج الفكرة بالصورة في نسيج النص، أكسبها عمقا بما أسبغته الصورة من ألوان مناسبة من ناحية، وخاصية الثراء

---

(١) رسائل ٤٥ ـ فقرة ٣.

الإيحائي من ناحية أخرى، علاوة على ذلك انسيابها في نسيج النص بالفصل[1] على اعتبار تتابع الكلام في مجراه النفسي بانتقاله من الحديث عن نفسه إلى المقارنة بين الشجرتين دون اللجوء إلى العاطف بالإضافة إلى الإلتفات[2] بانتقاله من حديث إلى آخر بقصد توكيد الفكرة المطروحة ودعمها، وهو ما يدعم مقولتنا بانبثاق الصورة ضمن السياق مرتبطة بالفكرة عن طواعية، ولحاجة ملحة تقتضيها المناسبة لإضاءة الفكر وكشف جوانبه والنأي به عن الجفاف.

ومن أجل الوقوف على أهم خصائص الصورة في نصوص النهج لاستجلاء أبعادها ووظائفها يقتضي منّا ذلك دراستها في النقاط التالية:

١ ـ انبعاث الصورة في النهج وتأثيرها:

تسعى الصورة ـ ضمن نصوص النهج ـ إلى التجسيد بغرض التأثير، والنزوع إلى مواقف التزامية معينة أشرنا اليها في أبوابها وبمعنى أوضح، فإنّ الصورة لا ترد ضمن تلك النصوص إلاّ من أجل خدمة الأفكار وتدعيمها على اعتبار أن ايحاءاتها جزء لا يمكن بتره من تلك الأفكار، فجلّ نصوص النهج تعالج قضايا فكرية وأخلاقية فحواها الحق، والخير، والجهاد، والعدل والتقوى إلى غير ذلك من قيم إنسانية، وتلك القيم لا ترد ضمن نصوصها في عبارات تقريرية خالية من النبض والحيوية، لأن علياً عليه السلام ـ من أجل تدعيمها ـ يبعث فيها نفحات من روحه، وفيضاً من

---

(١) عرضنا لخصائص الفصل والوصل في أساليب النهج في ص٧٠١ من هذا البحث.

(٢) عرضنا للالتفات في ص٦٣٢ من هذا البحث.

ضميره ملتقطاً من الواقع من حوله ما يتيح لما في تلك القيم من أفكار التجسيد باسقاط حماسه اليقيني عليها.

فالصورة في نصوص النهج تنبثق متزامنة مع انبثاق الفكرة مرتبطة بها، بحيث لا يمكن للمتأمل فيها كعنصر فني إلاّ بالنظر اليها في سياقها الفكري، فاجتزاؤها من النص قد يبقي على نوع من الجمال فيها، ولكنه يجردها من قيمتها التأثيرية.

فالصورة في قول علي عليه السلام «اللّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هَذَا الدَّوِيِّ، وَكَلَّتِ النَّزَعَةُ بِأَشْطَانِ الرَّكِيِّ»[1]، قد لا تعني شيئا إذا ما نظرنا فيها بعيدة عن سياقها الفكري، كما قد يبدو على عناصرها الجزئية نوع من التنافر والتناقض، لما في (الأطباء، والدوي) من عدم تجانس مع معاني (الأشطان، والنزعة، والركي)، فقيمتها التأثيرية ليست في النظر إليها مفصولة عن السياق ولا في النظر في فحوى معانيها مجزأة، لأن قيمتها كامنة في ما يعنيه أثرها في سياق المناسبة، واندماج القائل مع أحداث تلك المناسبة، وما يكتنفها من انفعالات نفسية، شريطة التحامها بالنص كعنصر أصيل فيه، تؤثر وتتأثر بما حولها من معان تتعاون على تجسيدها بما يستكن بداخلها من انفعالات غاضبة ومكبوتة، مفجرة في حنايا النص معاني الألم والخيبة والإخفاق.

---

(١) خطب ١٢٠ ـ. والدوي: أصل التعبير هو (الداء الدوي) أي الشديد المؤلم بوصف الداء بما هو من لفظه. وكلت: ضعفت وتعبت. والنزعة: ـ بفتح النون والزاي والعين ـ جمع نازع، بكسر الزاي، الذي ينزع الماء من البئر. والاشطان: جمع شطن وهو الحبل. والركي: جمع ركية، البئر أي ضعفت قوى نازعي المياه من الآبار.

فبعودة إلى الصورة السابقة في سياق فكرتها في النص «أَمَا واللهِ لَوْ أَنِّي حِيْنَ أَمَرْتُكُمْ بِهِ ـ أي بالتحكيم ـ حَمَلْتُكُمْ عَلَى المَكْرُوهِ... فَإِنْ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ، وَإِنْ اعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ ـ لَكَانَتِ الوُثْقَى، وَلَكِنْ بِمَنْ وَإِلى مَنْ؟ أُرِيْدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي، كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا، اللَّهُمَّ قَدْ... الصورة»[1] نجد أن تداعي الأفكار في السياق بما تتمخض عنه من ندم غاضب جاء في تلافيف التمني التالي للقسم في قوله (أما والله لو...) قد ولد في العبارة ثلاثة استئنافات:

* تمثل الأول في أسلوب الإستفهام التالي للاستدراك في (ولكن بمن والى من) على سبيل التأسف واليأس.

* وتمثل الثاني في الجملة الخبرية المقرونة بالتشبيه المقتبس من المثل العربي «لا تنقش الشوكة بمثلها فإن ضلعها معها»[2]، على أساس أنه لو استعان ببعضهم في تقويمه بعضهم الآخر، لكان مثله في ذلك مثل الذي يحاول إخراج شوكة انغرست في جلده بشوكة من جنسها، فتنكسر بجانبها فيتضاعف بذلك الألم ويتفاقم الخطب.

* ثمّ يتصاعد الأسلوب فيبلغ مداه في الإستئناف الثالث الكامن في الفصل والمتضمن معنى الإلتفات والمَصَدّرُ بالإستغاثة (اللهم...) ممّا يعني في طياته أن الوضع قد بلغ مرحلة بحيث لا سبيل إلى إصلاحه، فالكناية في (الدوي) بوصف الداء بما هو من لفظه على اعتبار أصحابه هم

---

(١) الخطبة السابقة.

(٢) الميداني ـ مجمع الأمثال ٣/ ١٨٢، وراجع مناسبته عنده.

الداء وهو الطبيب الذي ملّ معالجتهم بعد أن أزمن ذلك المرض واستعصى معه أي علاج. والكناية الثانية الكامنة في (كلّت النـزعة بأشطان الركي) أي أن التعب قد وصل بنازعي الماء مرحلة لا يمكنهم معها الإستمرار، فالصورتان متباعدتان من حيث العناصر الخارجية، متوفقتان في المنحى المعنوي الكامن في العجز عن الوصول إلى الغاية في كلتيهما بسبب تعذر الإستجابة في كلتا حالتي الطبيب باستعصاء الداء عليه، والنازح بمزاولة النـزع لاستمراريته إلى ما لا نهاية. فتباعد عناصرهما لم يحل دون الوصول بالتعبير من خلالهما إلى الذورة الإنفعالية التي أرادها علي عليه السلام من خطبته على اعتبار أنهما جزء من السياق التعبيري ولا يمكن النظر فيهما كوحدات ايحائية مجزأة.

تفوه أحد مخاطبي علي عليه السلام بكلام عظيم كان المتحدث قاصراً عن ادراك أبعاده ومعرفة ما ينطوي عليه من معان، فبادره علي عليه السلام بالقول «لَقَدْ طِرْتَ شَكِيْراً، وَهَدَرْتَ سَقْباً»[1]، فلقد سلك للتعبير عن موقفه من ذلك القائل أسلوباً كنائيا تضمن ما فحواه أن القائل أصغر من أن يتفوه بمثل ذلك الكلام الخطير، فالكناية لم ترد ضمن السياق لمجرد غاية جمالية، لأنها قد تضمنت من الإيحاءات معاني الإستصغار مكتملة، وذلك بالنظر فيها ضمن السياق التعبيري بكل انفعالاته النفسية، فقد تعني الكناية الإزدراء بالقائل لكونه يرى في نفسه أنه شيء كبير، فيهرف بما لا يعرف، أو قد تعني أسلوباً تربويا يهدف إلى النصح بعدم إلقاء الكلام على عواهنه دون تدبر

---

(١) حكم ـ ٤٠ ـ. والشكير: أول ما ينبت من الريش الطائر قبل أن يقوى. والسقب: الصغير من الإبل لا يهدر إلاّ بعد أن يستفحل.

معانيه وأبعادها، فالمناسبة مضافاً إليها انفعالات علي عليه السلام أثناء إطلاقها، هو ما يمنح الصورة أبعادها البيانية.

وقد تكون الصورة السابقة متناسبة في بعض أجزائها مع الصورة المتضمنة ردّ علي عليه السلام «على سؤال لبعض أصحابه وقد سأله: كيف منعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به؟ فقال له: يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ، إِنَّكَ لَقَلِقُ الوَضِيْنِ، تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ»[1]، لأن كلتا الصورتين وردتا في سياقين ضمن ردّه على متكلمين، مع اختلاف في المناسبة، وفحوى القول من حيث فهم المتكلمين، على الأقل، لتضمنها معنى إطلاق الكلام في غير محله أو مناسبته، فالصورة الثانية كناية أيضاً متضمنة معنى عدم الثبات، بتمثلها ذلك السائل فوق راحلة لم يحكم أربطة رحلها من تحته، ويحاول أن يسدد في رميه وهي سائرة به، ولكن اضطراب الرحل من تحته يحول بينه وبين التصويب المحكم نحو الهدف لعدم قدرته على الثبات فوق ظهر الراحلة، على أساس أن سؤاله ذاك لم يكن في محلّه لأن مناسبة طرحه غير ملائمة لوضع علي عليه السلام الذي هو في حال مجابهة لمعاوية الذي يعتبره في أدنى سلم الأحقية في الخلافة بالنسبة لمن سبقه من قريش، إذ كان الأحرى بالسائل أن ينظر في هذا الوضع لا يتجاوزه، فمضمون الكناية بما ينطوي عليه من اختزال يعني: أن الوضع الآني الذي نعيشه أحق بأن ينظر فيه ليعالج، لذلك ورد بيت أمريء القيس في السياق ليزيد من تألق الصورة

---

(١) خطب ـ ١٦٣ ـ فقرة ١. والوضين: بطان يشد به الرحل على البعير كالحزام للسرج. وقلق الوضين: مضطربة. والإرسال: الإطلاق. والسدد: ـ بفتح السين والدال ـ: الاستقامة.

الواردة في مطلع النص ويفتق ما انطوت عليه من إيحاءات: (طويل)

وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حُجُرَاتِهِ
وَهَاتِ حَدِيثاً مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ[(١)]

أي إن الأجدى بك أيها السائل أن تنظر معنا في الوضع المزري الذي نعيشه وتترك اجترار أحداث الماضي. فصورة اضطراب الركب على ظهر الراحلة بما يكتنفها من حركة، وعدم ثبات، لم تكن لتؤدي هذه المعاني والأفكار لو أننا نظرنا في قيمتها الجمالية بعيدة عن سياقها التعبيري.

وتبلغ الصورة ذروتها في تكثيف معاني الإخبار بالمقولات الصائبة عبر اللوم في قول علي عليه السلام

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَاصِحِ الشَّفِيْقُ، العَالِمُ المُجرِّبُ تُوْرِثُ الحَسْرَةَ وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الحُكُومَةِ أَمْرِي، وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رأيي، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيْرٍ أَمْرٌ، فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إبَاءَ المُخَالِفِيْنَ الجُفَاةِ، المُنَابِذِيْنَ العُصَاةِ، حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ وَضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ، وَكُنْتُ وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنْ (طويل)

أَمَرْتُكُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى
فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إلاّ ضُحَى الغَدِ»[(٢)]

---

(١) ديوان امريء القيس ص٩٤ وللبيت قصة طريفة تكاد تناسب فحوى السؤال الذي سأله الرجل لعلي عليه السلام في مناسبته.

(٢) خطب ـ ٣٥ ـ فقرة ٢. والبيت لدريد بن الصمة ورد ضمن قصيدة رثاء في أخيه عبدالله وكان سبب قتله أنه لم يستمع لنصح أخيه دريد، والبيت في الأغاني ٤/ ٨ وفي ديوان دريد ص٤٧، ويكاد البيت في مناسبته أن ينطبق على مخالفة أصحاب علي عليه السلام =

فقد تألقت الصورتان (نخلت لكم مخزون رأيي) و(ضَنَّ الزند بقدحه) ضمن السياق بما يعني التعبير عن إعمال الفكر وتقليب المواقف والتأمل في الحوادث بعمق وتمحيصها ومن ثم إبداء الآراء الصائبة حولها بكل نزاهة وصدق وإخلاص، في مقابل العناد والمكابرة المجلبة للهمّ المعطلة لجميع الملكات الفكرية. ومناسبة الشعور بمرارة الفشل هي التي ولّدت صور الإحباط في سياق النص، ليس بسبب نتائج التحكيم، ولكن لأنها عمدت إلى تجسيد الواقع بكل ما ينطوي عليه من آلامَ نفسية، طوت في استمراريتها الماضي المأسوف عليه، والواقع المحزن، فالصورتان بانضمامهما لبعض تجسدان مشاعر الألم الذي ترزح نفس علي عليه السلام تحته، ليس بسبب النتيجة، بل بسبب من خلقوا تلك النتيجة من أصحابه، وفرضوها عليه وعلى أنفسهم لقصور في نظرتهم. ولا يمكن للصورتين أن توحيا بتلك المعاني بما يكتنفها من معاناة ما لم تقترنا بفكرة النص في مناسبته وملابساتها التاريخية التي تعاونت، كل الأساليب من خبرية مؤكدة (أما بعد فإن معصية)، وإنشائية تنطوي على معنى التمني الكامن في التضمين بالمثل العربي (لو كان يطاع. . .) ومن ثم الإنتقال إلى الأسلوب الخبري لتعضيد ما في الخطبة من لوم بالإستشهاد ببيت الشعر المتضمن شحنات الأسى الرازحة تحت وطأة الحزن.

وخيال علي عليه السلام من الخصوبة ما يتيح له من الصور الموائمة لجل مواقفه القولية وفي كل الحالات التي تتطلب استحضار المشهد أو تجسيد

= لنصحه في قضية التحكيم، فكانت النتيجة خسارتهم وندمهم. وبشأن المثل (لو كان يطاع. . .) راجع ص٧٢٤ وما بعدها من هذا البحث.

المناسبة، من ذلك تشبيه التمثيل[١] المتضمن وصفه لحالة أصحابه بعد أن أجبروه على وقف القتال في صفين، في حين لم يبق بينهم وبين النصر سوى قاب قوسين أو أدنى، وفيه يقول «أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ العِرَاقِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالمَرْأَةِ الحَامِلِ، حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ، وَمَاتَ قَيِّمُهَا، وَطَالَ تَأَيُّمُهَا، وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا»[٢]، فالصورة من الوضوح وقوة الدلالة ما هي في غنى عن تفكيك عناصرها إذا ما وضعت في سياق الخطبة التي وردت فيها، واصفة الملامح العامة لحالتهم وما سيؤول إليه مصيرهم جرّاء إيقافهم القتال بعد أن كادت المعركة تحسم لصالحهم مثلهم في ذلك مثل تلك المرأة الحامل ومصيرهم سيكون كمصيرها في الخسران والندم والضياع والذل.

فالصورة في نسيج النهج سلسلة طيّعة غايتها إجلاء غموض الأفكار وتجسيد الأحداث في مناسباتها، لذلك لا يمكن إدراك تأثيرها إلاّ من خلال تأملها مندمجة في سياقاتها مرتبطة بالأساليب المتكاتفة معها لإبراز الأفكار التي عادة ما يحاول علي عليه السلام توصيلها لسامعه أو لقارئه بكل ما أوتي من براعة اقناعية، وقدرة بيانية، بتضام اللغة مع الخيال مع العوامل النفسية المتولدة من المناسبة في كل متكامل من حيث القوة والرصانة والخيال المتعقل الذي ينأى بالأفكار عن جفاف التجريد.

---

(١) تشبيه التمثيل ـ وهو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد أمرين أو أوامر، هذا هو مذهب جمهور البلاغيين في تعريفه، ولا يشترطون فيه غير تركيب الصورة، سواء أكانت العناصر التي تتألف منها صورته أو تركيبته حسّية أو معنوية، وكلما كانت عناصر الصورة أو المركب أكثر كان التشبيه أبعد وأبلغ. عبد العزيز عتيق ـ علم البيان ص٨٥.

(٢) خطب ـ ٧٠ ـ المطلع. وأملصت: أسقطت وألقت ولدها ميتاً. وتأيمها: خلوها من الزوج.

٢ ـ خصائص الصورة في نهج البلاغة:

من أبرز ما تتميّز به الصورة في نهج البلاغة الربط المحكم بين التجسيد والحركة، أي أن الصورة متطورة من الداخل، إذ يشعر قارئها أو سامعها في قرارة نفسه بالمنظر المنساب في نسيج النص مقترنا بكل ما يحيط به من علاقات تختص به، بحيث يمكن للمتأمل فيه من خلال التعبيرات المشكلة لمعالمه أن يضع له تصوراً كاملاً في مخيلته على شكل لوحة متكاملة نابضة بالحياة، فمهما كان نوع العبارة التي يوظفها عليّ عليه السلام في تدبيج صوره، فَإِنّ إحساساته المرهفة، وعواطفه الجيّاشة تضفى عليها من الصدق والحرارة والإيمان ما يمنحها استمرارية التأثير والتجسيد أطول مدّة ممكنة، فالصورة في قوله لأصحابه «كَمْ أُدارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى البِكَارُ العَمِدَةُ، وَالثِّيَابُ المُتَدَاعِيَةُ، كُلَّمَا خِيطَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهَتَّكَتْ مِنْ آخَرَ»[1]، قد جمع شتاتها من عناصر مختلفة، لاءم فيما بينها، لما تمتاز به من خصائص تكاد تكون مطابقة للواقع الذي يشعر به في قرارته بجامع الصفات المظهرية التي تبهر وتغر، إزاء الجوهر الزائف، في كل من رجاله الذين يحاول الإعتماد عليهم، وبين ما تضمنه التعبير التصويري من الصفات المظهرية والخصائص الجوهرية، فجزئيات الصورة أثناء المشاهدة العادية قد لا تثير الإنتباه، وإن عرف الناظر فيها ما في الإبل من عيب، وما في الخرق البالية من عدم فائدة، إلاّ أن نظرة علي عليه السلام المتأملة في عمق

---

(١) خطب ـ ٦٨ ـ. والبِكَار: على وزن كتاب: جمع بكر، الفتي من الإبل. والعمدة: بفتح العين وكسر الميم التي تأثر سنامها من الداخل من أثر الركوب وتبدو سليمة في مظهرها.

خصائصها أثناء انقداح فكره، قد بث فيها الحيوية والتجسيد، جرّاء إدخالها في مقارنة تتناسب وخصائصها، وتلك من مميزات العبقرية التي «تجد الصورة المعمول فيها كلّما كانت أجزاؤها أشد اختلافاً في الشكل والهيئة، ثم كان التلاؤم بينها مع ذلك أتم والإئتلاف أبين، كان شأنها أعجب والحذق فيها أوجب»[١]. فقد لاءم علي عليه السلام في الصورة بين الخرق المتداعية والجِمال المعيبة رغم اختلاف عناصر الصورتين.

فالصورة في النهج متألقة دائماً من حيث البناء الفني والثراء الإيحائي في جميع الأغراض مهما كان نوع عناصرها المكونة، ففي موضوع الزهد المستوعب للكثير من النصوص فيه، يصوّر علي عليه السلام الدنيا ـ من وجهة نظره ـ بصورة في منتهى البشاعة والتقزّز في قوله «وَاللَّهِ لَدُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَهْوَنُ فِي عَيْنِي مِنْ عِرَاقِ خِنْزِيرٍ فِي يَدِ مَجْذُومٍ»[٢] فقد لاءمت الصورة بين كرش الخنـزير وهو أكره الحيوانات وأنجسها من وجهة نظر الإسلام، وبين ماسكه المصاب بداء الجذام، ممّا أحال تلك الملائمة إلى منظر يقشعر له البدن، وتتقزز منه النفس وقد استطاعت تلك الصورة البشعة أن توصل إلى السامع أو القاريء القيمة الحقيقة للدنيا كما يراها علي عليه السلام، بالممازجة بين عنصرين غاية في الغرابة والبعد هما (عراق الخنـزير ويد المجذوم).

وفي تصويره لتقاعس أصحابه ضمن لومهم وعتابهم يقول «مَا يُدْرِكُ

---

(١) الجرجاني ـ أسرار البلاغة ص١٣٦.

(٢) حكم ـ ٢٣٥ ـ. والعِراق: ـ بكسر العين، العرق الخبيث وهو من الحشا من فوق السر معترضاً البطن. والمجذوم: المصاب بوباء الجذام، هو من أخطر الأوبئة المعدية ومن مظاهره تساقط أطراف الجسم.

بِكُمْ ثَارٌ وَلاَ يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ، دَعَوْتُكُمْ إلى نُصْرَةِ إِخْوَانِكُمْ، فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الجَمَلِ الأَسَرِّ، وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النِّضْوِ الأَدْبَرْ، ثُمَّ خَرَجَ إليَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ»[١]، فالصورة لم تقتصر على إبراز النواحي المادية المنظورة، فقد قرنها علي عليه السلام بالصوت المقرون بالحركة، كتعبير عن معاني التخاذل والخنوع والخوف والذل، كل ذلك بالممازجة بين الأشياء المادية والمشاعر المعنوية بإضافة الجرجرة إلى الجمل الأسر تصويراً للغط تلك النفوس الخاوية المريضة وضوضائها وملاحقة لتجسيد ذلك التخاذل بألوان قاتمة ورد التصغير في السياق موصوفاً بالضعف لإبراز معاني التحقير والإزدراء التي تتزاحم بها نفسه، ممّا أكسب الصورة كل الأبعاد الإيحائية التي كانت نفس علي عليه السلام ترزح تحت وطأتها أثناء تفاعله مع الموقف وبلورته في أفكار. فالتركيب داخل الصورة من الدقة ما يجعله يستقصي كل ما تحتاجه من جزئيات لتوظيفها في إطار الفكرة، فهي بمثابة اللوحة البالغة التكثيف في نقلها لتصورات علي عليه السلام النفسية أثناء انبعاث الفكرة من أعماقه، فهي تتميّز بإبداع يجعلها مهما تناهت في جمع شتات الجزئيات المحسوسة وتمكين الخيال من تجميعها في إطار واحد، إلاّ أنها خاضعة لسلطان العقل مستكنة في الفكرة المحورية للنص.

يقول علي عليه السلام «أَيُّها النَّاسُ، شُقُّوا أَمْوَاجَ الفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ، وَعَرِّجُوا

---

(١) خطب ـ ٣٩ ـ والجرجرة: صوت يصدره البعير من حنجرته تعبيراً عن الألم أو احتجاجاً عند عسفه. والجمل الأسر: المصاب بداء السريرة وهو وجع يأخذ البعير في مؤخرة كركرته من دبره، أو قرح يكاد ينقب جوفه. والنضو: المهزول من الإبل. والأدبر: المصاب بالدبرة قروح أو جروح في ظهر الجمل وسنامه، يستعصي معها استخدامه للركوب.

عَنْ طَرِيْقِ الْمُنَافَرَةِ، وَضَعُوا تِيْجَانِ الْمُفَاخَرَةِ، أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ، أَوْ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ، هَذَا مَاءٌ آجِنٌ، وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا، ومجتني الثمرة لغير وقت إيناعها، كالزارع بغير أرضه»[1] فلقد تألقت ضمن الفقرة صور متكونة من جزئيات متناثرة من عناصر شتى، بتجميعها مع بعضها بعضاً تتناسق الفكرة وتتضح معالمها، فلقد استعار الأمواج وكنّى بها في حركتها المضطربة بالفتن وما تحدثه من اضطرابات خطيرة في المجتمع، واستعار سفن النجاة كتعبير عن طريق الخلاص من تلك الفتن، بالصبر عليها، والمهادنة لها حتى تخف حدّتها أوتزول وكنى بطريق المنافرة، عن المهاترات الكلامية المشحونة بالتحدث فيما لا طائل من ورائه، ثم أورد في السياق الأمر بوضع تيجان المفاخرة كناية عن الإبتعاد عن الزهو الكاذب المستكن في طيّاته البغض والكراهية والإحتقار كمعاول هدم تفت من عضد المجتمع، واستعار الجناح ليكني به عن الأنصار الذين يعوّل عليهم ويعتمد على مساندتهم في تخليص الحق بعد فهمه وفهم أبعاده فهما بيّنا، وذلك في مقابل الإستسلام والركون إلى الدعة، فيما لو لم يوجد مثل أولئك الأنصار المخلصين، ثم شبه الأمر المتنافس عليه بالماء الآجن الذي لا يستساغ شربه، واللقمة الجشبة التي قد تؤدي بمزدردها إلى الهلاك، وهو يقصد بذلك الخلافة كمطلب دنيوي مشوب بالكدر والألم، لما تنطوي عليه من مسؤوليات جدّ خطيرة، لا يمكن إدراك أبعادها، لا كما يراها من يحاولون إثارة الفتنة

---

(١) خطب ـ ٥ ـ. والماء الآجن: المتغير الطعم واللون لا يستساغ شربه والإشارة هنا إلى الخلافة.

والمتكالبون عليها كمفخرة وسيادة وشرف ورفعة، ثم يعوّل على المثل التصويري في قوله «ومجتني الثمرة لغير وقتها كالزارع بغير أرضه»، مكنيا بذلك عن عدم ملائمة المناسبة للمطالبة بما يراه حقا له في الخلافة لكون ظروف الإسلام في ذلك الوقت لا تسمح بذلك، فهو محتاج إلى التآزر في تثبيت دعائمه وشدّ قواه، أكثر من حاجته إلى التناحر من أجل ما قد يعتبره منافسوه غايات دنيوية ومطامع فردية والتشبيه في صورة قاطف الثمرة قبل نضوجها بالزارع في غير أرضه يجمعهما عدم الإستفادة في الموضعين، والفكرة من تتابع الصور وانصهارها في بوتقتها الموحدة تعني في نهاية الأمر ردّه الصريح القاطع على أقوال أولئك الذين يحاولون تحريضه على الثورة من أجل الخلافة بعد وفاة الرسولﷺ، واستقرار الأمر لأبي بكر دونه، فتركيب العناصر غير المتجانسة من بحر وسفن وتيجان وطير وثمر، بالتوحيد فيما بينهما ينم عن التوحد النفسي في المجانسة بين الأشياء من خلال النظر إليها في الطبيعة الكونية كبوتقة تنصهر فيها المتناقضات التي يحاول الفكر التوحيد فيما بينها بإعادة صياغتها متكاملة منسجمة، ممّا يعني أن تلك الجزئيات التصويرية هي في حقيقة وضعها ضمن سياق النص، ما هي إلاّ عناصر فكرية صغرى إذا ما ضمت لبعضها البعض فَإنّهَا تشكل الكل، أو الفكرة الأساسية التي تكاد تستحوذ على لبّ عليعليه السلام ونفسه أثناء العملية الإبداعية.

لذلك فليس من الضروري أن تكون الصورة ضمن الفكرة معتمدة في بنيتها التكوينية على عناصر الطبيعة المرئية المحسوسة، إذ قد يعمد عليعليه السلام إلى ما يمكن تسميته بالصور الوصفية، كعقل خلاّق يسعى إلى التأمل في الكون جريا وراء الحقيقة، وذلك بتصوير المواقف الماورائية عن

طريق شحذ طاقات اللغة لتتمكن من تجسيد المواقف، اعتماداً على تداعي الأفكار، وما يسمى حديثاً بالحوار الداخلي، وتوظيف العناصر النفسية باستعراض شريط الذاكرة، ويتكرر مثل ذلك التصوير كثيراً، في عرضه لصفات المؤمنين[١]، أو في وصفه لحال الدنيا وعلاقتها بالإنسان[٢]، ويبلغ ذروته في وصفه لحالة الموت وتدرج سريانه في الجسم كما في قوله «وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ، يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ، عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ، وَبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ، يُفَكِّرُ فِيم أَفْنَى عُمْرَهُ، وَفِيْمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ، وَيَذْكُرَ أَمْوَالاً جَمَعَهَا أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا، وَأَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا وَمُشْتَبَهَاتِهَا، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا، وَأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا، تَبْقَى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيْهَا، وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا، فَيَكُونَ المَهْنَأُ لِغَيْرِهِ وَالعِبءُ عَلَى ظَهْرِهِ، وَالمَرْءُ قَدْ عَلِقَتْ رُهُوْنُهُ بِهَا، فَهُوَ يَعُضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ المَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَزْهَدُ فِيْمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيْهِ أَيَّامَ عُمَرِهِ، وَيَتَمَنَّى أَنَّ الّذِيْ كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا، قَدْ حَازَهَا دُوْنَهُ، فَلَمْ يَزَلْ المَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ لِسَانُهُ سَمْعَهُ فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لاَ يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ، وَلاَ يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ: يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِيْ وُجُوهِهِمْ، يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَلاَ يَسْمَعُ رَجْعَ كَلاَمِهِمْ، ثُمَّ ازْدَادَ المَوْتُ الْتِيَاطاً بِهِ، فَقُبِضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ، وَخَرَجَتْ الرُّوْحُ مِنْ جَسَدِهِ، فَصَارَ جِيْفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ، قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِهِ وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ، لاَ يُسْعِدُ بَاكِياً، وَلاَ يُجِيْبُ دَاعِياً»[٣]، فالتصوير البياني لم يعد محتاجاً إلى الإرتكاز على الإستعارات المعتمدة

---

(١) راجع خطب: ٨٦، ١٨٧.

(٢) راجع خطب: ٨١، ٢١٨، ٢٢٣.

(٣) خطب ـ ١٠٨، فقرة ٣.

على استجلاب صور المشابهة من أجل تجسيد الواقع، فقد استطاعت الكلمة بما تزخر به من معان وطاقات أن تستقطب كل معاني الفكرة بالتنقل في جميع أجزائها، من صراع داخلي ينتاب المحتضر يتمثل في استعراض شريط حياته وما يكمن في ذاكرته من صور، وما يتخلّل ذلك الإستعراض من انفعالات الخوف والألم والحزن والرهبة، مع تمثله للأقارب والأهل والأصدقاء من حوله ونظراتهم المختلفة اليه، وامتزاج ذلك بوصف دقيق ووئيد لحالات الموت منذ بدايتها، وملاحقتها لحظة بلحظة، ومزجها بكل الإنفعالات الشعورية الدقيقة من خلال نفسية المحتضر، وانعكاساتها المتولدة على الموقف من حوله، بالتنقل في الزمن، بين ماضٍ وحاضر ومستقبل تكاد تكون أبعاده ماثلة ومتقاربة، ممّا يدخل في النفس رهبة وقشعريرة تبقى ماثلة للفكر، منغرسة في الأعماق فالعبارة الوصفية بما يكتنفها من ايحاءات تشخيصية، أطلقت الكلمة من عنانها القاموسي في فضاءات خصبة من المعاني التصويرية الكامنة فيها.

فالخاصية المميزة للصورة في أسلوب علي عليه السلام بشكل عام، عمقها التأثيري الكامن في حيويتها المعبرة عن صدق تفاعله مع الكلمة، وعمق اندماجه في الفكرة ومتانة ايمانه بما يعتلج بداخله، والإلحاح الداخلي القوي من أجل توصيل تلك الطاقات الإيمانية بحرارة وحماس بعيدين عن أي تصنّع وافتعال، ما يمنح الصورة ميزة التجسيد وديمومة التأثير. سواء أكانت تلك الصورة تعتمد على انحراف المعاني بتوجيهها ناحية الوصف المستلهم من جزئيات الواقع، أو من خلال تفجير ما في الكلمة من طاقات معنوية وتوجيهها توجيها تصويرياً، وفي كل الحالات يبقى قاموس الصورة ذا طابع مميّز من حيث العناصر التي يتكوّن منها.

٣ ـ عناصر مكونات الصورة في نهج البلاغة:

لكل أديب أو فنان عناصره الخاصة المميّزة لإبراز تفرده في مجال فنه، إذ بامكان المتأمل في لوحة أصلية أن ينسبها إلى المدرسة التي تنتمي إليها، ومن ثم إلى الفنان الذي رسمها، وذلك من خلال معايشته لوحاته والتأمل في طريقة مزج ألوانه، وضربات ريشته. وهكذا الموسيقي الفذ، يمكن للأذن الموسيقية بحسّها الفني أن تميز جمله ومقاطعه وتردها إلى شخصه من بين معزوفات غيره. وللأديب الفذّ أيضاً قاموسه الفني الذي يمتح منه لتدبيج لوحاته وحياكة صوره وتأملاته. وفي كل الأحوال بالنسبة للرسام أو الموسيقي أو الأديب، أو المفكر، فإنّه لا يستطيع أن ينفلت من بيئته أو ينسلخ من جلده أثناء العملية الإبداعية التي تمتلك عليه لبّه وتنقله بكل احساساته إلى عالم تصطرع فيه الأفكار ضمن البوتقة التي يعيش فيها. وإذا ما حاولنا تطبيق مقولتنا هذه على ما ورد في نهج البلاغة من صور بلاغية، مهما اختلفت في تركيبها ومزج ألوانها، فإن عناصرها الأساسية لا تكاد تخرج عن البيئة العربية التي عاش فيها علي عليه السلام. فمهما تناهت الصورة في تجسيدها لأفكار علي عليه السلام، فإن البيئة العربية هي الأم التي تحتضنها، لأن المفردة اللغوية التي استخدمت في ابرازها هي في الغالب مأخوذة من تلك البيئة، سواء أكانت تعبر عن الطبيعة من حيوان، كالإبل والذئاب والضباع وغيرها من طيور وأفاع، أو طبيعة صامتة كالجبال، والصخور، والرمال، والسيول، والشجر والمراعي والدمن، أو أدوات، كالرحى، والأداوة والحبال والركي، أو عتاد، كالسيوف والسهام، أو عادات، كالرهان والسباق وما ينتج عنهما من فوز أو خسارة، أو ظواهر طبيعية، كالرعد والبرق، والعواصف والأمواج، أو أوبئة وأمراض،

كالجرب، والجذام والسريرة، وغيرها. إلاّ أن توظيف تلك العناصر في تكوين الصور بفكر صاف بعيد عن جفاوة البداوة، وبما أدخلته أساليب القرآن الكريم من أثر فيها، وما أضفى عليها الإيمان القوي الملتزم من حيوية نأى بها عن الصعوبة والصلافة والحوشية، كما أن تكرار تلك العناصر ببنائها الفني في نصوص متعددة لم ينل من قيمتها البلاغية ولم يحدّ من تأثيرها أو يطفئ جذوتها.

فصورة الرحى وقطبها في قوله «وَهْوَ يَعْلَمُ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحَى»(١) هي تعبير عن الأهمية العظمى في سياق الفخر، أما صورة الرحى في قوله «إنّما أَنَا قُطْبُ الرَّحَى، تَدُورُ عَليَّ وَأَنَا بِمَكَانِي، فَإنْ فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ مِدَارُهَا»(٢) فَإنَّما يعني هنا بالرحى الدولة، ومكانته فيها باعتباره القطب الذي ترتكز عليه في دورانها كقائم بشؤون الدولة الأساسية الهامة التي تتطلب منه التواجد في العاصمة لمراقبة كل صغيرة وكبيرة والمباشرة في إنجاز كل ما تحتاجه الدولة من مهام سياسية واقتصادية واجتماعية وقضائية وعسكرية، وليس من مهامه الخروج في كتائب صغيرة لردّ الغارات الخاطفة التي يشنها معاوية على أطراف بلاده، وإنّما ذلك من مهمات من يوكل اليهم من قادته الذين يعتمد عليهم.

أما قطب الرحى في قوله لعمر بن الخطاب «كُنْ قُطْباً وَاسْتَدِرْ الرَّحَى بِالعَرَبِ»(٣) فَإنّما يعني بالرحى، كما يبدو من السياق الخطابي الذي وردت فيه، هي الحرب واشتداد لظاها والصورة قد وردت ضمن ردّ علي عليه السلام

---

(١)، (٢) خطب ـ ٣ ـ فقرة ١. وخطب ١١٨.
(٣) خطب: ١٤٦.

على استشارة من عمر بشأن ازماعه على مواجهة الفرس بنفسه، فاضافة القطب إلى الرحى يعني في مضمونه بقاء القائد أو الخلفية في مركزه الذي يحفظه كرمز للدولة، لأنه إذا ما قتل فإن ذلك سينعكس على معنويات جنوده ويقوي من عزيمة الأعداء في الإستبسال للوصول إليه وقتله لا لشخصه بل لمكانته وأهميته كخليفة.

كما قد يريد من القطب في السياق دون إضافته إلى الرحى، التعبير بدقة عمّا يجول بنفسه إزاء الموقف الذي هو بصدد الكلام فيه بقصد شرح أبعاده وتبيان خطورته كما في وصفه الفتنة التي سيحدثها الأمويون والتي يقول ضمنها «رَايَةُ ضَلاَلٍ قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا»[1]، أي انبثقت من مركزها الثابت لتعم كل نواحي البلاد بالدمار والظلم.

فتكرر الصورة أو بعض عناصرها للتعبير عن فكرة ما أو ما يجري مجراها في نصوص متعددة، ترمي إلى إبراز عناصر فكرية متوحدة، يعني في حدّ ذاته، سير تلك النصوص في بنائها الفني على نسق خاص، نابع من مصدر واحد، مثلها في ذلك مثل السمات الدقيقة المميزة لشخص دون آخر في تعامله مع الآخرين من حيث الأسلوب والطريقة في الكلام والعمل والتصرف، ولا يمكن إدراكها وملاحظتها إلاّ بالمران جراء كثرة الإحتكاك والتعامل مع الأساليب المختلفة.

والتكرار في صور النهج لا يقتصر على الرحى، وعناصرها، إذ يمكن ملاحظة التكرار في صورة الإبل وتزاحمها على المياه أثناء عطشها في

---

(١) خطب ١٠٧، فقرة ٤. وراجع أيضاً بشأن صورة الرحى وقطبها خطب ١٥١، فقرة ٢، وخطب ١٦٥.

التعبير عن مواقف مختلفة، وصورة الماء ومتعلقاته وأهميته في البيئة الصحراوية[١]، وصورة الحياة الدنيوية على أنها رحلة انتقال وظل زائل وآفل[٢]، وتكاد جل صور النهج أن تجد لها مثيلاتها إما من حيث التركيب، وإمّا من حيث اشتراكها في بعض العناصر في عدة نصوص، اضافة إلى استخدام المفعول المطلق تعبيراً عن المماثلة في الكثير من صور النهج، كما ورد في تصوير حال الناس زمن الفتن والتكالب على المقتنيات الدنيوية «يَتَكَادَمُونَ فِيْهَا تَكَادُمَ الحُمُرِ فِي العَانَةِ»[٣]، وفي تصوير حياة الإنسان الإنتقالية وسرعتها «كَأَنَّكُم بِالسَّاعَةِ تَحْدوكُمْ حَدْوَ الزَّوَاجِرِ بِشُولِهِ»[٤].

وتكرار مثل تلك الصور أو بعضها من عناصرها في نصوص النهج المختلفة لم يفقدها تألقها، ولم يحد من وظائفها في إبراز المعاني وتجسيدها ضمن تلك النصوص، لكون حيويتها لا تكمن في عناصرها

---

(١) راجع خطب ٣ ـ فقرة ٢، وخطب ١٦ فقرة ١، وخطب ٢٨، وخطب ٣٤، وخطب ٣٩، وخطب ٥٣، وخطب ٨٦ فقرة ٤، وخطب ٩٦ فقرة ٣. وبالنسبة لأهمية الماء وحده كصورة. راجع خطب ٤، وخطب ٥ فقرة ١، وخطب ١٧ فقرة ٢، وخطب ٢٣ فقرة ١، وخطب ٢٥ فقرة ٢.

(٢) راجع خطب ٤٥، ٥٢، ٦٢، ٦٣.

(٣) خطب ـ ١٥١ ـ فقرة ٢. ويتكادمون: يعض بعضهم بعضاً. والعانة: القطيع من حمر الوحش.

(٤) خطب ـ ١٥٨ ـ فقرة ٢. والزواجر: الذين يزجرون الإبل لسوقها ومفرده زاجر. والشول: النوق التي جفّ لبنها ومفرده شائلة على غير قياس. والحدو: سوقها والغناء لها. ويمكن ملاحظة مثل ذلك التعبير أيضاً في: خطب ٣٩، وخطب ٤٢، وخطب ٤٧، وخطب ٥٢، وخطب ٥٣، وخطب ١٠٧ فقرة ٤، ٥.

الظاهرة بل في امتزاجها بروح علي عليه السلام وفكره، وتبوء مكانتها ضمن نصوصها في سلاسة وانسجام من ناحيتي البنية والإيحاء، ممّا يجعل وقعها في النفوس عميقاً ومؤثّراً لكونها تعمد إلى اجلاء الفكر باحالته إلى «لوحات فنية لها خطوطها وأشكالها وألوانها، فإذا بك في عالم زاخر من روائع الفن تتماوج به صور وموسيقى وأنغام وألوان»[(١)].

٢ ـ أهم المميزات الخاصة بالموسيقى في نهج البلاغة

لا نسعى في هذا الجانب من الدراسة إلى تتبع الأساليب البديعية التي وردت في النهج فقد كفانا مؤونة البحث عنها وتبيانها شرّاحه من أمثال ابن أبي الحديد، وابن ميثم البحراني في شرحيهما المطولين. فأبرزا الكثير من النواحي الجمالية البديعية التي اكتست بها الكثير من نصوصه. لذلك فإننا سنضرب عن تتبع ما جاء في النهج من بديع صفحاً وسنحاول بدلاً منه إبراز ما للكلمة ضمن نسيج نصوصه من إيقاع أثناء انسيابها ضمن نظام معين تميز به أسلوب علي عليه السلام ، خاصة وأن انتشار نوع من البديع بكثرة، وندرة نوع آخر منه في أسلوب بعينه لا يعني شذوذاً في القاعدة العامة التي انبنى عليها ذلك الأسلوب إذا كان ثمة ما يحتم ذلك، شريطة أن يكون الإستخدام متوائماً وطبيعة الأفكار، آخذا بنصيبه فيها بالحدّ المعقول الذي ينأى به عن اعتباره غاية في حدّ ذاته، مع اعتبار أن خصوصية الكلمة في الأدب الملتزم تنبع أساساً من قيمتها التأثيرية، ولن يتأتى لها ذلك، إلاّ إذا وردت في

---

(١) جرداق ـ علي عليه السلام صوت العدالة ١/ ٤٦.

سياقات النصوص متخذة أبعاداً تخصصية، منها ملائمتها للفكر المطروح من خلالها، وتناسق حروفها من حيث النطق والسماع، وانسجامها من حيث التركيب الأسلوبي في النسق الذي ترد فيه، هذا بالإضافة إلى نفحات العاطفة التي تنبث فيها بما يتلاءم وموضعها في السياق، خاصة إذا وضعنا في الإعتبار أن الأدب الهادف يرمي إلى الإقناع والتأثير، ممّا يحتّم عليه التحدث إلى العقل والتأثير في النفس في آن واحد، فالعقل محتاج من عبارات النص إلى ما هو مقنع منطقيا، والنفس محتاجة إلى بثّ قدر من العاطفة التي عادة ما تعمد إلى بث الحيوية في الأفكار وتحسين وجهها بالنأي بها عن جفاف المنطق ليتمكن المتلقي من استساغتها، والنـزوع نحو ما تحويه من قيم، وبين العنصر العقلي والعامل النفسي الإبداعي ينساب الأثر الإيقاعي بجميع أبعاده كمحرك للمعاني في النفس آخذاً بالكلمات نحو نسق معين يسعى بها إلى الإقناع الطوعي دون اكراه ولا معاضلة، أو تصنّع وهنا يبرز دور المفكر الملتزم كمبدع، لا يرمي إلى طرح الأفكار فحسب، بل يضع في اعتباره أيضاً توصيل تلك الأفكار، بما تنطوي عليه من طاقات اقناعية وشحنات تأثيرية.

فتنسيق الأفكار وصياغتها في قوالب اقناعية بمزجها بما يلائمها من عاطفة وإرسالها في جمل ذات وقع نفسي ملائم للمناسبة يعني الإمتزاج التام بين الفكر الواعي والتخيّل المتئد أثناء العملية الإبداعية، إذ لابدّ من فكر متوقّد له القدرة على استغلال كل ما حول المناسبة من عناصر وتوظيفها في الفكرة المراد طرحها، ومن ذلك التوظيف المحكم تتولد طاقات النص الإيقاعية ـ وفي اعتقادنا أن نصوص نهج البلاغة قد حوت في بنائها الفني مجموع العناصر الجمالية التي تحتاجها الفكرة بغاية الوصول إلى متلقيها.

فإذا أخذنا الجانب الموسيقي، وما يحدثه من أثر في النفس فلابدّ لنا من العودة إلى تنسيق الجمل في النصوص، والذي فحواه التناسب الكمي في عدد الكلمات المكونة للجمل ضمن الأفكار الجزئية[١]، وهذا التناسق ـ بطبيعة الحال ـ قد ولّد نوعاً من موسيقى الفواصل الصادرة نغماتها، أساساً، من الدعامات الفكرية النابعة من المناسبة، والمقترنة بأسلوب التوصيل حسب مقتضى المقولة الشائعة (لكل مقام مقال) فالمقام المولد للمعاني الفكرية، هو أيضاً المولّد لكل ما يحيط بتلك المعاني من إيحاءات ونغم. وهو ما يمكن تتبعه في أساليب النهج المبنية على فكرة واحدة في مناسبات مختلفة، وليكن الفخر في مناسباته مثالنا.

يقول علي عليه السلام «أَمَا واللهِ إنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا، حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا، مَا عَجَزْتُ وَلاَ جَبُنْتُ، وَإنَّ مَسِيْرِي هَذَا لِمِثْلِهَا، ولأَنْقُبَنَّ البَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ. مَالِيْ وَلِقُرَيْشٍ، واللهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِيْنَ، وَلأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِيْنَ، وَإنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالأَمْسِ، كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمْ اليَوْمَ، واللهِ مَا تَنْقِمُ مِنّا قُرَيْشٌ إلاّ أَنَّ اللهَ اخْتَارَنَا عَلَيْهِمْ، فَأَدْخَلْنَاهُمْ فِيْ حَيِّزِنَا»[٢]. فالفكرة مجتزأة من خطبة يحاول علي عليه السلام من خلالها بلورة موقفه من طلحة والزبير ومن شايعهم من قريش إزاء الفتنة التي أزمعوا على

---

(١) راجع ص٧٠٦ وما بعدها من هذا البحث.

(٢) خطب ـ ٣٣ ـ فقرة ٣، ٤. وساقة القطيع: مؤخرته، شبه أمر الجاهلية بقطيع من الغنم فقال: إني سقتها ولم أزل أسوقها حتى تولت بأسرها ولم يبق شيء منها، لم أعجز ولم أجبن، وأن مسيري لطلحة والزبير ومن شايعها الآن لهم مثلها. فلأنقبن الباطل: شبه الباطل بشيء قد اشتمل على الحق وصار الحق كالشيء المستتر فيه، فأقسم لينقبن الباطل: أي ليحدث فيه فتقا كي يخرج ما استكنّ فيه من حق خفي.

إحداثها في الدولة الإسلامية وقد تضمنت نوعاً من الفخر الديني المتسم بالحزم والصرامة، تلافياً للانشقاق، ومن الملاحظ أن الفواصل قد اتخذت نسقا يتراوح بين الطول والقصر المبني على النتائج والمسببات، فتولد عن ذلك نوع من الجرس المتناسق، ذي النبر القوي، البعيد عن الرتابة، فجاءت السجعتان في (ساقتها، بحذافيرها) متناغمة تماماً مع (لمثلها)، رغم التفاوت في الكمية الصوتية بين الثلاث كلمات المتقاربة وزنا، كما أن النقلة إلى الشق الثاني من الفكرة، لم يفصمها عن سابقتها حين غيّر من نسق الحديث أثناء تدفقه من صيغة الإخبار إلى صيغة التعجب المقرون بالقسم والمربوط بين جزئيه بالنغمة المسجوعة التي وردت متوائمة في جرسها مع ما قبلها من حيث تدفق الحماس المتولد من الفخر المتمثل في قوله «مالي ولقريش . . . كافرين . . . مفتونين»، وقد وردت المقابلة بين الأمس واليوم في السياق لتضفي على البعد المعنوي الكامن في التاريخ، بعداً نغمياً تأملياً، داخل بين الأزمان ساعة وقوع الحدث بتبادل المواقف من خلال تبادل في عملية الضمائر في قوله «اخترنا عليهم، فأدخلناهم في حيزنا)، على أن الإختيار مفروض، ممّا يعني أن الإدخال لم يكن بالنسبة لقريش إلاّ بقوة ومن غير اقتناع، فأسلوب الفخر الكامن في العبارة لم يخرج عن نطاق المعاني الدينية المتسمة بالحسم والحزم، ممّا أدى إلى اكتساب المفردة اللغوية نوعاً من الموسيقى المتجانسة مع طبيعة الموقف الحماسي تجاه التمرد، حيث بقيت العبارة محافظة على توازنها آخذة من جو المناسبة ما يلائمها من نغم، مكتفية بالنهل من البديع الإيقاعي ما يحتاجه المعنى، أي أن ذلك الوزن بتموجاته المندفعة وترددات النفس قد انساب في نسيج النص طواعية، فأضفى على المعاني روحاً من الحماس المتزن فلم يفقد الفخر بداخله نغمته الدينية.

وفي مقام ثان يفتخر عليعليه السلام قائلاً «فَقُمْتُ بِالأَمْرِ حِيْنَ فَشَلُوا، وَتَطَلّعْتُ حِيْنَ تَقَبَّعُوا وَنَطَقْتُ حِيْنَ تَعْتَعُوا، وَمَضَيْتُ بِنُورِ الله حِيْنَ وَقَفُوا، وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً، وَأَعْلاَهُمْ فَوْتاً فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا، وَاسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا، كَالجَبَلِ لاَ تُحَرِّكُهُ القَوَاصِفُ، وَلاَ تُزِيْلُهُ العَوَاصِفُ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ، وَلاَ لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ»(١)، وقد اقتطعنا الفقرة من خطبة يصف عليعليه السلام فيها حاله منذ توفي رسول اللهﷺ وإلى آخر وقت انجلت فيه نتائج واقعة النهروان(٢)، وقد اقتضى المقام جانباً من الفخر الديني أيضاً، وذلك بعد أن قضى على فتنة الخوارج التي شلّت قواه ومنعته من القضاء على فتنة معاوية ومَن شايعه من القرشيين لذلك فقد وردت العبارات الفخرية فيها متدفقة حماساً، فانعكس ذلك التدفق على طول الجمل فوردت متناسبة في فواصلها متوحدة في جرس الكلمات المتقابلة في الجمل الأربع التي وازن السجع بواو الجماعة في نهاية كل واحدة منها، في مقابل ضمير المتكلم كنغم متداخل لتبيان التناقض قولاً وعملاً بينه وبينهم على قاعدة دينية لم يحد عنها قيد أنملة. ولإبقاء الأسلوب مستمراً في تدفقه وحيويته النغمية، وردت الفاصلتان القصيرتان المكللتان بالجناس الناقص في (صوتاً، فوتاً)

---

(١) خطب ـ ٣٧ ـ. وتقبعوا: اختبأوا وضده تطلعوا. والتعتعة: التردد في الكلام من عيّ أو حصر. وأعلاهم فوتاً: أسبقهم إلى القيام بالمهمات والمبادرة إلى عمل الخيرات. وأخفضهم صوتاً: أي أعمل في هدوء ودون تظاهر وزهو بما أعمل، وهو كناية عن التواضع ونفي الزهو والكبر. فطرت بعنانها واستبددت برهانها: أي سبقتهم وانفردت بالرهان أي الجائزة.

(٢) النهروان ـ مكان المعركة التي قاتل فيها على الخوارج سنة ٣٧ هـ. راجع بشأن المعركة وتاريخها ـ تاريخ الطبري ٥/ ٧٢ وما بعدها.

لتنقل نغمة الفخر إلى نبر أعلى من حيث الجرس والفاعلية والإنطلاق. وتدرجاً في الوصول بالنغم إلى ذروة الحماس، يطلق علي عليه السلام للكلمة حريتها لتنساح في فضاءات أوسع بتعليق العنان بالطيران، والرهان بالإستبداد على اعتبار ارتباط سرعة الإنجاز بالكسب المؤكد وذلك عن طريق بناء الفاصلتين على الجناس الناقص في قوله (عنانها ـ رهانها) والإختصار الفائق في تصوير السرعة المقرونة بالقوة والثبات الكامنتين في الجرس القوي المتولد عن استخدام كلمات هادرة ذات حروف إذا تتابعت في نسق الكلمة الواحدة فإنها تبعث في حناياها معاني القوة والضخامة، الكامنة في تحدي (العواطف والقواصف) كجمعي تكسير يدلان على الكثرة وينطويان على معاني التدمير والإزالة، فالتموج المتصاعد في الأسلوب والمقرون بالجمل المتفاصلة نغميا، لم يكن وليد الإفتعال أو التَّصَنُّع لأنه تصوير صادق لحالة ايحائية واعية، فارضة نفسها على النص جَرّاء المناسبة، معبرة عن مدى الإندماج في الموقف، والتفاعل مع الحدث. فالكفرة هنا مبنية على الفخر الديني أيضاً، ولكن المناسبة هنا اقتضت التعبير بأسلوب فيه حزم وتبرير: الحزم في عدم التهاون على الإطلاق مع الخارجين، والتبرير الكامن في أنه الآخذ بطريق الحق السالك إياه مذ عرفه في الإسلام ولن يحيد عنه إطلاقاً، وإن ما قام به من تقتيل في تلك الشرذمة هو من الحق فلا لوم عليه فيه. أما الفخر المتضمن الفكرة السابقة على فكرتنا هذه فيختلف من حيث أنه يراد به اماطة اللثام عن زيف اتخذه القرشيون ستاراً لمحاربته والوقوف ضدّه، لذلك اختلف النغم في كلا الفخرين.

وفي موقف فخر ثالث يقول علي عليه السلام «وَإِنّي لَمِنْ قَوْمٍ لاَ تَأْخُذُهُمْ فِي

الله لَوْمَةَ لاَئِم سِيْمَاهُم سِيْمَا الصِّدِّيْقِيْنَ، وَكَلاَمُهُمْ كَلاَمُ الأَبْرارِ، عُمَّارُ اللّيْلِ، وَمَنَارُ النَّهَارِ، مُتَمَسِّكُوَن بِحَبْلِ القُرْآنِ، يُحْيُوَن سُنَنَ الله، وَسُنَنَ رَسُولِهِ، لاَ يَسْتَكْبِرُونَ، وَلاَ يَغُلُّونَ، وَلاَ يُفْسِدُونَ، قُلُوْبُهُمْ فِي الجِنَانِ، وَأَجْسَادُهُمْ فِي العَمَلِ»[1]، وهو فخر يتضمن تهديد مبطن لخاتمة خطبة موضوعها ما تنطوي عليه العصبية القبلية من أخطار وتهديدها لبنية المجتمع. لذلك جاء الخطاب ضمن الموضوع متسلسل الأفكار معضد بالبراهين الدينية، متخذا من سير الرسل والأنبياء برهانا على التواضع والتذلل، فجاء الحديث عن النفس، متوشحاً بالخضوع، مجللاً بالتذلل في ذات الله، فوردت فواصل الفخر هادئة، ذات إيقاع رخيم، تكاد الجمل من خلاله أن تسمعنا نغمات صوفية، فلم تعد الكلمات الموزونة هي محور الموسيقى، وإن تطعمت الفكرة في بعض نواحيها بوحدات موسيقية تزيل عنها الرتابة، وتشيع في أنحائها الهدوء النابض بالبهجة التي انسابت في النص بسلاسة تنأى بها عن أي تصنع.

وفي مقام فخر رابع يوظّف عليعليه السلام المقابلات كدعامة من دعائم المقارنة، بغرض إبراز مزايا في مواجهة مزايا أخرى، فيتولد من تتابع تلك المقابلات نوع من التمازج النغمي لاعتماد الجمل ـ في السياق ـ على المقارنات التي فرضتها طبيعة الفكرة، كما في قوله ضمن ردّه على رسالة من معاوية «لَوْلاَ مَا نَهَى الله عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَةِ المَرْءِ نَفْسَهُ، لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً تَعْرِفُهَا قُلُوبُ المُؤْمِنِيْنَ، وَلاَ تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِيْنَ، فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِع لَنَا، لَمْ

---

(١) خطب ـ ٢٤٠ ـ فقرة ٢٧.

يَمْنَعْنَا قَدِيْمُ عِزِّنَا، وَلاَ عَادِي طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا، فَنَكَحْنَا وَأَنْكَحْنَا فِعْلَ الأَكْفَاءِ، وَلَسْتُمْ هُنَاكَ، وَأَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَمِنَّا النَّبِيُّ، وَمِنْكُمْ المُكَذِّبُ، وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ ومنكم أَسَدُ الأَحْلاَفِ، وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ العَالَمِيْنَ، وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الحَطَبِ، فِيْ كَثِيْرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ»[1]، فقد ورد السجع في تلافيف الفكرة بالقدر الذي احتاجته في تعضيد موسيقى التقابل، ممّا مازج بين المعاني والأصوات ممازجة كادت أن تكون ملحمة فخر، تعوّل على التاريخ، وتنهل من معاني القرآن شواهدها، مع توشّح العبارة منذ مطلعها بخضوع وتواضع ديني مجلل بكبرياء مكبوحة الجماح، أثار بعض من كوامنها طبيعة الموقف فأتت متتابعة متقابلة في تموجات صوتية عبر فاصلات قصيرة في:

---

(١) رسائل ـ ٢٨ ـ فقرة ٢. والرمية: الصيد يرميه الصائد. ومالت به: خالفت قصده. والقصد: أترك ذكر من مال إلى الدنيا وأمالته إليها، وإنّا صنائع وبنا والناس صنائع لنا: أي ليس لأحد من البشر علينا فضل، بل الله سبحانه هو صاحب الفضل علينا، ونحن الواسطة بين الناس وبينه سبحانه. والطول: الفضل. والعادي: القديم. والاكفاء: جمع كفء وهو النظير في الشرف. والمكذب: أبو سفيان بن حرب. وأسد الله: حمزة بن عبد المطلب وأسد الأحلاف: عتبة بن ربيعة. وسيدا شباب أهل الجنة: الحسن والحسين عليهما السلام. وصبية النار: كلمة قالها الرسول ﷺ لعتبة بن أبي معيط حين قتله صبراً يوم بدر، وقال كالمستعطف له ﷺ: من للصبية يا محمد، قال ﷺ: النار. وخير نساء العالمين: فاطمة بنت محمد عليها السلام. وحمّالة الحطب: هي أم جميل بنت حرب بن أمية، امرأة أبي لهب الذي ورد نص القرآن فيها بما ورد، وقوله «في كثير ممّا لنا وعليكم»: أي أنا قادر على أن أذكر من هذا شيئاً كثيراً، ولكني أكتفي بما ذكرت. ابن أبي الحديد ١٣/ ١٩٦، ١٩٧.

مِنّا النبي ومنكم المكذب
مِنّا أسدُ الله ومنكم أسدُ الأحلاف...

وقد أرسلها علي عليه السلام متناسبة لمضمون ما ورد في الرسالة الأم من فخر حاول معاوية فيه اثارة حفيظته والإنتقاص من سابقته وبلائه في الإسلام.

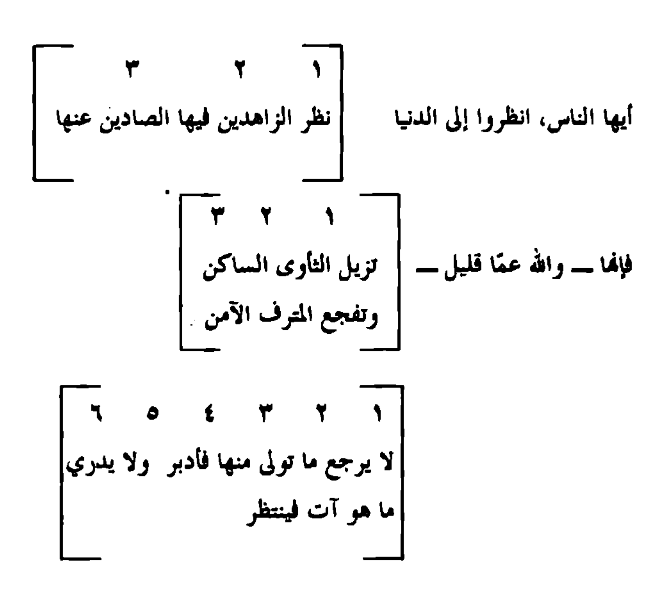
ويعتبر السجع من أبرز الظواهر الموسيقية في النهج لاحتلاله مساحة واسعة في الكثير من نصوصه، إلاّ أن تلك الكثرة لم تكن على حساب المعاني، لأن السجع كمحسّن لفظي لم يكن مقصوراً لذاته في تلك النصوص، للاحساس بانسيابه بعفوية وطلاقة ضمن سياقاتها المختلفة متميّزاً بخصائص من أبرزها:

أ ـ الإعتدال في مقاطع الكلام:

إذ تكاد الجمل المسجوعة في نصوص النهج أن تتخذ نسقاً فحواه التساوي في الكمية اللفظية بين الفواصل، والإعتماد على الجمل القصيرة كما في «أَيُّها النَّاسُ، انْظُرُوا إلى الدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِيْنَ فِيْهَا، الصَّادِفِيْنَ عَنْهَا، فَإِنَّهَا ـ والله عَمَّا قَلِيْلٌ ـ تُزِيْلُ الثَّاوِيَ السَّاكِنَ، وَتُفْجِعُ المُتْرَفَ الآمِنَ، لاَ يِرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا فَأَدْبَرَ، وَلاَ يُدْرَى مَا هُو آتٍ فَيُنْتَظَر»[1]، فكمية الألفاظ بين كل سجعتين متواليتين متساوية، فلو أرجعنا النص إلى وحدته الأولية المتمثلة في الجمل لاتخذ النسق التالي:

---

(١) خطب ـ ١٠٢ ـ المطلع.



ب ـ الثراء في قوافي الجمل المسجوعة:

فقلّما تتكرر القافية الواحدة في أكثر من ثلاث جمل مسجوعة متتالية، ممّا يزيل عن موسيقى الجمل الملل المتولد من رتابة التكرار من ذلك ما جاء في توبيخ البخلاء بالمال والنفس

«فَلاَ أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوهَا لِلّذِيْ رَزَقَهَا
وَلاَ النَّفْسَ خَاطَرْتُم بِهَا لِلّذِيْ خَلَقَهَا — قها

تَكْرُمُونَ بِاللهِ عَلَى عِبَادِهِ
وَلاَ تُكْرِمُونَ اللهَ فِي عِبَادِهِ — عباده

فَاعْتَبِرُوا بِنُزُلِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ
وَانْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ إِخْوَانِكُمْ»(*) — عباده

فقد اتخذت قوافي الجمل نغماً متنوعاً، ومتساويا من حيث الكمية اللفظية بين كل سجعتين متتاليتين، ممّا منح السياق تموجاً إيقاعياً مستساغاً.

(*) خطب – ١١٦.

جـ ـ ورود الجمل المسجوعة بمعان متنوعة في سياقها الفكري:

ممّا يعني عدم تكرار المعاني على حساب الألفاظ، فالسجع ليس مقصوداً لذاته، لذلك خلت نصوص النهج من الحشو، فجاءت معانيه محددة في الجمل التي صيغت من أجلها بحيث لا يمكن على الإطلاق الإستغناء عن أية جملة في أي نص من نصوصه، ويمكن ملاحظة ذلك في جميع النصوص التي وردت كاملة في النهج، مثل ذلك الدعاء:

«اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِاليَسَارِ
وَلاَ تَبْذُلْ جَاهِي بِالإِقْتَارِ
فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِي رِزْقِكَ
وَأَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ
وَأُبْتَلَى بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي
وَأُفْتَتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي»(١)

فكل جملة قائمة بذاتها في الفقرات المسجوعة الثلاث، قد أدت معنى قائماً بذاته يمكن اعتباره عنصراً أساسياً في سياق النص الفكري، فالسجع الوارد في الدعاء لم يكن على حساب المعاني أو تكراراً لفحوى معانيها.

د ـ تقبل النفس للسجع الوارد في تلك النصوص لبعده عن التصنع والغثاثة:

فالسجع في فواصل نصوص النهج لا يرد مفتعلاً متكلفاً، فانسيابه

---

(١) خطب ـ ٢٢٢ ـ. وصيانة الوجه: حفظه من التعرض لذل السؤال. وبذل الجاه: سقوط المنزلة من القلوب. والإقتار: الفقر.

الطوعي في تلك النصوص بسلاسته يجعل النفس تتقبله وترتاح إلى تردداته الإيقاعية، لتميّز عبارات النهج بالإنسجام التام بين اللفظ ومعناه والملابسات التي تكتنفه أثناء الأداء، وهو ما يمنح السياق نغمات عفوية تنم عن تفاعل قائلها معها وصدقه في توصيلها، فتسري في نفس متلقيها طيعة من ذلك ما جاء في مجال الحثّ على الجهاد:

«وَاللَّهُ مَسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ وَمَوَرِّثُكُمْ أَمْرَهُ
وَمُمْهِلُكُمْ فِي مِضْمَارٍ مَحْدُودٍ لِتَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ
فَشُدُّوا عُقَدَ المَآزِرِ وَاطْوُوا فُضُولَ الخَوَاصِرِ
وَلاَ تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ
مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ اليَوْمِ
وَأَمْحَى الظُّلَمَ لِتَذَاكِيرِ الهِمَمِ»[(١)]

فلقد سرت نغمة الحثّ والحماس في سياق النص، فمنح النغمات المتجانسة فيه سرعة منتظمة يكاد المتأمل في النص أن يحسها من كلمة (مستأديكم) المتضمنة معنى الطلب الواجب الأداء ومورثكم بما تتضمنه من معاني العطاء، فالعلاقة بين المعنيين: أداء الشكر للمنعم ووراثة الأمر علاقة ترابطية مستمرة، وتنطوي الإستمرارية على سرعة فيها يكاد المتأمل

(١) خطب ـ ٢١٧ ـ. ومستأديكم: طلب منكم أداء شكره. وممهلكم في مضمار: أي معطيكم مهلة في مضمار الحياة المحدود. وتتنازعوا: تتنافسوا. العقد: جمع عقدة وهو الربط. والمآزر: جمع مئزر، وشد عقد المآزر، كناية عن الجدّ. واطووا فضول الخواصر: أي ما فضل من مآزركم كي لا يعيق سرعتكم بالتفافه حول أرجلكم. وما تعجبية: أي ما أشد النوم نقضاً لعزائم النهار بعزم السائر على قطع جزء من الليل في السير.

في النص أن يشعر بها من خلال كلمة (ممهلكم) والمضمار والمتعلق بها ووصف ذلك المضمار بالمحدودية، ممّا يعني التتابع السريع الكامن في ضمير الغائب المضاف في (شكره، أمره، سبقه) وما أحدثه ذلك الضمير في الفواصل من تجانس إيقاعي، وتوكيداً لاستمرارية الحماس وتتابع تدفقه، انبثقت الجملتان الإنشائيتان بما فيهما من حث كامن في الكنايتين (عقد المآزر، فضول الخواصر) كتعبير عن الإستعداد وطرح كل ما يعيق السرعة، وقد أضفت السجعتان المتتاليتان (المآزر، والخواصر) نوعاً من التصميم القوي الكامن في تكرار الراء بما فيها من تصويت نغمي مستمر قوي، ثم العودة إلى النفي في الجملة الخبرية غير المؤكدة على أساس أن مضمون الإخبار فيه أمر مفروغ منه لا يحتاج إلى مؤكدات، ضمن مقولة حكمية تعني استحالة الوصول إلى المعالي في ظل الركون إلى الدعة والجري وراء اللذات، مع تناسق نغمي بين المعنيين اللذين يوحيان بالتقابل بين (العزيمة) كحافز على التصميم و(الوليمة) كتعبير عن الدعة، وفي سياق الحث يعود أسلوب الإنشاء ليفرض نفسه من خلال التعجب كمقولة توكيدية مفروغ منها بما تعنيه من قوة كامنة في النوم، عادة ما تنفض وتهير كل عزيمة خطط لها في النهار، وذلك بالنسبة للسائر طوال النهار وفي عزمه قطع جزء من الليل في متابعة السير، فيحول النوم بينه وبين ذلك، فيكون ظلامه كستارة أستدلت على همم النهار وعزمه، مع ورود الميم كإيقاع تكرر في المواقع الأربعة بنغمات مختلفة في جرسها فقد تجانست كلمة النوم في وزنها الإيقاعي ومعظم حروفها مع اليوم مشكلة ما يسميه البلاغيون بالجناس الناقص، وتوائم الوزن بين الظلم والهمم، فأضاف ذلك إلى أسلوبي التعجب نسقاً إيقاعياً، انطوى على حثّ غير مباشر

للوصول إلى الغاية، فتدفق المعاني وانسياب الموسيقى من خلال التنقل في أساليب اللغة نأى بالجناس وغيره من المحسنات البديعية في النهج عن الرتابة والإفتعال والغثاثة.

ويمكن إرجاع انتشار المحسن البديعي اللفظي في الكثير من نصوص النهج لسببين هما:

* **الأول**: تشبّع روح علي عليه السلام بصيغ القرآن الكريم وأساليبه التي تشربتها نفسه حتى كادت تستوعب عليه كل كيانه ومشاعره، فكاد ينطق بها في جلّ ما يصدر عنه من حديث ولما كان أسلوب القرآن الكريم قد بني على نظام «يسمح في الغالب بوقف كامل يستريح عنده نفس القارئ، وهو نظام يخالف نظام النثر المرسل ونظام السجع الذي أثر عن الجاهليين[1]، فقد احتذاه علي وسار على نهجه وتمثّل قوالبه، دون أي تكلف، وهذا ما جعل أسلوبه يسير في ظلال أسلوب القرآن الكريم مبنى ومعنى، فكان إيقاع الفواصل وجرس الحروف الذي تميزت به آيات القرآن ممّا اكتسبه النثر الذي أثر عنه، ويمكن ملاحظة ذلك بجلاء في النصوص التي وردت في النهج مستلهمة مضامينها الفكرية من تأملها العميق في معاني بعض آيات الذكر الحكيم[2].

* **الثاني**: وهو عنصر نفسي، إذ لاحظنا كثرة الأسجاع والمقابلات المتقاربة في جرسها المتكاملة في إيقاعاتها في خطب علي عليه السلام ورسائله الإنفعالية التي كان يرسلها كنفثات يحاول من خلالها التخفيف من وطأة ما تعانيه نفسه من آلام مكبوته مرجعها لأسباب أهمها:

---

(١) زكي مبارك ـ النثر الفني ١/ ٤٦.

(٢) راجع خطب ـ ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠.

ـ الشعور بالهضيمة بسبب إقصائه عن حقه في الخلافة، بعد وفاة الرسول ﷺ واستمرار ذلك مدة خلافة الراشدين الثلاثة قبله، ومناوأة قريش له بعد أن آلت اليه الخلافة، رغم اعتقاده الراسخ بأحقيته فيها، فإن رنة الحزن التي سرت فيما أثر عنه من أقوال في ذلك، جعلها تتميز بجرس اصطبغ برنة حزن، كست العبارات من حيث المعاني وإيقاعاتها كتعبيرات متزاحمة بما تنوء به نفسه من شعور بالضيم، ويمكن تبين ذلك في خطبه التي تضمنت موضوعاتها مسألة الخلافة، خاصة خطبته المعروفة بالشقشقية[١]، فقد وردت الموسيقى الحزينة الساخطة، هادرة مزمجرة، مفجرة في النص ما كانت نفسه ترزح تحت وطأته من آلام، حاول كبتها مدة من الزمن غير قصيرة، فتفجرت كالبركان الباعث بحممه فجاءت موسيقى النص صاخبة وحزينة.

ـ حالات الحزن المتولدة عن فقد الأحبة، فإن مثل هذه المناسبات تغلف مقولات علي عليه السلام بالأسى وتبث في أوصالها جرساً ينطوي على أساه وألمه، ممّا يتيح للفواصل، وقفات استراحة تأملية موزونة، تحيل المعاني إلى حزن هادئ ومتئد، بعيد عن التشنجات العصبية التي تفقد الإيقاعات طاقاتها الإيحائية.

ـ من ذلك ما أثر من قول بعد دفنه زوجته السيدة فاطمة ابنة الرسول ﷺ ومنه «السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الله عَنِّي، وَعَنْ ابْنَتِكَ النَازِلَةِ إلى جِوَارِكَ، السَّرِيْعَةِ اللّحَاقِ بِكَ، قَلَّ يَا رَسُولَ الله عَنْ صفيتك صَبْرِي، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي، إلاّ إنَّ فِي التَّأَسِيْ لِيْ بِعَظِيْمِ فُرْقَتِكَ وَفَادِحِ مُصِيْبَتِكَ مَوْضِعَ

(١) راجع خطب رقم ٣.

تَعَزٍّ»[1]، فقد انساب الحزن ضمن المقولة ساكنا، أضفت عليه الموسيقى الصادرة من فواصل الأسجاع المتنوعة جواً من التأسّي الممزوج بالألم العميق الكامن في أعماق النفس.

ـ ومن ذلك أيضاً ما قاله عندما وافاه خبر وفاة مالك الأشتر «مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ والله لَوْ كَانَ جَبَلاً لَكَانَ فِنْداً، وَلَوْ كَانَ حَجَراً لَكَانَ صَلْداً، لاَ يَرْتَقِيْهِ الحَافِرُ، وَلاَ يُوْفِيْ عَلَيْهِ الطَّائِرُ»[2]. فقريحته أبت إلاّ أن يكون التأبين المجلل بالحزن قويا في جرسه، ممّا جعلها تجود بموسيقى تتناسب وشجاعة المؤبن في ترجيعات حزينة لا يمكن أن يدرك مدى ألمها وعمق وقعها في النفس إلاّ من يعرف علاقة مالك الأشتر بعلي عليه السلام.

ومن العوامل النفسية التي فرضت تدفق أساليب البديع ضمن مأثورات علي عليه السلام تولّد الأسى المكبوت وامتزاجه بالغضب في قرارة نفسه جرّاء ما لقيه من أصحابه من عناد وخلاف، ومن عدم امتثال لنصحه، وعدم الإستجابة لأوامره، واستغاثاته في مقاومة أعدائه ومناوئيه بالإضافة إلى خيانة بعض ولاته لأماناتهم التي كلفهم بالقيام عليها وحفظها.

فمن الرسائل الغاضبة التي يمكن ملاحقة قوة الإيقاع فيها، بالممازجة بين جرس الألفاظ والتقابل في معانيها ما جاء في قولة لأحد ولاته حين بلغته خيانته:

---

(١) خطب ـ ١٩٦ ـ.

(٢) حكم ١٥٢. الفند: الجبل المفرد من الجبال. والصلد: الصلب الذي لا يتفتت. ولا يوفى عليه أي لا يصل إليه.

«أمّا بَعْدُ

فإن صَلاَحَ أَبِيْكَ
مَا غَرَّنِيْ مِنْكَ — فاصلتان مسجوعتان

وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ
وَتَسْلُكُ سبِيْلَهُ — فاصلتان مسجوعتان

فَإِذَا أَنْتَ فِيْمَا رُقِّيَ إِليَّ عَنْكَ
لاَ تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً
وَلاَ تُبْقِي لآخرَتكَ عَتَاداً — فاصلتان مسجوعتان

مقابلة + سجع ـ تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ

مقابلة + سجع ـ وَتَصِلُ عَشِيْرَتَكَ بِقَطِيْعَةِ دِيْنِكَ»[١]

فعبارات التوبيخ الغاضبة قد وردت متتابعة متخذة نسقاً إيقاعياً تلقائياً، بتكرار كاف الخطاب سبع مرات، بتضمينها في المواضع السبعة اتهاماً مباشراً مقرونا بخيبة أمل متولدة عن اختيار غير مناسب، معياره صلاح الأب، وقد زاد في تكثيف الموسيقى ضمن السياق جرس الألفاظ المتولّد عن السجعات المتوالية في نسقها المختلفة في أدائها النغمي في:

(١) رسائل ـ ٧١ ـ. والعتاد: العدّة. وتصل عشيرتك: تغدق عليهم.

تتبع هديه، تسلك سبيله

لهواك انقياداً، لآخرتك عنادا

والمقابلات في:

تعمّر دنياك، بخراب آخرتك

تصل عشيرتك، بقطيعة دينك

ويقصد علي عليه السلام بالدين هنا علاقة العبد بربه، وقطيعة الدين انفصام لتلك العلاقة.

ويعلو النبر الإيقاعي أيضاً في خطب الجهاد، ولكن برغم الصخب الذي تندفع به المعاني، يبقى الجرس واضحاً، ليس إلاّ لأن روح علي عليه السلام تكون في غاية النشوة والحبور، وهي تسجل بالكلمة أناشيد البطولة والفداء، كما تسجل بالسيف ملاحم الشجاعة، فالنغمة الشجية الهادئة في خطب الإيمان الداعية إلى تمجيد الخالق وشكره، تقابلها نغمات القوة والحماس أثناء المنافحة والدفاع عن ذلك الإيمان، ممّا يحيل الخطب الحماسية إلى نشيد ملحمي يتردد صداه في صدر كل مقاتل يحارب إلى جانبه، فمن خطبة له في صفين «الْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي، الْيَوْمَ تُبْلَى الأَخْبَارُ، واللهِ لَأَنَا أَشْوَقُ إلى لقائهم مِنْهُمْ إلى دِيَارِهِمْ، اللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا الحَقَّ، فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ، وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ وَأَبْسِلْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ...»[1]،

---

(١) خطب ـ ١٢٤ ـ. الجنة تحت أطراف العوالي: مأخوذ من قول رسول الله صلى الله عليه وآله «الجنة تحت ظلال السيوف» وبروق العوالي: لمعان الرماح وخطفها في حركتها أثناء الحرب.
وقوله: اليوم تبلى الأخبار: مقتبس من قوله تعالى «ونبلو أخباركم» محمد / ٣١: أي نخبر أفعالكم.

فقد اتخذت الجمل في السياق نسقاً إيقاعياً تصاعدياً، بانسياب الجملتين الخبريتين في المطلع بطريق الفصل على اعتبار الرابط النفسي هو اللاحم بينهما، ومن أجل استمرارية التصاعد الحماسي انبثقت جملة القسم مؤكدة إحساسات علي عليه السلام إزاء الموقف، مكتفية بالعامل النفسي كرابط لها في السياق، تلا ذلك فصل ثالث تضمن ثلاث جمل إنشائية متواصلة بالعطف بالواو فيما بينها باعتبار وقوعها ضمن جواب الشرط الواقع ضمن الجملة الدعائية وقد اكتست تلك الجمل الثلاث نبراً إيقاعياً قوياً ولّدته الميم الساكنة. فتمازج الفصل كرابط نفسي بالوصل كرابط تعبيري، وتنقل الأفكار عبر الأساليب الخبرية والإنشائية، مع التناغم المتولد من توحد قوافي الجمل الثلاث الأخيرة قد كسا النص التدفق والإستمرارية ف معاني الحماس.

لقد بلغ نهج البلاغة من الإتساق الأسلوبي والرصانة الفكرية والإلتزام ما جعله يتبوأ ذروة الإبداع «فإذا هو على كثرة ما فيه من الجمل المتقاطعة الموزونة المسجعة أبعد ما يكون من الصنعة وروحها، وأقرب ما يكون من الطبع الزاخر»[١].

---

(١) جرداق ـ علي عليه السلام صوت العدالة ٣/ ٢٠٨.

الخاتمة

إن النتيجة التي توصلنا إليها، من خلال البحث عن أصول نهج البلاغة، هي ترجيح نسبتها إلى علي عليه السلام، لكون تلك النصوص في مجملها نابعة من معين فكري واحد، متخذة نسقا أسلوبيا يتميّز بخصائص تركيبية تنتمي ـ في مجملها ـ من حيث الترتيب المنطقي، والأداء الأسلوبي، والقاموس اللغوي، إلى مفكر واحد. هذا بالإضافة إلى القرائن التاريخية والأدلة التوثيقية والشواهد الإسنادية التي تعضد نسبة تلك النصوص إلى علي عليه السلام، فانفتح لنا الباب بذلك مشرعاً للدخول إلى فكر علي عليه السلام من خلالها بكل اطمئنان.

ففي مجال دراستنا للأفكار الواردة في تلك النصوص المتعددة المناحي والمناسبات وجدنا أنها ـ في معظمها ـ مشيّدة على دعائم ثلاث تتمثل في: الفكر السياسي، والفكر الإجتماعي، والفكر الكلامي، وهذه الدعائم الثلاث تحث أبناء مجتمع عليّ عليه السلام على المثالية وعلى التوق إلى نصاعة الإسلام الأولى التي كانت على عهد الرسول صلى الله عليه وآله. فمن هذه الناحية يمثل علي بن أبي طالب الرسول صلى الله عليه وآله في كل أفعاله وأقواله.

ففي ميدان السياسة، رفض أن يسكت عن أحقيته في ولاية المسلمين

مبينّا موقفه الفكري تجاه خلافة الراشدين الثلاثة قبله، مع إبقاء رابطة التعاون معهم في حدود ما يرضي الله، ويحفظ للإسلام قوته ووحدته، كما وقف بكل حزم، ودونما تهاون أو تراخ في وجه المناوئين لحكومته، لا تمسّكاً بالحكم، ولكن تصديّا لكلّ ما يسيء إلى تعاليم الإسلام كاستغلال مفاهيمه الإنسانية استغلالاً معوّجاً، لصالح فئة معيّنة على حساب الفئات المستضعفة.

ولكن تيّار المادة كان أقوى من تيّار القيم التي نادى بها علي عليه السلام، وكانت النتيجة استشهاده في سبيل المبدأ، ومن أجل إبقاء القيم ناصعة، وقد تمثل ذلك التصور بكل أبعاده في مفهومه للدولة، وأهلية القيادة، وكيفية تصوره لمؤسسات الدولة من النواحي القضائية والعسكرية والإقتصادية والإدارية، وقد انبنى ذلك التصور على أسس متناهية في مثاليتها، غايتها الإنسان وسعادته في الدارين، فهي سياسة دينية تطمح إلى الأخذ بيد الإنسان نحو حياة مشرقة في ظلال شجرة القيم الأخلاقية المورفة الظلال.

وضمن استنتاجاتنا لخلاصة الفكر الإجتماعي الوارد في سياق نصوص نهج البلاغة وجدنا أنه بما ينطوي عليه من مبادئ وقيم، ملتصق التصاقا مباشراً بالإنسان في جميع مراحل حياته. وفي كل علاقاته بمحيطه، بداية من الأسرة فالصداقات المحدودة، فالعلاقات الإجتماعية بمعناها العام الشامل، ممّا يعني أن حقوق الفرد تجاه كل تلك العلاقات مرتبطة ارتباطاً وثيقا بواجباته تجاه مجتمعه بحيث تبقى فرديته متميّزة بطابعها الشخصي ومنسجمة ـ في آن واحد ـ مع أفراد المجتمع من حولها، تحت مظلة

المساواة والعدل المنطويين على الحب والخير، والمؤديين إلى الأمن الذي ينشده كل فرد وكل جماعة. لذلك جاءت معالجة علي عليه السلام لكل عنصر سلبي في المجتمع معالجة جذرية وبنّاءة، مع طموح دائب في الوصول بالفرد ضمن مجتمعه نحو ما يريده له الإمام علي عليه السلام من مثال ضمن مجتمع أساسه التوازن في معاملاته وعلاقاته بين المتطلبات الدنيوية والمتطلبات الأخروية.

لذلك ارتأى علي عليه السلام أن يكون الإنسان على دراية ومعرفة بقيمته الإنسانية ولن يتأتى له ذلك إلاّ من خلال معرفة علاقته بخالقه المتمثلة في إدراك حقيقة الوجود من حوله وعلاقة ذلك الوجود به هو نفسه، وأثر الخالق في الوجود وما يرتبط فيه من علاقات، فإذا ما تمكن الإنسان من معرفة نفسه، استطاع أن يعرف ذاته التي يمكنه من خلالها تقدير منـزلته في هذا الكون، فتطمئن نفسه ويهتدي بتأمله العميق ذاك إلى فكرة التوحيد، لذلك العنصر الذي ما فتئ يلحّ على نفس علي عليه السلام حتى آخر لحظة من حياته، على اعتباره لبّ العقيدة الإسلامية وركنها الأساسي.

فالتوحيد ـ كما هو بيّن في النهج ـ دعوة إلى الإيمان بوجود الخالق الواحد من خلال ذاتية يمكن للإنسان أن يتوصل إليها بالنظر إلى نفسه، وفي ما حوله من إبداعات، وهو ما يقتضي أن يعرف ماهية علاقة الملائكة بالخالق، بالقدر الذي يستوعبه فكر الإنسان، كل حسب مستواه كمعلم من معالم العقيدة لا جدال فيه.

ومن معالم العقيدة في فكر علي عليه السلام الإيمان بالرسل وقيمتهم الأساسية كهداة أنيطت بهم مهمة انتشال العقول من مهاوي الجهالة ومتاهات الضلالة.

ولما كان الإنسان هو المعني بالرعاية، والمحاط بالتكريم من لدن الخالق العظيم فقد أفرد له علي عليه السلام مساحة واسعة من فكره، معتبراً إياه المخلوق السويّ المميّز، الذي من أجله خلق الله هذا الكون وجعل كل مقدراته تحت تصرفه، فكان أن وقف متأملاً في حقيقة خلقه، وأصول تربته التي أنشأه الله منها، ومكانته فذا الكون، وقدرته على التصرف فيما حوله، وغاية وجوده، وعلاقته بالدنيا الزمانية، والأخرى المكانية، والترابط بينهما في وحدة تكمن في المصير، ممّا يحتّم على الإنسان أن يدرك ذلك كله. وإدراكه ذاك سيقوده لا محالة إلى الفهم الحقيقي في كيفية التصرف بحياته المؤقتة. وعند هذه النقطة يتداخل مفهوم التصوف بمفهوم الزهد في نهج البلاغة، فيمنح النصوص المتعلقة بذلك أبعاداً فلسفية غايتها الخروج منه بأفكار تصلح لأن تكون متكآت فكرية للتصوف عند المتصوفة، وللزهد عند من يدعون إلى ذّم الدنيا والإعراض عن شؤونها، ولكن بتتبعنا لفحوى تلك النصوص، نجد أن فكر علي لا ينحو نحو التصوف، ولا يأخذ بالجانب الزهدي كأسلوب يحرم النفس من متع الدنيا التي أحلّها الله.

فالزهد كما نستشفه من أفكار علي عليه السلام هو الأخذ من متع الحياة بما يتلاءم والقيم التي شرّعها الإسلام دونما إفراط ولا تفريط، ثم انه في جانب آخر يعني إحاطة الأخلاق بسياج متين من القيم في حالة إخفاق الإنسان في تحقيق طموحاته المادية في الحياة، وهو في جانب ثالث يعني إقدام الإنسان على خوض الغمرات إلى الحق بكل إصرار وإيمان انطلاقاً من مفهوم واجب الإنسان نحو خالقه في دنياه القصيرة ممّا يمنح الجهاد بكل معانيه أبعاداً ذات قيمة مقدّسة في فكر علي عليه السلام.

فتمسّك الإنسان بالقيم والإصرار على بقائها ناصعة، واحتمال المشاق من أجل خلودها، لابدّ أن يصل بالإنسانية ـ في نهاية المطاف ـ إلى المكانة السامقة، بالتوق نحو مستقبل تكون الحقيقة فيه جليّة، حيث لا ظلم ولا اضطهاد، ولا زيف ولا نفاق، وذلك هو لبّ محور فكر علي عليه السلام في الجانب الكلامي المتمثل في فكرة المهدي والمهدية.

لقد قام الشريف الرضي بإنجاز خالد حين باشر بجمع ما جمعه من هذا الفكر الثر المنطوي على تصوّر شبه متكامل للحياة بكل أبعادها السياسية والإجتماعية والفكرية، وفي قوالب أسلوبية هي غاية في الإبداع والروعة من حيث التناسق الأسلوبي، والجمال البلاغي والإنسجام النغمي، فكان نهج البلاغة بما حواه من خطب ووصايا وعهود ورسائل ومواعظ وحكم بناءاً متناغماً ومعلماً متكاملاً من حيث الشكل الفني والمضمون الفكري.

جدولة ما ورد في نهج البلاغة من نصوص

ملاحظات جديرة بالإنتباه:

أ ـ نسخ نهج البلاغة المعوّل عليها حسب ترتيب ورودها في الجدول:

١ ـ الراوندي ـ سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣ هـ): «منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة» ـ تحقيق عبد اللطيف الكوهكمري ـ آية الله المرعشي ـ قم ـ ١٩٨٥.

٢ ـ ابن أبي الحديد ـ عز الدين بن هبة الله بن محمد (ت ٦٥٥ هـ): «شرح نهج البلاغة» ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ط ٢ ـ ١٩٦٥. ويمكن مطابقة ط دار الجيل ١٩٨٨ بها.

٣ ـ ابن أبي الحديد: «السابق» ـ مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ١٩٨٣.

٤ ـ ميثم البحراني ـ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم (ت ٦٧٩ هـ): «شرح نهج البلاغة» ـ دار العالم الإسلامي ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٩٨١.

٥ ـ الخوئي ـ ميرزا حبيب الله: «منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة» ـ مؤسسة الوفاء ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٩٨٣.

٦ ـ عبده ـ محمد: «شرح نهج البلاغة» ـ الأعلمي ـ بيروت ـ د. ت.

٧ ـ «شرح نهج البلاغة» ـ تحقيق محمد عاشور ـ الشعب ـ القاهرة ـ د. ت.

٨ ـ «شرح نهج البلاغة» ـ الأندلس ـ بيروت ط ٧ ـ ١٩٨٩.

٩ ـ «شرح نهج البلاغة» ـ البلاغة ـ بيروت ـ ط ٤ ـ ١٩٨٩.

١٠ ـ مغنية ـ محمد جواد: «في ظلال نهج البلاغة» ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٩٧٨.

١١ ـ الصالح ـ صبحي: «تحقيق نهج البلاغة» ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ط ٣ ـ ١٩٨٣.

١٢ ـ الحسيني ـ عبد الزهراء: «مصادر نهج البلاغة» ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٩٧٥.

١٣ ـ كاظم محمدي ومحمد دشتي: «المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة» ـ دار الأضواء ـ بيروت ـ ١٩٨٦.

١٤ ـ محمد أبو الفضل إبراهيم: «تحقيق وشح نهج البلاغة» ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ١٩٨٨.

ب ـ رموز الجدولة:

١ ـ ق. ش: قبل الشريف الرضي.

٢ ـ م. ش: معاصر للشريف الرضي.

٣ ـ ب. ش: بعد الشريف الرضي.

٤ ـ خ: وردت باختلاف.

جـ ـ لابدّ من التنويه هنا أننا قد استفدنا كثيراً في جدولتنا من الكتب التالية:

١ ـ «الكاشف عن ألفاظ نهج البلاغة في شروحه» ـ للسيد جواد الخراساني ـ دار الكتب الإسلامية ـ طهران ـ ط ٢ ـ ١٩٧٥ .

٢ ـ «مصادر نهج البلاغة وأسانيده» ـ لعبد الزهراء الحسيني .

٣ ـ «المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة» ـ لكاظم محمدي ومحمد دشتي .

د ـ تركنا أعمدة زائدة في الجدولة لاستكمال جدولة ما لم نعثر عليه مستقبلا .

هـ ـ ألحقنا بالجدولة ما أغفل سهوا من المواعظ والحكم أثناء النقل .

جدولة المختار
من خطب أمير المؤمنين

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات: الزمن	ملاحظات: الفرق
١	الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون	جـ ١	جـ ١	جـ ١	جـ ١	جـ ١	جـ ١				جـ ١		جـ ١		جـ ١	ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ٤/ ٧٤ فقرات منها	ق ش	خ
		٢٢	٥٧	٦٧	١٠٦	٢٩٣	١٤	٢٥	٣٣	٦٩	١٥	٣٩	٢٨٣	١٥	١٣	السكوني ـ عيون الناظرات ص ١٨٢ فقرات منها	ب ش	خ
٢	أحمده استتماما لنعمته	١٠٩	١٢٢	١٢٠	٢٢٥	جـ ٢ ٣٦٧	٢٧	٣٢	٣٥	٨٢	٧٢	٤٦	٢٩٨	١٦	٣٦	الراوندي ـ منهاج البراعة ١/ ١١٦ ذكر إسنادها		
																متصلا بالحسن بن علي بن أبي طالب(ع)		
٣	أما والله لقد تقمصها فلان	١١٨	١٥١	١٣٤	٢٤٩	جـ ٣ ٣٦	٣٠	٣٣	٣٩	٨٦	٨٣	٤٨	٣٠٣	١٧	٢٩	الصدوق ـ علل الشرائع ـ ص١٥٠.	ق ش	خ
																الأبي ـ نثر الدر ١/ ٢٧٤.	م ش	خ
٤	بنا أهديتم في الظلماء	١٣٥	٢٠٧	١٧٤	٢٧٠	١١٧	٣٨	٣٧	٤٥	٩٣	١٠٠	٥١	٣٢٥	١٧	٣٧	المفيد ـ الارشاد ـ ص ١٢٥.	م ش	خ
٥	أيها الناس شقوا أمواج الفتن	١٤٣	٢١٣	١٧٨	٢٧٦	١٣٥	٤٠	٣٨	٤٧	٩٤	١٠٦	٥٢	٣٢٨	١٧	٤٠	سبط بن الجوزي ـ تذكرة خواص الأمة ص ١٢١ رواها مسندة.	ب ش	خ
٦	والله لا أكون كالضبع	١٤٧	٢٣٣	١٨٥	٢٨٠	١٤٣	٤١	٩	٤٩	٩٦	١١١	٥٣	٣٣١	١٨	٤١	الطبري ـ تاريخ الطبري ٤/ ٤٥٨	ق ش	خ
																الهروي ـ غريب الحديث ٣/ ٤٣٦	ق ش	خ
٧	اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكا	١٥٠	٢٢٨	١٨٩	٢٨١	١٥٠	٤٢	٣٩	٥٠	٩٧	١١٣	٥٣	٣٣٣	١٨	٤٢	ابن الأثير ـ النهاية في غريب الحديث٢/ ٥٠ ذكر منها جملة	ب ش	
٨	يزعم أنه بايع بيده	١٥١	٢٣٠	١٩٠	٢٨٣	١٥٤	٤٢	٣٩	٥٠	٩٧	١١٥	٥٤	٣٣٤	١٨	٤٣	المفيد- الجمل- ص ١٧٥ رواها الحسن	م ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات: الزمن	ملاحظات: الفرق
٩	وقد أرعدوا وأبرقوا	ج ١	ج ١	ج ١	ج ١	ج ٣	ج ١				ج ١		ج ١			ابن اعثم الكوفي ـ الفتوح ١/ ٤٧٢ جملة منها	ق ش	خ
		١٥١	٢٣٧	١٩٥	٢٨٤	١٥٨	٤٢	٣٩	٥١	٩٨	١١٧	٥٤	٣٣٦	١٨	٤٤	المفيد ـ الجمل ص ١٧٧ ـ عن الواقدي	م ش	خ
١٠	الا وان الشيطان قد جمع	١٥١	٢٣٩	١٩٧	٢٨٥	١٦١	٤٣	٤٠	٥١	٩٨	١١٩	٥٤	٣٣٨	١٨	٤٥	المفيد ـ الجمل ص ١٤٤	م ش	خ
١١	تزول الجبال ولا تزل	١٥٦	٢٤١	١٩٩	٢٨٦	١٦٤	٤٣	٤٠	٥٢	٩٨	١٢١	٥٥	٣٣٩	١٨	٤٦	ابن اعثم الكوفي ـ الفتوح ١/ ٤٧٨ خبر المقولة	ق ش	
١٢	أهوى أخيك معنا	١٥٦	٢٤٧	٢٠٣	٢٨٨	١٨١	٤٤	٤٠	٥٢	٩٩	١٢٢	٥٥	٣٤١	١٨	٤٧	البرقي ـ المحاسن ص ٢٦٢	ق ش	خ
١٣	كنتم جند المراة	١٥٧	٢٥١	٢٠٦	٢٨٩	١٨٧	٤٤	٤٠	٥٣	١٠٠	١٢٤	٥٥	٣٤٢	١٨	٤٨	ابن قتيبة ـ عيون الأخبار ٢١٧/١	ق ش	خ
																ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ٨١/٤	ق ش	خ
١٤	ارضكم قريبة من الماء	١٥٧	٢٦٧	٢١٨	٢٩٤	٢١١	٤٦	٤١	٥٤	١٠١	١٢٧	٥٦	٣٤٨	١٨	٥٠	ابن قتيبة ـ عيون الأخبار ٢١٧/١	ق ش	خ
																ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ٣٢٨/٤	ق ش	خ
١٥	والله لو وجدته تزوج	١٦٣	٢٦٩	٢٢٠	٢٩٥	٢١٣	٤٦	٤١	٥٥	١٠٢	١٢٩	٥٧	٣٤٩	١٨	٥١	ابن أعثم ـ الفتوح ١/ ٤٣٢ ـ ذكر خير المقولة	ق ش	
																ابو هلال العسكري ـ الأوائل ص ١٣٩	ق ش	خ
١٦	ذمتي بما أقول رهينة	١٦٤	٢٧٢	٢٢٢	٢٩٦	٢١٧	٤٦	٤١	٥٥	١٠٢	١٣١	٥٧	٣٥١	١٩	٥٢	الجاحظ ـ البيان والتبيين ٣٠/٢	ق ش	خ
																ابو طالب المكي ـ قوت القلوب ١/ ١٤٢ جملة منها.	ق ش	خ
١٧	إن ابغض الخلائق عند الله	١٧٣	٢٨٣	٢٢٩	٣١٠	٢٤٧	٥١	٤٤	٥٩	١٠٦	١٤٠	٥٩	٣٥٧	١٩	٥٥	المفيد ـ الإرشاد ص ١٣٢	ق ش	خ
																القاضي القضاعي ـ دستور معالم الحكم ص ١١٤	ق ش	خ
١٨	ترد على أحدهم القضية	١٧٥	٢٨٨	٢٣٣	٣٢٠	٢٦٦	٥٤	٤٥	٦٢	١١٠	١٤٨	٦٠	٣٦١	١٩	٥٨	القاضي النعمان ـ دعائم الإسلام ٦٢/١ عن عمر بن اذينة	ق ش	خ
																الطبرسي ـ الاحتجاج ص٢٦١	ب ش	

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
١٩	وما يدريك ما عليّ	ج ١ ١٨٠	ج ١ ٢٩١	ج ١ ٢٣٦	ج ١ ٣٢٢	ج ٣ ٢٩١	ج ١ ٥٦	٤٦	٦٣	١١١	ج ١ ١٥١	٦١	ج ١ ٣٦٧	١٩	ج ١ ٦٠	الاصفهاني ـ الأغاني ـ ٢١/٢٠ ثقافة	ق ش	خ
٢٠	فإنكم لو عاينتم ما قد	١٨١	٢٩٨	٢٤١	٣٣٦	٢٩٢	٥٧	٤٧	٦٥	١١٢	١٥٥	٦٢	٣٦٩	٢٠	٦١	الكليني ـ أصول الكافي ١/ ٤٠٥	ق ش	خ
٢١	فإن الغاية أمامكم	١٨١	٣٠١	٢٤٣	٣٣٠	٣٣٠	٥٨	٤٧	٦٥	١١٣	١٥٨	٦٢	٣٧٠	٢٠	٦٢	تاريخ الطبري ٤/ ٤٣٦	ق ش	
٢٢	الا وإن الشيطان قد ذمّر	١٨٢	٣٠٣	٢٤٥	٣٣٢	٣٠٧	٥٩	٤٨	٦٦	١١٤	١٦٠	٦٣	٣٧٢	٢٠	٦٣	المفيد ـ الإرشاد ص ١٣٤	م ش	
																ابن عبدالبر ـ الاستيعاب بهامش الإصابة ٢/ ٢٢٢	ب ش	خ
٢٣	أما بعد فإن الأمر ينزل من السماء	١٨٩	٣١٢	٢٥٣	ج ٢ ٣	٣١٨	٦٠	٤٨	٦٨	١١٥	١٦٥	٦٤	٣٧٣	٢٠	٦٥	أبو طالب المكي ـ قوت القلوب ٢/ ٢٨ جمل منها	ق ش	خ
																الأبي ـ نثر الدار ١/ ٣٠٦ ـ فقرة منها	م ش	خ
٢٤	ولعمري ما علي من قتال	١٩١	٣٣١	٣٦٦	١٤	٣٤٣	٦٣	٥٠	٧٠	١١٧	١٧٢	٦٦	٣٧٨	٢٠	٦٨	ابن الأثير ـ النهاية في غريب الحديث٣/٢٤٤ فسّر جملة من غريبها	ب ش	خ
٢٥	ما هي إلا الكوفة	١٩٦	٣٣٣	٢٦٧	١٦	٣٤٨	٦٤	٥٠	٧١	١١٨	١٧٤	٦٦	٣٧٩	٢١	٧٠	البلاذري ـ أنساب الأشراف ـ ٢/ ٣٨٣ ـ فقرة منها	ق ش	
																ابن عبد ربه ـ عقد الفريد ـ ١/١١٦ ـ منها	ق ش	
٢٦	إن الله بعث محمّدًا	١٩٨	ج ٢ ١٩	٢٩٠	٢٣	٣٦٢	٦٦	٥٢	٧٣	١٢١	١٨٠	٦٨	٣٨٨	٢١	٧٣	ابن قتيبة ـ الإمامة والسياسة ١٥٤/١	ق ش	خ
																البلاذري ـ أنساب الأشراف ٤٤٣/٢	ق ش	
٢٧	أما بعد فإن الجهاد باب	٢٠٨	٧٤	٣٣٧	٢٩	٢٨٨	٦٧	٥٣	٧٥	١٢٢	١٨٥	٦٩	٣٩٢	٢١	٧٥	الجاحظ ـ البيان والتبيين ٥٣/٢	ق ش	
																الأصفهاني ـ الأغاني ٢٠١/١٦	ق ش	
٢٨	أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت	٢١٠	٩١	٣٣٩	٣٩	ج ٤ ٢	٧٠	٥٤	٧٨	١٢٥	١٩٤	٧١	٣٩٩	٢٢	٨٠	الجاحظ ـ البيان والتبيين ٥٢/٢	ق ش	خ
																ابن قتيبة ـ عيون الأخبار ٢٣٥/٢	ق ش	

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
٢٩	أيها الناس المجتمعة أبدانهم	جـ ١ ٢١٩	جـ ١ ١١١	جـ ١ ٣٥٣	جـ ١ ٤٩	جـ ٣ ١٤	جـ ١ ٧٣	٥٥	٨١	١٢٧	جـ ١ ٢٠٠	٧٢	جـ ١ ٤٠٣	٢٢	جـ ١ ٨٣	الجاحظ ـ البيان والتبيين ٥٦/٢	ق ش	خ
																المفيد ـ الإرشاد ـ ص ١٤٦	م ش	خ
٣٠	لو أمرت به لكنت قاتلا	٢٢٠	١٢٦	٣٦٣	٥٤	٢٧	٧٥	٥٦	٨٣	١٣٠	٢٠٤	٧٣	٤٠٨	٢٢	٨٥	الأصفهاني ـ الأغاني ١٧١/١٦	ق ش	خ
																الأبي ـ نثر الدر ٢٧٤/١	م ش	
٣١	لا تلقين طلحة	٢٢١	١٦٢	٣٨٨	٥٩	٤٢	٧٦	٥٧	٨٤	١٣١	٢٠٧	٧٤	٤١٠	٢٢	٨٦	الجاحظ ـ البيان والتبيين ٢٢١/٢	ق ش	
																ابن قتيبة ـ عيون الأخبار ١٩٥/١	ق ش	
٣٢	أيها الناس إنا قد أصبحنا	٢٢٨	١٧٤	٣٩٦	٦٢	٤٨	٧٧	٥٧	٨٥	١٣١	٢١١	٧٤	٤١٣	٢٢	٨٧	أنظر تعليق الجاحظ عليها في البيان والتبيين ٦١/٢		
٣٣	ما قيمة هذا النعل؟	٢٣٣	١٨٥	٤٠٤	٧١	٦٠	٨٠	٥٩	٨٨	١٣٤	٢١٩	٧٦	٤١٩	٢٣	٩٠	المفيد ـ الإرشاد ص ١٣٢	م ش	خ
٣٤	افٍّ لكم، لقد سئمت عتابكم	٣٣٤	١٨٩	٤٠٧	٧٦	٦٩	٨٢	٦٠	٩٠	١٣٦	٢٢٤	٧٨	٤٢٣	٢٣	٩٢	أنساب الأشراف ٢٨٠/٢	ق ش	خ
																تاريخ الطبري ٩٠/٥	ق ش	خ
٣٥	الحمد لله وإن أتى الدهر	٢٣٥	٢٠٤	٤١٨	٨٤	٨٤	٨٤	٦١	٩٣	١٣٩	٢٣١	٧٩	٤٢٧	٢٣	٩٥	أنساب الأشراف ٣٦٥/٢	ق ش	خ
																تاريخ الطبري ٧٧/٥	ق ش	
٣٦	فأنا نذيركم أن تصبحوا	٢٤٤	٢٦٥	٤٥٩	٨٩	١١٧	٨٦	٦٢	٩٤	١٤١	٢٣٤	٨٠	٤٣٠	٢٤	٩٧	الزبير بن بكار ـ الأخبار الموفقيات ص ٣٢٥	ق ش	خ
																تاريخ الطبري ٨٤/٥	ق ش	خ
٣٧	فقمت بالأمر حين فشلوا	٢٤٤	٢٨٤	٤٧١	٩٢	١٤٠	٨٨	٦٣	٩٥	١٤٢	٢٣٧	٨٠	٤٣٢	٢٤	٩٨	العقد الفريد ـ ٢٠٣/٤ ـ فقرة منها	ق ش	خ
																التلمساني ـ الجوهرة ص٩٦	ب ش	
٣٨	وإنما سميت الشبهة	٢٥٤	٢٩٨	٩٨١	٩٧	١٦٥	٨٩	٦٤	٩٧	١٤٤	٢٤٣	٨١	٤٣٥	٢٤	١٠٠	الأمدي ـ غرر الحكم ص٢١٨	ب ش	

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
٣٩	منيت بمن لا يطيع	جـ ١	جـ ٢	جـ ١	جـ ٢	جـ ٤	جـ ١				جـ ١		جـ ١		جـ ١	انساب الأشراف ـ ٢/٤٠٤ فقرة منها	ق ش	خ
		٢٤٥	٣٠٠	٤٨٣	٩٩	١٧٤	٩٠	٦٤	٩٧	١٤٤	٢٤٦	٨١	١٣٦	٢٤	١٠١	تاريخ الطبري ـ ٥/١٠٨ فقرات منها	ق ش	خ
٤٠	كلمة حق يراد بها باطل	٢٤٦	٣٠٧	٤٨٨	١٠١	١٨٠	٩١	٦٥	٩٨	١٤٥	٢٥٠	٨٢	٤٣٩	٢٤	١٠٣	انساب الأشراف ـ ٢/٣٥٢	ق ش	
																العقد الفريد ـ ٢/٣٨٨	ق ش	
٤١	إن الوفاء توأم الصدق	٢٥٣	٣١٢	٤٩٢	١٠٤	١٨٩	٩٢	٦٥	٩٩	١٤٦	٢٥٦	٨٣	٤٤١	٢٤	١٠٤	الآمدي ـ غرر الحكم ص ٣٣ ـ وردت جملة منها عنده	ب ش	
٤٢	أيها الناس إن أخوف	٢٥٤	٣١٨	٤٩٦	١٠٦	١٩٩	٩٢	٦٦	١١٠	١٤٧	٢٦٠	٨٣	٤٤٢	٢٤	١٠٥	ابن مزاحم ـ صفّين ـ ص ٣	ق ش	خ
																المسعودي ـ مروج الذهب ٢/٤٣٦	ق ش	خ
٤٣	إنّ استعدادي لحرب	٢٥٤	٣٢٢	٤٩٩	١٠٩	٢٠٧	٩٣	٦٦	١٠١	١٤٧	٢٦٣	٨٤	٤٤٥	٢٤	١٠٦	ابن مزاحم ـ صفين ص٤٧٤ ورد فقرة منها	ق ش	خ
																ابن قتيبة الإمامة والسياسة ١/٩٤	ق ش	خ
٤٤	قبّح الله مصقلة		جـ ٢													انساب الأشراف ٢/٤١٧	ق ش	خ
		٢٥٥	١١٩	٥٨٤	١١٥	٢٣٢	٩٤	٦٧	١٠٢	١٤٩	٢٦٦	٨٥	٤٥٠	٢٥	١٠٨	تاريخ الطبري ٥/١٣٠	ق ش	
٤٥	الحمد لله غير مقنوط												جـ ٢			الصدوق ـ من لا يحضره الفقيه ١/٣٤٤	ق ش	خ
		٢٥٥	١٥٢	٦٠٧	١١٧	٢٤٢	٩٥	٦٧	١٠٢	١٤٩	٢٦٨	٨٥	٩	٢٥	١٠٩	الطوسي ـ مصباح المتهجد٦٠٣	ق ش	خ
٤٦	اللهم إني أعوذ بك من	٢٥٥	١٦٥	٦١٦	١٢١	٢٥٢	٩٦	٦٧	١٠٣	١٥٠	٢٧١	٨٦	١١	٢٥	١١٠	ابن مزاحم ـ صفين ص١٣٢	ق ش	
																القاضي النعمان ـ دعائم الإسلام ١/٣٤٧	ق ش	خ
٤٧	كأني بك يا كوفة	٢٦٣	١٩٧	٦٣٧	١٢٣	٢٦٤	٩٧	٦٨	١٠٤	١٥١	٢٧٣	٨٦	١٣	٢٥	١١١	الهمذاني ـ البلدان ص ١٦٤	ق ش	خ
																الزمخشري ـ ربيع الأبرار ١/٢٠٧	ق ش	خ
٤٨	الحمد لله كلما وقب ليل	٢٦٣	٢٠١	٦٣٩	١٢٥	٢٦٩	٩٧	٦٨	١٠٥	١٥٢	٢٧٥	٨٧	١٥	٢٥	١١٢	ابن مزاحم ـ صفين ص ١٣١	ب ش	

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
٤٩	الحمد لله الذي بطن خفيات	ج ١ ٣٦٤	ج ٣ ٢١٦	ج ١ ٦٥٠	ج ٢ ١٢٦	ج ٤ ٢٧٤	ج ١ ٩٨	٦٨	١٠٦	١٥٣	ج ١ ٢٧٧	٨٧	ج ٢ ١٧	٢٥	ج ١ ١١٣			
٥٠	إنما بدء وقوع الفتن	٣٦٤	٢٤٠	٦٦٧	١٣٣	٢٩٢	٩٩	٦٩	١٠٧	١٥٤	٢٨١	٨٨	١٨	٢٥	١١٤	البرقي ـ المحاسن ص ٢٠٨	ق ش	خ
																القاضي القضاعي ـ دستور معالم الحكم ـ ١٠٨	ب ش	خ
٥١	قد استطعموكم القتال	٣٦٤	٢٤٤	٦٧٠	١٣٥	٣٠١	١٠٠	٦٩	١٠٧	١٥٥	٢٨٦	٨٨	٢٠	٢٥	١١٥			
٥٢	الا وإن الدنيا قد تصرمت	٣٧٠	٣٣٢	٧٣٠	١٣٧	٣١١	١٠١	٧٠	١٠٨	١٥٥	٢٨٨	٨٩	٢١	٢٤	١١٦	الصدوق ـ من لا يحضره الفقيه ٣٤٨/١	ق ش	خ
																ابو نعيم الحافظ ـ حلية الأولياء ٧٧/١	ب ش	خ
٥٣	فتداكوا عليّ تداك الإبل	٢٧١	ج ٤ ٦	٧٤٤	١٤٣	٣٢٤	١٠٣	٧١	١١٠	١٥٨	٢٩٥	٩٠	٢٤	٣٦	١١٨	العقد الفريد ٧٢/٤	ق ش	خ
																المفيد ـ الإرشاد ص ١٣٠	م ش	خ
٥٤	أمّا قولكم كل ذلك كراهية	٢٧١	١٢	٧٤٨	١٤٥	٣٢٧	١٠٤	٧١	١١١	١٥٩	٢٩٩	٩١	٢٦	٣٦	١١٩	الراغب الأصفهاني ـ محاضرات الأدباء ١٤٣/٢	ب ش	خ
٥٥	ولقد كنا مع رسول الله	٢٧٢	٣٣	٧٦١	١٤٦	٣٢٩	١٠٤	٧٢	١١١	١٥٩	٣٠٢	٩١	٢٨	٣٦	١٢٠	ابن مزاحم ـ صفين ص ٥٢٠	ق ش	
																المفيد ـ الإرشاد ص ١٤٣	م ش	خ
٥٦	أما انه سيظهر عليكم بعدي	٢٧٢	٥٥	٧٧٦	١٤٨	٣٢٨	١٠٥	٧٢	١١٣	١٦٠	٣٠٦	٩٢	٣٠	٣٦	١٢١	انساب الأشراف ١١٩/٢ فقرة منها	ق ش	خ
																المفيد ـ الإرشاد ص ١٦٩	م ش	خ
٥٧	اصابكم حاصب	٢٧٨	١٢٩	ج ٢ ٥	١٥١	٣٥٠	١٠٦	٧٣	١١٣	١٦١	٣١٠	٩٢	٢٥	٣٦	١٢٢	انساب الأشراف ـ ١٨١/٢ فقرة منها	ق ش	
																تاريخ الطبري ٨١/٥	ق ش	
٥٨	مصارعهم دون النطفة	٢٧٩	ج ٥ ٣	٩٧	١٥٢	٣٥٢	١٠٧	٧٣	١١٤	١٦٢	٣١٣	٩٣	٢٧	٣٦	١٢٣	المسعودي ـ مروج الذهب	ق ش	

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
٥٩	كلا والله إنهم نطف	ج ١ ٢٧٩	ج ٥ ١٤	ج ٢ ١٠٤	ج ٢ ١٥٣	ج ٤ ٣٧٤	ج ١ ١٠٧	٧٣	١١٥	١٦٢	ج ٢ ٣١٥	٩٣	ج ٢ ٣٧	٢٦	ج ١ ١٢٤	البيهقي ـ المحاسن والمساوي ص ٤٨٥ ـ طرف	ق ش	خ
٦٠	لا تقاتلوا الخوارج بعدي	٢٧٩	٧٨	١٤٤	١٥٥	٣٨١	١٠٨	٧٤	١١٥	١٦٣	٣١٥	٩٤	٤٠	٣٦	١٢٥	الصدوق ـ علل الشرائع ص ٢١٨ ـ عن الحسن (ع)	ق ش	
																الطوسي ـ تهذيب الأحكام ١٥٤/٦	ب ش	خ
٦١	وإن عليّ من الله جنة	٢٨٠	١٣٢	١٧٩	١٥٦	٣٨٤	١٠٨	٧٤	١١٥	١٦٣	٣١٨	٩٤	٤٢	٣٧	١٢٦	ابن مزاحم ـ صفين ص٢٥٠	ق ش	خ
																أنساب الأشراف ٥٠٠/٢	ق ش	خ
٦٢	ألا وإن الدنيا دار لا يسلم	٢٨٠	١٤٠	١٨٤	١٥٨	٣٨٩	١٠٨	٧٤	١١٦	١٦٣	٣٢٠	٩٤	٤٤	٢٧	١٢٧	الآمدي ـ غرر الحكم ص٢٠١	ب ش	خ
٦٣	فاتقوا الله عباد الله وبادروا	٢٨٠	١٤٥	١٨٨	١٦١	٣٩٤	١٠٩	٧٤	١١٦	١٦٤	٣٣٣	٩٥	٤٥	٢٧	١٢٨	العقد الفريد ١٠٤/٤ ـ نسبها إلى المأمون	ق ش	
																سبط بن الجوزي ـ تذكرة خواص الأمة ص١٢٨ مسندة	ب ش	خ
٦٤	الحمد لله الذي لم يسبق له	٢٨٦	١٥٣	١٩٣	١٦٧	ج ٥ ٢	١١٢	٧٥	١١٨	١٦٦	٣٢٨	٩٦	٤٨	٢٧	١٣٠	الصدوق ـ التوحيد ص ٤١ وما بعدها	ق ش	خ
٦٥	معاشر المسلمين استشعروا	٢٨٧	١٦٨	٢٠٣	١٧٨	٣٢	١١٤	٧٦	١٢٠	١٦٨	٣٣٤	٩٧	٥١	٢٧	١٣٢	ابن قتيبة ـ عيون الأخبار ١١٠/١	ق ش	
																المبرد ـ الكامل في الأدب ١٢٠/٣	ق ش	
٦٦	ما قالت الأنصار؟	٢٨٨	ج ٦ ٢	٢٦١	١٨٣	٨٢	١١٦	٧٧	١٢٢	١٧٠	٣٣٧	٩٧	٥٧	٢٧	١٣٤	الآبي ـ نثر الدر ٢٧٩/١	م ش	
٦٧	وقد أردت تولية مصر هاشم	٢٨٨	٥٣	٢٩٦	١٦٨	١٠٢	١١٦	٧٨	١٢٢	١٧١	٣٤٠	٩٨	٦٠	٢٧	١٣٥	أنساب الأشراف ٤٠٤/٢	ق ش	
٦٨	كم أداريكم ما تدارى	٢٨٨	١٠٢	٣٣٠	١٨٨	١٢٠	١١٧	٧٨	١٢٣	١٧٢	٣٤٢	٩٨	٦٣	٢٧	١٣٦	أنساب الأشراف ٤٤٧/٢	ق ش	
																تاريخ الطبري ١٣٤/٥	ق ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
٦٩	ملكتني غيني وأنا جالس	جـ ١ ٢٩٦	جـ ٦ ١١٢	جـ ٢ ٣٣٧	جـ ٣ ١٩١	جـ ٥ ١٢٥	جـ ١ ١١٨	٧٩	١٢٤	١٧٣	جـ ١ ٣٤٦	٩٩	جـ ٢ ٦٤	٢٨	جـ ١ ١٣٧	ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ٣٦/٣	ق ش	خ
																الأصفهاني ـ مقاتل الطالبيين ص ٥٣	ق ش	خ
٧٠	اما بعد يا أهل العراق	٢٩٧	١٢٧	٣٤٧	١٩٢	١٨٣	١١٨	٧٩	١٢٤	١٧٣	٣٤٨	١٠٠	٦٦	٢٨	١٢٨	الآبي ـ نثر الدر ٢٩١/١	م ش	
																المفيد ـ الإرشاد ص ١٤٨	م ش	خ
٧١	اللهم داحي المدحوات	٢٩٧	١٣٨	٣٥٥	١٩٥	١٨٩	١٢٠	٨١	١٢٥	١٧٥	٣٥١	١٠٠	٦٨	٢٨	١٣٩	الثعالبي ـ الأمالي ١٧٣/٢	ق ش	
																سبط بن الجوزي ـ تذكرة الخواص ص ١٢٠	ب ش	
٧٢	اولم يبايعني بعد قتل عثمان	٢٩٨	١٤٦	٣٦١	٢٠٣	٢١٨	١٢٣	٨٣	١٢٨	١٧٨	٣٥٧	١٠٢	٧١	٢٨	١٤١	طبقات ابن سعد ٤٣/٥	ق ش	
٧٣	لقد اعلمتم أني أحق بها	٢٩٩	١٦٦	٣٧٥	٢٠٤	٢٢٢	١٢٤	٨٣	١٢٩	١٨٠	٣٦٠	١٠٢	٧٤	٢٨	١٤٢	راجع تعليق ابن أبي الحديد على هذه الخطبة		
٧٤	اولم ينه بني أمية	٢٩٩	١٦٩	٣٧٧	٢٠٦	٢٢٦	١٢٥	٨٣	١٣٠	١٨١	٣٦٣	١٠٣	٧٦	٢٨	١٤٣	ابن الأثير ـ النهاية في غريب الحديث ٤٦/٤	ب ش	خ
٧٥	رحم الله عبدا سمع حكما	٢٩٩	١٧٢	٣٧٩	٢٠٧	٣٣٠	١٢٥	٨٤	١٣٠	١٨١	٣٦٥	١٠٣	٧٧	٢٨	١٤٤	ابن دريد ـ المجتنى ص٤٣	ق ش	
																الحصري القيرواني ـ زهر الآداب ٤١/١	ب ش	
٧٦	أن بني أمية ليفوقونني	٣٠٩	١٧٤	٣٨٠	٢١٢	٢٤٢	١٢٦	٨٤	١٣١	١٨٢	٣٦٧	١٠٤	٧٩	٢٩	١٤٥	الأصفهاني ـ الأغاني ١٣٧/٢	ق ش	
٧٧	اللهم اغفر لي ما أنت	٣٠٩	١٧٦	٣٨١	٢١٢	٢٤٩	١٢٧	٨٥	١٣٢	١٨٣	٣٦٧	١٠٤	٨٠	٢٩	١٤٦	الجاحظ ـ المئة المختارة بشرح ميثم ص ٢١٣	ق ش	خ
٧٨	أتزعم إنك تهدي	٣١٠	١٩٩	٣٩٧	٢١٥	٢٥٥	١٢٨	٨٥	١٣٢	١٨٣	٣٦٩	١٠٥	٨١	٢٩	١٤٧	أنساب الأشراف ٣٦٨/٢ ـ بمعناه	ق ش	خ
																المبرد ـ الكامل في الأدب ٢٣٧/٣	ق ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
٧٩	معاشر الناس إن النساء	ج ١ ٣١٠	ج ٦ ٣١٤	ج ٢ ٤٠٧	ج ٢ ٢٢٢	ج ٥ ٣٠٢	ج ١ ١٣٩	٨٥	١٣٣	١٨٤	ج ١ ٣٧٣	١٠٥	ج ٢ ٨٦	٢٩	ج ١ ١٤٨	سبط بن الجوزي ـ تذكرة الخواص ص ٧٩ بزيادة	ب ش	خ
٨٠	أيها الناس الزهادة	٣١١	٣٣٠	٤١٩	٣٢٥	٣٢٤	١٦٠	٨٦	١٣٤	١٨٥	٣٧٦	١٠٦	٨٨	٢٩	١٤٩	الصدوق ـ معاني الأخبار ص ٢٥١	ق ش	خ
																القاضي القضاعي ـ دستور معالم الحكم ٣٣	ب ش	خ
٨١	ماذا أصف لكم من دار	٣١١	٣٣٨	٤٢٥	٣٣٧	٣٣٣	١٣٠	٨٦	١٣٥	١٨٦	٣٧٨	١٠٦	٨٩	٢٩	١٥٠	ابن دريد ـ المجتنى ص ٤٢	ق ش	
																العقد الفريد ١٧٢/٣	ق ش	
٨٢	الحمد لله الذي علا بحوله	٣١٩	٢٤١	٤٣٧	٣٣٠	٣٤٣	١٣٣	٨٧	١٣٦	١٨٧	٣٨١	١٠٧	٩١	٢٩	١٥١	ابن دريد ـ المجتنى ص ٤٣، ٤٤	ق ش	خ
																دستور معالم الحكم ص ٣٥، ٥١، ٥٣، ٧٨	ب ش	خ
٨٣	عجبا لابن النابغة	٣٤٩	٢٨٠	٤٥٥	٣٦٩	ج ٦ ٧٣	١٤٧	٩٥	١٤٩	٢٠٢	٤١٤	١١٥	١١١	٣١	١٦٥	ابن قتيبة ـ عيون الأخبار ١٦٤/١	ق ش	
																العقد الفريد ٣٤٠/٤	ق ش	خ
٨٤	وأشهد أن لا إله إلا الله وحده	٣٥٠	٣٤٥	٤٩٩	٣٧٣	١١٣	١٤٨	٩٦	١٥٠	٢٠٣	٤١٨	١١٥	١٣١	٣١	١٦٧	أبو نعيم الحافظ ـ حلية الأولياء ٧٨/١ فقرة منها	ب ش	
٨٥	قد علم السرائر	٣٥٠	٣٥٠	٥٠٢	٢٧٩	١٢٣	١٤٩	٩٦	١٥١	٢٠٤	٤٢٢	١١٦	١٣٣	٣١	١٦٩	الدينوري ـ الأخبار الطوال ص ١٥٣ فقرة منها	ق ش	
																دستور معالم الحكم ص ٣٣ ـ جملة منها	ب ش	
٨٦	عباد الله إن من أحب عباد	٣٥٩	٣٦٣	٥١١	٢٨٨	١٦٧	١٥١	٩٨	١٥٢	٢٠٦	٤٢٩	١١٨	١٢٧	٣٢	١٧٣	ابن دريد ـ المجتنى ص ٤٥	ق ش	
																دستور معالم الحكم ص١١٦	ب ش	خ
٨٧	أما بعد فإن الله لم يقصم	٣٦٥	٣٨٤	٥٣٦	٣٠٥	٢٤٠	١٥٥	١٠٠	١٥٦	٢١٠	٤٤٣	١٢١	١٣٤	٣٢	١٧٨	الكليني ـ الفروع من الكافي ٦٣/٨	ق ش	خ
																المفيد ـ الإرشاد ص١٥٥ بزيادة	م ش	خ
٨٨	أرسله على حين فترة من الرسل	٣٦٦	٣٨٧	٥٢٩	٣٠٩	٢٥٩	١٥٦	١٠١	١٥٧	٢١١	٤٤٧	١٢١	١٣٦	٣٢	١٨٠	القمي ـ تفسير القمي ٢/١	ق ش	خ
																الكليني ـ أصول الكافي ٦٠/١	ق ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
٨٩	الحمد لله المعروف من غير	ج ١ ٣٦٧	ج ٦ ٣٩٢	ج ٢ ٥٣٣	ج ٢ ٣١٤	ج ٦ ٣٦٩	ج ١ ١٥٨	١٠٢	١٥٩	٣١٣	٤٥٢	١٢٢	ج ٢ ١٣٩	٣٣	ج ١ ١٨٢			
٩٠	الحمد لله الذي لا يَغِرُهُ	٣٧٤	٣٩٨	٥٣٥	٣٢٢	٢٨٥	١٦٠	١٠٣	١٦٠	٣١٤	ج ٢ ٥	١٢٤	١٤١	٣٣	١٨٥	العقد الفريد ٤/١٥٢ الصدوق - التوحيد ص ٤٩ وما بعدها	ق ش ق ش	خ خ
٩١	دعوني والتمسوا غيري	٤١٨	ج ٧ ٣٢	٥٩٧	٢٨٥	ج ٧ ٦٠	١٨١	١١٥	١٧٨	٢٣٥	١٨	١٢٦	١٧٢	٣٦	٢٠٧	تاريخ الطبري ٤/٤٣٤	ق ش	خ
٩٢	أما بعد فانا فَقَأْتُ عَيْنَ الفتنة	٤١٩	٤٤	٦٠٥	٣٨٧	٦٩	١٨٢	١١٦	١٨٣	٢٣٦	٥٢	١٣٧	١٧٤	٣٦	٢٠٨	راجع تعليق ابن أبي الحديد على هذه الخطبة المتقي الهندي - كنز العمّال ١١/٢٩٨	 ب ش	 خ
٩٣	فتبارك الذي لا يبلغه	٤٢٠	٦١	٦١٧	٣٩٤	٩٦	١٨٤	١١٧	١٨٥	٢٣٩	٦١	١٢٨	١٨٣	٣٦	٢١٢	العقد الفريد ٤/٧٤ الصدوق - التوحيد ص ٤١	ق ش ق ش	خ خ
٩٤	بعثه والناس ضُلاَّلٌ	٤٢١	٦٦	٦٢١	٣٩٩	١١٣	١٨٦	١١٨	١٨٧	٢٤٠	٦٦	١٤٠	١٨٦	٣٧	٢١٤			
٩٥	الحمد لله الأول فلا شيء قبله	٤٢١	٦٧	٦٢٢	٤٠٠	١١٦	١٨٦	١١٨	١٨٧	٢٤١	٦٨	١٤٠	١٨٧	٣٧	٢١٥			
٩٦	ولئن أمهل الله الظالم	٤٢٨	٧٠	٦٢٤	٤٠٢	١٢٠	١٨٧	١١٩	١٨٨	٢٤٢	٧٢	١٤١	١٨٨	٣٧	٢١٦	ابن قتيبة - عيون الأخبار ٢/٢٠١ فقرة منها المفيد - الإرشاد ص ١٥٠	ق ش م ش	 خ
٩٧	والله لا يزالون حتى لا يدعوا	٤٣٠	٧٨	٦٣٠	٤٠٩	١٢٤	١٩٠	١٢٠	١٩٠	٢٤٥	٨١	١٤٢	١٩٢	٣٧	٢٢٠	الإمامة والسياسة ١/١٥٢ - بعض معانيها الأبي - نثر الدر ١/٢٩٦	ق ش م ش	خ خ
٩٨	نحمده على ما كان	٤٣٤	٨٠	٦٣٢	ج ٣ ٢	١٤٥	١٩١	١٢١	١٩١	٢٤٥	٨٣	١٤٤	١٩٤	٣٧	٢٢١	نثر الدر ١/٣١٦ دستور معالم الحكم ص٤٥ نتف منها	م ش ب ش	خ خ

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجهل	التوثيق	ملاحظات الزمن	الفرق
٩٩	الحمد لله الناشر في الخلق	ج ١ ٤٣٦	ج ٧ ٨١	ج ٢ ٦٣٥	ج ٣ ٦	ج ٧ ١٥٥	ج ١ ١٩٣	١٢٢	١٩٣	٢٤٧	ج ٢ ٨٨	١٤٥	ج ٢ ١٩٧	٣٨	ج ١ ٢٣٣	ذكر ابن أبي الحديد ٩٣/٧ المناسبة واليوم الذي قيلت فيه الخطبة مما يدل على انه وجدها في مصدر آخر.		
١٠٠	الحمد لله الأول قبل كلّ أول	٤٣٦	٩٦	٦٤٣	٩	١٦٣	١٩٤	١٢٢	١٩٤	٢٤٨	٩٢	١٤٦	١٩٩	٣٨	٢٢٥			
١٠١	وذلك يوم يجمع الله فيه	٤٣٧	١٠٢	٦٤٨	١٣	١٧٣	١٩٦	١٢٣	١٩٥	٢٥٠	٩٦	١٤٧	٢٠٢	٣٨	٢٢٧			
١٠٢	أنظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين	٤٤٣	١٠٥	٦٥١	١٧	١٧٩	١٩٧	١٢٤	١٩٦	٢٥١	١٠٠	١٤٨	٢٠٣	٣٨	٢٢٩	ابن قتيبة ـ عيون الأخبار ٢٥٢/٢ ـ فقرات منها أبو طالب المكي ـ قوت القلوب ١٦١/١ فقرة منها	ق ش ق ش	
١٠٣	أما بعد فإن الله سبحانه بعث	٤٤٥	١١٤	٦٥٨	٣١	٢٠٩	١٩٩	١٢٥	١٩٨	٢٥٣	١٠٦	١٥٠	٢٠٧	٣٩	٢٣٢	المفيد ـ الإرشاد ـ ص ١٠٣	م ش	خ
١٠٤	حتى بعث الله محمدا (ص)	٤٤٥	١١٧	٦٦١	٢٢	٢١٥	٢٠٠	١٢٦	١٩٩	٢٥٤	١١٠	١٥١	٢٠٩	٣٩	٢٣٤	المفيد ـ الإرشاد ص ١٤٧ فقرات منها	م ش	خ
١٠٥	الحمد لله الذي شرع الإسلام	٤٥١	١٧١	٦٩٨	٢٩	٢٥٤	٢٠٣	١٢٧	٢٠١	٢٥٧	١١٨	١٥٣	٢١٣	٣٩	٢٣٧	كتاب سليم بن قيس الهلالي ص ١٠٢ ابن شعبه ـ تحف العقول ص ١١٤ فقرات منها	ق ش ق ش	خ خ
١٠٦	وقد رأيت جولتكم	٤٥٢	١٧٩	٧٠٤	٣٧	٢٧٤	٢٠٥	١٢٩	٢٠٤	٢٦٠	١٢٧	١٥٥	٢٢٠	٤٠	٢٤١	ابن مزاحم ـ صفين ص ـ ٢٥٦ تاريخ الطبري ٢٥/٥ بزيادة	ق ش ق ش	خ
١٠٧	الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه	٤٥٣	١٨١	٧٠٦	٣٨	٢٧٧	٢٠٦	١٢٩	٢٠٤	٢٦٠	١٣٠	١١٥	٢٢١	٤٠	٢٤٢	الزمخشري ـ ربيع الأبرار ٥٥٣/١ فقرة ٤ الآمدي ـ غرر الحكم ص٣١٦، ٤١٨	ب ش ب ش	
١٠٨	كلّ شيء خاشع له	٤٦١	١٩٤	٧١٥	٤٩	٣٠٦	٢٠٩	١٣١	٢٠٨	٢٦٤	١٤١	١٥٨	٢٢٧	١٠	٢٤٧	العقد الفريد ٧٦/٤	ق ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات: الزمن	ملاحظات: الفرق
١٠٩	وإن افضل ما توسل به	ج ١ ٤٦٩	ج ٧ ٢٢١	ج ٢ ٧٣٤	ج ٣ ٧٣	ج ٧ ٣٨٠	ج ١ ٢١٥	١٣٥	٢١٢	٢٦٩	ج ٢ ١٥٨	١٦٣	ج ٢ ٢٣٧	٤٢	ج ١ ٢٥٥	الصدوق ـ من لا يحضره الفقيه ١٤٧/١	ق ش	خ
																ابن شعبة ـ تحف العقول ص١٠٤	ق ش	خ
١١٠	اما بعد فإني احذركم الدنيا	٤٧٠	٢٢٦	٧٣٨	٨٣	ج ٨ ١٣	٢١٦	١٣٥	٢١٤	٢٧٠	١٦٥	١٦٤	٢٣٩	٤٢	٢٥٧	القضاعي ـ دستور معالم الحكم ص ٤٦	ق ش	خ
																التلمساني ـ الجوهرة ص ٧٩	ب ش	خ
١١١	هل تحس به إذا دخل	٤٧٢	٢٣٧	٧٤٦	٨٩	٣٣	٢٢١	١٣٨	٢١٧	٢٧٥	١٧٤	١٦٧	٢٤١	٤٢	٢٦١	راجع تعليق ميثم على هذا الفصل في شرحه ٩٠/٣		
١١٢	واحذركم الدنيا فإنها	ج ٢ ٥	٢٤٦	٧٥٢	٩٢	٤٠	٢٢١	١٣٨	٢١٨	٢٧٥	١٧٧	١٦٧	٢٤٥	٤٣	٢٦٢	الزمخشري ـ ربيع الأبرار ٧٨/١ ـ فقرة منها	ب ش	خ
١١٣	الحمد لله الواصل الحمد بالنعم	٦	٢٥٠	٧٥٥	٩٥	٥١	٢٢٣	١٣٩	٢١٩	٢٧٧	١٨٤	١٦٩	٢٤٨	٤٣	٢٦٤	ابن شعبة ـ تحف العقول ص ١٥٦ فقرة منها	ق ش	
																القضاعي ـ دستور معالم الحكم ص ٢٢٤ منها	ب ش	خ
١١٤	اللهم قد انصاحت	١٢	٢٦٢	٧٦٤	١٠٢	٧٢	٢٢٦	١٤١	٢٢٢	٢٨٠	١٩٤	١٧١	٢٥٣	٤٣	٢٦٨	الصدوق ـ من لا يحضره الفقيه ٣٥٥/١	ق ش	خ
																الطوسي ـ مصباح المتهجد ص ٤٧٤	ب ش	خ
١١٥	ارسله داعيا بالحق	١٤	٢٧٦	٧٧٤	١٠٦	٩٠	٢٢٩	١٤٢	٢٢٤	٢٨٣	٢٠٠	١٧٣	٢٥٧	٤٤	٢٧٢	المسعودي ـ مروج الذهب ١٤٢/٣ ـ فقرة منها	ق ش	خ
																الصدوق ـ من لا يحضره الفقيه ٢٩٢/١ ـ منها	ق ش	
١١٦	فلا اموال بذلتموها	١٥	٢٨٢	٧٧٨	١٠٩	٩٩	٢٣١	١٤٤	٢٢٦	٢٨٤	٢٠٤	١٧٤	٢٦٠	٤٤	٢٧٤			
١١٧	انتم الأنصار على الحق	١٥	٢٨٤	٧٧٩	١١٠	١٠١	٢٣١	١٤٤	٢٢٦	٢٨٥	٢٠٦	١٧٥	٢٦١	٤٤	٢٧٥	الإمامة والسياسة ١٤٥/١	ق ش	خ
																تاريخ الطبري ٧٩/٥	ق ش	خ
١١٨	ما بالكم لا سددتم إلى رشد	١٥	٢٨٥	٧٨٠	١١٠	١٠٣	١٢٣	١٤٤	٢٢٧	٢٨٥	٢٠٨	١٧٥	٢٦١	٤٤	٢٧٦			

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
١١٩	تا الله لقد علمت تبليغ الرسالات	ج ٢ ١٦	ج ٧ ٢٨٨	ج ٢ ٧٨٢	ج ٣ ١١٢	ج ٨ ١١٠	ج ١ ٢٣٣	١٤٥	٢٢٨	٢٨٦	ج ٢ ٢١٢	١٧٦	ج ٢ ٣٦٣	٤٤	ج ١ ٣٧٨	كتاب سليم بن قيس الكوفي ص١٥٦ ـ بعض منها	ق ش	خ
١٢٠	هذا جزاء من ترك العقدة	٢٦	٢٩١	٧٨٤	١١٤	١٢٩	٢٣٣	١٤٦	٢٢٩	٢٨٧	٢١٥	١٧٧	٣٦٥	٤٥	٢٨٠	العقد الفريد ٧٣/٤	ق ش	خ
																الطبرسي ـ الاحتجاج ص١٨٥	ب ش	
١٢١	أكلّكم شهد معنا صفين	٢٧	٢٩٧	٧٨٩	١١٨	١٤٠	٢٣٥	١٤٧	٢٣٠	٢٨٩	٢٢٠	١٧٨	٣٦٩	٤٥	٢٨٣	الطبرسي ـ الاحتجاج ص١٨٥	ب ش	خ
١٢٢	وأيّ امرىء منكم أحس	٢٨	٣٠٠	٧٩٢	١٢٠	١٥٠	ج ٢ ٢	١٤٨	٢٣٢	٢٩٣	٢٣٦	١٧٩	٣٧٢	٤٥	٢٨٥	العقد الفريد ٣٢٨/٤ ـ فقرة منها	ق ش	خ
																المفيد ـ الإرشاد ـ ص ١٢٧، ١٣٥، ١٤٢	م ش	
١٢٣	وكأني انظر إليكم تكشون	٢٨	٣٠٤	٧٩٥	١٢١	١٥٤	٢	١٤٨	٢٣٢	٢٩٣	٢٣٦	١٨٠	٣٧٣	٤٥	٢٨٦	الإمامة والسياسة ١٥٢/١. وردت ضمن خطبة طويلة.	ق ش	خ
١٢٤	فقدموا الدارع وأخرّوا الحاسر	٢٩	ج ٨ ٣	٧٩٧	١٢٢	١٥٦	٢	١٤٨	٢٣٢	٢٩٤	٢٣٩	١٨٠	٣٧٤	٤٥	٢٨٧	ابن مزاحم ـ صفين ص ٢٣٥	ق ش	
																البيان والتبيين ٢٨٥/٢	ق ش	
١٢٥	إنا لم نحكم الرجال	٣٦	١٠٣	٨٦٠	١٢٦	١٦٩	٥	١٥٠	٢٣٤	٢٩٦	٢٣٤	١٨٢	٣٧٧	٤٦	٢٩١	تاريخ الطبري ٦٦/٥	ق ش	خ
١٢٦	اتأمروني أن أطلب النصر بالجور	- ٣٨	١٠٩	ج ٣ ٣	١٣٠	١٨٢	٦	١٥١	٢٣٦	٢٩٧	٢٣٩	١٨٣	١٨١	٤٦	٢٩٤	الإمامة والسياسة ١٥٣/١	ق ش	
																الأبي نثر الدر ٣١٨/١	م ش	خ
١٢٧	فإن أبيتم إلا أن تزعموا	٣٨	١١٢	٥	١٣٢	١٩٤	٧	١٥٢	٢٣٦	٢٩٨	٢٤٣	١٨٤	٣٨٣	٤٦	٢٩٥	تاريخ الطبري ٧٧/٥ ـ فقرة منها	ق ش	
																السكوني ـ عيون المناظرات ص ١٨٠ ـ منها	ب ش	خ
١٢٨	يا احنف كأني به	٤٠	١٢٥	٤	١٣٦	٢٠٣	٩	١٥٣	٢٣٨	٣٠٠	٢٥١	١٨٥	٣٨٥	٤٦	٢٩٧			

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
١٢٩	عباد الله إنكم وما تأملون	ج ٢ ٤٦	ج ٨ ٢٤٤	ج ٣ ٨٥	ج ٣ ١٤١	ج ٨ ٢٢٨	ج ٢ ١١	١٥٤	٢٤٠	٣٠٢	ج ٢ ٢٥٨	١٨٧	ج ٢ ٢٨٨	٤٧	ج ١ ٣٠١	الزمخشري ـ ربيع الأبرار ٥٨٣/١ ـ ذكر بعضها	ب ش	
																الابشيهي ـ المستطرف ٥٦/٢ فقرة نسبها إلى بعضهم.	ب ش	خ
١٣٠	يا أبا ذر إنك غضبت	٤٧	٢٥٢	٩٠	١٤٥	٢٣٦	١٢	١٥٥	٢٤١	٣٠٣	٢٦٣	١٨٨	٢٩٠	٤٧	٣٠٣	أبو بكر الجوهري ـ السقيفة بواسطة شرح ابن أبي الحديد ٢٥٢/٨	ق ش	
																روضة الكافي ٢٠٦/٨ ـ مسندة	ق ش	
١٣١	أيتها النفوس المختلفة	٤٧	٢٦٣	٩٨	١٤٧	٢٥١	١٣	١٥٦	٢٤١	٣٠٤	٢٦٨	١٨٨	٢٩٣	٤٧	٣٠٤	الأبي ـ نثر الدر ٢٧٢/١	م ش	خ
																تذكرة الخواص ص ١١٥ مسندة بزيادة	ب ش	خ
١٣٢	نحمده على ما أخذ وأعطى	٤٨	٢٦٨	١٠٢	١٤٩	٢٩٣	١٤	١٥٦	٢٤٣	٣٠٥	٢٧٣	١٨٩	٢٩٦	٤٧	٣٠٦			
١٣٣	وانقادت له الدنيا	٤٩	٢٧٢	١٠٥	١٥٢	٣٠٢	١٦	١٥٧	٢٤٤	٣٠٧	٢٧٧	١٩١	٢٩٨	٤٨	٣٠٨			
١٣٤	وقد توكل الله لا هل	٥٤	٢٩٦	١٢٢	١٦١	٣٢٠	١٨	١٥٩	٢٤٦	٣٠٩	٢٨٢	١٩٢	٣٠١	٤٨	٣١٢	ذكر ميثم البحراني مناسبة هذه المشورة		
																ابن الأثير ـ النهاية في غريب الحديث ٢٠٥/٤ جملة منها.	ب ش	
١٣٥	يا ابن اللعين الأبتر	٥٥	٣٠١	١٢٦	١٦٣	٣٢٤	١٨	١٥٩	٢٤٧	٣١٠	٢٨٥	١٩٣	٣٠٣	٤٨	٣١٣	ابن اعثم الفتوح ٢٧٩/١	ق ش	
																راجع رواية ابن أبي الحديد ٢٠٢/٨ ـ المناسبة		
١٣٦	لم تكن بيعتكم اياي فلتة	٥٥	ج ٩ ٣١	١٤٨	١٦٤	٣٣٠	١٩	١٥٩	٢٤٧	٣١٠	٢٨٥	١٩٤	٣٠٥	٤٨	٣١٤	المفيد ـ الإرشاد ص ١٣٠ بزيادة	م ش	خ
١٣٧	والله ما انكروا عليّ	٥٦	٣٣	١٤٩	١٦٥	٣٣٣	١٩	١٦٠	٢٤٨	٣١١	٢٩١	١٩٤	٣٠٧	٤٨	٣١٥	تاريخ الطبري ٤٨٠/٤	ق ش	خ
																العقد الفريد ٧١/٤	ق ش	خ
١٣٨	يعطف الهوى على الهدى	٥٦	٤٠	١٥٤	١٦٨	٣٤٦	٢١	١٦١	٢٤٩	٣١٢	٢٩٦	١٩٥	٣١٠	٤٨	٣١٦			

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات: الزمن	ملاحظات: الفرق
١٣٩	لم يسرع أحد قبلي	ج ٢	ج ٩	ج ٣	ج ٣	ج ٨	ج ٢				ج ٢		ج ٢		ج ٢	تاريخ الطبري ٤/٢٣٦	ق ش	
		٥٧	٤٩	١٦١	١٧٤	٣٦٢	٢٢	١٦٢	٢٥١	٣١٤	٣٠١	١٩٦	٣١٢	٤٩	٣٢١	الأبي ـ نثر الدر ١/٣١٠	م ش	خ
١٤٠	إنما ينبغي لأهل العصمة	٥٨	٥٩	١٦٨	١٧٥	٣٦٥	٢٣	١٦٣	٢٥١	٣١٤	٣٠٤	١٩٧	٣١٣	٤٩	٣٢٢			
١٤١	أيها الناس من عرف	٥٨	٧٣	١٧٧	١٧٩	٣٩٣	٢٤	١٦٣	٢٥٢	٣١٥	٣٠٨	١٩٧	٣١٤	٤٩	٣٢٣	ابن أبي الدنيا ـ اليقين ص ٦٥	ق ش	خ
																العقد الفريد ٦/٢٦٨	ق ش	خ
١٤٢	وليس لواضع المعروف	٥٩	٧٤	١٧٩	١٨٠	٣٩٨	٢٤	١٦٣	٢٥٢	٣١٦	٣١١	١٩٨	٣١٦	٤٩	٣٢٤	الكليني ـ الكافي ٤/٣١، ٣٢	ق ش	خ
																ابن شعبة ـ تحف العقول ص ١٣١	ق ش	خ
١٤٣	الا وإن الأرض التي					ج ٩										النوري ـ مستدرك الوسائل ٦/١٨٨، أخذها عن الديلمي من كتابه أعلام الدين ـ الفقرة الثانية	ب ش	خ
		٦٣	٧٦	١٨١	١٨٢	٢	٢٥	١٦٣	٢٥٣	٣١٦	٣١٤	١٩٩	٣١٧	٤٩	٣٢٥	الطوسي ـ تهذيب الأحكام ٣/١٥١ ذكر جملا منها	ب ش	
١٤٤	بعث رسله بما خصّهم	٦٥	٨٤	١٨٧	١٨٦	١٦	٢٧	١٦٤	٢٥٥	٣١٨	٣٢٠	٢٠٠	٣٢٠	٤٩	٣٢٨			
١٤٥	أيها الناس إنما انتم	٦٦	٩١	١٩٧	١٩١	٤٣	٢٨	١٦٥	٢٥٦	٣١٩	٣٢٦	٢٠٢	٣٢٢	٥٠	٣٣٠	المفيد ـ الإرشاد ص ١٢٧	م ش	خ
١٤٦	إن هذا الأمر لم يكن نصره	٦٧	٩٥	١٩٢	١٩٤	٤٩	٢٩	١٦٦	٢٥٧	٣٢٠	٣٣٠	٢٠٣	٣٢٤	٥٠	٣٣٢	تاريخ الطبري ٤/١٢٣، ١٢٤	ق ش	خ
																ابن أعثم ـ الفتوح ١/٢٩٠	ق ش	خ
١٤٧	بعث محمداً بالحق	٧١	١٠٣	١٩٣	١٩٧	٦١	٣٠	١٦٧	٢٥٨	٣٢١	٣٣٥	٢٠٤	٣٢٨	٥٠	٣٣٤	فروع الكافي ٨/٣٨٦	ق ش	خ
١٤٨	كل واحد منهما يرجو الأمر	٧٢	١٠٩	٢٠١	٢٠٥	١٠٤	٣٢	١٦٨	٢٦٠	٣٢٣	٣٤٤	٢٠٦	٣٣٣	٥١	٣٣٧	المفيد ـ الإرشاد ص ١٣٢	م ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات: الزمن	ملاحظات: الفرق
١٤٩	أيها الناس كل امرئ لاق	جـ ٢	جـ ٩	جـ ٣	جـ ٣	جـ ٩	جـ ٢						جـ ٢		جـ ٢	المسعودي إثبات الوصية ص ١٣٢	ق ش	
		٧٣	١١٦	٢١١	٢٠٧	١١١	٣٣	١٦٨	٢٦١	٣٢٤	٣٤٩	٢٠٧	٣٣٣	٥١	٣٣٩	الكليني ـ أصول الكافي ٢٩٩/١	ق ش	خ
١٥٠	فأخذوا يمين وشمالا	٧٨	١٢٦	٢١٨	٢١٣	١٣١	٣٥	١٦٩	٢٦٢	٣٢٦	٣٥٤	٢٠٨	٣٣٥	٥١	٣٤٢			
١٥١	وأستعينه على مداحر	٧٩	١٣٧	٢٢٦	٢٢٠	١٥٧	٣٧	١٧١	٢٦٤	٣٢٨	٣٦١	٢٠٩	٣٣٧	٥١	٣٤٥	اليماني ـ الطراز ٣٣٤/١ ـ فقرة منها	ب ش	
١٥٢	الحمد لله الدال على وجوده	٨٧	١٤٧	٢٣٤	٢٢٨	١٧٢	٣٩	١٧٣	٢٦٦	٣٣١	٣٦٩	٢١١	٣٤٣	٥٢	٣٤٩	أصول الكافي ١٢٩/١، ١٤٠	ق ش	خ
																ذكر ابن أبي الحديد مناسبتها في شرحه ١٥٣/٩		
١٥٣	وهو في مهلة من الله	٨٨	١٥٧	٢٤١	٢٣٩	٢٠٨	٤١	١٧٤	٢٦٨	٣٣٢	٣٧٨	٢١٣	٣٤٤	٥٢	٣٥٢	فروع الكافي ٨٢/٥ فقرة منها ضمن خطبة	ق ش	خ
																ابن شعبة ـ تحف العقول ص ١٠٨	ق ش	خ
١٥٤	وناظر قلب اللبيب	٨٩	١٦٤	٢٤٧	٢٤٧	٢٢٩	٤٣	١٧٥	٢٧٠	٣٣٤	٣٨٦	٢١٥	٣٤٨	٥٣	٣٥٥	الآمدي ـ غرر الحكم ـ نثر بعضها في ١٨٦، ٣٥٠، ٣٧٨، ٤٩٥، ٥٠٠	ب ش	خ
١٥٥	الحمد لله الذي انحسرت	٩٥	١٨١	٢٦٠	٢٨٢	٢٥٥	٤٥	١٧٦	٢٧١	٣٣٦	٣٩٢	٢١٦	٣٥٠	٥٣	٣٥٩	اليماني ـ الطراز ٣٣٤/١ ـ فقرة منها	ب ش	
١٥٦	فمن استطاع عند ذلك	٩٧	١٨٩	٢٦٦	٢٥٨	٢٩٧	٤٧	١٧٧	٢٧٣	٣٣٨	٣٩٩	٢١٨	٣٥٤	٥٣	٣٦١	المفيد ـ الأمالي ص ٢٧٦ فقرة منها	م ش	خ
																القضاعي ـ دستور معالم الحكم ص ٩٤، ٩٥	ب ش	
١٥٧	إنه لما أنزل الله سبحانه	٩٨	٢٠٥	٢٧٦	٢٦٢	٢٨٣	٤٩	١٧٨	٢٧٥	٢٤٠	٤٠٥	٢٢٠	٣٥٦	٥٤	٣٦٤	تابعة للخطبة رقم ١٥٦ التي قبلها		
١٥٨	الحمد لله الذي جعل الحمد	١٠٤	٢٠٩	٢٧٩	٢٦٦	٣١٢	٥١	١٧٩	٢٧٦	٢٤١	٤٠٩	٢٢١	٣٦٠	٥٤	٣٦٦			

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
١٥٩	ارسله على حين فترة من الرسل	ج ٢ ١٠٥	ج ٩ ٢١٧	ج ٣ ٢٨٥	ج ٣ ٢٧٣	ج ٩ ٣٢١	٥٣	١٨٠	٢٧٨	٢٤٤	ج ٢ ٤١٨	٢٢٣	ج ٢ ٣٦٣	٥٤	ج ١ ٢٧٠	الكليني ـ الأصول من الكافي ٦٠/١ بعض فقراتها ضمن خطبة ابن الأثير ـ النهاية في غريب الحديث ٢٤/٥، ١٩٨/٣، ٣٤٧/٤، فسر غريبها	ق ش ب ش	خ
١٦٠	ولقد أحسنت جواركم	١٦٠	٢٢١	٢٨٨	٢٧٥	٣٤١	٥٥	١٨١	٢٨٠	٢٤٥	٤٢٣	٢٢٤	٣٦٥	٥٥	٢٧٢			
١٦١	امره قضاء وحكمة	١٠٩	٢٢٢	٢٨٩	٢٧٦	٣٤٣	٥٥	١٨١	٢٨٠	٢٤٥	٤٣٤	٢٢٤	٣٦٦	٥٥	٢٧٣	من شواهد وجود هذه الخطبة ما حكاه على ضمنها من كراهية النبي (ص) للتصاوير، وقد ورد ما يؤيد ذلك في الحديث المروي عنه (ص) في قوت القلوب ٢٥٩/١.	ق ش	
١٦٢	بعثه بالنور المضيء	١١٧	٢٣٧	٣٠٠	٢٨٨	٤٠١	٦١	١٨٥	٢٨٥	٢٥٠	٤٤٠	٢٢٩	٢٧٣	٥٦	٢٧٩			
١٦٣	يا أخا بني كلب إنك...	١١٩	٢٤١	٣٠٣	٢٩٢	ج ١٠ ٢	٦٣	١٨٦	٢٨٧	٢٥٢	٤٤٥	٢٣١	٣٧٥	٥٦	٢٨٢	الصدوق ـ علل الشرائع ص ١٤٦ الآبي ـ نثر الدر ٢٨٧/١	ق ش م ش	خ خ
١٦٤	الحمد لله خالق العباد	١٢٦	٢٥٢	٣١١	٢٩٦	١٦	٦٥	١٨٧	٢٨٨	٢٥٤	٤٥٠	٢٣٢	٣٨١	٥٦	٢٨٥	الصدوق ـ التوحيد ص ٦٩ وما بعدها من معانيها. ابونعيم الحافظ ـ حلية الأولياء ٧٢/١، ٧٣ بسنده	ق ش ب ش	خ خ
١٦٥	إن للناس ورائي ـ	١٢٧	٢٦١	٣١٧	٣٠١	٢٩	٦٨	١٨٨	٢٩١	٢٥٧	٤٦٠	٢٣٤	٣٨٥	٥٧	٢٨٨	تاريخ الطبري ٣٢٧/٤ العقد الفريد ٣٠٨/٤	ق ش ق ش	خ خ
١٦٦	ابتدعهم خلقا عجيبا	١٣٣	٢٦٦	٣٢١	٣٠٤	٤١	٧٠	١٨٩	٢٩٣	٢٥٩	٤٦٥	٢٣٥	٣١٠	٥٧	٢٩٠	الزمخشري ـ ربيع الأبرار ٢٩٣/١ ذكر فقرة منها	ب ش	
١٦٧	ليتأس صغيركم بكبيركم	١٤٢	٢٨٢	٣٣٢	٣١٤	٧٣	٧٧	١٩٨	٢٩٩	٣٦٦	٤٨٠	٢٤٠	٤٠١	٥٨	٢٩٧	المفيد ـ الإرشاد ص ١٥٥ فقرة منها	م ش	خ
١٦٨	إن الله سبحانه انزل كتابا	١٤٣	٢٨٨	٣٣٧	٣١٨	٩٠	٧٩	١٩٥	٣٠١	٣٦٨	٤٨٦	٢٤٢	٤٠٣	٥٨	٤٠٠	تاريخ الطبري ٤٣٦/٤	ق ش	

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
١٦٩	يا أخوتاه إني لست أجهل	ج ٢ ١٤٣	ج ٩ ٢٩١	ج ٣ ٣٣٩	ج ٣ ٣٢٠	ج ١٠ ٩٨	ج ١ ٨٠	١٩٥	٣٠٢	٣٦٩	ج ٢ ٤٩١	٢٤٣	ج ٢ ٤٠٥	٥٩	ج ١ ٤٠٢	تاريخ الطبري ٤/٤٣٧	ق ش	
١٧٠	إن الله تعالى بعث رسولا	١٤٤	٢٩٥	٣٤٢	٣٣٣	١٠٦	٨١	١٩٦	٣٠٣	٣٧٠	٤٩٤	٢٤٣	٤٠٦	٥٩	٤٠٣	تاريخ الطبري ٤/٤٤٥	ق ش	
١٧١	ارايت لو ان الذين	١٤٥	٢٩٩	٣٤٥	٣٣٦	١١٢	٨٣	١٩٧	٣٠٤	٣٧٢	٤٩٥	٢٤٤	٤٠٨	٥٩	٤٠٥	تاريخ الطبري ٤/٤٩١	ق ش	
١٧٢	اللهم رب السقف المرفوع	١٥١	٣٠١	٣٤٧	٣٣٧	١١٩	٨٣	١٩٧	٣٠٥	٣٧٢	٥٠٠	٢٤٥	٤١٠	٥٩	٤٠٦	ابن مزاحم ـ صفين ص ٢٣٢	ق ش	خ
١٧٣	الحمد لله الذي لا توارى	١٥٢	٣٠٤	٣٤٩	٣٣٩	١٢٧	٨٤	١٩٨	٣٠٦	٣٧٣	٥٠٤	٢٤٦	٤١٢	٥٩	٤٠٨	إبراهيم الثقفي ـ كتاب الغارات ـ بواسطة ابن أبي الحديد ٩٤/٦. ابن قتيبة ـ الإمامة والسياسة ١٥٤/١	ق ش ق ش	خ خ
١٧٤	فخرجوا يجرون حرمة	١٥٢	٣٠٨	٣٥٢	٣٣١	١٢٨	٨٥	١٩٨	٣٠٧	٣٧٤	٥٠٦	٢٤٧	٤١٣	٦٠	٤٠٩	تتمة من الخطبة السابقة		
١٧٥	أمين الله على وحيه وخاتم	١٥٣	٣٣٥	٣٦٥	٣٣٩	١٥٦	٨٦	١٩٩	٣٠٨	٣٧٥	٥٠٩	٢٤٧	٤١٥	٦٠	٤١٠	ابن شعبة ـ تحف العقول ص ١٣٠ فقرة منها	ق ش	
١٧٦	قد كنت وما أهدد بالحرب	١٥٤	ج ١٠ ٣	٣٦٩	٣٤٤	١٧٢	٨٨	٢٠٠	٣٠٩	٣٧٧	٥١٦	٢٤٩	٤١٨	٦٠	٤١٢	تابعة فيما يعتقد للخطبة رقم ١٣٧		
١٧٧	أيها الغافلون غير المغفول	١٥٥	١٠	٣٧٤	٣٤٦	١٧٧	٨٩	٢٠١	٣١٠	٣٧٨	٥٢٠	٢٥٠	٤٢٠	٦٠	٤١٤			
١٧٨	انتفعوا ببيان الله	١٦٠	١٦	٣٧٩	٣٤٩	١٨٩	٩٠	٢٠٢	٣١٢	٣٧٩	٥٢٤	٢٥١	٤٢٢	٦٠	٤١٦	أبو طالب المكي ـ قوت القلوب ٧٧/١ رواها عن الرسول (ص) بسند عن علي (ع). دستور معالم الحكم ص ٦٠ فقرة منها	ق ش ب ش	

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات: الزمن	ملاحظات: الفرق
١٧٩	فاجمع رأي ملئكم على...	ج ٢ / ١٦٧	ج ١٠ / ٥٥	ج ٣ / ٤٠٦	ج ٣ / ٣٦٧	ج ١٠ / ٢٤٢	ج ٢ / ٩٦	٢٠٦	٣١٨	٣٨٥	ج ٢ / ٥٤٦	٢٥٦	ج ٣ / ٤٣١	٦٢	ج ١ / ٤٢٢	تاريخ الطبري ٨٥/٥	ق ش	
١٨٠	لا يشغله شأن...	١٦٨	٥٨	٤٠٨	٣٦٨	٢٤٥	٩٧	٢٠٦	٢١٨	٣٨٦	ج ٣ / ٥	٢٥٦	٤٣٢	٦٢	٤٢٣	الزمخشري ـ ربيع الأبرار ٨٠/١ ـ ٥ فقرة منها	ب ش	
																ذكر ابن أبي الحديد ـ ٦٢/١٠ مناسبتها		
١٨١	أفأعبد ما لا أرى لا تدركه العيون بمشاهدة العيان...	١٦٩	٦٤	٤١٢	٣٧٣	٢٥٧	٩٩	٢٠٧	٣٢٠	٣٨٨	١١	٢٥٨	٤٣٥	٦٢	٤٢٥	أصول الكافي ١٣٨/١	ق ش	خ
																أمالي الصدوق ص ٢٨١	ق ش	خ
١٨٢	أحمد الله على ما قضى...	١٦٩	٦٧	٤١٤	٣٧٥	٢٧٢	١٠٠	٢٠٨	٣٢١	٣٨٩	١٤	٢٥٨	٤٣٧	٦٢	٤٢٦	تاريخ الطبري ١٠٧/٥	ق ش	خ
١٨٣	بعدا لهم كما بعدت ثمود...	١٧١	٧٤	٤١٩	٣٧٩	٢٨٨	١٠٢	٢٠٩	٣٢٢	٣٩١	١٩	٢٥٩	٤٤٠	٦٢	٤٢٨	تاريخ الطبري ١١٥/٥	ق ش	خ
١٨٤	الحمد لله الذي إليه مصائر...	١٧٦	٧٦	٤٢١	٣٨١	٢٩٨	١٠٣	٢٠٩	٣٣٣	٣٩٢	٢٢	٢٦٠	٤٤٣	٦٣	٤٢٩	ذكر الشريف الرضي سندها ومناسبتها وهي آخر ما خطبه الإمام علي (ع).		
١٨٥	الحمد لله المعروف من غير رؤية...	١٩٣	١١٣	٤٤٦	٣٩٥	٢٧١	١١٠	٢١٣	٣٢٩	٣٩٨	٣٨	٢٦٥	٤٥٣	٦٤	٤٣٧	الزمخشري ـ ربيع الأبرار ١٩٢/١ روى فقرة منها	ب ش	
																هاشم البحراني ـ البرهان في تفسير القرآن ٨/١ ـ ٩ ـ فقرة منها	ب ش	خ
١٨٦	أسكت قبحك الله...	٢٠٣	١٣٠	٤٥٢	٤٠٨	٤١١	١١٤	٢١٦	٣٣٣	٤٠٢	٥٠	٢٦٨	٤٦٠	٦٤	٤٤٢	أبو هلال العسكري ـ الصناعتين ص ٢٧٧	ق ش	خ
١٨٧	أما بعد فإن الله سبحانه خلق الخلق حين خلقهم...	٢٧١	١٣٢	٤٦٠	٤٠٩	ج ١٢ / ١٠٦	١٦٠	٢٤١	٣٧٦	٤٤٥	١٦٢	٣٠٣	ج ٣ / ٥٨	٧٢	٤٤٣	ابن قتيبة ـ عيون الأخبار ٣٥٣/٢ فقرة منها	ق ش	
																العقد الفريد ١٧٧/٣	ق ش	خ
١٨٨	نحمده على ما وفق له من ...	٢٨٠	١٦٣	٤٨١	٤٢٥	١٦٩	١٦٥	٢٤٤	٣٨٠	٤٤٩	١٧٣	٣٠٧	٦٧	٧٣	٤٤٩	اليماني ـ الطراز ٣٠٥/٢ ـ فقرة منها	ب ش	

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	الزمن	الفرق
١٨٩	الحمد لله الذي أظهر من آثار...	ج ٢ ٢٨١	ج ١٠ ١٧٠	ج ٣ ٤٨٦	ج ٣ ٤٣١	ج ١٢ ١٨٣	ج ٢ ١٦٧	٢٤٥	٣٨٢	٤٥١	ج ٣ ١٧٩	٣٠٨	ج ٣ ٧٠	٧٣	ج ١ ٤٥٢			
١٩٠	بعثة حين لا علم قائم...	٢٨٩	١٧٦	٤٩١	٤٣٧	٢٠٧	١٧٠	٢٤٧	٣٨٥	٤٥٤	١٨٤	٣١٠	٧٣	٧٤	٤٥٦			
١٩١	ولقد علم المستحفظون...	٢٨٩	١٧٩	٤٩٣	٤٣٩	٢١٣	١٧١	٢٤٨	٣٨٦	٤٥٥	١٨٧	٣١١	٧٤	٧٤	٤٥٨			
١٩٢	يعلم عجيج الوحوش...	٢٩٣	١٨٨	٤٩٩	٤٤٢	٢٦٩	١٧٢	٢٤٨	٣٨٧	٤٥٦	١٩١	٣١٢	٧٦	٧٤	٤٦٠	راجع توثيق الخطبة رقم ١٠٥		
١٩٣	تعاهدوا أمر الصلاة...	٣٠٥	٢٠٢	٥٠٩	٤٦٢	٣١٧	١٧٨	٢٥٢	٣٩٢	٤٦٢	٢٠٤	٣١٦	٨٣	٧٥	٤٦٦	الكليني ـ الفروع من الكافي ٥/٣٦، ٣٧	ق ش	خ
١٩٤	والله ما معاوية بأدهى مني...	٣٠٦	٢١١	٥١٦	٤٦٩	٣٦٤	١٨٠	٢٥٣	٣٩٤	٤٦٤	٢١١	٣١٨	٨٥	٧٥	٤٦٨	الكليني ـ أصول الكافي ٢/٣٣٨	ق ش	خ
١٩٥	أيها الناس لا تستوحشوا...	٣٠٧	٢٦١	٥٤٩	٤٧٣	٣٨٢	١٨١	٢٥٣	٣٩٤	٤٦٤	٢١٣	٣١٩	٩٠	٧٥	٤٦٩	المفيد ـ الإرشاد ص ٣٠٧ فقرات منها	م ش	خ
١٩٦	السلام عليك يا رسول الله (ص)...	٣٠٧	٢٦٥	٥٥٢	ج ٤	ج ١٣	١٨٢	٢٥٤	٣٩٥	٤٦٥	٢١٧	٣١٩	٩١	٧٦	٤٧٠	الكليني ـ أصول الكافي ١/٤٥٨، ٤٥٩	ق ش	
					٢	٢										الطبري الإمامي ـ دلائل الإمامة ص٤٨	ق ش	
١٩٧	أيها الناس إنما الدنيا...	٣٠٨	ج ١١	٥٦٧	٥	٤٠	١٨٣	٢٥٤	٣٩٦	٤٦٦	٢٢٢	٣٢٠	٩٨	٧٦	ج ٢	المبرد ـ الكامل ٤/١٠٨ نسبه إلى إعرابي برواية	ق ش	خ
			٣												٣	الطبرسي ـ مشكاة الأنوار ص ٢٦٩	ب ش	خ
١٩٨	تجهزوا رحمكم الله...	٣٠٨	٥	٥٦٩	٧	٤٨	١٨٣	٢٥٥	٣٩٦	٤٦٧	٢٢٤	٣٢١	٩٩	٧٦	٤	الصدوق ـ الأمالي ـ ٤٠٢، ٤٠٣	ق ش	خ
																المفيد ـ الأمالي ـ ص ١٩٨	م ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
١٩٩	لقد نقمتما يسيرا...	ج ٢ ٣٣٠	ج ١١ ٧	ج ٤ ٥٧٠	ج ٤ ٩	ج ١٣ ٥٦	ج ٢ ١٨٤	٢٥٥	٣٩٧	٤٦٧	ج ٣ ٢٢٦	٣٢١	ج ٣ ١٠٠	٧٦	ج ٢ ٥	أبو جعفر الإسكافي ـ نقص العثمانية ـ بواسطة ابن أبي الحديد ٤١/٧ ـ الرواية بأكملها تبدأ من ٣٦/٧ حتى ٤١.	ق ش	
٢٠٠	إني أكره لكم أن تكونوا...	٣٣١	٣١	٥٧٩	١٣	٨١	١٨٥	٢٥٦	٢٩٨	٤٦٩	٢٣١	٣٣٣	١٠٢	٧٦	٧	ابن مزاحم ـ صفين ص ١٠٣ الدينوري ـ الأخبار الطوال ص١٦٥	ق ش ق ش	خ خ
٢٠١	املكوا عني هذا الغلام...	٣٣١	٢٥	٥٨٧	١٤	٩٥	١٨٦	٢٥٦	٣٩٩	٤٦٩	٢٣٤	٣٣٣	١٠٣	٧٦	٨			
٢٠٢	أيها الناس أنه لم يزل أمري...	٣٣٢	٢٩	٥٨٥	١٥	١١٧	١٨٦	٢٥٦	٣٩٩	٤٧٠	٢٣٦	٣٣٣	١٠٥	٧٦	٩	ابن مزاحم ـ صفين ص ٤٨٤ المسعودي ـ مروج الذهب ـ ٤٠٠/٢	ق ش ق ش	 خ
٢٠٣	ما كنت تصنع بهذه الدار...	٣٣٢	٣٢	٥٨٧	١٦	١٢٠	١٨٧	٢٥٧	٤٠٠	٤٧٠	٢٣٨	٣٣٤	١٠٨	٧٦	١٠	العقد الفريد ٢٧٣/٧ أصول الكافي ٤١٠/١ القسم الثاني منها	ق ش ق ش	خ خ
٢٠٤	إن في أيدي الناس حقا وباطلا	٣٣٠	٣٨	٥٩١	١٩	ج ١٤ ٢٤	١٨٨	٢٥٨	٤٠١	٤٧٢	٢٤١	٣٢٥	١١١	٧٧	١٢	كتاب سليم بن قيس ص ١٠٤ ابن شعبة ـ تحف العقول ص ١٣٦	ق ش ق ش	خ خ
٢٠٥	وكان من اقتدار جبروته...	٣٣٢	٥١	٦٠٠	٢٤	٦٥	١٩١	٢٥٩	٤٠٢	٤٧٤	٢٤٨	٣٢٨	١١٥	٧٧	١٤	الزمخشري ـ ربيع الأبرار ١١٥/١ الفقرة الأولى	ب ش	
٢٠٦	اللهم إيّما عبد من عبادك...	٣٣٩	٦٠	٦٠٦	٢٧	٧٤	١٩٣	٣٦٠	٤٠٥	٤٧٦	٢٥٢	٣٢٩	١١٨	٧٧	١٦			•
٢٠٧	الحمد لله العلي عن شبه...	٣٣٩	٦٢	٦٠٧	٢٨	٨٠	١٩٤	٢٦٠	٤٠٦	٤٧٧	٢٥٤	٣٢٩	١١٩	٧٨	١٧			
٢٠٨	واشهد أنه عدل عدل...	٣٤٠	٦٥	٦٠٩	٣٠	٨٧	١٩٥	٢٦١	٤٠٦	٤٧٨	٢٥٧	٣٣٠	١٢٠	٧٨	١٨			

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات: الزمن	ملاحظات: الفرق
٢٠٩	الحمد لله الذي لم يصبح بي...	ج ٢ ٢٤١	ج ١١ ٨١	ج ٣ ٦٢٢	ج ٤ ٣٦	ج ١٤ ١١٢	ج ٢ ١٩٧	٣٦٢	٤٠٥	٤٨٠	ج ٣ ٣٦٢	٣٣٣	ج ٣ ١٢٢	٧٨	ج ٢ ٢١			
٢١٠	اما بعد فقد جعل الله سبحانه...	٢٤٨	٨٨	٦٢٥	٣٨	١٢٠	١٩٨	٣٦٣	٤٠٩	٤٨٢	٣٦٦	٣٣٣	١٢٤	٧٨	٣٣	الكليني ـ فروع الكافي ٣٥٢/٨ بزيادة	ق ش	خ
٢١١	إن لله حق من عظم جلال...	٢٥٠	١٠١	٦٣٤	٤٠	١٤٨	٢٠٠	٣٦٤	٤١١	٤٨٤	٣٧٣	٣٣٤	١٣٧	٧٩	٢٦	الكليني ـ فروع الكافي ٣٥٥/٨ بزيادة	ق ش	خ
٢١٢	اللهم إني أستعديك على قريش...	٢٥١	١٠٩	٦٣٩	٤٩	١١٩	٢٠٢	٣٦٥	٤١٣	٤٨٥	٣٧٨	٣٣٦	١٣١	٧٩	٢٩	راجع مصادر الخطبة رقم ٢٦ جزء منها الإمامة والسياسة ٥٥/١، ١٥٥	 ق ش	 خ
٢١٣	فقدموا على عمّالي وخزّان...	٢٥١	١٢١	٦٤٦	٥٠	١٧٠	٢٠٣	٣٦٥	٤١٤	٤٨٦	٣٨٠	٣٣٦	١٣٣	٧٩	٣٠	الإمامة والسياسة ١٥٦/١ وهي جزء من الخطبة السابقة	ق ش	خ
٢١٤	لقد اصبح ابو محمد بهذا المكان...	٢٥٢	١٣٣	٦٤٨	٥١	١٨٤	٢٠٣	٣٦٦	٤١٤	٤٨٧	٣٨٢	٣٣٧	١٣٣	٧٩	٣١	الأغاني ٢٤١/١٨ الآبي ـ نثر الدر ٢٩٥/١	ق ش م ش	خ خ
٢١٥	يا ابن عباس ما يريد عثمان...	٢٥٢	ج ١٣ ٢٩٦	ج ٤ ٧٧١	٣٣٢	ج ١٦ ١٧٧	٢٣٢	٢٨٣	٤٤٠	٥١٦	٣٦٧	٣٥٨	١٨٨	٨٤	-	الإمامة والسياسة ٣٤/١ العقد الفريد ٣٠٩/٤	ق ش ق ش	خ خ
٢١٦	قد احيا عقله وامات قلبه...	٢٥٣	ج ١١ ١٣٧	ج ٣ ٦٥١	٥٢	ج ١٤ ١٩٢	٢٠٤	٣٦٦	٤١٥	٤٨٧	٣٣٤	٣٣٧	١٣٥	٧٩	٣٢			
٢١٧	والله مستاديكم شكره...	٢٥٣	١٤٢	٦٦١	٣٣٤	ج ١٦ ١٨٥	٢٣٣	٢٨٤	٤٤٠	٥١٧	٣٦٩	٣٥٨	١٨٩	٨٤	٣٣	الآمدي ـ غرر الحكم ـ ٤٧١ ـ جملة منها	ب ش	
٢١٨	يا له من مرما ما ابعده...	٢٦٣	١٤٥	٦٦٣	٥٨	ج ١٤ ٢٠٧	٢٠٤	٣٦٦	٤١٥	٤٨٨	٣٨٦	٣٣٨	١٣٦	٧٩	٣٤			

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
٢١٩	إن الله سبحانه وتعالى جعل الذكر...	ج ١ ٣٧٦	ج ١١ ١٧٦	ج ٣ ٦٨٣	ج ٤ ٦٦	ج ١٤ ٢٤٥	ج ٢ ٢١١	٢٧٠	٤٢٠	٤٩٤	ج ٣ ٢٩٨	٣٤٢	ج ٣ ١٤٨	٨٠	ج ٢ ٤٢			
٢٢٠	أدحض مسؤول حجته...	٣٧٨	٢٢٨	٧٢٣	٧٤	٢٦٧	٢١٣	٢٧٢	٤٢٣	٤٩٧	٣٠٥	٣٤٤	١٥١	٨١	٤٥			
٢٢١	والله لأن أبيت على حسك السعدان...	٣٩٠	٢١٥	٧٢٩	٨٣	٢٧	٢١٦	٢٧٤	٤٢٥	٥٠٠	٣١٣	٣٤٦	١٥٦	٨١	٤٨	الصدوقي ـ الأمالي ص ٤٩٥ ـ ٤٩٦ من خطبة طويلة.	ق ش	خ
٢٢٢	اللهم صن وجهي باليسار...	٣٩١	٢٥٥	٧٣٦	٨٨	٣٠٨	٢١٨	٢٧٥	٤٢٧	٥٠٢	٣٢٠	٣٤٧	١٦٠	٨٢	٥٠	الأبشيهي ـ المستطرف ٢/٣٣٠	ب ش	خ
٢٢٣	دار بالبلاء محفوفة...	٣٩٢	٢٥٧	٧٣٧	٨٩	٣٢٠	٢١٩	٢٧٥	٤٢٧	٥٠٢	٣٢٢	٣٤٨	١٦٥	٨٢	٥١	دستور معالم الحكم ص ٣٦	ب ش	خ
٢٢٤	اللهم إنك آنس الآنسين...	٣٩٣	٢٦٧	٧٤٤	٩٣	٣٤٢	٢٢١	٢٧٦	٤٢٩	٥٠٤	٣٢٦	٣٤٩	١٦٩	٨٢	٥٣			
٢٢٥	لله بلاد فلان فلقد قوم الأود...	٣٩٣	ج ١٢ ٣	٧٥٣	٩٦	٣٧١	٢٢٢	٢٧٧	٤٣٠	٥٠٥	٣٢٩	٣٥٠	١٧٠	٨٢	٥٤			
٢٢٦	وبسطتم يدي فكففتها...	٣٩٤	ج ١٣ ٣	ج ٤ ٦٦	٩٩	٤٠٦	٢٢٢	٢٧٧	٤٣٠	٥٠٥	٣٣١	٣٥٠	١٧١	٨٢	٥٥	العقد الفريد ٤/٣١٨	ق ش	خ
٢٢٧	فإن تقوى الله مفتاح سداد...	٣٩٤	٥	٦٨	١٠٠	٤٠٩	٢٢٣	٢٧٧	٤٣١	٥٠٦	٣٣٣	٣٥١	١٧٢	٨٢	٥٦	ابن الأثير ـ النهاية في غريب الحديث فسرّ غيرها في المواد: خلس، عبل، حدم دجي	ب ش	
٢٢٨	فصدع بما أمر به...	٤٠٦	٩	٧١	١٠٩	ج ١٥ ٩	٢٢٥	٢٧٩	٤٣٣	٥٠٩	٣٤٠	٣٥٣	١٧٦	٨٣	٥٩	ذكر الشريف الرضي مصدرها وسنده المفيد الإرشاد ص ١٣٠	م ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
٢٢٩	إن هذا المال ليس لي ولا لك..	ج ٢ / ٤٠٦	ج ١٣ / ١٠	ج ٤ / ٧٢	ج ٤ / ١١٠	ج ١٥ / ٢٣	ج ٢ / ٢٢٦	٢٧٩	٤٣٣	٥٠٩	ج ٣ / ٣٤٢	٣٥٣	ج ٣ / ١٧٧	٨٣	ج ٢ / ٦٠	الآمدي ـ غرر الحكم ص ٢٠٢	ب ش	خ
٢٣٠	أولا وإن اللسان بضعة..	٤٠٧	١٢	٧٤	١١٢	٣١	٢٢٦	٢٧٩	٤٣٤	٥١٠	٣٤٤	٣٥٤	١٧٨	٨٣	٦١	ذكر ابن ابي الحديد في شرحه ١٣/١٣ مناسبتها فكأنه اطلع على مصدرها ولم يذكره		
٢٣١	إنما فرق بينهم مبادئ طينهم...	٤٠٧	١٨	٧٨	١١٤	٤٦	٢٢٧	٢٨٠	٤٣٥	٥١١	٣٤٨	٣٥٤	١٨٠	٨٣	٦٢	رواه الرضي مسندا		
٢٣٢	بابي انت وامي يا رسول الله (ص)..	٤٠٨	٢٤	٨٢	١١٨	٦٧	٢٢٨	٢٨٠	٤٣٥	٥١١	٣٥٢	٣٥٥	١٨١	٨٣	٦٣	الزجاج ـ الأمالي ص ١١٢	ق ش	
٢٣٣	الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد...	٤٠٩	٤٤	٩٥	١٢١	ج ١١ / ٢	١١٥	٢١٦	٣٣٤	٤٠٢	٥٢	٢٦٩	ج ٢ / ٤٦١	٦٥	٦٤	الطبرسي ـ الاحتجاج ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥	ب ش	خ
٢٣٤	ما وحده من كيفه..	٤٢٥	٦٩	١١٢	١٤٦	٥٤	١١٩	٢١٩	٣٤١	٤٠٦	٦٤	٢٧٢	٤٦٧	٦٥	٦٩	الكليني ـ أصول الكافي ١٣٩/١ فقرات منها أمالي الشريف المرتضى ١٤٨/١ فقرات منها	ق ش م ش	خ
٢٣٥	الا بابي وامي هم من عده...	٤٣٤	٩٥	١٣٠	١٨٢	١٤١	١٢٦	٢٢٢	٣٤٦	٤١٢	٧٩	٢٧٧	٤٧٧	٦٦	٧٥	المدائني ـ صفين ـ بواسطة ابن ابي الحديد ١٣٤/٦ ـ بزيادة.	ق ش	خ
٢٣٦	اوصيكم ايها الناس بتقوى الله..	٤٣٥	٩٩	١٣٣	١٨٨	١٤٩	١٢٧	٢٢٣	٣٤٧	٤١٤	٨٣	٢٧٨	ج ٢ / ١٦	٦٧	٧٧			
٢٣٧	فمن الإيمان ما يكون ثابتا...	٤٣٦	١٠١	١٣٥	١٩٢	١٥٨	١٢٨	٢٢٤	٣٤٩	٤١٥	٨٦	٢٧٩	١٧	٦٧	٧٩	المفيد ـ الإرشاد ص ٢٣ ـ قسم منها التلمساني ـ الجوهرة ص ٧٤	م ش ب ش	خ خ
٢٣٨	احمده واشكره لإنعامه...	٤٣٧	١١٠	١٤١	٢٠١	١٨٣	١٣٠	٢٢٥	٣٥٠	٤١٦	٩٢	٢٨٠	٢٠	٦٧	٨١			

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
٢٣٩	الحمد لله الفاشي حمده...	ج ٣ ٢٠٤	ج ١٣ ١١٥	ج ٤ ١٤٥	ج ٤ ١١٢	ج ١١ ٢١٨	ج ٢ ١٣٣	٣٢٦	٣٥٣	٤١٩	ج ٣ ٩٩	٢٨٣	ج ٣ ٢٤	٦٨	ج ٢ ٨٦			
٢٤٠	الحمد لله الذي لبس العز...	٢٠٦	١٣٧	١٥٤	٣٣٢	٣٦٣	١٣٧	٣٢٩	٣٥٦	٤٣٣	١٠٧	٢٨٥	٢٩	٦٨	٨٩	الماوردي ـ أعلام النبوة ص ١١٣ رواها باختصار	ب ش	خ
٢٤١	فجعلت اتبع مأخذ رسول الله (ص)...	-	٣٥٣	٢٧٦	٣٢٤	ج ١٥ ١٣٦	٢٢٩	٢٨١	٤٣٦	٥١٢	٣٥٥	٢٥٦	١٨٤	٨٣	١١٧	ابن الأثير ـ النهاية في غريب الحديث ٢٠١/٥	ب ش	
٢٤٢	فاعملوا وأنتم في نفس البقاء...	-	٣٥٧	٢٧٩	٣٢٥	١٦٧	٢٢٩	٢٨١	٤٣٧	٥١٣	٣٥٧	٢٥٦	١٨٤	٨٣	١١٨			
٢٤٣	جفاة طغام، عبيد أقزام...	-	٣٥٩	٢٨١	٣٢٨	٢١٠	٢٣٠	٢٨٢	٤٣٨	٥١٤	٣٦٠	٢٥٧	١٨٦	٨٣	١٢٠	ابن قتيبة ـ الإمامة والسياسة ١٥٨/١ ضمن خطبة طويلة.	ق ش	خ
٢٤٤	هم عيش العلم وموت الجهل...	-	٣١٧	٢٨٧	٣٣٢	ج ١٦ ٣٣	٢٣٢	٢٨٣	٤٣٩	٥١٥	٣٦٤	٢٥٧	١٨٧	٨٤	١٣٣	فروع الكافي ٣٩١/٨ ضمن خطبة طويلة	ق ش	خ

جدولة المختار من كتب أمير المؤمنين ورسائله

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
١	من عبدالله أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة...	ج ٣ ٧	ج ١٤ ٦	ج ٤ ٢٨٩	ج ٤ ٣٣٧	ج ١٦ ١٩٤	ج ٤ ٢	٢٨٦	٤٤٢	٥٢١	ج ٣ ٣٧٥	٣٦٣	ج ٣ ١٩٣	٨٤	ج ٢ ١٢٧	ابن قتيبة ـ الإمامة والسياسة ٦٦/١	ق ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
٢	وجزاكم الله من أهل مصر..	ج ٣ / ٨	ج ١٥ / ٢٦	ج ٤ / ٣٠٣	ج ٤ / ٣٤١	ج ١٧ / ٨	ج ٣ / ٣	٣٦٨	٤٤٣	٥٢٢	ج ٣ / ٣٧٩	٣٦٤	ج ٣ / ١٩٥	٨٤	ج ٢ / ١٢٩	المفيد ـ الجمل ص ٢١٦	م ش	خ
٣	يا شريح أما انه سيأتيك...	٨	٢٧	٣٠٤	٣٤٢	١٠١	٤	٣٦٨	٤٤٣	٥٢٣	٣٨١	٣٦٦	١٩٧	٨٤	١٣٠	الصدوق ـ الأمالي ص ٢٥٦ شاهد منها في نقد النثر، لقدامة ص ٧٧	ق ش ق ش	خ خ
٤	فإن عادوا إلى ظل الطاعة..	٩	٣٢	٣٠٨	٣٤٨	١٦٨	٦	٢٨٨	٤٤٥	٥٢٤	٣٨٦	٣٦٦	٢٠٠	٨٥	١٣٢	إبراهيم بن هلال ـ الغارات ـ بواسطة ابن أبي الحديد ٤٦/٤. سبط ابن الجوزي ـ تذكرة الخواص ١٤٤ مسندا	ق ش ب ش	 خ
٥	وإن عملك ليس لك بطعمة...	١٠	٣٣	٣٠٩	٣٥٠	١٧٣	٦	٢٨٨	٤٤٥	٥٢٥	٣٨٨	٣٦٦	٢٠١	٨٥	١٣٣	العقد الفريد ٣٣٠/٤	ق ش	
٦	أنه بايعني القوم الذين بايعوا..	١١	٣٥	٣١١	٣٥٢	١١٨	٧	٢٨٨	٤٤٦	٥٢٦	٣٩٠	٣٦٧	٢٠٣	٨٥	١٣٤	ابن مزاحم ـ صفين ص ٢٩ العقد الفريد ٣٣٢/٤	ق ش ق ش	
٧	أما بعد فقد أتتني منك موعظة...	١١	٤١	٣١٥	٣٥٤	٢٠٦	٧	٢٨٩	٤٤٦	٥٢٦	٣٩٣	٣٦٨	٢١٠	٨٥	١٣٥	ابن مزاحم ـ صفين ص ٥٧ العقد الفريد ٣٣٤/٤	ق ش ق ش	
٨	أما بعد فإن أتاك كتابي فاحمل...	٢٠	٥٤	٣١٨	٣٥٨	٢٣٣	٨	٢٨٩	٤٤٧	٥٢٧	٣٩٥	٣٦٨	٢١٤	٨٥	١٣٦	ابن مزاحم ـ صفين ص ٥٥ العقد الفريد ٣٣٢/٤	ق ش ق ش	
٩	فاراد قومنا قتل نبينا...	٢٢	٤٧	٣١٩	٣٥٩	٣٣٤	٨	٢٨٩	٤٤٧	٥٢٨	٣٩٧	٣٦٨	٢١٤	٨٥	١٣٧	صفين ص ٨٩ ـ ٩١	ق ش	
١٠	وكيف أنت صانع إذا انكشف...	٢٣	ج ١٥ / ٧٩	٥٢٣	٣٧٠	ج ١٨ / ١٩	١٠	٢٩١	٤٤٩	٥٣٠	٤٠٣	٣٦٩	٢١٨	٨٥	١٤٠	صفين ص ١٠٨ ـ ١٠٩	ق ش	
١١	فإذا انزلتم بعدوكم أو نزل بكم...	٢٤	٨٩	٥٣٠	٣٧٦	٦٠	١٢	٢٩٢	٤٥١	٥٣٢	٤٠٨	٣٧١	٢٢٢	٨٦	١٤٣	صفين ـ ص ١٢٤	ق ش	

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
١٢	اتق الله الذي لابد لك من لقائه...	ج ٣ ٢٥	ج ١٥ ٩٢	ج ٤ ٥٣٣	ج ٤ ٣٧٩	ج ١٨ ٧٩	ج ٣ ١٣	٢٩٢	٤٥٢	٥٣٣	ج ٣ ٤١١	٣٧٢	ج ٣ ٢٢٥	٨٦	ج ٢ ١٤٥	صفين ص ١٤٨	ق ش	
١٣	وقد امرت عليكما وعلى من في حيز كما...	٢٦	٩٨	٥٣٨	٣٨١	١١٤	١٤	٢٩٣	٤٥٢	٥٣٤	٤١٤	٣٧٢	٢٢٦	٨٦	١٤٧	صفين ص ١٥٤	ق ش	
١٤	لا تقاتلوهم حتى يبدؤكم فإنكم...	٣٥	١٠٤	٥٤٢	٣٨٢	١٢٤	١٤	٢٩٣	٤٥٣	٥٣٤	٤١٧	٣٧٣	٢٢٧	٨٦	١٤٨	صفين ص ٢٠٣	ق ش	
١٥	اللهم إليك أخضت القلوب...	٣٥	١١٢	٥٤٨	٣٨٥	١٦٩	١٥	٢٩٤	٤٥٤	٥٣٥	٤٢٠	٣٧٣	٢٢٩	٨٦	١١٩	صفين ص ٤٧٧	ق ش	
١٦	لا تشدن عليكم فرّة بعدها...	٣٦	١١٤	٥٥٠	٣٨٦	١٩٠	١٦	٢٩٤	٤٥٤	٥٣٦	٤٢٠	٣٧٤	٢٣١	٨٦	١٥٠	الكليني ـ فروع الكافي ٤١/٥	ق ش	خ
١٧	وأما طلبك الشام، فإني...	٣٦	١١٧	٥٥٢	٣٨٨	٢٢٧	١٦	٢٩٤	٤٥٥	٥٣٦	٤٣٣	٣٧٤	٢٣٣	٨٦	١٥١	صفين ـ ص ٤١٧ المستطرف ٢٠٥/١ فقرة منها	ق ش ب ش	
١٨	واعلم ان البصرة مهبط إبليس...	٣٧	١٢٥	٥٥٨	٣٩٤	٣٠٩	١٨	٢٩٥	٤٥٦	٥٣٨	٤٢٨	٣٧٥	٢٣٩	٨٧	١٥٣	صفين ـ ص ١٠٦	ق ش	خ
١٩	أما بعد فإن دهاقين أهل بلدك...	٣٧	١٢٧	٥٦٧	٣٩٨	٣٢٢	١٨	٢٩٦	٤٥٧	٥٣٩	٤٣١	٣٧٦	٢٤١	٨٧	١٥٥	انساب الأشراف ١٦١/٢	ق ش	
٢٠	وإني اقسم بالله صادقا...	٣٨	١٣٨	٥٦٨	٣٩٩	٣٣٠	١٩	٢٩٦	٤٥٧	٥٣٩	٤٣٣	٣٧٧	٢٤٢	٨٧	١٥٦	انساب الأشراف ١٦٢/٢	ق ش	
٢١	فدع الإسراف مقتصدا...	٣٨	١٣٩	٥٦٩	٤٠٠	٣٣٦	١٩	٢٩٦	٤٥٨	٥٤٠	٤٣٥	٣٧٧	٢٤٣	٨٧	١٥٧	انساب الأشراف ١٦٤/٢	ق ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
٢٢	اما بعد فإن المرء قد يسره...	جـ ٣ ٣٩	جـ ١٥ ١٤٠	جـ ٤ ٥٧٠	جـ ٤ ٤٠١	جـ ١٨ ٣٤٤	جـ ٣ ٢٠	٢٩٧	٤٥٨	٥٤٠	جـ ٣ ٤٣٧	٣٧٨	جـ ٣ ٢٤٥	٨٧	جـ ٣ ١٥٨	ابن مزاحم ـ صفين ١٠٧	ق ش	
																ابو طالب المكي ـ قوت القلوب ٧٦/١	ق ش	خ
٢٣	وصيتي لكم الا تشركوا بالله...	٣٩	١٤٣	٥٧٢	٤٠٣	٣٥٦	٢١	٢٩٧	٤٥٩	٥٤١	٤٣٩	٣٧٨	٢٤٦	٨٧	١٥٩	تاريخ الطبري ١٤٧/٥	ق ش	خ
																أصول الكافي ٢٩٩/١ بزيادة	ق ش	خ
٢٤	هذا ما امر به الله علي بن ابي طالب (ع)...	٤٠	١٤٦	٥٧٤	٤٠٥	٣٦٤	٢٢	٢٩٧	٤٦٠	٥٤٢	٤٤٢	٣٧٩	٢٥٠	٨٧	١٦٠	فروع الكافي ٤٩/٧ بزيادة	ق ش	خ
٢٥	انطلق على تقوى الله وحده...	٥٢	١٥١	٥٧٨	٤١٠	٣٧٩	٢٣	٢٩٨	٤٦١	٥٤٣	٤٤٥	٣٨٠	٢٥٤	٨٧	١٦٢	فروع الكافي ٥٣٦/٣ بزيادة	ق ش	خ
٢٦	امره بتقوى الله في سرائر امره...	٥٤	١٥٨	٥٨٣	٤١٥	جـ ١٩ ٣٥	٢٦	٣٠٠	٤٦٣	٥٤٦	٤٥٠	٣٨٢	٢٥٩	٨٨	١٦٥	القاضي النعمان ـ دعائم الإسلام ٣٠١/١ ملخصا	ق ش	خ
٢٧	فاخفض لهم جناحك، والن لهم...	٥٥	١٦٣	٥٨٧	٤١٩	٥٨	٢٧	٣٠١	٤٦٥	٥٤٧	٤٥٤	٣٨٣	٢٦١	٨٨	١٦٧	تاريخ الطبري ٥٥٦/٤ بما في معناه	ق ش	خ
																ابن شعبة ـ تحف العقول ص ١٢٣	ق ش	
٢٨	اما بعد فقد اتاني كتابك تذكر...	٦٥	١٨١	٥٩٩	٤٣١	٩٢	٣٠	٣٠٢	٤٦٧	٥٤٩	٤٦٣	٣٨٥	٢٦٥	٨٩	١٧١	صفين ص ٨٨	ق ش	
																العقد الفريد ٣٣٥/٤	ق ش	خ
٢٩	وقد كان من انتشار حبلكم وشقاقكم	٦٩	جـ ١٦ ٣	٦٧٨	٤٤٦	٣٥٤	٣٦	٣٠٦	٤٧٢	٥٥٥	٤٧٦	٣٨٩	٢٧٩	٨٨	١٧٧	إبراهيم الهلالي ـ الغارات ـ بواسطة ابن أبي الحديد ٤٩/٤.	ق ش	
																انساب الأشراف ٤٣٩/٢ روى مضمونها	ق ش	خ
٣٠	فاتق الله فيما لديك وانظر...	٧٠	٦	٦٨٠	٤٤٨	٣٧٥	٣٦	٣٠٦	٤٧٣	٥٥٦	٤٧٩	٣٩٠	٢٨٠	٩٠	١٧٨	ابن أبي الحديد ـ شرح النهج ٧/١٦ ذكر الكتاب بأكمله بزيادة لم يذكرها الرضي ولم يذكر المصدر		
٣١	من الوالد الفان المقر للزمان...	٨٦	٩	٦٨٢	جـ ٥ ٢	جـ ٢٠ ٢	٢٧	٣٠٧	٧٣	٥٥٧	٤٨٢	٣٩١	٢٨٣	٩٠	١٧٩	ابن شعبة ـ تحف العقول ١٥٥/٣	ق ش	
																العقد الفريد ١٥٥/٣ أورد منها فقرة	ق ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
٣٢	وارديت جيلا من الناس كثيرا..	ج ٣	ج ١٦	ج ٤	ج ٥	ج ٢٠	ج ٣				ج ٣		ج ٢		ج ٣	ذكر ابن أبي الحديد ١٣٢/١٦ الفقرة الأولى من هذا		
		١١٦	١٣٢	٧٦٧	٦٨	٤٤	٥٧	٣١٨	٤٩٠	٥٧٦	٥٣٣	٤٠٦	٣١٢	٩٣	٢٠٣	الكتاب عن أبي الحسن محمد المدائني والمدائني سابق على الشريف		
٣٣	أما بعد فإن عيني بالمغرب كتب إليّ..	١١٦	١٣٨	٧٧٢	٧١	٤٨	٥٨	٣١٩	٤٩١	٥٧٧	٥٣٥	٤٠٦	٣١٨	٩٣	٢٠٤			
٣٤	أما بعد فقد بلغني موجدتك	١١٧	١٤٢	٧٧٥	٧٤	٥١	٥٩	١٣٩	٤٩٢	٥٧٨	٥٣٨	٤٠٧	٣٢٠	٩٣	٢٠٦	البلاذري ـ أنساب الأشراف ٤٠٠/٢	ق ش	خ
٣٥	أما بعد فإن مصر قد افتتحت..	١١٨	١٤٥	٧٧٨	٧٦	٥٤	٦٠	٣٢٠	٤٩٣	٥٧٩	٥٤١	٤٠٨	٣٢٣	٩٣	٢٠٨	الزبير بن بكار ـ الأخبار الموفقيات ص ٣٤٧	ق ش	
																تاريخ الطبري ١٠٩/٥	ق ش	
٣٦	فسرحت إليه جيشا كثيرا..	١١٩	١٤٨	٧٨٠	٧٧	٥٧	٦٠	٣٢٠	٤٩٣	٥٨٠	٥٤٤	٤٠٩	٣٢٦	٩٤	٢٠٩	الأغاني ٢٠٢/١٦	ق ش	
																العقد الفريد ٣٠٤/٣ ـ ذكر الأبيات التي تمثل بها علي (ع) في مناسبتها من الرسالة.	ق ش	
٣٧	فسبحان الله ما أشد لزومك..	١٢٠	١٥٣	٧٨٤	٨٠	٦٣	٦٣	٣٢١	٤٩٥	٥٨١	٥٤٨	٤١٠	٣٣٣	٩٤	٢١١	ابن أبي الحديد ١٥٣/١٦ ـ ذكر الرسالة بأكملها في موضعها.		
																الطبرسي ـ الاحتجاج ص ١٨٢	ب ش	
٣٨	من عبد الله علي أمير المؤمنين (ع) إلى القوم	١٢٠	١٥٦	٧٨٦	٨٣	٦٥	٦٣	٣٢١	٤٩٥	٥٨٢	٥٥٠	٤١٠	٣٣٤	٩٤	٢١٢	تاريخ الطبري ٩٥/٥	ق ش	
٣٩	فإنك قد جعلت دينك تبعا...	١٢٥	١٦٠	٧٨٩	٨٥	٦٩	٦٤	٣٢٢	٤٩٦	٥٨٤	٥٥٣	٤١١	٣٣٧	٩٤	٢١٣	ابن أبي الحديد ١٦٢/١٦ مصدره صفين لابن مزاحم ولكنه غير موجود في كتاب صفين المطبوع.	ق ش	
																الطبرسي ـ الاحتجاج ص ١٨٢	ب ش	خ
٤٠	أما بعد فقد بلغني عنك أمر...	١٢٩	١٦٤	٧٩٣	—	—	٦٤	٣٢٣	٤٩٧	٥٨٤	٥٥٦	٤١٢	٣٤٠	٩٤	٢١٤	أنساب الأشراف ١٧٠/٢	ق ش	خ
																العقد الفريد ٣٥٥/٤	ق ش	خ
٤١	أما بعد فإني كنت أشركتك في أمانتي...	١٢٩	١٦٧	٧٩٥	٨٧	٧٣	٦٥	٣٢٣	٤٩٧	٥٨٥	٥٥٨	٤١٢	٣٤١	٩٤	٢١٥	أنساب الأشراف ٢٧٤/٢	ق ش	
																العقد الفريد ٢٥٧/٤	ق ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
٤٢	أما بعد فإني قد وليت النعمان...	ج ٣ ١٣١	ج ١٦ ١٧٣	ج ٤ ٧٩٩	ج ٥ ٩٣	ج ٢٠ ٧٨	ج ٣ ٦٧	٣٢٤	٥٠٠	٥٨٨	ج ٣ ٥٦٤	٤١٤	ج ٣ ٣٤٥	٩٥	ج ٢ ٢١٧	أنساب الأشراف ٢/١٥٨	ق ش	
٤٣	بلغَني عنك امر إن كنت فعلته...	١٣١	١٧٥	٨٠١	٩٤	٨١	٦٨	٣٢٤	٥٠٠	٥٨٨	ج ٤ ٥	٤١٥	٣٤٧	٩٥	٢١٨	أنساب الأشراف ٢/١٦٠	ق ش	خ
٤٤	وقد عرفت أن معاوية كتب إليك...	١٣٢	١٧٧	٨٠٢	٩٥	٨٤	٦٩	٣٢٥	٥٠١	٥٩٠	٨	٤١٥	٣٤٨	٩٥	٢١٩	رواه ابن أبي الحديد ١٦/١٨٢ عن المدائني بزيادة.	ق ش	خ
																الاستيعاب بهامش الإصابة ١/٥٧٠	ب ش	خ
٤٥	أما بعد يا ابن حنيف فقد بلغني...	١٤٣	٢٠٥	٨٣١	٩٨	٨٨	٧٠	٣٢٦	٥٠٥	٥٩١	١٢	٤١٦	٣٦٦	٩٥	٢٢١	أمالي الصدوق ٢٤٩ ـ جزء منها	ق ش	خ
																التلمساني ـ الجوهرة في نسب الإمام علي (ع) ص ٨١	ب ش	خ
٤٦	أما بعد فإنك ممن أستظهر به...	١٤٧	ج ١٧ ٣	ج ٥ ٣	١١٨	١٢٦	٧٥	٣٢٩	٥١٠	٥٩٧	٢٤	٤٢٠	٣٧٥	٩٦	٢٢٩	أنساب الأشراف ٢/٣٩٨	ق ش	
																تاريخ الطبري ٥/٩٥	ق ش	
٤٧	اوصيكما بتقوى الله والا تبغيا الدنيا...	١٥٦	٥	٥	١١٩	١٢٩	٧٦	٣٣٠	٥١١	٥٩٧	٢٦	٤٢١	٣٧٧	٩٦	٣٣١	السجستاني ـ المعمرون والوصايا ص ١٥٠ ـ ١٥١	ق ش	خ
																تاريخ الطبري ٥/١٤٧	ق ش	خ
٤٨	فإن البغي والزور يوتغان المرء...	١٥٧	١٢	١٠	١٢٤	١٣٤	٧٨	٣٣١	٥١٢	٥٩٩	٣٠	٤٢٢	٣٨٢	٩٧	٣٣٣	صفين ص ٤٩٣	ق ش	
٤٩	أما بعد فإن الدنيا مشغلة عن غيرها...	١٥٧	١٤	١١	١٣٦	١٣٨	٧٨	٣٣١	٥١٢	٦٠٠	٣٣	٤٢٣	٣٨٤	٩٧	٣٣٤	صفين ص ـ ١١٠	ق ش	خ
٥٠	من عبد الله علي بن أبي طالب امير المؤمنين (ع) إلى اصحاب المسالح...	١٥٨	١٦	١١	١٢٧	١٤٠	٧٩	٣٣١	٥١٣	٦٠٠	٣٥	٤٢٤	٣٨٦	٩٧	٣٣٥	صفين ص ـ ١٠٧	ق ش	
٥١	من عبد الله علي أمير المؤمنين (ع) إلى أصحاب الخراج	١٥٨	١٩	١٥	١٣٠	١٤٦	٨٠	٣٣٢	٥١٥	٦٠١	٣٩	٤٢٥	٣٨٧	٩٧	٣٣٧	صفين ـ ص ـ ١٠٨	ق ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
٥٢	أما بعد فصلوا بالناس الظهر...	ج ٣ ١٥٩	ج ١٧ ٢٢	ج ٥ ١٧	ج ٥ ١٣٢	ج ٢٠ ١٥١	ج ٣ ٨٢	٣٣٣	٥١٦	٦٠٣	ج ٤ ٤٣	٤٢٦	ج ٣ ٣٨٩	٩٧	ج ٢ ٢٣٩			
٥٣	هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين (ع) مالك ابن الأشتر...	١٦٤	٣٠	٣٣	١٣٤	١٦٢	٨٢	٣٣٣	٥١٧	٦٠٤	٤٥	٤٣٦	٣٩١	٩٧	٢٤٠	القاضي النعمان ـ دعائم الإسلام ٣٥٤/١ ابن شعبة ـ تحف العقول ص ٩٠	ق ش ق ش	خ
٥٤	أما بعد فقد علمتما وإن كتمتما...	٢٠٤	١٣١	٩٥	١٨٧	٣٢٤	١١١	٣٤٨	٥٤٠	٦٣٠	١٢٣	٤٤٥	٤٣٢	١٠٢	٢٦٦	ابن أعثم الكوفي ـ الفتوح ٤٦٨/٢ الإمامة والسياسة ٧٠/١	ق ش ق ش	خ
٥٥	أما بعد فإن الله سبحانه جعل الدنيا...	٢٠٦	١٣٥	٩٨	١٩٠	٣٣٠	١١٢	٣٤٩	٥٤١	٦٣١	١٢٧	٤٤٦	٤٣٤	١٠٢	٢٦٨	اليمني ـ الطراز ٢٩٣/٢	ب ش	خ
٥٦	اتق الله في كل صباح ومساء وخف...	٢٠٦	١٣٨	١٠٠	١٩٢	٣٣٣	١١٣	٣٤٩	٥٤٢	٦٣٢	١٣١	٤٤٧	٤٣٦	١٠٢	٢٧٠	ابن مزاحم ـ صفين ص ١٢١	ق ش	
٥٧	أما بعد فإني قد خرجت من حيي...	٢٠٧	١٤٢	١٠١	١٩٣	٣٣٥	١١٤	٣٥٠	٥٤٣	٦٣٣	١٣٣	٤٤٧	٤٣٧	١٠٢	٢٧١	ابن أبي الحديد ١٠/١٤ رواها أبي مخنف بإختلاف. تاريخ الطبري ـ ٥٠٠/٤	ق ش ق ش	خ
٥٨	وكان بدء أمرنا أنا التقينا...	٢٠٧	١٤١	١٠٢	١٩٤	٣٣٨	١١٤	٣٥٠	٥٤٣	٦٣٤	١٣٥	٤٤٨	٤٣٨	١٠٢	٢٧٢			
٥٩	أما بعد فإن الوالي إذا اختلف...	٢٠٨	١٤٥	١٠٥	١٩٦	٣٤٥	١١٥	٣٥١	٥٤٤	٦٣٥	١٣٩	٤٤٩	٤٤٠	١٠٢	٢٧٣	اليمني ـ الطراز ١٧٠/١	ب ش	
٦٠	من عبد الله أمير المؤمنين (ع) إلى من مر به الجيش...	٢٠٩	١٤٧	١٠٧	١٩٨	٣٤٩	١١٦	٣٥١	٥٤٥	٦٣٦	١٤٢	٤٤٩	٤٤١	١٠٢	٢٧٤	صفين ـ ص ١٢٥	ق ش	خ
٦١	أما بعد فإن تضييع المرء ما ولي عليه...	٢١٠	١٤٩	١٠٩	١٩٩	٣٥٢	١١٧	٣٥٢	٥٤٦	٦٣٧	١٤٥	٤٥٠	٤٤٢	١٠٢	٢٧٥	أنساب الأشراف ٤٧٣/٢	ق ش	

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
٦٢	أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمدا...	جـ ٣ ٢١٩	جـ ١٧ ١٥١	جـ ٥ ١١١	جـ ٥ ٢٠٠	جـ ٢٠ ٣٥٥	جـ ٣ ١١٨	٣٥٢	٥٤٧	٦٣٨	جـ ٤ ١٤٥	٤٥١	جـ ٣ ٤٤١	١٠٣	جـ ٢ ٢٧٧	الإمامة والسياسة ١/١٥٤ وما بعدها	ق ش	
٦٣	من عبد الله علي أمير المؤمنين (ع) إلى عبد الله بن قيس...	٢٢٠	٢٤٦	١٧٤	٢٠٤	٣٦٤	١٢١	٥٣٤	٥٤٩	٦٤١	١٥٤	٤٥٣	٤٤٨	١٠٣	٢٨٠	تاريخ الطبري ٤/٥٠٠ مثله او قريب منه	ق ش	خ
٦٤	أما بعد فإنا كنا نحن وانتم على ما ذكرت	٢٢٢	٢٥٠	١٧٧	٢٠٧	٣٦٩	١٢٢	٣٥٥	٥٥٠	٦٤٢	١٥٨	٤٥٤	٤٥٠	١٠٣	٢٨٢	أورد ابن أبي الحديد ٢٥١/١٧ رسالة معاوية التي تعتبر هذه الرسالة جوابا لها وردًا مع مزاعم معاوية		
																صفين ـ ص ٢٩ أورد الفقرة الأخيرة منها	ق ش	
٦٥	أما بعد فقد آن لك أن تنتفع	٣٣٦	جـ ١٨ ٢٢	٢١١	٢١٢	٣٧٨	١٢٤	٣٥٦	٥٥٢	٦٤٤	١٦٤	٤٥٥	٤٥٧	١٠٤	٢٨٤	ذكر ابن أبي الحديد ٢٧/١٨ مناسبة		
																الكتاب ولم يذكر مصدره		
٦٦	أما بعد فإن العبد ليفرح بالشيء...	٢٣٦	٢٨	٢١٦	٢١٥	٣٨٢	١٣٧	٣٥٧	٥٥٤	٦٤٦	١٦٩	٤٥٧	٤٦٠	١٠٤	٢٨٨	صفين ـ ص ١٠٧	ق ش	خ
																دستور معالم الحكم ص ٧٩	ب ش	خ
٦٧	أما بعد فأقم للناس الحج...	٢٣٧	٣٠	٢١٨	٢١٦	٢٨٤	١٢٧	٣٥٨	٥٥٥	٦٤٧	١٧١	٤٥٧	٤٦١	١٠٤	٢٨٩	صفين ـ ص ١٠٦ فقرة منه	ق ش	
٦٨	أما بعد فإن مثل الدنيا مثل الحية...	٢٣٨	٣٤	٢٢١	٢١٨	٢٨٧	١٢٨	٣٥٨	٥٥٦	٦٤٨	١٧٥	٤٥٨	٤٦٣	١٠٤	٢٩٠	ابن دريد ـ المجتنى ص ٤٣	ق ش	
																المفيد ـ الإرشاد ص ١٢٤	م ش	خ
٦٩	وتمسك بحبل القرآن وانتصحه...	٢٣٨	٤١	٢٢٦	٢١٩	٢٨٨	١٢٩	٣٥٩	٥٥٦	٦٤٩	١٧٨	٤٥٩	٤٦٤	١٠٤	٢٩١			
٧٠	أما بعد فقد بلغني أن رجالا من قبلك...	٢٤٧	٥٢	٢٣٤	٢٢٥	٣٩٣	١٣١	٣٦٠	٥٥٨	٦٥١	١٨٥	٤٦١	٤٦٨	١٠٥	٢٩٤	أنساب الأشراف ٢/١٥٧	ق ش	
٧١	أما بعد فإن صلاح أبيك غرني منك...	٢٤٨	٥٤	٢٣٦	٢٢٧	٣٩٦	١٣٢	٣٦١	٥٥٩	٦٥٢	١٨٨	٤٦١	٤٧٠	١٠٥	٢٩٥	أنساب الأشراف ٢/١٦٣	ق ش	

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
٧٢	أما بعد فإنك لست بسابق أجلك	ج ٣ ٢٤٩	ج ١٨ ٦٠	ج ٥ ٢٤٠	ج ٥ ٢٢٨	ج ٢٠ ٣٩٨	ج ٣ ١٣٣	٣٦١	٥٦٠	٦٥٣	ج ٤ ١٩١	٤٦٢	ج ٣ ٤٧٣	١٠٥	ج ٢ ٢٩٧			
٧٣	أما بعد فإني على التردد من جوابك...	٢٤٩	٦٢	٢٤٢	٢٢٩	٣٩٩	١٣٣	٣٦٢	٥٦٠	٦٥٤	١٩٣	٤٦٣	٤٧٣	١٠٥	٢٩٨	اليمني ـ الطراز ٢/٢٩٤	ب ش	
٧٤	هذا ما اجتمع عليه أهل اليمن ...	٢٥٠	٦٦	٢٤٥	٢٣١	٤٠٢	١٣٤	٣٦٢	٥٦١	٦٥٥	١٩٥	٤٦٣	٤٧٥	١٠٥	٢٩٩	قال الرضي أنه نقله من خط هشام من الكلبي		
٧٥	من عبد الله علي أمير المؤمنين (ع) إلى معاوية...	٢٥١	٦٨	٢٤٧	٢٣٢	٤٠٥	١٣٥	٣٦٣	٥٦٢	٦٥٥	١٩٨	٤٦٤	٤٧٦	١٠٥	٣٠٠	قال الرضي إن هذا الكتاب قد ذكره الواقدي في كتاب الجمل		
٧٦	سع الناس بوجهك ومجلسك...	٢٥٢	٧٠	٢٤٩	٢٣٣	٤٠٦	١٣٦	٣٦٣	٥٦٣	٦٥٦	٢٠٠	٤٦٥	٤٧٧	١٠٥	٣٠١	الإمامة والسياسة ١/٨٥ بزيادة	ق ش	خ
٧٧	لا تخاصمهم بالقرآن فإن القرآن...	٢٥٢	٧١	٢٥٠	٢٣٤	٤٠٧	١٣٦	٣٦٣	٥٦٣	٦٥٧	٢٠١	٤٦٥	٤٧٨	١٠٥	٣٠٢	الزمخشري ـ ربيع الأبرار ١/٦٦١	ب ش	
٧٨	فإن الناس قد تغير كثير منهم...	٢٥٣	٧٤	٢٥٢	٢٣٥	٤٠٨	١٣٦	٣٦٤	٥٦٣•	٦٥٧	٢٠٣	٤٦٥	٤٧٩	١٠٦	٣٠٣،	مصدر هذه الرسالة كتاب (المغازي) لأبي عثمان سعيد بن يحي الأموي (ت ٢٤٩) كما نص على ذلك الرضي	.	
٧٩	أما بعد، فإنما هلك من كان قبلكم	٢٥٤	٠٧٧	٢٥٤	٢٣٧	٤١١	١٣٨	٣٦٤	٥٦٤	٦٥٨	٢٠٧	٤٦٦	٤٨٠	١٠٦	٣٠٤	ابن عبدالبر ـ بهجة المجالس ١/٣٣١	ب ش	خ

جدولة المختار من حكم أمير المؤمنين (ع) ومواعظه

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	الزمن	الفرق
١	كن في الفتنة كابن اللبون...	ج ٣ ٣٦٣	ج ١٨ ٨٣	ج ٥ ٢٥٨	ج ٥ ٢٣٧	ج ٢١ ٧	ج ١ ٢	٣٦٦	٥٦٥	٦٦٣	ج ٤ ١٢٢	٤٦٩	ج ٤ ٧	١٠٦	ج ٢ ٣٠٧	البيان والتبيين ٢/٩٧ نسبه لحذيفة بن اليمان ابو حيان التوحيدي ـ الإمتاع والمؤانسة ٢/٣١	ق ش ق ش	

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
٢	أزرى بنفسه من استشعر الطمع...	جـ ٣	جـ ١٨	جـ ٥	جـ ٥	جـ ٢١	جـ ٤				جـ ٤		جـ ٤		جـ ٢	ابن شعبة ـ تحف العقول ص ١٤٢	ق ش	
		٢٦٣	٨١	٢٥٩	٢٣٨	٩	٣	٣٦٦	٥٦٥	٦٦٣	٢١٤	٤٦٩	٩	١٠٦	٣٠٧	دستور معالم الحكم ص ٢٣	ب ش	
٣	البخل عار والجبن منقصة...	.	٨٧	٢٦١	.	.	.	.	.	.	٢١٥	.	.	.	.	ابن شعبة ـ تحف العقول ص ١٤٣	ق ش	
																دستور معالم الحكم ص ٢٠، ٢٣	ب ش	
٤	العجز آفة والصبر شجاعة...		٩٠	٢٦٣	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	٣٠٨	تحف العقول ص ١٤٢	ق ش	
																دستور معالم الحكم ص ١٩	ب ش	
٥	العلم وراثة كريمة...	٢٦٤	٩٣	٢٦٥	.	.	.	.	.	.	٢١٧	.	.	.	.	تحف العقول ص ١٤٣	ق ش	خ
																دستور معالم الحكم ص ٢١	ب ش	
٦	صدر العاقل صندوق سره...	.	٩٧	٢٦٨	.	.	٤	.	٥٦٦	.	٢١٩	.	.	.	.	تحف العقول ص ١٤٣	ق ش	خ
																دستور معالم الحكم ص ٢٠	ب ش	
٧	من رضي عن نفسه كثر الساخط...	.	١٠٠	٢٧٠	.	.	.	.	.	.	.	٤٧٠	.	.	.			
٨	اعجبوا لهذا الإنسان ينظر...	.	١٠٣	٢٧٢	٢٤٢	٢١	.	.	.	٦٦٤	٢٢١	.	١٠	.	٣٠٩	المفيد ـ الإرشاد ص ١٥٩	م ش	خ
																الآمدي ـ غرر الحكم ص ١٢٩	ب ش	
٨ م	الصدقة دواء منجح...	.	١٠٠	٢٧٠	٢٣٨	٩	.	.	.	.	٢٢٠	.	٩	.	٣٠٨	تحف العقول ص ١٤٢	ق ش	
																دستور معالم الحكم ص ٩٥	ب ش	خ
٩	إذا أقبلت الدنيا على قوم...	.	١٠٥	٢٧٤	٢٤٣	٢٣	.	٣٦٧	.	.	٢٢٢	.	١١	.	٣٠٩	المسعودي ـ مروج الذهب ٤٣٤/٢	ق ش	خ
																دستور معالم الحكم ص ٢٧	ب ش	
١٠	خالطوا الناس مخالطة...		١٠٧	٢٧٦	٢٤٤	٢٥	.	.	.	.	٢٢٣	.	١٢	.	.	تذكرة خواص الأمة ص ١٣٢	ب ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
١١	إذا قدرت على عدوك...	ج ٣	ج ١٨	ج ٥	ج ٥	ج ٢١	ج ٤				ج ٤		ج ٤		ج ٢	ابن دريد ـ المجتنى ص ٤٣	ق ش	
		٢٦٤	١٠٩	٢٧٨	٢٤٤	٢٥	٤	٢٦٧	٥٦٦	٦٦٤	٢٢٣	٤٧٠	١٣	١٠٦	٣٠٩	قدامة بن جعفر ـ نقد النثر ص ٩٩	ق ش	
١٢	أعجز الناس من عجز عن اكتساب الأصدقاء	.	١١٢	٢٨٠	٢٤٥	٢٧	.	.	.	.	٢٢٤	.	١٤	.	.	امالي القالي ٢/١١١	ق ش	
١٣	خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل...	٢٦٥	١١٥	٢٨٢	٢٤٧	٣٤	٥	.	٥٦٧	٦٦٥	٢٢٧	٤٧١	١٩	.	.	الأبي ـ نثر الدر ١/٣١٦	م ش	خ
١٤	إذا وصلت إليكم أطراف النعم...		١١٦	٢٨٣	٢٤٥	٢٨	.	.	٥٦٦	٦٦٤	٢٢٤	٤٧٠	١٥	.	.	الجاحظ ـ المئة المختارة بشرح ميثم ص ١٨٨	ق ش	
																القاضي القضاعي ـ دستور معالم الحكم ص ٢٥	ب ش	
١٥	من ضيعه الأقرب اتيح له الأبعد...	.	١١٨	٢٨٥	٢٤٦	٢٩	.	.	٥٦٧	.	٢٢٥	٤٧١	١٥	.	.	القاضي القضاعي ـ دستور معالم الحكم ص ٢٩	ب ش	
																الميداني ـ مجمع الأمثال ٤/٥٣	ب ش	
١٦	ما كل مفتون يعاتب	.	١١٩	٢٨٦	.	٣١	.	.	.	٦٦٥	.	.	١٦	.	٣١٠	دستور معالم الحكم ص ٢٤	ب ش	
١٧	تذل الأمور للمقادير حتى يكون...	.	١٢٠	٢٨٧	.	.	.	.	.	.	.	.	١٧	.	.	الجاحظ ـ المئة المختارة بشرح ميثم ص ١٨٠	ق ش	خ
																المفيد ـ الإرشاد ص ١٢٩	م ش	
١٨	إنما قال (ص) عن صبغ الشيب...	.	١٢٢	٢٨٩	٢٤٧	٣٢	.	.	.	.	٢٢٦	.	١٨	.	.	الباقلاني ـ إعجاز القران ص ٦٨	ق ش	
																ابن المعتز ـ البديع ص ٦٨	ق ش	
١٩	من جرى في عنان أمله...	.	١٢٧	٢٩٢	٢٤٨	٣٥	٦	.	.	٦٦٥	٢٢٧	.	٢٠	.	٣١١	الجاحظ ـ المئة المختارة بشرح ميثم ص ١٩٤	ق ش	
																المفيد ـ الإرشاد ص ١٥٩	م ش	
٢٠	اقيلوا ذوي المروآت عثراتهم...		١٢٨	٢٩٣	.	٣٦	.	٣٦٨	٥٦٨	٦٦٦	.	.	٢١	.	.	الآمدي ـ غرر الحكم ص ١٢٨	ب ش	
																الابشيهي ـ المستطرف ١/٢٧٢ وقال عنها ابن أبي الحديد أنها تروى مرفوعة عن النبي (ص)	ب ش	

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	٠
٢١	قرنت الهيبة بالخيبة والحياء...	ج ٣ ٢٦٦	ج ١٨ ١٣١	ج ٥ ٢٩٥	ج ٥ ٢٤٨	ج ٢١ ٣٧	ج ٤ ٦	٣٦٨	٥٦٨	٦٦٦	ج ٤ ٢٢٨	٤٧١	ج ٤ ٢١	١٠٦	ج ٢ ٢١١	ابن قتيبة ـ عيون الأخبار ١٢٣/٢	ق ش	
																قدامة بن جعفر ـ نقد النثر ص ١٤٦ ـ منها	ق ش	
٢٢	لنا حق فإن أعطيناه وإلا...	٠	١٣٢	٢٩٦	٢٤٩	٣٨	٠	٠	٠	٠	٢٢٩	٤٧٢	٢٢	٠	٠	الأبي ـ نثر الدر ٣١٠/١	م ش	خ
٢٣	من ابطأ به عمله لم يسرع...	٠	١٣٤	٢٩٧	٠	٣٩	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢٤	٠	٠	نثر الدر ٣٣٦/١	م ش	
٢٤	من كفارات الذنوب العظام...	٠	١٣٥	٠	٢٥٠	٤٠	٧	٠	٠	٠	٢٣٠	٠	٢٤	١٠٧	٠	دستور معالم الحكم ـ ص ٢٦	ب ش	
																سبط بن الجوزي ـ تذكرة خواص الأمة ص ١٢٤	ب ش	
٢٥	يا ابن آدم إذا رأيت...	٠	١٣٦	٢٩٨	٠	٤١	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢٥	٠	٠	تذكرة خواص الأمة ص ١٢٤	ب ش	
٢٦	ما اضمر احد شيئا إلا ظهر...	٠	١٣٧	٢٩٩	٠	٤٢	٠	٠	٥٦٩	٦٦٧	٢٣١	٠	٠	٠	٢١٢	الجاحظ ـ المئة المختارة بشرح ميثم ص ٢١١	ق ش	
																دستور معالم الحكم ص ٢٥	ب ش	
٢٧	امش بدائك ما مشى بك	٠	١٣٨	٣٠٠	٢٥١	٤٣	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	الآمدي ـ غرر الحكم ص ١١٢	ب ش	
٢٨	أفضل الزهد أخفاء الزهد	٠	١٣٩	٠	٠	٤٤	٠	٠	٠	٠	٢٣٢	٠	٣٦	٠	٠	دستور معالم الحكم ص ٢٣	ب ش	
																تذكرة خواص الأمة ص ١٢٧	ب ش	خ
٢٩	إذا كنت في إدبار والموت في إقبال...	٢٦٧	١٤٠	٣٠٤	٠	٤٥	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	نثر الدر ٣٣٦/١	م ش	
																تذكرة خواص الأمة ص ١٢٥	ب ش	
٣٠	الحذر الحذر، فو الله لقد ستر...	٠	١٤١	٠	٢٥٢	٤٦	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢٧	٠	٠			

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
٣١	الإيمان على اربع دعائم...	جـ ٣ ٢٧١	جـ ١٨ ١٤٢	جـ ٥ ٣٠٢	جـ ٥ ٢٥٢	جـ ٢١ ٤٧	جـ ٤ ٧	٣٦٩	٥٦٩	٦٦٧	جـ ٤ ٢٣٣	٤٧٣	جـ ٤ ٢٧	١٠٧	جـ ٢ ٣١٢	أمالي القالي ٣/١٧١	ق ش	خ
																ابو طالب المكي: قوت القلوب ١/١٩٤، ٢٠٠		
٣٢	فاعل الخير خير منه...	٢٧٥	١٤٩	٣٠٧	٢٥٩	٦٦	١٠	٣٧٠	٥٧١	٦٦٩	٢٣٧	٤٧٤	٣٠	·	٣١٤	أمالي القالي ٢/٥٤ ـ في خاتمة خطبة لعلي	ق ش	خ
٣٣	كن سمحا ولا تكن مبذرا	·	١٥٠	٣٠٨	·	٦٧	·	·	·	٦٧٠	·	·	٣١	·	·	نصير الدين الطوسي ـ أخلاق محتشمي ص ١٧٨ برقم (٣٥).	ب ش	خ
٣٤	أشرف الغنى ترك المنى	·	١٥١	·	٢٦٠	٦٨	·	·	·	·	٢٣٨	·	·	·	·	فروع الكافي ٨/٢٣ ـ ضمن الخطبة المسماة بالوسيلة	ق ش	
																ابن شعبة ـ تحف العقول ص ٧٠ ـ ضمن الخطبة المسماة بالوسيلة.	ق ش	
٣٥	من أسرع إلى الناس بما يكرهون...	·	١٥٢	٣٠٩	·	·	·	·	·	·	·	·	٣٢	·	٣١٥	الآمدي ـ غرر الحكم ٤٤٠	ب ش	
٣٦	من أطال الأمل، أساء العمل	·	١٥٥	٣١٠	·	٦٩	·	·	·	·	·	٤٧٥	·	·		سبط ابن الجوزي ـ تذكرة خواص الأمة ص ١٢٥	ب ش	
٣٧	قوله للدهاقين عندما ترجلوا: ما هذا الذي صنعتموه؟...	·	١٥٦	٣١١	·	٧٠	·	·	٥٧٢	·	٣٣٩	·	٣٣	·	·	ابن مزاحم ـ صفين ص ١٤٤	ق ش	خ
٣٨	قوله لابنه الحسن (ع): يا بني احفظ عني اربعا...	·	١٥٧	٣١٢	٣٦١	٧٢	·	·	·	٦٧١	·	·	٣٥	·	·	ابن دريد ـ المجتنى ص ٤١	ق ش	
																الجاحظ المئة المختارة بشرح ميثم ص ٧٦، ٧٧، ٩٦، ١٣٠.	ق ش	
٣٩	لا قربة بالنوافل إذا أضرت...	٢٧٦	١٥٨	٣١٣	٣٦٣	٧٥	·	٣٧١	·	·	٢٤١	·	٣٧	·	٣١٦	الآمدي ـ غرر الحكم ص ٥٧٨.	ب ش	خ
٤٠	لسان العاقل وراء قلبه...	·	١٥٩	٣١٤	٣٦٣	·	·		٥٧٣	·	·	٤٧٦	·	·	·	الجاحظ ـ المئة المختارة بشرح ميثم ص ٨٣	ق ش	
																الأبي ـ نثر الدر ١/٢٧٦	م ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المجمع الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
٤١	قوله (ع) لبعض أصحابه في علة اعتلها: جعل الله ما كان من شكواك...	جـ ٣ ٢٧٦	جـ ١٨ ١٦٨	جـ ٥ ٣٢٠	جـ ٥ ٢٦٤	جـ ٢١ ٧٧	جـ ٤ ١٢	٣٧١	٥٧٣	٦٧٢	جـ ٤ ٢٤١	٤٧٦	جـ ٤ ٢٨	١٠٧	جـ ٢ ٣١٦	ابن مزاحم ـ صفين ٥٢٩ تاريخ الطبري ٦٠/٥	ق ش ق ش	 خ
٤٢	قوله (ع) في ذكر خباب: يرحم الله خباب بن الارت...	٢٧٧	١٧١	٣٢٣	٢٦٥	٨١	١٢	٣٧٢	٥٧٤	-	٢٤٢	-	٤٦	١٠٨	٣١٧	ابن مزاحم ـ صفين ص ٥٣٠ العقد الفريد ٢٣٨/٢	ق ش ق ش	
٤٣	لو ضربت خيشوم المؤمن...	-	١٧٣	٣٢٤	٢٦٦	٨٣	-	-	-	٦٧٣	٢٤٤	٤٧٧	٤٢	-	-	انساب الأشراف ٩٧/٢ ذكر منها	ق ش	
٤٣ م	طوبى لمن ذكر المعاد...	-	١٧١	٣٢٣	٢٦٥	٨١	-	-	-	-	٢٤٢	٤٧٦	٤٠	-	-	ابن مزاحم ـ صفين ص ٥٣٠ الجاحظ ـ البيان والتبيين ١٤٨/٣	ق ش ق ش	
٤٤	سيئة تسوءك خير عند الله...	٢٧٨	١٧٤	٣٢٥	٢٦٧	٨٥	-	-	-	-	٢٤٥	٤٧٧	٤٦	-	٣٠٨	سبط بن الجوزي ـ تذكرة الخواص ص ١٢٥ بزيادة	ب ش	خ
٤٥	قدر الرجل على قدر همته	-	١٧٥	٣٢٦	-	٨٦	-	-	-	-	-	-	-	-	-	الميداني ـ مجمع الأمثال ٥٥/٤ روى مطلعها نصير الدين الطوسي ـ أخلاق محتشمي ص ١١٦	ب ش ب ش	
٤٦	الظفر بالحزم والحزم بإجالة الرأي	-	١٧٧	٣٢٧	٢٦٨	٨٧	١٤	-	-	-	٢٤٧	-	٤٧	-	-	نصير الدين الطوسي ـ أخلاق محتشمي ص ١٦٩	ب ش	
٤٧	احذروا صولة الكريم إذا جاع	-	١٧٩	٣٢٨	-	٨٩	-	-	٥٧٥	-	-	-	-	-	-			
٤٨	قلوب الرجال وحشية...	-	١٨٠	-	٢٦٩	٩٠	-	-	-	٦٧٤	-	-	٤٨	-	-	الزمخشري ـ ربيع الأبرار ٤٥٨/١	ب ش	خ
٤٩	عيبك مستور ما أسعد جدك	-	١٨١	٣٢٩	-	٩١	-	-	-	-	٢٤٨	٤٧٨	-	-	-	الزمخشري ـ ربيع الأبرار ٥٣٣/١	ب ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
٥٠	أولى الناس بالعضو أقدرهم..	ج ٣ ٢٧٩	ج ١٨ ١٨٣	ج ٥ ٣٣٠	ج ٥ ٣٦٩	ج ٢١ ٩٢	ج ٤ ١٤	٣٧٢	٥٧٥	٦٧٤	ج ٤ ٢٤٨	٤٧٨	ج ٤ ٤٨	١٠٨	ج ٢ ٣١٨			
٥١	السخاء ما كان ابتداء...	.	١٨٤	٣٣١	٣٧٠	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	السيوطي ـ تاريخ الخلفاء ص ١٨٢ رواه مسندا	ب ش	
																نصير الدين الطوسي ـ أخلاق محتشمي ص ١٣٦	ب ش	
٥٢	لا غنى كالعقل ولا فقر كالجهل...	.	١٨٥	٣٣٢	.	٩٣	.	٣٧٣	.	.	٢٤٩	.	٤٩	.	٣١٩	ابن شعبة ـ تحف العقول ص ١٤٢	ق ش	خ
٥٣	الصبر صبران...	.	١٨٩	٣٣٤	.	٩٤	.	.	.	.	٢٥٠	.	.	.	.	الأصول من الكافي ٢/ ٩٠	ق ش	خ
٥٤	الغنى في الغربة وطن...	.	١٩٠	٣٣٥	٢٧١	٩٥	.	.	.	.	.	.	٥٠	.	.	الآمدي ـ غرر الحكم ـ ص ٦٥ بزيادة	ب ش	خ
٥٥	القناعة مال لا ينفذ	.	١٩٢	٣٣٦	.	٩٦	.	.	.	.	٢٥١	.	.	.	.	قال الشريف الرضي معلقا على هذه الكلمة بما نصه:		
																"وقد روي هذا الكلام عن النبي (ص)"		
٥٦	المال مادة الشهوات	.	١٩٣	٣٣٧	.	٩٧	.	.	.	٦٧٥	.	.	.	.	.	الميداني ـ مجمع الأمثال ٤/ ٥٥	ب ش	
٥٧	من حذرك كمن بشرك	.	١٩٥	٣٣٨	.	٩٧	.	.	٥٧٦	.	٢٥٢	.	٥١	.	.	الآمدي ـ غرر الحكم ص ٤٠٤ بزيادة	ب ش	خ
٥٨	اللسان سبع أن خلي عنه عقر	.	١٩٦	٣٣٩	.	٩٨	١٥	.	.	.	.	.	.	.	.	الصدوق ـ من لا يحضره الفقيه ٤/ ٢٨٥ ضمن	ق ش	خ
																وصيته لابنه محمد بن الحنفية		
٥٩	المرأة عقرب حلو اللسبة	.	١٩٨	٣٤٠	٣٧٢	٩٨	١٥	.	.	.	.	٤٧٩	٥٢	.	.	الأبي ـ نثر الدر ١/ ٣٢٧	م ش	
																غرر الحكم ص ٦٥	ب ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
٦٠	إذا حييت بتحية فحي بأحسن منها	جـ ٣ -	جـ ١٨ ٢٠١	جـ ٥ ٣٤٢	جـ ٥ -	جـ ٢١ -	جـ ٤ ١٤	٢٧٣	٥٧٦	٦٧٤	جـ ٤ ٢٥٢	٤٧٩	جـ ٤ ٥٢	١٠٨	جـ ٢ ٣١٩	نثر الدر ٣١٧/١ ضمن خطبته	م ش	خ
٦١	الشفيع جناح الطالب	٢٨٠	٢٠٤	٣٤٤	٢٧٢	٩٩	١٥	·	·	٦٧٥	٢٥٣	·	٥٣	·	٣٢٠	الجاحظ ـ المئة المختارة بشرح ميثم ص ١٥١ الأبشيهي ـ المستطرف ١٩٣/١	ق ش ب ش	
٦٢	اهل الدنيا كركب يسار بهم..	·	٢٠٩	٣٤٧	·	١٠٠	·	·	·	·	·	·	·	·	٣٢٠	تحف العقول ص ٥٨ جاء مثلها ضمن وصيته لابنه الحسن (ع) الأبي ـ نثر الدر ٢٢٧/١	ق ش م ش	خ
٦٣	فقد الأحبة غربة	·	٢١٠	٣٤٧	٢٧٢	·	·	·	·	·	·	·	·	·	·			
٦٤	فوت الحاجة اهون من طلبها...	·	٢١١	٣٤٨	·	١٠١	·	·	·	·	٢٥٤	·	·	·	·	تحف العقول ص ٢٤٦ رواها عن الصادق (ع) المستطرف ١٧٥/١	ق ش ب ش	
٦٥	لا تستح من إعطاء القليل...	·	٢١٢	٣٤٨	٢٧٣	١٠٢	·	·	·	·	·	·	٥٤	·	·	الأبشيهي ـ المستطرف ٢٤٢/١	ب ش	
٦٦	العفاف زينة الفقر	·	٢١٣	٣٥٩	·	·	·	·	·	·	·	·	·	·	·	تحف العقول ص ٦٥ ضمن وصيته لابنه الحسين (ع) دستور معالم الحكم ص ٢١	ق ش ب ش	
٦٧	إذا لم يكن ما تريد...	·	٢١٥	٣٥٠	·	١٠٣	·	·	·	·	·	·	٥٥	·	·	الآمدي ـ غرر الحكم ص ٢٢٣	ب ش	
٦٨	لا يرى الجاهل إلا مفرطا..	·	٢١٦	٣٥١	·	١٠٤	·	·	·	٦٧٦	٢٥٥	·	٥٦	·	·			
٦٩	إذا تم العقل نقص الكلام	·	٢١٧	٣٥٢	٢٧٤	١٠٥	·	٣٧٤	·	·	·	٤٨٠	·	·	·	الجاحظ ـ المئة المختارة بشرح ميثم ص ٦٩ المستطرف ١٢٩/١	ق ش ب ش	

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات: الزمن	ملاحظات: الفرق
٧٠	الدهر يخلق الأبدان ويجدد الآمال	ج ٣ ٢٨١	ج ١٨ ٢١٨	ج ٥ ٣٥٢	ج ٥ ٢٧٤	ج ٢١ ١٠٦	ج ٤ ١٦	٣٧٤	٥٧٧	٦٧٦	ج ٤ ٢٥٥	٤٨٠	ج ٤ ٥٦	١٠٨	ج ٢ ٣٢١	الآمدي ـ غرر الحكم ص ١٩٧	ب ش	خ
																تذكرة خواص الأمة ص ١٢٥	ب ش	خ
٧١	من نصب نفسه إماما للناس	.	٢٣٠	٣٥٣	٢٧٥	١٠٧	.	.	.	.	٢٥٦	.	٥٧	.	.	الأبشيهي ـ المستطرف ٣٣/١	ب ش	خ
٧٢	نفس المرء خطاه إلى أجله	.	٢٢١	٣٥٤	.	١٠٩	.	.	.	.	٢٥٧	.	.	.	.			
٧٣	كل معدود منقوص	.	٢٢٢	.	.	١١٠	.	.	.	.	.	.	٥٨	.	.			
٧٤	إن الأمور إذا اشتبهت...	.	٢٣٣	٣٥٥	٢٧٦	.	.	.	.	.	.	.	٥٩	.	.	ابن مزاحم ـ صفين ـ ص ٤٧٦	ق ش	
٧٥	من خبر ضرار بن ضمرة قول الإمام (ع): يا دنيا، يا دنيا، إليك عني...	٢٨٦	٢٢٤	٣٥٦	.	١١١	.	.	.	٦٧٧	٢٥٨	.	.	.	.	المسعودي ـ مروج الذهب ٤٣٣/٢	ق ش	
																الحصري القيرواني ـ زهر الآداب ٤١/١	ب ش	
٧٦	من قوله لسائل عن القضاء والقدر: ويحك لعلك ظننت قضاء لازما...	٢٨٧	٢٧٧	٣٥٨	٢٧٧	١١٦	١٧	.	٥٧٨	.	٢٥٩	٤٨١	٦٢	.	٣٢٢	المفيد ـ الإرشاد ـ ص ١٢٠	م ش	خ
																السكوني ـ عيون المناظرات ص١٧٧	ب ش	خ
٧٧	خذ الحكمة أنى كانت...	.	٢٢٩	٣٥٩	٢٨١	١٢٢	١٨	٣٧٥	.	٦٧٨	٢٦٢	.	٦٥	١٠٩	٣٢٣	الجاحظ ـ البيان والتبيين ٢٨٥/٢	ق ش	
																القاضي القضاعي ـ دستور معالم الحكم ص ١٠٢	ب ش	خ
٧٨	الحكمة ضالة المؤمن...	٢٨٨	.	.	.	١٢٤	.	.	.	.	٢٦٣	.	.	.	.	ابن قتيبة ـ عيون الأخبار ١٢٣/٢	ق ش	
																دستور معالم الحكم ص ٢٣	ب ش	خ
٧٩	قيمة كل امرئ ما يحسنه	.	٢٣٤	٣٦٠	.	١٢٥	.	.	.	.	.	٤٨٢	٦٩	:	.	الهمذاني ـ الألفاظ الكتابية ص١١	ق ش	
																قدامة بن جعفر ـ نقد النثر ص ٩٩	ق ش	

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
٨٠	اوصيكم بخمس لو ضربتم إليها...	ج ٣ ٢٨٨	ج ١٨ ٢٣٢	ج ٥ ٣٦١	ج ٥ ٢٨٢	ج ٢١ ١٢٦	ج ٤ ١٨	٣٧٥	٥٧٩	٦٧٨	ج ٤ ٣٦٤	٤٨٢	ج ٤ ٧٩	١٠٩	ج ٢ ٣٢٤	الجاحظ ـ البيان والتبيين ٧٧/٢	ق ش	خ
																قوامة بن جعفر ـ نقد النثر ص ١٣٠	ق ش	
٨١	قال لرجل افرط في الثناء عليه: أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك	.	٢٣٣	٣٦٢	٢٨٣	١٢٩	١٩	.	.	٥٧٩	٣٦٥	.	٨٠	.	.	البيان والتبيين ٧٧/٢	ق ش	
																الراغب الإصفهاني ـ محاضرات الأدباء ٣٨١/١	ق ش	خ
٨٢	بقية السيف أبقى عدداً...	.	٢٣٥	٣٦٣	٢٨٣	١٣٠	.	.	.	.	٣٦٦	.	٨١	.	.	البيان والتبيين ٣١٦/٢	ق ش	
٨٣	من ترك قولا لا أدري...	.	٢٣٦	٣٦٤	.	١٣١	.	.	.	.	.	.	٨٢	.	.	غرر الحكم ٤٣٩	ب ش	
٨٤	راي الشيخ أحب إليّ من جلد الغلام	٢٨٩	٢٣٧	.	٢٨٤	.	.	٣٧٦	.	.	.	.	٨٣	.	.	البيان والتبيين ١٤/٢	ق ش	
																دستور معالم الحكم ص ٢١	ب ش	خ
٨٥	عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار...	.	٢٣٩	٣٦٥	.	١٣٢	.	.	.	.	٣٦٧	.	.	.	.	ابن قتيبة ـ عيون الأخبار ٣٧٢/٢	ق ش	
																العقد الفريد ١٨١/٣	ق ش	خ
٨٦	كان في الأرض أمانان...	.	٢٤٠	٣٦٦	.	.	.	.	٥٨٠	.	.	٤٨٣	٨٤	.	٣٥٢	أسنده الرضي إلى الإمام محمد الباقر رابع أئمة الشيعة الإثني عشرية. وذكره الطبرسي ـ مجمع البيان ١٤١/٩.	ب ش	خ
																سبط بن الجوزي ـ تذكرة الخواص ص ١٢٥.	ب ش	
٨٧	من أصلح ما بينه وبين الله..	.	٢٤٢	٣٦٧	٢٨٥	١٣٤	٢٠	.	.	٦٨٠	.	.	٨٥	.	.	سبط بن الجوزي. تذكرة الخواص ص ١٢٥	ب ش	خ
٨٨	الفقيه كل الفقيه من لم يقنط...	.	٢٤٣	٣٦٨	.	١٣٥	.	.	.	.	٣٦٩	.	٨٦	.	.	الصدوق ـ معاني الأخبار ص ٢٢٦	ق ش	خ
																ابن هذيل ـ عين الأدب والسياسة ـ ص ٢١١	ب ش	خ
٨٩	إن هذه القلوب تمل	٢٩٠	٢٤٤	٣٦٩	٢٨٦	١٣٨	.	.	.	.	.	.	٨٧	.	.	القضاعي ـ دستور معالم الحكم ص ٢٥	ب ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
٩٠	أوضع العلم ما وقف على اللسان	ج ٣ ٢٩٠	ج ١٨ ٢٤٥	ج ٥ ٣٦٩	ج ٥ ٢٨٦	ج ٢١ ١٣٧	ج ١ ٢٠	٣٧٦	٥٨٠	٦٨٠	ج ٤ ٣٦٩	٤٨٣	ج ٤ ٨٨	١٠٩	ج ٢ ٣٢٥	الأمدي - غرر الحكم ص ١٥٩	ب ش	خ
٩١	لا يقول أحدكم: اللهم إني أعوذ بك	-	٢٤٨	٢٧٠	٢٨٧	١٣٩	-	-	٥٨١	-	٢٧٠	-	-	-	٣٢٦			
٩٢	ليس الخير ان يكثر مالك وولدك...	-	٢٥٠	٢٧٢	-	١٤١	٢١	٣٧٧	-	٦٨١	٢٧١	٤٨٤	٨٩	-	-	الآبي - نثر الدر - ٣١٣/١ القضاعي - دستور معالم الحكم ص ٣٠ و ص ١١٣ بتمامها ابن عبد البر - نزهة المجالس ٢٧٩/٣	م ش ق ش	 خ
٩٣	لا يقل عمل مع التقوى...	-	٢٥٠	-	٢٨٨	-	-	-	-	-	٢٧٢	-	٩٠	-	-	أصول الكافي ٧٥/٢ - مسندا الآبي - نثر الدر ٣١٣/١	ق ش م ش	 خ
٩٤	إن اولى الناس بالأنبياء...	٢٩١	٢٥٢	٣٧٣	-	١٤٢	-	-	-	-	-	-	-	-	٣٢٧	الأمدي - غرر الحكم - ص ١٧٧ الطبرسي - مجمع البيان ١١٠/٢	ب ش ب ش	خ
٩٥	نوم على يقين خير من صلاة في شك	-	٢٥٣	٣٧٤	٢٨٩	١٤٤	٢٢	-	٥٨٢	٦٨٢	٢٧٣	٤٨٥	٩١	-	-	الميداني - مجمع الأمثال ٥٥/٤ سبط ابن الجوزي - تذكرة خواص الأمة ص ١٠٠ عن ابن عباس	ب ش ب ش	خ
٩٦	اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل دراية...	-	٢٥٤	-	٢٩٠	١٤٥	-	-	-	-	٢٧٤	-	٩٢	-	-	الراغب الأصفهاني - محاضرات الأدباء ٣٥/١	ب ش	
٩٧	إن قولنا: إنا لله وإنا إليه راجعون...	-	٢٥٥	٣٧٥	-	١٤٦	-	-	-	-	-	-	-	-	-	ابن شعبة - تحف العقول ص ١٤٩ ذكر مناسبتها	ق ش	خ
٩٨	اللهم إنك أعلم بي من نفسي	-	٢٥٦	٣٧٦	-	١٤٧	-	٣٧٨	-	-	٣٧٥	-	٩٣	-	-	البلاذري - أنساب الأشراف ١٨٨/٢	ق ش	
٩٩	لا يستقيم قضاء الحوائج إلا بثلاث...	-	٢٥٨	٣٧٧	-	١٤٨	-	-	-	-	-	-	-	-	٣٢٨	الآبي - نثر الدر ٣١٢/١	م ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات: الزمن	ملاحظات: الفرق
١٠٠	يأتي على الناس زمان لا يقرب فيه...	ج ٣ ٢٩٢	ج ١٨ ٢٦٠	ج ٥ ٣٧٥	ج ٥ ٢٩١	ج ٢١ ١٥٠	ج ٤ ٢٣	٣٧٨	٥٨٢	٦٨٢	ج ٤ ٢٧٦	٤٨٥	ج ٤ ٩٤	١٠٩	ج ٢ ٣٢٨	المبرد ـ الكامل في الأدب ٣٠٣/١	ق ش	خ
																التلمساني ـ الجوهرة ـ ص ٨٥		
١٠١	يخشع له القلب وتذل له النفس...	.	٢٦٢	٣٧٩	٢٩٢	١٥٢	.	.	٥٨٣	٦٨٣	٢٧٧	٤٨٦	٩٥	.	٣٢٩	ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ٣٨/٣	ق ش	خ
١٠٢	إن الدنيا والآخرة عدوان...	.	٣٦٤	٣٨٠	.	١٥٣	.	.	.	.	.	.	.	.	.	ابن شعبة ـ تحف العقول ص ١٥١	ق ش	
																القضاعي ـ دستور معالم الحكم ـ ص ٧٦	ب ش	خ
١٠٣	عن نوف البكالي... يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا...	.	٣٦٥	٣٨١	٢٩٣	١٥٤	.	.	.	.	٢٧٨	.	٩٦	.	.	المسعودي ـ مروج الذهب ١٩٣/٤	ق ش	
																الآبي ـ نثر الدر ـ ٣١٢/١	م ش	خ
١٠٤	إن لله تعالى افتراض عليكم الفرائض...	٢٩٢	٣٦٧	٣٨٢	٢٩٤	١٥٧	٢٤	٣٧٩	٥٨٤	٦٨٤	٢٧٩	٤٨٧	٩٨	١١٠	٣٣٠	الآبي ـ نثر الدر ـ ٣١٣/١	م ش	خ
١٠٥	لا يترك الناس شيئا من أمر دينهم...	.	٣٦٨	٣٨٣	٢٩٥	١٦٠	٢٥	.	.	.	٢٨٠	.	٩٩	.	.	نثر الدر ٣١٣/١	م ش	خ
																غرر الحكم ـ ٥٣٨	ب ش	خ
١٠٦	رب عالم قد قتله جهله...	٢٩٤	٢٦٩	٣٨٤	.	١٦١	.	.	.	٦٨٥	٢٨١	.	.	.	.	المفيد ـ الإرشاد ـ ص ١٣٢	م ش	
١٠٧	لقد علق بنياط هذا الإنسان بضعة...	.	٢٧١	٣٨٥	.	١٦٢	.	.	.	.	.	.	١٠٠	.	.	الماوردي ـ تسهيل النظر ص ١٩	ب ش	خ
																الحصري القيرواني ـ زهر الآداب ٤٩٦/١	ب ش	
١٠٨	نحن النمرقة الوسطى...	.	٢٧٣	٣٨٧	٢٩٧	١٦٦	٣٦	٣٨٠	٥٨٥	.	٢٨٤	٤٨٨	١٠٢	.	٣٣١	ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ـ ٣٧٠/٢	ق ش	خ
١٠٩	لا يقيم أمر الله سبحانه إلاّ من لا يصانع...	.	٢٧٤	٣٨٨	.	١٦٦	.	.	.	٦٨٦	.	.	.	.	.	الآبي ـ نثر الدر ـ ٢٩٢/١	م ش	خ
																غرر الحكم ـ ٥٣٧	ب ش	

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
١١٠	قال عليه السلام وقد توفي سهيل بن حنيف: لو أحبني جبل لتهافت	ج ٣ ٣٠٢	ج ١٨ ٣٧٥	ج ٥ ٣٨٨	ج ٥ ٢٩٨	ج ٢١ ١٦٩	ج ٤ ٢٦	٢٨٠	٥٨٥	٦٨٦	ج ٤ ٢٨٥	٤٨٨	ج ٤ ١٠٣	١١٠	ج ٢ ٣٣١	الصدوق ـ معاني الأخبار ص ١٨٢ منها الزمخشري ـ ربيع الأبرار ١/٤٥٧	ق ش ب ش	خ
١١١	لا مال أعود من العقل	٠	٢٧٦	٣٨٩	٢٩٩	١٧٢	٠	٠	٥٨٦	٠	٢٨٦	٠	١٠٤	٠	٣٣٢	العقد الفريد ـ ٢/٢٥٢ القضاعي ـ دستور معالم الحكم ص ٣١	ق ش ب ش	خ خ
١١٢	إذا استولى الصلاح على زمان...	٣٠٤	٢٧٨	٣٩١	٣٠٢	١٧٥	٢٧	٢٨١	٠	٢٨٧	٢٨٩	٤٨٩	١٠٥	٠	٠	غرر الحكم ـ ص ٢٢٨	ب ش	خ
١١٣	وسئل كيف حالك يا أمير المؤمنين: قال: كيف تكون حال من يفنى ببقائه...	٠	٢٨٠	٣٩٢	٣٠٣	١٧٦	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١٠٦	٠	٠			
١١٤	كم مستدرج بالإحسان إليه...	٠	٢٨١	٣٩٣	٠	١٧٨	٠	٠	٥٨٧	٠	٢٩٠	٠	١٠٧	٠	٠	سبط بن الجوزي ـ تذكرة خواص الأمة ـ ص ١٢٥	ب ش	خ
١١٥	هلك في رجلان...	٠	٢٨٢	٠	٣٠٤	١٧٩	٢٨	٠	٠	٦٨٨	٠	٠	٠	٠	٣٣٣	البلاذري ـ أنساب الأشراف ـ ٢/١١٩	ق ش	
١١٦	إضاعة الفرصة غصة	٠	٢٨٣	٣٩٤	٠	١٨٠	٠	٠	٠	٠	٢٩١	٠	١٠٨	٠	٠	الآمدي ـ غرر الحكم ص ٥٣	ب ش	
١١٧	مثل الدنيا كمثل الحيّة	٣٠٥	٢٨٤	٠	٠	١٨١	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	ابن دريد ـ المجتنى ـ ص ٤٣	ق ش	
١١٨	أما بنو مخزوم فريحانة قريش...	٠	٢٨٥	٣٩٥	٣٠٥	١٨٢	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	الزبير بن بكار ـ الأخبار الموفقيات ص ٢٤٣	ق ش	خ
١١٩	شتّان ما بين عملين...	٠	٣١٠	٤١١	٣٠٦	١٨٥	٠	٠	٠	٠	٢٩٣	٤٩٠	١٠٩	٠	٠	تذكرة خواص الأمة ص ١٢٥	ب ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
١٢٠	كأن الموت فيها على غيرنا كتب...	ج ٣ ٣٠٥	ج ١٨ ٣١١	ج ٥ ٤١٢	ج ٥ ٣٠٦	ج ٢١ ١٨٦	ج ٤ ٢٨	٣٨١	٥٨٧	٦٨٨	ج ٤ ٢٩٣	٤٩٠	ج ٤ ١١٠	١١٠	ج ٢ ٣٣٣	قال الشريف الرضي: من الناس من نسبه إلى الرسول (ص)		
																الراغب الأصفهاني ـ محاضرات الأدباء ٤٨٦/٢ نسبة إلى الرسول (ص)	ب ش	خ
١٢١	غيرة المرأة كفر وغيرة الرجل إيمان	٣٠٦	٣١٢	٤١٣	٣٠٨	١٨٩	٢٩	٣٨٢	٥٨٨	٦٨٩	٢٩٥	٤٩١	١١٢	١١١	٣٣٤	الآمدي ـ غرر الحكم ـ ص ٣٣٥	ب ش	خ
١٢٢	لأنسبن الإسلام نسبة لم...	٠	٣١٣	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	الصدوق ـ معاني الأخبار ـ ص ١٨٥	ق ش	خ
١٢٣	عجبت للبخيل كيف يستعجل الفقر...	٠	٣١٥	٤١٤	٣٠٩	١٩٢	٠	٠	٠	٦٩٠	٢٩٦	٠	١١٣	٠	٠	الجاحظ ـ المئة المختارة بشرح ميثم ص ١٢٤	ق ش	
																الآبي ـ نثر الدر ٣٣٦/١	م ش	
١٢٤	من قصّر في العمل ابتلى بالهم		٣١٧	٤١٥	٣١٠	١٩٤	٣٠	٠	٥٨٩	٠	٢٩٨	٠	٠	٠	٣٣٥	الآمدي ـ غرر الحكم ـ ص ٤٤٩	ب ش	خ
١٢٥	لا حاجة لله فيمن ليس لله...	٠	٠	٤١٦	٠	١٩٤	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	في بعض نسخ النهج تابعة للتي قبلها		
١٢٦	توقوا البرد في أوله...	٢٠٧	٣١٩	٤١٧	٣١١	١٩٥	٠	٢٨٢	٠	٠	٠	٠	١١٤	٠	٠			
١٢٧	عظم الخالق عندك يصغر المخلوق...	٠	٣٢١	٤١٨	٠	١٩٦	٠	٠	٠	٦٩١	٢٩٩	٤٩٢	١١٥	٠	٠			
١٢٨	قوله عند إشرافه على القبور في الكوفة: يا أهل الديار الموحشة...	٠	٣٢٢	٤١٩	٣١٢	١٩٧	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	ابن مزاحم ـ صفين ٥٢١	ق ش	خ
																الجاحظ ـ البيان والتبيين ١٤٨/٣، ١٥٥	ق ش	
١٢٩	قوله وقد سمع رجلا يذم الدنيا: أيها الذام للدنيا...	٠	٣٢٥	٤٢١	٣١٣	١٩٩	٣١	٠	٥٩٠	٠	٣٠٠	٠	٠	٠	٣٣٦	ابن قتيبة ـ عيون الأخبار ٣٢٠/٢	ق ش	خ
																البيان والتبيين ١٩٠/٢	ق ش	

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
١٣٠	إن لله ملكا ينادي كل يوم	ج ٣	ج ١٨	ج ٥	ج ٥	ج ٢١	ج ٤				ج ٤		ج ٤		ج ٢	الكليني - أصول الكافي ٢/١٣١ نسبها مسندة للإمام جعفر الصادق(ع)	ق ش	
		٢٠٨	٢٢٨	٤٢٣	٣١٦	٢٠٥	٣٣	٣٨٤	٥٩١	٦٩٣	٣٠٣	٤٩٣	١١٩	١١١	٣٣٧	المفيد - الاختصاص ص ٢٣٤ نسبها للإمام جعفر الصادق (ع)	م ش	خ
١٣١	الدنيا دار ممر لا دار مقر...	.	٣٢٩	.	.	٢٠٦	.	.	.	.	.	.	.	.	.	ابن دريد - المجتنى - ص ٤٣	ق ش	
																قدامة بن جعفر - نقد النثر - ص ٩٩	ق ش	خ
١٣٢	لا يكون الصديق صديقا حتى...	.	٣٣٠	٤٢٤	.	.	.	.	.	.	.	٤٩٤	١٢٠	.	.	الأبي - نثر الدر ٣٠٥/١	م ش	خ
																دستور معالم الحكم - ص ٦٤	ب ش	خ
١٣٣	من أعطى اربعا لم يحرم اربعا...	٢٠٩	٣٣١	٤٢٥	٣١٧	٢٠٧	.	.	٥٩٢	.	٣٠٤	.	.	.	.	سبط بن الجوزي - تذكرة الخواص ص ١٢٥	ب ش	خ
																ابن هذيل - عين الأدب والسياسة - ص ٩٢	ب ش	خ
١٣٤	الصلاة قربان كل تقي...	.	٣٣٢	٤٢٦	.	٢٠٩	٣٤	٣٨٥	.	٦٩٤	٣٠٥	.	١٢١	.	٣٣٨	الكليني - فروع الكافي ٩/٥ أورد العبارة الأخيرة	ق ش	
																ابن شعبة - تحف العقول ص ١٥٨ - بزيادة	ق ش	
١٣٥	استنزلوا الرزق بالصدقة...	.	٣٣٥	٤٢٨	٣١٨	٢١٠	.	.	.	.	٣٠٦	.	.	.	.	سبط بن الجوزي - تذكرة الخواص ص ١٢٥	ب ش	خ
١٣٦	من أيقن بالخلف جاد بالعطية	.	٣٣٦	٤٢٩	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	الثعالبي - التمثيل والمحاضرة ص ٣٠	م ش	
																الحصري القيرواني - زهر الآداب ٤٣/١	ب ش	
١٣٧	تنزل المعونة على قدر المؤونة	٣١٠	٣٣٧	.	.	٢١١	.	.	.	.	٣٠٧	.	.	.	.	الآمدي - غرر الحكم ص ٢٤٢	ب ش	خ
١٣٨	ما عال أمرؤ اقتصد	.	٣٣٨	٤٣٠	٣١٩	٢١٢	.	.	.	.	.	.	١٢٢	.	.	ابن شعبة - تحف العقول ص ١٥٣	ق ش	خ
١٣٩	قلّة العيال أحد اليسارين	.	٣٣٩	.	.	.	.	.	٥٩٣	.	٣٠٨	٤٩٥	.	.	.	ابن شعبة - تحف العقول ص ١٥٣ من جملة حكم	ق ش	

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
١٤٠	التودد نصف العقل	جـ ٣ ٣١٠	جـ ١٨ ٢٤٠	جـ ٥ ٤٣١	جـ ٥ ٣١٩	جـ ٢١ ٣١٢	جـ ٤ ٣٤	٢٨٥	٥٩٣	٦٩٤	جـ ٤ ٣٠٨	٤٩٥	جـ ٤ ١٢٣	١١١	جـ ٢ ٣٣٨	الإمام الرضا(ع) ـ صحيفة الإمام الرضا(ع) ـ ص ١٠٥ عن الرسول(ص)	ق ش	خ
																ابن شعبة ـ تحف العقول ص ١٥٨	ق ش	
١٤١	الهم نصف الهرم		.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	الصدوق ـ الخصال ص ٦٢٠	ق ش	
																ابن شعبة ـ تحف العقول ص ١٥٨	ق ش	
١٤٢	ينزل الصبر على قدر المصيبة		٣٤٢	٤٣٢	.	٣١٣	.	.	.	.	٣٠٩	.	.	.	٣٣٩	ابن شعبة ـ تحف العقول ص ١٥٨	ق ش	خ
١٤٣	كم من صائم ليس له من صيامه...	.	٣٤٤	٤٣٣	.	٣١٤	٣٥	.	.	٦٩٥	.		١٢٤	.	.			
١٤٤	سوسوا إيمانكم بالصدقة	.	٣٤٥	.	٣٢٠	٣١٥	.		.	.	٣٠١	.	.	.	.	الصدوق ـ الخصال ص ٦٢٠، ٦٢١	ق ش	خ
																محاضرات الأدباء ٤٦٧/٢ نسبها للرسول (ص)	ب ش	خ
١٤٥	يا كميل إن هذه القلوب...	٣١٩	٣٤٦	٤٣٤	.	٣١٦	.	٣٨٦	.	.	.	.	.	١١٢	.	العقد الفريد ٢١٢/٢	ق ش	
																ابن شعبة ـ تحف العقول ص ١١٨	ق ش	
١٤٦	المرء مخبوء تحت لسانه	٣٢٥	٣٥٣	٤٣٩	٣٣١	٣٢٨	٣٨	٢٨٧	٥٩٦	٦٩٨	٣١٦	٤٩٧	١٢٩	.	٣٤٢	الجاحظ ـ المئة المختارة بشرح ميثم ص ٦٣	ق ش	
																الصدوق ـ الخصال ـ ص ٤٢٠	ق ش	
١٤٧	هلك امرؤ لم يعرف قدره	.	٣٥٥	٤٤٠	٣٢٧	٣٢٩	.	.	.	.	.		١٣٠	.	.	المئة المختارة بشرح ميثم ص ٥٩	ق ش	
																الصدوق ـ الخصال ص ٤٢٠	ق ش	
١٤٨	لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل	.	٣٥٦	٤٤١	٣٢٨	٣٣٠	.	.	.	.	.		١٣١	.	.	ابن دريد ـ المجتنى ص ٤٢	ق ش	
																الحصري القيرواني ـ زهر الآداب ٣٩/١	ب ش	
١٤٩	لكل امرء عاقبة حلوة أو مرة	٣٢٧	٣٦١	٤٤٤	٣٣٣	٣٣٦	٣٦	٣٨٨	٥٩٧	٧٠٠	٣٢٠	٤٩٩	١٣٦		٣٤٤	الأمدي ـ غرر الحكم ص ٢٧٧	ب ش	

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات: الزمن	ملاحظات: الفرق
١٥٠	لكل مقبل إدبار وما أقبل...	ج ٣ ٢٣٧	ج ١٨ ٣٦٣	ج ٥ ٤٤٦	ج ٥ ٣٣٣	ج ٢١ ٣٣٦	ج ٤ ٤٠	٣٨٨	٥٩٧	٧٠٠	ج ٤ ٣٢٠	٤٩٩	ج ٤ ١٣٦	١١٣	ج ٢ ٣٤٥	الآمدي ـ غرر الحكم ص ٣٧٧ القسم الأول منها	ب ش	
١٥١	لا يعدم الصبور الظفر...	٠	٣٦٦	٤٤٨	٠	٣٣٧	٠	٠	٠	٠	٣٢١	٠	٠	٠	٠			
١٥٢	الراضي بفعل قوم كالداخل...	٠	٣٦٢	٤٤٥	٠	٣٣٨	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٣٤٥	الآمدي ـ غرر الحكم ص ٩٩	ب ش	خ
١٥٣	ما اختلفت دعوتان إلا كانت...	٠	٣٦٧	٤٤٩	٣٤٠	٢٥٧	٤٣	٣٩٠	٦٠٠	٧٠٣	٣٣٠	٥٠٢	١٤٧	١١٣	٣٤٥	غرر الحكم ـ ص ٤٧٣	ب ش	
١٥٤	ما شككت في الحق مذ رأيته	٠	٣٧٤	٤٥٢	٠	٢٥٨	٠	٠	٠	٠	٣٣١	٠	١٤٨	٠	٣٤٦	الإرشاد ـ المفيد ص ١٣٥	م ش	
																ورد هذا القول ضمن الخطبة ٤ في الجدولة		
١٥٥	ما كذبت ولا كذبت	٠	٣٦٨	٤٤٩	٠	٢٥٩	٠	٠	٠	٧٠٤	٠	٠	٠	٠	٣٤٥	ابن مزاحم ـ صفين ص ٣١٥ ضمن خطبة	ق ش	
																المبرد ـ الكامل في الأدب ٢/٣٢١	ق ش	
١٥٦	للظالم البادي غدا بكفه...	٢٢٧	٣٦٩	٤٥٠	٣٤١	٣٦٠	٤٣	٠	٦٠٠	٠	٣٣١	٠	١٥٠	٠	٠			
١٥٧	الرحيل وشيك...	٠	٣٧٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٣٣٢	٠	١٥١	٠	٠			
١٥٨	من أبدى صفحته للحق هلك	٢٢٨	٣٧١	٤٥١	٠	٣٦١	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	ابن قتيبة ـ عيون الأخبار ٢/٢٣٦ •	ق ش	
																الجاحظ ـ المئة المختارة بشرح ميثم ص ١٩٢	ق ش	
١٥٩	استعصوا بالذمم في أوتادها	٠	٣٧٢	٠	٣٣٣	٣٣٩	٤٠	٣٨٨	٥٩٨	٧٠٠	٣٢١	٤٩٩	١٣٧	١١٣	٠	ذكر ابن أبي الحديد مناسبتها فكأنه اطلع على مصدرها		
																الآمدي ـ غرر الحكم ـ ٢١٢	ب ش	

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
١٦٠	عليكم بطاعة من لا تعذرون...	ج ٣ ٢٢٨	ج ١٨ ٢٧٣	ج ٥ ٤٥٢	ج ٥ ٣٣٣	ج ٢١ ٢٣٩	ج ٢ ٤٠	٣٨٩	٥٩٨	٧٠٠	ج ٤ ٣٢٢	٤٩٩	ج ٤ ١٣٨	١١٢	ج ٢ ٣٤٦	القاضي النعمان ـ دعائم الإسلام ٣٥١/٢ ضمن وصية	ق ش	خ
																المفيد ـ الإرشاد ـ ص ١٢٤	م ش	
١٦١	قد بصرتم إن أبصرتم	-	٣٧٦	٤٥٣	-	٢٤٠	-	-	-	-	-	-	-	-	-	القول جزء من الخطبة رقم ٢٠		
١٦٢	عاتب أخاك بالإحسان إليه...	-	٣٧٨	٤٥٤	-	-	٤١	-	-	٧٠١	-	٥٠٠	-	-	-	الزمخشري ـ ربيع الأبرار ٦٠٣/١	ب ش	
١٦٣	من وضع نفسه مواضع التهمة	-	٢٨٠	٤٥٥	٣٣٤	٢٤١	-	-	-	-	٣٣٣	-	١٣٩	-	-	الكليني ـ فروع الكافي ١٥٢/٨ ـ بزيادة	ق ش	خ
																المفيد ـ الاختصاص ص ٢٢٦ بزيادة	م ش	خ
١٦٤	من ملك استأثر	-	٢٨١	٤٥٦	-	٢٤٢	-	-	-	-	-	-	-	١١٣	٣٤٧	ابن شعبة ـ تحف العقول ص١٥ نسبها إلى الرسول(ص) ضمن وصيّة لعلي(ع)	ق ش	
١٦٥	من استبد برأيه هلك	-	٣٨٢	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	الآمدي: غرر الحكم ـ ص ٣٩٩	ب ش	خ
١٦٦	من كتم سرّه كانت الخيرة في يده	-	٣٨٤	٤٥٧	-	٢٤٣	-	-	-	-	٣٢٤	-	١٤٠	-	-	الكليني ـ فروع الكافي ١٥٢/٨	ق ش	
																الطبرسي ـ مشكاة الأنوار ص ٣٢٣ رواه مسندا	ب ش	
١٦٧	الفقر الموت الأكبر	٢٢٩	٣٨٦	٤٥٨	٣٣٥	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	تحف العقول ـ ص ١٥٣ ضمن عدة حكم	ق ش	
																الأبشيهي ـ المستطرف ـ ٢٨/٢	ب ش	
١٦٨	نم قضى حق من لا يقضي حقه...	-	٣٨٨	٤٥٩	-	٢٤٤	-	-	٥٩٩	-	-	-	-	-	-			
١٦٩	لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق	-	٣٨٩	٤٦٠	-	٢٤٥	-	-	-	-	٣٢٥	-	-	-	-	الإمام الرضا (ع) ـ صحيفة الإمام الرضا (ع) ـ ص ٢٥١	ق ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
١٧٠	لا يعاب المرء بتأخير حقه...	ج ٣ ٣٢٩	ج ١٨ ٣٩٠	ج ٥ ٤٦١	ج ٥ ٣٣٥	ج ٢١ ٢٤٦	ج ٣ ٤١	٣٨٩	٥٩٩	٧٠٢	ج ٤ ٣٢٥	٥٠٠	ج ٤ ١٤١	١١٣	ج ٢ ٣٤٧			
١٧١	الإعجاب يمنع الازدياد	.	٣٩١	.	.	٢٤٧	.	.	.	.	.	.	.	.	٣٤٨	الآمدي - غرر الحكم - ص ٤١	ب ش	
١٧٢	الأمر قريب والاصطحاب قليل	.	٣٩٤	٤٦٣	٣٣٦	.	.	.	.	.	٣٢٦	.	.	.	.	غرر الحكم - ص ٣٩، ٣٠	ب ش	
١٧٣	قد أضاء الصبح لذي عينين	.	٣٩٥	.	.	٢٤٨	٤٢	.	٤٢	.	.	٥٠١	.	.	.	القاضي القضاعي - دستور معالم الحكم ص ٢٥	ب ش	خ
١٧٤	ترك الذنب أهون من طلب التوبة	.	٣٩٦	٤٦٤	.	.	.	.	.	.	.	.	١٤٣	.	.	أصول الكافي ٢/٤٥١ بزيادة	ق ش	خ
١٧٥	كم من أكلة تمنع أكلات	.	٣٩٧	.	.	٢٤٩	.	.	.	.	.	.	.	.	.	الجاحظ - البخلاء ص ٢٨٤ - لم ينسبها	ق ش	خ
١٧٦	الناس أعداء ما جهلوا	.	٤٠٣	٤٦٨	.	.	.	٣٩٠	.	.	.	.	١٤٤		.	الجاحظ - المئة المختارة بشرح ميثم ص ٨١ الحصري القيرواني - زهر الآداب ١/٤٣	ق ش ب ش	خ
١٧٧	من استقبل وجوه الآراء عرف...	٣٣٠	٤٠٤		٣٣٧	٢٥٠	.	.	.		٣٢٧	.	.		.	فروع الكافي ٨/٢٢، ضمن خطبة لعلي القضاعي - دستور معالم الحكم ص ٢٩	ق ش ب ش	
١٧٨	من احدّ سنان الغضب لله...	.	٤٥٠	٣٦٩	.	٢٥١	.	.	.	.	.	.	.	.	.	الزمخشري - ربيع الأبرار ١/٤٠٤ اليماني - الطراز ١/١٦٨	ب ش ب ش	 خ
١٧٩	إذا هبت أمرا فقع فيه	.	٤٠٦	.	.	٢٥٢	.	.	.	٧٠٣	.		١٤٥	.	.	الآمدي - غرر الحكم - ص ٢٢٧ المستطرف ١/٢٣٧	ب ش ب ش	 خ

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	الزمن	الفرق
١٨٠	آلة الرياسة سعة الصدر	ج ٣ / ٣٣٠	ج ١٨ / ٤٠٧	ج ٥ / ٤٧٠	ج ٥ / ٣٣٨	ج ٢١ / ٢٥٣	ج ٢ / ٤٢	٣٩٠	٦٠٠	٧٠٣	ج ٤ / ٣٢٨	٥٠١	ج ٤ / ١٤٥	١١٣	ج ٢ / ٣٤٩	الآمدي - غرر الحكم ص ٥٩	ب ش	
																اليماني - الطراز ١/١٦٨	ب ش	
١٨١	ازجر المسيء بثواب المحسن	.	٤١٠	٤٧٢	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	الزمخشري - ربيع الأبرار ١/٦٠٣	ب ش	
١٨٢	احصد الشر من صدر غيرك	.	٤١١	٤٧٣	.	٢٥٤	.	.	.	.	.	.	١٤٦	.	.			
١٨٣	اللجاجة تسل الرأي	.	٤١٢	.	٣٣٩	٢٥٥	.	.	.	.	٣٢٩	.	.	.	.	الآبي - نثر الدر ١/٣٢٧	م ش	
																الكراجي - كنز الفوائد ١/٣٦٧	ب ش	خ
١٨٤	الطمع رق مؤبّد	.	٤١٣	٤٧٤	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	الآمدي - غرر الحكم ص ٥٠	ب ش	خ
١٨٥	ثمرة التفريط الندامة	.	٤١٤	٤٧٥	.	٢٥٦	٤٣	.	.	.	.	٥٠٢	١٤٧	.	.	الآمدي - غرر الحكم ص ٢٤٩	ب ش	خ
																اليماني - الطراز ١/١٦٨ - تقديم وتأخير	ب ش	
١٨٦	من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع	٣٣١	٤١٥	٤٧٦	٣٤١	٢٦٣	.	٣٩١	٦٠١	٧٠٤	٣٣٢	.	١٥١	.	.	الآمدي - غرر الحكم ص ٢١٢	ب ش	
١٨٧	وعجباه أتكون الخلافة بالصحابة؟...	.	٤١٦	٤٧٧	٣٤١	٢٦٢	.	.	.	٧٠٤	٣٣٢	.	١٥٢	.	.	الآمدي - غرر الحكم ص ٥٠٣	ب ش	خ
																وراجع تعليق ابن أبي الحديد على المقولة ايضا		
١٨٨	إنما المرء في هذه الدنيا غرض...	.	ج ١٩ / ٧	٤٧٨	٣٤٢	٢٦٥	٤٤	.	.	.	.	٥٠٣	١٦٠	.	٣٥٠	أمالي القالي ٢/٥٤	ق ش	
																وراجع بشأن ذلك ايضا مصادر الخطبة رقم ١٤٥		
١٨٩	لا خير في الصمت عند الحكم...	.	٩	٤٧٩	٣٤٠	-	٤٣	٣٩٠	٦٠٠	٧٠٣	-	-	١٤٧	-	.	البلاذري - أنساب الأشراف ٢/١١٤	ق ش	

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
١٩٠	يا ابن آدم ما كسبت فوق قوتك...	ج ٣	ج ١٩	ج ٥	ج ٥	ج ٢١	ج ٤				ج ٤		ج ٤		ج ٢	أنساب الأشراف ١١٥/٢	ق ش	
		٣٣١	١٠	٤٧٩	٣٤٣	٢٦٦	٤٤	٣٩١	٦٠١	٧٠٥	٣٣٥	٥٠٣	١٦١	١١٣	٣٥٠	المفيد ـ الإرشاد ص ١٢٥	م ش	خ
١٩١	إن للقلوب شهوة وإقبالا...	٠	١١	٤٨٠	٣٤٤	٢٦٧	٠	٠	٦٠٢	٠	٠	٠	٠	٠	٣٥١	الجاحظ ـ المئة المختارة بشرح ميثم ص ١٦٥	ق ش	خ
١٩٢	متى أشفي غيظي إذا غضبت..	٣٣٢	١٢	٤٨١	٠	-	٤٥	٠	٠	٠	٥٣٦	٠	١٦٢	٠	٠	أنساب الأشراف ١٢٢/٢	ق ش	
١٩٣	قال وقد مر بقدر على مزبلة: هذا ما بخل به الباخلون	٠	١٣	٤٨٢	٠	٢٦٨	٠	٠	٠	٧٠٦	٠	٥٠٤	٠	٠	٠	أنساب الأشراف ١٣٤/٢	ق ش	
١٩٤	هذا ما كنتم تتنافسون عليه	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	أنساب الأشراف ١٣٤/٢	ق ش	
١٩٥	لم يذهب مالك ما وعظك	٠	١٥	٤٨٣	٣٤٥	٢٦٩	٠	٠	٠	٠	٥٣٧	٠	٠	٠	٠	أنساب الأشراف ١٣٥/٢	ق ش	
١٩٦	إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان	٠	١٦	٤٨٤	-	-	٠	٣٩٢	٠	٠	٥٣٨	٠	١٦٣	٠	٠	أنساب الأشراف ١٣٥/٢	ق ش	
																المبرد ـ الكامل ٢٨٥/٢	ق ش	
١٩٧	في صفة الغوغاء: هم الذين إذا اجتمعوا غلبوا..	٠٠	١٨	٤٨٥	٣٤٥	٢٧١	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٣٥٢	أنساب الأشراف ١١٥/٢	ق ش	
																المستطرف ٢٢٢/١	ب ش	خ
١٩٨	قال وقد أتى بجان معه غوغاء: لا مرحبا بوجوه لا ترى إلاّ عند..	٣٣٣	٢٠	٤٨٦	٠	٠	٤٦	٠	٦٠٣	٧٠٧	٣٤٠	٥٠٥	١٦٤	٠	٠	أنساب الأشراف ١١٥/٢	ق ش	
																العماد الأصفهاني ـ محاضرات الأدباء ٣٠٦/١	ب ش	
١٩٩	إن مع كل إنسان ملكين	٠	٢١	٤٨٧	٣٤٦	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١١٤	٠	طبقات ابن سعد ٣٤/٢		

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
٢٠٠	لما قال طلحة والزبير نبايعك على أنا شركاؤك في هذا الأمر، قال: لا ولكنكما شريكان في القوة	ج ٣ ٢٣٣	ج ١٩ ٢٢	ج ٥ ٤٨٨	ج ٥ ٣٤٦	ج ٢١ ٢٧٢	ج ٤ ٤٦	٣٩٢	٦٠٣	٧٠٧	ج ٤ ٣٤٠	٥٠٥	ج ٤ ١٦٥	١١٤	ج ٢ ٢٥٢	ابن قتيبة ـ الإمامة والسياسة	ق ش	
٢٠١	أيها الناس اتقوا الله الذي إن قلتم...	·	٢٣	·	·	٢٧٤	·	·	·	·	٣٤١	·	١٦٦	·	·	المبرد ـ الكامل في الأدب ٣٨٠/١	ق ش	
																التلمساني ـ الجوهرة ص ٨٠٠	ب ش	
٢٠٢	لا يزهدنك في المعروف من لا يشكره...	·	٢٤	٤٨٩	٣٤٧	·	·	·	·	·	·	·	·	·	·	محاضرات الأدباء ٥٤٨/١ نسبها لابن عباس	ب ش	
																القضاعي ـ دستور معالم الحكم ٦٤	ب ش	
٢٠٣	كل وعاء يضيق بما جعل فيه...	·	٢٥	٤٩٠	·	٢٧٦	٤٧	·	٦٠٤	·	٣٤٢	·	١٦٧	·	·	الآمدي ـ غرر الحكم ـ ص ٣٥٩	ب ش	
٢٠٤	أوّل عوض الحليم من حلمه...	٣٣٩	٢٦	٤٩١	٣٤٨	·	·	٣٩٣	·	·	·	·	١٦٨	·	·	العقد الفريد ٢٨١/٢	ق ش	
																نثر الدر ٢٨٩/١ ـ بزيادة	م ش	
٢٠٥	إن لم تكن حليما فتحلّم...	٣٤٠	٢٧	·	·	٢٧٧	·	·	·	·	·	٥٠٦	١٦٩	·	·	أصول الكافي ١١٢/٢ ـ نسبها للإمام جعفر الصادق (ع)	ق ش	
																القضاعي ـ دستور معالم الحكم ص ٢٩	ب ش	خ
٢٠٦	من حاسب نفسه ربح	·	٢٨	٤٩٢	·	٢٧٨	·	·	·	·	٣٤٣	·	·	·	·	الكراجي ـ كنز الفوائد ٨٣/٢ بنقص من جهة وزيادة من جهة	ب ش	خ
																الآمدي ـ غرر الحكم ص ٣٩٧، ٣٩٩	ب ش	خ
٢٠٧	لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها...	·	٢٩	٤٩٣	٣٤٩	٢٧٩	·	·	·	·	·	·	١٧٠	·	·	الشريف الرضي ـ خصائص الأئمة ص٧٠، رواه مسندا إلى الإمام جعفر الصادق(ع)		
																الطبرسي ـ مجمع البيان ٣٦٣/٢٠ بزيادة	ب ش	
٢٠٨	اتقوا الله تقاة من شمّر...	·	٣٠	·	·	٢٨٠	·	·	·	·	٣٤٤	·	١٧٢	·	·	ابن دريد ـ المجتبى ـ ص ٤٤	ق ش	
٢٠٩	الجود حارس الأعراض		٣١	٤٩٤	٣٥٠	٢٨١	٤٨		٦٠٥	·	·	·	·	·	٣٥٤	فروع الكافي ٢٣/٨ جملة واحدة منها	ق ش	
																القضاعي ـ دستور معالم الحكم، ص ٢٠ و ٢٢	ق ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	الزمن	الفرق
٢١٠	عجب المرء بنفسه أحد حساد...	جـ ٣ ٣٤١	جـ ١٩ ٣٣	جـ ٥ ٤٩٥	جـ ٥ ٣٥٢	جـ ٢١ ٢٨٤	جـ ٤ ٤٩	٣٩٤	٦٠٥	٧٠٩	جـ ٤ ٣٤٦	٥٠٧	جـ ٤ ١٧٣	١١٤	جـ ٢ ٣٥٤	تحف العقول ـ ص ١٥٢	ق ش	خ
٢١١	اغض على القذى والألم ترضى...	.	٣٤	٤٩٦	.	٢٨٥	.	.	.	.	٣٤٧	.	.	.	٣٥٥	الآمدي ـ غرر الحكم ـ ص ١١٢ بتقديم وتاخير	ب ش	
٢١٢	من لان عوده كثفت اغصانه		٣٥	.	.	.	.	.	.	٧١٠	.	.	.	.	.	الجاحظ ـ المئة المختارة بشرح ميثم ص ٩١	ق ش	
٢١٣	الخلاف يهدم الراي	.	٣٦	٤٩٧	.	٢٨٦	.	.	٦٠٦	.	.	.	١٧٤	.	.			
٢١٤	من نال استطال	.	٣٧	٤٩٨	.	٢٨٧	.	.	.	.	٣٤٨	.	.	.	.	فروع الكافي ٨/٢٣ ضمن الخطبة المعروفة بالوسيلة	ق ش	
																دستور معالم الحكم ـ ص ٢٨	ب ش	خ
٢١٥	في تقلّب الأحوال علم جواهر الرجال		٣٨	.	٣٥٣	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	فروع الكافي ٨/٢٣ ضمن الخطبة المعروفة بالوسيلة	ق ش	
																القضاعي ـ دستور معالم الحكم ص ٢٩	ب ش	خ
٢١٦	حسد الصديق من سقم المودة	.	٣٩	٤٩٩	.	٢٨٨	.	.	.	.	.	.	.	.	.	الزمخشري ـ ربيع الأبرار ٤٣٩/١	ب ش	
٢١٧	اكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع	.	٤١	٥٠٠	.	٢٨٩	.	.	.	.	٣٤٩	.	١٧٥	.	.	الجاحظ ـ المئة المختارة بشرح ميثم ص ١٨٩	ق ش	
																الآبي ـ نثر الدر ٣٢٧/١	م ش	
٢١٨	ليس من العدل القضاء على الثقة...	.	٤٢	٥٠١	٣٥٤	٢٩٠	.	.	.	.	.	.	.	.	.	غرر الحكم ص ٣٨٧	ب ش	
٢١٩	بئس الزاد إلى المعاد العدوان...		٤٣	.	.	.	.	.	.		.		.	.	٣٥٦	أمالي الصدوق ـ ص ٢٦٢	ق ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي / المرعشي	الحديد / التراث	الحديد / الحياة	ميثم / العالم	الخوئي / الوفاء	عبده / الأعلمي	عبده / الشعب	عبده / الأندلس	عبده / البلاغة	مغنية / الملايين	الصالح / الكتاب	عبد الرحمن / الأعلمي	المعجم / الأضواء	ابراهيم / الجيل	التوثيق	ملاحظات: الزمن	ملاحظات: الفرق
٢٢٠	من أشرف أفعال الكريم...	ج ٣ / ٣٤٢	ج ١٩ / ٤٤	ج ٥ / ٥٠٢	ج ٥ / ٣٥٤	ج ٢١ / ٢٩١	ج ٤ / ٥٠	٣٩٤	٦٠٦	٧١١	ج ٤ / ٣٥٠	٥٠٧	ج ٤ / ١٧٨	١١٤	ج ٢ / ٣٥٦	الأمدي ـ غرر الحكم ـ ص ٤٦٣	ب ش	خ
٢٢١	من كساه الحياء ثوبه...	.	٤٥	.	.	٢٩٢	.	.	.	.	.	٥٠٨	.	.	.	فروع الكافي ٢٣/٨ من خطبته المسماة بالوسيلة	ق ش	خ
٢٢٢	بكثرة الصمت تكون الهيبة		١٨	٥٠٤	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	ابن قتيبة ـ عيون الأخبار ٢٨٥/١ الجملة الأخيرة	ق ش	
																العقد الفريد ٢٧٩/٢	ق ش	
٢٢٣	العجب لغفلة الحساد عن سلامة الأجساد	.	٤٩	٥٠٥	٣٥٦	٢٩٤	.	٣٩٥	٦٠٧	.	٣٥١	.	١٧٩	.	.	الأمدي ـ غرر الحكم ـ ص ٣٣٩	ب ش	خ
٢٢٤	الطامع في وثاق الذل	.	٥٠	٥٠٦	.	٢٩٥	.	.	.		٣٥٢	.	.	.	.	الجاحظ ـ المئة المختارة بشرح ميثم ص ١١٤	ق ش	
٢٢٥	سئل عن الإيمان فقال: الإيمان معرفة بالقلب...		٥١	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	الصدوق ـ الخصال ص ١٧٨ مسندا	ق ش	
																الطوسي ـ آمال الطوسي ص ٣٧٩ ـ مسندا	ب ش	خ
٢٢٦	من أصبح على الدنيا حزينا...	.	٥٣	٥٠٧	.	٢٩٦	.	.	.	٧١٢	٣٥٣	.	١٨٣	.	.	سبط بن الجوزي ـ تذكرة خواص الأمة ص ١٢٦	ب ش	خ
٢٢٧	كفى بالقناعة ملكا وبحسن الخلق...	٢٤٣	٥٤	٥٠٨	٣٥٨	٢٩٨	٥١	.	.		٣٥٤	.	.	.	٢٥٧	الأمدي ـ غرر الحكم ص ٣٦٤	ب ش	
٢٢٨	وسئل عن قوله تعالى: "فلنحيينه حياة طيبة" فقال: هي القناعة.	.	٥٥	٥٠٩	.	.	.	.	.	.	.	٥٠٩	.			الطبرسي ـ مجمع البيان ١٢٢/١٤ رواه عن النبي (ص)	ب ش	
٢٢٩	شاركوا الذين قد أقبل عليهم الرزق...	.	٥٧	٥١٠	.	٢٩٩	.	.	.	.	.	.	١٨٤	.	.	الأمدي ـ غرر الحكم ـ ص ٢٠٣	ب ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
٢٣٠	ما قاله في قوله تعالى "إن الله يأمر بالعدل والإحسان" النحل /٩٠ (العدل - الإنصاف والإحسان - التفضل)	ج ٣ ٢٤٣	ج ١٩ ٥٨	ج ٥ ٥١١	ج ٥ ٣٥٨	ج ٢١ ٣٠٠	ج ٤ ٥١	٢٩٥	٦٠٨	٧١٢	ج ٤ ٣٥٥	٥٠٩	ج ٤ ١٨٤	١١٤	ج ٢ ٣٥٧	ابن قتيبة - عيون الأخبار ١٩/٢	ق ش	خ
																الصدوق - معاني الأخبار ص ٢٥٧	ق ش	
٢٣١	من يعط باليد القصيرة يعط باليد...	.	٥٩	٥١٢	٣٥٩	٣٠١	.	.	.	.	.	.	١٨٥	.	.	الأمدي - غرر الحكم ص ٤٠٨	ب ش	
٢٣٢	قوله لابنه الحسن (ع): لا تدعوَن إلى مبارزة وإذا دعيت فاجب	٢٤٤	٦٠	٥١٣	.	٣٠٢	٥٢	٣٩٦	.	.	٣٥٦	.	.	١١٥	٧٥٨	العقد الفريد ١٠٢/١	ق ش	
																ابن عبد البر - بهجة المجالس ٤٦٨/٢	ب ش	
٢٣٣	خيار خصال النساء...	.	٦٥	٥١٦	.	٣٠٣	.	.	.	.	.	.	١٨٦	.	.	أبو طالب المكي - قوت القلوب ٢٥٦/٢	ق ش	خ
																غرر الحكم ص ٣٦٨	ب ش	خ
٢٣٤	قيل له، صف لنا العاقل، فقال: هو الذي يضع الشيء في موضعه	.	٦٦	٥١٧	٣٦٠	٣٠٤	.	.	٦٠٩	.	٣٥٧	٥١٠	.	.	.	غرر الحكم ص ٨٨	ب ش	خ
																المستطرف ٢٥/١	ب ش	
٢٣٥	والله لدنياكم هذه أهون عندي...	.	٦٧	٥١٨	.	٣٠٥	.	.	.	٧١٤	٣٥٨	.	١٨٧	.	٧٥٩	أمالي الصدوق ص ٤٩٨ - ضمن خطبة	ق ش	خ
																	.	
٢٣٦	إن قوما عبدوا الله رغبة...	.	٦٨	.	.	٣٠٦	٥٣	.	.	.	.	.	.	.	.	الكليني - أصول الكافي ٨٤/٢	ق ش	خ
٢٣٧	المرأة شرّ كلّها وشرّ ما فيها...	.	٦٩	٥١٩	٣٦١	٣٠٧	.	.	.	.	٣٥٩	.	١٨٨	.	.	الأمدي - غرر الحكم - ص ٨٧	ب ش	خ
٢٣٨	من أطاع التواني ضيّع الحقوق	٢٤٥	٧٠	٥٢٠	.	٣٠٨	.	٢٩٧	.	.	٣٦٠		.	.	.	الأمدي - غرر الحكم - ص ٢٤٣	ب ش	خ
																الابشيهي - المستطرف ٤٩/٢	ب ش	
٢٣٩	الحجر الغصب في الدار رهن خرابها	.	٧٢	٥٢١	.	٣٠٩	.	.	.	.	٣٦١	.		.	.	قدامة جعفر - نقد النثر - ص ٩٩	ق ش	
																الحصري القيرواني - زهر الآداب ٤٣/١	ب ش	

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
٢٤٠	يوم المظلوم على الظالم أشدّ من...	ج ٣ ٣٤٥	ج ١٩ ٧٤	ج ٥ ٥٢٢	ج ٥ ٣٦٢	ج ٢١ ٣٠٩	ج ٤ ٥٣	٣٩٧	٦١٠	٧١٥	ج ٤ ٣٦١	٥١١	ج ٤ ١٨٩	١١٥	ج ٢ ٣٥٩	الأمدي ـ غرر الحكم ـ ٥٥٢	ب ش	خ
																المستطرف ١٦٣/١	ب ش	
٢٤١	اتق الله بعض التقى وإن قلّ...		٧٥	·	·	٣١٠	٥٤	·	·	·	·	·	·	·	٣٦٠	الزمخشري ـ ربيع الأبرار ٨٢٦/١	ب ش	
٢٤٢	إذا ازدحم الجواب خفي الصواب	·	٧٦	٥٢٣	·	٣١١	·	·	·	·	٣٦٢	·	١٩٠	·	·	الزمخشري ـ ربيع الأبرار ٦٧٥/١	ب ش	
٢٤٣	إن لله تعالى في كل نعمة حقاً...	·	٧٧	·	·	٣١٢	·	·	·	·	·	·	·	·	·	ابن شعبة ـ تحف العقول ص ١٤٦	ق ش	خ
٢٤٤	إذا كثرت المقدرة قلت الشهوة		٧٨	٥٢٤	٣٦٣	-	·	·	·	·	٣٦٣	·	·	·	·	غرر الحكم ـ ص ٢٢١	ب ش	خ
٢٤٥	احذروا نفار النعم...	·	٨٠	٥٢٥	·	٣١٣	·	·	·	·	·	·	·	·	·	الجاحظ ـ المئة المختارة بشرح ميثم ص ١٨٦	ق ش	خ
																الآبي ـ نثر الدر ٣٢٧/١	م ش	
٢٤٦	الكرم أعطف من الرحم	٣٤٦	٨١	٥٢٦	·	٣١٤	·	·	·	·	·	·	١٩١	·	·	الأمدي ـ غرر الحكم ص ٦٥	ب ش	
٢٤٧	من ظنّ بك خيرا فصدّق عليه		٨٢	·	٣٦٤	٣١٥	·	·	·	·	٣٦٤	·	·	·	٣٦١	الأمدي ـ غرر الحكم ـ ص ٤٠٧	ب ش	
٢٤٨	افضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه	·	٨٣	٥٢٧	·	·	·	·	·	٧١٦	·	·	·	·	·	الآبي ـ نثر الدر ـ ٢٩٤/١	م ش	
																تذكرة خواص الأمة ـ ص ١٢٦	ب ش	
٢٤٩	عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم	·	٨٤	·	·	٣١٦	·	·	·	·	·	·	·	·	·	الصدوق ـ التوحيد ـ ص ٢٨٨	ق ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
٢٥٠	مرارة الدنيا حلاوة الآخرة	ج ٣ ٣٤٦	ج ١٩ ٨٥	ج ٥ ٥٢٨	ج ٥ ٣٦٤	ج ٢١ ٣١٧	ج ٤ ٥٥	٣٩٧	٦١١	٧١٦	ج ٤ ٣٦٥	٥١٢	ج ٤ ١٩٢	١١٥	ج ٢ ٣٦١	غرر الحكم ـ ص ٢٦٢ و ٤٨٤	ب ش	خ
٢٥١	فرض الله الإيمان تطهيرا من الشرك...	·	٨٦	·	·	٣١٨	·	·	·	·	·	·	·	·	·	الطبري الامامي ـ دلائل الإمامة ص ٣٤ نسبها للسيدة فاطمة (ع).	ق ش	
																الصدوق ـ علل الشرائع ص ٢٤٨ ـ نسبها للسيدة فاطمة الزهراء (ع)	ق ش	
٢٥٢	أحلفوا الظالم إذا أردتم يمينه...	·	٩١	٥٣٢	٣٦٨	٣٢٣	٥٦	٣٩٨	٦١٢	٧١٧	٣٦٨	·	١٩٥	·	٣٦٢	المسعودي ـ مروج الذهب ٣/٣٥٢، ٣٥٣	ق ش	
																الأصفهاني ـ مقاتل الطالبيين ص ٣٩٩ أورد القسم	ق ش	خ
٢٥٣	يا ابن آدم كن وصي نفسك...	٣٤٧	٩٥	٥٣٤	·	٣٢٤	·	·	·	·	·	·	١٩٧	·	·	الآمدي ـ غرر الحكم ـ ص ٣٧٠	ب ش	خ
٢٥٤	الحدّة ضرب من الجنون...	·	٩٦	·	٣٦٩	٣٢٥	·	·	·	·	٣٦٩	٥١٣	١٩٨	·	·	نصير الدين الطوسي ـ أخلاق محتشمي ص ١٢٠	ب ش	
٢٥٥	صحة الجسد من قلّة الحسد	·	٩٧	٥٣٥	·	٣٢٦	·	·	·	·	·	·	١٩٩	·	·	نصير الدين الطوسي ـ أخلاق محتشمي ص ١٢٤ بزيادة	ب ش	خ
٢٥٦	يا كميل مر أهلك ان يروحوا...	·	٩٩	٥٣٦	·	·	·	·	·	٧١٨	·	·	٢٠٠	·	·	الابشيهي ـ المستطرف ٣٩/٢	ب ش	خ
٢٥٧	إذا أملقتم فتاجروا بالصدقات	·	١٠١	٥٣٧	٣٧٠	٣٢٨	٥٧	·	·	·	٣٧٠	·	٢٠١	·	٣٦٣	الجاحظ ـ المئة المختارة بشرح ميثم ص ١٩٣	ق ش	
٢٥٨	الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله...	·	١٠٢	·	·	٣٢٩	·	·	٦١٣	·	٣٧١	·	·	·	·			
٢٥٩	كم من مستدرج بالإحسان إليه	٣٥٣	١٠٣	٥٣٨	-	-	·	-	·	·	·	·	·	·	·	أشار الرضي إلى أنها مكررة يمكن مراجعة مصادرها		
																في الحكمة رقم ـ ١١٤		

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
٢٦٠	فإذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين...	ج ٣ ٣٥٧	ج ١٩ ١٠٤	ج ٥ ٥٢٨	ج ٥ ٣٧٠	ج ٢١ ٣٣٠	ج ٤ ٥٧	٤٢٩	٦١٣	٧١٩	ج ٤ ٣٧١	٥١٧	ج ٤ ٢٠٣	١١٦	ج ٢ ٣٦٣	الهروي ـ غريب الحديث ٤٤٠/٣ ابن طاووس ـ الملاحم والفتن ص ٨٠ مسندا	ق ش ب ش	 خ
٢٦١	وفي حديثه عليه السلام: هذا الخطيب الشحشح	٠	١٠٦	٥٣٩	٣٧١	٣٣١	٠	٠	٠	٠	٣٧٢	٠	٢٠٤	٠	٣٦٤	الهروي ـ غريب الحديث ٤٤١/٣ البيان والتبيين ٢٧٤/٢	ق ش ق ش	
٢٦٢	إن للخصومة قُحَماً	٠	١٠٧	٥٤٠	٣٧٢	٣٣٣	٠	٠	٦١٤	٠	٠	٠	٢٠٥	٠	٠	الهروي ـ غريب الحديث ٤٥١/٣	ق ش	
٢٦٣	إذا بلغ النساء نصّ الحقاق...	٣٥٨	١٠٨	٥٤١	٣٧٣	٣٣٤	٥٨	٠	٠	٠	٠	٥١٨	٢٠٦	٠	٠	الهروي ـ غريب الحديث ٤٥٦/٣	ق ش	
٢٦٤	إن الإيمان يبدو لمظة في القلب	٣٥٩	١١١	٥٤٣	٠	٣٣٦	٥٩	٤٣٠	٦١٥	٧٢٠	٣٧٣	٠	٢٠٧	٠	٣٦٥	الهروي ـ غريب الحديث ٤٦٠/٣	ق ش	
٢٦٥	إذا كان له الدين الظنون...	٣٦٠	١١٢	٠	٣٧٤	٣٣٧	٠	٠	٠	٠	٠	٥١٩	٢٠٨	٠	٠	الهروي ـ غريب الحديث ٤٦٤/٣	ق ش	
٢٦٦	يقول إذا ودّع جيشا: اعزبوا عن النساء ما استطعتم	٠	١١٤	٥٤٤	٣٧٥	٣٤٠	٦٠	٤٣١	٦١٦	٧٢١	٣٧٤	٠	٢٠٩	٠	٣٦٦	الهروي ـ غريب الحديث ٤٦٧/٣	ق ش	
٢٦٧	كالياسر الفالج الذي ينتظر...	٣٦١	١١٥	٥٤٥	٠	٣٤١	٦١	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	الهروي ـ غريب الحديث ٤٦٨/٣	ق ش	
٢٦٨	كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله (ص)	٠	١١٦	٥٤٦	٠	٣٤٢	٠	٠	٦١٧	٧٢٢	٠	٥٢٠	٢١٠	٠	٣٦٧	الهروي ـ غريب الحديث ٤٧٩/٣	ق ش	
٢٦٩	قوله لأصحابه لما بلغه إغارة معاوية على الأنبار: والله ما تكفونني انفسكم، فكيف...	٣٦٨	١١٥	٤٦٧	٣٧٦	٣٤٤	٦٢	٣٩٩	٦١٨	٧٢٢	٣٧٥	٠	٢١١	٠	٠	الجاحظ ـ البيان والتبيين ٢١١/٣ المفيد ـ الإرشاد ـ ص ١٤٨	ق ش م ش	

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
٢٧٠	من محاورته مع الحارث بن حوط، حول أصحاب الجمل واعتزال بعض الصحابة: يا حارث انك نظرت تحتك	ج ٣ ٣٦٨	ج ١٩ ١٤٧	ج ٥ ٥٦٨	ج ٥ ٣٧٧	ج ٢١ ٣٤٦	ج ٤ ٦٣	٣٩٩	٦١٨	٧٣٣	ج ٤ ٣٧٦	٥٢١	ج ٤ ٢١٢	١١٦	ج ٢ ٣٦٨	البلاذري ـ انساب الأشراف ٢/٢٣٨ قدامة بن جعفر ـ نقد النثر ص ٩٩، ٢٧٠ شواهد منها	ق ش ق ش	خ
٢٧١	صاحب السلطان كراكب الصعبة...	٣٦٩	١٤٩	٥٦٩	٣٧٨	٣٤٨	٠	٤٠٠	٦١٩	٠	٣٧٧	٠	٢١٣	٠	٣٦٩	الآمدي ـ غرر الحكم ص ٣٠٥	ب ش	خ
٢٧٢	احسنوا في عقب غيركم تحفظوا	٠	١٥٢	٥٧١	٠	٠	٠	٠	٠	٧٢٤	٠	٠	٠	٠	٠	ترجمة الإمام علي (ع) من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودي ٣/٢١٤	ب ش	
٢٧٣	إن كلام الحكماء إذا كان صوابا...	٠	١٥٣	٥٧٢	٠	٣٤٩	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢١٤	١١٧	٠	غرر الحكم ـ ص ١٨١	ب ش	خ
٢٧٤	وسأله الرجل أن يعرّف الإيمان فقال: إذا كان الغد فأتني حتى أخبرك على أسماع الناس	٠	١٥٤	٠	٣٧٩	٣٥٠	٦٤	٠	٠	٠	٣٧٨	٥٢٢	٠	٠	٠	راجع الحكمة رقم ـ ٣١ ـ فهي ردّ على ما سأله الرجل		
٢٧٥	يا ابن آدم لا تحمل همّ يومك	٣٧٠	١٥٥	٥٧٣	٠	٣٥٢	٠	٠	٦٢٠	٠	٠	٠	٢١٦	٠	٠	ابن قتيبة ـ عيون الأخبار ٢/٣٧١ المبرد ـ الكامل في الأدب ١/١٥٨	ق ش ق ش	
٢٧٦	احبب حبيبك هونا ما عسى...	٠	١٥٦	٥٧٤	٠	٣٥٣	٠	٠	٠	٠	٣٧٩	٠	٠	٠	٣٧٠	الأخفش الأصغر ـ الاختيارين ـ ص ٢٧٨ ابو طالب المكي ـ قوت القلوب ٢/٢١٥	ق ش ق ش	
٢٧٧	الناس في الدنيا عاملان...	٠	١٥٧		٣٨٠	٣٥٥	٠	٠	٠	٧٢١	٠	٠	٢١٨	٠	٠			
٢٧٨	ما قاله لعمر بن الخطاب في شأن التصرف في حلّي الكعبة: إن القرآن انزل على النبي (ص) والأموال اربعة...	٠	١٥٨	٥٧٥	٣٨١	٣٥٦	٦٥	٠	٠	٠	٣٨٠	٠	٠	٠	٠			
٢٧٩	روى انه رفع إليه رجلان سرقا من مال الله احدهما عبد... والآخر حر...	٣٧١	١٦٠	٥٧٦	٠	٣٥٩	٠	٤٠١	٦٢١	٠	٣٨١	٥٢٣	٢١٩	٠	٢٧١	فروع الكافي ٧/٢٦٤ ـ مسندا بزيادة	ق ش	

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
٢٨٠	لو قد استوت قدماي من هذه المداحظ لغيّرت أشياء...	جـ ٣	جـ ١٩	جـ ٥	جـ ٥	جـ ٢١	جـ ٤				جـ ٤		جـ ٤		جـ ٢	غرر الحكم ـ ص ٣٩١	ب ش	خ
		٢٧٣	١٧٤	٥٨٤	٣٨٧	٣٧١	٦٨	٤٠٢	٦٢٣	٧٢٩	٣٨٧	٥٢٥	٢٢٣	١١٧	٣٧٤			
٢٨١	اعلموا يقينا أن الله لم يجعل للعبد...	.	١٦٢	٥٧٨	.	٣٦١	.	.	.	.	.	.	.	.	.	فروع الكافي ٨١/٥ ضمن خطبة	ق ش	
																ابن شعبة ـ تحف العقول ص ١٠٩ ضمن الخطبة	ق ش	
٢٨٢	لا تجعلوا علمكم جهلا ويقينكم...	.	١٦٤	٥٧٩	٣٨٤	٣٦٤	٦٧	٤٠٢	٦٢٢	٧٢٧	٣٨٤	٥٢٤	٢٢١	.	٣٧٢	ترجمة الإمام علي (ع) من تاريخ ابن عساكر ٢٠٩/٣	ب ش	خ
																ابن هنديل ـ عين الأدب والسياسة ص ٣٦٤	ب ش	خ
٢٨٣	إن الطمع مورد غير مصدر...	٢٧٢	١٦٥	٥٨٠	.	٣٦٥	.	.	.	.	.	.	.	.	.	الميداني ـ مجمع الأمثال ٥٥/٤ جملة منها	ب ش	
																نصير الدين الطوسي ـ أخلاق محتشمي ص ٩٢	ب ش	خ ي
٢٨٤	اللهم إني أعوذ بك من أن تحسّن...	.	١٦٧	٥٨١	٣٨٥	٣٦٦	.	.	.	.	٣٨٥	.	٢٢٢	.	.	العقد الفريد ٢٢٠/٣ نسبة لعلي بن الحسين زين العابدين (ع)	ق ش	خ
٢٨٥	لا والذي أمسينا منه في غير ليلة...	.	١٦٨	.	٣٨٦	٣٦٧	.	.	٦٢٣	٧٢٨	.	٥٢٥	.	.	٣٧٣			
٢٨٦	قليل تدوم عليه أرجى من كثير	.	١٦٩	٥٨٢	.	٣٦٨	٦٨	.	.	.	٣٨٦	.	.	.	.	غرر الحكم ـ ص ٣٥٢	ب ش	خ
																المستطرف ٤٨/٢	ب ش	
٢٨٧	إذا أضرت النوافل بالفرائض..	.	١٧٠	.	.	.	.	.		.	.	.	٢٢٣	.	.	تحمل معنى الحكمة رقم ٣٩		
																ابن شعبة ـ تحف العقول ص ١٧٠ نسبها للحسن (ع)	ق ش	
٢٨٨	من تذكر بعد السفر استعد...	.	١٧١	٥٨٣	.	٣٦٩	.	.		.	.	.	.	.	.	ابن شعبة ـ تحف العقول ص ١٧٠ نسبها للإمام الحسن بن علي (ع)	ق ش	
																غرر الحكم ـ ص ٤٢٢	ب ش	
٢٨٩	ليست الرؤية مع الأبصار...	.	١٧٢	٥٨٤	.	٣٧٠	.	.	.	.	.	.	.	.	.			

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
٢٩٠	بينكم وبين الموعظة حجاب	ج ٣ ٣٧٣	ج ١٩ ١٧٤	ج ٥ ٥٨٤	ج ٥ ٣٨٧	ج ٢١ ٣٧١	ج ٤ ٦٨	٤٠٢	٦٢٣	٧٢٩	ج ٤ ٣٨٧	٥٢٥	ج ٤ ٢٢٣	١١٧	ج ٢ ٣٧٤	تحف العقول - ص ١٧٠، نسبة للحسن بن علي (ع)	ق ش	
٢٩١	جاهلكم مزداد وعالمكم...	٠	١٧٥	٥٨٥	٠	٣٧٢	٠	٠	٠	٠	٣٨٨	٠	٠	٠	٠			
٢٩٢	قطع العلم عذر المتعلمين	٠	١٧٦	٠	٠	٠	٠	٠	٦٢٤	٠	٠	٠	٢٢٤	٠	٠	غرر الحكم ص ٣٥٢	ب ش	
٢٩٣	كل معاجل يسأل الأنظار...	٠	١٧٧	٥٨٦	٠	٣٧٣	٦٩	٤٠٣	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	غرر الحكم ص ٣٥٨	ب ش	
٢٩٤	ما قال الناس لشيء طوبى...	٠	١٧٨	٥٨٧	٣٨٨	٣٧٤	٠	٠	٠	٠	٣٨٩	٥٢٦	٠	٠	٠	الزمخشري - ربيع الأبرار ٥٦١/١	ب ش	
٢٩٥	قال وقد سئل عن القدر: طريق مظلم فلا تسلكوه...	٠	١٨١	٥٨٨	٠	٣٧٥	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢٢٥	٠	٠	ترجمة الإمام علي (ع) من تاريخ ابن عساكر٣/٢٢٢ تحقيق المحمودي دستور معالم الحكم ص ٨٨	ب ش ب ش	خ خ
٢٩٦	إذا أرذل الله عبدا حظر عليه العلم	٠	١٨٢	٥٨٩	٣٨٩	٣٧٦	٠	٠	٠	٧٣٠	٣٩٠	٠	٢٦٦	٠	٠	غرر الحكم ص ٢٢٥	ب ش	
٢٩٧	كان لي فيما مضى أخ في الله...	٣٧٨	١٨٣	٥٩٠	٠	٣٧٧	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٣٧٥	ابن قتيبة - عيون الأخبار ٢٥٥/٢ نسبها للحسن بن علي (ع) تحف العقول ص ١٦٩ نسبها للحسن بن علي (ع)	ق ش ق ش	خ خ
٢٩٨	لو لم يتوعد الله سبحانه على معصيته...	٣٧٩	١٩١	٥٩٥	٣٩١	٣٨١	٧٠	٠	٦٢٥	٧٣١	٣٩٢	٥٢٧	٢٢٩	١١٨	٠	غرر الحكم ص ٣٩٢	ب ش	خ
٢٩٩	من تعزيته للأشعث في ولده: يا أشعث إن تحزن على ابنك...	٣٨٠	١٩٢	٥٩٦	٠	٣٨٢	٠	٠	٠	٠	٣٩٣	٠	٢٣٠	٠	٠	المبرد - الكامل في الأدب ٤/٢ العقد الفريد	ق ش ق ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
٣٠٠	قوله عند وقوفه على قبر رسول الله (ص): إن الصبر لجميل إلاّ منك...	ج ٣ ٣٨٠	ج ١٩ ١٩٥	ج ٥ ٥٩٨	ج ٥ ٣٩٣	ج ٢١ ٣٨٤	ج ٤ ٧١	٤٠٤	٦٢٥	٧٣١	ج ٤ ٣٩٤	٥٢٧	ج ٤ ٣٣١	١١٨	ج ٢ ٣٧٦	القضاعي ـ دستور معالم الحكم ص ١٥٧ بما يناسبه مع شعر مسند	ب ش	خ
																تذكرة الخواص ص ١٥٣ عن الشعبي بما يناسبه مع شعر	ب ش	خ
٣٠١	لا تصحب المائق فإنه يزّين لك فعله...		١٩٨	٦٠٠	·	٣٨٥	·	·	٦٣٦	·	·	·	٣٣٣	·	·	ابن قتيبة ـ عيون الأخبار ٧٩/٣	ق ش	خ
																تُحف العقول، ص ١٤٥ بزيادة	ق ش	خ
٣٠٢	سُئل عن مسافة ما بين المشرق والمغرب فقال: مسيرة يوم للشمس		١٩٩	٦٠١	٣٩٤	٣٨٦	·	·	·	٧٣٢	٣٩٥	·	·	·	·	البيان والتبيين ٢٧٤/٣	ق ش	
																العقد الفريد ٢٦٨/٢	ق ش	
٣٠٣	أصدقاؤك ثلاثة...		٢٠٠		·	٣٨٧	·	·	·	·	·	·	٣٣٤	·	·	العقد الفريد ٢٠٦/٢ بما يناسب معناه	ق ش	
																ربيع الأبرار ٤٩٣/١	ب ش	
٣٠٤	وقال لرجل رآه يسعى على عدو له بما فيه إضرار بنفسه: إنما أنت كالطاعن نفسه...	·	٢٠٢	٦٠٢	·	٣٨٨	٧٢	·	·	·	٣٩٦	٥٢٨	·	·	٣٧٧	تاريخ الطبري ٢٧٧/٤	ق ش	
٣٠٥	ما أكثر العبر وأقل الاعتبار	·	٢٠٣	٦٠٣	·	٣٨٩	·	·	·	·	·	·	٣٣٥	·	·	الآبي ـ نثر الدر ٣٠٧/١	م ش	خ
																سبط بن الجوزي ـ تذكرة الخواص ص ١٢٧	ب ش	خ
٣٠٦	من بالغ في الخصومة أثم	٣٨١	٢٠٤	·	٣٩٥	·	·	·	·	·	٣٩٧	·	·	·	·	المفيد ـ الإرشاد ص ١٥٨	م ش	خ
																الميداني ـ مجمع الأمثال ٥٣/٤	ب ش	خ
٣٠٧	ما أهمني أمر أمهلت بعده حتى...		٢٠٥	٦٠٤	·	٣٩٠	·	·	·	·	·	·	·	·	·	غرر الحكم ـ ص ٤٧٧	ب ش	خ
٣٠٨	قد سئل: كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم، فقال: كما يرزقهم على كثرتهم...	·	٢٠٦	٦٠٥	·	·	·	·	٦٢٧	·	٣٩٨	·	٣٣٦	·	·	العقد الفريد ٢٠٦/٤	ق ش	خ
																أمالي المرتضى ١٤٩/١ ـ بزيادة	م ش	
٣٠٩	رسولك ترجمان عقلك	·	٢٠٧		٣٩٦	٣٩٢	·	٤٠٥	·	٧٣٣	·	·	·	·		دستور معالم الحكم ص ٢٠	ب ش	

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
٣١٠	ما المبتلي الذي قد اشتد به البلاء بأحوج...	جـ ٣ ٣٨١	جـ ١٩ ٢٠٨	جـ ٥ ٦٠٦	جـ ٥ ٣٩٦	جـ ٢١ ٣٩٣	جـ ٤ ٧٣	٤٠٥	٦٢٧	٧٣٣	جـ ٤ ٣٩٨	٥٢٨	جـ ٤ ٣٣٧	١١٨	جـ ٢ ٣٧٧	الابشيهي ـ المستطرف ١٠/٢	ب ش	
٣١١	الناس أبناء الدنيا ولا يلام الرجل...	ـ	٣٠٩	٦٠٦	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	٣٩٩	٥٢٩	٣٣٧	ـ	٣٧٨	الآبي ـ نثر الدر ٢٨٤/١	م ش	خ
																الثعالبي ـ التمثيل والمحاضرة ـ ص ٢٥٠	م ش	خ
٣١٢	إن المسكين رسول الله (ص)، فمن منعه...	ـ	٢١٠	٦٠٧	ـ	٣٩٤	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	٣٣٨	ـ	ـ	دعائم الإسلام ٢٤٢/١ للرسول (ص) برواية علي (ع)	ق ش	خ
٣١٣	ما زنى غيور قط	ـ	٢١١	٦٠٨	٣٩٧	٣٩٥	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	٣٣٩	ـ	ـ	مجمع الأمثال ٢٩٦/٣ رواها لبعض حكماء العرب	ب ش	خ
																غرر الحكم ص ٤٦٩	ب ش	
٣١٤	كفى بالأجل حارساً...	٢٨٢	٢١٢	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	٤٠٠	ـ	ـ	ـ	ـ	الصدوق ـ التوحيد ص ٣٧٩	ق ش	خ
																الآبي ـ نثر الدر ـ ٣٢٧/١	م ش	
٣١٥	ينام الرجل على الثكل ولا ينام على...	ـ	٢١٣	٦٠٩	ـ	٣٩٦	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	٢٤٠	ـ	ـ	مجمع الأمثال ٥٤/٤	ب ش	
٣١٦	مودة الآباء قرابة بين الأبناء	ـ	٢١٤	٦٠٩	ـ	٣٩٦	ـ	ـ	٦٢٨	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ			
٣١٧	اتقوا ظنون المؤمن...	ـ	٢١٥	٦١٠	٣٩٨	٣٩٧	ـ	ـ	ـ	٧٣٤	٤٠١	ـ	ـ	ـ	ـ	غرر الحكم ص ١٢٥	ب ش	خ
٣١٨	لا يصدق إيمان عبد حتى...	ـ	٢١٦	ـ	ـ	٣٩٨	٧٤	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	٢٤١	ـ	ـ	المسعودي ـ مروج الذهب ٤٣٥/٢	ق ش	خ
٣١٩	قوله لأنس بن مالك وقد بعثه لطلحة: إذا كنت كاذباً فضربك الله بها...	ـ	٢١٧	٦١١	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	٤٠٢	٥٣٠	٢٤٢	ـ	٣٧٩	ابن قتيبة ـ المعارف ص ٥٨٠	ق ش	
																محاضرات الأدباء ٢٩٣/٢	ب ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
٢٢٠	إن للقلوب إقبالا وإدبار...	ج ٣	ج ١٩	ج ٥	ج ٥	ج ٢١	ج ٤				ج ٤		ج ٤		ج ٢	أنساب الأشراف ١١٥/٢	ق ش	
		٢٨٣	٢١٩	٦١٢	٢٩٩	٤٠٠	٧٤	٤٠٦	٦٢٩	٧٣٤	٤٠٣	٥٣٠	٢٤٣	١١٨	٣٧٩			
٢٢١	في القرآن نبأ ما قبلكم...	.	٢٢٠	.	.	٤٠١	.	.	.	٧٣٥	٤٠٤	.	.	.	.	قوت القلوب ٤٨/١ نسبها للنبي (ص) عن علي (ع)	ق ش	
٢٢٢	ردّ والحجر من حيث جاء...	.	٢٢١	٦١٣	.	.	٧٥	.	.	.		.	٢٤٤	.	.	الزمخشري ـ ربيع الأبرار ٦٠٣/١	ب ش	خ
٢٢٣	قوله لكاتبه عبدالله بن ابي رافع: الق دواتك...	.	٢٢٢	٦١٤	٤٠٠	٤٠٢	.	.	.	.	.	.	٢٤٥	.	.	الجهشياري ـ الوزراء والكتاب ص ٢٣	ق ش	
																ابن عبدالبر ـ بهجة المجالس ٣٥٦/١	ب ش	
٢٢٤	أنا يعسوب المؤمنين والمال...	.	٢٢٤	.	.	٤٠٣	.	.	.	.	٤٠٥	.	.	.	٢٨٠	الصدوق ـ معاني الأخبار ص ٣١٤	ق ش	خ
																ابن الأثير ـ النهاية في غريب الحديث ٢٩٨/٥	ب ش	
٢٢٥	قوله لبعض اليهود في الاختلاف: إنما اختلفنا عنه لا فيه، ولكنكم ما جفت أرجلكم من البحر...	.	٢٢٥	٦١٥	٤٠١	٤٠٤	.	.	٦٣٠	.	.	٥٣١	٢٤٦	.	.	أمالي المرتضى ٢٧٤/١	م ش	خ
																السكوني ـ عيون المناظرات ص ١٨٧	ب ش	خ
٢٢٦	قيل له بأي شيء غلبت القرآن؟ قال: ما لقيت رجلا إلاّ أعانني على نفسه	.	٢٣٦	٦١٦	.	٤٠٥	.	.	.	٧٣٦	٤٠٦	.	٢٤٨	١١٩	.	الأبي ـ نثر الدر ٢٩١/١	م ش	
																الابشيهي ـ المستطرف ٢١٦/١	ب ش	خ
٢٢٧	قال لابنه محمد بن الحنفية: يا بني إني اخاف عليك الفقر...	٢٨٢	٢٢٧	.	.	٤٠٦	٧٦	٤٠٧	.	.	٤٠٧	.	.	.	.	الآمدي ـ غرر الحكم ص ١٧٥	ب ش	خ
٢٢٨	قال لسائل سأله: سل تفقها ولا تسل تعنتا...	.	٢٣٢	٦٢٠	٤٠٢	٤٠٧	.	.	.	.	.	.	.	.	٣٨١	قدامة بن جعفر ـ نقد النثر ـ ص ١١٩	ق ش	
																التلمساني ـ الجوهرة ـ ص ٧٤	ب ش	خ
٢٢٩	قال لعبدالله بن عباس وقد اشار عليه: لك ان تشهر عليّ وارى...	.	٢٣٣	.	.	٤٠٨	.	.	.	.	.	.	٢٤٩	.	.	تاريخ الطبري ٤٤١/٤	ق ش	

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	الفرق
٣٣٠	قوله لما سمع بكاء النساء بعد عودته من صفين: أتغلبكم نساؤكم على ما أسمع...	ج ٣ ٢٨٢	ج ١٩ ٣٣٤	ج ٥ ٦٢١	ج ٥ ٤٠٣	ج ٢١ ٤١٠	ج ٤ ٧٦	٤٠٧	٦٣١	٧٣٧	ج ٤ ٤٠٨	٥٣٢	ج ٤ ٢٤٩	١١٩	ج ٢ ٢٨١	ابن مزاحم - صفين - ص ٥٣١	ق ش	
٣٣١	قوله عند مروره بقتلى الخوارج: بؤساً لكم، لقد ضركم من غركم...	-	٣٣٥	٦٢٢	-	٤١١	٧٧	-	-	-	٤٠٩	-	٢٥٠	-	-	تاريخ الطبري ٥/٨٨ المسعودي - مروج الذهب ٢/٤١٨	ق ش ق ش	 خ
٣٣٢	اتقوا معاصي الله في الخلوات...	٢٩٤	٣٣٦	-	٤٠٤	٤١٢	-	٤٠٨	-	-	-	-	-	-	٣٨٢	ربيع الأبرار ١/٨٣٦	ب ش	
٣٣٣	قوله لما بلغه مقتل محمد بن أبي بكر: إن حزننا عليه على قدر سرورهم به...		٣٣٧	٦٢٣	-	٤١٣	-	-	-	٧٣٨	٤١٠	-	-	-	-	الزبير بن بكار - الأخبار الموفقيات ص ٣٤٧ تاريخ الطبري ٥/١٠٨	ق ش ق ش	
٣٣٤	العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم		٣٣٨	-	-	٤١٤	-	-	-	-	-	-	٢٥١	-	-	الآمدي - غرر الحكم ص ٩٣	ب ش	خ
٣٣٥	ما ظفر من ظفر الإثم به	٢٩٥	٣٣٩	٦٢٤	٤٠٥	-	٧٨	-	٦٣٢	-	-	٥٣٣	-	-	-	قدامة بن جعفر - نقد النثر ص ٩٩ الحصري القيرواني - زهر الآداب ١/٤٣	ق ش ب ش	
٣٣٦	إن الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء...	-	٣٤٠	-	-	٤١٥	-	-	-	-	٤١١	-	-	-	-	القاضي النعمان - دعائم الإسلام ١/٢٤٥ الأبي - نثر الدر ١/٣٧٦	ق ش م ش	خ خ
٣٣٧	الاستغناء عن العذر أعز من...	-	٣٤١	٦٢٥	-	٤١٦	-	-	-	-	٤١٢	-	٢٥٢	-	٣٨٣			
٣٣٨	أقل ما يلزم لله سبحانه...	-	٣٤٢	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	الآمدي - غرر الحكم ص ١٧١	ب ش	
٣٣٩	إن لله سبحانه جعل الطاعة...	-	٣٤٣	٦٢٦	٤٠٦	٤١٧	-	-	-	٧٣٩	-	-	-	-	-	غرر الحكم - ص ٨١		

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
٣٤٠	السلطان وزعة الله في الأرض	ج ٣ ٣٩٥	ج ١٩ ٢٤٤	ج ٥ ٦٢٦	ج ٥ ٤٠٦	ج ٣١ ٤١٥	ج ٤ ٧٨	٤٠٨	٦٣٣	٧٣٩	ج ٤ ٤١٣	٥٣٣	ج ٤ ٢٥٣	١١٩	ج ٢ ٢٨٣	ابن مزاحم ـ صفين ص ١٢٦	ق ش	خ
٣٤١	قال في صفة المؤمن: بشره في وجهه وحزنه في قلبه...	-	٢٤٥	٦٢٧	-	٤١٩	-	-	٦٣٣	-	-	-	-	-	-	أصول الكافي ٢/٢٢٦ من خطبة طويلة سبط ابن الجوزي ـ تذكرة الخواص، ص ١٢٩ مسندة	ق ش ب ش	خ
٣٤٢	لو رأى العبد الأجل ومسيره...	-	٢٥٠	٦٣٠	-	٤٢٠	٧٩	٤٠٩	-	٧٤٠	٤١٤	٥٣٤	٢٥٤	-	٢٨٤	المفيد ـ الإرشاد ـ ص ١٥٨	م ش	خ
٣٤٣	لكل امرئ في ماله شريكان...	٣٩٦	٢٥١	-	-	٤٢١	-	-	-	-	-	-	٢٥٥	-	-	ابن هذيل ـ عين الأدب والسياسة ص ١٧	ب ش	خ
٣٤٤	الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر	-	٢٥٢	٦٣١	-	٤٢٢	-	-	-	-	٤١٥	-	-		-	ابن شعبة ـ تحف العقول ص ١٥٨ القضاعي ـ دستور معالم الحكم ـ ص ٢٦	ق ش ب ش	خ
٣٤٥	العلم علمان: علم مطبوع ومسموع	-	٢٥٣	-	-		-	-	٦٣٤	-	-	-	-	-	-			
٣٤٦	صواب الرأي بالدول...	-	٢٥٤	٦٣٢	٤٠٩	٤٢٤	-	-	-	-	-	-	٢٥٧	-	-	الميداني ـ مجمع الأمثال ٤/٥١	ب ش	خ ى
٣٤٧	العفاف زينة الفقر...	-	٢٥٥	٦٣٣	-	٤٢٥	-	-	-	-	٤١٦	-	-	-	-	هذه الحكمة تكرار للحكمة ٦٦ فراجع مصادرها . إضافة إلى ذلك فقد أورد المفيد ـ الإرشاد ص ١٥٨ جزءا منها	م ش	خ
٣٤٨	يوم العدل على الظالم...	-	٢٥٦	-	-	-	-	-	-	-	-	-	٢٥٨	-	-	غرر الحكم ـ ص ٥٥٢	ب ش	خ
٣٤٩	الأقاويل محفوظة والسرائر مبلوّة	-	٢٥٧	٦٣٤	٤١٠	٤٢٦	-	-		٧٤١		٥٣٥	٢٥٩	-	-	غرر الحكم ـ ص ١٠٣	ب ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
٢٥٠	معاشر الناس اتقوا الله...	ج ٢ ٣٩٧	ج ١٩ ٢٥٩	ج ٥ ٦٣٥	ج ٥ ٤١٠	ج ٢١ ٤٢٦	ج ٤ ٨٠	٤١٠	٦٣٥	٧٤١	ج ٤ ٤١٧	٥٣٥	ج ٤ ٢٥٩	١١٩	ج ٢ ٣٨٥	سبط بن الجوزي - تذكرة الخواص ص ١٢٧	ب ش	خ
٢٥١	من العصمة تعذر المعاصي...	-	٣٦٠	-	٤١١	٤٣٩	٨١		-	-	٤١٨	-	٢٦٠	-	-	غرر الحكم ص ٥٦٣	ب ش	
٢٥٢	ماء وجهك جامد يقطره السؤال...	-	٢٦١	٦٣٦	-	٤٣٠	-	-	-	-	-	-	-	-	-	الطوسي - أخلاق محتشمي - ص ١٣٦ ورد ما يفيد معناها	ب ش	خ
٢٥٣	الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق		٢٦٢	٦٣٧	٤١٢	-	-	-	-	٧٤٢	-	-	٢٦١	-	-	الراغب الأصفهاني - محاضرات الأدباء ٣٧٧/١	ب ش	
٢٥٤	أشد الذنوب ما استهان به صاحبه	-	٢٦٣	-	-	٤٣١	-	-	-	-	٤١٩	-	-	-	-	الآبي - نثر الدر ٣٢٥/١	م ش	خ
																الزمخشري - ربيع الأبرار ٧٤٤/١	ب ش	خ
٢٥٥	من نظر في عيب نفسه...		٢٦٤	٦٣٨	-	٤٣٢	-	-	-	-	-	٥٣٦	-	-	-	قدامة بن جعفر - نقد النثر ص ١٣، جملة واحدة	ق ش	خ
																وراجع مصادر الرسالة رقم - ٣١ - وصيته لابنه الحسن (ع)		
٢٥٦	للظالم من الرجال ثلاث علامات...	٣٩٨	٢٦٦	٦٣٩	٤١٤	٤٣٤	٨٢	-	٦٣٦	-	٤٢١	-	٢٦٢	١٢٠	٢٨٦			
٢٥٧	عند تناهي الشدة تكون الفرجة	-	٢٦٧	٦٤٠	٤١٥	٤٣٥	-	-	-	٧٤٣	-	-	٢٦٣	-	-	التنوخي - الفرج بعد الشدة ٤٣/١ .	ق ش	خ
٢٥٨	قال لكميل ابن زياد النخعي: لا تجعلن أكثر شغلك بأهلك...	-	٢٦٨	-	-	-	-	٤١١	-	-	-	-	-	-	-	الآمدي - غرر الحكم - ص ٥٢١	ب ش	خ
٢٥٩	أكبر العيب أن تعيب ما فيك...		٢٦٩	٦٤١	-	٤٣٧	-	-	-	-	٤٢٢	-	٢٦٤	-	-	غرر الحكم - ص ١٦١	ب ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
٣٦٠	هنأ بحضرته رجل رجلا بغلام ولد له... فقال: ليهنك الفارس، فقال (ع): لا تقل ذلك ولكن قل: شكرت...	جـ ٣ ٣٩٨	جـ ١٩ ٢٧٠	جـ ٥ ٦٤١	جـ ٥ ٤١٥	جـ ٢١ ٤٣٧	جـ ٤ ٨٢	٤١١	٦٣٦	٧٤٣	جـ ٤ ٤٢٢	٥٣٧	جـ ٤ ٢٦٤	١٢٠	جـ ٢ ٣٨٦	العقد الفريد ٥/١٠٢	ق ش	
٣٦١	وبنى رجل من عماله بناء فخما، فقال: أطْلَعَتْ الوَرِقُ رؤوسها، إن البناء...	-	٢٧١	٦٤٢	٤١٦	٤٣٨	-	-	-	-	-	-	-	-	٢٨٧	ربيع الأبرار ١/٣٦٢	ب ش	خ
٣٦٢	وسئل (ع)، لو سدّ على رجل باب بيته... من أن يأتيه رزقه؟ فقال: من حيث يأتيه اجله	-	٢٧٢	٦٤٣	-	-	٨٣	-	٦٣٧	-	٤٢٣	-	٢٦٥	-	-			
٣٦٣	وعزّى قوما عن ميّت، فقال: إن هذا الأمر ليس لكم بدأ...	٣٩٩	٢٧٤	٦٤٤	-	٤٣٩	-	-	-	-	-	-	-	-	-	غرر الحكم ـ ص ١٧٩	ب ش	
٣٦٤	ايها الناس ليركم الله من النعمة وجلين كما...	-	٢٧٥	-	٤١٧	٤٤٠	-	-	-	٧٤٤	٤٢٤	-	-	-	-			
٣٦٥	يا اسري الرغبة اقصروا...	-	٣٧٦	٦٤٥	-	٤٤١	٨٤	-	-	-	-	-	-	-	٣٨٨	الآبي ـ نثر الدر ١/٣٢٧	م ش	
٣٦٦	لا تظنن بكلمة خرجت من احد سوء وانت تجد لها في الخير محتملا	-	٢٧٧	-	٤١٨	٤٤٣	-	٤١٢	٦٣٨	٧٤٥	٤٢٥	٥٣٨	٢٦٦	-	-	اصول الكافي ٢/٣٦٢ بزيادة	ق ش	
٣٦٧	إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجة فابدأ...	-	٢٧٩	٦٤٦	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	غرر الحكم ص ٢٢٨	ب ش	
٣٦٨	من ضنّ بعرضه فليدع المراء	-	٢٨٠	٦٤٧	-	-	-	-	-	-	٤٢٦	-	٢٦٧	-	-	-		
٣٦٩	من الخرق المعاجلة قبل الإمكان	٤٠٤	٢٨١	-	٤١٩	٤٤٤	-	-	-	-	-	-	-	-	-	الميداني ـ مجمع الأمثال ٤/٥٤	ب ش	

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات: الزمن	ملاحظات: الفرق
٣٧٠	لا تسأل عمّا يكون فقي الذي قد كان...	جـ ٣ ٤٠٤	جـ ١٩ ٢٨٢	جـ ٥ ٦٤٨	جـ ٥ ٤١٩	جـ ٢١ ٤٤٥	جـ ٤ ٨٥	٤١٢	٦٣٨	٧٤٥	جـ ٤ ٤٢٦	٥٢٨	جـ ٤ ٢٦٧	١٢٠	جـ ٢ ٣٨٨	الأمدي غرر الحكم ص ٥١٤	ب ش	خ
٣٧١	الفكر مرآة صافية...	·	٢٨٣	·	·	٤٤٦	·	·	·	·	·	·	·	·	·	ابن شعبة ـ تحف العقول ص ١٤٣ ذكر الجملتين الأولى والثانية	ق ش	خ
٣٧٢	العلم مقرون بالعمل، فمن علم عمل...	·	٢٨٤	٦٤٩	٤٢٠	٤٤٧	·	·	٦٣٩	·	٤٢٧	٥٣٩	٢٦٨	·	٣٨٩	أصول الكافي ١/٤٤ رواها عن الإمام جعفر الصادق	ق ش	
٣٧٣	أيها الناس متاع الدنيا حطام موبيء	·	٢٨٥	٦٤٩	٤٢١	٤٤٨	·	·	·	٧٤٦	٤٢٨	·	٢٦٩	·	·	ابن شعبة ـ تحف العقول ص ١٥٨ بزيادة	ق ش	خ
٣٧٤	إن الله سبحانه وضع الثواب...	٤٠٥	٢٩٨	٦٥٨	٤٢٣	٤٥١	٨٦	٤١٣	٦٤٠	٧٤٧	٤٣٠	·	·	·	٣٩٠	غرر الحكم ـ ص ١٧٩	ب ش	خ
٣٧٥	يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه من القرآن...		٢٩٩	·	·	٤٥٢	٨٧	·	·	٧٤٨	٤٣٢	٥٤٠	·	·	·	الفروع من الكافي ٣٠٨/٨	ق ش	
٣٧٦	روى أنه ما اعتدل على المنبر إلاّ قال أمام الخطبة: أيها الناس اتقوا الله فما خلق امرؤ عبثاً...	٤٠٦	٣٠٠	٦٥٩	٤٢٤	٤٥٤	·		·	٧٤٧	٤٣٠	·	٢٧٠	·	·	الباقلاني ـ إعجاز القرآن ص ١٤٦	ق ش	خ
																القضاعي ـ دستور معالم الحكم ص ٤٤	ب ش	خ
٣٧٧	لا شرف أعلى من الإسلام ولا عزّ أعزّ من التقوى	·	٣٠١	٦٦٠	٤٢٥	٤٥٦	·	·	٦٤١	·	٤٣١	·	٢٧١	١٢١	·	الجاحظ ـ المئة المختارة بشرح ميثم ص ١٠٩، ١١١، ١٩٧	ق ش	خ
																الكليني ـ فروع الكافي ١٩/٨ ـ ضمن خطبة	ق ش	
٣٧٨	قال لجابر الأنصاري: يا جابر قوام الدنيا أربعة...	٤٠٧	٣٠٣	٦٦١	٤٢٦	٤٥٨	٨٨	٤١٤	·	٧٤٨	٤٣٣	٥٤١	٢٧٢	·	٣٩١	ابن شعبة ـ تحف العقول ص ١٥٩	ق ش	خ
																مسكويه ـ الحكمة الخالدة ص ١١٠	ب ش	
٣٧٩	وروى... الطبري في تاريخه... سمعت علياً (ع) يقول، يوم لقينا أهل الشام: أيها المؤمنون أنه من رأى عدو وأنا...	٤١٠	٣٠٥	٦٦٢	٤٢٨	٤٦١	·	·	٦٤٢	٧٤٩	٤٣٤	·	٢٧٤	·		ذكر الرضي المصدر وهو تاريخ الطبري ٣٥٧/٦	ق ش	

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
٢٨٠	فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه	جـ ٣	جـ ١٩	جـ ٥	جـ ٥	جـ ٢١	جـ ٤				جـ ٤		جـ ٤		جـ ٢	الإمام الرضا ـ الفقه المنسوب للإمام الرضا ص ٢٧٥	ق ش	خ
		٤١١	٣٠٦	٦٦٣	٤٢٩	٤٦٣	٨٩	٤١٤	٦٤٢	٧٤٩	٤٣٥	٥٤٢	٢٧٥	١٢١	٢٩٢	أبو طالب المكي ـ قوت القلوب ١٨٧/١ أورد بعضه	ق ش	خ
٢٨١	عن أبي جحيفة، قال: سمعت أمير المؤمنين: إن أول ما تغلبون عليه من الجهاد...	٤١٢	٣١٢	٣٦٧	٤٣٠	٤٦٥	٩٠	٤١٥	٦٤٣	٧٥٠	٤٣٨	·	٢٧٦	·	·	القضاعي ـ دستور معالم الحكم ص ٣٦	ب ش	خ
																الغزالي ـ إحياء علوم الدين ٣٠٨/٢	ب ش	
٢٨٢	إن الحق ثقيل مريء...	٤١٣	٣١٣	٣٦٨	٤٣١	٤٦٦	·	·	·	·	٤٣٩	·	٢٧٧	·	·	ابن أعثم الكوفي ـ الفتوح ٣٩٥/١	ق ش	
٢٨٣	لا تأمنن على خير هذه الأمة...	·	٣١٤	·	·	٤٦٧	·	·	·	·	·	·	·	·	٢٩٣	أسامة بن منقذ ـ لباب الأدب ص ٢٩٣	ب ش	خ
٢٨٤	البخل جامع المساوئ والعيوب		٣١٦	٣٦٩	·	٤٦٨	·	·	·	٧٥١	٤٤٠	٥٤٣	٢٧٨	·	·	الجاحظ ـ المئة المختارة بشرح ميثم ص ١٢٤	ق ش	
٢٨٥	يا ابن آدم الرزق رزقان...	·	٣١٩	٦٧٢	٤٣٢	٤٦٩	٩١	·	٦٤٤	·	·	·	·	·	·	ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ١٥٧/٣	ق ش	خ
																أبو طالب المكي ـ قوت القلوب ٧٦/١	ق ش	
٢٨٦	ربّ مستقبل يوماً ليس بمستدبره...	·	٣٢١	٦٧٣	٤٣٣	٤٧٠	·	·	·	·	٤٤٢	·	٢٧٩	·	·	الصدوق ـ من لا يحضره الفقيه ٢٨٤/٤ من ضمن وصيته لابنه محمد بن الحنفية	ق ش	
٢٨٧	الكلام في وثاقك ما لم تتكلم...	٤١٤	٣٢٢	·	·	٤٧١	·	٤١٦	·	·	·	·	·			من لا يحضره الفقيه ٢٨٥/٤ من وصيته لمحمد بن الحنفية	ق ش	
																بهجة المجالس ٧٩/١ نسبها الأصمعي إلى أعرابي	ب ش	
٢٨٨	لا تقل ما لا تعلم بل لا تقل كل ما تعلم	·	٣٢٣	٦٧٤	٤٣٤	٤٧٢		·	·	٧٥٢	·	٥٤٤	·	·	٣٩٤	من لا يحضره الفقيه ٣٩٩/٢ لابنه محمد بن الحنفية	ق ش	
٢٨٩	احذر أن يراك الله عند معصية	·	٣٢٤	٦٧٥	·	٤٧٣	٩٢	·	٦٤٥	·	٤٤٣	·	٢٨٠			دستور معالم الحكم ص ٢٤	ب ش	
																غرر الحكم ص ١٣٨	ب ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
٣٩٠	الركون إلى الدنيا مع ما تعاين...	ج ٣ ٤١٤	ج ١٩ ٣٢٥	ج ٥ ٦٧٥	ج ٥ ٤٣٤	ج ٢١ ٤٧٣	ج ٤ ٩٢	٤١٦	٦٤٥	٧٥٢	ج ٤ ٤٤٤	٥٤٤	ج ٤ ٢٨٠	١٢١	ج ٣٩٤			
٣٩١	من هوان الدنيا على الله انه...	-	٣٢٦	٦٧٦	٤٣٥	-	.	.	.	.	.	.	.	.	.	غرر الحكم ص ٤٦٥	ب ش	خ
٣٩٢	من ابطأ به عمله لم يسرع...	-	٣٣١	٦٧٩	-	-	-	.	٦٤٦	-	-	٥٤٥	-	.	.	راجع مصادر الحكمة رقم ٢٣ ـ فهي مكرورة		
٣٩٣	من طلب شيئا ناله أو بعضه	٤٤٣	٣٣٤	٦٨١	.	٤٧٥	.	.	٦٤٥	٧٥٢	.	٥٤٤	٢٨٠	.	٣٩٥	دستور معالم الحكم ص ٢٨	ب ش	
																مجمع الأمثال ٥٤/٤	ب ش	
٣٩٤	ما خير بخير بعده النار...	.	٣٣٥	.	.	٤٧٦	.	.	.	٧٥٣	٤٤٥	.	٢٨١	.	.	فروع الكافي ٢٤/٨	ق ش	
																الصدوق ـ التوحيد ص ٧٤	ق ش	
٣٩٥	الا وإن من البلاء الفاقة	.	٣٣٧	٦٨٢	٤٣٦	٤٧٧	٩٣	.	.	.	.	.	.	.	.			
٣٩٦	للمؤمن ثلاث ساعات...	٤١٥	٣٣٨	٦٨٣	.	٤٧٨		٤١٧	٦٤٦	.	٤٤٦	٥٤٥	٢٨٢	١٢٢	.	ابن شعبة ـ تحف العقول ص ١٤٤	ق ش	
٣٩٧	أزهد في الدنيا يبصرك الله	.	٣٣٩	.	٤٣٧	٤٧٩	.	.	.	.	٤٤٧	.	.	.	.			
٣٩٨	تكلموا تعرفوا فإن المرء مخبوء تحت لسانه...	.	٣٤٠	٦٨٤	.	٤٨٠	.	.	.	.	.	.	.	.	.	الجاحظ ـ المئة المختارة بشرح ميثم ص ٦٣	ق ش	
																الإرشاد ص ١٥٨ ـ تكررت تحت رقم ١٤٦	م ش	
٣٩٩	نعم الطيب المسك خفيف حمله	-	٣٤١	.	-	-	-	٤١٨	٦٤٧	-	-	٥٤٦	٢٨٤	.	٣٩٦	قال ابن أبي الحديد في شرحه ٣٤١/١٩ ـ وقد رويت لفظة أمير المؤمنين (ع) عنه مرفوعة للرسول(ص)		

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
٤٠٠	ضع فخرك واحفظ كبرك	ج ٣ -	ج ١٩ ٣٥٢	ج ٥ ٦٩٢	ج ٥ -	ج ٢١ -	ج ٤ -	٤١٨	٦٤٧	-	ج ٤ -	٥٤٦	ج ٤ ٢٨٤	١٢٢	ج ٢ ٣٩٦	راجع مصادرها في الخطبة رقم ١٥٣	ق ش	
٤٠١	خذ من الدنيا ما أتاك	٤١٥	٣٥٨	٦٩٥	٤٣٧	٤٨٠	٩٣	٤١٧	٦١٦	٧٥٤	٤٤٨	٥٤٥	٢٨٣	-	-	غرر الحكم ـ ص ٢٧٠	ب ش	
٤٠٢	ربّ قول أنفذ من صول	-	٣٥٩	٦٩٦	٤٣٨	٤٨١	٩٤	-	٦٤٧	-	-	-	-	-	-	أبو هلال العسكري ـ جمهرة الأمثال ـ أورده كمقولة حكمية شائعة دون أن ينسبه	ق ش	
٤٠٣	كل مقتصر عليه كاف	-	٣٦١	٦٩٧	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	الميداني ـ مجمع الأمثال ٥٤/٤	ب ش	
٤٠٤	المنيّة ولا الدنيّة	-	٣٦٢	-	٤٣٨	٤٨٢	-	-	٦٤٧	-	٤٤٩	٥٤٦	-	-	-	فروع الكافي ٢١/٨ من خطبة الوسيلة	ق ش	
٤٠٥	من لم يعط قاعدا لم يعط قائما	-	٣٦٣	٦٩٨	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	فروع الكافي ٢١/٨ من خطبة الوسيلة	ق ش	
٤٠٦	الدهر يومان: يوم لك...	-	٣٦٤	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	فروع الكافي ٢١/٨ من خطبة الوسيلة المفيد ـ الإرشاد ص ١٥٨	ق ش م ش	
٤٠٧	إن للولد على الوالد حقا	-	٣٦٥	٦٩٩	-	-	-	٤١٨	-	-	-	-	٢٨٤	-	-	أبو طالب ـ تيسير المطالب ص ٣٠٧ رواه مرفوعا للرسول (ص) باختصار الراغب الأصفهاني ـ محاضرات الأدباء ٢٢٧/١ رواه مرفوعا للرسول (ص)	ب ش	
٤٠٨	العين حق، والرقي حق	-	٣٧٢	٧٠٣	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	الإمام الرضا ـ صحيفة الإمام الرضا ص ٢٣٩ أوردها مرفوعة بسند علي (ع)، عدا الجملة الأولى العين حق.	ق ش	
٤٠٩	مقاربة الناس في أخلاقهم	٤١٦	ج ٢٠ ٣	٧٤٣	٤٣٩	٤٨٣	٩٤	٤١٧	-	٧٥٤	٤٤	-	٢٨٦	-	٣٩٧	غرر الحكم ص ٣٥٤	ب ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
٤١٠	لقد طرت شكيرا	ج ٣	ج ٢٠	ج ٥	ج ٥	ج ٢١	ج ٤				ج ٤		ج ٤		ج ٢	غرر الحكم - ص ٣٥٤	ب ش	
		٤١٦	٤	٧٤٤	٤٣٩	٤٨٤	٩٤	٤١٧	٦٤٨	٧٥٤	٤٤٩	٥٤٧	٢٨٦	١٢٢	٢٩٧			
٤١١	من أومأ متفاوت خانته الحيل	.	٥	.	.	.	٩٦	.	.	٧٥٥	٤٥٠	.	٢٨٧	.	.	تحف العقول ص ١٤٣	ق ش	خ
٤١٢	قال وقد سئل عن معنى قولهم "لا حول ولا قوة إلاّ بالله": إنّا لا نملك مع الله شيئا...	.	٦	٧٤٥	٤٤٠	٤٨٥	.	٤١٨	.	.	.	.	.	.	.	ابن دريد - المجتبى ص ٤١	ق ش	
																دستور معالم الحكم ص ٩٠	ب ش	خ
٤١٣	وقال لعمّار بن ياسر وقد سمعه يراجع المغيرة...: دعه يا عمّار فإنه لن يأخذ...	.	٨	٧٤٦	.	٤٨٦	.	.	.	.	٤٥١	.	.	.	٢٩٨	ابن قتيبة - الإمامة والسياسة ١/٥٠	ق ش	خ
٤١٤	ما أحسن تواضع الأغنياء...	٤١٧	٣٩	٧٦٦	.	٤٨٧	.	.	.	.	٤٥٢	.	٢٨٨	.	.	مروج الذهب ٤/٣٦٢	ق ش	
٤١٥	ما استودع الله امرا عقلا	.	٤٢	٧٦٧	٤٤١	٤٨٨	.	.	٦٤٩	٧٥٦	.	٥٤٨	٢٩٠	.	.	غرر الحكم ص ٤٧٩	ب ش	
٤١٦	من صارع الحق صرعه	.	٤٥	٧٧٠	.	.	.		.	.	.	.	٢٩١	.	.	المفيد - الإرشاد ص ١٥٨	م ش	
																القضاعي - دستور معالم الحكم ص ٢٨	ب ش	خ
٤١٧	القلب مصحف البصر	.	٤٦	.	.	٤٨٩	٩٦	٤١٩	.	.	٤٥٣	.	.	.	٢٩٩	الميداني - مجمع الأمثال ص ٥٢	ب ش	
٤١٨	التقى رئيس الأخلاق	.	٤٧	٧٧١	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.			
٤١٩	لا تجعلن ذرب لسانك	.	٤٨		.	٤٩٠	.		.	.	٤٥٤	.	.	.		الآمدي - غرر الحكم ص ٥٢٠	ب ش	

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
٤٢٠	كفاك أدبا لنفسك ما تكرهه	ج ٢ ٤١٨	ج ٢٠ ٤٩	ج ٥ ٧٧٢	ج ٥ ٤٤٢	ج ٢١ ٤٩٠	ج ٤ ٩٦	٤١٩	٦٤٩	٧٥٦	ج ٤ ٤٥٤	٥٤٨	ج ٤ ٢٩١	١٢٢	ج ٢ ٣٩٩	فروع الكافي ٢٢/٨ ضمن خطبته الوسيلة	ق ش	
																تحف العقول ص ٧٠ نفس الخطبة	ق ش	
٤٢١	قال للأشعث معزيا: من صبر صَبْر الأحرار وإلا... إن صبرت صبر الأكارم وإلا...	.	٥٠	.	.	٤٩١	.	.	.	.	.	.	٢٩٢	.	.	العقد الفريد ٣/٣٠٣، ٣٠٤	ق ش	خ
٤٢٢	الدنيا تضر وتغر وتمر..	.	٥١	٧٧٣	.	٤٩٢	.	.	٦٥٠	٧٥٧	٤٥٥	.	٢٩٣	.	٤٠٠	العماد الأصفهاني ـ محاضرات الأدباء ٢/٣٩٠	ب ش	
																الطبرسي ـ مشكاة الأنوار ص ٢٦٨	ب ش	
٤٢٣	إن أهل الدنيا كركب...	.	٥٢	٧٧٤	٤٤٣	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	الميداني ـ مجمع الأمثال ٤/٥٣	ب ش	خ
																الطبرسي ـ مشكاة الأنوار ص ٢٦٨	ب ش	
٤٢٤	من وصية لابنه الحسن: لا تخلفن وراءك شيئا من المال	.	٥٤	٧٧٥	.	٤٩٣	.	.	.	.	.	٥٤٩	٢٩٤	.	.	فروع الكافي ٧٢/٨ ـ المقطع الثاني	ق ش	
																ترجمة الإمام علي (ع) من تاريخ دمشق بتحقيق المحمودي ٣/٢٢٧	ب ش	
٤٢٥	قال قائل بحضرته: أستغفر الله، فقال: ثكلتك امك، أتدري ما الاستغفار...	٤٢٢	٥٦	٧٧٦	٤٤٤	٤٩٥	٩٧	.	.	.	٤٥٧	.	٢٩٥	.	.	ابن شعبة ـ تحف العقول ص ١٣٩	ق ش	خ
																تذكرة خواص الأمة ص ١٢٥	ب ش	خ
٤٢٦	الحلم عشيرة	٤٢٣	٦١	٧٧٩	٤٤٥	٤٩٧	٩٨	٤٢٠	٦٥١	٧٥٨	٤٥٨	٥٥٠	٢٩٦	١٢٣	٤٠١	غرر الحكم ص ٣٠	ب ش	
٤٢٧	مسكين ابن آدم، مكتوم الأجل	.	٦٢	٧٨٠	.	.	.	.	.	.	٤٥٩	.	.	.	.			
٤٢٨	روي أنه كان جالسا في أصحابه فمرت بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم فقال (ع): إن أبصار هذه الفحول...		٦٣	.	٤٤٦	٤٩٩	.		.	.	٤٦٠	.	.	.	.	الأبي ـ نثر الدر ٣٢٦/١	م ش	خ
٤٢٩	كفاك من عقلك ما أوضح لك...	.	٦٥	٧٨١	.	٥٠٠	٩٩	٤٢١	٦٥٢	٧٥٩	.	.	٢٩٩	.	٤٠٢			

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
٤٣٠	افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئا	ج ٣	ج ٢٠	ج ٥	ج ٥	ج ٢١	ج ٤				ج ٤		ج ٤		ج ٢	غرر الحكم ص ٥٢١	ب ش	
		٤٢٤	٦٦	٧٨٢	٤٤٧	٥٠١	٩٩	٤٢٠	٦٥٢	٧٥٩	٤٦١	٥٥٠	٢٩٩	١٢٣	٤٠٢			
٤٣١	إن للخير والشر أهلا	·	٦٧	·	·	·	·	·	·	·	·	٥٥١	·	·	·	السابق - نفس الصفحة	ب ش	
٤٣٢	من أصلح الله سريرته أصلح الله علانيته	·	٦٨	٧٨٣	·	٥٠٢	·	·	·	·	٤٦٢	·	٣٠٠	·	·	فروع الكافي ٣٠٧/٨	ق ش	
																دستور معالم الحكم ص ٣٠	ب ش	خ
٤٣٣	الحلم غطاء ساتر	·	٦٩	٧٨٤	٤٤٨	٥٠٣	·	٤٢١	·	·	·	·	·	·	·	أصول الكافي ٢٠/١ العقل بدل الحلم بزيادة	ق ش	خ
٤٣٤	إن لله عبادا يخصهم بالنعم		٧٠		·	·	·	·	·	٧٦٠	٤٦٣	·	·	·	٤٠٣	الآمدي - غرر الحكم ص ١٨٧	ب ش	خ
٤٣٥	لا ينبغي للعبد أن يثق بخصلتين	·	٧١	٧٨٥	·	٥٠٤	١٠٠	·	٦٥٣	·	·	·	·	·	·	الخصال - ص ٧٣ - ٧٤٧ ورد بما في معناه عن الرسول (ص)	ق ش	خ
٤٣٦	من شكا الحاجة إلى مؤمن	·	٧٢	٧٨٦	٤٤٩	٥٠٥	·	·	·	·	·	·	·	·	·	الصدوق - معاني الأخبار ص ٤٠٧ نسبها للصادق	ق ش	خ
																الآمدي - غرر الحكم ص ٤٣٧	ب ش	خ
٤٣٧	إنما هو عبد لمن قبل الله صيامه		٧٣	·	·	·	·	·	·	·	٤٦٤	·	٣٠١	·	·	ابو طالب المكي - قوت القلوب ٢٤/٢	ق ش	خ
٤٣٨	إن أعظم الحسرات يوم القيامة...	٤٢٥	٧٤	٧٨٧	·	٥٠٦	·	·	·	·	·	٥٥٢	·	·	·	غرر الحكم - ص ١٨٨	ب ش	خ
٤٣٩	إن أخسر الناس صفقة...		٧٥		٤٥٠	٥٠٧	·	·	·	·	٤٦٥	·	·	·	·	غرر الحكم - ص ١٨٨	ب ش	خ

الرقم	المطلع	الراوندي	الحديد	الحديد	ميثم	الخوئي	عبده	عبده	عبده	عبده	مغنية	الصالح	عبد الرحمن	المعجم	ابراهيم	التوثيق	ملاحظات	
		المرعشي	التراث	الحياة	العالم	الوفاء	الأعلمي	الشعب	الأندلس	البلاغة	الملايين	الكتاب	الأعلمي	الأضواء	الجيل		الزمن	الفرق
٤٤٠	الرزق رزقان طالب ومطلوب...	ج ٣	ج ٢٠	ج ٥	ج ٥	ج ٢١	ج ٤				ج ٤		ج ٤		ج ٢	العقد الفريد ٢٢٩/٣	ق ش	
		٤٢٥	٧٦	٧٨٨	٤٥٠	٥٠٧	١٠٠	٤٢١	٦٥٣	٧٦١	٤٦٥	٥٥٢	٣٠١	١٢٣	٤٠٤	قوت القلوب ١٦/٢	ق ش	خ
٤٤١	ان أولياء الله هم الذين نظروا	.	٧٧	٧٨٩	-	٥٠٨	١٠١	.	.	.	٤٦٦	.	٣٠٢	.	.			
٤٤٢	اذكروا انقطاع اللذات وبقاء...	.	٧٩	٧٩٠	٤٥٢	٥٠٩	.	٤٢٢	٦٥٤	.	٤٦٧	٥٥٣	.	.	.	غرر الحكم ص ١٢٥	ب ش	
٤٤٣	اخبر تقلهُ	.	٨٠	٧٩١	.	٥١٠	.	.	.	٧٦٢	.	.	٣٠٣	.	.	العسكري ـ جمهرة الأمثال ٨٩/١ ـ نسبة لأبي الدرداء، كما قال أن الرسول (ص) قد رواه،		
																وقال عنه الرضي في النهج، ربما نسب هذا القول للرسول (ص).		
٤٤٤	ما كان الله عزّ وجلّ ليفتح على عبد...	٤٢٦	٦٢	٧٩٢	.	٥١١	١٠٥	.	.	.	٤٦٨	.	٣٠٤	.	٤٠٥	غرر الحكم ـ ص ٤٧٥	ب ش	
٤٤٥	أولى الناس بالكرم من عرفت...	-	٨٣	.	-	-	-	.	٦٥٥	-	.	.	.	.	.	غرر الحكم ص ١٧٢، ٢٧٣اورد عبارتين تحملان	ب ش	
																نفس المضمون.		
٤٤٦	العدل يضع الأمور مواضعها...	٤٣٧	٨٥	٧٩٣	٤٥٣	٥١٢	١٠٢	.	.	٧٦٢	٤٦٨	.	.	.	.			
٤٤٧	الناس أعداء ما جهلوا	.	٨٦	٧٩٤	.	٥١٣	.	.	.	.	٤٦٩	.	.	.	.	تكررت برقم ١٧٦، فراجع مصادرها بالإضافة ـ .		
																الثعالبي ـ التمثيل والمحاضرة ص ٢٩	م ش	
٤٤٨	الزهد بين كلمتين من القرآن...	.	٨٧	٧٩٥	.	.	.	.	.	.	.	.	٣٠٥	.	٤٠٦	أبو الفضل الطبرسي ـ مشكاة الأنوار ص ١١٥	ب ش	
																سبط بن الجوزي ـ تذكرة الخواص ص ١٢٧	ب ش	خ
٤٤٩	الولايات مضامير الرجال	.	٨٨	.	٤٥٤	٥١٤	.	٤٢٣	.	٧٦٣	٤٧٠	٥٥٤	.	.	.	الآبي ـ نثر الدر ٣٢٧/١	م ش	

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
٤٥٠	ما انقض النوم لعزائم اليوم	ج ٣	ج ٢٠	ج ٥	ج ٥	ج ٢١	ج ٤				ج ٤		ج ١		ج ٤			
		٤٢٧	٨٩	٧٩٦	٤٥٤	٥١٥	١٠٢	٤٢٣	٦٥٥	٧٦٣	٤٧٠	٥٥٤	٢٠٥	١٢٣	٤٠٦			
٤٥١	ليس بلد بأحق بك من بلد...	-	٩٠	-	-	-	١٠٣	-	-	-	-	-	-	-	-	دستور معالم الحكم ص ١٩	ب ش	
																الميداني ـ مجمع الأمثال ٥٣/٤	ب ش	
٤٥٢	قوله (ع) لما جاء نعي الأشتر: مالك وما لك لو كان...	-	٩٣	٧٩٨	٤٥٥	٥١٦	-	-	٦٥٦	-	٤٧١	-	-	-	-	الزبير بن بكار ـ الأخبار الموفقيات ـ ص ١٩٤	ق ش	
																المفيد ـ الاختصاص ص ٨١ بزيادة	م ش	خ
٤٥٣	قليل مدوم عليه خير من كثير	٤٢٨	٩٤	٧٩٩	-	·	-	-	-	-	-	-	٣٠٦	١٢٤	٤٠٧	أبو طالب ـ أمالي الإمام أبي طالب ص ٣١٩ بزيادة	ب ش	
٤٥٤	إذا كان في رجل خلة رائعة...	-	٩٥	-	-	٥١٧	-	-	-	٧٦٤	-	-	-	-	-	الماوردي ـ تسهيل النظر ص ٤٠	ب ش	خ
٤٥٥	قال (ع) لغالب بن صعصعة أبي الفرزدق.. ما فعلت إبلك الكثيرة؟	-	٩٦	٨٠٠	٤٥٦	٥١٨	-	-	-	-	٤٧٢	-	٣٠٧	-	-	الأبشيهي ـ المستطرف ٢٩/١	ب ش	خ
																وراجع الحكاية ومناسبة المقولة عند ابن أبي الحديد		
٤٥٦	من اتجر بغير فقه فقد ارتطم بالربا	٤٢٩	٩٧	٨٠١	-	٥١٩	-	-	-	-	-	٥٥٥	-	-	-	فروع الكافي ١٥٤/٥	ق ش	
																الآبي ـ نثر الدر ٢٩٣/١	م ش	
٤٥٧	من عظّم صغار المصائب ابتلاه...	-	٩٨	-	-	٥١٩	١٠٤	٤٢٤	-	-	٤٧٣	-	٣٠٨	-	-	الميداني ـ مجمع الأمثال ٥٢/٤	ب ش	
٤٥٨	من كرمت عليه نفسه هانت...	-	٩٩	٨٠٢	٤٥٧	٥٢٠	-	-	٦٥٧	-	-	-	-	-	٤٠٨	العقد الفريد ١٧٣/٢ نسبها لمحمد بن الحنفية	ق ش	خ
٤٥٩	ما مزح امرؤ مزحة إلاّ مجّ...	-	١٠٠	-	-	-	-	-	-	٧٦٥	-	-	-	-	-	ابن قتيبة ـ عيون الأخبار ٢١٩/١ قريب منها	ق ش	
																الآبي ـ نثر الدار ٢٧٨/١	م ش	

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
٤٦٠	زهدك في راغب فيك نقصان...	ج ٣ ٤٢٩	ج ٢٠ ١٠١	ج ٥ ٨٠٣	ج ٥ ٤٥٧	ج ٢١ ٥٢٤	ج ١٠٤ ١٠٤	٤٢٤	٦٥٧	٧٦٥	ج ٤ ٤٧٤	٥٥٥	ج ٤ ٣٠٨	١٢٤	ج ٢ ٤٠٨	الآمدي - غرر الحكم - ص ٤٧٥	ب ش	خ
٤٦١	مازال الزبير رجلا منها أهل البيت...	-	١٠٢	.	-	-	-	.	.	-	-	.	٣٠٩	.	.	تاريخ الطبري ٥٠٩/٤ العقد الفريد ٣١٤/٤	ق ش ق ش	خ
٤٦٢	ما لابن آدم والفخر، أوله نطفة..	٤٣٠	١٥٠	٨٣٦	٤٥٧	٥٣١	١٠٤	.	.	٧٦٥	٤٧٤	.	.	.	.	المبرد - الكامل في الأدب ١٤/٢ الآبي - نثر الدر ٢٩٩/١	ق ش م ش	 خ
٤٦٣	الغنى والفقر بعد العرض على الله	.	١٥٢	٨٣٧	٤٥٨	٥٣٢	.	.	.	٧٦٥	.	.	.	.	٤٠٩	الآمدي - غرر الحكم - ص ٧١	ب ش	
٤٦٤	وسئل من أشعر الشعراء، فقال (ع): إن القوم لم يجروا في حلبة...	.	١٥٣	٨٣٨	.	.	.	.	.	.	٤٧٥	.	٣١١	.	.	الأغاني ٢٩٧/١٦	ق ش	
٤٦٥	الا حر يدع هذه اللماظة..	.	١٧٣	٨٥١	٤٥٩	٥٢٤	١٠٥	.	٦٥٨	٧٦٦	٤٧٦	٥٥٦	٣١٢	.	.	الميداني - مجمع الأمثال ٥٣/٤ الجملة الأولى	ب ش	
٤٦٦	منهومان لا يشبعان..		١٧٤	٨٥٢	٤٦٦	٥٤٠	.	.	.	.	.	.	.	.	.	أصول الكافي ٤٦/١ نسبة إلى الرسول (ص) بسند علي (ع) وقال عنه ابن أبي الحديد أنه من الأحاديث المرفوعة	ق ش	
٤٦٧	علامة الإيمان أن تؤثر الصدق..		١٧٥	.	٤٥٩	٥٣٥	.	٤٢٥	.	.	.	.	.	.	.	دستور معالم الحكم - ص ٣٦	ب ش	خ
٤٦٨	يغلب المقدار على التقدير..	٤٣١	١٧٦	٨٥٣	٤٦٠	٥٢٥	.	.	.	.	٤٧٧	.	٣١٤	.	٤١٠	قال الرضي: وقد مضى هذا المعنى فيما تقدم برواية تخالف الألفاظ - وهو يقصد الحكمة ١٧، فراجع مصادرها.		
٤٦٩	الحلم والأناة توأمان		١٧٧	٨٥٤	.	٥٢٦	.	.	.	.	.		.	.	.	ابن المعتز - البديع ص ٥ أبو هلال العسكري - كتاب الصناعتين - ص ٢٧٧	ق ش ق ش	

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
٤٧٠	الغيبة جهد العاجز	ج ٣ ٤٣١	ج ٢٠ ١٧٠	ج ٥ ٨٥٥	ج ٥ ٤٦٠	ج ٢١ ٥٣٦	ج ٤ ١٠٦	٤٢٥	٦٥٨	٧٦٧	ج ٤ ٤٧٨	٥٥٦	ج ٤ ٣١٤	١٢٤	ج ٣ ٤١٠			
٤٧١	رب مفتون بحسن القول فيه..		١٨٠	.	.	٥٢٧	.	.	.	.	.	.	.	.	.	ابن شعبة ـ تحف العقول ص ١٤٤	ق ش	
																الميداني ـ مجمع الأمثال ٥٣/٤	ب ش	
٤٧٢	الدنيا خلقت لغيرها...	.	١٨١	٨٥٦	٤٦١	٥٢٨	.	.	٦٥٩	.	.	٥٥٧	٣١٥	.	٤١١	الآمدي ـ غرر الحكم	ب ش	خ
٤٧٣	إن لبني أميّة مرودا يجرون فيه..	٤٣٢	١٨٢	٨٥٧	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	الأبي ـ نثر الدر ٢١٧/١	م ش	خ
٤٧٤	في مدح الأنصار: هم والله ربّوا الإسلام	.	١٨٤	٨٥٨	٤٦٢	٥٢٩	.	.	.	.	٤٧٩	.	.	.	.			
٤٧٥	العين وكاء السّه	.	١٨٦	٨٥٩	.	٥٣٠	١٠٧	١٢٦	.	٧٦٨	٤٨٠	.	.	.	٤١٢	قال الرضي: وهذا القول في الأشهر من كلام		
																النبي (ص) وقد رواه أمير المؤمنين (ع)، ذكر ذلك المبرد في كتاب المقتضب ـ ص ٣٤	ق ش	
٤٧٦	ووليهم وال فأقام واستقام..	٤٣٣	٢١٨	٨٧٩	٤٦٣	٥٣١	.	.	٦٦٠	.	.	.	٣١٦	.	.	يظهر من تعليق ابن أبي الحديد على هذه المقولة		
																انه اطلع عليها في مصدرها ضمن خطبة طويلة		
٤٧٧	يأتي على الناس زمان عضوض		٢١٩	٨٨٠	.	٥٣٢	١٠٨		.	.	.	.	.	.	.	الكليني ـ فروع الكافي ٢١٠/٥	ق ش	
٤٧٨	يهلك في رجلان: محب..		٢٢٠	٨٨١	٤٦٤	٥٣٤	.	.	.	٧٦٩	٤٨١	٥٥٨	٣١٧	.	.	الأبي ـ نثر الدر ٢١٧/١	م ش	
																التلمساني ـ الجوهرة ص ٧٦	ب ش	خ
٤٧٩	وسئل عن التوحيد والعدل فقال: التوحيد أن لا تتوهمه والعدل..		٢٢٧	٨٨٥	.	.	.	٤١٧	.	.	٤٨٢	.	.	.	٤١٣	اليماني ـ الطراز ٢٥١/٢	ب ش	

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات الزمن	ملاحظات الفرق
٤٨٠	انه لا خير في الصمت عند الحكم	ج ٣ ٤٣٣	ج ٢٠ -	ج ٥ -	ج ٥ ٤٦٥	ج ٢١ ٥٣٧	ج ٤ ١٠٨	٤٢٧	٦٦١	٧٦٩	ج ٤ ٤٨٢	٥٥٨	ج ٤ ٣١٨	١٢٤	ج ٢ -	تكورت عن الحكمة ـ ١٦٦ -		
٤٨١	اللهم اسقنا ذلل السحائب	.	٢٢٩	٨٨٦	.	٥٣٨	.	.	.	.	.	.	.	.	٤١٣			
٤٨٢	وقيل له (ع) لو غيرت شيبك فقال: الخضاب زينة ونحن قوم في مصيبة	٤٣٤	٢٣٠	٨٨٧	٤٦٦	٥٣٩	١٠٩	.	.	٧٧٠	٤٨٣	.	٣١٩	.	.	الأبي ـ نثر الدر ٣٠٧/١	م ش	خ
٤٨٣	القناعة مال لا ينفذ	.	٢٤٤	٨٩٥	.	٥٤١	.	.	٦٦٢	.	.	٥٥٩	٣٢٠	١٢٥	.	الأبي ـ نثر الدر ٢٩١/١	م ش	خ
٤٨٤	ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم...	-	٢٣٣	٨٨٩	-	-	-	.	.	-	-	.	.	١٢٤	.			
٤٨٥	قوله (ع) لزياد بن أبيه وقد استخلفه: استعمل العدل واحذر العسف....	٤٣٤	٢٤٥	٨٩٦	٤٦٦	٥٤١	١٠٩	.	.	٧٧٠	٤٨٣	.	.	١٢٥	.	الآمدي ـ غرر الحكم ـ ١٦١	ب ش	خ
٤٨٦	أشد الذنوب ما استخف بها صاحبها	.	٢٤٦	٨٩٧	٤٦٧	٥٤٣	١١٠	٤٢٨	.	.	٤٨٤	.	٣٢١	.	.	تكورت عن الحكمة ـ ٢٥٤		
٤٨٧	ما اخذ الله على اهل الجهل أن يتعلموا...	.	٢٤٧	.	٤٦٩	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	اصول الكافي ٤٠/١	ق ش	خ
٤٨٨	يشر الإخوان من تكلف له	٤٣٥	٢٤٩	٨٩٨٠	٤٦٧	٥٤٥	.	.	.	٧٧١	٤٨٥	.	.	.	.	ابن قتيبة ـ عيون الأخبار ٢٣١/٣ . أبو طالب المكي ـ قوت القلوب ٢٢٩/٢	ق ش ق ش	 خ
٤٨٩	إذا احتشم المؤمن من أخاه فقد فارقه	.	٢٥١	٨٩٩	٤٦٨	٥٤٦	.	.	.	.	.	.	٣٢٢	.	.	نثر الدر ٢٩٤/١	م ش	خ


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

مستدركات

الرقم	المطلع	الراوندي المرعشي	الحديد التراث	الحديد الحياة	ميثم العالم	الخوئي الوفاء	عبده الأعلمي	عبده الشعب	عبده الأندلس	عبده البلاغة	مغنية الملايين	الصالح الكتاب	عبد الرحمن الأعلمي	المعجم الأضواء	ابراهيم الجيل	التوثيق	ملاحظات: الزمن	ملاحظات: الفرق
١٩٦ ب	قوله لما سمع قول الخوارج: "لا حكم إلاّ لله" كلمة حق أريد بها باطل	ج ٣ ٣٢٢	ج ١٩ ١٧	ج ٥ ٤٨٤	ج ٥ ٣٤٥	ج ٢١ ٢٦٩	ج ١ ٤٥	٢٩٣	٦٠٢	٧٠٦	ج ٤ ٣٣٨	٥٠٤	ج ٤ ١٦٣	١١٣	ج ٢ ٣٥١	أنساب الأشراف ـ ٣٥٢/٢ العقد الفريد ـ ٣٨٨/٢	ق ش	
٢٤١ ب	الغنى الأكبر اليأس عمّا....	-	٢٤٦	٦٢٨	-	-	-	٤١٠	٦٣٤	-	-	-	٢٥٨	-	٣٨٣	ابو نعيم الحافظ ـ حلية الأولياء ٣٠٤/٨ نسبها للرسول (ص)	ب ش	
٢٤٢ ب	المسؤول حر حتى يعد	-	٢٤٨	٦٢٩	-	-	-	٤٠٩	-	-	-	-	٢٥٥	-	٣٨٤	الجاحظ ـ المئة المختارة بشرح ميثم ص ١٥٢ مسكوية ـ الحكمة الخالدة ـ ص ١١٢	ق ش ب ش	

المصادر والمراجع

أولا ـ نسخ نهج البلاغة التي اعتمدتها الدراسة

* نهج البلاغة ـ صورة من نسخة مخطوطة نادرة من القرن الخامس الهجري ـ خزانة المخطوطات ـ مكتبة آية الله المرعشي ـ قم ـ الجمهورية الاسلامية الايرانية.

* منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ـ الراوندي ـ سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣ هـ) ـ تحقيق عبداللطيف الكوهكمري ـ مكتبة آية الله المرعشي ـ قم ـ ١٩٨٥.

* شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ـ عز الدين بن هبة الله بن محمد (ت ٦٥٥ هـ):

ـ تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٩٦٥.

ـ مراجعة وتحقيق لجنة احياء الذخائر ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ١٩٨٣.

* شرح نهج البلاغة ـ ميثم البحراني ـ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم (ت ٦٧٩ هـ):

ـ دار العالم الاسلامي ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٩٨١ .

* منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ـ الخوئي ـ ميرزا حبيب الله :

ـ مؤسسة الوفاء ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٩٨٣ .

* نهج البلاغة ـ بشرح الشيخ محمد عبده :

ـ تحقيق محمد عاشور ـ الشعب ـ القاهرة ـ د. ت .

ـ الاندلس ـ بيروت ـ ط ٧ ـ ١٩٨٤ .

ـ الاعلمي ـ بيروت ـ د. ت .

ـ البلاغة ـ بيروت ـ ط ٤ ـ ١٩٨٩ .

* في ظلال نهج البلاغة ـ مغنية ـ محمد جواد :

ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٩٧٨ .

* الكاشف عن الفاظ نهج البلاغة ـ الخراساني ـ السيد جواد المصطفوي :

ـ دار الكتب الاسلامية ـ طهران ـ ١٩٧٥ .

* نهج البلاغة ـ ضبط وفهرسة : الصالح ـ الشيخ صبحي :

ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ط ٣ ـ ١٩٨٣ .

* مصادر نهج البلاغة ـ الحسيني ـ عبدالزهراء :

ـ مؤسسة الاعلمي ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٩٧٥ .

* المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة ـ كاظم محمدي ومحمد دشتي :

ـ دار الاضواء ـ بيروت ـ ١٩٨٦ .

* نهج البلاغة ـ تحقيق وشرح : ابراهيم ـ محمد ابو الفضل :
ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ١٩٨٨ .

ثانيا ـ المراجع

* الابّي ـ أبوسعيد منصور بن الحسين (ت ٤٢١ هـ) :
ـ نثر الدر ـ الهيئة المصرية ـ القاهرة ـ د. ت .

* الامّدي ـ عبدالواحد بن محمد التميمي (ت ٥٥٠ هـ) :
ـ غرر الحكم ودرر الكلم ـ دار القارئ ـ بيروت ط١ ـ ١٩٨٧ .

* الابشيهي ـ شهاب الدين محمد ـ بن أحمد (ت ٨٥٠ هـ) :
ـ المستطرف في كل فن مستظرف ـ الحياة ـ بيروت ـ ١٩٨٦ .

* إبراهيم ـ حسن :
ـ تاريخ الإسلام السياسي ـ النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ط٨ ـ ١٩٧٤ .

* إبراهيم ـ محمد أبوالفضل :
ـ مقدمة تحقيق امالي المرتضى ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ط٢ ـ ١٩٦٧ .

* ابن الأثير ـ نجم الدين أحمد بن اسماعيل الحلبي (ت ٧٣٧ هـ) :
ـ جوهر الكنز ـ منشأة المعارف ـ الاسكندرية ـ د.ت .

* ابن الاثير ـ أبوالحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠ هـ) :
ـ أسد الغابة في معرفة الصحافة ـ كتاب الشعب ـ القاهرة ـ ١٩٧٠ .

ـ الكامل في التاريخ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط٤ ـ ١٩٨٣.

* ابن الأثير ـ أبوالسعادات المبارك بن محمد (ت ٦٠٦ هـ):

ـ جامع الأصول من أحاديث الرسول ـ إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط٤ ـ ١٩٨٤.

ـ النهاية في غريب الحديث والأثر ـ دار الفكر العربي ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٩٧٩.

* ابن الأثير ـ ضياء الدين نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧ هـ):

ـ المثل السائر ـ نهضة مصر ـ القاهرة ـ د.ت.

* الاخفش الاصغر ـ علي بن سليمان بن الفضل (ت ٣١٥ هـ):

ـ كتاب الاختيارين ـ الرسالة ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٩٨٤.

* اخوان الصفا:

ـ رسائل اخوان الصفا ـ صادر ـ بيروت ـ د.ت.

* أرسطو طاليس:

ـ علم الأخلاق ـ دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٢٤.

* ابن اسحاق ـ محمد (ت ١٥١ هـ):

ـ السيرة النبوية ـ الوقف للخدمات الخيرية ـ قونيه ـ ١٩٨١.

* الاسكافي ـ أبوجعفر محمد بن عبدالله (ت ٢٤٠ هـ):

ـ كتاب نقض العثمانية ـ بواسطة شرح ابن أبي الحديد.

* اسماعيل ـ محمود:

ـ سوسيولوجيا الفكر الإسلامي ـ دار الثقافة ـ الدار البيضاء ـ ط١ ـ ١٩٨٠.

* الاشعري ـ أبوالحسن علي بن اسماعيل (ت ٣٢٤ هـ):

ـ مقالات الإسلاميين ـ فرانز شتايز ـ فيسبادن ـ ط٣ ـ ١٩٨٠.

* الاصفهاني: أبوالفرج علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦ هـ):

ـ الاغاني ـ الدار التونسية للنشر ـ تونس ـ ١٩٨٣ ـ مصورة عن نسخة دار الثقافة ـ بيروت.

ـ مقاتل الطالبيين ـ الاعلمي ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٩٨٧.

* ابن أعثم ـ أحمد الكوفي (ت ٣١٤ هـ):

ـ الفتوح ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٨٦.

* أفلاطون:

ـ جمهورية أفلاطون ـ دار القلم ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٩٨٠.

* أفلاطون في الإسلام:

ـ نصوص من تحقيق عبدالرحمن بدوي ـ الأندلس ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٩٨٠.

* امرؤ القيس بن حجر بن عمرو الكندي (ت نحو ٥٤٠ م):

ـ ديوانه ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ط٤ ـ ١٩٨٤.

* أمين أحمد:

ـ كتاب الأخلاق ـ الكتاب العربي ـ بيروت ـ ١٩٦٩.

ـ ظهر الإسلام ـ الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط٥ ـ ١٩٦٩.

ـ فجر الإسلام ـ النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ط١٣ ـ ١٩٧٨ .

* الامين ـ حسن :

ـ دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ـ دار التعارف ـ بيروت ـ ط٣ ـ ١٩٨١ .

* الامين السيد محسن :

ـ أعيان الشيعة ـ دار التعارف ـ بيروت ـ ١٩٨٢ .

* الأميني ـ عبدالحسين بن أحمد :

ـ الغدير في الكتاب والسنة ـ الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط٤ ـ ١٩٧٧ .

* الأنطاكي ـ داور بن عمر (ت ١٠٠٨ هـ) :

ـ تزيين الأسواق في أخبار العشاق ـ دار حمد ومحيو ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٧٢ .

* التستري ـ محمد تقي :

ـ قضاء أمير المؤمنين عليه السلام ـ الأعلمي ـ بيروت ـ ط١٠ ـ ١٩٨٣ .

* الباقلاني ـ أبوبكر محمد بن الطيب (ت ٤٠٣ هـ) :

ـ إعجاز القرآن ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ط٥ ـ ١٩٨١ .

* الباقوري ـ أحمد حسن :

ـ علي إمام الأئمة ـ مكتبة مصر ـ القاهرة ـ ١٩٨٥ .

* البحراني ـ السيدهاشم :

ـ البرهان في تفسير القرآن ـ الوفاء ـ بيروت ـ ط٣ ـ ١٩٨٣ .

* ابن بدران ـ عبدالقادر:

ـ تهذيب تاريخ دمشق ـ دار المسيرة ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٩٧٩ .

* البرقي ـ أحمد بن محمد بن خالد (ت ٢٧٤ هـ):

ـ المحاسن ـ دار الكتب الإسلامية ـ قم ـ ط٢ ـ د.ت .

* بروكلمان ـ كارل:

ـ تاريخ الشعوب الإسلامية ـ العلم للملايين ـ بيروت ـ ط١٠ ـ ١٩٨٤ .

ـ تاريخ الأدب العربي ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ط ٣ ـ ١٩٧٤ .

* البغدادي ـ عبدالقاهر بن طاهر التميمي (ت ٤٢٩ هـ):

ـ اصول الدين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ٣ ـ ١٩٨١ .

* ابن بكار ـ الزبير (ت ٢٥٦ هـ):

ـ الاخبار الموفقيات ـ رئاسة ديوان الاوقاف ـ بغداد ـ ١٩٧٢ .

* البكري ـ عبدالله بن عبدالعزيز الاندلسي (ت ٤٨٧ هـ):

معجم ما استعجم ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط ٣ ـ ١٩٨٣ .

* البلاذري ـ محمد بن يحي بن جابر (ت ٢٣٩ هـ):

ـ انساب الاشراف ـ الاعلمي ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٧٤ .

ـ فتوح البلدان ـ مؤسسة المعارف ـ بيروت ـ ١٩٨٧ .

* بلاشير ـ رجيس:

ـ تاريخ الادب العربي ـ الدار التونسية للنشر ـ تونس ـ ١٩٨٦ .

* البلخي ـ ابو القاسم عبدالله بن احمد (ت ٣٠٩ هـ) وغيره من المعتزلة:

ـ فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ـ الدار التونسية للنشر ـ تونس ـ ١٩٨٦ .

* البنا ـ احمد بن عبدالرحمن :

ـ الفتح الرباني لترتيب مسند احمد ـ احياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط ٢ ـ د. ت .

* بوازار ـ مارسيل :

ـ انسانية الاسلام ـ دار الاداب ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٨٠ .

* البوصيري ـ شرف الدين محمد بن سعيد (ت ٦٩٦ هـ) :

ـ ديوانه ـ مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ـ ط ١ ـ ١٩٥٥ .

* بيصار ـ محمد عبدالرحمن :

ـ العقيدة والاخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع ـ الانجلو مصرية ـ القاهرة ـ ط ٤ ـ ١٩٧٣ .

* البيهقي ـ ابراهيم بن محمد (أحد اعلام القرن الثالث الهجري) :

ـ المحاسن والمساويء ـ نهضة مصر ـ القاهرة ـ ١٩٦١ .

* التلمساني ـ محمد بن أبي بكر (من علماء اواسط القرن السابع) :

ـ الجوهرة في نسب الامام علي وآله ـ مكتبة النوري ـ دمشق ـ ط ١ ـ ١٩٨٢ .

* التنوخي ـ ابو علي المحسن بن أبي القاسم (ت ٣٨٤ هـ) :

ـ الفرج بعد الشدة ـ الشريف الرضي ـ قم ـ ١٩٤٥ .

* التهانوي ـ محمد علي بن علي :

ـ كشاف مصطلحات الفنون ـ دار قهرمان ـ استابنول ـ ١٩٨٤ .
* التوحيدي ـ أبو حيان علي بن محمد بن عباس (ت ٣٨٠ هـ):
ـ الإمتاع والمؤانسة ـ الحياة ـ بيروت ـ د. ت .
* توشار ـ جان:
ـ تاريخ الافكار السياسية ـ وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ١٩٨٤ .
* الثعالبي ـ عبدالملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩ هـ):
ـ برد الاكباد في الاعداد ـ الجوائب ـ القسطنطينية ـ ١٨٨٤ .
ـ التمثيل والمحاضرة ـ دار احياء الكتب العربية ـ القاهرة ـ ١٩٦١ .
* الجاحظ ـ ابو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ):
ـ البخلاء ـ دار احياء العلوم ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٨٨ .
ـ البيان والتبيين ـ الخانجي ـ القاهرة ـ ط ٣ ـ د. ت .
ـ المئة المختارة بشرح ميثم ـ مير جلال الدين الارموي ـ طهران ـ ١٩٧٠ .
* الجرجاني ـ عبدالقاهر بن عبدالرحمن (ت ٤٧١ هـ):
ـ أسرار البلاغة ـ وزارة المعارف ـ استانبول ـ ١٩٥٤ .
ـ دلائل الاعجاز ـ المعرفة ـ بيروت ـ ١٩٧٨ .
* جرداق ـ جورج:
ـ علي صوت العدالة الانسانية ـ الحياة ـ بيروت ـ ١٩٧٠ .
* الجندي ـ علي وزميلاه:
ـ سجع الحمام في حكم الامام ـ دار القلم ـ بيروت .

* جولد تسهير ـ أجناس:
ـ العقيدة والشريعة الاسلام ـ الرائد العربي ـ بيروت ـ طبعة مصورة عن طبعة دار الكتاب المصري ـ ١٩٤٦.
* الجهشياري ـ أبو عبدالله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ):
ـ الوزراء والكتّاب ـ مصطفى الحلبي ـ القاهرة ـ ط ٢ ـ ١٩٨٠.
* الجوهري ـ ابو بكر احمد بن عبدالعزيز (من رجال النصف الاخير من القرن الثالث):
ـ السقيفة: بواسطة شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.
* الجوهري ـ اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣ هـ):
ـ الصحاح ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٩٧٩.
* ابن الحجاج القشيري ـ ابو الحسن مسلم (ت ٢٦١ هـ):
ـ صحيح مسلم ـ احياء التراث العربي ـ بيروت ـ د. ت.
* ابن حجر العسقلاني ـ احمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ):
ـ تهذيب التهذيب ـ صادر ـ بيروت ـ ١٩٦٨.
ـ لسان الميزان ـ الاعلمي ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٩٧١.
* الحر العاملي ـ محمد بن الحسن (ت ١١٠٤ هـ):
ـ وسائل الشيعة ـ احياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط ٥ ـ ١٩٨٣.
* ابن حزم الاندلسي ـ ابو محمد علي بن أحمد (ت ٤٥٦ هـ):
ـ جمهرة أنساب العرب ـ المعارف ـ القاهرة ـ ط ٥ ـ ١٩٨٢.
ـ الفصل في الملل والنحل ـ المعرفة ـ بيروت ـ ١٩٨٦.

* حسين ـ طه:
ـ حديث الاربعاء ـ المعارف ـ القاهرة ـ ط ١٠ ـ ١٩٧٣.
ـ الشيخان ـ المعارف ـ القاهرة ـ ط ٧ ـ ١٩٨١.
ـ الفتنة الكبرى (عثمان) ـ المعارف ـ القاهرة ـ ط ١٠ ـ ١٩٨٤.
ـ الفتنة الكبرى (علي وبنوه) ـ المعارف ـ القاهرة ـ ط ١١ ـ ١٩٨٢.
* الحصري القيرواني ـ ابو اسحاق ابراهيم بن علي (ت ٤٥٣ هـ):
ـ زهر الآداب ـ احياء الكتب العربية ـ القاهرة ـ ط ١ ـ ١٩٥٣.
* حقي ـ ممدوح:
ـ التعليق على كتاب الاسلام وأصول الحكم ـ الحياة ـ بيروت ـ د. ت.
* الحكم ـ سعاد:
ـ المعجم الصوفي ـ المؤسسة العامة للدراسات ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٨١.
* الحكيمي ـ محمد رضا:
ـ شرح الخطبة الشقشقية ـ الوفاء ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٨٢.
* الحلبي ـ علي بن برهان الدين (ت ١٠٤٤ هـ):
ـ السيرة الحلبية ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ د. ت.
* الحموي ـ ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦ هـ):
ـ معجم البلدان ـ صادر ـ بيروت ـ ١٩٨٤
* ابن حنبل ـ ابو عبدالله الامام احمد (ت ٢٤١ هـ):

ـ كتاب الزهد ـ الفكر الجامعي ـ الاسكندرية ـ ١٩٨٤ .
ـ المسند ـ احياء التراث العربي ـ بيروت ـ د. ت .

* الحوفي ـ احمد محمد :
ـ بلاغة الامام علي ـ نهضة مصر ـ القاهرة ـ ط ١ ـ ١٩٧٧ .

* خسرو ـ ناصر (ت ٤٥٠ هـ) :
ـ سفرنامة ـ دار الكتاب الجديد ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٩٧٠ .

* الخطيب ـ عبدالكريم :
ـ علي بن أبي طالب ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٩٧٥ .

* خفاجي ـ محمد عبدالمنعم :
ـ الازهر في الف عام ـ المطبعة المنيرية ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٩٥٤ .

* ابن خلدون ـ عبدالرحمن (ت ٨٠٨ هـ) :
ـ المقدمة والتاريخ ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٨١ .

* خلف الله أحمد ـ محمد :
ـ في العروبة وآدابها ـ معهد البحوث والدراسات العربية ـ القاهرة ـ ١٩٧٠ .

* ابن خلكان ـ شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ) :
ـ وفيات الاعيان ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ د. ت .

* الخميني ـ روح الله :
ـ الحكومة الاسلامية ـ دار الطليعة ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٧٩ .

* ولد خوجه ـ عبدالوهاب :

ـ شرح المئة المختارة ـ مير جلال الدين الأرموي ـ طهران ـ ١٩٧٠ .

* الخوانساري ـ محمد باقر الموسوي :

ـ روضات الجنات ـ مكتبة اسماعيليان ـ قم ـ ١٩٧٠ .

* خياط ـ يوسف :

ـ معجم المصطلحات الفنية ـ دار لسان العرب ـ بيروت ـ د. ت .

* دراز ـ محمد عبدالله :

ـ دستور الاخلاق في القرآن ـ الرسالة ـ بيروت ـ ط ٣ ـ ١٩٨٠ .

* ابن دريد ـ ابو بكر محمد بن الحسن الازري (ت ٣٢١ هـ) :

ـ المجتنى ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ط ١ ـ ١٩٧٩ .

ـ جمهرة اللغة ـ صادر ـ بيروت ـ صورة من طبعة دائرة المعارف العثمانية ـ ١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٦ م .

* ابن أبي الدنيا ـ أبو بكر عبدالله بن محمد القرشي (ت ٢٨٠ هـ) :

ـ اليقين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٨٧ .

* دوفابر ـ جاك دونديو :

ـ الدولة ـ عويدات ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٧٠ .

* ديبور ـ ت ج :

ـ تاريخ الفلسفة الاسلامية ـ النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ط ٥ ـ د. ت .

* الديلمي ـ محمد بن الحسين بن محمد (ت ٤٦٣ هـ) :

ـ ارشاد القلوب ـ بواسطة : مستدرك الوسائل ـ للنوري ـ مؤسسة آل

البيت ـ بيروت ـ د. ت.

* الدينوري ـ ابو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ):

ـ الاخبار الطوال ـ دار المسيرة ـ بيروت ـ د. ت.

* دينيت ـ دانيل:

ـ الجزية في الاسلام ـ الحياة ـ بيروت ـ د. ت.

* الذهبي ـ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ):

ـ سير اعلام النبلاء ـ الرسالة ـ بيروت ـ ط ٣ ـ ١٩٨٥.

* الرازي ـ عبدالرحمن بن محمد بن ادريس (ت ٣٢٧ هـ):

ـ الجرح والتعديل ـ احياء التراث العربي ـ بيروت ـ طبعة مصورة عن الطبعة الاولى بالدكن ـ ١٩٥٢.

* الرازي ـ محمد بن عمر (ت ٦٠٤ هـ):

ـ تفسير الرازي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط ٣ ـ ١٩٨٥.

* الراغب الاصفهاني ـ حسين بن محمد (ت ٥٠٢ هـ):

ـ محاضرات الادباء ـ الحياة ـ بيروت ـ د. ت.

ـ المفردات في غريب القرآن ـ دار قهرمان ـ استانبول ـ ١٩٨٦.

* رجب ـ منصور:

ـ تأملات في فلسفة الاخلاق ـ الانجلو مصرية ـ القاهرة ـ ط ٣ ـ ١٩٦١.

* ابن رشد ـ محمد بن أحمد الأندلسي (ت ٥٩٥):

ـ تلخيص الخطابة ـ وكالة المطبوعات ـ الكويت ـ د. ت.

* ابن رشيق ـ الحسن القيرواني (ت ٤٥٦ هـ):
ـ العمدة ـ الجيل ـ بيروت ـ ط ٤ ـ ١٩٧٢ .
* رضا ـ أحمد:
ـ معجم متن اللغة ـ الحياة ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٥٨ .
* الرضا ـ الامام علي بن موسى ـ (ت ٢٠٣ هـ):
ـ صحيفة الامام الرضا ـ مؤسسة الامام المهدي ـ قم ـ ١٩٨٧ .
ـ الفقه المنسوب للامام الرضا ـ آل البيت ـ قم ـ ط ١ ـ ١٩٨٥ .
* رضا ـ محمد:
ـ الامام علي بن أبي طالب عليه السلام ـ الكتب العلمية ـ بيروت ـ د. ت .
* رضا ـ محمد رشيد:
ـ تفسير المنار ـ المعرفة ـ بيروت ـ ط ٢ ـ د. ت .
ـ الوحي المحمدي ـ عز الدين ـ بيروت ـ ط ٣ ـ ١٩٨٦ .
* الرضي ـ الشريف محمد بن الحسين الموسوي (ت ٤٠٦ هـ):
ـ حقائق التأويل ـ دار المهاجر ـ بيروت ـ د. ت .
ـ خصائص الائمة ـ مجمع البحوث الاسلامية ـ مشهد ـ ١٩٨٥ .
ـ رسائل الصابي والشريف الرضي ـ دائرة المطبوعات ـ الكويت ـ ١٩٦١ .
ـ المجازات النبوية ـ مصطفى الحلبي ـ القاهرة ـ ١٩٧١ .
* الزبيدي ـ محمد مرتضى الحسني (ت ١٢٠٥ هـ):
ـ تاج العروس ـ دار الجيل ـ بيروت ـ بوشر بنشره منذ ١٩٦٥ .

باشراف حكومة الكويت ولم يتم بعد.

* الزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ):

- الاخبار الموفقيات - رئاسة ديوان الاوقاف - بغداد - ١٩٧٢ .

* الزجاج - أبو القاسم عبدالرحمن بن القاسم (ت ٣٣٩ هـ):

- الامالي في المشكلات القرآنية والاحاديث النبوية - الكتاب العربي - بيروت - ط ٢ - ١٩٨٣ .

* الزركلي - خير الدين:

- اعلام الزركلي - الملايين - بيروت - ط ٧ - ١٩٨٦ .

* الزمخشري - جار الله محمود بن عمر (ت ٥٨٣ هـ):

- ربيع الابرار - رئاسة ديوان الاوقاف - بغداد - ١٩٧٦ .

* الزنجاني - السيد ابراهيم الموسوي:

- عقائد الامامية الاثنى عشرية - الوفاء - بيروت - ١٩٨٢ .

* ابو زهرة - محمد:

- خاتم النبيين - العصرية - بيروت - ١٩٧٩ .

- المجتمع الانساني في ظل الاسلام - ديوان المطبوعات الجزائرية. الجزائر - ط ٢ - ١٩٨١ .

* ابو زيد - شلبي:

- الخلفاء الراشدون - مكتبة وهبة - القاهرة - ١٩٦٧ .

* زيدان - جرجي:

- تاريخ آداب اللغة العربية - الحياة - بيروت - ١٩٦٧ .

ـ تاريخ التمدن الاسلامي ـ الحياة ـ بيروت ـ د. ت.

ـ العرب قبل الاسلام ـ الحياة ـ بيروت ـ ١٩٧٩.

* سبط ابن الجوزي ـ يوسف ين فرغلي (ت ٦٥٤ هـ):

ـ تذكرة الخواص ـ أهل البيت ـ بيروت ـ ١٩٨١.

* السجستاني ـ ابو حاتم سهل بن محمد (ت ٢٥٠ هـ):

ـ المعمرون والوصايا ـ دار احياء الكتب العربية ـ القاهرة ـ ١٩٦١.

* ابن سعد ـ محمد (ت ٢٣٠ هـ):

ـ الطبقات الكبرى ـ دار بيروت ـ بيروت ـ ١٩٨٠.

* السكوني ـ أبو علي عمر (ت ٧١٧ هـ):

ـ عيون المناظرات ـ الجامعة التونسية ـ تونس ـ ١٩٧٦.

* السلجماسي ـ أبو محمد القاسم الانصاري (من نقاد القرن الثامن الهجري):

ـ المنزع البديع ـ مكتبة ـ المعارف ـ الرباط ـ ط ١ ـ ١٩٨٠.

* سلوم ـ داود:

ـ شعر الكميت ـ مكتبة الاندلس ـ بغداد ـ ١٩٦٩.

* السنهوري ـ عبدالرزاق:

ـ مصادر الحق في الفقه الاسلامي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ د. ت.

* السهارنفوري ـ خليل بن أحمد:

ـ بذل المجهود في حل ابي داود ـ الكتب العلمية ـ بيروت ـ د. ت.

* السهيلي ـ عبدالرحمن (ت ٥٨١ هـ):

ـ الروض الأنف ـ بواسطة سيرة بن هشام ـ دار احياء التراث ـ بيروت ـ د. ت.

* السيوطي ـ جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١ هـ):

ـ تاريخ الخلفاء ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ـ ١٩٥٢.

ـ الدر المنثور ـ بواسطة: فضائل الخمسة في الصحاح الستة، للفيروز آبادي ـ الاعلمي ـ بيروت ـ ط ٤ ـ ١٩٨٢.

ـ شرح شواهد المغنى ـ الحياة ـ بيروت ـ ١٩٦٦.

ـ المزهر في علوم اللغة ـ دار الفكر ـ بيروت ـ د. ت.

* ابن شاذان ـ ابو محمد الفضل (ت ٢٦٠ هـ):

ـ الايضاح ـ الاعلمي ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٨٢.

* ابن شعبة الحراني ـ ابو محمد الحسن بن علي (من أعلام القرن الرابع الهجري)

ـ تحف العقول عن آل الرسول ـ الاعلمي ـ ط ٥ ـ ١٩٧٤.

* ابن شهر آشوب ـ ابو عبدالله محمد بن علي (ت ٥٨٨ هـ):

ـ مناقب آل ابي طالب عليه السلام ـ المطبعة الحيدرية ـ النجف ـ ١٩٥٦.

* الشهرستاني ـ أبو الفتح محمد بن عبدالكريم (ت ٥٤٨ هـ):

ـ الملل والنحل ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ د. ت.

* الصالح ـ الشيخ صبحي:

ـ مقدمة نهج البلاغة ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ط ٣ ـ ١٩٨٣.

* صبحي ـ أحمد محمود:

- الزيدية - الزهراء للاعلام العربي - القاهرة - ط ٢ - ١٩٨٤ .
- نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنى عشرية - دار المعارف - القاهرة - ١٩٦٩ .
* الصدر - حسن :
- تأسيس الشيعة لفنون الاسلام - الرائد العربي - بيروت - ١٩٨٠ .
* الصدوق - ابن بابويه أبو جعفر محمد بن عليٍّ بن الحسين (ت ٣٨١ هـ) :
- امالي الصدوق - الاعلمي - بيروت - ط ٥ - ١٩٨٠ .
- التوحيد - دار المعرفة - بيروت - د. ت .
- الخصال - جماعة المدرسين بالحوزة العلمية - قم - ١٩٨٢ .
- علل الشرائع - دار البلاغة - بيروت - مصورة عن طبعة النجف - ١٩٦٩ .
- معاني الاخبار - انتشارات اسلامي - قم - ١٩٥٩ .
- من لا يحضره الفقية - الاعلمي - بيروت - ط ١ - ١٩٨٦ .
* الصفار - رشيد :
- مقدمة تحقيق ديوان الشريف المرتضى - عيسى الحلبي - القاهرة - ١٩٥٨ .
* صفوت - أحمد زكي :
- ترجمة الامام علي - بواسطة مصادر نهج البلاغة لعبدالزهراء الحسيني .
* ضيف - شوقي :

ـ الفن ومذاهبه في النثر العربي ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ط ١٠ ـ ١٩٨٣ .
* طاش كبرى زادة ـ احمد مصطفى (ت ٩٦٨ هـ) :
ـ مفتاح السعادة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٨٥ .
* أبوطالب المكي ـ محمد بن علي بن عباس (ت ٣٨٦ هـ) :
ـ قوت القلوب ـ صادر ـ بيروت ـ د . ت .
* أبوطالب ـ يحيى بن الحسين بن هارون (ت ٤٢٤ هـ) :
ـ تيسير المطالب في أمالي أبي طالب ـ الأعلمي ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٧٥ .
* ابن طاووس ـ علي بن موسى بن جعفر الحسني (ت ٦٦٤ هـ) :
ـ الملاحم والفتن ـ الوفاء ـ بيروت ـ ط٦ ـ ١٩٨٣ .
* الطبرسي ـ أبومنصور أحمد بن علي (ت ٦٢٠ هـ) :
ـ الاحتجاج ـ الأعلمي ـ بيروت ط٢ ـ ١٩٨٣ .
* الطبرسي ـ أبوالفضل علي بن الحسن (ت القرن السابع) :
ـ مشكاة الأنوار ـ الحيدرية ـ النجف ـ ط٢ ـ ١٩٦٥ .
* الطبرسي ـ أبوعلي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨ هـ) :
ـ جوامع الجامع ـ الأضواء ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٨٥ .
ـ مجمع البيان ـ الحياة ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٦١ .
* الطبري ـ أبوجعفر أحمد الشهير بالمحب (ت ٦٤٩ هـ) :
ـ الرياض النضرة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ د . ت .
ـ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ـ مكتبة القدسي ـ القاهرة ـ ١٩٣٧ .

* الطبري ـ محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ):

ـ تاريخ الرسل والملوك ـ المعارف ـ القاهرة ـ ط٤ ـ ١٩٧٩ .

ـ جامع البيان في تفسير القرآن ـ المعرفة ـ بيروت ـ ١٩٨٣ .

* الطبري الإمامي ـ محمد بن جرير بن رستم (ت ٣٥٨ هـ):

ـ دلائل الإمامة ـ الأعلمي ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٩٨٨ .

* الطريحي ـ فخر الدين بن محمد علي (ت ١٠٥٨ هـ):

ـ مجمع البحرين ـ الوفاء ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٩٨٣ .

* الطهراني ـ آغا بزرك:

ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة ـ الأضواء ـ بيروت ـ ط٣ ـ ١٩٨٣ .

* الطوسي ـ أبوجعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ):

ـ أمالي الشيخ الطوسي ـ الوفاء ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٦٥ .

ـ تهذيب الأحكام ـ الأضواء ـ بيروت ـ ط٣ ـ ١٩٨٥ .

ـ الفهرست ـ الوفاء ـ بيروت ـ ط٣ ـ ١٩٨٣ .

ـ مصباح المتهجد ـ عني بنشره وتصحيحه إسماعيل الأنصاري ـ صورة عن مخطوط .

* الطوسي ـ نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن (ت ٦٧٢ هـ):

ـ أخلاق محتشمي ـ الدار العالمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٨١ .

* عاقل ـ فاخر:

ـ معجم علم النفس ـ الملايين ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٩٧٧ .

* عاقل ـ نبيه:

ـ خلافة بني أمية ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط٣ ـ ١٩٧٥ .

* عبدالباقي ـ محمد فؤاد :

ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ د . ت .

* ابن عبدالبر ـ يوسف بن عبدالله (ت ٤٦٣ هـ) :

ـ الاستيعاب بهامش الإصابة ـ إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ طبعة مصورة عن الطبعة الأولى ـ ١٣٢٨ هـ ـ ١٩١٠م .

ـ بهجة المجالس ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ د . ت .

ـ جامع بيان العلم وفضله ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ د . ت .

* عبدالجبار ـ ابن أحمد قاضي القضاة (ت ٤١٥ هـ) :

ـ المغني في أبواب التوحيد ـ سلسلة تراثنا ـ القاهرة ـ ١٩٦٦ .

* عبدالرزاق ـ علي :

ـ الإسلام وأصول الحكم ـ الحياة ـ بيروت ـ د . ت .

* ابن عبدربه ـ أبوعمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٧ هـ) :

ـ العقد الفريد ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ١٩٨٢ .

* عبدالكريم ـ فتحي :

ـ الدولة والسيادة في الفقه الإسلامي ـ وهبة ـ القاهرة ـ ط٢ ـ ١٩٨٤ .

* عبدالمقصود ـ عبدالفتاح :

ـ الإمام علي بن أبي طالب ـ مكتبة العرفان ـ بيروت ـ د . ت .

ـ السقيفة والخلافة ـ مكتبة غريب ـ القاهرة ـ ١٩٧٧ .

* أبوعبيد ـ القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤ هـ):

ـ الأموال: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٨٦ .

ـ غريب الحديث ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ طبعة مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية ـ ط١ ـ ١٩٦٤ .

* عتيق ـ عبدالعزيز:

ـ علم البيان ـ النهضة العربية ـ بيروت ـ ١٩٧٠ .

* ابن العربي ـ محي الدين أبوبكر محمد بن علي (ت ٦٣٨ هـ):

ـ تفسير ابن العربي ـ الأندلسي ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٩٨١ .

ـ محاضرات الأبرار ـ صادر ـ بيروت ـ د. ت.

* العرشي ـ امتياز عليخان:

ـ استناد نهج البلاغة ـ مكتبة الثقلين ـ قم ـ ١٩٧٨ .

* العُريِّض ـ جليل منصور:

ـ التفجع في شعر الشريف الرضي ـ أطروحة دكتوراه الحلقة الثالثة بإشراف د. محمد اليعلاوي كلية الآداب بالجامعة التونسية ـ ٨٤ ـ ٨٥.

* ابن عساكر ـ علي بن الحسن (ت ٥٧٣ هـ):

ـ ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق ـ دار التعارف ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٧٥ .

* عفيفي ـ فوزي سالم:

ـ السلوك الاجتماعي بين علم النفس والدين ـ وكالة المطبوعات ـ الكويت ـ ١٩٨٠ .

* العقاد ـ عباس محمود:

ـ عبقرية الإمام علي ـ العصرية ـ بيروت ـ د. ت.

* ابن العماد الحنبلي ـ أبوالفلاح عبدالحي (ت ١٠٨٩ هـ):

ـ شذرات الذهب ـ المكتب التجاري ـ بيروت ـ د. ت.

* الغزالي ـ أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ):

ـ احياء علوم الدين ـ مصطفى الحلبي ـ القاهرة ـ ١٩٣٩ .

* ابن فارس ـ أبو الحسن أحمد (ت ٣٩٥ هـ):

ـ الصحابي في فقه اللغة ـ بدران للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ١٩٦٣ .

ـ مجمل اللغة ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٩٨٦ .

* ابن الفارض ـ أبو جفص عمر (ت ٦٣٢):

ـ ديوانه ـ صادر ـ بيروت ـ د. ت.

* فضل الله ـ عبدالمحسن:

ـ نظرية الحكم والادارة في عهد الامام علي عليه السلام للاشتر ـ التعارف ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٩٨٣ .

* الفضلي ـ عبدالهادي:

ـ الدولة الاسلامية ـ دار الزهراء ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٧٩ .

* الفكيكي ـ توفيق:

ـ الراعي والرعية ـ الوفاء ـ بيروت ـ ط ٣ ـ ١٩٨٣ .

* الفيروز آبادي ـ محمد بن يعقوب ـ (ت ٨٢٧ هـ):
ـ القاموس المحيط ـ بترتيب الزاوي ـ الدار العربية ـ ليبيا ـ ط ٣ ـ ١٩٨٠ .
* الفيروز آبادي ـ مرتضى الحسيني:
ـ فضائل الخمسة في صحاح الستة الاعلمي ـ بيروت ـ ط ٤ ـ ١٩٨٢ .
* القاضي ـ النعمان:
ـ الفرق الاسلامية في الشعر العربي ـ المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٧٠ .
* القالي ـ أبو علي اسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦ هـ):
ـ الامالي ـ دار الكتب العملية ـ بيروت ـ د. ت .
* القبانجي ـ حسن السيد علي:
ـ شرح رسالة الحقوق ـ الاضواء ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٩٨٠ .
* ابن قتيبة الدينوري ـ عبدالله بن مسلم (ت ٣٧٦ هـ):
ـ أدب الكاتب ـ صادر ـ بيروت ـ ١٩٦٧ .
ـ الامامة والسياسة ـ مصطفى الحلبي ـ القاهرة ـ ١٩٦٩ .
ـ الشعر والشعراء ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ د. ت .
ـ عيون الاخبار ـ الهيئة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٧٣ .
* قدامة بن جعفر (ت ٣٢٧ هـ):
ـ نقد النثر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٩٨٢ .
* القرشي ـ باقر شريف:

- النظام السياسي في الاسلام - دار التعارف - بيروت - ط ١ - ١٩٨٢ .

* القرشي - أبو زيد محمد بن أبي الخطاب (توفي في القرن الخامس):

- جمهرة أشعار العرب - نهضة مصر - القاهرة - ١٩٨١ .

* القرشي - يحي بن آدم (ت ٢٠٣ هـ):

- كتاب الخراج - المعرفة - بيروت - د. ت .

* القرطبي - عبدالله بن محمد بن أحمد (ت ٦٧١ هـ):

- الجامع لاحكام القرآن - الهيئة المصرية - القاهرة - ط ٢ - ١٩٦٧ .

* القسطلاني - شهاب الدين - أحمد بن محمد (ت ٩٢٣ هـ):

- ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري - دار الفكر - بيروت طبعة مصورة عن الطبعة البولاقية السادسة ١٣٠٤ هـ - ١٨٨٦ م.

* القضاعي - القاضي أبو عبدالله محمد بن سلامة (ت ٤٥٤ هـ):

- دستور معالم الحكم - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٨١ .

* القلقشندي - أحمد بن عبدالله (ت ٨٢٠ هـ):

- مآثر الأنافة في معالم الخلافة - عالم الكتب - بيروت - د. ت .

- نهاية الارب في معرفة انساب العرب - البيان - بغداد - ١٩٥٨ .

* القمي - عباس:

- الكنى والالقاب - انتشارات بيدار - قم - ١٩٣٨ .

* القمي - علي بن ابراهيم (ت ٣٠٧ هـ):

ـ تفسير القمي ـ مكتبة الهدى ـ النجف الاشرف ـ ١٩٥٨ .
* ابن قيم الجوزية ـ شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١ هـ):
ـ أحكام أهل الذمة ـ العلم للملايين ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٩٨١ .
* كاشف الغطاء ـ محمد حسين:
ـ المراجعات الريحانية ـ بواسطة مصادر نهج البلاغة ـ عبدالزهراء الحسيني ـ الاعلمي بيروت ـ ط ٢ ـ ١٩٧٥ .
* كاشف الغطاء ـ الهادي:
ـ مستدرك نهج البلاغة ـ الاندلس ـ بيروت ـ ط ٣ ـ ١٩٨٢ .
* كانت ـ امانويل:
ـ تأسيس ميتافيزيقا الاخلاق ـ الهيئة المصرية ـ القاهرة ـ ط ٢ ـ ١٩٨٠ .
* الكتبي ـ محمد بن شاكر (ت ٧٦٤ هـ):
ـ فوات الوفيات ـ صادر ـ بيروت ـ ١٩٧٣ .
* ابن كثير ـ أبو الفداء اسماعيل القرشي (ت ٧٧٤ هـ):
ـ تفسير القرآن العظيم ـ مكتبة الهلال ـ بيروت ـ ط١٠ ـ ١٩٨٦ .
* كحالة ـ عمر رضا:
ـ معجم قبائل العرب ـ الرسالة ـ بيروت ـ ط ٥ ـ ١٩٨٥ .
* الكراجكي ـ أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان (ت ٤٤٩ هـ):
ـ كنز الفوائد ـ دار الاضواء ـ بيروت ـ ١٩٨٥ .
* كرد علي ـ محمد:

ـ رسائل البلغاء ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ط ٣ ـ ١٩٤٦ .

* الكفوي ـ أبو البقاء أيوب بن موسى (ت ١٠٩٤ هـ) :

ـ الكليات ـ وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ط ٢ ـ ١٩٨٢ .

* الكلاباذي ـ أبو بكر محمد (ت ٣٨٠ هـ) :

ـ التعريف بمذاهب أهل التصوف ـ الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٩٨٠ .

* الكليني ـ أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩ هـ) :

ـ الكافي (الاصول والفروع والروضة) ـ دار صعب ـ بيروت ـ ط ٤ ـ ١٩٨٠ .

* الكنجي ـ الحافظ محمد بن يوسف (ت ٦٥٨ هـ) :

ـ كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام ـ دار احياء تراث آل البيت ـ طهران ـ ط ٣ ـ ١٩٨٣ .

* الكوفي ـ سليم بن قيس (ت ٩٠ هـ) :

ـ كتاب سليم بن قيس ـ الاعلمي ـ بيروت ـ د. ت.

* الكوهكمري ـ عبداللطيف :

ـ مقدمة تحقيق منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ـ لسعيد بن هبة الله الراوندي ـ مكتبة المرعشي ـ قم ـ ١٩٨٥ .

* كيلاني ـ محمد سيد :

ـ أثر التشيع في الادب العربي ـ الفكر العربي ـ القاهرة ـ د. ت.

* ليلى ـ وليام:
ـ المدخل الى علم الاخلاق ـ دار المعرفة الجامعية ـ الاسكندرية ـ ١٩٨٥ .
* ابن ماجة ـ الحافظ أبو عبدالله محمد بن يزيد (ت ٢٧٥ هـ):
ـ سنن ابن ماجة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ د. ت.
* ماسينيون ـ لويس:
ـ خطط الكوفة ـ مطبعة العرفان ـ صيدا ـ ١٩٣٩ .
* الماوردي ـ علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠ هـ):
ـ الاحكام السلطانية ـ دار الفكر ـ القاهرة ـ ط ١ ـ ١٩٨٣ .
ـ أدب الدنيا والدين ـ دار اقرأ ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٨١ .
ـ أعلام النبوة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٨٦ .
ـ تسهيل النظر وتعجيل الظفر ـ النهضة العربية ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٨١ .
* ماكيفر ـ روبرت م:
ـ تكوين الدولة ـ العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٦٦ .
* مبارك ـ زكي:
ـ عبقرية الشريف الرضي ـ العصرية ـ بيروت ـ د. ت.
ـ النثر الفني في القرن الرابع ـ الجيل ـ بيروت ـ ١٩٧٥ .
* ابن المبارك ـ عبدالله المروزي (ت ١٨١ هـ):
ـ كتاب الزهد ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ د. ت.

* المبرد ـ محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ):
ـ الكامل في الادب ـ نهضة مصر ـ القاهرة ـ د. ت.
ـ المقتضب ـ المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ـ القاهرة ـ ١٩٦٨.
* المتقي الهندي ـ علاء الدين بن حسام الدين (ت ٩٧٥ هـ):
ـ كنز العمال ـ الرسالة ـ بيروت ـ ط ٥ ـ ١٩٨٨.
* المجذوب ـ البشير:
ـ حول مفهوم النثر الفني ـ الدار العربية للكتاب ـ تونس ـ ١٩٨٢.
* المجلسي ـ محمد باقر:
ـ بحار الانوار ـ الوفاء ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٩٨٣.
* محبوبة ـ مهدي:
ـ ملامح من عبقرية الامام ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٩٧٩.
* محمود ـ زكي نجيب:
ـ المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري ـ دار الشروق ـ القاهرة ـ د. ت.
* محي الدين ـ خالد:
ـ الدين والاشتراكية ـ دار الثقافة الجديدة ـ القاهرة ـ د. ت.
* المدائني ـ علي بن محمد بن عبدالله (ت ٢٤٥ هـ):
ـ صفين ـ بواسطة شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

* مرتضى ـ بسام:
ـ فلسفات اسلامية ـ الكتاب الاسلامي ـ بيروت ـ ١٩٨٠ .
* المرتضى ـ الشريف علي بن الحسين بن موسى (ت ٤٣٦ هـ):
ـ أمالي المرتضى ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٩٦٧ .
ـ رسائل الشريف المرتضى ـ مؤسسة النور ـ بيروت ـ د. ت .
* مرسي ـ سيد عبدالحميد:
ـ النفس البشرية ـ وهبة ـ القاهرة ـ ط ١ ـ ١٩٨٨ .
* ابن مزاحم المنقري ـ أبو الفضل نصر (ت ٢١٢ هـ):
ـ وقعة صفين ـ الخانجي ـ القاهرة ـ ط ٣ ـ ١٩٨١ .
* مسكويه ـ أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١ هـ):
ـ تهذيب الاخلاق ـ الحياة ـ بيروت ـ ط ٢ ـ د. ت .
ـ الحكمة الخالدة ـ الاندلس ـ بيروت ـ ط ٣ ـ ١٩٨٣ .
* المسعودي ـ أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ):
ـ اثبات الوصية ـ منشورات الرضي ـ قم ـ صورة من طبعة النجف ـ ط ٢ ـ ١٩٨٣ .
ـ مروج الذهب ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ـ ط ٤ ـ ١٩٦٤ .
* المطهر الحلي ـ الحسن بن يوسف (ت ٧٢٦ هـ):
ـ الالفين ـ الاعلمي ـ بيروت ـ ط ٣ ـ ١٩٨٢ .
ـ نهج الحق وكشف الصدق ـ الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ١٩٨٢ .
* ابن المعتز ـ عبدالله (ت ٢٩٦ هـ):

ـ كتاب البديع ـ دار المسيرة ـ بيروت ـ ط ٣ ـ ١٩٨٢ .

* مغنية ـ محمد جواد :

ـ التفسير الكاشف ـ العلم للملايين ـ ط ١ ـ ١٩٦٨ .

ـ الشيعة والحاكمون ـ دار الجواد ـ بيروت ـ ط ٥ ـ ١٩٨١ .

ـ الفقه على المذاهب الخمسة ـ دار الجواد ـ بيروت ـ ط ٧ ـ ١٩٨٢ .

ـ فلسفة الاخلاق في الاسلام ـ العلم للملايين ـ ط ١ ـ ١٩٧٧ .

* المفيد ـ محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣ هـ):

ـ الاختصاص ـ الاعلمي ـ بيروت ـ ١٩٨٢ .

ـ الارشاد ـ الاعلمي ـ بيروت ـ ط ٣ ـ ١٩٧٩ .

ـ الامالي ـ التيار الجديد ـ بيروت ـ د. ت .

ـ الجمل ـ مكتبة الداوري ـ قم ـ د. ت .

* المقدسي ـ يوسف بن يحي بن علي (من علماء القرن التاسع الهجري):

ـ عقد الدرر في أخبار المنتظر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٨٣ .

* المقريزي ـ أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ):

ـ خطط المقريزي ـ صادر ـ بيروت ـ د. ت .

* ابن المقفع ـ عبدالله (ت ١٤٢ هـ):

ـ الادب الكبير ـ دار صادر ـ بيروت ـ د. ت .

* مناصرة ـ عبدالله علي:

ـ الاستخبارات العسكرية في الاسلام ـ الرسالة ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٨٧.

* ابن منظور ـ محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١ هـ):

ـ لسان العرب المحيط ـ اعداد وتصنيف يوسف خياط ـ دار لسان العرب ـ بيروت ـ د. ت.

* ابن منقذ ـ أسامة بن مرشد بن علي ـ (ت ٥٨٤ هـ):

ـ لباب الادب ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٩٨٠.

* المودودي ـ أبو الاعلى:

ـ الحكومة الاسلامية ـ المختار الاسلامي ـ القاهرة ـ ١٩٨٠.

* موسى ـ محمد يوسف:

ـ القرآن والفلسفة ـ المعارف ـ القاهرة ـ ط ٤ ـ ١٩٨٢.

* مؤسسة آل البيت:

ـ مجلة تراثنا ـ العدد ٥ ـ السنة الاولى ـ بيروت ـ ١٤٠٦ ـ ١٩٨٥.

* الميداني ـ أبو الفضل أحمد بن محمد (ت ٥١٨ هـ):

ـ مجمع الامثال ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٩٨٧.

* النجار ـ محمد الطيب:

ـ علي بن أبي طالب عليه السلام نظرة عصرية ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ ط ٣ ـ ١٩٨٠.

* ابن النديم ـ محمد بن أبي يعقوب الوراق (ت ٣٨٠ هـ):

ـ الفهرست ـ تحقيق رضا تجدد ـ ١٩٧١ .

* النسائي ـ أبو عبدالرحمن أحمد بن علي بن شعب (ت ٣٠٣ هـ):

ـ سنن النسائي ـ احياء التراث العربي ـ بيروت ـ د. ت.

* النص ـ احسان:

ـ الخطابة العربية في عصرها الذهبي ـ المعارف ـ القاهرة ـ ط ٢ ـ ١٩٦٩ .

ـ العصبية القبلية ـ اليقضة العربية ـ بيروت ـ ١٩٦٣ .

* النعمان بن محمد ـ القاضي ـ (ت ٣٦٣ هـ):

ـ دعائم الاسلام ـ المعارف ـ القاهرة ـ ط ٣ ـ ١٩٨٥ .

* نعمة ـ عبدالله:

ـ مصادر نهج البلاغة ـ مطابع دار الهدى ـ بيروت ـ ١٩٧٢ .

* أبو نعيم الحافظ ـ أحمد بن عبدالله الاصفهاني (ت ٤٣٠ هـ):

ـ حلية الاولياء ـ دار الفكر ـ بيروت ـ د. ت.

* هارون ـ محمد عبدالسلام:

ـ مقدمة تحقيق كتاب صفين لابن مزاحم ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ط ٣ ـ ١٩٨١ .

* ابن هذيل ـ أبو الحسن علي بن عبدالرحمن (من أعيان القرن الثامن الهجري):

ـ عين الادب والسياسة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٩٨١ .

* ابن هشام ـ عبدالملك الحميري ـ (ت ٢١٨ هـ):

ـ السيرة النبوية ـ احياء التراث العربي ـ بيروت ـ د. ت.
* أبو هلال العسكري ـ الحسن بن عبدالله (كان حيا ٣٩٥ هـ):
ـ الاوائل ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٨٧.
ـ جمهرة الامثال ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٨٨.
ـ كتاب الصناعتين ـ العصرية ـ بيروت ـ ١٩٨٦.
* الهلالي ـ ابراهيم بن محمد (ت ٢٨٣ هـ):
ـ الغارات ـ بواسطة شرح ابن أبي الحديد.
* الهمذاني ـ أبو بكر أحمد بن محمد (ت ـ أواخر القرن الثالث):
ـ مختصر كتاب البلدان ـ المثنى ـ بغداد ـ صورة عن طبعة ليدن ١٨٨٤.
* الهمذاني ـ عبدالرحمن بن عيسى الكاتب (ت ٣٢٠ هـ):
ـ الالفاظ الكتابية ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٨٦.
* الهيثمي ـ نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ):
ـ مجمع الزوائد ـ مؤسسة المعارف ـ بيروت ـ ١٩٨٦.
* الوائلي ـ أحمد:
ـ علي بن أبي طالب عليه السلام ـ نظرة عصرية جديدة ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٩٨٠.
* الواقدي ـ أبو عبدالله محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ):
ـ فتوح الشام ـ الجيل ـ بيروت ـ د. ت.
* الوطواط ـ رشيد الدين محمد بن محمد البلخي (ت ٥٧٣ هـ):

ـ مطلوب كل طالب من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام
ـ جلال الدين أرموي ـ طهران ـ ١٩٦٢ .

* وكيع ـ محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦ هـ):
ـ أخبار القضاة ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ د. ت.

* اليافعي ـ عبدالله بن أسعد (ت ٧٦٨ هـ):
ـ مرآة الجنان جـ ١ ـ الرسالة ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٨٤ .

* اليعقوبي ـ ابن واضح أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٨٤ هـ):
ـ تاريخ اليعقوبي ـ دار صادر ـ بيروت ـ د. ت .

* اليماني ـ يحي بن حمزة العلوي (ت ٧٤٥ هـ):
ـ الطراز ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ د. ت .

* أبو يوسف ـ يعقوب ابراهيم (ت ١٨٢ هـ):
ـ كتاب الخراج ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ د. ت .

المحتويات

الباب الثاني

الباب الثالث: فكر علي عليه السلام الإجتماعي كما يبدو في نهج البلاغة

الباب الرابع: القضايا الكلامية والتأملات الكونية كما تبدو في نهج البلاغة

الباب الخامس: الأساليب التعبيرية في نهج البلاغة

الجدولة